

المؤلفات الأساسية في التحليل النفسي

بإشراف الدكتور مصطفى زيور

سيجموند فرويد

فاصل

تفسير الأحلام

ترجمه: د. مصطفى صفوان

راجعه: د. مصطفى زيور

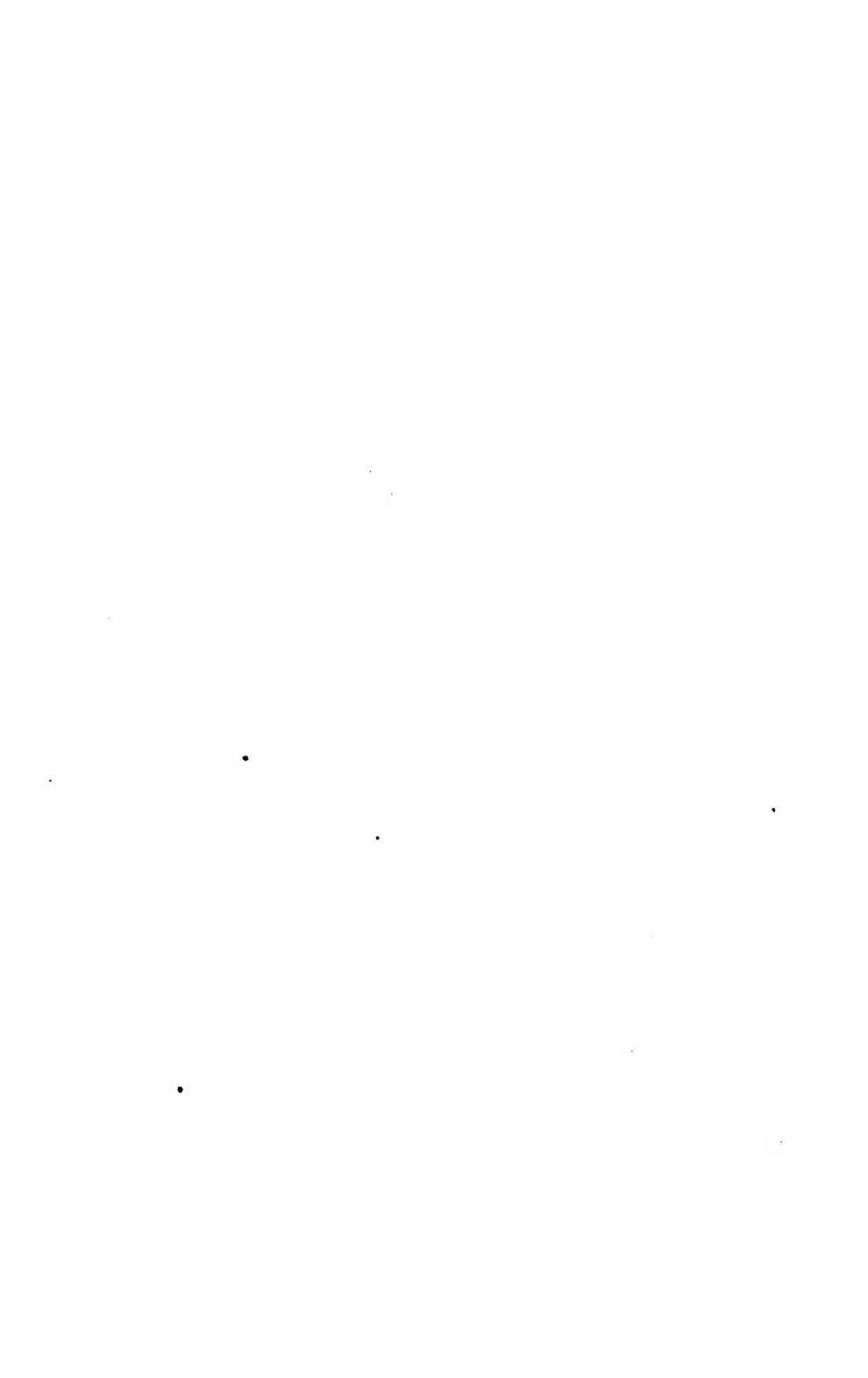


دار المعارف

تفسير الأعلام

إهداء المترجم

إلى الدكتور مصطفى زيور
والدكتور مارك شلومبرجيه



تصدير

بقلم

دكتور مصطفى زيور

« من حل اللغز الذائع الصيت وكان أشد الرجال اقتدارا »
سوفوكليس (١)

يجمع المشتغلون بالتحليل النفسى على أن « تفسير الأحلام » خير ما كتب فرويد وأكثر مؤلفاته أصالة . ويرى فرويد هذا الرأى نفسه . فقد صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب سنة ١٩٠٠ وها هو ذا فرويد سنة ١٩٣١ بعد أن نشر عشرات الرسائل والكتب يسجل رأيه فى كتابه هذا فيقول عنه : « إنه حتى فيما أرى اليوم يحوى أثمن الكشف التى شاء حسن الطالع أن تكون من نصيبى ؛ فثقل هذا الحدس لا يأتى العمر مرتين » . ولكن فى هذه الحملة الأخيرة تواضعاً شديداً ، لأن الحقيقة أن الأحلام مسألة شغلت اهتمام الإنسان منذ أقدم ما نعرف من العصور ، كما يدلنا على ذلك ما جاء فى القرآن والكتاب المقدس عن قصة يوسف ، وما نراه فيما وصل إلينا من آثار القدامى فى الحضارات الهندية والصينية والعربية (مثل كتاب ابن سيرين وغيره) . وليس أدل على ذلك من أن المعلم الأول أرسطو أفرد مؤلفين لموضوع الأحلام كما أن أب الطب هيبوقراط أنشأ فصلاً عن العلاقة بين الأحلام والأمراض فى كتابه الذى وصل إلينا . وظل الاهتمام بموضوع الأحلام لدى الفلاسفة خلال القرون الوسطى ثم لدى العلماء والفلاسفة فى العصر الحديث كما سيتبينه القارئ من الفصل الأول من هذا الكتاب .

إنها لحقيقة جديرة بالتأمل : أن تشغل مسألة الأحلام الإنسانية بأسرها ، شعوبها ورواد الفكر فيها ، ثم تبقى مع هذا دون حل حاسم حتى يناهز القرن التاسع عشر نهايته ويظهر سيجموند فرويد فيحل اللغز الذائع الصيت . المسألة إذن ليست « حدىساً لا يأتى

(١) بيت من تراجيديا « أوديب ملكا » يوصف به أوديب . وقد نقش على مذالية مع صورة أوديب وهو يرد على سؤال أبي الهول وأهديت المذالية إلى فرويد من تلامذته فى أحد أعياد ميلاده .

العمر مرتين » وإنما هي من الحدس الذى لا يتاح إلا مرة فى قرون .

علينا الآن أن نسأل أنفسنا لم امتنع الحل طوال هذه الأحقاب ، ولم كان من نصيب فرويد دون غيره أن يكشف عن طبيعة الحلم . إنه لا يسعنا أن نجيب عن هذين السؤالين دون أن نستضىء ببعض الحقائق الأساسية التى يضمها هذا الكتاب . ذلك أن الحلم ليس أمراً مستقلاً عن سائر أحوال النفس - فى يقظتها - بل هو يتصل بها أوثق الاتصال ويكون حلقة من حلقات الحياة النفسية . ويزيد خطورته أنه يعبر عن أمور لا يسعنا حتى مجرد الإحساس بها أثناء اليقظة ، ويحيط بما عفى عليه الزمان من الأحداث والخبرات الأولى فيبعثها أمام ناظرنا ، فتتضح لنا الصلة بين ماضى الفرد وحاضره ، ويستبين ما كان قد استغلق علينا فهمه من أحوال الإنسان ، حتى استحق الحلم وصف فرويد : إنه الطريق الأمثل إلى أعماق النفس .

بل إنا لتبين فى الحلم سمات على آثار قديمة ترجع إلى عهود غابرة من تاريخ الإنسانية ومنطقاً غريباً نابياً لا نعهده فى يقظتنا إلا حين ننظر فى أحوال المجنون أو الرجل البدائى أو الطفل الصغير ، وأسلوباً فى الخيال والتعبير شديد الشبه بأسلوب الأساطير وعقائد المجتمعات القليلة الحظ من الحضارة . وبعبارة أخرى إن الحلم نافذة تطل على أعماق النفس يترامى البصر منها إلى آفاق تصل إلى طفولة الإنسان ، لا بل إلى فجر تاريخ الإنسانية ومراحل تطورها جميعاً ، فضلاً عن أنها تجمع فى أفق واحد بين العقل والمجنون من حيث أن الحلم خبرة من خبرات الإنسان الصحيح العقل ولكن طبيعته الهلوسية لا تختلف عن هلوسة المجنون . ومعنى ذلك أن الكشف عن طبيعة الحلم إنما يكشف عن طبيعة العقل والمجنون جميعاً .

يتضح إذن أن مشكلة الحلم أعظم شأنًا مما يبدو لأول وهلة وأن من يعقد العزم على أن يزيح الستار عن طبيعته إنما يواجه مشكلة طبيعة النفس الإنسانية بأسرها . وقد كان ذلك بين الأسباب التى جعلت موضوع الأحلام أمراً عسيراً ممتنعاً على الفهم العلمى الصحيح قروناً عديدة . ومن أجل ذلك كان « تفسير الأحلام » يضم فى الحقيقة بين دفتيه أخطر الاكتشافات فى تاريخ معرفة الإنسان بنفسه ، وكان صلوره فتحاً لا يدانيه أى فتح فى العلوم الإنسانية ، ونقطة تحول بالغة الأثر فى تطور علم النفس والطب النفسى جميعاً ، حتى شبهه البعض بكتاب كوبرنيكس الذى طلع بثورة فكرية أرست قواعد علم الفلك الحديث .

ذلك أننا نقف في هذا الكتاب على المعنى الصحيح لأخطر اكتشافات التحليل النفسى وأعنى به ما اصطلاح عليه بالعمليات الأولية والعمليات الثانوية ، فدراسة الأحلام تتيح لنا أن نتمتع كلا منها ، وأن نفهم ما يقوم بينها من العلاقات ، فيتضح لنا الارتباط بين أشياء كان يظن أنها متباينة مستقلة بعضها عن بعض ، ونشعر بأن ضياء قد بددت الظلمات التى كانت تكتنف أشتات الحياة النفسية . فما أن ندرك طبيعة العمليات الأولية التى يقوم عليها بنيان الحلم حتى تنجلي لنا معالم منطق فريد يختلف اختلافاً ملحوظاً عن منطقنا الذى نألفه أثناء اليقظة فى المجتمعات المتحضرة (أى منطق العمليات الثانوية) ، ولا نلبث أن نلفظ إلى أن منطق العمليات الأولية إنما هو المنطق الذى يُنسج هذيان المريض على منواله ، حتى صح القول بأن الحلم مرض نفسى قصير يستغرق الليل ، وأن المرض النفسى حلم طويل يستغرق الليل والنهار .

ولا يقتصر الأمر على ذلك . فإننا إذ نعلم النظر فى منطق الحلم لا نلبث أن ندرك أنه المنطق الذى يعتنقه كل منا فى فجر حياته (أى أثناء الطفولة الأولى) وهو كذلك المنطق الذى تعتنقه الإنسانية فى فجر الحضارة فضلاً عن أنه عين المنطق الذى يصدر عنه خيال الشعراء وغيرهم من الفنانين . وإذا استرشدنا ما ظفرنا به من الفهم ، وتابعنا التنقيب فى سائر أحوال الإنسان رأينا غموضها وقد استحال وضوحاً ، وكأنها اصطفت جميعاً فى صعيد واحد . ومن الجلى أن هذه هى الصفة التى تميز الاكتشافات الكبرى : أعنى تقريب الشقة بين الأشياء الكثيرة المتباعدة وانخراطها فى نظرة واحدة تؤلف بينها ، كما حدث مثلاً عند اكتشاف وحدة الموجات الضوئية والموجات الكهربائية المغناطيسية وغير ذلك من الظواهر الفيزيقية .

وهكذا ندرك أن صفحات « تفسير الأحلام » قد اشتملت الأسس التى قامت عليها دراسات فرويد اللاحقة فى شتى نواحي الحياة الإنسانية ، وأعنى بذلك ما نشره فى أعقاب « تفسير الأحلام » من المؤلفات الأساسية مثل كتابه فى « علم النفس المرضى فى الحياة اليومية » ثم كتابه « الطوطم والتابو » الذى أرسى فيه قواعد علم الأنثروبولوجيا الاجتماعية الحديثة ، ثم كتابه المشهور « ثلاث مقالات فى النظرية الجنسية » الذى عالج فيه العلاقة بين اضطرابات النمو النفسى الجنسى أثناء الطفولة وبين ما يلزم بالمرشد من أمراض وانحرافات نفسية ، ثم دراساته الاكلينيكية فى الطب النفسى وبخاصة « طرف من تحليل

حالة هستيريا » و « مذكرات عن التحليل النفسى لحالة من حالات البارانونيا » ، فضلا عن دراساته التطبيقية وبخاصة « النكتة وعلاقتها باللاشعور » و « العلاقة بين الشعر وأحلام اليقظة » . ونجد فى هذا الكتاب أيضاً نواة الدراسات التى قام بها بعض تلاميذه مثل دراسة أرنست جونز لشخصية هاملت . وجميع هذه الكتب تعتبر من المؤلفات الأساسية فى التحليل النفسى ، التى نرزم نشرها تباعاً فى هذه المجموعة .

فإذا تبينا ما لكتاب تفسير الأحلام من أهمية أساسية أدركنا أنه لا سبيل إلى فهم صحيح للتحليل النفسى بغير دراسة هذا الكتاب دراسة دقيقة تصحح تلك التصورات الساذجة المبتسرة . كالقول بأن التحليل النفسى هو اكتشاف اللاشعور أو أنه نظرية قوامها تفسير الأمراض النفسية بأسباب جنسية . هذا فضلا عن كونه كتاباً ينبغى أن يقرأه كل طبيب نفسى وكل مشغل بعلم النفس أو التربية أو الأنثروبولوجيا الاجتماعية أو تاريخ الحضارة أو النقد الأدبى أو فقه اللغة وما إلى ذلك من علوم الإنسان .

* * *

بقى أن نجيب عن الشق الثانى من السؤال الذى طرحناه فى بدء هذا التصدير ، أعنى : لم كان من نصيب فرويد دون غيره أن يكشف عن طبيعة الحلم . والإجابة عن هذا السؤال أمر يعيننا لأن فيها تبياناً لأهمية أخرى لهذا الكتاب ، فضلا عن أنها تلقى ضوءاً على اللحظات الحاسمة فى نشأة التحليل النفسى .

فى السنوات الأولى من العقد الأخير من القرن التاسع عشر كان فرويد يخطو خطواته الأولى فى سبيل الكشف عن طبيعة مرض الهستيريا ، فتبين له أن أعراض هذا المرض تخضع لحتمية سيكولوجية ، أى أن هذه الأعراض تعبر عن معان نفسية ، معان لا ترد جزافاً وإنما تحكمها علوية يمكن تحديدها كما تحدد على الظواهر الفيزيائية . ثم ما لبث أن ابتدع منهج التداعى الحر كوسيلة لاستقصاء المعانى المتضمنة فى الأعراض ، فكان يطلب من مرضاه أن يطلقوا العنان لخواطرهم فلا يمسكوا عن ذكر ما يحضرهم مهما كان تافهاً أو نابياً . فلاحظ أن مرضاه كانوا يذكرون فيما يذكرون أحلاماً عرضت لهم أثناء الليل ، ثم كانوا ينطلقون فى ذكر ما يعن لهم من الخواطر بصدد هذه الأحلام . فأصغى فرويد إلى رواية هذه الأحلام لإصغاءه لغير ذلك من الخواطر ، محاولاً أن يتبين ما قد تشير إليه هذه

الأحلام من معان في ضوء السياق العام لما يفضى به المرضى وما يعانون منه .
وليس من اليسير على القارئ في أيامنا هذه ، وقد ذاعت مكتشفات التحليل النفسى وأصبحت جزءاً من الثقافة العامة — ليس من اليسير عليه أن يدرك خطورة هذا الموقف الجديد الذى اتخذه فرويد ، وما يتضمنه من ثورة فكرية على الأوضاع العلمية السائدة في عصره . فقد كان فرويد في ذلك الوقت أحد العلماء الذين أنجزوا اكتشافات علمة مرموقة في ميدان التشريح والطب العضوى ، وكان يعتنق تعاليم مدرسة هلمهولتز في التفسير الفيزيقي لظواهر الحياة ، وهى التعاليم التى كانت تعتبر نبراساً لكل باحث في الطب والعلوم البيولوجية . فالبحت عن « معنى » للأحلام يعتبر مروقاً بل إهداراً للمبادئ الأساسية للبحث العلمى كما كان يتصوره معاصروه ، لأن الاتجاه العلمى الصحيح في رأيهم لا يكون إلا بالبحث عن الأحداث الفيزيكية والكيميائية ، وما عدا ذلك فهو ارتداد إلى أسلوب التفكير الغيبى أو شطحات الشعراء .

والواقع أن كتاب « تفسير الأحلام » استقبل عند صدوره استقبالا سيئاً من معاصرى فرويد من العلماء . فها هو ذا البروفسور ليبان الأستاذ بجامعة برلين يكتب عنه قائلاً :
« لقد انتصرت (في هذا الكتاب) الأفكار الخيالية للفنان على الباحث العلمى » (١) .

وإننا نعلم اليوم أن هذا النقد — وإن جازبه الصواب — يلمس عن غير قصد حقيقة هامة . ذلك أن مكتشف التحليل النفسى ما كان ليظفر باكتشافاته ما لم يصطنع ضرباً من الحدس الفنى أخضعه لأسلوب البحث العلمى . فإن ما يميز الإنتاج الأدبى والشعر خاصة هو كما يقول كولريديج « التعطيل الإرادى للريية » فالشاعر الأصيل يعطل عن قصد ترتيبه فيما جرى العرف على الترتيب فيه والاستخفاف به . فالأخيلة التى يزور الناس عنها ويرونها أضغاثاً باطلة ، تلقى لديه أذنأ صاغية . وها هو ذا فرويد يكتب في سيرته التى ظهرت في هذه المجموعة بعنوان « حياتى والتحليل النفسى » ما يأتى : « كنت أعطل ملكتى النقدية حتى أحتفظ بموقف غير متحيز لآراء سائدة وأكون مستعداً للنظر في أى أمر يجد من الأمور التى كانت تنكشف لى كل يوم » . والحق أن أهم ما يتميز به رواد العلم أنفسهم إنما هو هذه « السذاجة » التى يعرفون كيف يتلقون بها الظواهر .
ولإنها حقيقة نعرفها اليوم : إن الشعراء سبقوا فرويد في حدس الكثير من الحقائق

النفسية . غير أن الشعراء كانوا يهدفون إلى إنشاد ما يدخل المتعة على النفس ، على حين أن فرويد كان يجهد في أرساء قواعد علم مقنن . لقد كان من نصيب فرويد أن يكشف عن طبيعة الأحلام لأنه استطاع أن يستعير من الفنان قدرته على الحدس وتعطيله الإرادة للريبة مخضعاً ذلك لمقتضيات البحث العلمى .

على أن ذلك ما كان ليفضى به إلى إنجاز كتاب « تفسير الأحلام » - وهو كما سبق القول حجر الزاوية في بناء التحليل النفسى بأسره - ما لم يتم بأخطر تجربة قام بها إنسان في تاريخ المعرفة كلها ، أعنى : إقدامه على تحليل نفسه تحليلاً منهجياً بتحليل أحلامه . حقاً أن فرويد كان قد فطن قبل ذلك إلى الدافع الأساسى في تكوين الحلم أعنى تحقيق الرغبات ، وذلك من تحليله لبعض أحلام مرضاه ، وتأكد لديه هذا الرأى من تحليله لحلم رآه في يوليو سنة ١٨٩٥ ، وهو حلم « حقنة إرما » الذى يناقشه في الفصل الثانى من هذا الكتاب . ويتبين من قراءة هذا الفصل أنه كان قد وصل في فهمه للعمليات النفسية التى تشكل بناء الحلم إلى مدى بعيد ، مما يؤيد قوله في رسالته « تاريخ حركة التحليل النفسى » : إن جوهر « تفسير الأحلام » كان قد أنجز في أوائل سنة ١٨٩٦ ولكنه لم يكتب إلا في صيف عام ١٨٩٩ . بل إنا نعلم اليوم من المخطوطات التى اكتشفت بعد وفاته أنه أقدم فعلاً في سبتمبر سنة ١٨٩٥ على كتابة رسالة (أطلق عليها اسم : مشروع سيكولوجية علمية) أفرد فيها لموضوع الأحلام ثلاثة فصول بين فيها أن الأحلام تنشأ لتحقيق رغبة كما بين طابعها الهلوسى والارتداد النكوصى للعقل فى الهلوسات والأحلام على السواء ، وأوضح عملية النقل فى الأحلام ثم التشابه بين تكوين الحلم وتكوين الأعراض العصابية ، وعرض كذلك لاكتشافه الأساسى ، أعنى الفارق بين العمليات النفسية الأولية والعمليات الثانوية .

ولكن مهما بلغ شأن هذه البيانات الأساسية فى نظرية الأحلام فإن هذه الرسالة لا تقارن بكتاب تفسير الأحلام إلا كما يقارن كوخ صغير بقصر شاهق ، بالرغم من أن الفترة التى تفصل بينهما لا تعدو سنتين أو ثلاثة . غير أن هذه السنوات القليلة حفلت بأعظم الأحداث فى تاريخ التحليل النفسى ، إذ أقدم خلالها فرويد على تحليله لنفسه فأنجز بذلك - كما سبق القول - أخطر تجربة قام بها إنسان فى تاريخ الفكر ، لأنه كان ل أمن حقق الشعار الفلسفى الأول : اعرف نفسك .

لقد كنا نعلم مما نشره فرويد أنه أفاد من تحليله لأحلامه فائدة عظيمة مكنته من السير قدماً في اكتشافاته ، ولكن القصة الكاملة لهذه الفترة من جهاده العلمى لم نقف عليها الا عند ما نشرت بعد وفاته (١٩٥٠) رسائله الخاصة إلى صديق يدعى « فليس » .

ففى هذه الرسائل نراه يسجل ما مر به من تجارب فريدة وما اعترض طريق البحث من عقبات تأتية من نفسه ، ثم تصميمه على أن يزيل هذه العقبات حتى يظفر بالحقيقة كاملة إن رواية قصة جهاده فى هذه الفترة تقتضى من الصفحات ما يشمله كتاب . فيكنى أن نذكر أنه كان قد أقام نظرية فى تحليل المستيريا اعتنقها عدة سنوات ، ثم إذا بهذه النظرية تنهار فجأة أمام نقد حاسم سلطه عليها فى ضوء تجاربه المتكررة مع مرضاه ، فيقف فى ظلام دامس من حيث علىه العصاب ، ويمجد نفسه فجأة وقد أوصدت أبواب الفهم أمامه مهما بذل من جهد . ولكنه ما لبث أن فطن إلى أن تعطيل قدرته على البحث متصل بأسباب تأتية من أعماق نفسه ، أى من مقاومة عنيدة تحول دونه والاستبصار . وبعبارة أخرى فقد أيقن أن الشرط الأساسى لكى يفهم الإنسان غيره من الناس فهماً صحيحاً ، هو أن يبدأ بفهم نفسه ويزيل الستار الذى يحول دون إدراك النفس لكنها . ولا مفر من ذلك . فغض الطرف عما فى النفس غرض له عما فى غيرها . ولذلك فقد عقد العزم على أن يجرى على نفسه تحليلاً منهجياً متخذاً من أحلامه مادة هذا التحليل .

وليس من اليسير على من لم يختبر عملية التحليل النفسى بنفسه أن يدرك خطورة ما اعترمه فرويد ، وما اقتضاه لإنجاز عزمه من شجاعة وصبر ونضال مرير . ويكنى أن نذكر أن كل عملية تحليل نفسى تصطدم بمقاومة عنيدة طبيعية عند كل إنسان ، تحول دون الاستبصار بما يدور فى أعماق النفس ، وتصدر عن الإشفاق من مواجهة الحقيقة ، ويقتضى الظهور على هذه المقاومة عملاً متواصلاً من جانب الطبيب يدوم شهوراً طويلة . وقد قام فرويد بهذا النضال وحده وأنفق فيه نحو ثلاث سنوات خرج منها بمعرفة وكتاب . فأما المعرفة فقد استكمل فهمه للنمو النفسى أثناء الطفولة واكتشف عقدة أوديب . وفطن للدور الذى تقوم به التخيلات فى نشأة العصاب فاستقامت نظرتة فى علىه الأمراض النفسية . وأما الكتاب فهو « تفسير الأحلام » الذى يعتبر فى المحل الأول ثمرة هذه التجربة الفريدة .

يتضح مما سبق ما لكتاب تفسير الأحلام من أهمية تضعه في مصاف المؤلفات التي تعتبر في المرتبة الأولى من الإنتاج الفكري على مر العصور ، وقد ترجم هذا الكتاب إلى معظم اللغات الأوروبية وبقيت المكتبة العربية ينقصها هذا الأثر الخالد .

ولا شك أن ضخامة المجهود التي تتطلبها ترجمته والصفات التي يجب توافرها فيمن يقدم عليها كانت سبباً في الإحجام عن نقل هذا الكتاب إلى العربية حتى الآن . ذلك أن هذا الكتاب يزخر بثروة من الثقافة الغربية الحديثة والقديمة ، اليونانية اللاتينية ، جعلت نقله إلى العربية نقلاً صحيحاً أمراً مستحيلاً ما لم يكن المترجم قد اكتسب هذه الثقافة اكتساباً أصيلاً . ثم إن فرويد على الرغم من أنه لم يكن فيلسوفاً محترفاً إلا أن قدرته على الجدل العميق بلغت في بعض أجزاء هذا الكتاب مبلغاً يقتضي أن يكون المترجم رجلاً قد مارس التفكير الفلسفي . على أن العقبة الكبرى في نقل هذا الكتاب نقلاً أميناً تنشأ من أن موضوعه يدور حول مسائل لا بد لمن أزمع نقلها من أن يكون قد اختبرها خبرة أصيلة . وبعبارة قصيرة لا بد لمترجم هذا الكتاب من أن يكون محلاً نفسياً .

وقد اجتمعت لزيملي مصطفى صفوان هذه الصفات جميعاً . فقد تدرب على التحليل النفسي في معهد باريس وحصل على إجازته ثم مارسه منذ عدة سنوات . وهو فيلسوف تعمق دراسة الفلسفة ودرس الآداب الأوروبية القديمة والحديثة فضلاً عن امتلاكه للغتين الألمانية والعربية امتلاكاً أكيداً . وقد أنفق في هذا العمل الضخم زهاء ثلاث سنوات كنت أرقبه أثناءها وأتبعه مشفقاً أحياناً مما يتطلبه الاستقصاء الدقيق لكل عبارة من المشقة والجهد ، ولكنني كنت دائماً سعيداً فخوراً به .

وفي يقيني أن صدور هذا الكتاب في اللغة العربية يعتبر حدثاً ثقافياً عظيماً في تاريخ المكتبة العربية . وبين يدي القارئ الدليل على ما أقول .

مصطفى زيور

دكتور في الطب

أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس
عضو الجمعية الدولية للتحليل النفسي

كلمة المترجم

يقرأ القارئ في هذه الترجمة الكتاب الذى قال عنه سيجموند فرويد : « إنه يحوى
أثمن الكشوف التى شاء حسن الطالع أن تكون من نصيبى ؛ فمثل هذا الحدس لا يأتى العمر
مرتين » (١) .

ونستطيع أن نقول دون أن ندعى الكشف عن ماهية هذا الحدس بل لعلنا لا نعدو أن
نجلل الأثر الأول الذى يخرج به من هذا الكتاب القارئ غير المتأثر بسوابق الرأى (وهى
كثيرة) : إن فرويد يرينا فى « تفسير الأحلام » أن الحلم كلمة وأنه إذن يفترض لغة على
حسب التفرقة التى أذاعها فردينان دى سوسير فى مطلع هذا القرن : فاللغة نظام اجتماعى
وأما الكلام فهو الفعل الذاتى الذى يطوع هذا النظام لمقاصده وإن خضع له . واللغة بذلك
سابقة على الكلام سبق المجتمع على الفرد ؛ فهو منذ ولادته يندرج فى شبكة من القرابة
يختلف نظامها باختلاف المجتمعات كما أنه — بما هو إنسان — لا يستقيم له مفهوم بغير
تصور القاعدة أو القانون وتصور القاعدة أو القانون يفترض كثرة الأطراف .

بيد أن قولنا : « إن الحلم كلمة » قد يبدو مبهماً أو مشكلاً ؛ لأننا نعلم أن الحلم
يتألف أكثر ما يتألف من صور مرئية لا من أصوات . ولقد يتبادر إلى الذهن أننا إنما نعنى
بهذا القول أن الحلم — كالرسم — ربما كان يعرب بصوره عن شىء ما . سوى أن قليلاً من
التدبر كفى أن يرينا أن فكرة « التعبير » هذه يمكن أن تقال عن كل شىء : فاللغة تعبر ،
والموسيقى وجميع الفنون تعبر ، وربما جاز أن نقول بمعنى ما : إن اجتماع السحب فى السماء
« يعرب » عن قرب العاصفة — وإنا لنعلم أن الطبيعة بأسرها قد استحالت بالفعل فى نظر
بعض الفلاسفة إلى نظام من العلامات . ومعنى ذلك أن فكرة التعبير — وهى التى يمكن أن
تقال عن كل شىء — لا تفيد فى تخصيص أى شىء . فهذه الفكرة ليست فى الحقيقة
تصوراً علمياً بالمعنى الصحيح ، بل الأصدق أنها تدخل فى عداد تلك التصورات التى
يصدق عليها التشبيه الذى ضربه هجل فى صدد مطلق شللنج : تشبيه الليل الذى كل البقر
فيه أسود .

(١) من مقدمة الطبعة الثالثة لترجمة بريل الإنجليزية .

والواقع أن المماثلة بين الحلم والرسم - وهى المماثلة التى يجرنا إليها تألف الحلم فى الغالب من الصور المرئية - إنما تقوم على أساس موهوم . ولو نظرنا إلى الحلم نظرنا إلى لوحة مصورة لوجدناه شيئاً لا معقولاً ، لا يحمل أقل أثر من المعنى . وإنما الواجب أن ننظر إلى رسوم الحلم نظرنا إلى تلك الرسوم التى يتألف منها اللغز المصور والتى يتعين علينا حلها ، فإن فعلنا ارتفع خلوها الظاهرى من المعنى وربما تكشف لنا بيت من أجود ما جاد به الشعر وأفصحه^(١) . أو بعبارة أخرى : إن صور الحلم إنما تشبه رسوم الكتابة الهيروغليفية أو غيرها من الكتابات المصورة وإن موقف من يفسر الحلم لا يختلف فى شىء من موقف العالم اللغوى حين يريد أن يحل للمرة الأولى نصاً مكتوباً بكتابة مصورة لم تفك رسومها من قبل ، وتفسير الحلم إنما يعنى قراءته . وهذا التقريب الذى يصادفه القارئ مراراً على صفحات « تفسير الأحلام » بين الحلم والكتابة المصورة يجب ألا يؤخذ مأخذ المماثلة الغامضة ، إنه يتم عن اتفاق فى الجوهر . بل إن فرويد ليمد التقريب إلى التفاصيل حتى أنه يجد فى الحلم ما يضارع استخدام « التخصصات » فى الكتابة الهيروغليفية (أنظر ص ٣٣١) ، وإنه ليقول لنا فى مقال كتبه سنة ١٩١٣^(٢) : « إنه إذا كان هذا التصور لمنهج الحلم فى التصوير لم يلق متابعة حتى الآن فلأن المحللين النفسانيين يجهلون كل الجهل ما هو الموقف الذى قد كان يقفه أحد علماء اللغة لو أنه واجه مشكلة من قبيل تلك التى يواجهها بها الحلم وما هى العدد التى قد كان يتوسل بها إلى حلها . »

الحلم - إذن - كلمة وتألفه من صور مرئية لا يخرجها عن كونه كذلك ، كل الأمر أنه يدعونا إلى أن نزيد قضيتنا تحديداً فنقول : إنه كلمة أو نص مكتوب بكتابة مصورة . وإذا كان الأمر كذلك وجب أن تكون هناك لغة هى اللغة المستعملة فى الأحلام - بحسب التفرقة التى سبقت الإشارة إليها - وهذه اللغة يجب أن تدرس من النواحي الثلاث التى تدرس منها اللغة عادة ، أى فى نحوها وبلاغتها ومفرداتها . فهل الأمر كذلك؟ نعم ، وهذه الدراسة على التحديد هى ما يقوم به فرويد فى الفصل السادس من « تفسير الأحلام » - وهو أطول فصوله وعصب الكتاب جميعاً - بحيث يسعنا أن نقول بحق : إن فرويد - فى

(١) أنظر حديث فرويد الصريح فى هذا الصدد ، فى مطلع الفصل السادس

(٢) بعنوان « حقوق التحليل النفسى على الاهتمام العلمى » - وهو مقال نشر باللغة الإنجليزية فى المجلد الثامن من الطبعة الإنجليزية الأخيرة لمؤلفات فرويد الكاملة ، وفيه يمدد فرويد ما يستطيع التحليل النفسى أن يسديه إلى العلوم المختلفة - ومن بينها علم اللغة - وما يستطيع استعارته منها .

هذا الفصل — قد عرف الإنسان بلغة رغبته مثلما عرفنا أرسطو في منطق بلغة الإنسان العارف . ولا غرو إذن (كما لاحظ أستاذ هوجاك لاكان) أن كانت للتحليل النفسي قيمة البشير بالحركة التي يحمل عصرنا بأسره طابعها ، حركة اكتشاف الإنسان لعلاقته باللغة^(١) . ولكننا نترك ذلك إلى إجمال النتائج التي تنتهي إليها هذه الدراسة .

ماذا عن نحو الحلم ؟^(٢) إن فرويد يرينا أن الحلم لا يكاد يعرب عن علاقة من العلاقات سوى علاقة الشرط أو العلية . وهو يتوسل إلى الإعراب عنها بالتعاقب . فإن ورد حلم في أعقاب آخر غلب أن يكون الحلم الأول معادلاً لجملة شرط يكون الثاني جوابها — وإن لم يكن الأمر كذلك دائماً . وسيجد القارئ مثلاً على ذلك في صفحة ٣٢٥ . وهناك — عدا هذا — علاقة التشابه التي تعرب عنها لغتنا العربية بالكاف وكأن وما إليهما : هذه أيضاً يملك الحلم وسائله في تصويرها (أنظر ص ٣٣٠) . وأما سائر العلاقات كالاتحاد والنفي والضميمة فهذه لا يكاد يعرف الحلم طريقة ما في الإعراب عنها بل يغفلها إغفالاً . ومعنى هذا أن الحلم فقير كل الفقر في نحوه ، وهو في ذلك يشبه كثيراً من الكتابات المصورة التي تقصر جل اهتمامها على الإعراب عن دوال المعنى مغفلة دوال النسبة .

ولكن يعوض عن هذا الفقر في النحو ثراء بلاغي يفوق التصور . فما من صورة من الصور البلاغية التي تعرفها اللغات النهارية إلا وجدناها في الحلم . وسيرى القارئ حليماً (هو حلم أوبرا فاجنر ، أنظر ص ٣٥٠) لم يكن منهجه شيئاً آخر سوى الاستعارة ، وما أن انتبه المفسر (وأعني فرويد) إلى ذلك حتى خرج له من وراء فساد الحلم الظاهر مقال مفهوم كانت تقابل فيه الحاملة بين حبا المكنون وحب غريمتها المكشوف . وأما السبب في هذا الالتجاء المستمر إلى الاستعارات وضروب الكناية والمجاز المرسل المبثوثة في الشعر والأغاني الشعبية وغيرها فيذكره فرويد في القسم د

(١) نرجو أن تجد اللغة العربية من يترجم إليها مؤلفات دي سويسر وتروبتسكوي وإيثي ستروس ودوميزيل وغيرهم ممن لا يستغنى عن أعمالهم إذا أردنا أن نجاري الثورة الحديثة في علوم الإنسان .
(٢) من الجلى أننا لا نتحدث هنا عن النحو بتعريفه الضيق الذي يقصره على دراسة الإعراب وحركاته (فلا محل للحديث عن حركات الإعراب ونحن بصدد كتابة مصورة وإن اشتمل الحلم على وسائل تعادل بعض الحركات الصوتية مثل رفع الصوت للتوكيد أو اصطناع لهجة معينة ، أنظر ص ١٩٥ و ص ٥٨١) بل بالمعنى الأعم الذي دعا إليه بيننا الأستاذ إبراهيم مصطفى والذي يفيد دراسة طرق ترتيب المقال على حسب العلاقات بين المعاني .

من الفصل السادس : كما أنه يزيد فيرينا كيف كان لصورة البرج في ذلك الحلم تركيب عطف البيان . ونستطيع نحن أن نجد في إثره الرمز والمقابلة والتشبيه والحذف وإطلاق اسم العلم في مجرى الصفة واستعمال القليل للدلالة به على الكثير . بل إن الحلم بوجه عام ليسرف في استخدام الصور البلاغية إسرافاً هو الذى يؤدى إلى هذا العطل الظاهرى من المعنى على نحو ما يقع في شعر السرياليين^(١) . ويعين على هذا أنه إذا كان هناك أسلوب نستطيع أن نقول : إنه أسلوب الحلم بالذات ، فذلك هو الحذف ، والحذف المخل . بل نستطيع أن نقول بوجه عام : إنه إذا كان المحللون يفهمون مرضاهم فباستنادهم إلى معرفتهم برمزية المحذوف فيها لا يقل أهمية عن المذكور بل يزيد خطراً . فإذا أراد القارئ أن يعلم السر في هذا الإسراف البلاغى من جانب الحلم قلنا في إيجاز : إنه الرقابة ؛ فأنت إذا تحدثت وأنت تشعر بأن ثمت رقيباً على كلماتك كان أول ما تعتمد إليه هو الحذف واستخدام الألفاظ في غير مواضعها ، وإذا كان هناك تعريف يجمع بين ضروب الأشكال البلاغية كالحجاز المرسل أو الكناية أو ما إليهما ، فذلك هو كونها استعمالاً للألفاظ في غير مواضعها .

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى دراسة مفردات الحلم أو — بعبارة أدق — إلى ما يسميه اللغويون الغربيون « دوال المعنى » ، كان أول ما يصادفنا هو الرموز التحليلية بالمعنى المحدود (كالملك رمزاً للأب أو الرحيل رمزاً للموت . . . إلخ) . فهذه الرموز هى الدوال الأساسية في لغة اللاشعور^(٢) ، وإنا لنسمعها دائماً أبداً في حديث الإنسان الليلي (وأعنى الحلم) كما في أعراض مرضه وشعره وأساطيره . . . إلخ . فإذا تركنا هذه وجدنا أن الحلم إنما

(١) كما لاحظته العالم اللغوى بنفثينيس في مقال عنوانه « ملاحظات حول وظيفة اللغة في الكشف الفرويدي » — وهو مقال ظهر سنة ١٩٥٥ في العدد الأول من مجلة الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى التى يرأس تحريرها الدكتور چاك لاكان : La Psychanalyse . ونعلن بهذه المناسبة عن أسفنا إذ حالت الظروف دون أن تصلنا مقدمة وعدنا الأستاذ لاكان أن يجيبنا فيها عن سؤال وجهناه إليه لأننا نعتقد أنه الرجل الوحيد بين معاصرينا الذى يستطيع الإجابة عنه ، وهو : ما هو هذا الحدس الذى يقول فرويد : إنه لا يأتى العمر مرتين؟ ونأمل أن نتمكن من نشر هذه المقدمة في طبعة ثانية .

(٢) غنى عن البيان أننا نقول أحياناً « لغة الأحلام » بمعنى اللغة المستعملة في الأحلام ، وهذه اللغة تصطنعها أيضاً الأعراض المسترى والقهرية وغيرها ، فهى لغة اللاشعور حيثما كان للاشعور نصيب ، بحيث نستطيع أن نعد الحلم والعرض المسترى أو القهرى لهجات مختلفة منها تمكن ترجمة بعضها إلى البعض الآخر — كما يبينه فرويد في المقال الذى سبقت الإشارة إليه . وكل الفرق أن بنية المادة الدالة تختلف : فاقوله الخالم بالصور يقوله المسترى بحسبه وهكذا .

ينسخ الاستعمال الصوتي والمعنوي للدوال المتضمنة في لغة الحلم النهارية . سوى أن الحلم يفاجئنا ههنا بتلك الظاهرة : ذلك أنه إذا كان هناك أمر يميز اللغات النهارية فهذا هو ما سماه أحد اللغويين المحدثين بحق ظاهرة « الفرار من الاشتراك »^(١) ، بمعنى أن اللغة لا تمل من ابتداء الوسائل للترقية بين الدوال تجنباً للاشتراك وازدواج المعاني . ومن الحق أن اللغات النهارية مهما أمعنت في هذا الاتجاه لا تبلغ أبداً إلى القضاء على اتساع اللفظ الواحد للمعاني المتعددة ؛ فلقد قدر على الكلمة أن تكون معقد معاني متعددة ، كما يقول فرويد (ص ٣٤٩) ، وهذا الاتساع وحده هو الذي يطوِّع اللفظ للمقاصد التي يسخره لها الكلام^(٢) ، ولكن الذي يهمني الآن هو أن لغة الأحلام تفلت كل الإفلات من هذا « الفرار من الاشتراك » ، بل هي تمنع في الاتجاه المخالف : فلا حد للمعاني التي يمكن أن تحملها صورة الحلم ، وهذا هو ما سماه فرويد ظاهرة « التكثيف » . ولو رجع القارئ ههنا إلى أحد الأمثلة على ذلك ، كالحلم المعنون « حلم الخنفساوين » (ص ٣٠٢) ، نحيل إليه أن صورة الخنفساء بكل ما تكثف فيها من المدلولات إنما كانت الرسم الهيروغليفي الذي يعكس كل رغبات الحاملة ومخاوفها في صورة غريبة عنها ، ونحيل إليه بوجه عام أنه يواجه في الحلم جميع المادة الدالة وقد تركت لنفسها في « حالة همجية » . ولا يقف إفلات الحلم من قانون الفرار من الاشتراك عند هذا الحد ، بل هو يتناول أيضاً مادة الدوال أو بنيتها الصوتية بلعب يؤلف بحق ما يشبه « الكيمياء اللفظية » مثلما تصنع النكات (أنظر الأمثلة على ذلك في ص ٣٠٩ وما بعدها) ، وأما السبب في هذا كله فيرجع بعضه إلى غياب الآخر أو المخاطب في الحلم بعض الغياب – وإن لم يكن كله كما يتبين من بقاء الرقابة – وارتفاع القاعدة أو القانون بقدر غيابه^(٣) .

فإذا أردنا أن نجمل الكلام السابق عن خصائص لغة الحلم قلنا : إنها لغة تتميز بالفقر النحوي مع الأعمال المفرط للحذف في ترتيب السياق ، ثم بالثراء البلاغي ، فالتكثيف المعنوي .

(١) Joseph Tubiana , "Agencement et ambiguïté en phonologie", Cahiers F. de Saussure, 1952 .

(٢) ليتأمل القارئ المعاني التي لا حصر لها التي يمكن أن يلقاها اللفظ الواحد (وليكن « الشمس ») في استعمالاته على السنة البلغاء وغيرهم : فالشمس قد تكون المحبوبة وقد تكون الجمال أو الحسن وقد تكون الملك أو المصباح أو الحياة إلى آخره .

(٣) وأما السبب الآخر والأهم فهو انحطاط الرمزى إلى المتخيل نتيجة لارتداد الأنا إلى وظيفته النرجسية . ولا يتسع المجال لشرح هذه التفرقة بين الرمزى والمتخيل – وإن كان المحللون أقرب الناس إلى فهمها فخبيرتهم تريمهم دوماً كيف تعامل الألفاظ معاملة « الموضوعات » .

وهنا نترك الإجابة عن بعض الأسئلة التي ربما جالت بذهن القارئ ، كأن يسأل : ما هي الصلات بين هذه اللغة التي يصطنعها الإنسان في خطابه الليلي وبين لغاته النهارية ، بين هذه الرمزية وتلك ؟ كيف نوفق في بناء واحد بين هذه النظرة إلى اكتشاف اللاشعور باعتباره اكتشافاً لغوياً بحتاً لم تختلف خطوات صاحبه في الوصول إليه مما قد كانت تكونه خطوات العالم اللغوي وبين الآراء الذائعة — وحدها — عن فكر فرويد ، كاتجاهه الدينامي وما يعزوه من الأثر الحاسم إلى تاريخ الطفولة وحياتها الجنسية ^(١) ؟ ونترك للغويين والنقاد أن يتبينوا كيف يمكننا تعمق لغة اللاشعور ودوراتها من أن نزيد فهما للتراكيب الدينامية للأسلوب ومقوماتها الوجدانية ^(٢) . كما نترك للفلاسفة أن يستخرجوا المغزى الذي قد يرونه إذ يرون الإنسان مسكوناً بلغة تأسر رغبته وفيها تولد هذه بما هي رغبة إنسانية .

نترك كل هذا لأننا إنما أردنا بالكلمة المقدمة أن نشعر القارئ بتلك القضية : أن الأحلام — كالشعر — لا تترجم . ولقد كان ذلك رأى فرويد الذي أعرب عنه . فإذا كان كتابه « تفسير الأحلام » قد ترجم مع ذلك إلى معظم لغات العالم الحية فلا يرين القارئ في ذلك إثباتاً للضد كإثبات الحركة بالمشي ؛ لأن المترجمين اتبعوا في العادة إحدى طريقتين : فهم إما أسقطوا بعض الأحلام التي أوردها المؤلف إسقاطاً وإما استبدلوا بها أحلاماً من عندهم ومن لغاتهم . ولكن هذه الاستباحة إن جازت والكتاب في أوائل سيرته لا تجوز اليوم بعد أن صارت له مكانة الكتب المأثورة : هذه كانت الصعوبة الكبرى في ترجمة « تفسير الأحلام » . ولم أجد لها إلا حلاً واحداً : وهو أن أترجم الأحلام وتفسيراتها ترجمة حرفية ، فإن كان الحلم قد اعتمد في تصويره على تعبير دارج يتضمن استعارة أو كناية أو غيرهما ترجمته كما هو ونهت عليه وفسرت وجه الاستعارة أو الكناية إذا رأيت داعياً إلى ذلك ، فإن أعمل التورية نصصت عليها ، أو استغل الاشتراك الذي في أحد الألفاظ وضعت اللفظ الأصلي بعد كل ترجمة من ترجماته المختلفة ، فإن كانت الخاصة المستغلة هي الجناس بينته ، وهكذا . ولا شك في أن النص يفقد بذلك الشيء الكثير من طلاوته ولطفه — كما يقول جيمس ستراشي الذي اتبع ذات المنهج صادراً عن ذات السبب — بل

(١) وهي أسئلة حاولنا أن نجيب عنها في محاضرة ألقيناها بدار نقابة الصحفيين بدعوة من الجامعة الشعبية .

(٢) أنظر أيضاً بنفثيست ، ذات المرجع .

يفقد الكثير من قدرته على الإثارة والإيحاء والإقناع . ولكن القارئ يرى الآن كيف كان ذلك بعضاً من الشر الذى ليس منه بد .

وعدا هذه الصعوبة الناشئة عن طبيعة الكتاب المترجم أو — على الأدق — عن طبيعة موضوعه ، كانت هناك صعوبة أخرى تتصل بموقف المترجم إلى العربية ، والذى أعنيه بهذا القول هو مشكلة المصطلحات : هذه لم تكن بالصعوبة البالغة ؛ فقد وجدت الطريق ممهداً أمامى بفضل من سبقوا إلى الترجمة فى مجال علوم النفس والتحليل النفسى بنوع خاص ، ولهذا كان واجباً على أن أوجه إليهم شكرى على هذه الصفحات ، وإذا كنت لا أذكرهم بأسمائهم فلأن أعمالهم قد سبقت أيضاً إلى التعريف بهم . سوى أن من الصعب مع هذا على مترجم فى موقفى ألا ينص فى هذا المعرض على الجهود التى بذلها الأستاذ يوسف مراد ؛ فقد كان بالقاموس الذى وضعه بمعاونة الدكتور عبد المنعم المليجى والدكتور صبرى جرجس أول من أرسى هذه المصطلحات التى صارت اليوم تراثاً مشتركاً . وقد كنت آخذ بالترجمات الموضوعية رغم ما قد يخالطها من قصور لا أظن إلا أن واضعيها كانوا أول المنتهين إليه . ولكن هذا الالتزام بالقديم لم يمنعنى من التجديد إذا دعت الحاجة إليه : كأن أكون انتبهت إلى مرادف لم ينتبه إليه من قبل أو كأن تكون الترجمة الموضوعية قاصرة قصوراً لا يطاق عن نقل المفهوم المراد أدائه أو خاطئة خطأ . ولقد رأيت الضرورة تدعو إلى شرح بعض المصطلحات الجديدة ولكنى لم أشرح شيئاً من القديم . كما أننى — وقد بقى المستحدث قليلاً بالقياس إلى الموضوع من قبل — لم أر داعياً إلى أن أردف بالكتاب ثبناً بالمصطلحات . هذا ، وقد كنت على الجملة — فيما أخذت وفيما ابتدعت — أوتر القريب على الغريب والاشتقاق على التعريب وأما النحت فلم أكد أعمله قط .

بعد هذه الملاحظات المتعلقة بترجمة الكتاب أتحدث عن سياستى فى تقديمه .

إن من الأمور المعلومة أن « تفسير الأحلام » كان أحد الكتب القليلة التى ظل فرويد يعنى بتعديلها زمناً طويلاً ، يحذف حيناً ويضيف أحياناً أخرى ^(١) . والترجمة التى يقرأها النارئ فى هذه الصفحات تنقل نص الطبعة الثامنة والأخيرة — وهى من غير شك أوفى الطبعات لأن المحذوف فى خلال التعديلات المشار إليها قليل بالنسبة إلى ما أضيف . ثم حتى هذا المحذوف كثيراً ما أوردته ، بل العبارة المعدلة ذكرت صيغتها قبل التعديل كلما رأيت

(١) أنظر مقدمات الطبعات الثماني التى ظهرت فى حياة فرويد .

لذلك دلالة بالنسبة إلى فكر المؤلف ، بحيث يسع القارئ الاطمئنان إلى أن هذه الصفحات قد أودعت « تفسير الأحلام » في صورة من أوفى ما يكون .

بقي بعد هذا أمر آخر ، وأعني به التضمنات التي لا حصر لها والتي يجدها القارئ منتشرة في خلال الصفحات المقبلة : تضمينات ترد في خلال تفسيرات الأحلام ولا نعود ندهش لها بعد الذي سمعناه عن كثرة التجاء الأحلام إلى الاستعارات المبهوثة في تعبيرات اللغة الدارجة وتراتها الشعرى وأغانيها الشعبية وأمثالها الحكيمة . . . إلخ . ، ثم تضمينات لفرويد هي خاصة من خصائص أسلوبه . هذه وتلك لم تترك في بعض الأحيان مفراً من شرحها شرحاً قصيراً إذا أردنا أن نضع القارئ في « جو الكتاب » - وهو جو ينبعث عند المؤلف عن ثقافة أوروبية أدبية منقطعة النظير ، متمثلة إلى أبعد الحدود . ولم يكن بد كذلك من أن نجلو بعض إشارات المؤلف : فهي ربما اتجهت إلى جوانب من تاريخ الأمم الغربية وأساطيرها قد لا تكون للقارئ العربي ألفة تامة بها أو إلى وقائع تمس حياة المؤلف الخاصة قد لا يعلمها القارئ . وفيما عدا هذه الهوامش التي إنما تهدف إلى تيسير متابعة المؤلف أو جلاء الغامض من إشاراته ، لن يجد القارئ شيئاً مما يشبه الشرح النظري أو التعليق .

وقد كنت فكرت في أن أخرج عن هذه القاعدة فيما يتصل بالفصل السابع والأخير - وهو « أصعب ما كتب فرويد وأشدّه تجريداً » ^(١) - سوى أني رأيت أن مثل هذه الشروح لكي تنفي الغرض المطلوب لا يمكن إلا أن تطول طويلاً لا تطيقه إمكانيات النشر ولا صبر القارئ . ثم ليته بعد هذا كانت تنفي ! فلا غنى لمن أراد أن يستوعب هذا الفصل من أن يقرأ رسائل فرويد إلى صديقه فيلهلم فليس ، ففيها يرى فكر فرويد وهو يتكون خطوة فخطوة في خلال الحقبة السابقة على كتابة « تفسير الأحلام » والمعاصرة لها ، وفيها يجد على الأخص مشروعاً أرسله فرويد إلى صديقه وأودعه جملة الأفكار التي تؤلف بحق نواة هذا الفصل . وإذا كان جيمس ستراشي - بقدر ما أعلم - هو أول من استطاع أن يزودنا بترجمة فاهمة مفهومة لهذا الفصل ، فلا يعود ذلك إلى تفوقه الأدبي غير المنازع وحسب ، بل يعود على الأخص إلى أن هذا الفصل لم يتسن فهمه إلا بعد أن عرفت هذه الرسائل ونشرت (١٩٥٠) . وهناك بعد هذا سبب آخر يقتضينا أن نقرأ هذه الرسائل :

(١) إرنست جوز ، « سيجموند فرويد » ، الجزء الأول ص ٣٩٣ .

ففيها نجد صورة من حياة فرويد الخاصة . والإلمام بدقائق هذه الحياة أمر لا يستغنى عنه من أراد أن يستوعب تفسيرات المؤلف لأحلامه . وهذا الاستيعاب بدوره أمر ضروري لسبيين : فهناك أولاً ما تشتمل عليه هذه التفسيرات من القيمة الأدبية (وأعني على التحديد الإنسانية) فإن الذين يعلمون لأى المخاطر يتعرض كل من أراد أن يتعرف نفسه ويعرف غيره بها وكيف يسهل أن تنزلق محاولته إلى التبرير المتصل أو الاستفزاز الماسوشى أو تغذية العُجْب الذى لا يشبع ، أى — فى النهاية — إلى محاولته أن يسرق من غيره صورة نرجسية ، أولئك لا يمكن إلا أن يروا فى حديث فرويد ههنا غاية ما يمكن أن يصل إليه امرؤ من الاتزان بل من الإنصاف لنفسه ولغيره وغاية ما تستطيع أن تصل إليه العبقريّة من التخلص من سراب «الأنا» والاقتراب من المعاش المباشر . وأما السبب الآخر والأهم فهو ضرورة هذا الاستيعاب لمن أراد أن ينفذ إلى فكر فرويد ؛ لأنه إذا كانت الحقيقة مهما بلغت موضوعيتها لا تخرجها هذه الموضوعية عن أن تكون مقياساً للعالم كما هى مقياس للمعلوم ^(١) أو — بوجه أعم — إذا كان تكون الموضوع يتبع دائماً تحقق الذات ^(٢) ، فهذه القضية لا تصدق فى مجال من مجالات المعرفة صدقها فى التحليل النفسى .

بقيت بعد ذلك هنات خفيفة اشتمل عليها النص ولم يكن بد من مداواتها وبخاصة بعد أن صارت هذه المداواة لا تكلف كبير عناء فقد نهض بها ستراشى من قبل : ذلك أن فرويد فى خلال التعديلات التى سبقت الإشارة إليها ربما حذف جملة أو جزءاً من جملة مع أن فى مستأنف السياق إشارة لا تفهم بغير هذا الجزء فلا يكون بد من أن نعيد إدراجه فى النص ، أو هو قد يضيف فقرة ولكنه يضعها فى غير موضعها فلا يكون مفر من التنبيه على ذلك حتى نجنب القارئ حيرة لا داعى إليها — وفيما عدا هذا ذكرنا تاريخ الإضافات

(١) إن الحقيقة تبدأ دائماً باعتبارها كلمة العالم ، حقيقته هو التى يضعها فى ميزان الآخرين ، والموضوعية التى تصبح لها من بعد تعنى فى المحل الأول أنها قد صارت جزءاً من العالم الإنسانى ، صارت لغة وعدة وكفاحاً ؛ فالناس يضعون فيها أنفسهم لكى يتفاهموا (فهى لفتهم المشتركة) ويضعون فيها عملهم لكى يصنعوا عددهم (إذا كانت نظرية طبيعية ؛ فكل نظرية طبيعية يجب أن تتسنى صياغتها على ذلك النحو : إذا أردت أن تصنع كذا فافعل كذا وكذا) أو لكى يبنوا نظام مجتمعه (إذا كانت نظرية سياسية) .

(٢) إن مؤلف هجل الخالد « علم ظواهر الروح » يمكن اعتباره بأسره برهاناً على هذه القضية وشرحاً لقوانين هذه التبعية . والقضية بعد هذا لا توقع فى المثالية كد قد يتبادر إلى الذهن ، فنحن نعلم أى أثر كان للمؤلف المشار إليه فى نشأة الماركسية التى يمكن أن نعدّها بحق نظرية تكون العالم البروليتارى من خلال تحقق الإنسان بصراعه الطبقي لأجل الاعتراف به .

المختلفة كلما رأينا أن لذلك أهمية أو أنه يعين القارئ على متابعة النص . كذلك قد يستشهد فرويد بمؤلف ولكنه لا يعنى بذكر رقم الصفحة (فذكرناه) أو يذكر الرقم الخطأ (فصحيحناه) . وأقول بهذه المناسبة : إنى رأيت من الأفضل أن أترك تبويب فرويد لقائمة مراجعه متبعاً التبويب الذى وضعه ستراشى . فقد عنى فرويد بأن يجمع كل المؤلفات المتعلقة بموضوع الحلم ثم قسمها قسمين : مؤلفات ظهرت قبل « تفسير الأحلام » سنة ١٩٠٠ وأخرى ظهرت بعده . فأما ستراشى فوزعها بين مؤلفات أشير إليها فى خلال النص وأخرى لم ترد إليها إشارة ما . وكل قائمة من هاتين رتبتي فيها المؤلفات على حسب الترتيب الأبجدي للمؤلفين ، فإن كان للمؤلف الواحد أكثر من كتاب أو مقال رتبته أعماله بحسب سنى صدورها ، فإن كانت له مؤلفات متعددة فى السنة الواحدة رتبته هذه أيضاً بحسب ترتيبها فى الزمن وأردف تاريخ السنة بحرف أبجدي يدل ترتيبه بين سائر الحروف على السابق واللاحق . ولا تخفى المزية بل المزايا التى لقائمه ستراشى الأولى : فهى — أولاً — ستكون بمثابة فهرست بأسماء المؤلفين يغنيها عن تكرار ذكرهم فى الفهرست التحليلي ، ثم هى ستضمن العدد الكبير من مؤلفات فرويد ومقالاته وقد رتبته بحسب تاريخ صدورها ، وهى — ثالثاً وأخيراً — ستسهل علينا الإشارة إلى المراجع المختلفة : فيكفيها بعد اسم المؤلف أن نضع بين قوسين تاريخ الكتاب أو المقال أو تاريخه متبوعاً بحرف (نختاره من حروف الأبجدية العربية بحيث يوافق فى الترتيب حروف الأبجدية اللاتينية المستعملة فى القائمة) ثم رقم الصفحة أو الجزء فالصفحة — وربما أغفلنا ذكر السنة إذا لم يكن للمؤلف المشار إليه سوى كتاب أو مقال واحد . ولقد وضعت بين معقفين كل ما ورد فى خلال هذه الترجمة من الزيادات وكذلك كل النصوص التى استشهد بها فرويد من اللغات الأجنبية والتى أوردت فى المتن ترجمتها العربية وأسقطتها هى فى الهامش (١) .

هذا ، وإنى وقد أشرت فى الفقرة السابقة إلى هنات عرضت لا أرى محيداً عن النص على أن هذه الهنات لم تحل دون بلوغ الكتاب مبلغاً عالياً من جمال التحرير يجعل منه بحق أثراً فنياً باقياً إلى جانب قيمته العلمية . وفرويد فى كل أحواله — وفى هذا الكتاب بخاصة — كاتب ندر من حاذاه فى ذكاء العبارة ورشاقها مع حدة وبيان . وقد لا يعلم القارئ أن

(١) مخالفاً فى ذلك عادة المترجمين الأوربيين إذ يوردون النص الأجنبي كما هو فى المتن ثم يسقطون ترجمته فى الهامش — إن أرادوا . والحكمة فى هذه المخالفة غير خافية .

مؤلف « تفسير الأحلام » سيد من سادة النثر الألماني وأن أسلوبه من الأساليب التي بلغت مبالغ الإعجاز ؛ فقد استطاع أن يحفظ للجملة الألمانية كل أصالتها مع إعطائها نقاوة واقتصاداً لاتيينين أويكادان . ولقد عرف له هذا الفضل فمنح جائزة جوته الأدبية سنة ١٩٣٠ ولا يمنحها سوى أعلام الكتاب .

* * *

وبعد ، فإنه لواجب يسعدني أداؤه أن أوجه ههنا أول شكرى وأخلصه إلى والدى ؛ فقد كان يزودنى بقدرته اللغوية كلما خانننى قدرى ، آتياً فى كل عبارة بما يكسبها سلامة أو سلاسة ، فلولا ولولا هذا الجهد الذى بذله مختاراً من غير حساب ما أتى هذا العمل فى الصورة التى تجعله جديراً بأن ينقل إلى الغير — أى ما كان عملاً .

وأما أستاذى وصديقى — منذ أن شرفنى بصدافته — الدكتور مصطفى زيور فلست أدرى كيف أشكره إلا بأن أهدى إليه هذا العمل كله . وما أظن بعد ذلك أنى أوفيته حقه ؛ فقد قرأ هذه الترجمة سطر فسطراً مضاهياً إياها بالترجمة التى وضعها جيمس ستراشى بمعاونة آنا فرويد — وهى ترجمة لم يختلف اثنان فى إمكان الثقة بها — وكان لمراجعته هذه ، ناصحاً ومنبهاً ومصححاً ، أكبر الأثر فى تقريب الترجمة الحاضرة من الكمال المنشود . وأنا — إذن — كمن يجازيه ببعض فضله . وأما التشجيع الأدبى الذى عرفته منه دائماً فلم يكن على القطع بأقل مآثره : بفضله — ماضياً — ولجت مجال التحليل النفسى (حيث كان الدكتور مارك شلوهبرجيه أول من قاد خطواتى) وبفضله — حاضراً — أقبلت على هذه الترجمة .

وأما ترجمة ستراشى التى سبقت الإشارة إليها مرات متعددة فيكون جحوداً منى ألا أنص ههنا على دينى الكبير نحوها ؛ فما أظن أن ترجمتى كانت بالغة مبلغها من الدقة والوضوح — أيا كان حظها من هذين — لولا الاستعانة المستمرة بهذه الترجمة الفائقة والاهتداء بهديها . هذا وإن كنت لا أحتاج إلى القول بأننى لم أذهب فى ذلك حتى المدى الذى يجعلنى أنزل الترجمة عندى منزلة الأصل أو أستغنى بها عنه ؛ فمن المقطوع به أن الكتاب المترجم إنما ينتقل إلى القارئ بزاوية الانكسار التى تنشأ عن مروره فى خلال الوسط المؤلف من فهم المترجم وحساسيته (وإن لم ننس أيضاً أن هذه القضية لا تعنى أن « الترجمة خيانة » بقدر ما تنبه إلى أن الأمانة حين تكون فبجهد خاص) . وإنى — إذن —

إذ أشكر لذوى الفضل أثرهم في محاسن هذه الترجمة لا أفكر أقل تفكير في أن أخلى نفسي من التبعة فيما قد يكون من معايها .

وأوجه كبير شكرى من بعدُ إلى الدكتور هيلده زالوستسر أستاذة اللغة الألمانية بجامعة الإسكندرية ؛ فما منعت عني معرفتها الغزيرة بأداب اللغة الألمانية وتعبيراتها الدارجة وما جرى منها بين أهل النمسا وفيينا بنوع خاص . كما أشكر طالبي بالأمس وصديقي اليوم وأول قرأني أحمد فائق ؛ فقد قرأ الترجمة وهي مخطوط فأعانتني ملاحظاته على تبين مواطن الشبهات في أداء المعاني فرفعتها ، هذا فضلاً عن معاونته السخية في وضع الفهارس وتصحيح التجارب . فأما صديقي عبد العزيز إبراهيم الذي أخذ على عاتقه أن يهيئ المخطوط للطبعة فلا يقدر جهده إلا من عاناه .^(١)

وأما فضل دار المعارف إذ تولت إخراج هذا الكتاب في الصورة التي تليق بمكانته في عالم الفكر الغربي وبمكانتها هي في الشرق الناطق بالضاد ، فأبين من أن يحتاج إلى نص خاص .

* * *

وأخيراً ، فإنني إذ أترك بين يدي القارئ العربي هذا الأثر الذي هو من غير شك أحد الثوابت فيما يسميه شارل دي بوس « سماء الثوابت » لا أملك إلا أن أعرب عن أمل في أن يكون له بيننا مثل ما كان له في الغرب من أثر معروف (وإن لم يسر كل غوره بعد لأنه لم ينقطع) في تاريخ الحركات الفنية والفكرية والفلسفية وفي علوم الإنسان . ولم لا والكتاب لرجل يرينا في الحلم كليماً ومن وراء هذا الكلم لغة يجلو غوامضها ويذيع أسرارها ونحن الذين نتنسب إلى قوم جعلوا من اللغة مدار حياتهم الثقافية جميعاً ؟ فصير الكتاب بيننا ربما كان وقفاً على اختيارنا : أنقبل أن نكون خلف هذا السلف ؟ ولست أدري ما سيكون من إجابتنا عن هذا السؤال ولكن أيّاً كان الجواب فأهم منه ألا ننسى تلك القضية التي نرى مصداقها في كل خطوة من هذه الخبرة التي لم يكن مبدعها إلا سيجموند فرويد نفسه (وأعني التحليل النفسي) : من لم يختار ماضيه لم يجد حاضره .

وللمسئلة بعد هذا وجه آخر : ذلك أن فرويد إذ يرينا الكلمة (أى المعقول بالذات)

(١) يحزننا أن ننسى ههنا هذا الصديق ، فقد أبى الموت القاسي إلا أن يختطفه قبل أن يرى ثمرة جهده .

فى عمل الحلم كما فى أعراض المرض ^(١) ، يرفع أكثف الحجب التى كان يعمى فيها على الإنسان وجهه . فهل نقبل المخاطرة فى آفاق الوعى والتحقيق الإنسانين غير المشروطين ، أى بغير التحصن بميكانيكيات الدفاع كما يقول المحللون النفسيون ؟ هذا أيضاً سؤال لا أعلم جوابنا المستقبل عنه . ولكن لائنسى تلك القضية الأخرى : من لم يتحتر مستقبله لم يجد ماضيه .

مصطفى صفوان

عضو الجمعية الفرنسية للتحليل النفسى

(١) مثلما يرينا هجل إياه فى العمل وفى الألم بوجه عام .

DIE TRAUMDEUTUNG

تفسير الأحلام

“FLECTERE SI NEQUEO SUPEROS, ACHERONTA MOVEBO”

« لئن لم أثن السماوات حركت الآخرين » .

(١) [بيت من ملحمة الشاعر اللاتيني فرجيل عن وقائع آينياس (الكتاب السابع ، السطر ٢١٣) حيث يرد على لسان الإلهة يونون إذ تعلن عزمها على أن تفسد بكل ما وسعت خطة آينياس في الفرار بفلول الطرواديين المهزومين وتأسيس مملكة جديدة بهم في أرض إيطاليا . فهو يفيد استتباب العزم على بلوغ القصد من كل سبيل ، أراد فرويد أن يمثل به ما تبدله الرغبات اللاشعورية من الجهد . والآخرون نهر يعبره الموتى في أساطير اليونان عند توجيههم إلى الدار السفلى ، ثم صار يطلق على الجحيم كافة بآلته وأهليه ، فهو يقابل في البيت لفظ « سوپروس » الذي ترجمناه بالسماوات وحقيقة السماوات بآلتهما أو قواها .]

تمهيد

هذا كتاب أحاول فيه أن أشرح تفسير الأحلام ، وأعتقد أنى إذ أفعل ذلك لا أتجاوز دائرة الموضوعات التى يهتم بها علم الأمراض العصبية ؛ ذلك أن البحث السيكولوجى يرى أن الحلم أول حلقة من سلسلة الظواهر النفسية الشاذة - وهى سلسلة اقتضت الأسباب العملية أن يشغل الطبيب بسائر حلقاتها ، مثل المخاوف المستترة والأفكار القهرية والهجاسية . ولا يستطيع الحلم أن يدعى مثل هذه القيمة العملية - كما يتبين من الصفحات القادمة - ولكن هذا عينه إنما يزيد قيمته النظرية من حيث هو نموذج ومثال ، وإن من قصر عن أن يبين منشأ صور الحلم ليجهد عبثاً فى أن يفهم المخاوف المرضية والأفكار القهرية والهجاسية أو فى أن يؤثر فيها تأثيراً شافياً .

بيد أن هذه الصلة التى يدين لها موضوعنا بأهميته هى أيضاً الملوثة على ما يتخلل هذا المؤلف من مواطن القصور : فالثغرات التى سوف يلحظ القارئ كثرتها فى هذه الصفحات إنما كثرة إنما توافق على التحقيق تعدد مواضع الاتصال التى تسلم عندها مشكلات الحلم إلى المشكلات الأعم الداخلة فى نطاق علم النفس المرضى - وهى مشكلات لا سبيل إلى معالجتها فى هذا المعرض ويجب أن تفرد لها صفحات أخرى إذا توافر الوقت والجهد وإذا عرضت مادة جديد .

ثم إن خصائص المادة التى أصور بها تفسير الأحلام قد جعلت نشر هذه الصفحات صعباً على كذلك . فسوف يتبين من سياق هذا الكتاب لم كانت الأحلام المدونة من قبل فى مختلف المصنفات أو تلك المنقولة عن مصادر مجهولة لا غناء فيها على الإطلاق فيما أقصد إليه . وكان على إذن أن أختار بين أحلامى وأحلام مرضى الذين أعالجهم بالتحليل النفسى . ولكن منعنى من اللجوء إلى هذه المادة الأخيرة أن عمليات الحلم تتعقد فيها تعقداً غير مرغوب فيه ؛ لدخول الخصائص العصابية عليها . فإذا رويت أحلامى لم يكن مفر من أن أطلع نظرات الغرباء على أكثر مما كنت أود إطلاعهم عليه من دخائل حياتى النفسية وما يلزم فى العادة كاتباً هو رجل من رجال العلم وليس بشاعر . ذلك هو الشر الأليم الذى لم يكن منه بد ؛ فأذعنت للضرورة مؤثراً هذا الإذعان على التزول عن كل برهان يسند

كشوفى السيكلوجية . ولا غرو مع هذا أن غلبتنى الرغبة فى أن أخفف من غلواء المكاشفة فأضمرت وبدلت ، وكنت كلما فعلت نقصت قيمة المثال الذى أضربه نقصاً ملموساً لاشك فيه . وكل الذى أستطيعه هو أن أعرب عن أملى فى أن يضع القارئ نفسه فى موقفى الصعب حتى يرفق بى ، ثم عن أملى فى أن أولئك الذين سوف يرون فى أحلامى إشارة ما إلى أشخاصهم لن يفكروا فى أن ينكروا على حرية الفكر — فى حياتى الحاملة على الأقل

مقدمة الطبعة الثانية

لأن تدعو الحاجة إلى طبعة ثانية لهذا الكتاب (وما هو بالكتاب الذى تسهل قراءته) قبل أن تنقضى على نشره عشرين — ذلك ما لا يرجع الفضل فيه إلى دوائر المحترفين الذين كنت أوجه الخطاب إليهم فى الكلمة المتقدمة ؛ فلا يبدو أن زملائي من أطباء النفس قد كلفوا أنفسهم كبير عناء من أجل التغلب على الحيرة الأولى التى أشاعتها نظرتى الجديدة فى الأحلام ، فأما الفلاسفة المحترفون الذين صار من عادتهم أن يملأوا فى عبارات وجيزة — قل أن تختلف — على مشكلات الحياة الحاملة التى لا يرون فيها سوى ظاهرة تزيل الحالات الشعورية فمن الواضح أنهم لم يلحظوا أن ههنا قد تكون البداية المؤذنة بنتائج لا بد من أن تغير وجه نظرياتنا السيكلوجية تغييراً ، وأما الموقف الذى وقفه المعلقون فى الصحف العلمية فلم يكن يترك للمرء أن يتوقع قدراً آخر لكتابتى غير أن يندثر فى صمت مطبق ، على حين ما كانت القلة المقدمة من الأنصار ، ممن يزاوون التحليل النفسى بتوجيه منى ويحذون حذوى فى تفسير الأحلام ويستخدمون تفاسيرها هذه فى مداواة الأعصاب ، ليستنفدوا قط الطبعة الأولى من هذا الكتاب . وعلى هذا أراى أدين بالشكر لدائرة أشمل من القراء المثقفين ، ذوى العقول المتطلعة ، الذين يحملنى اهتمامهم على العود بعد سنوات تسع إلى هذا الكتاب الصعب وإن كان من وجوه متعددة كتاباً أساسياً .

ويسرنى أن أستطيع القول : إنى لم أجده فيه سوى القليل لأغير منه ؛ فقد ضمته بعض المادة الجديدة هنا وهناك ، وأضفت إليه بعض التفاصيل استقيتها من خبرتى المتزايدة ، وأردت لقضاياى بعض التعديل فى قلة من مواضعه ، ولكن الجوهر فيما تحدثت به عن الأحلام وتفسيراتها وكذلك فى النظريات السيكلوجية التى تخلص من كل أولئك ، هذا الجوهر يظل هو هو ، إله قد ثبت لمحنة الزمن — من الوجهة الذاتية على الأقل . وإن من يعرف سائر كتاباتى (فى علوية الأعصاب وآلياتها) ليعلم أنى لم أقدم قط بالرأى غير المحقق على أنه الشئ المحقق وأنى كنت أعدل دائماً من قضاياى بما يتفق وتقدم خطاى فى مجال المعرفة ، إلا الحياة الحاملة ؛ فقد وسعنى الثبات فيها على ما بدأت . فإنى اشتغلت بمشكلات

الأعصبة سنوات طويلاً عرفت فيها الحيرة مراراً واستبهمت على مسالك الفكر كل استبهام أحياناً ، فكان « تفسير الأحلام » دائماً هو الذى يرد إلى عندئذ يقينى . ولقد صدر إذن خصوصى عن غريزة واثقة حين أبوا متابعتى فى مباحثى الحلم بنوع خاص .
ومادة الكتاب أيضاً — وهى تتكون من أحلام لى نفسى تعدت الأحداث غالبيتها أو أفقدتها أهميتها وبها صورت تفسير الحلم — قد أبدت مثل هذه القدرة على البقاء وعلى مقاومة كل تغيير بعيد الغور . فلهذا الكتاب — فوق ما سبق — مغزى ذاتى آخر ، مغزى لم أدركه إلا بعد أن انتهيت من تصنيفه : فقد تبين لى أنه كان جزءاً من تحليلى الذاتى ، كان استجابتى إلى موت أبى : أى إلى أخطر حادثة ، إلى أفجع خسارة تصيب امرأ فى حياته . وإذ عرفت أن ذلك كذلك أحسست العجز عن أن أطمس معالم هذه الخبرة . وأما القارئ فلقد يستوى عنده بأى مادة يتعلم كيف يقدر شأن الحلم وكيف يفسره .
هذا وقد كنت كلما تعذر على أن أدرج فى السياق القديم ملاحظة لا أجد غنى عنها نبهت على حادثة أصلها بوضعها بين معقفين ^(١) .

برخستجادن ، فى صيف ١٩٠٨

(١) ثم أسقطت هذه المعاقف فى الطبقات التالية [ابتداء من الطبعة الرابعة] .

مقدمة الطبعة الثالثة

لقد انقضت سنوات تسع بين الطبعتين الأولى والثانية لهذا الكتاب ، ولكن لم يكد ينصرم العام حتى لزمت طبعة ثالثة . ولقد أسر لهذا التبدل ، ولكنى وقد أبست بالأمس أن أرى فى إعراض القراء عن كتابى دليلا على خلوه من كل قيمة لا أستطيع اليوم أن أعد إقبالهم الحاضر عليه شاهداً على كماله .

وبعد ، فها هو ذا « تفسير الأحلام » نفسه لا يتركه تقدم العلم دون أن يغير منه . فقد كتبته عام ١٨٩٩ ونظرتى فى الحياة الجنسية لا تزال طى الغيب ، ولم يكن تحليل الأشكال المعقدة التى تتخذها الأعصبة النفسية قد تجاوز بدايته . وكان أملى إذ ذاك أن يعين تفسير الأحلام على تيسير التحليل السيكولوجى للأعصبة . ومنذ ذلك الحين أحدث الفهم الأعمق للأعصبة تأثيره الرجعى فى نظرنا إلى الحلم ، فانتسعت نظرية تفسير الحلم فى اتجاه لم أنبه عليه التنبيه الكافى فى الطبعة الأولى لهذا الكتاب : فقد علمتنى خبرتى وكذلك مؤلفات فيلهلم شتيكل وغيره من الكتاب أن أقدر تقديرأ أصدق مدى انتشار الرمزية فى الأحلام (أو على الأصح فى التفكير اللاشعورى) ومقدار أهميتها . وهكذا تجمعت فى خلال هذه السنوات حقائق كثيرة تتطلب الاعتبار . وقد حاولت أن أحسب لهذه التجديدات حسابها بإضافات متعددة ضمنها النص وهوامش ألحقها به . فإذا كانت هذه الإضافات تهدد فى بعض المواضع بتمزيق الإطار الذى وضع فيه الكتاب ، أو إذا لم أكن وفقت فى كل المواضع إلى رفع النص الأصلى إلى مستوى معرفتنا الحاضرة ، فرجائى هو أن يغفر القارئ هذه المثالب ؛ فإنما هى النتائج الناجمة عن نمو علمنا نمواً مسرعاً فى الآونة الحاضرة وعلامات عليه . بل لقد أجازف إلى التكهن بنوع الاتجاهات الأخرى التى سوف تفرق فيها الطبعات المستقبلية لتفسير الأحلام — إن احتاج الأمر إلى طبعة مستقبلية — من هذه الطبعة : ففيها سوف يتحتم من جهة لصوق أوثق بالمادة الوافرة المضمنة فى الشعر والأساطير والعرف اللغوى والآداب الشعبية ، ومن جهة أخرى سوف يتحتم التعرض للعلاقات بين الأحلام والأمراض العصبية فى تفصيل يربو على ما اتسع له الإمكان هنا .

هذا ولقد بذل لى الهر أوتو رانك معاونة قيمة فى اختيار المادة المضافة ، واحتمل وحده
عبء مراجعة التجارب . وإنى لأشكر له وأشكر للكثيرين غيره مشاركاتهم وتصحيحاتهم .

فينا ، فى أبريل ١٩٢١

مقدمة الطبعة الرابعة

في خلال العام الماضي (١٩١٣) أخرج الدكتور أ. أ. بريل - وهو من مدينة نيويورك - ترجمة إنجليزية لهذا الكتاب :

(The Interpretation of Dreams, G. Allen & Co., London).

ولم يقتصر الدكتور أوتو رانك هذه المرة على القيام بتصحيح التجارب ، بل مد النص كذلك بفصلين قائمين بذاتهما - وهما الملحقان بالفصل السادس .

فيينا ، في يونيو ١٩١٤

مقدمة الطبعة الخامسة

لم ينجبُ الاهتمام « بتفسير الأحلام » حتى في إبان الحرب العالمية ، ولزمت طبعة جديدة وهذه الحرب لا تزال ناشبة . غير أنى لم أستطع الإحاطة بكل ما نشر منذ عام ١٩١٤ ، فلست أعلم ولا الدكتور رانك يعلم بمؤلف أجنبي منذ ذلك التاريخ .

وهناك ترجمة هنجارية توشك على الظهور ، أعدها الدكتور هولوس والدكتور فرنسى . كما أن « محاضراتي التمهيدية في التحليل النفسى » قد نشرت في قمينا عام ١٩١٦ - ١٩١٧ (نشرها ه . هالر) . وقد خصص الجزء الأوسط من هذه المحاضرات (وهو يضم أحد عشر فصلاً) لشرح الأحلام شرحاً أريد به أن يكون أدنى للمبتدئ وأوثق التصاقاً بنظرية الأعصاب من المؤلف الحاضر ، وهو في جملته بمثابة موجز « لتفسير الأحلام » - وإن زاد تفصيلاً في بعض المواقع .

هذا وقد خانتنى القدرة على أن أجمع العزم على مراجعة هذا الكتاب مراجعة جوهرية كانت تعلق به إلى مستوى النظرات العلمية المعاصرة في التحليل النفسى ولكنها في سبيل ذلك كانت تهدم طابعه التاريخى . واعتقادت على أية حال هو أن الكتاب قد أنجز مهمته بعد بقاء قارب العشرين عاماً .

بودابست - شتاينبروك ، فى يولية ١٩١٨

مقدمة الطبعة السادسة

إن الصعوبات التي تحيط بتجارة الكتب في الوقت الحاضر جعلت هذه الطبعة الجديدة تظهر متأخرة عن الحاجة إليها بزمان طويل ؛ فأعيدت الطبعة السابقة للمرة الأولى دون أن يتناولها تعديل ما . هذا إذا استثنينا قائمة المراجع المثبتة في آخر الكتاب ؛ فقد أكملها الدكتور أوتو رانك وواصلها .

وهكذا لم يتأيد ما قدرته من أن هذا الكتاب قد أنجز مهمته بعد أن دام قريباً من العشرين عاماً . بل قد أقول على العكس : إن هناك مهمة جديدة تنتظره : فإذا كانت مهمة الكتاب في الماضي هي أن يزودنا بعض المعرفة بماهية الحلم فعليه اليوم مهمة لا تقل خطراً ، هي أن يدفع أخطاء الفهم العنيدة التي لا تزال هذه المعرفة هدفاً لها .

فيينا ، في أبريل ١٩٢١

مقدمة الطبعة الثامنة

في الفترة المتقضية بين ظهور الطبعة الأخيرة (السابعة) لهذا الكتاب عام ١٩٢٢ والطبعة الحاضرة جُمعت مؤلفاتي تحت عنوان « كتابات مجمعة » ^(١) وأصدرتها دار النشر الدولية للتحليل النفسي ^(٢) . وقد احتوى المجلد الثاني من هذه المجموعة نصاً يعيد الطبعة الأولى من « تفسير الأحلام » بحذفها ، بينما ضم المجلد الثالث جميع الإضافات التي ألحقت به من بعد . وأما الترجمات التي ظهرت للكتاب في أثناء هذه الفترة عيها فتلتزم الصورة المألوفة التي ظهر عليها الكتاب للمرة الأولى في مجلد واحد . وهذه الترجمات هي : ترجمة فرنسية وضعها مايرسون ونشرت عام ١٩٢٦ بعنوان « علم الأحلام » ^(٣) في السلسلة المعنونة « مكتبة الفلسفة المعاصرة » ^(٤) ، ثم ترجمة سويدية قام بها جون لاند كيست عام ١٩٢٧ ^(٥) ، ثم ترجمة أسبانية وضعها لويس بالليستروس (عام ١٩٢٢) تشغل الجزئين السادس والسابع من الترجمة الأسبانية لمؤلفاتي الكاملة ^(٦) . وأما الترجمة الهنغارية التي كنت أظنها على وشك الظهور ونحن لم نزل بعام ١٩١٨ فلم تر الضوء حتى اليوم ^(٧) .

وقد عالجت الكتاب عند مراجعتي إياه لهذه الطبعة أيضاً على أنه وثيقة تاريخية في جوهره ؛ فلم أدخل عليه من التعديل إلا ما اقتضاه توضيح آرائي وتعمقها . ووفقاً لهذه النظرة

[“Gesammelte Schriften”] (١)

[Internationaler Psychoanalytischer Verlag] (٢)

[“La science des Rêves”] (٣)

[“Bibliothèque de Philosophie Contemporaine”] (٣)

[“Dromtydning”] (٤)

[“Obras Completas”] (٥)

(٦) [ولكننا رأته عام ١٩٣٤ . ولقد ظهرت في حياة فرويد - عدا الترجمات المذكورة في هذه المقدمات -

ترجمة روسية (١٩١٣) وترجمة يابانية (١٩٣٠) وترجمة تشيكية (١٩٣٨) .]

تخلّيت عن محاولة تضمينه قائمة بالمراجع المنشورة في مشكلات الحلم منذ أول ظهور « تفسير الأحلام » ، وألغى القسم الذى كان مخصصاً لذلك فى الطبقات السابقة . وحذف كذلك المقالان اللذان شارك بهما أوتو رانك فى طبقات سابقة بعنوان « الحلم والشعر » و « الحلم والأساطير » .

ثيينا ، فى ديسمبر ١٩٢٩

الفصل الأول

المصنفات العلمية في مشكلات الأحلام

سأقيم البرهان في الصفحات المقبلة على أن ثمت منهجاً سيكولوجياً يمكن به تفسير الأحلام وأننا إذا اصطنعنا هذا المنهج تكشف كل حلم فإذا هو بناء نفس ذو معنى يمكن الربط بينه وبين مشاغل اليقظة في موضع معلوم . وأحاول بعد أن أجلو العمليات التي يحدث عنها غرابة الحلم وخفاؤه وأن أخلص من هذه بنتيجة في طبيعة القوى النفسية التي يتولد الحلم من ائتلاف فعلها أو تضاده . فإذا بلغت هذا المدى كف مقالي ؛ لأننا نكون بموضع تسلم عنده مشكلة الحلم إلى مشكلات أعم يقتضى حلها الركون إلى مادة أخرى .

وأبتدئ بنظرة عامة فيما صنف المؤلفون الأسبقون ، وكذلك في حال مشكلات الأحلام اليوم في مجال المعرفة العلمية ؛ لأن العود إلى ذلك لن يسنع لي من بعد كثيراً ، حين أعرض للموضوع . فما تقدم الفهم العلمي للأحلام إلا تقدماً يقل عن القليل رغم جهد دام آلاف السنين ، وعلى هذا أجمع المؤلفون إجماعاً لا يبدو بعده محل للاستشهاد بهذا المؤلف أو ذاك . ففي المصنفات التي ذيلت كتابي بثبتها ملاحظات كثيرة حافزة ومادة موفورة حرية بالاهتمام تتعلق بموضوعنا ، لكن القليل هو الذي يمس ماهية الحلم أو يحلو لغزاً من ألغازه ، وأقل منه بالطبع ما تضمه معرفة عامة المثقفين من غير المختصين .

أي تصور للحلم ساد بين الشعوب البدائية في مطلع الإنسانية وأى أثر ترى كان له في مجمل نظرة هذه الشعوب إلى العالم والنفس - ذلك موضوع خليق بالاهتمام إلى أبعد مدى ، حتى أنني لا أمتنع عن معالجته في هذا المعرض إلا كارهاً . فأحيل القارئ إلى مؤلفات سير ج. لابلوك و ه. سبنسر و إ. ب. تايلور وغيرهم ، وإنما أضيف أننا لا نستطيع أن نكتنه هذه المشكلات والتعاليم إلا بعد أن نفرغ من المشكلة المطروحة على بساط بحثنا : « تفسير الحلم » .

إن التصور قبل التاريخي للحلم له صدى يتردد جلياً في تقويم شعوب العصور

الكلاسية للأحلام^(١) . فقد كان من المسلم به عندهم أن للأحلام علاقة بعالم الكائنات فوق الإنسانية التي كانوا يؤمنون بوجودها ، وأنها — أعنى الأحلام — تحمل كواشف من عند الآلهة والجن . وكان يدخل في اعتقادهم فوق ذلك أن الحلم يأتي الحالم لمقصد ذي خطر ، هو في القاعدة الكشف عن الغيب . بيد أن التنوع الخارق في محتوى الأحلام وأثرها في النفس جعل الانتهاء إلى نظرة موحدة عن الحلم شيئاً عسيراً ، وألجأ إلى أعمال التفرقة بين الأحلام وتقسيمها طبقات من حيث قيمتها وإمكان الركون إليها . ولم يكن تقويم الحلم عند هذا الفيلسوف أو ذاك من قدامى الفلاسفة منقطع الصلة بالطبع برأيه في العرافة بوجود عام .

فإذا جاء أرسطو كان الحلم موضوع بحث سيكولوجي ، وذلك في الكتاين اللذين يعرض فيهما أرسطو للأحلام . فهو يحدثنا أن الأحلام ليست مبعوثة من الآلهة ، ولا هي ذات طبيعة إلهية بل هي « جنية » ؛ لأن الطبيعة « جنية » وليست إلهية . ومعنى هذا أن الحلم ليس وليد كشف يفوق الطبيعة ، بل هو يتبع قوانين النفس الإنسانية — وإن يكن من الحق أن بين هذه والإلهي نسباً . وتعريف الحلم هو أنه النشاط النفسى للنائم من حيث هو نائم .

وكان أرسطو يعرف بعض خصائص الحياة الحاملة : كان يعرف — مثلاً — أن الحلم يحسم ما يعرض في خلال النوم من المنبهات ، فيقول : « يعتقد المرء أنه يحتاج ناراً ويلظي بها ، وما به غير هذا العضو أو ذاك قد سخن قليلاً . » وهو يستخلص من هذه الخاصة أن الحلم قد ينم للطبيب عن أول العلام على تحول جعل يدب في الجسم ولم يلق التفاتاً في النهار^(٢) .

وأما قبل أرسطو فعلم أن القدماء لم يكونوا يرون في الحلم نتاجاً يصدر عن النفس النائمة بل وحيّاً من الجانب الإلهي . ولقد أخذ يتبين بينهم كلا التيارين المتقابلين اللذين سوف نراهما يتناهبان تقويم الحلم في كل عصر من العصور : فهم قد فرقوا بين أحلام صادقة ، ذات قيمة ، ترسل إلى النائم تحذيراً له أو تبصيراً بالمستقبل ، وأخرى لا غناء فيها ، ماكرة ، معدومة القيمة ، كان هدفها سوق الحالم إلى الضلال أو دفعه إلى التهلكة .

ويذكر جرويه (١٩٠٦ ، ٢ ، ٩٣٠) عن ماكروبيوس وأرتيميدوروس قسمة للأحلام

(١) أعتمد فيما يلي على كتاب بوكسنشوتس الجامع (١٨٦٨) .

(٢) يعرض الطبيب اليوناني هيپوقراط للعلاقة بين الحلم والمرض في فصل من مؤلفه الذائع .

شبيهة بهذه إذ يقول : « كانت الأحلام تقسم طبقتين : فأما الأولى فيقال : إنها قد تأثرت بال حاضر (أو الماضي) ولكنها خالية من الدلالة على المستقبل . وكانت تشمل المنامات ^(١) التي تصور فكرة ما أو ضدها - كالجوع أو إشباعه - تصويراً مباشراً ، ثم الخيالات ^(٢) التي تضخم الفكرة تضخيماً مغزولاً في الخيال ، مثل الكابوس ^(٣) . وأما الطبقة الأخرى فكان يقال على العكس : إنها تحدد المستقبل . وكانت تشمل : (١) النبوءة المباشرة يسمعها المرء في الحلم ^(٤) ، (٢) الرؤيا تسبق إلى حدث مستقبل ^(٥) ، (٣) الحلم الرمزي الذي يحتاج إلى تأويل ^(٦) . ولقد دامت هذه النظرية قروناً عديدة » .

وبهذا التقويم المتفاوت للأحلام ارتبطت مشكلة « تفسيرها » : فقد كان الناس يتوقعون من الأحلام بوجه عام نتائج ذات بال ، ولكن الأحلام لم تكن جميعها قريبة من الفهم للوهلة الأولى ، فإن استغلق أحدها لم يعرف أحد إذا كان الحلم لا يعلن مع ذلك أمراً خطيراً ، فكان هذا حافزاً على الاجتهاد لكي يستبدل بالمحتوى المستغلق للحلم محتوى آخر قريب من الفهم ، له - من ثم - دلالة . وكان أرتيميدوروس الأفسوسي يعد أعظم حجة في تفسير الأحلام في أواخر العصر القديم ، ولسنا نملك سوى القناعة بمؤلفه المستفيض عوضاً عما ضاع من المؤلفات الأخرى في باب ^(٧) .

وما من شك في أن نظرة القدماء قبل العلمية إلى الحلم كانت تنسج ويحمل نظرهم إلى العالم بوجه عام أكمل اتساق ، وهي نظرة تسقط على العالم الخارجي - في صورة واقع - ما لا وقوع له إلا في باطن النفس . ثم إن نظرهم إلى الحلم تحسب فوق ذلك حساباً لانطباع الرئيس الذي يتلقاه الذهن المستيقظ من ذكرى الحلم المتخلفة في الصباح ؛ ففي

[ἐνύπνια, insomnia] (١)

[φαντάσματα,] (٢)

[ephialtes] (٣)

[Χρηματισμός, oraculum] (٤)

[ὄραμα, visio] (٥)

[ὄνειρος, somnium] (٦)

(٧) - الوقوف على ما صار إليه تفسير الأحلام في القرون الوسطى انظر : ديبجن ، ثم دراسات فورستر الوصفية ، ثم جهات . . . إلخ . وأما تفسير الحلم عند اليهود فبحثه ألمول وأمرام ولوفينجر ، وحديثاً جداً بحثه أيضاً لاور بحثاً راعى فيه وجهة النظر التحليلية . ويعرفنا بتفسير الحلم بين العرب دركسل وششارتس والإرسال تفينكجي ، ويعرفنا به بين اليابانيين ميورا وإيوايا ، وبين الصينيين زيكر ، وبين الهنود نجلالين .

هذه الذكرى يحضر الحلم كأنه شيء غريب ، طراً من عالم آخر ، يباين سائر محتوى النفس . ونخطئ بعدُ حين نظن أن نظرية الأصل فوق الطبيعي للأحلام تعدم أنصاراً في أيامنا ؛ فإننا قد نغض الطرف عن الكتاب التقويين والمتصوفين ، فهؤلاء يحق لهم أن يتشبثوا بالمواقع القليلة المتبقية من المجال فوق الطبيعي الذى كان متسع النطاق يوماً ما دام نور العلم لا يغزوها ، ولكننا نلاقى بعد ذلك رجالاً ثاقبين لا ولع لهم بالغرائب يحاولون أن يتخذوا من هذا الامتناع على التجديد — وأعنى به امتناع ظواهر الحلم على التعليل — سنداً يدعمون به إيمانهم الدينى بوجود قوى روحية تفوق الإنسان وبتأثيرها (أنظر هافر) . والقيمة الرفيعة التى تضيفها إلى الأحلام بعض المدارس الفلسفية ، مثل مدرسة شلننج ، هى رَجْع جلى يردد ما كان للأحلام من طبيعة إلهية غير منازعة فى اعتقاد القدماء ، فأما المناقشات فى قوة الحلم المتنبئة الكاشفة حجب الغيب فما انقطعت ؛ كل أولئك لأن المحاولات المبذولة من أجل الوصول إلى تعليل سيكولوجى لاتزال تقصر عن مكافأة المادة المتجمعة مهما كان عزوف أهل العلم عن مثل هذه المعتقدات .

وإنه لمن الصعب أن نكتب تاريخاً ما للبحث العلمى فى مشكلات الحلم ؛ لأن هذا البحث مهما علت قيمته فى بعض النقاط لا يبين عن تقدم محدد الاتجاه ، فما هناك أساس من النتائج المستيقنة يتابع الباحث اللاحق البناء عليه ، بل كلما جد باحث جدد علاج المشكلات ذاتها وبدأ كمن يبدأ من البداية . فلو أردتُ أن أترم الترتيب الزمنى للمؤلفين ، موجزاً آراءهم واحداً فواحداً فى مشكلات الحلم ، ما وجدت مفرأ من أن أترك كل أمل فى أن أقدم صورة عامة مجملة لمعرفتنا الراهنة بهذا الموضوع . وعلى هذا رأيت أن أقسم الكلام على حسب الأبواب لا المؤلفين ، وكلما جئت إلى مشكلة أوردت ما أودعته المؤلفات من مادة تعين على حلها .

غير أنى وقد تعذر على الإلمام بكل ما كتب فى هذا الموضوع لما هو عليه من فرط التبعر والاشتباك بغيره ، لا أرى مناصاً من أن أسأل القارئ القناعة ما دمت لا أغفل واقعة أساسية أو وجهة نظر ذات وزن .

لقد كان معظم الكتاب إلى عهد قريب يرون أنفسهم محمولين على معالجة النوم والحلم فى معرض واحد ، وكانوا فى العادة يعرضون فوق ذلك لحالات مماثلة تدخل فى باب علم النفس المرضى ولظواهر لها سيماء الحلم (مثل الهلاوس والرؤى وما شاكلها) . وعلى نقىض

ذلك يتجلى في أحدث المؤلفات عهداً لإثبات الاختصار على موضوع محدود النطاق ، وربما شغل الكاتب بمسألة مفردة من مجال الحياة الحاملة . وأود أن أرى في هذا التحول أمانة على الاقتناع بأن التنوير والاتفاق لا يأتيان في مثل هذه المسائل المظلمة إلا بمتابعة الأبحاث المفصلة . وما أقدم في هذه الصفحات إلا بحثاً مفصلاً من هذا القبيل ، بحثاً ذا طابع سيكولوجي بنوع خاص . ولم يتح لى أن أعالج مشكلة النوم إلا قليلاً ؛ فهذه مشكلة فيزيولوجية في جوهرها - وإن يكن من الحق أن من خصائص حالة النوم أنها تحدث تغييراً في الشروط التي يعمل جهازنا النفسى بمقتضاها . وعلى ذلك أغفل فيما يبيى ذكر المؤلفات المتعلقة بموضوع النوم .

إن المسائل التي يثيرها البحث العلمى في ظواهر الحلم من حيث هي كذلك ، يمكن تبويبها أربعة أبواب لا تخلو من بعض التداخل فيما بينها :

أ

علاقة الحلم بحياة اليقظة

يقول الحكم الساذج للمرء في أول استيقاظه : إن الحلم - وإن يكن لا يصدر عن عالم آخر - قد حمله مع ذلك إلى عالم غير الذى يعهده . وعن هذا المعتقد يعرب الفيزيولوجى القديم بورداخ الذى ندين له بوصف دقيق نافذ لظواهر الأحلام في فقرة يكثر الاستشهاد بها (١٨٣٨ ، ٤٩٩) : « . . . إن حياة النهار بأعمالها ولذاتها ، بسرأها وضرائها ، لا تتكرر في الحلم على الإطلاق ، بل الأصدق أن الحلم إنما يهدف إلى تخليصنا من كل أولئك . فقد يملك نفوسنا موضوع ما أو بمزقنا ألم عميق أو تستغرق مشكلة كل طاقتنا العقلية ، ثم يأتينا الحلم بشيء مختلف النوع كل الاختلاف أو لا يلتقط من الواقع سوى عناصر متفرقة يدخلها في تراكيبه أو يذهب إلى مجرد التلون بلون مزاجنا والإعراب عن الواقع إعراباً رمزياً . » وبهذا المعنى يتحدث سى . هـ . فيخته (١٨٦٤ ، ١ ، ٥٤١) عن أحلام مكتملة ويصفها قائلاً : إنها إحدى المكومات الخفية في طبيعة الروح المنطوية في نفسها على دوائها . ويعرب ل. شتر وميل عن معنى مماثل في بحث له في طبيعة الأحلام ومنشأها ، اجتمعت الآراء بحق على تقديره تقديرأ رفيعاً ، فيقول (١٨٧٧ ، ١٦) : « من حلم ارتحل عن عالم الشعور المستيقظ . » ويقول كذلك (ص ١٧) : « في الأحلام تسمى ذكراًنا عن المحتويات المنظمة

للشعور المستيقظ وعن مسلكه السوى كأنما لم يعد لها وجود . « وأيضاً (ص ١٩) : « إن النفس — وقد كادت تفقد كل ذاكرة — تنفصل في الحلم عن المحتوى المألوف لحياة اليقظة ومشاعلها . . . »

بيد أن الغالبية الغالبة من الكتاب قد نظروا إلى علاقة الحلم بحياة اليقظة نظرة مخالفة . مثال ذلك هافنر إذ يقول (١٨٨٧ ، ٢٤٥) : « وأول شيء هو أن الحلم يتابع حياة اليقظة ؛ فأحلامنا تتصل دائماً بالأفكار التي كانت تشغل الشعور قبيل وقوعها . وتكاد الملاحظة المدققة أن تكتشف باطراد خيطاً يصل الحلم بخبرات اليوم السابق . » ويناقض فيجانت (١٨٩٣ ، ٦) قضية بورداخ التي أوردتها من قبل على التخصيص : « لأننا نلاحظ في أحيان كثيرة ، في القسط الأعظم من الأحلام على حسب الظاهر ، أن الحلم يعود بنا إلى مألوف الحياة بدل أن يخلصنا منه » . ويصوغ موري هذا الموقف في عبارة محوكة فيقول (١٨٧٨ ، ٥١) : « إننا نحلم بما رأيناه أو قلناه أو رغبتنا فيه أو صنعناه . »^(١) بينما يفيض يسن في كتابه الذي ظهر في علم النفس سنة ١٨٥٥ بعض الإفاضة فيقول (ص ٥٣٠) : « إن محتوى الحلم تحدده دائماً — تحديداً يزيد أو ينقص — شخصية الحالم الفردية وسنه ونوعه وطبقته ومستوى تعلمه وأسلوبه المألوف في الحياة وما اشتملته حياته السابقة جميعها من التجارب والأحداث . »

وأقطع رأى في هذه المسألة هو رأى الفيلسوف ي . ج . ل . ماس (١٨٠٥) إذ يقول : « وتؤيد الخبرة ما نذهب إليه من أننا نحلم في معظم الأحيان بالأمور التي تتجه إليها أشد انفعالاتنا . ومن هذا نرى أن انفعالاتنا لا بد أن يكون لها تأثيرها في إحداث أحلامنا ؛ فيحلم الطموح بأكاليل الغار التي نالها (أو تخيل أنه نالها) أو بتلك التي لا يزال عليه أن ينالها ، بينما يحلم العاشق بمعقد أعذب آماله . . . وكل الرغبات الحسية وحركات النفور الغافية في القلوب مستطبعة — إذا حركها محرك — أن تثير حُلماً ينبعث من الأفكار المرتبطة بها أو أن تجعل هذه الأفكار تتدخل في حلم دائر بالفعل . » — نقلاً عن فينترشتاين (١٩١٢) .

ولم يكن القدماء على غير هذا الرأي فيما يتصل بتوقف محتوى الحلم على الحياة المستيقظة فيحدثنا رادشوك (ص ١٣٩) كيف كان اجزر كس يتأرجح قبل حملته على أرض

الإغريق بين نصيحة عاقلة بالإقلاع عما اعتزم وحلم ملح يحضه عليه . وبينما هو على هذه الحال أدلى إليه مفسر متعقل من قدامى مفسرى الأحلام بين الفرس — وهو أرتابانوس — بقول سديد : إن صور الحلم لا تضم في معظم الأحيان سوى ما يفكر فيه المرء من قبل وهو مستيقظ .

وفي قصيدة لوكريس التعليمية « في الطبيعة »^(١) ترد الفقرة الآتية (الكتاب الرابع ، البيت ٩٦٢ وما بعده) :

« وأيا كان المسعى الذى يندب له المرء نفسه ويثابر عليه ، وأيا كانت الأمور التى طال اشتغالنا بها فى الزمن الماضى ، فهذه — وقد صارت النفس أشد حرصاً على لحاقها — هى أيضاً ما نخال فى الحلم لقاءه : من له قضية يذود عنها ويوازن بين الشرائع ، والقائد يقاتل ويخوض غمار المواقع . . . »^(٢)

ويقول شيشرون (« فى العرافة »^(٣) ، الكتاب الثانى [فقرة ٦٧]) فى معنى شبيه كل الشبه بالذى قاله مورى بعده بهذه القرون الطوال : « وعندئذ تتخلج فى النفس وتضطرب بنوع خاص بقايا تلك الأشياء التى فكرنا فيها أو صنعناها ونحن أيقاظ . »^(٤)

إن التناقض بين هاتين النظرتين فى علاقة الحلم بحياة اليقظة يبدو بالفعل شيئاً لا حل له . ومن ثم كان هنا مقام التذكير بكتاب هيلد برانت (١٨٧٥) الذى يعتقد أنه لا سبيل على الإطلاق إلى وصف خصائص الحلم إلا « بطائفة من القضايا المتقابلة ، يبدو التقابل بينها حاداً حتى التناقض » (ص ٨) . « وأول تقابل يقوم فى كمال انقطاع الحلم أو انزاله

عن الحياة الواقعة من جهة ، واشتباك كل بالآخر اشتباكاً مستمراً وتوقفه عليه من جهة أخرى . فالحلم شيء مفصوم من الواقع الذى نعيشه فى حياة اليقظة فصماً تاماً ، حتى ليحق القول : إنه شيء موجود فى ذاته وجوداً أحكم إطباقه ، ضربت بينه وبين الحياة الواقعة هوة

[“De reum natura”]

(١)

[Et quo quisque fere studio devinctus adhaeret,
aut quibus in rebus multum sumus ante morati
atque in ea ratione fuit contenta magis mens,
in somnis eadem plerumque videmur obire;
causidici causas agere et componere leges,
induperatores pugnare ac proelia obire, ... etc. etc.]

(٢)

[“De Divinatione II.”]

(٣)

[“Maximque reliquiae earum rerum moventur in animis et agitantur, de quibus
vigilantes aut cogitavimus aut egimus.”]

(٤)

لا تعبر . إنه يحررنا من الواقع ويطغى ذكرانا السوية عنه ويتزلنا فى عالم آخر وحياة مختلفة القصة كل الاختلاف ، لا شأن لها فى جوهرها بقصة الحقيقة . . . » ويمضى هيلد برانت فيبين كيف أننا إذا حل النوم اختفى كيائنا كله « اختفاءه فى مصيدة لا يرى لها باب » . حينئذ قد يركب الحالم البحر إلى سانت هيلانه ليقدم لنا بليون الأسير هناك نخبة من أنبذة الموزل ، ويلقاه الإمبراطور السابق بأعظم الترحيب حتى أن المرء يكاد بأسف حين يستيقظ فإذا هذا الوهم الممتع يتبدد . ولكن دعنا نقارن بين الحلم والحقيقة : إن الحالم لم يكن فى حياته تاجر أنبذة ولا رغب فى ذلك قط ، وهو لم يركب البحر ولو مرة ، ولو فعل لكانت سانت هيلانه آخر مكان يختار الذهاب إليه ، ثم هو لا يكن لنا بليون حباً بل بغضاً وطنياً عارماً ، وفوق هذا كله لم يكن الحالم رأى النور حين مات نابليون فى جزيرته ؛ فكل رابطة شخصية به ضرب من المحال . وهكذا يبدو الحلم جسداً غريباً دس بين شطرين للحياة متوائمين متداولين على أكمل وجه .

ويمضى هيلد برانت قائلاً : « ومع هذا فما يبدو أنه الضد صادق كذلك وصحيح ؛ لأن أوثق الوشائج — مهما يكن من شئ — تسير فيما أعتقد جنباً إلى جنب مع هذا الانفصال وهذا الانعزال . بل إن لنا أن نذهب حتى القول بأن الحلم — أيا كان ما يعرض فيه — يستمد مادته من الواقع ومن الحياة الذهنية التى تدور حول هذا الواقع . . . ومهما أغرب الحلم فهو فى الحقيقة لا يستطيع على الإطلاق التخلص من العالم الواقعى ، وهو دائماً فى أسنى تراكيبه كما فى أجلبها للضحك يستعير بالضرورة مادته الأساسية سواء مما عرض لأعيننا فى عالم الخواص أو خطر بين أفكارنا ونحن أيقاظ ، أى — بعبارة أخرى — مما سبقت لنا به خبرة خارجية كانت أو باطنية . »

ب

مادة الحلم — الذاكرة فى الحلم

هناك على الأقل حقيقة لا نزاع فيها ، تلك هى : أن المادة التى تكون محتوى الحلم إنما تستمد جميعها من الخبرة على نحو أو آخر ، أى أن الحلم إنما يستحضرها أو يتذكرها . غير أن من الخطأ أن نظن أن مثل هذا الارتباط بين محتوى الحلم والواقع يظهر للعيان من غير عناء على أثر المقارنة بينهما ، بل يلزمنا البحث عنه بحثاً دائماً ، وقد يخفى علينا زمناً طويلاً فى

طائفة بأسرها من الحالات . ويرجع السبب في ذلك إلى عدة من الخصائص التي تبديها ملكة الذاكرة في الحلم والتي استعصى تعليلها حتى الآن، وإن لم تخف على الملاحظة بوجه عام . وخليق بعنائنا أن ننظر إلى هذه الخواص .

أول ما نرى هو أنه يتفق أن ترد في محتوى الحلم مادة لا يستطيع المرء مستيقظاً أن يرى فيها جزءاً من معرفته أو خبرته ؛ فهو يذكر ذكر اليقين أنه قد حلم بهذا الشيء أو ذاك ، ولكنه لا يذكر أنه قد خبره ولا متى خبره . ويظل المرء في ظلمة لا يدرى من أى نبع استقى الحلم ، وفي هذا ما يغريه بأن ينسب إلى الحلم قدرة مستقلة على الإبداع ، إلى أن تجيء خبرة جديدة — بعد حقبة طويلة في كثير من الأحيان — فتعيد إليه ذكرى الخبرة السابقة التي ظن ضياعها ، كاشفة له بذلك عن منبع الحلم . وهكذا يسلم المرء ضرورة بأنه قد علم في الحلم أموراً كانت تخرج عن متناول ذاكرته المستيقظة ، وتذكرها ^(١) .

ويضرب دلبوف مثلاً على ذلك فريداً في قوته ، استمدته من أحلامه : ذلك أنه رأى في الحلم فناء منزله وقد كساه الثلج ورأى عظاميتين صغيرتين تجمدتا نصف تجمد واندفنتا تحته . فسارع — وهو المحب للحيوان — إلى التقاطهما وتدفئتهما ، ثم أعادهما إلى ثقب صغير خصص لهما في الحائط ، وقدم لهما فوق ذلك بضعة أوراق من سرخس صغير كان ينمو على الحائط ؛ لئما كان يعلمه من فرط حبهما له . وكان يعرف في الحلم اسم النبات : أسبلنيوم روتا موراليس ^(٢) . واستمر الحلم ليعود بعد قليل من الاستطراد إلى العظائيتين . وهنا رأى دلبوف لدهشه عظاميتين أخريين وقد انكفأتا على أوراق السرخس . وحينئذ أجال البصر حوله ، فرأى عظمة خامسة فسادسة تتجهان صوب الثقب الذي في الحائط ، وما لبث الطريق أن اكتسى كله بموكب من العظاما اتخذت ذات الوجهة . . . إلخ .

وكان دلبوف لا يعلم وهو مستيقظ سوى القليل من الأسماء اللاتينية للنبات ليس بينها « أسبلنيوم » . فكلم كان عجبه حين تحقق من أن ثمت سرخساً يحمل هذا الاسم حقيقة ! وكان اسمه الصحيح : أسبلنيوم روتا موراريا ^(٣) — وهو الاسم الذي حرفه الحلم تحريفاً طفيفاً . وكان التفكير في اتفاق عارض يكاد يكون مستحيلاً بالطبع . ولكن من أين أتى

(١) — يقول فاشيد : إنه قد لوحظ في أحيان كثيرة أن المرء قد يتحدث في الحلم بلغة أجنبية مبدياً في ذلك طلاقة وسلامة يقصر عنهما وهو مستيقظ .

[Asplenium ruta muralis]

(٢)

[Asplenium ruta muraria]

(٣)

الحلم بذلك الاسم : « أسبليوم » ؟ هذا ما ظل لغزاً في عين دلبوف .
لقد وقع هذا الحلم في عام ١٨٦٢ . وبعد ذلك بستة عشر عاماً كان الفيلسوف يزور صديقاً فلمح لديه سجلاً صغيراً حوى أزهاراً مجففة من قبيل ما يباع إلى الأجانب في بعض أنحاء سويسرا على سبيل التذكرة . وهنا بثقت في خاطره لإحدى الذكريات ، ففتح السجل ، فإذا هو يرى « أسبليوم » حلمه ويرى اسمه اللاتيني مدوناً في أسفله بخطه نفسه . عندئذ وضحت الرابطة : ففي عام ١٨٦٠ - أى قبل الحلم بعامين - زارت دلبوف أخت لهذا الصديق كانت إذ ذاك في رحلة عرسها ، وكانت تحمل معها هذا السجل عينه لكي تهديه إلى أخيها . وأخذ دلبوف على نفسه أن يدون بأسفل كل نبات مجفف اسمه اللاتيني بإملاء أحد المشتغلين بعلم النبات .

ويشاء حسن الاتفاق الذي جعل هذا المثال خليقاً بالرواية أن يمكن دلبوف من تأثر جزء آخر من محتوى هذا الحلم إلى أصله المفقود . ففي يوم من عام ١٨٧٧ عثر دلبوف على مجلد من صحيفة قديمة مصورة ، فرأى فيها موكب العطايا مصوراً جميعه مثلما تراءى له في الحلم عام ١٨٦٢ . وكان المجلد يحمل تاريخ عام ١٨٦١ ، وكان دلبوف يذكر أنه كان بين المشاركين في هذه الصحيفة منذ ظهورها .

أن يكون للأحلام سلطان على ذكريات لا تُنال في حياة اليقظة ظاهرة ملحوظة ، ذات خطورة نظرية حتى أنني لأود الإلحاح في التنبيه عليها بضرب مثال آخر من أمثلة الأحلام « الذكيرة » : يحدثنا موري كيف ظلت كلمة « موسيدان » تراود خاطره في أثناء النهار دون أن يعلم من أمرها شيئاً سوى أن ثمت مدينة من مدن فرنسا تحمل هذا الاسم . وفي ذات ليلة لاح لموري في الحلم أنه يتحدث إلى شخص يقول له : إنه قد أتى من موسيدان . فلما سأله عن موقع هذه المدينة ، أجابه : موسيدان مدينة صغيرة في مقاطعة الدُرْدُون . فلما استيقظ موري لم يصدق هذه الإفادة التي تلقاها في الحلم ، ولكن القاموس الجغرافي أثبت له تمام صحتها . وفي هذا المثال يثبت أن الحلم أعلم ، إلا أن الكشف عن الأصل المنسى لهذا العلم لم يتيسر .

ويروى يسّن حادثة حلمية شبيهة بهذه غاية الشبه ترجع إلى عصر أكثر قدماً ، يقول (١٨٥٥ ، ٥٥١) : « ويدخل في هذه الطبقة كذلك حلم (يذكره هسنجر ، ١٧٨٤ ، ٣٠٠) أنه سكاليجر الكبير الذي نظم قصيدة في مديح أعلام فيرونا : فقد ظهر له في

الحلم رجل دعا نفسه بروجنولوس شاكياً إغفاله . ولم يكن فى استطاعة سكاليجر أن يذكر أنه قد سمع بهذا الرجل قط ، ولكنه مع ذلك نظم فيه بضعة أبيات . ثم عرف ابنه بعد ذلك فى فيرونا أن رجلاً بهذا الاسم قد اشتهر فيها كناقذ حقيقة . »

ويقص الماركى درفائى دى سان دُنى (عن رواية لفاشيد ١٩١١ ، ٢٣٢) حُلماً ذكيراً تميز بتلك الخاصة الفريدة ، وهى أن الحالم — وقد عجز عن أن يتعرف إحدى الذكريات فى حلم أول — يعود فيعرفها فى حلم لاحق ، يقول : « حلمت مرة بسيدة شابة ذات شعر ذهبي ، رأيتهما تتحدث إلى أختي وهى تربيها قطعة من النسيج المطرز . وكان وجهها يبدو مألوفاً فى الحلم ، وفكرت فى أننى قد رأيتهما مرات كثيرة من قبل . فلما استيقظت كان محياها لا يزال ماثلاً أمامى واضحاً غاية الوضوح ، ولكننى عجزت عجزاً تاماً عن معرفته . ثم عدت إلى النوم ، فعادت صورة الحلم . ولكننى فى هذا الحلم الحديد سألت السيدة الشقراء : هل سعدت بلقاءها من قبل فى مكان ما ؟ فأجابتنى : يقيناً ، ألا تذكر شاطئ البحر فى پورنيك ؟ وهنا استيقظت على الفور مرة ثانية ، وأمكننى عندئذ أن أذكر ذكراً أكيداً كل ما ارتبط بهذا الوجه الحلمى الخلاب من التفاصيل . »

ويروى المؤلف نفسه (على ما يذكره كذلك فاشيد ، ص ٢٣٣) كيف سمع موسيقى من معارفه لحناً ظنه جم الطرافة فى الحلم حتى عثر عليه بعد ذلك بسنوات فى مجموعة قديمة من القطع الموسيقية ظل مع ذلك عاجزاً عن أن يذكر أنها قد وقعت بين يديه من قبل . هذا وقد نشر مايرز مجموعة بأسرها من أمثال هذه الأحلام الذكيرة فى مرجع لم أجده لسوء الحظ سبيلاً إليه ^(١) . وإنى أعتقد أنه ما من أحد اشتغل بالأحلام إلا سلم بأن دلالة الحلم على معارف وذكريات لا يعلم المستيقظ امتلاكه إياها ظاهرة مألوقة إلى مدى كبير . وإنه ليتاح لى فى خلال عملى التحليل النفسى مع العصبيين — وهو ما سوف أجيء إلى الحديث عنه فيما بعد — يتاح لى أكثر من مرة فى كل أسبوع أن أقيم لمرضى الدليل من أحلامهم على أنهم يعرفون فى الحقيقة نصوصاً مختارة وعبارات فاحشة ... إلخ . أجود المعرفة وأنهم يستخدمون معرفتهم هذه فى أحلامهم وإن نسوها فى يقظتهم . وسأقص هنا مثلاً آخر بريئاً على شدة ذاكرة الحلم ؛ لأن تأثر مصدر المعرفة التى لم يدن بلوغها إلا للحلم كان فى هذا المثال من السهولة بمكان .

رأى أحد مرضاى فى خلال حلم طويل بعض الطول أنه يطلب كأساً من « الكونتوشوفكا » فى أحد المقاهى . ثم بعد أن خبرنى بذلك سألتنى ما هذا الشراب ؛ فهو لم يسمع به قط من قبل . ولم يعجزنى أن أجيبه أن ذلك شراب بولندى من المستحيل أن يكون قد اخترع اسمه فى أثناء الحلم اختراعاً ؛ فقد كان ذلك الاسم مألوفاً لى منذ وقت طويل من طريق الإعلانات . وأبى المريض أن يصدقنى فى أول الأمر ، ولكنه بعد ذلك بأيام قلائل ، بعد أن أجاز لحلمه أن يصبح حقيقة واقعة ، لاحظ هذا الاسم على لافتة تقع عند ناصية طريق كان يمر به مرتين على الأقل فى كل يوم طوال بضعة شهور .

ولقد عرفت من أحلامى نفسى كيف يظل الكشف عن مصادر العناصر المتفرقة للحلم مرهوناً بالصدفة . مثال ذلك أننى ظلت سنوات قبل تحرير هذا الكتاب تلاحقنى صورة برج من أبراج الكنائس متواضع الهيئة فى الغاية ، دون أن أستطيع أن أذكر أنى رأيته . ثم عرفته بعد ذلك فجأة أيقن المعرفة عند محطة صغيرة على الخط الحديدى الممتد بين سالزبورج ورايخنهال . وكان ذلك فى النصف الثانى من العقد الأخير من القرن ، وكان أول عهدى بهذا الطريق فى عام ١٨٨٦ . وحدث فى سنوات تالية — وكان اشتغالى بدراسة الأحلام قد بلغ أشده — أن أخذت صورة تمثل مكاناً غريب الهيئة تلح على فى الحلم إلحاحاً مرهقاً : كنت أرى فى اتجاه معين بالنسبة إلى ، على يسارى ، فضاء معتمماً برزت فيه أشكال حجرية شائهة . وكان هناك شعاع من ذكرى يحدثنى — دون ميل منى إلى تصديقه — بأن ذلك مدخل كهف تحفظ فيه البجعة ، ولكننى ظلت عاجزاً عن أن ألقى الضوء على معنى هذه الصورة أو مآزها . ثم اتفق عام ١٩٠٧^(١) أنى جئت إلى بادوا التى عجزت أسفاً عن أن أعود إلى زيارتها منذ عام ١٨٩٥ ؛ فماروت زيارتى الأولى لهذه المدينة الجامعية الجميلة غلتى ، فقد فاتنى أن أرى رسوم جيوتو الحائطية فى كنيسة « مادونا دل آرينا » ونكصت على عقبي وأنا فى منتصف الطريق إليها إذ قيل لى إن الكنيسة مغلقة فى ذلك اليوم . ففى زيارتى الثانية لها ، بعد أن انصرم اثنا عشر عاماً ، كنت عازماً على إدراك ما فاتنى ، فكان التوجه إلى المادونا دل آرينا أول ما صنعت . وإنى لنى طريقى إليها إذا أنا أكتشف على يسارى ، عند البقعة التى أرجح أنى استدرت فيها على عقبي ، هذا المكان الذى طالما رأيته فى الحلم بأشكاله الحجرية : لقد كان فى الحقيقة مدخل مطعم فى الهواء الطلق .

(١) [هذه الفقرة قد أضيفت سنة ١٩٠٩ .]

ومن المصادر التي يستمد منها الحلم مادة يعيدها — وهي مادة يظل بعضها عاطلا في أثناء النشاط الفكري المستيقظ ، فلا يتذكر ولا يستخدم — حياة الطفولة . ولن أستشهد إلا بقليل من المؤلفين الذين لحظوا ذلك وألحوا فيه .

يقول هيلد برانت (١٨٢٥ ، ٢٣) : « سبق أن قلنا صراحة : إن الحلم يستحضر أحيانا إلى النفس — بقدرة عجيبة على الإعادة — حوادث من سنواتنا الأولى بعدت صلتنا بها كل البعد إن لم يكن عفى عليها النسيان . »

ويقول شرومبل (١٨٧٧ ، ٤٠) : « وتزيد المسألة بعد ذلك ظهوراً إذا لاحظنا كيف يبعث الحلم — إن جاز التعبير — من تحت أعماق الردوم وأشدها كثافة ، تلك التي هالها لاحق الزمن على أوائل خبراتنا في الطفولة ، صوراً متفرقة لمحال وأشياء وأناس ظلت سليمة لم تمس ، مبقية على نصارتها الأولى . ولا يقتصر ذلك على انطباعات اجتذبت حين وقوعها شعوراً بالغ الشدة أو اصطحبت بأهمية نفسية عالية ، تعود الآن في الحلم في صورة ذكريات صادقة قد يسر لها الشعور المستيقظ . بل الأصديق هو أن ذاكرة الحلم تشتمل أغوارها كذلك على صور لأشخاص وأشياء ومحال وأحداث ترجع إلى الزمن الأول ، إما أنها لم تنل من الشعور إلا حظاً ضئيلاً أو لم تنل من الأهمية حظاً ما أوفقت كليهما منذ زمن طويل ، حتى تبدو في الحلم ولعين المستيقظ على السواء غريبة كل الغرابة ، مجهولة كل المجهل ، إلى أن يكشف عن أصلها المبكر . »

ويقول فولكلت (١٨٧٥ ، ١١٩) : « ومن الأمور الملحوظة بنوع خاص كيف تتسرب ذكريات الطفولة والصبي إلى الحلم ، فالحلم لا يفتأ يذكرنا بأشياء كففنا منذ زمن طويل عن التفكير فيها أو كفت منذ زمن طويل عن أن تكون لها أهمية في نفوسنا . »

ولقد أدت سيطرة الحلم على مادة طفلية يفلت جزؤها الأعظم — كما نعلم — من شباك ذاكرتنا الشعورية إلى نشوء أحلام ذكية حرة بالاهتمام ، أذكر مرة أخرى قليلاً من أمثلتها .

يروى موري (١٨٧٨ ، ٩٢) أنه اعتاد وهو طفل أن يذهب في أحيان كثيرة من مسقط رأسه « مو » إلى بلدة « تريبور » المجاورة ، حيث كان والده يشرف على بناء جسر . وفي ذات ليلة حمله الحلم إلى « تريبور » ورأى موري نفسه يلعب في شارع القرية من جديد . ثم اقترب منه رجل يرتدى نوعاً من الحلل الرسمية ، فسأله موري اسمه ، فأجاب الرجل قائلاً : إنه يدعى س . وإنه حارس الجسر . واستيقظ موري يساوره الشك في صدق هذه

الذكرى ، فسأل خادماً عجوزاً عرفته طفلاً : هل تذكر رجلاً بهذا الاسم ؟ فكان جوابها :
« نعم ، إنه كان حارس الجسر الذى بناه والدك . »

ويضرب مورى مثالا آخر على يقين الذكرى الطفلية المنبعثة فى الحلم ، لقي من حسن التأييد ما لقيه سابقه . والحالم فى هذا المثال رجل يدعى ف . ولد ونشأ فى « مونبريزون » ، ثم بعد هجرة دامت خمسة وعشرين عاماً عقد العزم على أن يزور الوطن وأصدقاء أسرته القدامى الذين لم يرههم منذ ذلك الحين . وفى ليلة الرحيل رأى الرجل فى الحلم أنه قد بلغ مقصده وأنه التقي على مقربة من « مونبريزون » برجل لم يعرفه من مرآه ، ولكن الرجل أخبره أنه السيد ت . وأنه صديق من أصدقاء والده . وكان الحالم يعلم أنه قد عرف فى طفولته سيداً بهذا الاسم ولكنه لم يعد يذكر شكله فى يقظته . ثم بعد ذلك بأيام قلائل بلغ الرجل وطنه حقيقة ، فعرف المكان الذى ظن فى الحلم أنه يجمله ، وفيه التقي بسيد عرف فيه على الفور السيد ت . — إلا أن الشخص الحقيقى كان يزيد فى السن كثيراً عما تراءى عليه فى صورة الحلم .

وأستطيع فى هذا الصدد أن أذكر حلاماً من أحلامى حلت فيه علاقة محل الانطباع المراد تذكره : فقد رأيت فى الحلم شخصاً عرفت فى أثناء الحلم نفسه أنه طبيب البلد الذى ولدت فيه ، ولم تكن ملاحظه فى الحلم جلية ، بل اختلطت بملامح معلم لى بالمدرسة الثانوية ما زلت ألتقى به حتى اليوم . فلما استيقظت لم أستطع أن أجدر رابطاً ما بين هذين الشخصين ولكنى حين سألت والدتى عن الطبيب الذى كان يعالجنى فى هاته السنين الأولى من طفولتى علمت أنه كان أعور — وكذلك كان المدرس الذى حجب شخصه فى الحلم شخص الطبيب . وكان ذلك بعد أن انقضى ثمانية وثلاثون عاماً منذ رأيت الطبيب للمرة الأخيرة ، ولم أكن — فيما أعلم — قد فكرت فيه على الإطلاق ، مع أن بذقنى أثراً من جرح كان كفيلاً أن يذكرنى بما لقيت من عنايته ^(١) .

وكأنما أراد بعض المؤلفين أن يخففوا هذا الغلو فيما يعزى إلى خبرات الطفولة من شأن فى الحياة الحاملة ؛ فهم يؤكدون أن فى الأحلام عناصر ترجع إلى ما يسبق الحلم بأيام قريبة

(١) [أضيف الجزء الأخير من هذه الجملة ابتداء من: « مع أن ... الخ » فى طبعة سنة ١٩٠٩ وظل يظهر فى جميع الطبعات التالية حتى سنة ١٩٢٢ ، ثم حذف بعد ذلك . ولكننا نجد فى صفحة ٢٨٩ إشارة إلى هذا الطبيب عيئه لا تفهم بغير هذا الجزء . فأما الحدث الذى كان سبباً فى الجرح المشار إليه ، فأغلب الظن أنه هو الموصوف فى صفحة ٥٥٠

معدودة . ويذهب روبرت (١٨٨٦ ، ٤٦) إلى حد القول بأن الأحلام السوية لا تشغل إلا بانطباعات الأيام القليلة الأخيرة . ومن الحق أننا سوف نرى كيف شيد روبرت نظرية في الحلم تستلزم إبراز الانطباعات الحديثة إلى مكان الصدارة وإخفاء القديمة استلزاماً آمراً ، ومع هذا فالظاهرة التي تحدث عنها روبرت ظاهرة صحيحة — كما يسغنى توكيده استناداً إلى مباحثي . وفي رأى مؤلف أمريكى ، هو نلسون ، أن الانطباعات التي تستخدم في الحلم ترجع في معظم الحالات إلى اليوم السابق على اليوم الذي يحىء الحلم في أعقابه أو إلى السابق على هذا السابق ، وكأن انطباعات اليوم الذي يسبق الحلم مباشرة لا تبلغ من الوهن أو من البعد مبلغاً كافياً .

ولقد دهش مؤلفون متعددون ، ممن يهتمهم ألا يضعوا الصلة العميقة بين الحلم وحياة اليقظة موضع الشك ، لما رأوه من أن الانطباعات التي تسحتوذ على أفكارنا المستيقظة استحوذاً شديداً لا تعرض في الحلم إلا بعد أن ينحيا التفكير النهاري جانباً بعض التنحية : مثال ذلك أننا لا نحلم بعزير فقدناه والحزن لا يزال يملكننا (دولاج) . غير أن باحثة من أحدث من لاحظوا هذا الموضوع ، هي الآنسة هالام ، قد جمعت الشواهد على العكس ، مؤكدة بذلك حق كل منا في أن تكون له فرديته السيكلوجية في هذا المجال .

وأما الخاصة الثالثة بين خصائص الذاكرة في الحلم — وهي أعجب الخصائص وأشدّها استغلاً على الفهم — فتتجلى في اختيار المادة المستذكرة ؛ فما يعد جديراً بالذكر هنا ليس أخطر الأمور دون غيره ، كما هو الحال في حياة اليقظة ، بل أتفهها كذلك وأقلها ظهوراً . وهنا أترك الكلمة لأولئك الكتاب الذين أعربوا عن عجبهم أقوى الإعراب .

يقول هيلد برانت (١٨٧٥ ، ١١) : « والعجيب هو أن الحلم لا يستمد عناصره في العادة من أحداث النهار الجلية المثيرة ولا من مشاغله القوية القاهرة ، بل من تفاصيل عارضة أو — إن جاز التعبير — من قصاصات معدومة القيمة تخلفت من الخبرات الحديثة أو من الماضي السحيق . فقد يحرك مصاب عائل حزناً عميقاً في نفوسنا ويترد عنا الكرى جزءاً طويلاً من الليل ثم ننام ونحن في أسره فإذا هو يمحي من ذاكرتنا حتى يعود إلينا في عنف يشيع الاضطراب في نفوسنا مع أول لحظات اليقظة . هذا بينما يتسع الحلم لزائدة في جبهة شخص غريب صادفناه اتفاقاً وما فكرنا قط في أمره بعد أن مررنا به . »

ويقول شرومبل (١٨٧٧ ، ٣٩) : « هناك حالات نكتشف فيها بتحليل الحلم أن

بعض عناصره مستمد حقيقة من خبرات اليوم السابق على الحلم أو اليوم الذى قبله ، ولكنها كانت خبرات خالية من كل قيمة أو وزن حتى أنها آلت إلى النسيان على أثر وقوعها . ومن قبيل هذه الخبرات عبارات يسميها المرء عفواً من الآخرين أو أفعال يلحظها منهم بدون قصد أو لحاح خاطفة من الناس أو الأشياء أو نبذ متفرقة مما قرأ ، إلخ .

ويقول هافلوك إليس (١٨٩٩ ، ٧٢٧) : « إن الانفعالات العميقة التى نعرفها فى حياة اليقظة والمسائل والمشكلات التى نصرف فيها الجزء الرئيس من طاقتنا العقلية الإرادية ليست فى العادة هى التى تمثل لشعور الحالم على الفور . بل الذى ينفجر فى أحلامنا غالباً — بقدر ما يتعلق الأمر بالماضى القريب — هو انطباعات حياة النهار التافهة العارضة « المنسية » . فهذه الأوجه من نشاطنا النفسى التى كانت أشد ما يكون استيقاظاً هى التى تنام أعمق النوم . » (١)

وأما بينتس (١٨٧٨ ، ٤٤ — ٤٥) فىرى فى هذه الخاصة على التحديد من خصائص الذاكرة فى الحلم مدعاة إلى الإعراب صراحة عن قلة رضائه بتعليلات الحلم التى أيدها هو نفسه من قبل ، فيقول : « والحلم الطبيعى يثير أسئلة مماثلة : لماذا لا نحلم دائماً بالانطباعات الذكروية المتخلفة من اليوم الذى يسبق الحلم مباشرة بل نعوص فى كثير من الأحيان دون ما سبب ظاهر فى ماضٍ سحيق كاد ينطفئ ؟ لماذا ينطبع الشعور فى الحلم على هذا النحو الشائع بالصور الذكروية المجردة من الشأن بينما تظل خلايا المخ فى المناطق التى تحمل أشد آثار الخبرة حساسية خرساء خامدة فى معظمها ، إلا أن يكون قد حركها محرك إلى نشاط مستجد قبيل الحلم فى خلال حياة اليقظة ؟ »

ومن السهل أن نرى كيف كان من المحتم أن يؤدي هذا الإيثار العجيب الذى تبديه ذاكرة الحلم تجاه ما هو تافه فى خبرتنا اليومية وكان يمر — من ثم — غير ملحوظ إلى إغفال توقف الحلم على حياة اليقظة عامة وعلى الأقل إلى جعل إثبات هذا التوقف أمراً عسيراً فى أية حالة جزئية . فهكذا تجد الآنسة هوايتون كالكيتر فى دراساتها الإحصائية لأحلامها وأحلام معاونيها جزءاً قدره أحد عشر فى المائة من مجموع الحالات لا تظهر فيه رابطة ما بحياة

(١) [“The profound emotions of waking life, the questions and problems on which we spread our chief voluntary mental energy, are not those which usually present themselves at once to dream consciousness. It is, so far as the immediate past is concerned, mostly the trifling, the incidental, the ‘forgotten’ impressions of daily life which reappear in our dreams. The psychic activities that are awake most intensely are those that sleep most profoundly.”]

اليقظة . ولا جدال في أن هيلد برانت كان محققاً حين أكد أن في مقدورنا أن نبين منشأ كل صورة من صور الحلم لو أننا خصصنا لاستقصاء مصدرها وقتاً وجهداً كافيين . وهو يدعو مثل هذا العمل « مهمة مفردة المشقة والجحود » فهي لن تنتهي بنا في معظم الأحيان إلا إلى التنقيب في زوايا الذاكرة السحيقة عن كل صنوف الحديث النفسى المجرد من القيمة وإلى جذب كل صنوف اللحظات الماضية التي لم نعد نكثرت لها أقل أكتراث من نسيان لعلها قد قبرت فيه إثر وقوعها . « ولست أجد إلا أن أعرب عن أسنى لأن هذا المؤلف الحديد البصر قد ترك نفسه يحيد عن طريق لاحت له لا تبشر بخير كثير في مبدئها ، ولو اتبعها لقادته قدماً إلى صميم تعليل الحلم .

ولا شك في أن للطريقة التي تسلك عليها الذاكرة في الأحلام أهمية قصوى بالنسبة إلى كل نظرية عن الذاكرة عموماً ؛ فهذه الطريقة تعلمنا أن « ما نمتلكه مرة امتلاكاً ذهنياً لا يضيع كله أبداً » (شولتس ، ١٨٩٣ ، ٥٩) ، أو كما قال دلبوف : « كل انطباع مهما كان قليل الشأن يترك أثراً لا يحول ، قابلاً من غير نهاية لأن يعود إلى الظهور » ^(١) — وهي نتيجة يدفعنا إليها كذلك عدد وفير من الظواهر المرضية للحياة النفسية . فلا ننسى بعد ذلك هذه القدرة الخارقة التي تبديها الذاكرة في الحلم ؛ لكي نزيد شعوراً بالتناقض الذي تضمه نظريات — سوف يجيء أوان ذكرها — تحاول أن تعلل فساد الأحلام وانعدام ترابطها بالنسيان الجزئي لما نعلمه في خلال النهار .

ولقد يدور بخلدنا أن ظاهرة الحلم يمكن أن ترد في جملتها إلى ظاهرة التذكر ، فلا يكون الحلم ظوى مظهر ينم عن نشاط استحضاري يعمل حتى في خلال الليل ، غير مستهدف غاية تخرج عن ذاته . ولقد يتفق ذلك وما يرويه البعض مثل بيلتس من وجود علاقة ثابتة تمكن البرهنة عليها بين وقت وقوع الحلم ومحتواه : فستحضر الحلم أقدم الانطباعات في أثناء النوم العميق بينما يستحضر أحدثها قرب الصباح . ولكن طريقة الحلم في معالجة المادة المراد تذكرها تبطل مقدماً مثل هذه المزاعم . فشر وميل محق حين يقول : إن الأحلام لا تكرر خبراتنا . نعم ، إن الحلم قد يخطو خطوة في هذا الاتجاه ، لكن الخطوة الثانية لا تجيء ، أو تجيء في صورة محورة ، أو يحل محلها شيء مغاير كل المغايرة .

[“Que toute impression même la plus insignifiante, laisse une trace inaltérable, (٣) indéfiniment susceptible de reparaître au jour.”]

فاستحضار الحلم استحضار مجتزئ ، وهذه على التأكيد قاعدة لها من سعة الاطراد ما يسمح بترتيب النتائج النظرية عليها . بيد أن للقاعدة شواذ يكرر فيها الحلم خبرة ما في استيفاء لا يقل عما تستطيع ذاكرتنا المستيقظة . فدلّ بوف يحكى عن أحد زملائه كيف استعاد في أحد أحلامه حادثة عربية كان قد سلم منها بما يشبه الأعجوبة فلم يترك شيئاً من تفاصيلها . وتذكر الآنسة كالكيتر حلمين لم يخرج محتوى كل منهما عن أن يكون تكراراً يعيد حدثاً من اليوم السابق بخدافيره . وسيتاح لى أيضاً أن أذكر مثالا صادفته على خبرة من الطفولة عاودت الظهور في الحلم من غير تحريف^(١) [ص ٢١٠ وأيضاً ٢١٨] .

ج

منبهات الحلم ومصادره

يقول مثل عامى : « تأتى الأحلام من المعدة » ، وهذا المثل يعين على فهم المراد بقولنا : « منبهات الحلم ومصادره » . فمن وراء هذين التصورين تكمن نظرية فحواها أن الحلم ينتج عن إزعاج يصيب النوم ؛ فما كنا لنحلم لولا مزعج طرأ في أثناء النوم ، والحلم استجابة بإزاء هذا المزعج .

إن المناقشة في أمر العلل المثيرة للحلم تشغل محلاً كبيراً من كتابات المؤلفين . ومن الجلى أن قيام هذه المشكلة لم يكن ممكناً إلا بعد أن أصبح الحلم موضوع بحث بيولوجى ؛ فما كان القدماء — وهم الذين اعتقدوا أن الأحلام توحىها الآلهة — بحاجة إلى التماس منبهات للأحلام ، فالحلم يصدر عن إرادة قوى إلهية أو جنية ، ومحتواه منشؤه علم هذه الإرادة أو غايتها . وأما العلم فلم يلبث أن واجه هذا السؤال : هل المنبه إلى الحلم واحد أم كثير الأنواع ؟ ومن هنا كان النظر فيما إذا كان بيان علة الحلم يدخل في مجال علم النفس أو يدخل بالأحرى في علم وظائف الأعضاء . والذي يبدو هو أن معظم الثقات قد اتفقوا

(١) تدعوى خبرتى اللاحقة إلى أن أضيف أنه لا يندر على الإطلاق أن تتكرر في الحلم أفعال من اليوم السابق بريئة خالية من الخطر ، كحزم الحقائق وإعداد الطعام في المطبخ . . . إلخ . غير أن الذى يلح عليه الحالم نفسه في مثل هذه الأحلام ليس محتوى الذكرى بل « واقعيتها » : « لقد أتيت كل هذا حقيقة بالأمس » .

على أن العلل المزعجة للنوم ، أى مصادر فعل الحلم ، قد تتعدد أنواعها ، وأن المنبهات الحسية والتهييجات الجسمية قد تعمل على السواء عمل الحوافز إلى الحلم ، ولكن الاختلاف بين الآراء يتسع فيما يتصل بالإيثار الذى يبدو أنه لهذا المصدر من مصادر الحلم أو ذاك ، وفى درجة الأهمية التى يضيفونها إليها من حيث هى عوامل فى تكوين الحلم .

فإذا حصرنا منابع الحلم انقسمت أربع طبقات ، وهذه الطبقات قد استخدمت أيضاً فى تصنيف الأحلام أنفسها : (١) منبهات حسية خارجية (موضوعية) ، (٢) منبهات حسية داخلية (ذاتية) ، (٣) منبهات جسمية باطنية عضوية ، (٤) مصادر نفسية خالصة للتنبيه .

١ - المنبهات الحسية الخارجية

لقد نشر شرومبل الصغير - وهو ابن الفيلسوف الذى اهتمينا فى مشكلات الحلم بهدى مؤلفه عن الأحلام مراراً كثيرة من قبل - وصفاً رائعاً لمرضى أصيب بفقدان عام للحساسية على سطح جسمه وشلل عدة من أعضائه الحسية الأعلى مرتبة : كان هذا الرجل يستسلم للنعاس إذا ما أغلقت الأبواب القليلة التى بقيت تطل عنده على العالم الخارجى . وإن من عادتنا أنفسنا حين ننشد النوم أن نعمل على توفير وضع يشبه المتحقق فى وصف شرومبل : فنحن نغلق أهم أبواب الحس - وأعنى العينين - ونحاول أن ننأى بسائر حواسنا عن كل منه أو كل تغيير فى المنبهات الواقعة عليها . وعندئذ نذوق النوم ، وإن كنا لا نفلح أبداً فى محاولتنا كل الفلاح ؛ فما نستطيع أن نبعد عن حواسنا كل منه إبعاداً تاماً ، ولا أن نعلق قابليتها للتهيج كل التعليق . وكوننا قد نستيقظ فى كل وقت إذا بلغ منه حداً كافياً من الشدة دليل على « أن النفس تمكث حتى فى أثناء النوم على صلة لا تنقطع بالعالم الخارجى » ^(١) . وليس ما يمنع من أن تصير المنبهات التى تبلغنا على هذا النحو فى خلال النوم مصادر للأحلام .

ومن أمثال هذه المنبهات عدد وفير يتفاوت بين تلك المحتومة التى تتضمنها حالة النوم ذاتها أو لا تجد منتدحاً عن السماح بها من حين إلى حين ، وتلك العارضة الموقظة التى يكون

(١) [أنظر ملاحظات بورداخ المذكورة فى صفحة ٨٨ .]

من شأنها أن تنهى نومنا ولقد تنبيه فعلا . فقد ينفذ ضوء ساطع إلى أعيننا ، أو تبلغ ضوءا سمعنا ، أو تهيج مادة رائحة غشاء الأنف المخاطي . وقد نتحرك في أثناء النوم حركة غير إرادية فنكشف عن جزء من الجسم ونعرضه لأحاسيس البرد ، أو نغير وضعنا فيكون ذلك سبباً في أحاسيس بالضغط والملامسة . وقد تلذعنا بعوضة أو يطبق طارئ صغير من طوارئ الليل على عدة من الحواس معاً . ولقد جمع انتباه الملاحظين عدداً كاملاً من أحلام بلغ فيها التوافق بين المنبه الذي يتبينه المرء إذ يستيقظ عليه وبعض محتوى الحلم مدى بعيداً جداً حتى أنه أمكن أن نعرف في هذا المنبه مصدر هذا الحلم .

وأقل عن يسن (١٨٥٥ ، ٥٢٧) مجموعة من أمثال هذه الأحلام التي يمكن تأثرها إلى تنبيه حسي موضوعي — عارض إلى حد يزيد أو ينقص — : « يثير كل صوت يدرك إدراكاً غير متميز صوراً حلمية توافقه : فينقلنا هدير الرعد إلى حومة الوغى ، ويستحيل صياح الديك إلى صرخة رجل وليه الرعب ، ويستجلب صرير الباب لصوفاً غزاة . »
« فإن انزاح عنا الغطاء في أثناء الليل فقد نرى أننا نتجول عرايا أو نقع في الماء ، وإن استلقينا على السرير بعرضه وتجاوزت قدمانا حده حلمنا بالوقوف على شفا جرف مروع أو بالسقوط من مرتفع شديد الانحدار . وإن اتفق أن اندفن رأسنا تحت الوسادة حلمنا بصخرة ضخمة معلقة من فوقنا ، نوشك أن نقبرنا تحت ثقلها . وتراكم المني تنتج عنه أحلام معسولة بينما تؤدي الآلام الموضعية إلى تخيل معاملة مغلظة أو هجوم عدائي أو أذى يلحق الجسم . . . »

« وحلم ماير (١٧٥٨ ، ٣٣) ذات مرة بنفر من الرجال هجموا عليه وطرحوه أرضاً ثم جعلوا يدقون وتداً في الأرض بين إصبع قدمه الكبير والإصبع الذي يليه . وبينما كان يتخيل ذلك في الحلم ، استيقظ فرأى قشة لصقت بين إصبعيه هذين . ويحكى هـننجر (١٧٨٤ ، ٢٥٨) عن ماير أيضاً أنه قد حلم في مرة أخرى بالشتى إذ كان قميصه مشدوداً إلى عنقه شداً أحكم وثاقه بعض الشيء . وحلم هوفباور وهو شاب بأنه يسقط من فوق جدار عال ، فلما استيقظ رأى أن قائمة السرير قد تهافت وأنه وقع على الأرض حقيقة . . . ويروى جريجورى أنه نام مرة وزجاجة من الماء الساخن على قدميه ، فرأى في الحلم أنه يصعد قمة جبل إتنا حيث كانت حرارة التربة لا تطاق . وحلم رجل آخر ، نام بعد أن وضع كمادة ساخنة على رأسه ، بجماعة من الهنود الحمر يتزعمون شواته ، في حين هيئ إلى ثالث ، نام في

جلباب مبلول ، أن تيار ماء يحرقه . وكانت نوبة من نوبات التقرس طرأت فجأة في خلال النوم سبباً قذف في روع مريض أنه مائل بين يدي محكمة التفتيش ممدداً على خشب التعذيب (ماكنيش) . »

ومن شأن الحجة المستندة إلى التماثل بين المنبه ومحتوى الحلم أن تزيد قوة إذا أمكن أن ندخل منبهاً حسياً ما على النائم إدخالاً متعمداً فتثير عنده حلماً يتفق وهذا المنبه . ولقد سبق جيرو دى بوزارانج ، على ما يرويه ماكنيش ، إلى أمثال هذه التجارب : « ترك ركبته عارية ، فحلم أنه يسافر ليلاً في إحدى عربات البريد . وهو يلاحظ بهذه المناسبة أن المسافرين بهذه العربات يعلمون من غير شك كم تبرد ركبهم في أثناء الليل . وفي مرة أخرى ترك مؤخر رأسه عارياً فحلم بأنه يشارك في أداء أحد الطقوس الدينية في الهواء الطلق — وكان من عادات البلد الذي عاش فيه أن تغطي الرأس دائماً إلا في مثل هذه المناسبة . »

وحديثاً أورد مورى بضع ملاحظات عن أحلام عمد إلى إثارتها في نفسه (وإن لم تؤد بضعة تجارب أخرى له إلى نتيجة ما .)

١ — هُيِّجَت شفتاه وأرنية أنفه بريشة ؛ فحلم بلون مروع من ألوان التعذيب : قناع من القطران يلصق على وجهه ثم يترع عنه فينسلخ معه الجلد .

٢ — حُكَّ مقص على ملقاط ؛ فسمع قرع أجراس ، ثم دقات ناقوس الخطر ، ثم إذا هو يعود إلى أيام [ثورة] يونيه من عام ١٨٤٨ .

٣ — أدنى ماء الكولونيا من شمه ؛ فرأى نفسه في القاهرة في محل جان ماريا فارينا ، ثم تبعت ذلك مغامرات مجنونة لم يستطع ذكرها .

٤ — قرص عنقه قرصاً خفيفاً ؛ فحلم بدهان من الخردل يوضع عليه ، وفكر في طبيب كان يعالجه في طفولته .

٥ — قرب حديد موقد من وجهه ؛ فحلم بجماعة من « الموقدين »^(١) اقتحموا المنزل وأرغموا أصحابه على تسليم نقودهم بزج أقدامهم في السعير ، وعندئذ دخلت دوقه آبرانتس التي كان يعتقد في الحلم أنه كاتب سرها .

(١) Chauffeurs اسم أطلق على عصابات من اللصوص انتشروا في مقاطعة الفانديه [في أيام الثورة الفرنسية] وكانوا يلجأون إلى هذا اللون من التعذيب .

٨ - أسقطت قطرة من الماء على جبهته ؛ فأخذ يتصبب عرقاً في إيطاليا ويشرب من نبيذ أورثيتو الأبيض .

٩ - أسقط نورشمعة على وجهه من خلال ورقة حمراء ؛ فحلم بساء مكفهرة وسُعار وبعاصفة بحرية كان قد شهداها في قناة المانش .

وروى دُرْفاى وفيجانت وغيرهما محاولات أخرى في إحداث الحلم بالتجريب . ولقد عقب كثير من الكتاب على « قدرة الحلم العجيبة على أن يدخل في نسيجه انطباعاً مفاجئاً آتياً من العالم الخارجى بحيث يظهر هذا الانطباع في الحلم في صورة كارثة سبق التمهيد لها وسوقها بالتدرج » (هيلد برانت) . ويمضى هذا المؤلف فيقول : « كنت أستخدم في سنى الشباب منبهاً لكى أستيقظ في ساعة معينة من كل صباح . ولقد حدث مئات من المرات أن أدرج الصوت المنبعث عن هذه الآلة في حلم يبدو بالغ الطول مترابط الأجزاء إدراجاً محكماً ، حتى ليهاً إلينا أن الحلم كله إنما كان يمهّد لهذا الصوت خاصة ، وأنه قد وجد فيه حده المنطقي اللازم أو خاتمته الطبيعية المرسومة . »

هذا ولن ألبث طويلاً دون أن أذكر في مناسبة أخرى ثلاثة من أحلام رنين المنبه هذه . ويقول فولكلت (١٨٧٥ ، ١٠٨) : « حلم مؤلف موسيقى بأنه في حجرة الدراسة يحاول توضيح مسألة من المسائل لتلاميذه . فلما فرغ استدار إلى أحد الصبية يسأله : هل فهمتني ؟ فصرخ الصبي كمن به مس : أه يا ! [أى نعم] ، فطلق الحلم يعنف الولد على هذا الصراخ المزعج ، ولكن الفصل جميعه انطلق في صرخات كانت في أول الأمر : أريا ! ، ثم صارت أويريو ! ، ثم فويريو ! ^(١) . وهنا أيقظت النائم صرخات استغاثة من النار كانت تنبعث من الطريق حقيقة . »

وينقل رادشتوك عن جارنييه (١٨٦٥) أن انفجاراً أيقظ نابليون الأول وهو نائم في إحدى العربات من حلم رأى فيه أنه يعبر [نهر] التاليامنتو تحت ضرب المدافع النمسية إلى أن هب مذعوراً وهو يصيح : « لقد بثت الألغام تحتنا » .

ولورى (١٨٧٨ ، ١٦١) حلم اشتهر أمره : ذلك أنه كان مريضاً يلزم الفراش في غرفته وإلى جواره أمه ، فرأى فيما يرى النائم أن الوقت وقت حكم الإرهاب في عهد الثورة [الفرنسية] ، وجعل يشهد بعض مناظر الموت المروعة ، ثم دُعى إلى المثول أمام المحكمة ،

(١) [الأولى والثانية لا معنى لها ، والثالثة هى الصرخة المأوفاة عند الحريق .]

وهناك رأى روبسبير ومارا وفوكيه - تانفيل وسائر الأبطال المفجعين لهذا العهد الرهيب .
وسأله هؤلاء الحساب ، ثم بعد عدة من التفاصيل لم يعد يذكرها أدين وسنيق إلى ساحة
الإعدام يحيط به جمهور لا حصر له . وصعد موري على المنصة وشده الجلاد إلى العارضة
وانقلبت هذه وهوى نصل المقصلة وخس موري برأسه يفصل من جذعه فاستيقظ في هيلة
بلغت آخر الفظاعة - فإذا هو يتبين أن رأس السرير قد سقط فأصاب عموده الفقرى عند
العنق مثلما يفعل نصل المقصلة حقيقة .

ولقد كان هذا الحلم مثار مناقشة ممتعة بين لولوران وإيجر ، دارت رحاها في « المجلة
الفلسفية » ^(١) ، وكان موضوع المناقشة هو : هل أمكن الحلم أن يحشر مادة بلغت هذا
المبلغ من الرءاء الفائق - على حسب الظاهر - في البرهة الوجيزة المنقضية بين إدراك المنبه
الموقظ واليقظة نفسها ؟ وكيف كان ذلك ؟

ومن شأن الأمثلة التي من هذا القبيل أن تجعل المنبهات الحسية الموضوعية الطارئة في
خلال النوم تظهر بمظهر أشد مصادر الحلم ثبوتاً ، وهي أيضاً - أعني هذه المنبهات - تلك
التي يعرف لها غير المختصين شأناً ما . فلو قد سألت رجلاً من عامة المثقفين لا ألفة له بما
كتب عن الأحلام : كيف تنشأ هذه ؟ لكان من الحق أن يجيبك بإشارة إلى مثال صادفه
عُلم فيه الحلم بمنبه حسي موضوعي تبينه الحلم بعد استيقاظه . وأما البحث العلمي فلا
يستطيع الوقوف عند هذا الحد ، بل يرى ما يدعو إلى إثارة أسئلة أخرى ؛ لما يلاحظه من
كون المنبه الذي يطبع حواسنا في خلال النوم لا يظهر في الحلم بصورته الحقيقية ، بل تحل
محله صورة أخرى مرتبطة به برباط ما . ولكن هذا الرباط بين منبه الحلم والحلم الناجم عن
هذا المنبه إنما هو - بتعبير موري (١٨٥٣ ، ٧٢) - « مناسبة ما ، ولكنها ليست بالفريدة
المانعة » ^(٢) . فلو أننا نظرنا في ثلاثة من أحلام رنين المنبه التي يرويها هيلد برانت ، لم يكن
بد من السؤال : لماذا أثار المنبه الواحد ثلاثة أحلام متغايرة ؟ ولماذا أثار هذه دون غيرها ؟

يقول هيلد برانت (١٨٧٥ ، ٣٧) : « هأنذا في صبيحة يوم من أيام الربيع أتروض
بين الحقول الآخذة في الاخضرار حتى أبلغ قرية مجاورة فأرى أهلها وقد برزوا في أحسن
ثيابهم وتأبطوا كتب التراتيل متوجهين زرافات إلى الكنيسة . طبعاً ! فالיום يوم الأحد

[“Revue Philosophique”]

(١)

[Une affinité quelconque, mais qui n'est pas unique et exclusive.]

(٢)

وصلاة الصباح الباكر تؤذن بالبدأ . فأعقد العزم على حضورها ، بيد أننى — وقد شعرت بالحر قليلاً من أثر المشى — أذهب أولاً إلى الفناء المحيط بالكنيسة أتمس نفحة من البرد . وبينما أقرأ بعض شواهد القبور سمعت قارع الأجراس يصعد البرج ، وها هو ذا جرس الكنيسة أراه فى أعلى البرج يوشك على الدق إيداناً ببدء العبادة . إنه يظل برهة معلقاً حيث هو ، بلا حراك . ثم فجأة أخذت دقاته فى الدوى جليلة نفاذة . وكان من مبلغ جلالها ونفاذها أنها أطارت نوى — ولكن الرنين كان رنين المنبه فى الساعة الموعودة .

« وها هو ذا مثال ثان : اليوم يوم وضىء من أيام الشتاء ، والشوارع يكسوها ثلج سمك . وكنت على موعد والبعض لثمة فى مزقة . وكان على أن أنتظر فترة طويلة قبل أن يعلن مجيء المزلقة الباب . ويبدأ إعداد المزلقة لركوبها : سجادة الفراء تبسط ، ومدافئ الأقدام تعد ، وفى النهاية أتخذ مكانى . ومع هذا ظلت لحظة الرحيل مرجأة ، إلى أن هُزّت اللجم تؤذن للخيول المترقة بالانطلاق . وتنطلق هذه وتهز أجراس المزلقة هزاً عنيفاً ، مرسله جليجلتها المألوفة الأشبه بموسيقى الانكشارية — مرسله إياها فى عنف كان من أثره أن تمزقت شبكة الحلم العنكبوتية فى لحظة البصر تمزيقاً . ومن جديد لم يكن غير المنبه برنينه الحاد .

« ومثال ثالث : أرى خادماً تتقدم فى البهو المؤدى إلى غرفة الطعام وهى تحمل عشرات من الأواني الخزفية رُص بعضها فوق بعض . وبدا لى أن عمود الخزف الذى تحمله بين ذراعها فى خطر من أن يختل توازنه ، فصحت محذراً : انتبهى وإلا سقط حملك كله ! وتعقب هى بالطبع بالجواب المحتوم : إنها قد ألقت مثل هذا العمل من قبل . . . إلخ . وفى أثناء ذلك أستمع على متابعة هذا التأرجح بعين قلق . ولا يحجب ظنى . فها هى ذى تعثر بعتبة الباب وتترلق الأواني الهشة وتقعقع وتقرقع متناثرة على الأرض فى مئات من القطع . ولكنى لا ألبث أن أتبين أن هذا الدوى الذى لا ينتهى ليس قرقة بل رنيناً حقيقياً — رنيناً أعلم منه وأنا أعود إلى نفسى المستيقظة أن المنبه يؤدى واجبه . »

ويكاد السؤال عن السبب الذى من أجله تخطئ النفس فى الحلم طبيعة المنبهات الحسية الموضوعية أن يلقي جواباً واحداً من شرومبل وفونت جميعاً . وهذا الجواب هو أن استجابة النفس فى الحلم تجاه ما يصل إليها من المنبهات فى أثناء النوم تتم تحت شروط تعين على تكوين الأوهام . ذلك لأننا نعرف انطباعاً حسياً ما ، نفسره تفسيراً صحيحاً ، أى ندرجه فى طائفة الذكريات التى ينتمى إليها بحسب خبراتنا السابقة جميعها ، إذا توافر لهذا

الانطباع حظ كاف من القوة والحلاء والدوام ، وإذا توافر لنا وقت يكفى عملية تعرفه . فإذا انتفى هذان الشرطان أخطأنا الموضوع الذى يصدر عنه الانطباع وهمنا فيه . « فلو أن رجلاً خرج إلى الحقول فرأى عن بعد موضوعاً ما رؤية غير متميزة ، فقد يظنه فى مبدأ الأمر حصاناً . » فإن قرب منه فقد يفسره ببقرة راقدة ، ثم قد ترد الصورة أخيراً على وجه التحديد إلى جماعة من الناس جلوس على الأرض . وهكذا الشأن فى الانطباعات التى تتلقاها النفس أثناء النوم ، فطبيعتها تخلو بالمثل من التحديد ، وعلى أساسها تقيم النفس الأوهام ، من حيث إن الانطباع يثير عدداً كبيراً أو صغيراً من الصور الذكورية التى من طريقها تحصل للانطباع قيمته النفسية . ولكن من أى طائفة من عديد طوائف الذكريات التى تدخل عندئذ فى الاعتبار سوف تستثار الصور التى تنسب إلى الانطباعات ؟ وأى روابط من روابط التداعى سوف تعمل عملها فى ذلك ؟ هذا أيضاً ما يظل فى نظرية شرومبل من غير تحديد ، كأنه أمر متروك لأهواء النفس .

وهنا نواجه اختياراً بين أحد أمرين : فإما أن نسلم تسليمنا بحقيقة واقعة بأن من المحال متابعة القوانين التى تحكم تكوين الأحلام إلى أبعد من هذا المدى ، وعلى ذلك نمتنع عن البحث فيما إذا كانت هناك شروط أخرى تحم التفسير الذى يخلعه الحلم على الوهم الذى استدعاه الانطباع الحسى ، وإما أن نقدر أن المنبه الحسى الذى يبلغ النظم إنما هو مصدر متواضع فى توليد الحلم وأن هناك عوامل أخرى تحدد اختيار الصور الذكورية التى تثار فيه . والحقيقة هى أننا إذا فحصنا أحلام مورى المحدثنة بالتجريب - وهى أحلام أفضت فى ذكرها من أجل هذا الغرض - رأينا ما يغرينا بالقول : إن التجربة لاتبين فى الحقيقة سوى مصدر عنصر واحد من عناصر الحلم ، وأما سائر محتواه فيبدو أكثر استقلالاً وأكثر تعييناً فى جزئياته من أن يعلله اقتضاء واحد كضرورة موافقته للعنصر المدخل من الخارج بالتجريب . نعم إن المرء لا يلبث أن يتشكك فى نظرية الوهم وفى قدرة الانطباعات الموضوعية على تشكيل الحلم حين يرى أن هذه الانطباعات تخضع أحياناً فى الحلم لأغرب التفسيرات وأبعدها . مثال ذلك ما يحدثنا به م . سيمون من حلم رأى فيه أشكال عمالقة جلسوا إلى مائدة وسمع لأفكهم طقطقة رهيبية وهم يمضغون ، فلما استيقظ سمع حوافر حصان يركض قريباً من نافذته . فإذا كان وقع حوافر الحصان قد أثار فى هذه الحالة بالذات أفكاراً من نطاق الذكريات المحفوظة عن « رحلات جاليفر » ، مثل الإقامة بين عمالقة

« برويدينجناج » والإقامة بين المخلوقات الفاضلة المصورة على صورة الحياد — هذا إذا جاز لى أن ألقى بتخمين محض دون سند من الحالم نفسه — أفلا يرجح أن تكون هناك دوافع أخرى عدا المنبه الموضوعى هى التى سهلت انتقاء طائفة من الذكريات هذا مدى بعدها عن المألوف (١) ؟

٢ — التهييجات الحسية الداخلية (الذاتية)

من الواجب أن نسلم بأن نصيب المنبهات الحسية الموضوعية فى إثارة الحلم يظل غير منازع ، مهما كان من أمر اعتراضاتنا . وإذا كانت مثل هذه المنبهات تبدو من حيث طبيعتها ومدى تردها غير كافية فى تعليل كل صور الحلم ، فإنما يحثنا ذلك على أن نلتمس للحلم مصادر أخرى تعمل مثل عملها . ولست أدري متى انبعث للمرة الأولى الفكرة الداعية إلى أن يحسب حساب التهييجات الداخلية (الذاتية) لأعضاء الحواس إلى جانب المنبهات الحسية الخارجية ، ولكن الواقع هو أن جميع المؤلفات الحديثة فى علية الحلم تنص على ذلك نصاً صريحاً ينقص فى صراحته أو يزيد . فيقول فونت (١٨٧٤ ، ٦٥٧) : « وأعتقد أن جزءاً جوهرياً من أوهام الحلم يرجع كذلك إلى الإحساسات الذاتية البصرية والسمعية التى نألفها فى حال يقظتنا فى صورة نقاط وضاءة تسرح فوضاها فى حقل البصر إذا أظلم ، أو طنين أو صفير فى الأذن ، إلى آخر هذه الإحساسات التى تدخل ضمنها التهييجات الذاتية للشبكية بنوع خاص . وهذا هو ما يعلل ميل الحلم للمحوظ إلى أن يهر أبصارنا بموضوعات زاهرة تماثل هذه الإحساسات أو لا تفرق منها ، فينشر أمامنا عدداً لا حصر له من الطيور أو الفراشات أو الأسماك أو الخرز الملون أو الزهور . إلخ . فالغبار المضيء فى حقل البصر المظلم قد اتخذ هنا أشكالاً ممعنة فى الخيال ، والحيبيات المتكثرة التى يتكون منها هذا الغبار قد صار منها عدد يناظرها من متفرق الصور أدرج فى جوف الحلم ، وتلوح

(١) إن ظهور الأشخاص الذين لم أحجام المألوفة فى الحلم يجعلنا نقدر أن الحلم يمس مشهداً من طفولة

الحالم .

ويبقى بعد ذلك أن التفسير الذى أوردته لهذا الحلم بالإشارة إلى ذكريات من رحلات جاليفر مثال طيب ما يجب ألا يكون عليه تفسير الحلم : فن الواجب على من يفسر الحلم ألا يطلق العنان لقرينته مهما مستدعيات

الحالم .

هذه الصور فى هيئة موضوعات متحركة ؛ لحركة هذا الحليط كله . وهذا ولا شك هو أيضاً الأساس فى ولع الحلم العظيم بصور الحيوان على أنواعها ؛ لأن فى هذه الصور من التنوع والثراء ما يستطيع أن يجارى من غير عناء الأشكال المغربية التى تتخذها الصور الضوئية الذاتية . »

وللهيجات الحسية الذاتية من حيث هى مصدر من مصادر صور الحلم مزية واضحة على المنبهات الموضوعية ؛ فهى لا تتوقف على مثل هذه الصدف الخارجية ، بل تقف طوع اليد — إن جاز التعبير — كلما دعت إلى ذلك حاجة التعليل . ولكنها لا تخرج غائمة من مقارنتها بالمنبهات الحسية الموضوعية ، من حيث أن نصيبها فى إثارة الحلم يصعب إثباته بالملاحظة والتجريب بل يتعذر ، على عكس الحال فى المنبهات الموضوعية . فالشاهد الوحيد الذى يؤيد قوة الهيجات الحسية الذاتية على إثارة الحلم يتلخص فيما يعرف باسم هلاوس ما قبل النوم التى يصفها يوهانس موللر بقوله : إنها « ظواهر خيالية بصرية » . وهذه الظواهر صور يغلب أن تكون شديدة الوضوح ، سريعة التغير ، تنزع إلى الظهور — ظهوراً مطرداً عند الكثير من الناس — فى فترة الأخذ فى النوم ، وقد تدوم أيضاً برهة بعد فتح العينين . ولقد درس مورى هذه الظواهر التى كانت تعرض له كثيراً ، وانتهى إلى تأكيد صلتها بصور الحلم بل وحدتهما (مثلما صنع موللر من قبله) . ويقول مورى : إن إحداث هذه الظواهر يستلزم قدراً معيناً من الاستسلام النفسى ، بعضاً من الإرخاء لجهود الانتباه (١٨٧٨ ، ٥٩ وما يليها) . بيد أنه يكفى أنه تحل بالمرء حالة سبات من هذا القبيل لا تزيد مدتها على الثانية لكى تقع إليه هلوسة قبنومية (بشرط أن يكون عنده الاستعداد الضرورى) ، وقد يستيقظ المرء بعد ذلك مرة ثانية ، ويتكرر هذا اللعب ، إلى أن يضع له النوم حداً . ووجد مورى أنه كان إذا عاد إلى الاستيقاظ بعد برهة ليست بالطويلة أمكنه أن يتبين فى حلمه ذات الصور التى تأرجحت أمام ناظره فى صورة هلاوس قبنومية ، قبل أن يأخذه النوم (ص ١٣٤ ذات المرجع) . فى ذات مرة أخذت أشكال ممسوخة شامت وجوها وتقلنسبت بقلنسوات غريبة الهيئة ، أخذت تلح عليه قبل أن يغلبه النوم فى الحاجة تفوق التصور ، فلما استيقظ تذكر أنه قد حلم بها . وفى مرة أخرى — وكان يعانى ألم الجوع فقد أخذ نفسه بنظام محدد فى التغذية — لاحظ له رؤيا قبنومية من طبق ويد مزودة بشوكة تتناول منه الطعام ، فلما نام حلم بمائدة حافلة وسمع صوت

الآكلين بأشواكهم . وحدث بعد في مرة ثالثة أنه شرع في النوم وعيناه مهتاجتان موجعتان فقرأت له هلوسة قبنومية عن علامات غاية في الدقة لم يستطع فكها إلا واحدة فواحدة بمشقة بالغة ، فلما استيقظ بعد ساعة من النوم تذكر حلماء رأى فيه كتاباً طبع بحروف صغيرة جداً كان يقرأها بمشقة بالغة .

ولقد تخطر قبيل النوم أيضاً هلاوس سمعية بالفاظ أو أسماء أو غيرها — على نحو ما تفعل الصور البصرية — ثم تتردد هذه الهلاوس بعد ذلك في حلم ما ، مثلما تعلن فاتحة عن رؤوس الموضوعات النغمية المقدر سماعها في الأوبرا اللاحقة .

وعلى منهاج شرومبل ومورى نهج باحث أحدث عهداً هوج . ترمبال لاد . فقد أمكنه ببعض المرات أن يفلح في إيقاظ نفسه فجأة دون أن يفتح عينيه بعد أن ينام نوماً تدريجياً ، تتراوح مدته بين الدقيقتين والخمس دقائق ، وبذا أمكنته المقارنة بين الأحاسيس الشبكية التي تكون آخذة في الانحاء آنئذ وصور الحلم المتبقية في الذاكرة . وهو يؤكد أننا نجد في كل حالة علاقة باطنية بين الطرفين : فنقاط الضوء الشبكي أو خيوطه تزودنا — إن جاز التعبير — برسم مجمل أو يباين للأشكال المدركة في الحلم إدراكاً نفسياً . مثال ذلك حلم رأى فيه نفسه منكبا على قراءة سطور مطبوعة انتشرت أمامه في وضوح ، وكانت تقابل هذا الحلم في الشبكية مجموعة من النقاط المضئية تنضدت في خطوط متوازية ، أو بتعبيره نفسه : لقد حالت الصفحة المطبوعة طبعاً جلياً في الحلم إلى موضوع لاح لإدراكه المستيقظ كأنه قصاصة من صفحة مطبوعة حقيقة ، ينظره إليها المرء من خلال ثقب في ورقة ، على مسافة لا تسمح له بأن يستخلص منها شيئاً ما استخلاصاً واضحاً . ويرى لاد — دون أن ينتقص شأن العوامل [الخية] المركزية — أنه لا يكاد يكون ثمت حلم بصرى واحد لا تشارك فيه مادة مصدرها التهييج الداخلي لشبكة العين . ويصدق ذلك بنوع خاص على الأحلام التي تعقب النوم في غرفة مظلمة ، وأما مصدر التنبيه في الأحلام التي تقع في الصباح قبيل الاستيقاظ ، فهو الضوء الموضوعي الذي ينفذ إلى العينين في غرفة أخذ يغمرها النور . وإن ما يتميز به تهيج الضوء الشبكي من طابع التغير والتقلب غير المنقطعين ليساير ما تطالعا به الأحلام من التعاقب المستمر للصور أدق مسaire . فإذا علقنا على ملاحظات لاد هذه أهمية ، لم نستطع الاستهانة بما لهذه المصادر الذاتية للتنبيه من أثر في

الحلم ؛ فالصور كما نعلم هى المقوم الرئيس للأحلام . وأما نصيب الحواس الأخرى - فيما خلا السمع - فقليل الأهمية ، غير موصول .

٣ - المنبهات الجسمية الداخلية العضوية

أما وقد أخذنا نلتمس مصادر الحلم فى داخل الكائن العضوى وليس خارجه ، فنن الواجب علينا أن نذكر أن جميع أعضائنا الباطنة على التقريب - وإن تكن لا تكاد توقفنا على شئ من أمرها وهى فى حالة الصحة - تصبح مصدراً لإحساسات ذات نوع أليم فى الأغلب إذا اتفق وجودها فيما نسميه حالات التهييج أو فى خلال المرض ؛ ولهذا وجبت مساواتها بالمنبهات الحسية أو الأليمة التى تصل إلينا من الخارج . ولا يعدو شروميل أن يعرب عن خبرة قديمة قدم الزمن إذ يقول (١٨٧٧ ، ١٠٧) : « إن النفس تصير فى أثناء النوم أعمق وأشمل إحساساً بجسميتها منها فى يقظتها ، وهى تضطر فى خلاله إلى أن تستقبل ما لا حس لها به فى يقظتها من انطباعات تصدر عن أجزاء من الجسم أو عما يصيب الجسم من التغيرات ، وتضطر إلى التأثير به » ؛ فقد كان من رأى أرسطو على مبلغه من القدم أن من الممكن كل الإمكان أن يستشعر المرء فى أحلامه مبادئ مرض لم يستطع أن يلحظ شيئاً منها فى حياة اليقظة ، وذلك لما يصيب الانطباعات من التجسيم على يد الحلم (انظر ما سبق فى ص ٤٤) . وهناك كتاب أطباء لا شك فى بعدهم عن الاعتقاد بقدرة الأحلام على التنبؤ ، وهم مع هذا قد سلموا لها بهذه الدلالة فيما يتعلق بالإنباء بالمرض على الأقل . (أنظر سيمون ، ١٨٨٨ ، ٣١ وكثيراً من المؤلفين السابقين عليه .)^(١)

(١) من الواجب أن نذكر أهمية الأحلام العلاجية بين القدماء ، إلى جانب ما كان يعزى إليها (عند هيبوقراط مثلاً) من هذه القيمة التشخيصية .

لقد كانت عند اليونان معابد تقضى فيها كهانة الأحلام . وكان من عادة المرضى أن يزوروا هذه المعابد ، فيدخل المريض معبد أبوللو أو آيسكلابيوس ، وهناك يؤدى طقوساً مختلفة ، فيغسل ويدك ويعطر ثم يمد وقد أخذته الآخذة على جلد كبش قدم قربانا . ثم بعد ذلك يستسلم المريض للنوم ، فيحلم بعقاير شافية قد تتراعى له فى أشكالها الطبيعية أو فى رموز وصور يتولى الكاهن عندئذ تفسيرها .

وللاستزادة فى موضوع الأحلام الطبية عند اليونان انظر : ليان (١٩٠٨ ، ١ ، ٧٤) وبوشيه لوكليز وهرمان (١٨٥٨ ، ٤١ ثم ١٨٨٢ ، ٣٨ ، ١٦) وبوتينجر (١٧٩٥ ص ١٦٣ وما بعدها) ، ولويد (١٨٧٧) ، ودولينجر (١٨٥٧ ، ١٣٠) .

ويبدو أن الأمثلة على قوة الأحلام التشخيصية لا تعدم مصدقين في الأزمنة الحديثة .
فهكذا ينقل تيسيه عن أرتيج (١٨٨٤) قصة امرأة في الثالثة والأربعين من عمرها ظلت
تعذبها أحلام هيلة ^(١) طوال بضع سنوات على رغم ما كان يبدو من اكتمال صحتها ، ثم كان
أن فحصها الأطباء فوجدوا بها مرضاً بادئاً من أمراض القلب لم يلبث أن أنفذ فيها فعله .

وأما الاضطرابات السافرة التي تصيب الأعضاء الباطنية ، فواضح أنها تعمل على إثارة
الحلم في عدد كبير من الحالات . فشيوع أحلام الهيلة وأمراض القلب والرئتين أمر يعلمه
الجميع . ولقد أبرز هذا الجانب من جوانب الحياة الحاملة مؤلفون متعددون ، حتى أنني أقنع
بمحض الإشارة إلى ما وضع في هذا الباب : رادشوك ، شبيتا ، موري ، م . سيمون ،
تيسيه ، بل إن من رأى تيسيه أن نوع العضو المريض يضيء على محتوى الحلم سماته الخاصة :
فأحلام من يعانون أمراض القلب وجيزة في العادة وتنتهي إلى نهاية مروعة في لحظة اليقظة ولا
يكاد يكون بينها حلم إلا تضمن محتواه بعض مواقف الموت الرهيب ، وأما المصابون بأمراض
الرئتين فيحلمون بالاختناق والرحام والفرار وهم يستهدفون إلى درجة ملحوظة للكبوس المؤلف
الذي أفلح بورنر في إثارته إثارة تجريبية : بالنوم مستلقياً على الوجه أو بسد الفتحات
التنفسية . فإذا اضطرب الحضم تضمنت الأحلام أفكاراً تتعلق بالاستمتاع بالطعام أو
الاشمئزاز منه ، وأخيراً فآثر التهيج الجنسي في محتوى الحلم شيء يستطيع كل امرئ أن
يقدره حق قدره بالرجوع إلى خبرته ، وهو الذي يزود نظرية المنبهات العضوية جميعها
بأقوى سندها .

وفوق هذا ، ما من أحد تغلغل فيما كتب في هذا الموضوع إلا تبين أن بعض المؤلفين
(مثل موري وفيجانت) قد ذهبوا إلى الاشتغال بمشكلات الحلم للأثر الذي كان
لأمراضهم أنفسهم في محتوى أحلامهم .

غير أن هذه الوقائع — وإن ثبتت من وراء كل شك — ليس لها الخطر الذي قد نظنه
من حيث ما تضيفه إلى دراسة مصادر الحلم ؛ فالأحلام ظواهر تقع للأصحاء — وربما
كانت تقع لهم جميعاً وربما كان وقوعها في كل ليلة — فمن الواضح أن المرض العضوي
لا يمكن أن يعد بين شروطها اللازمة . والذي يشغلنا ليس مصدر هذا الفريق من الأحلام
أو ذاك ، بل المصادر الباعثة على مألوف الأحلام عند السوي من الناس .

(١) [أنظر الهامش الموضوع في صفحة ١٨٤ عن هذه الكلمة .]

ومع هذا فما نحتاج إلا إلى أن نخطو بعد ذلك خطوة لكي نجد مورداً من موارد الحلم يفوق كل ما سبق ثراء ، مورداً يبدو كأنه لن ينضب له معين . ذلك لأنه إذا كان من المؤكد أن باطن الجسم يصير حين المرض مصدر منبهات للأحلام وكنا نسلم بأن النفس إذ تنصرف في أثناء النوم عن العالم الخارجي تتمكن من التحول بقسط أعظم من انتباهها إلى باطن الجسم ، لم يصعب علينا أن نفترض بعد ذلك أن أعضاءنا الباطنية ليست بحاجة إلى أن تمرض أولاً لكي تتمكن ثانياً من حمل النفس النائمة على أن تتلقى منها التهييجات التي تنقلب إلى صور في الحلم على نحو من الأنحاء . فالحساسية العامة بالجسم ^(١) التي ندركها في خلال اليقظة إدراكاً مبهماً في صورة كيف غامض لمزاجنا وحسب ، والتي تشترك في بثها أنظمتنا العضوية جميعاً — على ما يرى الأطباء — تسمى في أثناء الليل ، إذ يشتد تأثيرها ويتميز فعل كل مقوم من مقوماتها ، أقوى المصادر الباعثة على صور الحلم وأكثرها شيوعاً . وإذا كان الأمر كذلك لم يبق إلا أن نستقصى القوانين التي تتحول المنبهات العضوية بمقتضاها إلى صور حلمية .

تلك — في منشأ الحلم — هي النظرية التي تحظى بإيثار المؤلفين الأطباء قاطبة . وإن الغموض الذي يحجب عن معرفتنا لب وجودنا (” الأنا الحشوي“ ^(٢) — بتعبير تيسيه) ، ثم هذا الذي يشمل بظلامه نشأة الحلم ليتوافقان توافقاً لم يترك للفكر مناصاً من التقريب بينهما . وسبب آخر جعل لهذه الوجهة في التفكير التي ترجع صور الحلم إلى الإحساسات العضوية النباتية جاذبية خاصة في أعين الأطباء : هو كونها تسمح بتعليل موحد للحلم وللاضطراب العقلي على السواء — وهما اللذان تكثر أوجه التطابق بين مظاهرها أيما كثرة . ذلك أن تغيرات الحساسية العامة بالجسم وكذلك المنبهات المنبعثة من الأعضاء الباطنية تحسب لها جميعاً خطورة قصوى في نشأة حالات الذهان أيضاً . وما من عجب بعد ذلك إذا أمكن أن نتبع نظرية التنبيه العضوي إلى أكثر من داعية توصل إليها مستقلاً .

ولقد كان للرأى الذي بسطه الفيلسوف شوبنهاور في سنة ١٨٥١ تأثير حاسم في فريق من الكتاب . فالصورة التي يظهر لنا العالم عليها تنشأ — وفقاً لرأيه — بأن يأخذ عقلنا الانطباعات التي تأتيه من الخارج فيصحبها في صور الزمان والمكان والعلية . ولا تحدث المنبهات

(١) [وهي المعروفة عندنا باسم ” الحساسية الحشوية . “]

(٢) [” moi splanchnique “]

المنبثة في أثناء النهار من داخل الكائن العضوى ، من المجموع العصبى السمبتاوى ، إلا تأثيراً لا شعورياً في مزاجنا على أكثر تقدير . فإذا جاء الليل ولم تعد تصم آذاننا انطباعات النهار استطاعت تلك المنبثة من الداخل أن تجتذب الانتباه ، مثلما نسمع في هدوء الليل خرير نبع أغرقته ضوضاء النهار . ولكن كيف للعقل أن يستجيب لهذه المنبهات إلا بأن يؤدي تجاهها وظيفته الخاصة به ؟ وعلى ذلك سوف تصاغ من هذه المنبهات موضوعات تشغل المكان والزمان وتخضع لقوانين العلية ، وهكذا تنشأ الأحلام . ولقد حاول شرر - ومن ورائه فولك - أن يستقصى بعد ذلك أمر العلاقة بين المنبهات الجسمية وصور الحلم ، إلا أنني أرجئ النظر في هذه المحاولة إلى القسم الخاص بنظريات الحلم .

وفي بحث بلغ مبلغاً ملحوظاً من التماسك المنطقي ، قام الطبيب النفسى كراوس [١٨٥٩ ، ٢٥٥] بتتبع منشأ الأحلام والأهذية والأفكار الهجاسية إلى عامل واحد ، هو الإحساسات ذات الأصل العضوى . ومن الصعب في رأيه أن نجد جزءاً واحداً في الكائن العضوى يعجز عن أن يكون مبدأ حلم أو هجاس . والإحساسات الناجمة عن شروط عضوية « تجوز قسمتها قسمين : (١) تلك التى يتكون منها مزاجنا العام (الحساسية العامة بالجسم) و (٢) إحساسات نوعية خاصة بالكائن العضوى النبائى . وهذه تنقسم بدورها خمسة أقسام : (أ) إحساسات عضلية (ب) تنفسية (ج) هضمية (د) جنسية » (هـ) خاصة بسطح الجسم . »

ويقدر كراوس أن نشوء صور الحلم من المنبهات الجسمية يتم على ذلك النحو : يستدعى الإحساس المثار صورة تناسبه على حسب قانون من قوانين التداعى ، ثم يتركب من هذه الصورة وهذا الإحساس بناء ذو ترابط عضوى ، إلا أن الشعور يسلك إزاء هذا المركب مسلكاً شاذاً . فهو لا يعير الإحساس انتباهاً ما بل يوجه انتباهه كله إلى الصورة المصاحبة - وهو ما يرينا في الوقت نفسه لم يزل هذا الوضع خافياً علينا طيلة هذا الزمن ^(١) . ويتندع كراوس اسماً خاصاً يصف به هذه العملية هو : الاستحالة الجوهرية للإحساس إلى صورة حلمية .

إن تأثير المنبهات الجسمية العضوية في تكوين الحلم أمر يكاد ينغقد عليه الإجماع اليوم . فإذا تساءلنا عن حكم العلاقة بين الطرفين ، افترقت الإجابات ولم تعد أن تكون

(١) [بمعنى أن انصراف الانتباه عن الإحساس جعل نصيب هذا الإحساس في نشأة الحلم ينحى علينا .]

منطوقات غامضة في الكثير من الأحيان . وذلك لأن تفسير الحلم تقع عليه الآن — بناء على نظرية التنبيه العضوى — مهمة خاصة ، هى تأثر محتوى الحلم إلى المنبهات العضوية التى أحدثته ؛ فإذا لم يأخذ المرء بقواعد التفسير التى نص عليها شرر [أنظر ص ١١٥ وما بعدها] رأى المرء نفسه في أحيان كثيرة يواجه تلك الواقعة الشائكة : وهى أن الشئ الوحيد الذى يتم على وجود المنبه العضوى هو على التحديد محتوى الحلم نفسه ليس غير .

بيد أن هناك قدراً لا بأس به من الاتفاق على تفسير الأنواع المختلفة من الأحلام المسماة أحلاماً « نمطية » لأنها تقع لأناس كثيرين مع تماثل كبير في محتواها . مثال ذلك تلك الأحلام المألوفة بالسقوط من عل أو بوقوع سن أو بالطيران أو بارتباك المرء لعره أو نقص ردائه . فهذا الحلم الأخير يعزى من غير مزيد إلى كون النائم يدرك أنه قد نحي الغطاء في أثناء نومه فاستهدف للهواء . ويعزى الحلم بسقوط الأسنان إلى منبه « سنى » — وإن لم يعن هذا بالضرورة أن هياج الأسنان الذى ينجم عنه الحلم هياج مرضى . وفى رأى شرر وميل أن حلم الطيران هو الصورة التى تراها النفس ملأمة لتفسير التنبيه الناجم عن صعود الرئتين وهبوطهما في وقت تهن فيه الأحاسيس الجلدية للقفص الصدرى حتى لا نعود نشعر بها — وهذه الملابس الأخيرة هى ما يؤدى إلى الإحساس المقترن بفكرة الطواف في الهواء . وأما حلم السقوط من عل ، فيقال : إن مرجعه هو أنه قد يتفق في غياب الشعور بأحاسيس الضغط الجلدى أن يمتد ذراع بعيداً عن الجسم أو تنبسط ركبة على غرة بعد انقباض ، ويكون من نتيجة هذه الحركة أو تلك أن يعود الإحساس بالضغط الجلدى إلى الشعور ، فيصور هذا الانتقال إلى الشعور تصويراً نفسياً بحلم السقوط (شرر وميل ، ١٨٧٧ ، ١١٨) . وموطن الضعف الواضح في هذه المحاولات على وجاهتها هو كونها تجعل هذه المجموعة من الأحاسيس العضوية أو تلك تدخل في نطاق الإدراك النفسى أو تغيب عنه ، إلى أن يتوافر لها المزيج الذى يوائم التعليل المنشود للحلم : وذلك دون استناد إلى أى شاهد آخر سوى ما تقول . وسوف تعرض لى فيما بعد فرصة العود إلى مسألة الأحلام النمطية ومنشأها . [أنظر صفحة ٢٥٨ وما بعدها .]

ولقد حاول م . سيمون أن يستخلص بعض القواعد التى بمقتضاها تحتم المنبهات العضوية محتوى الأحلام الناجمة عنها ، وذلك بالمقارنة بين طائفة من أمثال هذه الأحلام ، فيقول (١٨٨٨ ، ٣٤) : إذا اتفق في أثناء النوم أن جهازاً عضوياً يشارك مشاركة سوية

فى الإعراب عن انفعال ما قد هيجته علة خارجية التهييج الذى يقع له عادة بتأثير ذلك الانفعال ، جاء الحلم مشتملا على صورة ثلاثى الانفعال .

وتنص قاعدة أخرى (ص ٣٥) على أنه : إذا نشط فى أثناء النوم أحد الأعضاء أو هيج أو أزعج ، أتى الحلم بصور تتعلق بممارسة الوظيفة التى يقوم بها هذا العضو .

ولقد حاول مورلى فولد أن يثبت هذا التأثير الذى تقول به نظرية التنبيه الجسمى فى إحداث الحلم إثباتاً تجريبياً فى دائرة معينة ؛ فكان يغير وضع أطراف النائم فى أثناء النوم ثم يقارن بين التغييرات التى يحدثها والأحلام الناجمة عنها . وانتهى من ذلك إلى هذه النتائج :

١ - يطابق وضع الطرف الجسمى فى الحلم وضعه فى الحقيقة مطابقة تقريبية ، مثال ذلك أننا نرى العضو فى الحلم ساكناً وهو فى الحقيقة كذلك .

٢ - إذا حلم المرء بأن طرفاً من أطرافه يتحرك ، جاء أحد الأوضاع التى يمر بها الطرف فى حركته هذه مطابقاً وضعه الحقيقى .

٣ - قد ينسب الوضع الذى يوجد عليه طرف الحالم نفسه إلى شخص سواه .

٤ - قد يحلم الحالم بعائق يعوق الحركة التى يدخلها المحرب .

٥ - قد يظهر الطرف فى الحلم ، بعد أن يتخذ وضعاً تجريبياً ، فى صورة حيوان أو مسخ ، وفى هذه الحالة يثبت وجود تماثل ما بين الحدين .

٦ - يثير وضع الطرف أفكاراً فى الحلم لها بعض الصلة بهذا الطرف : مثال ذلك أننا نحلم بالأعداد إذا أدخل التغيير على الأصابع .

والذى أجنح إلى استخلاصه من أمثال هذه المكتشفات هو أن نظرية التنبيه الجسمى نفسها لا تنجح كل النجاح فى رفع ما يبدو عليه اختيار الصور المحدثة فى الحلم من مظهر التحرر من الحلم^(١) .

٤ - المصادر النفسية للتنبيه

علمنا ونحن ننظر فى علاقة الحلم بحياة اليقظة وفى منشأ مادته أن بحثة الحلم - لا فرق فى ذلك بين الأقدمين منهم والمحدثين - يرون أن الناس يحلمون بما يصنعون نهاراً ، وبما يشغل اهتمامهم وهم أيقاظ . هذا الاهتمام المنقول من حياة النهار إلى النوم ليس قيداً نفسياً

(١) لقد نشر هذا المؤلف منذ ذلك الحين مجلدين ضمنهما تجاربه أشير إليهما فيما بعد . [أنظر ص ٢٤٣

وحسب ، رباطاً يشد الحلم إلى الحياة ، إنه أيضاً مورد من موارد الحلم لا يبخس قدره ، مورد ربما كان كافياً أن يعلل صور الحلم جميعاً لو أننا أضفنا إليه الأشياء التي ينجذب إليها اهتمام النائم ، أى المنبهات التي تعمل عملها في خلال النوم . بيد أننا سمعنا أيضاً نقيض هذا الرأي : سمعنا أن الحلم يبعد النائم عن اهتمامات النهار وأن القاعدة هي أننا لا نبدأ نحلم بالأشياء التي تشغل جل اهتمامنا في النهار إلا بعد أن تفقد ما يمتاز به كل طريف من قدرة على الإثارة . وهكذا نصادف في كل خطوة نخطوها في سبيل تحليلنا للحياة الحاملة ما يشعرونا بأنه قد حرم علينا . أن نضع قاعدة عامة بغير التحوط بقيود من « كثير » و « عادة » و « في معظم الأحيان » ، ودون أن نهيب أنفسنا للتسليم بصحة الشواذ .

ولو أن اهتمامات اليقظة بالإضافة إلى المنبهات الحادثة في خلال النوم داخلية وخارجية كانت تكفي معاً في استغراق علل الحلم ، لوجب أن نكون في موقف يسمح لنا بتبيان أصل كل عنصر من عناصر الحلم تبياناً شافياً ولحل بذلك لغز مصادر الأحلام ، فلا يبقى إلا أن نحذر نصيب كل من المنبهات النفسية والجسمية في هذا الحلم الجزئي أو ذاك . ولكن الواقع أنه ما من حلم لى حتى اليوم مثل هذا التعليل الكامل ، وما من أحد حاوله إلا تبقت بين يديه فقرات من الحلم – وفقرات كثيرة جداً في العادة – لا يستطيع أن يقول في أصلها حرفاً . فمن الواضح أن اهتمامات النهار – من حيث هي مصدر نفسي من مصادر الحلم – بعيدة كل البعد عن أن تكون لها هذه القيمة القصوى التي قد يتوقعها المرء إذ يسمع ما يتحدث به كل منا جازماً من انشغاله في أحلامه بأعمال نهاره .

ولكننا لا نعرف للحلم مصادر نفسية أخرى . ونتيجة ذلك هي أن كل تعليلات الحلم المضمنة فيما كتب عن هذا الموضوع – باستثناء تعليل شرر الذي نعرض له فيما بعد [ص ١١٥ وما بعدها] – تترك فراغاً كبيراً حيثما يتعلق الأمر بتعيين منشأ الصور المتخيلة التي هي أكبر مادة تميز الحلم . وفي هذا المأزق صار أغلب الكتاب يتزعون إلى خفض نصيب العوامل النفسية من إثارة الحلم قدر الإمكان ؛ لصعوبة الاهتداء إلى هذه العوامل . نعم . إنهم يقسمون الأحلام طبقتين رئيسيتين : أحلام ترجع إلى تنبيه عصبي وأخرى مرجعها التداعي ، وهذه الأخيرة ليس لها من مصدر سوى الاستحضار ^(١) (فونت ، ١٨٧٤ ، ٦٥٧) ولكنهم مع ذلك لا يستطيعون التخلص من الشك « فيما إذا كانت هذه الأحلام تملك

(١) [استحضار ما سبقت خبرته في الماضي .]

الظهور بغير دفعة من منبه جسمي» (فولكلت ١٨٧٥ ، ١٢٧) . لا ، بل حتى إمكان الوصف يؤدي على أحلام التداعي المحض ، فيقول فولكلت (ص ١١٨) : «وأما أحلام التداعي بالمعنى الصحيح فلا تترك مجالاً للحديث عن مثل هذه النواة الراسخة [المستمدة من التنبيه الجسمي] ، بل يكون مركز الحلم نفسه واهي التماسك . فالحياة الفكرية التي لا تعرف في الحلم عامة ضابطاً من عقل أو فهم لا تجد هنا ولو تهيجاً جسمياً أو نفسياً ذا أهمية نسبية يحفظ تماسكها ، وهكذا تترك لانسايها وتلاحقها المتقلبين وتدخلها القوضوى فيما بينها . » ويحاول فونت أيضاً أن ينقص شأن العامل النفسى في إثارة الأحلام إذ يقول (١٨٧٤ ، ٦٥٦) : « ومن الخطأ أن تعدتها ويل الحلم هلاوس صرفة . فالأرجح هو أن معظم صور الحلم إنما هي في الحقيقة أوهام حسية ، من حيث إنها تنفرع عن الانطباعات الحسية الواهنة التي لا تخبو أبداً في أثناء النوم . » ويعمم فيجانت هذا الرأى على جميع صور الحلم فيقول (١٨٩٣ ، ١٧) : « إن عللها الأولى منبهات حسية ، ولا ترتبط المستدعيات المستحضرة بهذه المنبهات إلا من بعد . » ويزيد تيسيه في خفض نصيب المصادر النفسية للتنبيه ، فيقول (١٨٩٨ ، ١٨٣) : « إن الأحلام ذات الأصل النفسى الخالص شيء لا وجود له » ^(١) ، وفي موضع آخر (ص ٦) : « إن الأفكار المشتملة عليها أحلامنا تجيء إلينا من الخارج . . . » ^(٢)

ولا يفوت المؤلفين الذين يتخذون موقفاً وسطاً ، مثل الفيلسوف العظيم الأثر فونت ، أن يلاحظوا أن المنبهات الجسمية والبواعث النفسية (سواء أكانت خافية أم كانت واضحة الصلة بمشاغل النهار) تعمل متآزرة في معظم الأحلام .

وسوف نعلم فيما بعد أن لغز تكوين الحلم يمكن حله بالكشف عن مصدر نفسى للتنبيه لم يتجه إليه التفكير . وإلى أن يتم ذلك لن تدهشنا المغالاة في تقدير نصيب المنبهات غير الناشئة عن الحياة النفسية في تكوين الأحلام ؛ فمثل هذه المنبهات ليست أسهل على الكشف وحسب — فضلاً عن إمكان التحقق منها بالتجريب — بل إن النظرة الجسمية إلى الحلم تتسق والترعة الغالبة اليوم في مجال الطب النفسى أكمل اتساق . نعم إن من الحق أن الجميع يؤكد اليوم سيطرة المنح على الكائن العضوى أقوى التوكيد ، بيد أن كل ما قد

[Les rêves d'origine absolument psychique n'existent pas]

(١)

[Les pensées de nos rêves nous viennent du dehors...]

(٢)

يشتم منه أن للحياة النفسية أى استقلال عن التغيرات العضوية الممكن إثباتها بالبرهان أو أى تلقائية فى مظاهرها يثير اليوم دعر الطبيب النفسى ، كما لو كان التسليم بمثل هذه الأشياء يسترجع بالضرورة أيام فلسفة الطبيعة وأيام النظرات الميتافيزيقية فى جوهر النفس . وهذا الحذر من جانب أطباء النفس قد كان من أثره أن صارت النفس تحت الوصاية - إن جاز التعبير . فليس ينبغى اليوم أن نتم خلجة من خلجاتها عن أية قدرة خاصة بها . غير أن هذا المسلك منهم إن دل على شىء فعلى قلة إيمانهم بصدق الرباط بين ما هو جسمى وما هو نفسى . فالبحث وإن أرانا اليوم أن العلة الأولى لظاهرة من الظواهر هى علة نفسية ، فتمعنه كفيل أن يوفق حيناً إلى متابعة الطريق حتى العثور على الأساس العضوى للحدث النفسى . ولكن إذا لم يكن لمعرفتنا اليوم منتدح عن الوقوف عند ما هو نفسى ، فهل يكون ذلك سبباً فى نبذها ؟

د

لماذا ينسى الحلم بعد اليقظة

أن الأحلام «تبتدد» فى الصباح ، هذه حقيقة صارت مضرب الأمثال . نعم إن تذكر الحلم أمر يدخل فى حيز المستطاع ؛ فما نعلم الحلم إلا بتذكره بعد الاستيقاظ ، ولكننا نشعر فى الكثير الشائع من الأحيان بأننا لم نتذكر الحلم إلا تذكرنا ناقصاً وأن ما ضاع منه يربو على ما يتبقى . وفى مقدورنا فوق ذلك أن نتذكر كيف تضمحل ذكرى الحلم فى سياق النهار - وكانت لم تزل حية فى الصباح - فلا تتخلف منها سوى نبذ قليلة ضئيلة . وفى أحيان كثيرة نعلم أننا حلمنا ، دون أن نعلم بماذا حلمنا . ولقد بلغ من مدى ألفتنا بكون الأحلام عرضة للنسيان أن صرنا لا نرى تناقضاً ما فى القول بإمكانية أن يكون امرؤ قد حلم فى خلال الليل على حين أنه لا يعلم شيئاً من محتوى حلمه ولا أن حلماً قد أتى . هذا ، بينما يتفق من جهة أخرى أن تبدى الأحلام قدرة خارقة على الثبات فى الذاكرة ؛ فقد حلت أحلاماً لمرضاى وقعت منذ خمسة وعشرين عاماً أو تزيد ، وأستطيع أن أذكر حلماً لى نفسى تفصل بينه وبين الآونة الحاضرة سبع وثلاثون سنة على الأقل ، وهو مع هذا لم يفقد شيئاً من نضارته فى ذاكرتى . كل هذا عجيب أشد العجب ، ولا يدنو للفهم للوهلة الأولى.

وشروميل أكثر من فصل الكلام في نسيان الأحلام . ومن الواضح أن هذا النسيان ظاهرة مركبة ؛ فشروميل لا يرجعه إلى علة مفردة بل إلى عدة من العلل .

وأول ما يذكر من هذه جميع العلل التي ينتج عنها النسيان في حياة اليقظة كذلك . فمن عاداتنا ونحن مستيقظون أن نسارع إلى نسيان عدد من الأحاسيس والمدرجات يفوق الحصر ؛ إما لضعفها أو لقلّة التهييج النفسى المقترن بها . وهذا عينه يصدق على الكثير من صور الحلم : فنحن ننساها لأنها أضعف من أن تحفظ في حين نحفظ ما قد يجاورها من صور أشد قوة . بيد أن عامل الشدة في ذاته لا يحتم بقاء صور الحلم . فشروميل يسلم ويسلم معه غيره من الكتاب (كالكيتر) بأننا كثيراً ما ننسى صوراً من الحلم نعلم أنها كانت موفورة الحظ من الشدة ، في حين أن بين المتبقيات في الذاكرة عدداً وثيراً من صور هي إلى أن تكون ظلالاً من صور أشبه ، فقيرة في قوتها الحسية . ثم إن الإنسان — حتى في يقظته — أكثر نسياناً لما يحدث مرة وأكثر حفظاً لما يمكن إدراكه تكراراً ، ومعظم صور الحلم أحداث فريدة الوقوع ^(١) ، وفي هذا ما يسوق من غير تفريق إلى نسيان الأحلام جميعها . غير أن لعلّة ثلاثة خطراً يفوق الذى لسابقتها بمقدار عظيم . ذلك أن الإحساسات والأفكار والحواطر وما إليها يجب — لكى يتحقق لها قدر كاف من قابلية التذكر — ألا تظل متفرقة ، بل أن تنتظم في وحدات وتآليف من نوع مناسب . فلو أنك قسمت بيتاً منظوماً قصيراً إلى كلماته ثم مزجتها ، لصعب ذكره أيما صعوبة . « فالكلمات إذا رتب على النحو الذى ينبغي وانتظمها سياق موافق لمقتضى الحال أعانت كل منها أختها وصار لمجموعها معنى يدنو به للذاكرة ويثبت فيها زمناً طويلاً . وعلى الجملة فالكلم المفرغ من المعنى عسير الحفظ على الذاكرة شاذة ، كالمختلط المبعثر . » [شروميل ، ١٨٧٧ ، ٨٣ .] وإن الأحلام لتعوزها المعقولة ويعوزها التنسيق في معظم الأحوال ، وتآليف الحلم مجردة من الصفات التي تطوعها للتذكر ، وما لها إذن النسيان ؛ فهي في الأغلب لا تنقضى لحظة حتى تكون قد تفرقت بدداً . وغنى عن البيان أن هذا الكلام جميعه لا يستقيم وما يقوله رادشوك [١٨٧٩ ، ١٦٨] من أنه قد لاحظ أن أشد الأحلام غرابة هي أحسنها لصوقاً بالذاكرة .

وهناك عوامل أخرى يراها شروميل أشد أثراً بعدد في نسيان الحلم ، مرجعها العلاقة بين الحلم وحياة اليقظة . فمن الواضح للعيان أن استهداف الحلم لنسيان الشعور المستيقظ ليس

(١) إن الأحلام التي تمارد صاحبها على فترات قد لوحظت أكثر من مرة ، أنظر مجموعة شابانيكس .

إلا الوجه الآخر لحقيقة سبق الإلماح إليها [ص ٥٩] ، وهى أن الأحلام قل أن تأخذ من حياة اليقظة ذكريات منظمة ، وإنما تأخذ قطوفاً من ذكريات ينتزعها الحالم من محيطها الذى يذكر فيه عادة ونحن مستيقظون . وهكذا لا تجد تأليف الحلم مكاناً فى مجتمع التسلسلات النفسية التى تمتلأ بها النفس وتعوزها كل دعامة قد يستند الذكر إليها . « وعلى هذا النحو ترتفع الأبنية الحلمية من فوق أرض الحياة النفسية — إن جاز هذا التعبير — وتحلق فى الفضاء النفسى مثلما تحلق سحابة لا يلبث أن يبددها أول نفس من الريح . » [شرومبل ، ١٨٧٧ ، ص ٧٨] . ويعين على ذلك أننا لا نكاد نستيقظ حتى يهجم علينا عالم الحس فيضرب نطاقاً حول انتباهنا فى قوة لا يستطيع الثبوت أمامها سوى القليل من صور الحلم . فهذه تدبر إذ تقبل انطباعات اليوم الوليد لإدبار النجوم بريقها وضوء الشمس الطالعة .

وأخيراً لا ننسى تلك الحقيقة بين عوامل نسيان الحلم : وهى أن معظم الناس لا يعير أحلامه اهتماماً . فكل من أولى أحلامه انتباهاً حقبة ما (كأن يكون ذلك بقصد دراستها) زادت أحلامه فى هذه الحقبة عليها فيما عداها — وهو ما يعنى من غير شك أن تذكره لأحلامه يزيد يسراً ويكثر مقداراً .

ويضيف بوناتيلى (على ما يرويه بنينى) عاملين آخرين إلى العوامل التى أحصاها شرومبل ، وإن كانا فى الحقيقة متضمنين فى هذه الأخيرة . وهذان العاملان هما : (١) أن التحول الذى يصيب الحساسية العامة بالجسم بين حالتى النوم واليقظة لا يعين على الاستحضار المتبادل بينهما ، (٢) أن الترتيب المختلف الذى يخلعه الحالم على مادته الفكرية يجعل الأحلام مستحيلة الترجمة — إن جاز هذا التعبير — من وجهة نظر الشعور المستيقظ . فأما وقد اجتمعت على نسيان الحلم هذه الأسباب جميعها ، فإنما العجيب فى الحقيقة — على ما يلاحظه شرومبل نفسه — هو أن تبقى الذاكرة بعد ذلك على هذا العدد الكبير منها . ثم إن ما يبذله بعض الكتاب من محاولات متكررة من أجل النص على القواعد التى يتم تذكر الأحلام وفقاً لها يعدل نوعاً من التسليم بأننا نجد أنفسنا هنا أيضاً إزاء شيء ملغز لا تعليل له . فحديثاً ألح الكتاب بحق على سمات معينة يتميز بها تذكر الأحلام : كأن نتذكر فى خلال النهار شيئاً اعتقدنا نسيانه فى الصباح ، ويكون تذكره هذا لأننا لمخنا موضوعاً ما له بالحلم صلة عارضة (رادشوك ، تيسيه) . بيد أن تذكر الأحلام يستهدف (٦)

في جملة إلى اعتراض من شأنه أن ينقص قيمتها أمام أعين النقد نقصاً بالغاً : ذلك أنه إذا كانت ذاكرتنا تغفل من الحلم ما تغفل ، فما أدراك أنها لا تزيّف ما تبقى ؟
ويعرب شرومبل أيضاً عن هذه الشكوك في أمانة استحضار الحلم فيقول [١٨٧٧ ، ٦] :
« وهكذا يسهل أن يدرج الشعور المستيقظ من حيث لا يدري إضافات متعددة في ذكرى الحلم ، فيها إلينا أننا حلمنا بأشياء من صنوف شتى ، وما حوى الحلم في الحقيقة شيئاً منها . »
ويجزم يسّن بخاصة في هذا المعنى فيقول (١٨٥٥ ، ٥٤٧) :

« ولا ننسى فوق ذلك ونحن نبحت حلماً متلائم الأجزاء متنسق السياق ونفسره ؛ لا ننسى تلك الحقيقة التي لم تلق حتى الآن ، فيما أرى ، سوى القليل من العناية : وهي أننا لا نكاد نلترم الواقع في مثل هذه الحالات أبداً ؛ لأننا إذ نستحضر حلماً في أذهاننا نميل إلى سد ما بين صور الحلم من الثغرات — دون أن نلاحظ ما نحن صانعوه أو نعدم إليه . فلا يحدث إلا نادراً — أو لا يحدث أبداً — أن يكون حلم من الترابط في الحقيقة مثل ما يلوح له في الذاكرة . ويكاد يكون محالاً ولو على أشد الناس محبة للحقيقة أن يروى حلماً خليقاً بالذكر من غير حشو أو تزويق . فتزوع العقل الإنساني إلى رؤية الأشياء يتصل بعضها ببعض نزوع غلاب حتى ليكمل في الذاكرة غير عامد ما قد يحويه حلم مفكك من نقص الرباط . »

وتقرأ هذه الملاحظات التي كتبها إيجر [١٨٩٥ ، ٤١] فتخالها ترجمة لما قرأناه ليسّن وإن يكن من المؤكد أنه قد انتهى إليها مستقلاً : « . . . إن لملاحظة الأحلام صعباتها الخاصة ، والوسيلة الوحيدة إلى تجنب كل خطأ في مادة هذا شأنها هي أن نودع الورق ما قد خبرناه للتو أو لاحظناه ، دون أقل إهمال . فإن لم نفعل ، لم يلبث النسيان أن يجيء سريعاً ، كاملاً أو جزئياً . والنسيان الكامل لا خطر منه ، وأما الجزئي فغادر ؛ لأننا إذ نشرع بعد ذلك في رواية ما لم ننسه ، كنا عرضة لأن نكمل بالخييلة ما تزودنا إياه الذاكرة من القصص المتنافرة المفككة . . . ، ويصير كل منا فناناً يجهل نفسه ، ثم الرواية إذ تتكرر بين الحين والحين تنتهي بأن تفرض نفسها على تصديق مؤلفها ، فإذا هو يقدمها وهو حسن الطوية كما لو كانت واقعة صادقة استوفيت إجراءات إثباتها كما ينبغي . . . » (١) .

(١) L'observation des rêves a ses difficultés spéciales et le seul moyen d'éviter toute

erreur en pareille matière est de confier au papier sans le moindre retard ce que l'on vient d'éprouver ou de remarquer; sinon, l'oubli vient vite ou total ou partiel; l'oubli total est sans gravité; mais

ويعرب شبيتا (١٨٨٢ ، ٣٣٨) عن آراء مماثلة كل المماثلة ؛ فهو يعتقد — على ما يبدو — أن عناصر الحلم الواهية الرباط لا يدخلها أى ضرب من النظام إلا حين نحاول استحضار الحلم ، فنحن « نحيل ما هو متجاوز وحسب إلى متقدم ومتأخر »^(١) ، أى ندخل عملية من الربط المنطقي لا وجود لها في الحلم .

ولما كان التأييد الموضوعي هو الكفيل وحده أن يثبت صدق ذاكرتنا ، وكان ذلك محالا فيما يتصل بالأحلام وهى خبرتنا الخاصة التى لا نملك فى شأنها مرجعاً آخر غير ذاكرتنا ، فأى قيمة تبقى بعد ذلك لذكرى الحلم ؟

هـ

الخصائص السيكلوجية المميزة للحلم

إن دراستنا العلمية للحلم تبدأ من ذلك الفرض : أن الحلم نتاج لنشاطنا النفسى الخاص . بيد أن الحلم بعد أن ينقضى يثير العجب من أنفسنا ، كأنه شئ غريب عنا ، بلغ من قلة التزامنا بالتسليم بمسئوليتنا عنه أن صارسيان عندنا القول : « أتانى حلم » أو « حلمت حلماً » . فما أصل هذا الشعور بأن الحلم دخيل علينا ؟ إذا رجعنا إلى مناقشتنا فى مصادر الأحلام ، لزم أن ننفي أن يكون هذا الشعور ناجماً عن المادة الداخلة فى محتواها ؛ لأن معظم هذه المادة مشترك بين حياتى اليقظة والحلم . ومن ثم كنا نسأل : أتقع فى الحلم تغيرات فى عمليات النفس هى التى تحدث هذا الشعور الذى نتحدث عنه ؟ ثم نحاول بناء على ذلك أن نتبين ما هى الصفات السيكلوجية للحلم .

ما من أحد كان أقطع من فخر فى توكيد الفارق الجوهرى بين حياة الحلم وحياة اليقظة ، أو استخلص من هذا الفارق مقدار ما استخلصه هو من النتائج البعيدة ،

l'oubli partiel est perfide; car si l'on se met ensuite à raconter ce que l'on n'a pas oublié, on est exposé à compléter par l'imagination les fragments incohérents et disjoints fournis par la memoire...; on devient artiste à son insu, et le récit periodiquement répété s'impose à la créance de son auteur, qui, de bonne foi, le présente comme un fait authentique, dûment établi selon les bonnes methodes..."]

(١) [تعبير تشتم منه رائحة الفلسفة الكانطية حيث تتكون الخبرة المدركة بنظامها بصب المحسوس الخالص الذى هو تبدد محض فى صور الحساسية (الزمان والمكان) ومقولات الذهن (العلية ، الجوهر ، إلخ) .]

وذلك فى فقرة من كتابه « عناصر علم النفس الفيزيائى » (١٨٨٩ ، ٢ ، ٥٢٠) . فهو يرى أنه « لا مجرد انخفاض الحياة النفسية الشعورية دون عتبة النشاط السوى » ولا تراجع الانتباه عن مؤثرات العالم الخارجى يكفىان فى تحليل خصائص الحياة الحاملة من حيث مباينتها حياة اليقظة ، بل يحمدس أن الأرجح هو أن مسرح الحلم غير مسرح الحياة الفكرية المستيقظة ، فيقول : « لو أن مسرح النشاط النفسى كان فى أثناء النوم هو هو فى اليقظة ما جاوز الحلم ، فيما أرى ، أن يكون امتداداً للحياة الفكرية المستيقظة مع بعض الانخفاض فى الشدة ، وكان فوق ذلك بالضرورة يقاسم هذه الحياة مادتها وصورتها . ولكن الواقع يخالف ذلك كل المخالفة . »

ولكن ما الذى عناه فخر بحديثه من هذه النقلة للنشاط النفسى من مسرح إلى آخر؟ ذلك ما لم يتضح قط ، ولا أعلم أن أحداً سلك الطريق الذى تشير إليه هذه الكلمات . فأن نؤول هذه الحملة تأويلاً تشريحياً ، بمعنى أنها تلمح إلى تحيز فيزيولوجى غنى ، أو حتى إلى الطبقات النسيجية للقشرة الحية ، ذلك — فيما أرى — ما يحق لنا أن نستبعده من غير تردد ، بيد أنه قد يتضح فى المستقبل أن الفكرة حصيفة خصبة ، إذا أمكن تطبيقها بالإشارة إلى جهاز نفسى تتركب من عدة من جهات الاختصاص ، صفت كل منها وراء الأخرى .^(١)

وأما سائر الكتاب فيقنعون يجذب الانتباه إلى هذه الخاصة أو تلك من الخصائص البارزة للحياة الحاملة ، متخذين إياها دعامة يبدؤون منها محاولاتهم من أجل الوصول إلى تحليل أشمل للحلم .

فلو حظ ، والملاحظة صائبة ، أن بين الخصائص الرئيسة للحلم خاصة تظهر فى أثناء فعل الأخذ فى النوم ، بحيث يمكن وصفها بالقول : إنها ظاهرة تبشر بالنوم . فالذى يميز حالة اليقظة ، على حسب شلاير ماخر (١٨٦٢ ، ٣٥١) ، هو كون النشاط الفكرى يتأدى أثناءها فى تصورات مجردة لا صور . ولكن الفكر يتأدى فى الحلم بوساطة الصور قبل كل شئ ، وفى مقدورنا أن نلاحظ حين يقرب منا النوم أن نشاطنا الإرادى إذ يتأبى علينا أكثر فأكثر انبعثت بقدر تأييه أفكار لا إرادية ، تندرج جميعها فى طبقة الصور . فالعجز عن نوع العمل الفكرى الذى نشعر أننا نستهدفه استهدافاً إرادياً مع

انبعاث الصور الذى يصحب عادة هذا التشتت فى الانتباه خاصتان تستمران فى الحلم ويحملنا التحليل السيكولوجى للأحلام على أن نرى فيهما سمتين جوهريتين من سمات الحياة الحاملة . وقد رأينا من قبل [ص ٦٩] أن هذه الصور قبل التسمية لا تفرق فى محتواها من صور الحلم ^(١) .

الحلم إذن يفكر فى صور مرئية على نحو غالب ، ولكنه ليس نحواً مانعاً . فالأحلام تلجأ كذلك إلى الصور السمعية ، وقد تلجأ - وإن يكن بدرجة أقل - إلى انطباعات تنتمى إلى سائر الحواس . ثم إن الحلم كاليقظة سواء بسواء قد تعرض فيه أشياء كثيرة فى صورة أفكار أو معان ليس غير (وهو ما يعنى فى الراجح أنها تحضر بوساطة آثار الصور اللفظية [المحفوظة فى الذاكرة]) . بيد أن الذى يميز الحلم حقيقة على الرغم من ذلك إنما هو هذه العناصر من محتواها التى تسلك مسلك الصور ، أى تلك الأشبه بالمدرجات الحسية منها بالمذكورات . وإذا تركنا جانباً جميع المناقشات التى يعرفها الأطباء النفسيون فى طبيعة الهلاوس ، فلن نخالف أحداً من أهل الثقة فى الموضوع حين نؤكد أن الأحلام تهلوس ، أى تستبدل بالأفكار هلاوس . ولا فرق من هذه الناحية بين الصور المرئية والسمعية ؛ فقد لوحظ أن المرء إذا شرع فى النوم وبرأسه ذكرى نغمة موسيقية استحوالت الذكرى إلى هלוوسة موضوعها هذه النغمة عينها . فإذا استيقظ المرء ثانية تلاشت الهلووسة بدورها لتحل محلها الصور الذكروية التى هى أكثر خفوتاً ومختلفة فى الوقت نفسه كيفاً ، وقد يدوم التداول بين الحالتين أكثر من مرة بينا المرء آخذ فى النعاس .

بيد أن تغيير الأفكار إلى هلاوس ليس الناحية الوحيدة التى تختلف فيها الأحلام من مقابلاتها الفكرية فى اليقظة . فالحلم يصوغ من هذه الصور موقفاً ، إنه يمثل حدثاً يدور أمام أعيننا ، أو كما يقول شبيتا [١٨٨٢ ، ١٤٥] : إنه يخلع صورة الحركة المسرحية على فكرة ما . ولكننا لا نقدر هذه الخاصة من خصائص الحياة الحاملة حق التقدير ، إلا حين نسلم فوق ما سلف بأننا حين نحلم لا نعتقد أننا نفكر ، بل نعتقد أننا نعيش ، أى نضيف تصديقاً تاماً إلى صور الحلم الهلوسية - أو هذا هو ما يقع عادة ، فهناك شواذ تتطلب نظراً

(١) لقد أورد سيلبرير بضعة أمثلة جميلة تبين كيف تتحول الأفكار المجردة ذاتها إلى صور مرئية متشكلة ترود الإعراب عن ذات المعنى . وسأعود إلى هذا المكتشف فى موضع آخر [أنظر « الظاهرة الوظيفية » فى الفهرست التحليلي .]

خاصاً . وأما التعقيب الناقد ، كما يكون فى قولنا : ما كنا نعيش على الإطلاق ، كل الأمر أننا كنا نفكر تفكيراً من طراز خاص أى نحلم ، فهذا ما لا يكون إلا بعد أن تحل اليقظة . وهذه الخاصة هى التى تفرق الحلم الحق من حلم اليقظة الذى لا نخلط بينه وبين الواقع أبداً .

ويجمل بورداخ ما تقدم النظر فيه من سمات الحياة الحاملة فى الكلمات الآتية [١٨٣٨ ، ٥٠٢] : « ومن بين سمات الحلم الجوهرية السمات الآتية : (أ) أن نشاط النفس الذاتى يظهر فى صورة موضوعية ؛ لأن ملكاتنا الإدراكية تنظر إلى نتاج تخيلتنا نظرتها إلى انطباعات حسية... » (ب) أن النوم يعنى إبطال سلطة الذات ، ومن ثم كان الاستسلام للنوم يجلب معه قدراً من القابلية الصرفة . . . فالشرط فى انبعاث الصور التى تصحب النوم هو نقصان سلطة الذات . »

ويبقى بعد ذلك أن نحاول تعليل التصديق الذى تضيفه النفس إلى هلاوس الحلم ، وهو التصديق الذى لا يظهر إلا حين ينقطع ضرب من نشاط نفسى ذى سلطان . هنا يحتاج شترومبل (١٨٧٧) بأن النفس فى تصديقها هذا إنما تقوم بوظيفتها على وجه صحيح يتفق وقانون عملها . فعناصر الحلم بعيدة عن أن تكون محض تصورات ، إنها خبرات نفسية ، صادقة ، فعلية ، من قبيل ما يعرض فى حالة الصحو من طريق الحواس (ص ٣٤) . فبينما تصوغ النفس المستيقظة معانيها وأفكارها فى صور لفظية وكلم ، إذا هى فى الحلم تصوغها فى صور حسية صحيحة (ص ٣٥) . ثم إن الحلم يتضمن فوق ذلك شعوراً بالمكان ؛ ففيه كما فى اليقظة تنتظم الإحساسات والصور فى مكان خارجى (ص ٣٦) . ولا محيد إذن عن التسليم بأن موقف النفس من صورها ومدرجاتها الحسية فى الأحلام لا يختلف منه وهى فى اليقظة (٤٣) . فإذا كانت النفس بعد ذلك مخطئة فى صنعها هذا ، فلأنها تفتقر فى أثناء حالة النوم إلى المعيار الذى يمكنها وحده من التفرقة بين مدرجات الحس الوافدة من الخارج وتلك المنبعثة من الداخل ، أى أنها لا تملك القدرة على امتحان صورها الحلمية بالوسائل الوحيدة الكفيلة أن تثبت حقيقتها الموضوعية . ثم هى بالإضافة إلى ذلك تغفل التفرقة بين الصور التى تملك تبديلها كما تريد وتلك التى يغيب فيها هذا التحكم : إنها على خطأ لأنها تعجز عن تطبيق قانون العلية على محتوى أحلامها (ص ٥٠ - ٥١) . وخلاصة القول هى أن انصرافها عن العالم الخارجى هو أيضاً

السبب في تصديقها عالم الأحلام الذاتي .

ويصل دلبوف إلى النتيجة ذاتها بعد حاجة سيكولوجية مختلفة بعض الاختلاف . فهو يرى أننا نعتقد أن صور الحلم موجودة حقيقة لأننا لا نملك في أثناء النوم انطباعات أخرى نقارن بها هذه الصور ، لأننا مفصولون من العالم الخارجي ، ولكنه ليس من الصحيح أننا نعتقد صدق هذه الهلوس لأننا نعدم في النوم القدرة على امتحانها . فالحلم يستطيع أن يشبه علينا كل صنوف مثل هذا الامتحان ، كأن يجعلنا نلمس الوردة التي نراها - ومع هذا فما نحن إلا حالمين . فالمعيار الأوحده المتين لكوننا نياماً أو مستيقظين ليس في رأى دلبوف سوى واقعة اليقظة نفسها - وهو معيار لا نأخذ به إلا جرياً على العرف العملي العام . فأننا أستنتج أن كل ما خبرته بين أن نمت وأن استيقظت كان وهماً حين أتبين وأنا أستيقظ أنني راقد في سريري مجرداً من ثيابي . وما أخذت صور الحلم مأخذ الحقائق في خلال النوم إلا لعادة فكرية لا تنام هي افتراضى وجود عالم خارجى أعارض به أناى ^(١) . وهكذا يرفع الانصراف عن العالم الخارجى إلى مرتبة العامل المحتم لظهور أبرز سمات الحياة الحاملة ، ومن الخلق إذن بعناتنا أن نذكر بعض ملاحظات نافذة أتاها بورداخ منذ زمن قديم ؛ لأنها تثير أمر العلاقات بين النفس النائمة والعالم الخارجى

(١) لقد حاول هافتر - مثل دلبوف - أن يفسر النشاط الحالم بالتحول الذى يطرأ بالضرورة على أداء الجهاز النفسى لوظائفه عندما يداخل هذا الجهاز عامل غير سوى ، مع بقاءه سليماً فيما عدا ذلك . إلا أنه - أعنى هافتر - يصف هذا العامل وصفاً مختلفاً بعض الاختلاف . فهو يرى أن أول أمارات الحلم هى التحرر من الزمان والمكان ، أى تحرر التخيل من الموقع الذى يشغله الفرد في النظام المكافى والزمنى . وتلحق بذلك الخاصة الأساسية الثانية للحلم ، وهى اعتبار الهلوس والتخييلات وتآليف الخيلة مدركات موضوعية . يقول هافتر : " إن ملكاتنا النفسية العليا جميعها - وبنوع خاص ملكة التجريد وملكة الحكم والاستدلال من ناحية ، وقدرة الخير الذاتى من ناحية أخرى - يصطبغ نشاطها بصور الخيلة الحسية وتكن أمثال هذه الصور دائماً من وراء هذا النشاط ولهذا كان تحرر صور الحلم من كل ضابط يصيب هذه الملكات أيضاً إلى حد ما . وأقول : ' إلى حد ما ' لأن ملكتى الحكم والإرادة في ذاتهما لا تتغيران في أثناء النوم بحال من الأحوال . فنشاطنا لا يقل ذكاء وحرية عنه في اليقظة . فاستطيع إنسان واو في الحلم أن يحرق قوانين الفكر من حيث هى كذلك ، أى أن يقول عن الأشياء التى تلوح له متضادة : إنها واحدة ، إلخ . وهو أيضاً في الحلم لا يستطيع أن يرغب إلا فيما يتصور أنه الخير (Sub ratione boni) . ولكن قد يضل العقل الإنسانى أثناء الحلم في تطبيقه لقوانين الفكر بأن يأخذ فكرة في محل أخرى . وهكذا يقع أننا قد ننقوه في الحلم بأفصح المتناقضات ونرتكبها ، بينما قد ننتهى من جهة أخرى إلى أرجح الأحكام وأسلم النتائج ، ونتخذ أفضل القرارات وأطهرها . فانددام الاتجاه هو السر في هذا الشطط الذى تندفع إليه مخيلتنا في خلال الحلم ، كما أن الافتقار إلى التأمل النقدى وإلى التناقل مع الآخرين هو المصدر الرئيسى لما يبدىه الحلم من جموح في أحكامنا وآمالنا ورغباتنا . " (١٨٨٧ ، ١٨)

ولأنها تفيد كذلك في تحذيرنا من المغالاة في تقدير شأن النتائج المتقدم ذكرها . يقول بورداخ : « إن النوم لا يحدث إلا إذا توافر هذا الشرط : أن تكف المنبهات الحسية عن تهيج النفس ، . . . غير أن الشرط في النوم ليس غياب المنبهات بقدر غياب الاهتمام بها ^(١) ، بل الحقيقة هي أن بعض المنبهات الحسية قد يكون لازماً لتهدة النفس : فهكذا الطحان لا يدوم نومه إلا وهو يسمع جعجعة الطاحونة ، كما أن النوم في الظلمة التامة يستحيل على من يرى أن إشعال بعض الضوء في الليل ضرورة يقتضيها الاحتياط . » (١٨٣٨ ، ٤٨٢)

« إن النفس تنزل في أثناء النوم عن العالم الخارجى وترتد عن حاقها نفسها [أى عن أعضاء الحس التى من طريقها تتصل بالعالم الخارجى] . . . بيد أن الصلة لا تنقطع كل الانقطاع ؛ فلو قد كان المرء لا يستطيع سماعاً ولا حساً في نومه وإنما يسمع ويحس بعد الاستيقاظ وحسب ، لما كان في الوسع إيقاظه على الإطلاق . وأبين دليل على استمرار الإحساس هو كوننا لا نستيقظ دائماً لما يكون عليه الانطباع من محض الشدة الحسية ، بل لصلته النفسية بنا : فالنائم لا توقظه كلمة لا تقع من نفسه موقِعاً خاصاً ، فإن ناديته باسمه أيقظته . . . أى أن النفس تميز في نومها بين مختلف الإحساسات . . . ولهذا السبب كان انقطاع أحد المنبهات كفيلاً أن يوقظ المرء ، إذا كانت لهذا الانقطاع صلة بأمر له في فكر المرء أهمية : فيستيقظ الرجل الذى ينطفىء في الليل ضوء مصباحه ، أو الطحان إذا وقفت الطاحونة ، أى إذا انقطع تنبيه حسى . وهذا يعنى أن كاهما كان يدرك هذا التنبيه ، لكن دون أن يتزعج له ؛ لأن هذا التنبيه لم يكن يحركه تحريكاً خاصاً بل كان على الأصح يطمئنه . » (ص ٤٨٥ وما يليها .)

لقد نغض الطرف عن هذه الاعتراضات — وهى ليست بالهينة — ، ولكننا نظل مع ذلك مرغمين على أن نقر بأن ما بحثناه حتى الآن من خصائص الحياة الحاملة وعزوانه إلى انصرافها عن العالم الخارجى لا يوضح ما تتسم به هذه الحياة من طابع الغرابة كل التوضيح . ولولا هذا لكان من المستطاع أن نحول هلاوس الحلم من جديد إلى معان ومواقفه إلى خواطر ، وبهذا نحل مشكلة تفسير الحلم . وهذا التحويل في الحقيقة

(١) أنظر ما يسميه كلاپاريد (١٩٠٥) “désintérêt” [انصراف الاهتمام] ، وهو الانصراف الذى يرى أن ميكانيكية حالة النوم تقوم فيه .

هو ما نصنع حين نستحضر حلماً من الذاكرة بعد اليقظة ، ومع هذا فسواء وفقنا في هذه الترجمة الثانية توفيقاً كلياً أم توفيقاً جزئياً ليس غير ، يظل الحلم مبقياً على إلغازه كاملاً غير منقوص .

ولذا كان المؤلفون جميعهم يفترضون من غير تردد أن المادة الفكرية لحياة اليقظة تصيبها في الحلم تغيرات أخرى أعمق غوراً . ويريد شترومبل أن يعرب عن أحد هذه التغيرات في الفقرة الآتية (١٨٧٧ ، ٢٧) : « إن النفس إذ ينقطع نشاطها الحسي وينقطع شعورها السوي بالحياة تفقد التربة التي تتأصل فيها مشاعرها ورغباتها واهتماماتها وأعمالها . ثم إن الحالات النفسية ، من مشاعر واهتمامات وأحكام تقويمية وما إلى ذلك مما لا تنفصم عراه من الصور الذكورية في حياة اليقظة ، تستهدف كذلك . . . لضغط يولد الغموض ، يكون من نتيجته أن تنفصم صلة هذه الحالات بالصور ، كما أن الصور الإدراكية المحصّلة في حياة اليقظة عن الأشياء والأشخاص والأماكن والأحداث والأفعال تستحضر منفردات في عدد كبير ، لكن دون أن تصحبها قيمتها النفسية : إن هذه القيمة تفصل عنها . وهكذا تطوف هذه الصور في النفس كيفما يحلو لها . . . »

وفي رأى شترومبل أن تجريد الصور من قيمتها النفسية (وهو ما يرجع بدوره إلى واقعة الانفصال من العالم الخارجي) يشارك بنصيب رئيس في خلق شعور الغرابة الذي يميز الحلم من الحياة الواقعة في ذاكرتنا .

ولقد سمعنا من قبل [ص ٨٤] أننا ما أن نستسلم للنوم حتى ننزل عن وجه من وجوه نشاطنا النفسي ، وأعني به القدرة على توجيه مجرى أفكارنا توجيهاً إرادياً . فلم لا نسمع الآن فرضاً آخر وهو على أية حال فرض قريب من الذهن بطبيعته : أن آثار النوم تنتشر فتشمل ملكات النفس جميعاً ؟ ويبدو أن بعض هذه الملكات يعطل كل التعطيل ، وعلى ذلك نسأل : هل تظل سائر الملكات بعدئذ على نشاطها السوي ؟ أهى مستطبعة أن تعمل عملاً سوياً في مثل هذه الملابسات ؟ وهنا قد يخطر لنا أن نعلل السمات المميزة للحلم بنقص النشاط النفسي في أثناء النوم ، ويحيى الانطباع الذي يتركه الحلم في نفوسنا حين نستيقظ ونحكم بملكة مستيقظة فيقرنا على هذا الخاطر : فالحلم مفكك ، لا يجد غضاضة في قبول المتناقضات مهما عظمت ، وأما المستحيالات فحبها مرسل على غاربه ، وأما المعرفة التي نعلق عليها أكبر الأهمية في النهار فتغفل إغفالاً ، ثم هو — أعني الحلم — يظهرنا في

مظهر البلهاء آداباً وخلقاً ، ولو أن أحداً سلك مستيقظاً مسلكه في تصوير الحلم لظن به مسا ، ولو أن أحداً تحدث مستيقظاً على نحو ما يتحدث الناس في أحلامهم ، أو أفاض بنوع الأشياء التي تعرض له في الحلم ، لخلناه مختلط الفكر أو ضعيف العقل ؛ فلا يبدو أننا نجاوز تسجيل الحقيقة حين نعرب عن أضال التقدير لنشاط النفس في الحلم وحين نقول : إن ملكاتنا العقلية — وما علا منها مرتبة بنوع خاص — تعطل في الحلم تعطيلاً ، أو على الأقل يدركها خلل بليغ .

وقل أن اتفق المؤلفون في شيء اتفاهم على مثل هذا النوع من الأحكام في صدد الحلم — وأعرض لمن شذ منهم فيما بعد [ص ٩٤ وما يليها] — وإن هذه الأحكام لتسوقهم بدورها إلى نظرية معينة أو إلى تعليل معين للحياة الحاملة . ولكن ينبغي على الآن أن أترك التلخيص مورداً بدله طائفة من النصوص لكتاب مختلفين — فلاسفة وأطباء — في موضوع الخصائص السيكولوجية للحلم .

ففي رأى لوموان أن الخاصة الجودرية الوحيدة للأحلام هي فقدان التناسق بين صورها . ويؤيده موري فيقول (١٨٧٨ ، ١٦٣) : « لا وجود لحلم لا يجاب المعقول بعض المجانبه ، أولا تضم أعطافه بعضاً من التنافر أو من الخلط الزمنى أو من فساد المنطق ^(١) . » ويرى هجل — على ما يرويه شبيتا — أن الأحلام تخلو من كل تناسق موضوعي معقول .

ويقول دوجا : « الحلم هو الفوضى النفسية ، وجدانية وعقلية ، هو لعب الوظائف وقد أسلم لها حبلها . ممارسة عملها من غير ضابط ولا هدف ؛ فالذهن يمسى في الحلم آلة ذهنية . » ^(٢)

ويتحدث فولكت نفسه — وهو البعيد عن أن تجرد نظريته النشاط النفسى المبذول في أثناء النوم من الغاية — يتحدث (ص ١٤) عن « الاسترخاء والتفكك والاختلاط التي تصيب الحياة الفكرية ، بعد ترابطها في خلال اليقظة بفعل القوة المنطقية للأنا المركزي . »

(١) ["Il n'y a pas des rêves absolument raisonnables et qui ne contiennent quelque incohérence, quelque anachronisme, quelque absurdité."]

(٢) ["Le rêve c'est l'anarchie psychique, affective et mentale, c'est le jeu des fonctions livrées à elles-mêmes et s'exerçant sans contrôle et sans but; dans le rêve l'esprit est un automate spirituel."]

وأما فساد منطق الروابط التي تربط بين المستدعيات الواردة في الحلم ، فلا يكاد أحد يفضحه بمثل قوة شيشرون في الكتاب الآنف الذكر (الكتاب الثاني [فقرة ٧١] : « من المحال أن نتخيل شيئاً بلغ من الانعكاس والقوضى والشذوذ مبلغاً يعجزنا عن الحلم به » ^(١)) ويقول فختز : (١٨٨٩ ، ٢ ، ٥٢٢) « كأن النشاط السيكولوجي قد نقل من مخ رجل عاقل إلى مخ مجنون » .

ويقول رادشتوك (١٨٧٩ ، ١٤٥) : « الواقع أنه يبدو أمراً مستحيلاً أن نتميز أى قانون ثابت يهيج عليه هذا النشاط الملتاث . فالأحلام إذ تفلت من الحراسة الصارمة التي تقيمها الإرادة العاقلة وقيمها الانتباه على مجرى الأفكار المستيقظة تندفع في دوامة جنونية من الخلط الكاليدوسكوبي . »

ويقول هيلد برانت (١٨٧٥ ، ٤٥) : « أى قفزات عجيبة لا يأتيها الحلم حين يستدل مثلاً ؟ بأى خفة يشهد أكثر دروس التجربة ألفة وهى تنقلب رأساً على عقب ؟ أى متناقضات مضحكة يميزها في نظم الطبيعة والمجتمع قبل أن يتجاوز الأمر حدود النكتة — كما نقول — فإذا إغراقه في المآثر يوقظه . فنحن نحسب أن ثلاثة أضعاف الثلاثة تعدل العشرين دون أن نحرك ساكناً ، ولا يدهشنا أن يستشهد كاتب بيت من الشعر أو أن يمشى ميت إلى قبره بقدميه أو أن تسبح صخرة على وجه الماء . ولقد نتوجه والوقار يحف بنا في بعثة خطيرة إلى دوقيه برنبورج أو أمارة ليخنشتاين لنستعرض أسطولها البحري ، أو نتطوع تحت لواء شارل الثاني عشر قبيل موقعة پولتافا . »

ويتحدث بتنس ونصب عينيه نظرية الحلم المقامة على أمثال هذه الآراء فيقول (١٨٧٨ ، ٣٣) : « بين كل عشرة أحلام تسعة على الأقل لا معنى لها . فنحن نربط في الحلم بين أناس وأشياء لا تحمل أقل صلة فيما بينها ، ثم يتقلب المنظر في لمح البصر كما في الكاليدوسكوب فإذا نحن أمام مجموعة أخرى أفرغ معنى وأشد جنوناً — إن أمكن — من سابقتها . وهكذا يمشى الذهن النائم — ليس كل النوم — في لعبة المتقلب ، إلى أن نستيقظ فنقرع جباهنا ونسأل أنفسنا : ألا نزال نملك القدرة على الإتيان بأفكار وخواطر معقولة . » وأما موري فيأتى في صدد العلاقة بين صور الحلم والأفكار المستيقظة بمقارنة سوف يرى فيها الأطباء بلاغة خاصة ، إذ يقول (١٨٧٨ ، ٥٠) : « إن إحداث هذه الصور التي

(١) ["Nihil tam praepostere, tam incondite, tam monstruose cogitari potest, quod non possimus somnari."]

تولدها الإرادة في أغلب الأحيان عند الإنسان المستيقظ ، هو من الذكاء كالحركات التي يطالعنا بها الرُّقاص والاضطرابات الشلالية بالنسبة إلى القدرة الحركية . . . » ^(١) وأما فيما خلا ذلك ، فالحلم عنده : « سلسلة مكتملة من درجات الانحطاط في الملكة العاقلة المستدلة . » ^(٢) (ص ٢٧) .

ولا تكاد تكون ثمت حاجة إلى ذكر أقوال الكتاب الذين يكررون قضية موري مطبقة على مختلف الوظائف النفسية ذات المرتبة العالية .

ففي رأى شترومبل (١٨٧٧ ، ٢٦) أن جميع العمليات المنطقية القائمة على النسب والعلاقات يصيبها الخسوف في الحلم — ومن المفهوم أن هذا الرأى يظل صحيحاً وإن لم تتجلى في الحلم مجانبة صريحة للمعقول . ويرى شبيتا (١٨٢ ، ١٤٨) أن الأفكار التي ترد في الحلم تبدو مستقلة كل الاستقلال عن قانون العلية . ويلاحظ رادشوك وغيره على ما يميز الحلم من ضعف ملكتي الحكم والاستدلال . وفي رأى يودل (١٨٩٦ ، ١٢٣) أن الأحلام مجردة من ملكة النقد ، من القدرة على تصحيح مجموعة من المدركات الحسية بالرجوع إلى محتوى الشعور في جملة . ويقول هذا المؤلف عنه : « إن جميع أنواع النشاط الشعوري تنجى في الحلم ، لكنها تنجى ناقصة ، مكفوفة ، معزولة . » وأما المتناقضات التي يغرق فيها الحلم بالقياس إلى معرفتنا المستيقظة فيعللها شتريكر (مع الكثيرين من غيره) بنسياننا للحقائق في الحلم أو باختفاء العلاقات المنطقية (١٨٧٩ ، ٩٨) ، إلى آخر كل هذا .

غير أن الكتاب الذين ينظرون على الجملة هذه النظرة القاسية إلى الوظائف النفسية في الحلم ، يقرون للأحلام مع ذلك ببقية باقية من النشاط النفسى ، وبهذا يسلم صراحة فونت الذى كان لنظرياته أثر حاسم في كثير من المشتغلين بهذا الموضوع . وقد يسأل سائل : وما طبيعة هذه البقية المستمرة في الحلم من النشاط النفسى السوى ؟ هناك اتفاق شامل أو يكاد على أن الملكة المستحضرة — أعنى الذاكرة — هى أقل الملكات تأثراً ، بل هى تبنى في الحلم بعضاً من التفوق على نفسها في اليقظة (أنظر ما سبق في ص ٥١ وما يليها) ، وإن بدا أن جزءاً من متناقضات الحياة الحاملة يرجع إلى نسيانها . وفي رأى شبيتا أن جزء

[(١) "La production de ces images que chez l'homme éveillé fait le plus souvent naître la volonté, correspond, pour l'intelligence, à ce que sont pour la motilité certains mouvements que nous offrent la chorée et les affections paralytiques..."]

[(٢) "Toute une série de dégradations de la faculté pensante et raisonnante"]

النفس الذى لا يؤثر فيه النوم هو الحياة الوجدانية ، وهذه إذن هى الموجهة للحلم . وهو يعنى بلفظ « الوجدان » ^(١) « المشاعر فى مجموعها الثابت ، من حيث هو الماهية الباطنة العميقة للكائن الإنسانى » (١٨٨٢ ، ٨٤) .

ويلمح شولتس (١٨٩٣ ، ٣٧) فى الأحلام نشاطاً نفسياً يتجلى فى التزوع إلى تفسير مادة الحلم « تفسيراً استعارياً » . وكذلك زيبك (١٨٧٧ ، ١١) فهو يشاهد فى الحلم « ملكة التفسير التكميلى » التى تمارسها النفس لإزاء جميع إحساساتها وإدراكاتها . وأما الوظيفة النفسية التى تدل الظواهر على أنها أعلى الوظائف منزلة - وأعنى الشعور - فينطوى تقدير شأنها بالنسبة إلى الحلم على صعوبة خاصة . فلا شك فى أن الشعور يبق فى الحلم ؛ فكل معرفتنا بالحلم إنما هى مستمدة منه ، ومع هذا يرى شبيتا أن الذى يدوم فى الحلم إنما هو الشعور وليس الشعور بالذات . بيد أن دلبوف يعترف بأنه عاجز عن أن يفقه شيئاً من هذه التفرقة .

وتصدق قوانين التداعى التى تحكم تعاقب الأفكار على صور الحلم كذلك ، بل إن سيطرتها لتتجلى فى الحلم أشد قوة ووضوحاً . ويقول شرومبل (١٨٧٧ ، ٧٠) : « والظاهر هو أن الأحلام تجرى مجراها إما وفق قوانين الأفكار الخالصة ، وإما وفق قوانين المنبهات العضوية المصحوبة بأمثال هذه الأفكار ، أى دون أن يكون للتدبر أو الفهم أو الذوق الجمالى أو الحكم الخلقى أى أثر فيها . » والمؤلفون الذين أسوق آراءهم يتصورون عملية تكوين الحلم على نحو قريب من النحو الآتى : إن المنبهات الحسية المتولدة من مختلف المصادر التى سبق أن أحصيتها [أنظر قسم ج] تثير مجتمعة عدداً من الأفكار فى النفس ، فتصور هذه الأفكار فى صورة هلاوس (والأصح فى رأى ثونت هو أن نقول : فى صورة أوهام حسية ؛ نظراً لتفرعها عن منبهات خارجية وباطنية) وترتبط هذه الأفكار فيما بينها على حسب قوانين التداعى المعروفة ، ثم هى تستدعى طائفة أخرى من الأفكار (أو الصور) على حسب ذات القوانين ، وعندئذ يعمل الجزء الباقى على نشاطه من ملكات النفس المنظمة المفكرة عمله فى هذه المادة جميعها بقدر مطاوعتها (أنظر على سبيل المثال ثونت وثيرجانت) . ولكن ما من أحد وفق بعدُ إلى تبيان ما هى الدوافع التى تجعل استدعاء الصور غير الناشئة من الخارج يجرى وفق هذا القانون من قوانين التداعى أو ذاك .

بيد أن ثمت أمراً كثرت ملاحظته : وهو أن الروابط التي تصل بين صور الحلم هي روابط من نوع فريد على الإطلاق ، تختلف من تلك التي تعمل في الفكر المستيقظ . فيقول فوللكت (ص ١٥) : « إن المستدعيات تتلاحق في الحلم وتتلامس وفق أوجه من الشبه عارضة وروابط تكاد تدق على الإدراك . ولا يخلو حلم من أمثال هذه المستدعيات المترامية الواهنة . » ويعلق موري أهمية قصوى على هذه السمة التي تميز ترابط الأفكار في الحلم ؛ لأنها تمكنه من المماثلة بين الحياة الحاملة وبعض الاضطرابات العصبية . فهو يقول بسمتين رئيسيتين تميزان « الهذيان » : (١) نشاط النفس نشاطاً تلقائياً أشبه بالآلى ، (٢) تداعى الأفكار تداعياً فاسداً غير منتظم ^(١) (١٨٧٨ ، ١٢٦) . ويضرب موري نفسه مثالين ممتازين من أحلامه كان مجرد التماثل الصوتي واسطة الربط بين صور الحلم فيهما . فقد رأى في الحلم مرة أنه في حج (بلريناج) إلى القدس أو مكة ، ثم بعد مغامرات متعددة رأى نفسه يزور الكيميائي بليتيه الذي سلمه — بعد أن تحدث إليه قليلاً — بحجرة (بل) من الزنك انقلبت في جزء تال من الحلم سيفاً مصفحاً (ص ١٣٧) . ورأى في حلم آخر أنه يسير في طريق ممتد وهو يقرأ أرقام الكيلومترات الدالة على المسافات ، ثم بعد ذلك صار في دكان يقال رأى فيه ميزاناً ضخماً ورجلاً يضع في إحدى كفتي الميزان موازين كيلو جرامية لكي يزن موري ، ثم قال له البقال : « إنك لست في باريس بل في جزيرة جيلولو » وأعقبت ذلك مناظر أخرى رأى فيها أزهار لوبليا ثم الجنرال لوپيز — وكان قد قرأ نبأ موته منذ زمن قريب — ، وأخيراً استيقظ من نومه بينما كان يلعب اللعبة المسماة لوتو ^(٢) .

ولكننا لن نفاجأ بالطبع إذا وجدنا أن هذا التقدير الضئيل لنشاط الحلم النفسي لم يترك بغير معارضة . ولا شك في أن المعارضة لا تبدو هنا بالشئ الهين . فلا وزن لأن يؤكد أحد محقري الأحلام (شبيتا ، ١٨٨٢ ، ١١٨) أن ذات القوانين التي تهيم على حياة اليقظة تصدق على الحلم كذلك ، أو إذا أعلن آخر (دوجا) « أن الحلم لا يخالف العقل ، بل هو لا يخلو منه كل الخلو » ^(٣) ، ما داما لا يتكلفان عناء التوفيق بين مثل هذه الأقوال

(١) (1) une action spontanée et comme automatique de l'esprit; (2) une association vicieuse et irrégulière des idées.]

(٢) سوف نفهم فيما بعد [ص ٥٢٣ في الهامش] معنى أمثال هذه الأحلام الحافلة بالجناس أو بالكلمات المبتدئة بحروف متماثلة .

[“le rêve n'est pas déraison ni même irraison pure”.]

(٣)

وبين ما سبق أن قدماء عن فوضى الحياة النفسية في الحلم وتفكك جميع الوظائف العقلية في خلاله . ولكن ثمة فريقاً آخر من المؤلفين يبدو أنهم قد لمحوا أن الحلم ربما كان له في جنونه منهج ، وأن هذا الجنون قد لا يعدو أن يكون قناعاً ، مثلما كان من أمر الأمير الدانمركي [هاملت] الذي أطلق على جنونه هذا الحكم الثاقب . ولا بد أن هؤلاء المؤلفين قد تجنبوا الحكم على الحلم بحسب ظاهره أو يكون الحلم قد طالعهم بظاهر مختلف جداً .

فعلى هذا النحو يتحدث هافلوك إليس عن الأحلام دون أن يتوقف طويلاً عند مظهر بجانبها للمعقول فيقول : إنها « عالم أثيري من الانفعالات المبهمة والأفكار الناقصة » ^(١) ، عالم قد تكشف لنا دراسته عن المراحل البدائية لتطور الحياة النفسية . ويعرب ج . سوللي (١٨٩٣ ، ٣٦٢) عن هذا الرأي نفسه على نحو أشد بعد شمولاً ونفاذاً ، وإن كلماته تستحق المزيد من انتباهنا إذا تذكرنا أنه ربما كان أرسخ السيكولوجيين اقتناعاً بأن للأحلام معنى دفيناً ، يقول : « وأحلامنا وسيلة تحفظ بها هذه الشخصيات المتعاقبة (القديمة) ؛ فنحن حين نكون نياماً نرجع إلى طرائقنا القديمة في النظر إلى الأشياء والتأثر

بها ، إلى اندفاعات وضروب من النشاط كانت تسيطر علينا منذ زمن قديم . » ^(٢) ويقول مفكر مثل دلبوف - وإن لم يستند رأيه إلى كبير حق لأنه لم يفند الوقائع التي تناقضه - : « إن جميع ملكات النفس فيما خلا الإدراك الحسي : الذكاء والخيلة والذاكرة والإرادة والخلق ، تبقى في خلال النوم هي في جوهرها ، كل الأمر أنها تطبق على موضوعات متخيلة لا ثبات فيها . فالحلم ممثل يظهر كيف يشاء : مجنوناً وعاقلاً ، جلاداً وضحية ، قزماً وعملاقاً ، شيطاناً وملاكاً . » ^(٣) (١٨٨٥ ، ٢٢٢) ويبدو أن أشد من عارض الانتقاص من النشاط النفسي في الحلم هو الماركسي درفاي الذي جادله موري جدالاً مستحراً والذي ذهبت كل جهودي من أجل العثور على كتابه عبثاً . فوري يحدثننا عنه قائلاً (١٨٧٨ ، ص ١٩) : « إن الماركسي درفاي ينسب إلى الذكاء وهو نائم حرية غير منقوصة

[“an archaic world of vast emotions and imperfect thoughts”.] (١)

[“Now our dreams are a means of conserving these successive personalities. When asleep we go back to the old ways of looking at things and feeling about them, to impulses and activities which long ago dominated us”.] (٢)

[“Dans le sommeil, hormis la perception, toutes les facultés de l'esprit, intelligence, imagination, mémoire, volonté, moralité, restent intactes dans leur essence; seulement, elles s'appliquent à des objets imaginaires et mobiles. Le songeur est un acteur qui joue à volonté les fous et les sages, les bourreaux et les victimes, les nains et les géants, les demons et les anges”.] (٣)

فى العمل والانتباه ، وهو يبدو كأنما كان من رأيه أن النوم لا يقوم إلا فى إطباق الجواس ، فى إيصاها دون العالم الخارجى ، بحيث لا يكاد يتميز الإنسان النائم على حسب نظره من هذا الذى يسرح فكره وقد سد منافذ حواسه . وكل الفرق الذى يفصل عندئذ بين التفكير المألوف وتفكير النائم هو أن الفكرة تتخذ عند هذا الأخير شكلا مرئياً موضوعياً وتشبه الإحساس المتعين بالموضوعات الخارجية حتى لنخلط بينهما ، وتستعير الذكرى مظهر الواقعة الحاضرة . ^(١)

بيد أن مورى يضيف إلى ذلك قوله : « إن ثمت فرقاً فوق ذلك وفرقاً له كل الخطورة ، وأعنى به أن الملكات العقلية للنائم لا تبدى التوازن الذى تلتزمه عند المستيقظ . » ^(٢) فإذا رجعنا إلى فاشيد الذى ينقل إلينا صورة أوفى عن كتاب درفاى ، وجدنا نصاً لهذا المؤلف يعرب فيه عن رأيه فى مجرد ظاهرة الحلم من التناسق على النحو الآتى : « صورة الحلم نسخة الفكرة ، فالجوهرى هو الفكرة ، وأما الرؤيا فلباس عارض . وإذا كان الأمر كذلك ، لزم أن نعرف كيف نتبع سير الأفكار ، لزم أن نعرف كيف نحلل نسيج الحلم : حينئذ يصير اللاتناسق شيئاً مفهوماً ، وتصير أشد الأحلام إغراباً فى الخيال وقائع لا تعقيد فيها ولا خلل فى منطقها » (١٩١١ ، ١٤٦) . ثم يقول (ص ١٤٧) : « وإن أكثر الأحلام غرابة لتلقى تعليلاً كأكثر ما يكون منطقاً ، إذا عرفنا كيف نحللها » ولقد نبه شتاركة إلى مؤلف أقدم عهداً ، لم أكن أعلم من أمره شيئاً ، عال خلو الحلم من التناسق تعليلاً مماثلاً فى عام ١٧٩٩ ، هذا المؤلف هو ثولف دافيدسون ، يقول (١٧٩٩ ، ١٣٦) : « إن القفزات الغريبة التى تقفزها أفكارنا فى الحلم تستند جميعها إلى قانون التداعى . غير أنه يحدث أحياناً أن تخطر هذه الروابط للنفس على نحو غامض

(١) M. le Marquis d'Hervey prête à l'intelligence durant le sommeil, toute sa liberté

d'action et d'attention et il ne semble faire consister le sommeil que dans l'occlusion des sens, dans leur fermeture au monde intérieur; en sorte que l'homme qui dort ne se distingue guère, selon la manière de voir, de l'homme qui laisse vaguer sa pensée en se bouchant les sens; toute la différence qui sépare alors la pensée ordinaire de celle du dormeur, c'est que, chez celui-ci, l'idée prend une forme visible, objective et ressemble, à s'y méprendre, à la sensation déterminée par les objets intérieurs; le souvenir revêt l'apparence du fait présent. »]

(٢) "Qu'il y a une différence de plus et capitale à savoir que les facultés intellectuelles

de l'homme endormi n'offrent pas l'équilibre qu'elles gardent chez l'homme éveillé."

(٣) "L'image du rêve est la copie de l'idée; la vision n'est qu'accessoire. Ceci établi,

il faut savoir suivre la marche des idées, il faut savoir analyser le tissu des rêves; l'incohérence devient alors compréhensible, les conceptions les plus fantasques deviennent des faits simples et parfaitement logiques."]

جداً ، بحيث يهبأ إلينا أننا نشهد قفزة من قفزات الفكر وليس في الحقيقة شئ من ذلك . «
وهكذا يتفاوت تقويم الحلم من حيث هو نتاج نفسى متفاوتاً واسع النطاق في مختلف المؤلفات : فمن أقصى التحير الذى رأينا صنوفاً من العبارة عنه ، إلى الإلماع إلى قيمة لم تُفْتَضْ ،
فإلى أقصى الإطباب الذى يقدم الحلم على وظائف حياة اليقظة جميعاً . ومن هذين الطرفين المتقابلين يؤلف هيلد برانت ثالثة المتناقضات الثلاث التى رأينا [فى ص ٤٩] أنه يحمل فيها الخصائص السيكلوجية للحياة الحاملة ، يقول (١٨٧٥ ، ١٩) : « وثالثة المتناقضات تقوم فى اشتداد الحياة النفسية والسُموبها سُمُوّاً يبلغ حد المهارة المعجزة ، من جهة ، ونقص وضعف كثيراً ما يهبطان بها دون المستوى الإنسانى من جهة أخرى .

«إليك الوجه الأول : من ذا الذى لا يجد فى خبرته ما يؤيد أن عبقرية الحلم تبدى أحياناً — فيما تخلق وتحيك — عمقاً فى الوجدان وصدقاً ، ورقة فى الإحساس ، ووضوحاً فى النظر ، ودقة فى الملاحظة ، وتوقدأ فى القريحة ، يحملنا التواضع على أن نقر بأننا لا نسلم بمثلها دائماً فى يقظتنا ؟ فللحلم شاعرية تبهر ، وتمثل محكم ، وفكاهة لا تجارى ، وسخرية مستملحة . إنه ينظر إلى العالم فى ضوء يضئ عليه مثالية فريدة ، وكثيراً ما يعلى الأثر الذى لجاليه بفهم عميق لماهيته . الجمال الدنيوى يمثله لناظرنا فى بهاء سماوى ، وما سما خلق عليه أرفع حلل الجلال ، وأما ما نعهد منه المخافة فيتخذ أشكاله ، وأما الدعابة فتقلب مجوناً يدفع إلى ضحك جارف لا يوصف . ولقد نستيقظ وخبرة من هذا القليل لا تزال تستحوذ علينا ، فلا نملك إلا أن نحدث النفس : بمثل هذا ما أتتنا دنيا الواقع قط . «

وللمرء أن يسأل بعد ذلك : أهو ذات الموضوع يلتقى هاته الملاحظات المحقرة وهذا المديح المتقد ؟ ألا يكون أن بعض الكتاب قد أغفل الأحلام فاسدة المنطق على حين أغفل البعض الآخر عميقها ومستدقها ؟ وإذا كان كلا النوعين يقع — ما استحق هذا الحكم وما استحق ذاك — أفلا يكون من العبث أن نلتمس للحلم خاصة تميزه ، ألا يكفى القول : كل شئ ممكن فى الحلم ، من انحطاط الحياة النفسية إلى أسفل درك ، إلى سمو قل أن نلوقه فى حياة اليقظة ؟ إن هذا الحل مهما كان من يسره وتيسيره يلتقى دونه تلك الحقيقة : وهى أن جهود بحثة الحلم جميعاً تبدو مقامة على إيمانهم بأن ثمت بالفعل خاصة كهذه ، تصدق فى ملامحها الجوهرية صدقاً شاملاً ، ومن شأنها أن ترفع هذه المتناقضات .

ولا جدال فى أن الوظائف النفسية للحلم كانت تلاقى قبولاً أسرع وأحسن فى تلك الفترة

العقلية التي تجثم اليوم وراءنا ، حين كانت الفلسفة هي المسيطرة على العقول وليس العلم المضبوط . فأن يقول قاتل مثل شوبرت بأن الحلم خلاص للروح من قسر الطبيعة الخارجية ، تحرير للنفس من أغلال الحس ، إلى مثل هذا من أحكام فيخته الصغير وغيره ^(١) مما يصور جميعه الحلم في صورة سمو بالحياة النفسية إلى درجة أعلى ، أمر يبدو لنا اليوم فوق التصور أو يكاد ، وليس يردده في زماننا إلا المتصوفة والتقويون ^(٢) . فإن الأسلوب العلمى في التفكير قد جلب معه انقلاباً في تقويم الأحلام . فالمؤلفون الأطباء على التحديد هم أجنح الكتاب إلى وصف النشاط النفسى في الحلم بالتفاهة والتجرد من القيمة ، على حين أن الفلاسفة والملاحظين غير المحترفين — هواة السيكلوجيين — ممن لا يستهان بمددهم في هذا المجال بالذات ، قد ثبتوا بوجه عام على الأخذ بقيمة الحلم النفسية ، وهم في ذلك أكثر اتفاقاً والإحساس الشعبي . ونفهم أن من نزع إلى حط قيمة النفس في الحلم يؤثر مصادر التنبيه الجسمية عند تعليله للأحلام ، وأما من يترك للنفس الحاملة الجزء الأعظم من ملكاتها المستيقظة ، فلا يحتاج بالطبع إلى أن ينكر أن فعل الحلم قد تكون له أيضاً مهيجاته النفسية القائمة بذاتها .

والذاكرة هي أظهر الملكات العالية المرتبة التي يمكن أن يغرى المرء بإضافتها إلى الحياة الحاملة حتى بعد المقارنة المتزنة ، وسبق أن فصلنا الكلام فيما يثبت ذلك من خبرات لا يندر وقوعها . وميزة أخرى للحياة الحاملة كثيراً ما أشاد بها الكتاب الأقدمون ، هي سموها فوق فواصل الزمان والمكان . بيد أن من السهل أن نبين أن الأمر هنا لا يعدو أن يكون وهماً ؛ فهذه المزية — كما يلاحظ هيلد برانت — مزية موهومة ، لأن فعل الحلم إنما يسمو على الزمان والمكان مثلما يفعل التفكير المستيقظ سواء بسواء ، ولذات السبب : وأعنى به أن هذا الفعل ليس إلا صورة من صور التفكير . ولقد نسبت إلى الحياة الحاملة مزية أخرى تتصل بالزمن ، هي استقلاله عن جريانه بمعنى آخر : فعلم كالذى رويناه لمورى في صفحة ٦٤ بإعدامه بالمفصلة ، يبدو شاهداً على أن في مقدور الحلم أن يحشد في برهة من الده قصيرة غاية القصر محتوى إدراكياً يزيد كثيراً على ما يطبق تفكيرنا المستيقظ معالجته . بيد أن هذه

(١) أنظر هافتر وشبيتا .

(٢) [هامش أضيف سنة ١٩١٤ :] لقد قال الصوق الموهوب دوپل ، وهو أحد المؤلفين القلائل الذين أورد أن أعرب عن أسنى على إهمال إياهم في الطبقات السابقة لهذا الكتاب : إن الحلم ، لا حياة اليقظة ، هو المدخل إلى الميثافيزيقا ، بقدر ما يتعلق الأمر بالإنسان (١٨٨٥ ، ٥٩٢) .

النتيجة قد قامت عليها حجج شتى ، ومنذ مقالات لولوران وإيجير عن « الديمومة الظاهرة للأحلام » وهذا الموضوع مثار مناقشة طويلة ، ممتعة ، لم تنته بعدُ على الراجح إلى التعليل الأخير لهذه المسألة الدقيقة العميقة المضمون ^(١) .

وأما قدرة الأحلام على متابعة شواغل النهار العقلية والمضى بها إلى نتائج تعذر بلوغها في أثنائه ، قدرتها على أن تجلو شكوكاً ومشكلات وعلى أن تكون مصدر إلهام جديد للشعراء والمؤلفين الموسيقيين ، فهذا ما يبدو أمراً لا منازعة فيه بعد الرويات المتعددة وبعد الأمثلة التي جمعها شابانيكس . بيد أن الواقعة — وإن ارتفع الجدل في شأنها — لا يزال يستهدف مفهومها لشكوك شتى تتناول المبادئ ذاتها ^(٢) .

وأخيراً فما يقال عن قوة الأحلام عن الإنباء بالغيب موضع لتزاع تُقابل فيه اعتبارات لا يكاد يكون لها دفع بتوكيدات عنيدة معادة . ولا شك في أننا نحسن صنعاً إذا تجنبنا إنكار كل سند من الواقع لهذا الرأي ؛ فقد نوفق عما قريب إلى تعليل سيكولوجي طبيعي لطائفة من الحالات .

و

الحاسة الخلقية في الحلم

لقد فصلت عن موضوع سيكولوجية الحلم تلك المشكلة الجزئية : هل تمتد الاستعدادات والمشاعر الخلقية إلى الحياة الحاملة ، وإلى أى مدى ؟ وذلك لأسباب لن تتضح إلا بعد الإحاطة بمباحثي . وهنا أيضاً سوف نجدنا من جديد أمام ذلك التناقض الذى عجبنا له من غير شك في حديث المؤلفين عن كافة الوظائف النفسية الأخرى في الحلم ؛ فيؤكد كتاب أن الحلم لا يعرف التزامات الخلق ، وبمثل ثقتهم يؤكد كتاب آخرون أن خلق المرء يلوم في حياته الحاملة .

فإن احتكمنا إلى خبرتنا المألوفة بالأحلام ، بدا أنها تؤيد أول هذين الرأيين تأييداً لا يرقى بعده شك . يقول يسن (١٨٥٥ ، ٥٥٣) : « إنا لا نصير في الحلم أحسن أو

(١) يجد القارئ مراجع أخرى ومناقشة نقدية لهذه المسائل في رسالة تويوولسكا الباريسية (١٩٠٠) .

(٢) أنظر النقد الوارد في كتاب هـ . إليس (١٩١١ ، ٢٦٨) .

أفضل ، بل على العكس يبدو الضمير في الحلم أخرس ، فلا يستشعر المرء أثرًا من شفقة ، ولقد يرتكب أقبح الجرائم ، فيسرق ويغتصب ويقتل ، دون أن يكثرث أقل اكتراث لما هو فاعله ودون أن يلحقه الندم . »

ويقول رادشوك (١٨٧٩ ، ١٤٦) : « ولا ننسى أن الحلم تخطر فيه المستدعيات وتتصل الأفكار دون أقل التفات إلى التدبر أو العقل أو الذوق الجمالى أو الحكم الخلقى . فلكة الحكم ضعيفة غاية الضعف والانصراف عن القيم الخلقية هو الغالب . »

ويقول فولكت (١٨٧٥ ، ٢٣) : « الأحلام — كما نعلم جميعاً — مطلقة الجماع فما يتصل بالأمور الجنسية بنوع خاص . فالحلم تغيب عنده كل قطرة من الحياء وبهجته كل شعور أو حكم خلقى ، ثم هو فيما يتعلق بالآخرين كذلك يراهم جميعاً — لا يستثنى منهم أولئك الذين يكن لهم أعمق الاحترام — في أحوال يرتاع في يقظته من التقريب بينهم وبينها ولو بالفكر . »

وعلى نقيض ذلك نجد أقوالا كذلك التى يذهب إليها شوبنهاور تؤكد أن كلامنا يسلك في الحلم ويتحدث بما يتفق وطبعه كل الانفاق . فيؤكد ك . ب . فيشر ^(١) أن المشاعر الذاتية والرغبات أو الحالات الوجدانية والانفعالات تكشف عن نفسها في انطلاق الحياة الحاملة ، وأن الأحلام مرايا تعكس الخواص الخلقية للناس .

ويقول هافنر (١٨٨٤ ، ٢٥١) : « وفيما خلا شواذ نادرة . . . يبقى الفاضل فاضلاً في حلمه ، فيقاوم الإغراء وينأى بنفسه عن الكراهية والحسد والغضب وسائر الرذائل ، وأما الأثيم فلا يرى في أحلامه عادة سوى صور سبق أن خطرت له في يقظته . »

ويقول شولتس (١٨٨٧ ، ٣٦) : « في الأحلام الحقيقة ؛ ففيها نرى أنفسنا على ما هى عليه ، بالرغم من كل قناع قد نتخذه للملا بالنبالة أو بالدلة . فالكريم لا يرتكب جرماً شائناً ولو في الحلم ، فإن فعل استفظع فعله كأنه شئ غريب عن طبيعته . والإمبراطور الرومانى الذى أمر بموت أحد رعاياه لأنه رأى في المنام أنه يطوح برأس الإمبراطور ، لم يجانب الصواب كثيراً حين برر عمله استناداً إلى أن مثل هذه الرؤيا لا تأتى إلا من كانت له في يقظته مثل هذه الخواطر . ولنا لنعرب عن الأمر الذى لا يمكن أن يكون له مكان في سريرتنا بعبارة لها مغزاها : ذلك ما لا يخطر لى ولو في الحلم . »

(١) في كتابه الذى نشر في عام ١٨٥٠ — وأنقل رأيه هذا عن شبيتا .

وعلى العكس من ذلك يرى أفلاطون أن أحسن الرجال من اقتصروا على أن يحملوا بما بصنع غيرهم وهم مستيقظون .

ويقول فاف^(١) على غرار كلمة معروفة : « خبرني بأحلامك ، أخبرك ما دخيلتك » . ومشكلة الخلق في الحلم هي المحور الذي يدور من حوله كتيب هيلد برانت الذي كثيراً ما استشهدت من قبل بنصوص منه ؛ لأنه بين كل ما وُضع في دراسة الحلم أبلغه عبارة وأثراه فكراً . والقاعدة الثابتة في نظر هيلد برانت كذلك ، هي أنه بقدر طهارة الحياة تكون طهارة الحلم ، وبقدر دنسها دنسه .

فهو يعتقد أن طبيعة الإنسان الخلقية تبقى في الحلم كذلك ، ويقول : « فبينما لا يدعونا الخطأ في الحساب ، مهما كان ظهوره ، أو قلب القوانين العلمية ، مهما كان شططه ، أو خلط التواريخ ، مهما كان مضحكاً ، إلى التأفف أو حتى مجرد الاسترابة ، ترانا مع هذا نفرق بين الخير والشر ، بين الصواب والخطأ ، بين الفضيلة والرذيلة . فكل ما يلازمنا في نهارنا قد تمحوه ساعات المجموع ، كله أو جله ، إلا أمر كانت المطلق^(٢) فإنه يتعقب خطانا كرفيق لا انفصال له عنا ولا خلاص لنا منه ولو بالنوم . . . وهذا ما لا يعلله إلا ثبوت الجزء الأساسي من الطبيعة الإنسانية ، أعني ماهيتها الخلقية ، ثبوتاً وطيداً يقيها هذا الخلط الكاليدوسكوبي الذي يصيب في الحلم الخيلة والعقل والذاكرة وما شاكلها من سائر الملكات . » (١٨٧٥ ، ٤٥ وما يليها .)

غير أن كلا الفريقين من الكتاب لا يلبث أن يبدى في مستأنف نقاشه في هذا الموضوع تذبذباً في الرأي وخروجاً عن منطقته خليقين بأن ننتبه إليهما . فأولئك الذين يرون في الحلم القضاء على الشخصية الخلقية للمرء كان يجب عليهم — إذا أردنا الصرامة في المنطق — ألا يبالوا بعد ذلك بالأحلام المنافية للأخلاق وكان يسعهم أن يمتنعوا عن كل محاولة تهدف إلى تحميل الحلم مسئولية أفعاله أو إلى الاستدلال بسوئها على سوء معدنه ، وذلك بمثل الهدوء الذي يمتنعون به عن محاولة شبيهة بهذه ، فلا يستدلون بخطأ الحالم في أفعاله على ضعة وظائفه العقلية في يقظته . وأما من يرون أن « الأمر المطلق » يتغلغل إلى الحلم نفسه ، فكان من حق المنطق عليهم أن يقبلوا مسئولية الأحلام المنافية للأخلاق من غير قيد ، ولا

(١) في كتابه المنشور في عام ١٨٦٨ — نقلًا عن شبيتا أيضاً (١٨٨٢ ، ١٩٢) .

(٢) [المراد بهذا الأمر هو قانون الواجب .]

يبقى إلا أن نرجو لهم ألا تزورهم أحلام من هذا النوع الذميمة تخطيء إيمانهم الوطيد بقيمتهم الخلقية .

ولكن الذى يبدو هو أنه ما من أحد يعلم بكل هذا اليقين إلى أى مدى خبير هو أم شرير ، وأنه ما من أحد يستطيع أن ينكر أنه يذكر أحلاماً له تنافى الأخلاق ؛ فالكتاب من كل فريق - بغض النظر عن تقابل آرائهم فى صدد خلقية الحلم - يجهدون لكى يبينوا أصل الأحلام المنافية للأخلاق ، وهنا يدب بينهم خلاف جديد فى الرأى ، على حسب الوجهة التى يلتزمون فيها هذا الأصل : أفى وظائف الحياة النفسية ، أم فيما يداخل هذه الحياة من تأثيرات ذات علل جسمية . وهكذا تحمل قوة الواقع القائلين بمسئولية الحياة الحاملة والقائلين بارتفاع هذه المسئولية على السواء ، تحملهم على أن يلتقوا جميعاً فى التسليم بأن لا خلقية الحلم لها مصدر نفسى خاص .

ويحرص أولئك الذين يعتقدون أن الطبع الخلقى لا يبرح فى الحلم على أن يتجنبوا الاصطلاح بمسئولية أحلامهم كاملة . فيقول هافتر (١٨٨٧ ، ٢٥٠) : « نحن غير مسئولين عن أحلامنا ؛ فقد تقوض فيها أساس الإرادة والفكر ، هذا الأساس الذى به وحده يتوافر لحياتنا الصديق والوجود ... ومن ثم ارتفعت الفضيلة والرذيلة عن رغائب الحلم وفعله . » بيد أن الإنسان يظل مع ذلك مسئولاً عن أحلامه الآثمة ، من حيث كونه عليها غير المباشرة . ولهذا كان من الواجب عليه أن يطهر نفسه تطهيراً خلقياً فى يقظته ، وبخاصة قبل التوجه إلى النوم .

ويزودنا هيلد برانت بتحليل أعمق كثيراً لهذا المزيغ من الرفض والقبول لإزاء مسئوليتنا عن المحتوى الخلقى لأحلامنا . فهو بعد أن يفصل الكلام فى أن من الضرورى عند النظر فى مظهر الأحلام المنافر للأخلاق أن ندخل فى حسابنا أسلوبها الدرامى ^(١) فى التصوير ثم حشرها أعقد العمليات الفكرية فى أقصر برهة من الزمن ، ثم ما تؤول إليه العناصر الفكرية فى الحلم من فقدان القيمة ومن الاختلاط للذين يسلم بهما هو نفسه ، يعود فيعترف بأن ثمت اعتبارات من أخطر ما يكون تنبغى الروية فيها قبل أن نطرح كل مسئولية عن خطايا الحلم وذنوبه .

يقول (١٨٧٥ ، ٤٩) : « عند ما نريد أن نبرئ أنفسنا تبرئة قاطعة من تهمة

(١) [لى الذى يصوغ الفكرة فى قالب الحركة المسرحية .]

محفة وجهت إلينا ، وبخاصة إذا تعلقت التهمة بنياتنا ومطامعنا ، فإننا نستعمل ذلك التعبير السائر : هذا ما لم يكن يخطر لي ولو في الحلم . ولا شك في أننا نفى بذلك ، من ناحية ، أننا نعتبر الحلم أقصى وآخر منطقة يمكن أن نسأل فيها عن أفكارنا ، لأن الأفكار هناك لا يربط بينها وبين جوهرنا الحقيقي إلا رباط واه متراخ حتى لا نكاد نستطيع أن نعدّها منا ، ولكننا من حيث نشعر بدافع إلى أن ننفي صراحة وجود مثل هذه الأفكار ولو في تلك المنطقة ، نسلم في الوقت عينه تسليماً ضمنيّاً بأن براءتنا لا يتحقق لها التمام إلا إذا بلغت هذا المدى . وأعتقد أننا نتحدث عندئذ بلغة الحق ، وإن يكن على غير وعى منا . »

ثم يقول (ص ٥١ وما بعدها) : « ومن المحال أن نتصور فعلاً من أفعال الحلم لم يعرض للنفس المستيقظة الدافع الأصيل إليه في صورة رغبة أو شهوة أو اندفاع . » ومن الواجب أن نقول في صدد هذا الاندفاع الأول : إن الحلم لم يبتدعه ابتداءً ، كل الأمر أنه حاكاه وأنماه ، أو هو لم يعد أن يصوغ في قالب درامى رقعة من نسيج تاريخنا عثر عليها في أنفسنا ، إنه يخرج ^(١) كلمة الرسول : كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس ^(٢) . ولقد نبسم بعد أن نستيقظ ونحن شاعرون بقوتنا الخلقية لجميع هذا الطيف الذى أحكم خلقه الحلم الأثيم ، ولكن ما من ضحك يستطيع أن يخلصنا من المادة الأولى التى خلق منها الحلم . فالإنسان يشعر بأنه مسئول عما يرتكبه وهو حالم من المعاصى — لا عنها جميعاً ، ولكن عن نسبة مئوية منها مع ذلك . « وخلاصة القول هى أننا إذا أخذنا كلمة المسيح : من القلب تخرج أفكار شريرة ^(٣) ، بهذا المعنى الذى لا يكاد يحتمل جدالاً ، تعذر علينا أن نغالب الاعتقاد بأن كل إثم يؤتى في الحلم يجر معه على الأقل حداً أدنى مبهماً من استذئاب النفس . »

وهكذا يرى هيلد برانت مصدر لا خلقية الحلم فيما يعرض للنفس نهراً ، في صورة أفكار أمارة بالسوء ، من بذور الاندفاعات الشريرة وومضاتها ، ثم هو لا يتردد في أن يحسب لهذه العناصر المنافية للخلق حسابها في تقدير خلق الشخص . ونعلم أن هذه الأفكار الأمارة بالسوء عينها ، وأن ذات النظرة في تقديرها ، هى التى ساقى الأتقياء والقديسين من

(١) [بالمعنى المرحى لهذه الكلمة.]

(٢) [رسالة يوحنا الرسول الأول ، الإصحاح الثالث ١٥٢ .]

(٣) [إنجيل متى ، الإصحاح الخامس عشر ، ١٩ .]

جميع العصور إلى التحسر على استبداد الخطيئة بهم ^(١) .

وما من شك في أن هذه الأفكار المباشرة لما عداها شيء كثير الوقوع عند الغالبية العظمى من الناس ، وفي ميادين أخرى غير الميدان الخلقى . ولكن الحكم عليها كان أقل صرامة أحياناً . ويستشهد شبيتا (١٨٨٢ ، ١٤٤) بنص من تسلر (١٨١٨) يناسب هذا المقام : « وقل أن يكون لعقل من سداد التنظيم ما يمكنه من قواه كاملة في كل وقت ، ويصون دائماً سير فكره الواضح المنتظم من أن تعوقه أفكار لا نقول : ثانوية وحسب ، بل قبيحة معكوسة إلى أبعد المدى أيضاً . ولقد رأى أعظم المفكرين على التأكيد ما يدعونه إلى الشكوى من هذه الخثالة من الخواطر الشبيهة بالحلم ، الماجنة ، المعذبة ؛ فهي تزعج أعرق تأملاتهم وأشد أفكارهم جدّاً ومهابة . »

وليلد برانت ملاحظة أخرى تلقى ضوءاً أسطع على المغزى السيكولوجي الذي تتضمنه هذه الأفكار المباشرة ، ومؤدى ملاحظته هو أن الأحلام تتيح لنا الظفر بنظرة عارضة إلى أغوار وجودنا وثناياه ، هذا الوجود الذي يظل موصداً دوننا عادة في خلال اليقظة . ويعرب كانت عن هذه الفكرة نفسها في فقرة من كتابه في علم الإنسان [١٧٩٨] ، يعلن فيها أن الغاية من الحلم ربما كانت الكشف عن استعداداتنا الدفينة ، وإظهارنا لا على ما نحن عليه بل على ما كان يحتمل أن نكونه لو أننا نشئنا تنشئة أخرى . ويقول رادشوك (١٨٧٩ ، ٨٤) : « إن الحلم إنما يظهر مالا نود مصارحة أنفسنا به ، ونحن إذن نعلمه حين نرميه بالكذب والخداع . » ويقول ي . ل . إردمان : « ما أرتنى الأحلام قط كيف ينبغي لي التفكير في شأن رجل ما ، فأما كيف أفكر فيه حقيقة ، وما هي نياتي نحوه ، فذلك - لبالغ دهشى - ما علمنى الحلم إياه أحياناً . » ويقول ي . ه . فيخته (١٨٦٤ ، ١ ، ٥٣٩) : « إن الطابع الذي يسم أحلامنا مرآة تصور لنا حالتنا النفسية في مجموعها تصويراً أصدق كثيراً مما نستطيع تحصيله في يقظتنا بالملاحظة الذاتية . » وإن انبعاث هذه الاندفاعات الغريبة عن شعورنا الخلقى ليتناظر ظاهرة أخرى عرفناها من قبل ، وأعنى بها نفاذ الحلم إلى مادة فكرية تغيب في حالتنا المستيقظة أو لا يكون لها في أثناء هذه الحالة سوى شأن ضئيل . وهذا هو ما

(١) قد يفيدنا أن نعلم موقف محكمة التفتيش من مشكلتنا هذه . فقد جاءت في مؤلف توماس كارينا (١٦٥٩) الفقرة الآتية : « إذا تلفظ أى شخص ببدعة في أثناء نومه ، وجب على المفتشين أن يروا في ذلك داعياً إلى تقصى مسلكه ؛ فإيراد الإنسان في نومه إلا ما يشغله في نهاره . » (عن إفادة من الدكتور انهيجر ، سان أوربان ، سويسرا .)

تنهينا إليه ملاحظة مثل ملاحظة بنيني : « إن رغباتنا التي ظننا زمناً أنها قد اندثرت وانطفأت توقظ من جديد ، ومن جديد تبعث إلى الحياة الانفعالات القديمة المقبورة . وتمثل أشياء وأشخاص لا تفكر في أمرها وأمرهم إطلاقاً . » (١) (١٨٩٨ ، ١٤٩) ، أو ملاحظة فوللكت : « وكذلك الشأن في الأفكار التي تلج الشعور غير ملحوظة أو لا تكاد والتي قد لا نستحضرها إلى الذاكرة بعد ذلك قط ؛ فإنها كثيراً جداً ما تعلن عن وجودها في النفس بوساطة الحلم » (١٨٧٥ ، ١٠٥) . وأخيراً فلنا أن نتذكر في هذا المعرض حديث شلايرماخر عن اصطحاب فعل الأخذ في النوم بانبعث الأفكار (أو الصور) اللاإرادية . (أنظر ص ٨٤) .

ولنا إذن أن ندرج في باب « الأفكار اللاإرادية » جميع المادة الفكرية التي يثير انبعاثها استغرابنا ، في الأحلام اللاخلقية واللامعقولة على السواء . بيد أن ثمت فارقاً هاماً بين الحالتين . هذا الفارق هو أننا نرى أن الأفكار اللاإرادية المتعلقة بالجمال الخلقى تناقض ما نألف من مشاعرنا ، بينما تبدو لنا الأخرى عجيبة وحسب . وما من خطوة اتخذت حتى اليوم من أجل الوصول إلى معرفة أعمق غوراً تتجاوز هذه التفرقة .

والآن ، ما هو معنى ظهور الأفكار اللاإرادية في الحلم ، وأى النتائج تخلص لعلم النفس المستيقظة والحاملة من هذا الانبعث الليلي للنوازع الخلقية المباشرة لما عداها ؟ هنا تعود الآراء فتقسم من جديد ، ويعود المؤلفون أيضاً فيجتمعون أو يتفرون شعباً على نحو جديد . فالفكرة التي قال بها هيلد برانت وغيره من الذين يشاطرونه جوهر رأيه تسوق لا محالة إلى التسليم بأن الاندفاعات اللاخلقية تملك قدراً من القوة في حياة اليقظة نفسها ، غير أنها قوة مكفوفة لا تملك التقدم إلى حيز العمل ، وبأن شيئاً يبطل في أثناء الليل ، كان له في النهار فعل الكف ، فحال دوننا والانتباه إلى وجود أمثال هذه الاندفاعات . والحلم إذن قد يكشف عن طبيعة الإنسان الحقيقية ، وإن لم يكشف عن طبيعته كلها ، وقد يكون إحدى الوسائل في تقريب باطن نفسه المستتر من معرفتنا . فهذا الفرض وحده هو الذي يخول لهيلد برانت أن يعزو إلى الحلم قوة النذير الذي يجذب انتباهنا إلى معايينا الخلقية ، مثلما يعزو إليه الطبيب قوة الكشف عما تفوت ملاحظته من أدواء الجسم . ولا شك

[« Certe nostre inclinazioni che si credevano soffocate e spente da un pezzo, si (١) ridestano; passioni vecchie e sepolte rivivono; cose e persone a cui non pensiamo mai, ci vengono dinanzi. »]

في أن شبيتنا كذلك إنما يسترشد هذه النظرة حين يتحدث عن مصادر التهييج التي تؤثر في النفس في سن المراهقة مثلاً، فيعزى الحلم بأنه إذا التزم الحياة الفاضلة في يقظته وكان حريصاً على أن يقمع الأفكار الآثمة كلما انبعثت وعلى أن يحول بينها وبين أن تنضج وتصير فعالاً ، فقد صنع كل ما وسعه أن يصنع . ويحق لنا وفقاً لهذه النظرة أن نعرف الأفكار « اللارادية » بقولنا : إنها أفكار « قمعت » في خلال النهار ، ويحق علينا أن ننظر إلى انبعائها نظرتنا إلى ظاهرة سيكولوجية صادقة .

بيد أن تمت كتاباً آخرين يرون أننا لا نملك ما يبرر النتيجة الآتية . ففي رأى يسّسن أن الأفكار اللارادية في الحلم كما في اليقظة وفي هذيان الحمى وغير الحمى من الحالات « تتسم بإخلاء النشاط الإرادي إلى السكينة ، وتوارد الصور والأفكار المستثارة باندفاعات باطنة توارداً آلياً إلى درجة تزيد أو تنقص » (١٨٥٥ ، ٣٦٠) . وكل ما يدل عليه الحلم اللاخلى من الحياة النفسية للحالم هو أن الحالم قد سبق له معرفة بمحتوى الحلم الفكري ، ولكن الحلم لا يشهد على التأكيد بحصول صاحبه على نزوع نفس ما . فإذا رجعنا إلى مؤلف آخر هو موري كاد يهياً إلينا أنه لا ينسب إلى الحلم القدرة على هدم النشاط النفسي هدماً لا هدف من ورائه ، وإنما القدرة على رده إلى مقوماته . فهو يقول في صدد الأحلام التي يتخطى فيها المرء موانع الأخلاق : « إن نوازعنا هي التي نتحدث وتحركنا إلى العمل دون أن يمسكنا الضمير وإن حذرنا أحياناً . فإن لى نقائص ونوازعي إلى الرذيلة ، فإن كنت مستيقظاً جهدت في مغالبتها ، ولا يندر أن أفلح فلا أسلمها قيادى . وأما في أحلامي فأسلمه دائماً ، أو قل : إننى أعمل بدفعها ، من غير خوف ولا ندم ... فن الواضح أن الرؤى التي تتوارد أمام فكرى والتي منها يتكون الحلم ، توجيها إلى الحوافز التي أحسها والتي لا تسعى إرادتى الغائبة إلى كبتها . » (١١٣ ، ١٨٧٨) .

وما من أحد يؤمن بقدرة الحلم على أن يرفع النقاب عن ميل للحالم مناف للخلق اشتملت عليه نفسه حقيقة وإن كان مجموعاً أو مستتراً ، كان يستطيع أن يعرب عن هذا

(١) ["Ce sont nos penchants qui parlent et qui nous font agir, sans que la conscience nous retienne, bien que parfois elle nous avertisse. J'ai mes défauts et mes penchants vicieux; à l'état de veille je tâche de lutter contre eux, et il m'arrive assez souvent de n'y pas succomber. Mais dans mes songes j'y succombe toujours ou pour mieux dire j'agis par leur impulsion, sans crainte et sans remords... Evidemment les visions qui se déroulent devant ma pensée et qui constituent le rêve, me sont suggérées par les incitations que je ressens et que ma volonté absente ne cherche pas à refouler."]

المعنى بأدق من قول موري (ص ١١٥) : « في الحلم إذن ينكشف الإنسان لنفسه كله ، على ما ولد عليه من عرى وعوز . فهو ما أن يعلق استعماله لإرادته حتى يصير العوبة لجميع الانفعالات التي ينهانا عنها ونحن مستيقظون الضمير والإحساس بالشرف والخوف . » ^(١) وفي فقرة أخرى نقرأ له هذه الكلمة الثاقبة (ص ٤٦٢) : « إن الذي ينكشف في الحلم هو على الأخص الإنسان الغريزي . فالإنسان حين يحلم يعود إلى الفطرة — إن جاز التعبير . وكلما قل تأصل الأفكار المكتسبة في نفسه ، زاد احتفاظ النوازع المخالفة لها بسلطانها عليه في الحلم . » ^(٢) ومثاله على ذلك هو أنه كثيراً ما يبدو في أحلامه ضحية الخرافات التي يحاربها في كتاباته أشد محاربة .

ولكن ينقص قيمة هذه الملاحظات الثاقبة لموري من حيث أثرها في معرفتنا السيكلوجية بالحياة الحاملة رفضه أن يرى في الظاهرة التي أصاب في ملاحظتها إلى هذا المدى شيئاً آخر غير « الأوتوماتية السيكلوجية » ^(٣) التي تسيطر على الحياة الحاملة في زعمه ، والتي يرى فيها الضد التام للنشاط النفسى .

هذا ، ونجد عند شترىكر (١٨٧٩) فقرة يقول فيها : « إن الحلم لا يتكون من أوهام وحسب ؛ فحين يخاف المرء في الحلم غائلة اللصوص مثلاً ، فاللصوص يقينا من صنع خياله ، لكن الخوف حقيقى . » وفي هذا ما ينبها إلى أن الحالات الوجدانية في الحلم لا تقبل الحكم الذى يصدق على سائر محتواه . ومن ثم تنشأ هذه المشكلة : أى عمليات الحلم النفسية يمكن اعتبارها عمليات حقيقية ؟ وهذا يعنى : أيها يستحق أن يقسم له مكان بين العمليات النفسية لحياة اليقظة ؟

[“En rêve l'homme se révèle donc tout entier à soi-même dans sa nudité et sa misère natives. Dès qu'il suspend l'exercice de sa volonté, il devient le jouet de toutes les passions contre lesquelles, à l'état de veille la conscience, le sentiment d'honneur, la crainte nous défendent.”]

[“Dans le rêve, c'est surtout l'homme instinctif qui se révèle... L'homme revient pour ainsi dire à l'état de nature quand il rêve; mais moins les idées acquises ont pénétré dans son esprit, plus les penchants en désaccord avec elles conservent encore sur lui d'influence dans le rêve.”]

[“automatisme psychologique”].

ز

نظريات الحلم ووظيفة الحلم

كل مقال عن الحلم يهدف إلى تعليل أكثر ما يمكن تعليله من خصائصه الملاحظة مستنداً في ذلك إلى وجهة نظر بعينها ، ثم في الوقت نفسه يعرف مكان الحلم ضمن دائرة أوسع نطاقاً من الظواهر ، تجوز لنا تسميته نظرية في الحلم . وتتميز نظريات الحلم المختلفة فيما بينها من حيث تعلل هذه الخاصة أو تلك إلى مرتبة الخاصة الجوهرية للحلم وتقيم عليها التعليلات والعلاقات . ولا يتحتم أن تتفرع عن كل نظرية وظيفة ما للحلم ، سواء أكانت وظيفة نفعية أم لم تكن ، بيد أننا وقد ألفنا أن نتوقع للأشياء غاياتها أكثر ترحيباً بهذه النظريات التي تلزم منها للحلم وظيفة .

ولقد أحطنا من قبل بنظرات متعددة تستحق بهذا المعنى أن يطلق عليها اسم النظريات . فاعتقاد القدامى أن الحلم ترسله الآلهة لهداية الإنسان في أفعاله كان نظرية أفادت أصحابها خبراً بكل ما كانت تنبئ معرفته عن الحلم . ومنذ أن صار الحلم موضوع بحث علمي ، عرفنا عدداً وافراً من النظريات ، ولكن الكثير منها غاية في النقص . فإذا لم ندع الاستيعاب ، أمكن أن نقسم نظريات الحلم تلك الأقسام الإجمالية الثلاثة ، وذلك من حيث مسلماتها الضمنية فيما يتصل بدرجة النشاط النفسي في الحلم ونوع هذا النشاط :

١ - نظريات تترك النشاط النفسي يستمر كله في الحلم ، مثل نظرية دلبوف . فالنفس على حسب هذه النظريات لا تنام ، وجهازها يظل سليماً ، ولكنها إذ تخضع لشروط حالة النوم المختلفة من شروط حياة اليقظة تحدث بأدائها السوي لوظائفها نتائج تختلف بالضرورة في أثناء النوم منها في اليقظة . والسؤال الذي نسأله بصدد هذه النظريات هو : هل هي تستطيع أن تشتق كل الفروق القائمة بين الحلم والتفكير المستيقظ من شروط حالة النوم وحدها ؟ ثم هي فوق ذلك لا تملك سيلاً تستطيع منه أن تبين للحلم وظيفة ؛ فنحن لا نعلم لم نحلم ، لم تستمر الميكانيكية المعقدة للجهاز النفسي في العمل حتى بعد الانتقال به إلى ملابسات لا يبدو معداً لها . فالنوم من غير حلم واليقظة إن وقع مزعج ، هما

وحدما اللذان يظان استجابتين نافعتين ، بدل الثالثة التي هي الحلم .

٢ - نظريات أخرى تفترض على العكس أن الحلم يتضمن نقصاً في النشاط النفسى وتراحياً في الروابط وفقرأ فيما يستطيع امتلاكه من المواد . ويلزم من هذه النظريات أن تكون للنوم خصائص تختلف كل الاختلاف من تلك التي يضيفها إليه دلبوف مثلاً . فالنوم وفق هذه النظريات ينال من النفس أكبر منال ، فلا يقتصر على إيصاها دون العالم الخارجى ، بل ينفذ إلى ميكانيكيته ويبطل عملها إبطالا موقوتاً . ولو كان لى أن أجازف بتشبيه مستمد من مجال علم الطب النفسى ، لقلت : إن النظريات الأولى تركب الحلم على غرار البارانونيا ، بينما تصوره الثانية على صورة الضعف العقلى أو الحالات الخلطية .

والنظرية القائلة : إن الحياة النفسية لا تجد في الحلم إعراباً إلا عن جزء منها فقد شلها النوم ، هي النظرية المفضلة كثيراً عند الكتاب الأطباء وفي الدوائر العلمية بوجه عام . فهي النظرية التي يمكن وصفها بأنها النظرية السائدة — بقدر ما يمكن القول بأن هناك اهتماماً عاماً بتعليل الأحلام . ولا يفوتنا أن نلاحظ مدى السهولة التي تتجنب بها هذه النظرية الارتطام بالعقبة الكأداء التي تعترض كل محاولة في تعليل الحلم ، وأعني بها صعوبة فض متناقضاته . فهذه النظرية ترى في الحلم نتيجة يقظة جزئية («يقظة تدريجية ، جزئية ، هي في الوقت نفسه يقظة غير سوية إلى أبعد مدى » بتعبير هربارت ، ١٨٩٢) ؛ ولهذا فقد وسعها بسلسلة متدرجة من حالات التيقظ تتوجها اليقظة التامة أن تعلل كل درجات التفاوت في نتاج النشاط النفسى للحلم ، من أحطه الذي يتجلى في مجانبة كل معقولة إلى التفكير المركز تمام التركيز .

وأولئك الذين لا يرون لأنفسهم غنى عن لغة الفيزيولوجيا ، أو يرون لهذه اللغة طابعاً علمياً لا يرونه لغيرها ، سوف يجدون ضالهم في قول بينتس (١٨٧٨ ، ٤٣) :

« ولكن هذه الحالة (حالة السبات) لا تشرف على الانتهاء في ساعات الصباح المبكر إلا بالتدريج ، فتنقص المواد المتراكمة من التعب في ألبيومين المخ ، ويزداد ما يفسد منها أو يكتسحه جريان الدم غير المنقطع . وهكذا تستيقظ هنا وهناك مجموعات متفرقة من الخلايا بينما يبقى ما يحيط بها على حاله من السبات . وهنا يظهر أمام الشعور النائم أثر النشاط المنعزل لمجموعات الخلايا المتفرقة دون أن تكبحه سائر أجزاء المخ المتحركة في المستدعيات . ولهذا السبب كانت الصور الناشئة عن ذلك والتي يستمد معظمها من الانطباعات المادية

لماضينا القريب ترتبط بعضها ببعض على نحو همجي ، لا ضابط له . ولكن كلما أخذت خلايا المخ المستيقظة تزداد عدداً ، نقص خبل الحلم شيئاً فشيئاً . »

وتصور الحلم يقظة جزئية غير مكتملة تصور نصادفه يقيناً ، أو على الأقل نصادف آثاراً من نفوذه ، في كتابات كل فيزيولوجي أو فيلسوف معاصر . ومورى هو أكثر من فصل الكلام فيه ؛ فهذا المؤلف يبدو في كثير من الأحيان كأنه يتخيل أن حالة اليقظة أو النوم تقبل النقلة من منطقة تشريحية إلى أخرى ، هذا مع ارتباط كل منطقة تشريحية في رأيه بوظيفة نفسية خاصة بها ارتباطاً لا شك فيه . ولكنى لا أبتغي في هذا الموضع سوى الإلماع إلى أن نظرية اليقظة الجزئية — حتى إذا لاقت ما يؤيدها — تظل معرضة أشد التعريض لنقاش طويل في دقائقها .

وطبعي أن هذه النظرية لا تترك مجالاً للحديث عن وظيفة معينة للحلم . بل الأصح أن بينتس يستخلص نتیجتها المنطقية فيما يتصل بمقام الحلم ومغزاه حين يقول (١٨٧٨ ، ٣٥) : « إن كل الوقائع تدفعنا — كما نرى — إلى أن نعد الحلم عملية جسمية معدومة النفع في جميع الحالات ، مرضية على التحقيق في الكثير منها . »

ولا شك في أن تطبيق التعت « جسمي » — الذى يدين بإبرازه إلى المؤلف نفسه — على الأحلام ، أمر له أكثر من دلالة . فهو يشير أولاً إلى عليه الحلم التى كانت ولا شك تلوح لعين بينتس ذات وجاهة خاصة حين كان يدرس إحداث الأحلام بالتجريب ، بإعمال المواد السامة . فما يتسق وهذا الضرب من النظريات أن يقصر الحافز إلى الحلم على علل جسمية ، قدر الإمكان . ولو أننا صغنا هذه النظرية في أشد صورها تطرفاً ، لكان منطوقها هكذا : إننا ما أن نبعد عن أنفسنا كل منه فئنا حتى تنعدم كل حاجة إلى الحلم وكل مناسبة تبعث عليه ، إلى أن يحىء الصباح فتتوارد المنبهات من جديد وتأخذ من جانبنا في الاستيقاظ وينعكس ذلك في ظاهرة الحلم ، بيد أن صيانة النوم من كل منه ضرب من المحال ؛ فالمنبهات تقتحم النائم من كل الجوانب ، مثل بذور الحياة التى ضج منها مفيستو بالشكوى ، ^(١) تقتحمه من داخل ومن خارج ، بل من أجزاء من جسمه لا نلاحظ شأنها مطلقاً ونحن مستيقظون ، وهكذا ينزعج النوم وتهتر إلى اليقظة هذه الزاوية من النفس ثم تهتر تلك ، وتعمل النفس بشطرها المستيقظ سعيدة إذا استطاعت أن تعود إلى النوم من

جديد ، والحلم إنما هو استجابة إلى الإزعاج الذى تجلبه المنبهات على النوم - استجابة لا طائل منها بعدُ على الإطلاق .

ثم إن وصف الحلم - الذى يظل مهما قيل وجهاً من أوجه النشاط النفسى - بكونه عملية جسمية ، ينطوى أيضاً على مقصد آخر : فيه يجرد الحلم من قيمة العملية النفسية . وربما كان مثل « العازف الجاهل الذى تجرى أصابعه العشرة على الأوتار » ، هذا المثل البالى الذى يطبقه ولاة العلم المضبوط على الحلم ، هو خير ما يصور أية استهانة يلقاها بينهم النشاط النفسى للحلم . وعلى حسب هذه النظرة يصبح الحلم شيئاً لا يقبل تفسيراً ؛ فأنى للعازف الجاهل أن تجد أصابعه العشرة بمقطوعة من الموسيقى ؟

ولم تعدم نظرية اليقظة الجزئية نقادها حتى فى الماضى البعيد . فقد كان من رأى بورداخ عام ١٨٣٨ : « أننا حين نقول : إن الحلم يقظة جزئية ، فهذا القول - أولاً - لا يلقى ضوءاً ما سواء على اليقظة أو على النوم ، ثم هو - ثانياً - لا يعدو قولنا : إن بعض القوى النفسية تنشط فى أثناء الحلم بينما يظل البعض الآخر ساكناً . ولكن مثل هذا التفاوت يقع فى كل وقت من الحياة . . . » (ص ٥٠٨)

وإلى هذه النظرية السائدة التى ترى فى الحلم عملية جسمية ، يستند فرض خليك بأكبر الاهتمام ، كان روبرت أول من ذهب إليه عام ١٨٨٦ ، وهو فرض له جاذبيته لأنه يعرف كيف يجعل للحلم وظيفة أو نتيجة نافعة . وقيم روبرت نظريته على واقعيتين من الوقائع الملاحظة ، سبق لنا النظر فيهما ونحن نبحث فى مادة الحلم (أنظر ص ٥٧) . وهاتان الواقعتان هما : أننا غالباً ما نحلم بأكثر انطباعات النهار نفاهة ، وأننا نادراً ما نتابع فى الحلم مشاغل النهار الهامة . ويؤكد روبرت أن من الصحيح بوجه لا استثناء فيه أن الأشياء التى فرغنا من التفكير فى أمرها لا تحفز إلى الحلم إطلاقاً ، وإنما تحفز إليه تلك التى تعلق بالذهن دون أن تكتمل ، أو التى يكون الذهن قد مر بها مروراً خاطفاً (١٨٨٦ ، ١٠) . - « والسبب الذى من أجله نعجز عادة عن تحليل أحلامنا هو أن عللها هى على التحديد تلك الانطباعات الحسية التى لم يتعرفها الحلم فى اليوم السابق تعرفاً كاملاً . » فالشرط فى تسرب انطباع ما إلى الحلم هو إما أن يحول حائل دون القراع من التفكير فى أمره ، وإما أن يكون هذا الانطباع ضئيل الشأن بحيث لا يتطلب مثل هذا التفكير على الإطلاق .

والحلم إذن ، فى تصور روبرت ، « عملية نرح جسمية ، نصير إلى الشعور بها فى

استجابتنا إليها . « إن الحلم نزع لأفكار خفت في المهد . « ولو أن إنساناً سلب القدرة على الحلم ، لانتهى به الأمر حيناً إلى الخلل العقلي ؛ إذ سوف يزدحم في ذهنه عدد يفوق الحصر من الخواطر الناقصة المعلقة ومن الانطباعات السطحية . بحيث تختنق تحت ثقل هذه الخواطر والانطباعات تلك الأفكار التي يجب أن تمكث في الذاكرة في صورة كل مكتمل . »
فالحلم يعمل عمل صمام الأمان بالنسبة إلى الذهن المثقل ، وإن الأحلام لتملك قدرة مطيبة مخففة . (ص ٣٢) .

غير أننا نخطيء فهم روبرت إذا نحن سألناه كيف يفيد تمثيل الأشياء في الحلم في تخفيف أعباء النفس . فن الواضح أن المؤلف قد خلص من هاتين الخاصيتين اللتين تميزان مادة الحلم إلى أن الانطباعات المجردة من القيمة يتم نزعها في أثناء النوم على نحو من الأنحاء بفعل عملية جسمية ، وإلى أن الحلم ليس عملية نفسية قائمة بذاتها ، بل هو المعرفة التي تبلغنا عن هذا الترح . والترح بعد ذلك ليس الشيء الوحيد الذي يحدث ليلاً في النفس ؛ فروبرت نفسه يضيف إلى ما سبق أن الأفكار المتخلفة من اليوم المنقضي قد يتم فوق ذلك إحكامها ، وأن « ما لا يتسنى نزعها من المواد التي تبقى في الذهن دون أن تهضم قد يربط فيما بينه بخيوط مستعارة في الخيلة بحيث يكون كلاً مؤثلاً ، وبهذا ينتظم في الذاكرة كصور خيالية لا ضرر منها . » (ص ٢٣) .

ولكن روبرت يخالف النظرية السائدة تمام المخالفة من حيث تقديره لطبيعة المصادر التي يصدر عنها الحلم . فبينما يخلص من تلك النظرية أن الإنسان ما كان ليحلم لولا المنبهات الحسية التي توقظ النفس بدون انقطاع من الداخل ومن الخارج ، تقيم نظرية روبرت الدافع إلى الحلم في النفس ذاتها ، في ثقل أحماها وحاجتها إلى التخفيف ، ثم بعد ذلك يستخلص روبرت من رأيه هذا نتيجة المنطقية فيقرر أن علل الحلم المنبعثة من أحوال الجسد إنما تشغل مرتبة ثانوية ، وأن ذهناً لم يختزن من شعوره المستيقظ مادة يبنى بها أحلامه ما كانت تسوقه هذه العلل إلى الحلم بحال من الأحوال . والقيد الوحيد الذي يقيد به روبرت رأيه هذا هو تسليمه بأن الأخيلة المنبعثة في الحلم من أعماق النفس قد تتأثر بفعل المنبهات العصبية (ص ٤٨) . وهكذا لا يكون الحلم في النهاية ، على حسب روبرت ، متوقفاً كل التوقف على الأحداث الجسمية . ومع هذا فالحلم في رأيه ليس بالعملية النفسية ، ولا له من محل بين العمليات النفسية لليقظة ، إنه عملية جسمية تقع كل ليلة في الجهاز المختص بالنشاط

النفسي ، عملية لها وظيفة تؤديها ، هي وقاية هذا الجهاز من فرط التوتر ، أو إذا جاز أن نستبدل بالتشبيه تشبيهاً فهذه الوظيفة هي : تنظيف النفس .

وعلى ذات الخاصتين المتجليتين في اختيار مادة الحلم يقيم مؤلف آخر ، هو إيف دولاج ، نظريته . وإنه لمن المفيد في هذا المعرض أن نرى كيف تؤدي حيدة خفيفة في النظر إلى ذات الأشياء إلى نتيجة مختلفة الدلالة كل الاختلاف .

فقد لاحظ دولاج عن خبرة وقعت له ، بعد أن أفقده الموت عزيزاً لديه ، أن المرء لا يحلم بما يستبد بفكره نهائياً ، أو لا يحلم به إلا بعد أن تأخذ شواغل النهار الأخرى في تلطيفه . فلما استعلم غيره تأيد عنده عموم هذا الوضع . وإنه ليأتى في صدد أحلام المتزوجين حديثاً بملاحظة تكون خليقة بالاهتمام لو ثبت اطراد صدقها ، يقول (١٨٩١ ، ٤١) : « إذا كان كلاهما شديد الشغف بالآخر ، لم يكذب يحلم به مطلقاً قبيل الزواج أو في خلال شهر العسل فإن حلم بغرام ، فلكي يرتكب في حلمه خيانة ما مع ثالث لا منزلة له في النفس أو كرهه إليها . » (١) بم تحلم النفس إذن ؟ يرى دولاج أن المادة التي تعرض في أحلامنا تتكون من نبذ مستقاة من انطباعات الأيام الأخيرة أو التي قبلها ومن بقاياها . فكل ما يظهر في أحلامنا ونترع في أول الامر إلى ان نعهده خلقاً من خلق الحياة الحاملة ، لا نلبث أن نتبين حين نفحصه عن مقربة أنه استحضار لم نعرفه [لخبرة سابقة] ، أنه « ذكرى لاشعورية » (٢) . بيد أن هذه المادة الفكرية تبدي خاصية مشتركة : فهي تنشأ من انطباعات كان تأثيرها في حواسنا أشد على الأغلب منه في عقولنا ، أو من انطباعات تحول عنها الانتباه على أثر وقوعها . فكلما قل حظ الانطباع من الشعور وزاد مع ذلك حظه من القوة ، ازداد احتمال أخذه من الحلم القادم بنصيب .

هاتان المقولتان من مقولات الانطباعات : ما خلا من الشأن وما لم نفرغ من أمره بعد ، هما من حيث الجوهر ذات المقولتين اللتين ذكرهما روبرت نلقاهما من جديد . ولكن دولاج ينحو بالمسألة نحواً آخر ؛ فهو يرى أن هذه الانطباعات لا تحدث الحلم لخلوها من الشأن بل لكوننا لم نفرغ من استيعاب التفكير فيها . ومن الصحيح أن الانطباعات النافهة

(١) ['S'ils ont été fortement épris, presque jamais ils n'ont rêvé l'un de l'autre avant le mariage ou pendant la lune de miel; et s'ils ont rêvé d'amour c'est pour être infidèles avec quelque personne indifférente ou odieuse.']

["souvenir inconscient"]

(٢)

هى أيضاً بمعنى من المعانى انطباعات لم تلق منا معالجة كافية؛ فهى — وهى الحديثة العهد — تكون بمثابة «لواب مشدودة» ^(١) ترخى فى أثناء النوم . والانطباع القوى الذى اتفق أن حال حائل دون الفراغ من معالجته أو الذى كبح جماحه عن عمد له حق فى المشاركة فى الحلم يفوق ما يكون لانطباع ضعيف لم يكد يلقى انتباهاً . فالقوة النفسية المختزنة فى أثناء النهار نتيجة للكف وللقمع تصير القوة الدافعة إلى الحلم فى الليل : فى الحلم يبرز المكبوت النفسى ^(٢) .

ومن سوء الحظ أن دولاج يقف بنظريته عند هذا الحد . فهو لا يستطيع أن يعزو إلى نشاط نفسى مستقل إلا أقل نصيب فى الحلم ، وبهذا يرتد بنظريته إلى ما يتفق والنظرية السائدة ، نظرية الصحو الجزئى : « وخلاصة القول هى أن الحلم نتاج الفكر الضال من غير هدف ولا اتجاه ، متوقفاً على التعاقب عند الذكريات التى بقى لها من الشدة ما يمكنها من اعتراض طريقه واستيقاف سيره ، رابطاً بينها برباط يضعف ويرخو حيناً ثم يشتد حيناً آخر ويضيق ، على حسب التفاوت فى مقدار ما يحويه النوم من نشاط المخ الفعلى . » ^(٣) (ص ٤٦) .

٣ — ونستطيع أن ندرج فى طائفة ثالثة تلك النظريات التى تعزو إلى النفس الحاملة قدرة ونزوعاً إلى أنواع بعينها من النشاط النفسى تعجز عن أدائها فى الحياة المستيقظة كل العجز أو لا تؤديها إلا على نحو ناقص جداً — وإن تشغيل هذه القدرات لأمر يجعل عادة للحلم وظيفة . وفى هذه الطائفة الثالثة تدخل معظم آراء علماء النفس الأسبقين فى تقدير الحلم ، بيد أننى أقنع بأن أنيب عنهم نصاً لبورداخ يخلص منه أن الحلم « هو النشاط الطبعى للنفس ، نشاط لا يقيدده طغيان الفردية ، ولا يعطله الشعور بالذات ، ولا يوجهه

[“autant de ressorts tendus”].

(١)

(٢) يعرب أناطول فرانس عن فكرة ماثلة كل الماثلة إذ يقول :

“Ce que nous voyons la nuit, ce sont souvent les restes malheureux de ce que nous avons négligé dans la veille. Le rêve est souvent la revanche des choses qu'on méprise ou le reproche des êtres abandonnés.” (Le lys rouge)

[“إن ما نراه فى خلال الليل هو فى الكثير من الأحيان تلك البقايا التمسمة لما أغفلناه فى يقظتنا ؛ فالحلم كثيراً ما يكون نأراً الأشياء التى احتقرناها ، أو عتاب الكائنات التى هجرناها . ” الرنبة الحمراء .]

[“En somme le rêve est le produit de la pensée errante, sans but et sans direction, (٣)

se fixant successivement sur les souvenirs qui ont gardé assez d'intensité pour se placer sur sa route et l'arrêter au passage, établissant entre eux un lien tantôt faible et indécis, tantôt plus fort et plus sévère, selon que l'activité actuelle du cerveau est plus ou moins abolie par le sommeil.”]

الحلم الذاتى ، وإنما هو حيوية المراكز الحسية وقد خلت للعب الطليق . « (١٨٣٨) ، (٥١٢) .

ومن الواضح أن بورداخ وسائر من ذهب مذهبه يرون أن هذا البذخ فى استخدام النفس قواها حالة تنتعش النفس فيها وتجتمع لها بها قوة جديدة على عمل النهار ، شئ أشبه بالإجازة . ولهذا كان بورداخ يستشهد بالكلمات الساحرة التى يشيد فيها الشاعر نوفاليس بمملكة الحلم ، ويقبل هذه الكلمات : « الحلم درع بيننا وبين راتب الحياة ومألوفها ، استرواح طليق للمخيلة تضرب فيه جميع صور الحياة بعضها ببعض وتقطع جد الراشد المستديم بلعب الطفل المرح ؛ فلولا الحلم لكان من المستيقن أن تسبق شيخوختنا أوانها . وهكذا يستطيع الإنسان أن يرى فى الحلم هبة غالية ، وإن جاز ألا تكون مرسله من عليين ، وأن يعده رفيقاً مخلصاً يصحبه فى حجه إلى قبره . »

ويصف پوركينيه هذه الوظيفة المطيبة المحددة لقوى الحياة وصفاً أكثر بعد إلحاحاً ، فيقول (١٨٤٦ ، ٤٥٦) : « والأحلام المبدعة بنوع خاص هى التى تقوم بهذه الوظائف . فهذه الأحلام هى لعب المخيلة لعباً سهلاً وليس يربط بينها وبين أحداث النهار رباط ما . فالنفس راغبة عن إطالة ما تتضمنه الحياة المستيقظة من التوترات ، بل هى تنشده إرخاءها والاستجمام منها . ثم هى قبل كل شئ تخلق حالات تضاد حالات اليقظة ، فتعالج الحزن بالفرح ، والهم بالأمل وصور السلوان ، وتعالج الكراهية بالحب والصدقة ، والخوف بالشجاعة والثقة ، وتهدىء الشك باليقين والاعتقاد الراسخ ، والانتظار على غير طائل بالتحقيق . وكثير من جراح القلب التى لا تلتئم أبداً فى النهار يداوئها النوم الذى يسترها ويصونها من كل هائج جديد . وعلى هذا يبنى إلى حد فعل الزمن الشافى . » ونحن جميعاً نشعر بأن للنوم فعله الطيب فى الحياة النفسية ، كما أن الإحساس الغامض الذى للروح الشعبى يأبى إباءً صريحاً أن يسلب اعتقاده بأن الحلم أحد الطرق التى منها يبذل النوم أفضاله .

ولكن أشد المحاولات أصالة وأعمقها غوراً فى تعليل الحلم باعتباره نوعاً خاصاً من النشاط النفسى لا يستطيع الانطلاق حرّاً إلا فى خلال النوم ، هى تلك التى أتاها شرنر سنة ١٨٦١ . لقد كتب شرنر كتابه بأسلوب ثقيل ، طنان ، مشبع بحماسة للموضوع تكاد تقارب التمل ، أسلوب من شأنه أن يصد كل قارئ لا ينساق فى تياره ، ثم هو يقيم فى وجه من

يتعرض لتحليله صعوبات تجعلنا نعتاض عنه طواعية بالعرض الواضح الموجز الذى كتبه الفيلسوف فوللكت لنظريات شرنر : « من خلال هذه الأركان التصوفية ومن ثانيا هذه السحب من الفخامة والبهاء تومض ، وميض البرق ، لمحات المعنى المكنون . لكن هذه لا تنير طريق الفيلسوف . » — ذلك هو الحكم الذى يصدره على أسلوب شرنر تلميذه نفسه . (فوللكت ١٨٧٥ ، ٢٩) .

إن شرنر ليس من هؤلاء الكتاب الذين يدعون للنفس كل ملكاتها حين تنتقل إلى الحياة الحاملة . كلا ، بل هو يرينا كيف تجرد بؤرة الأنا المركزية ، طاقته التلقائية ، من قوتها العصبية فى أثناء الحلم ، وكيف تنجم عن هذه اللامركزية المدخلة أن تتغير عمليات المعرفة والإحساس والإرادة والتصور ، وكيف تعدم البقايا المتبقية من هذه الوظائف النفسية كل طابع عقلى حق ، وتصير حركات آلية ليس غير . بيد أن الملكة التى تجوز تسميتها مخيلة تظهر فى مقابل ذلك بسيطرة غير مقيدة : فهى تتحرر من سيادة العقل وتتحرك — من ثم — من كل قاعدة تلتزم . صحيح أن مخيلة الحلم تستمد كل مواد بنائها من ذكريات اليقظة القريبة ، ولكنها تشيد منها تراكيب لا تحمل أدنى شبه بتركيب الحياة المستيقظة ؛ فهى تكشف فى الحلم عن قدرة مبدعة ، لا مستحضرة فحسب . وخواصها هى ما ينحلى على الحياة الحاملة سماتها ؛ فهى تؤثر من الأشياء المفرط والمفرق والمهول . غير أنها ، فى الوقت عينه ، إذ تتحرر من موانع الفكر بمقولاته تكتسب قدراً أعظم من اللدونة والخفة والتقلب ؛ فهى حاسة كأرشف ما يكون الحس بدقائق الخلجات الرقيقة مثلها بعنيف الانفعالات ، ثم هى سريعة إلى تجسيد حياتنا الباطنة فى صور خارجية يلمسها البصر . فمخيلة الحلم مسلوبة القدرة على لغة التصورات المجردة ، وهى إذن مضطرة إلى أن تصوغ ما تريد قوله فى تصاوير ، وإنما لتستخدم هذا الأسلوب المصور استخداماً كاملاً قوياً ، فها هناك من تصورات مجردة تكسر شوكتها . لهذا كانت لغتها — مهما بلغ وضوحها — مسهية ، ثقيلة ، متعثرة . ثم ينقص وضوحها بنوع خاص صدوفها عن تمثيل الموضوع بصورته الخاصة به وإثارة صورة غريبة عنه إذا كان فى هذه الصورة ما يعرب عن هذا المحمول الذى يهجمها تمثيله وحده دون سائر محمولات الموضوع . وذلك هو النشاد الرمزى للمخيلة . . . وأمر آخر له أهميته القصوى ؛ هو أن مخيلة الحلم لا تصور الموضوعات أبداً تصويراً مستوفى بل مجملاً فقط ، حتى هذا الإجمال تأتية فى كثير من الحرية ؛ ولهذا جاءت صورها أشبه بتخطيطات مبتكرة .

غير أن مخيلة الحلم لا تقف عند مجرد تمثيل الموضوع ، بل تدفعها ضرورة باطنة إلى أن تدخل أنا الحالم في علاقة بهذا الموضوع إلى حد ينقص أو يزيد ، وبهذا تخلق حدثاً . مثال ذلك أن حلماً صادراً عن منبه بصرى قد يصور قطعاً ذهبية ملقاة في الطريق : عندئذ سوف يلتقطها الحالم ويمضى فرحاً .

وأما المادة التي تتناولها مخيلة الحلم بنشاطها الفني هذا ، فأهم مصادرها ، على حسب شررر ، المنبهات الجسمية العضوية التي تظل مبهمة في خلال النهار (أنظر ص ٦٨ وما يليها فيما سبق) . وهكذا يكون ثمت تطابق تام فيما يتعلق بمصادر الحلم ومنبهاته بين هاتين النظريتين الكائنتين على طرفي نقيض في كل ما خلا ذلك : نظرية شررر المغرقة في الخيال ونظرية فونت وغيره من الفيزيولوجيين ، المتزنة انزاناً قد يكون فيه بعض الغلو . ولكنه بينما ترى نظرية الفيزيولوجيين أن الاستجابة السيكلوجية إلى المنبهات العضوية الباطنية تكمل إذا ما استيقظت أفكار تناسب هذه المنبهات على نحو من أنحاء المناسبة ، أفكار تثير غيرها من طريق التداعى ، وإلى هذا الحد تنتهى سلسلة العمليات النفسية — ترى نظرية شررر أن عمل المنبه العضوى ينحصر في تزويد النفس بالمادة التي تمكنها من تحقيق أهدافها التخيلية . فتكوين الحلم في رأى شررر إنما يبدأ حيث يرى المؤلفون الآخرون أنه ينتهى .

ومن المؤكد أننا لانستطيع أن نرى فيما تصنعه مخيلة الحلم بالمنبهات الحسية شيئاً ذا قصد نافع ؛ فهي إنما تلعب بها لعباً عابثاً وتصور المصادر العضوية التي تنبعث منها هذه المنبهات بضرب من الرمزية المشكّلة . ويرى شررر — وفي هذا يفترق منه فولكيت وكثير غيره — أن مخيلة الحلم تملك طريقة بعينها تؤثرها في تصوير الكائن العضوى في مجوعه : تلك هى تصويره في صورة المنزل . إلا أنها لحسن الحظ لا تبدو تلتزم هذه الطريقة الواحدة في التصوير . ثم هى قد تشير على العكس إلى عضو مفرد من أعضاء الجسم بصف بأسره من المنازل : كأن تصور منبهاً معوياً بشارع اصطفت المنازل طويلاً على جانبيه . ويتفق في مرة أخرى أن تنوب أجزاء متفرقة من المنزل عن أجزاء متفرقة من الجسم : مثال ذلك أن حلماً ناجماً عن صداع قد يصور الرأس فيه بسقف منزل تغطيه عناكب أشبه بالضفادع تبعث على الغثيان .

وإذا تركنا رمزية المنزل جانباً ، فقد تستخدم مخيلة الحلم أى موضوع آخر يروقها في تصوير أجزاء الجسم الصادرة عنها المنبهات : « فيرمز إلى الرثتين وهما تنفسان بالموقد المستعر

بما له من زئير كالريح ، ويرمز إلى القلب بالصناديق والسلال المحققة ، وإلى المثانة بالموضوعات المستديرة الشبيهة بالأكياس أو بالموضوعات المقورة على وجه أعم . فإن كان الحلم راجعاً إلى منبه جنسى رأى الحالم أنه يصادف في الطريق مبسم « كلارينت » أو غليون طباق أو قطعة من الفراء كذلك . وهنا تمثل « الكلارينت » أو غليون الطباق الشكل التقريبي لعضو الذكورة ، بينما يمثل الفراء شعر العانة . وأما الأحلام الجنسية عند الإناث ، فقد يرمز فيها إلى الفرجة الضيقة بين الفخذين حين يلتصقان بفناء ضيق أحاطت به المنازل ، بينما يرمز إلى الفرج بممر ناعم ، زلق ، شديد الضيق ، يجرى عبر الفناء ، ترى الحاملة نفسها مضطرة إلى المسير فيه لكي تحمل ، مثلاً ، رسالة ما إلى رجل من الرجال . » (فولكت ، ص ٣٤) . وإنه لأمر له أهميته الخاصة أن مخيلة الحلم قد ترفع النقاب عن وجهها — إن جاز هذا التعبير — في نهاية هذه الأحلام الناجمة عن منبه جسمي ، إذ تكشف صراحة عن العضو الذي يتعلق به الأمر أو عن وظيفته . وهكذا يقع عادة أن تنهى « أحلام الأسنان » بأن ينتزع الحالم سناً من فمه .

بيد أن مخيلة الحلم قد لا توجه انتباهها إلى شكل العضو المنبئ فقط ، بل ترمز كذلك إلى المادة المحتواة في هذا العضو : مثال ذلك وحل الطريق في الأحلام الناجمة عن منبه معوى ، وزبد الماء في تلك الناجمة عن منبه بولى . أو قد يتناول التمثيل الرمزي المنبه من حيث هو كذلك ، أو نوع التهيج الذي يحدثه ، أو الموضوع الذي يصبو إليه ، أو قد يدخل أنا الحالم في علاقة منظورة بالرموز التي تصور حالته النفسية : مثال ذلك أن يصارع الحالم صراع المستميت كلاباً مسعورة أو ثيراناً هائجة في حالة المنبهات الأثيمة ، أو ترى الحاملة نفسها ورجل عاريطاردها في حلم جنسى . فإذا تركنا جانباً كل هذه الثروة في وسائل التصوير الممكنة ، بقى أن النشاط الرمزي للمخيلة هو القوة المركزية في كل حلم . ولقد حاول فولكت في صفحات كتابه أن يتعمق ماهية هذه المخيلة وأن يجد لها محلاً في مذهب فلسفي ، ولكن كتابه ، وإن سطر بأسلوب بدیع قوى ، يظل صعب الفهم في الغاية على من لم يعده تعليمه المبكر لإدراك التصورات الفلسفية بروح من القبول .

ولا تقتصر هذه المخيلة الرامزة التي يقول بها شرزر بأية وظيفة نافعة : إن النفس تلعب حاملة بما يعرض لها من المنبهات . ومن حق القارئ أن يستخلص أنه لعب أدنى إلى الأدنى منه إلى النفع . ولكن من حق القارئ أيضاً أن يسألنا : وعلام إذن كان هذا

الاهتمام الطويل بنظرية شرنر ، وهى نظرية يبدو جلياً خلوها من كل سند غير إرادة صاحبها وخروجها على كل قواعد البحث ؟ ولعل من حقنا على سبيل الجواب أن نسجل ههنا احتجاجنا على هذا الترفع الذى تنطوى عليه إرادتنا أن ننبد نظرية شرنر دون سابق فحص . فهذه نظرية تستند إلى الوقع الذى أحدثته فى نفس رجل أحلامه ، وهو رجل أولاً أعظم انتباهه وتدل الدلائل على أنه ذو موهبة تؤهله أحسن التأهيل للغوص فى دياجير النفس . ثم هو فوق ذلك يعالج موضوعاً ظل البشر آلاف السنين وهم يعدونه من غير شك لغزاً ، لكن لغزاً خطيراً فى ذاته ومتضمناته ، ولم يسد العلم المضبوط — باعترافه هو — سوى الشئ القليل فى سبيل إيضاحه ، فيما خلا محاولة تهدف إلى تجريده من كل مضمون أو مغزى ، على نقيض الاعتقاد الشعبي . وأخيراً فلعل من الأمانة أن نقول : إن الأمور تبدو كما لو كان من الصعب علينا بمكان أن نشرع فى تحليل الحلم دون أن تقع فى حبال الخيال . فهناك أيضاً خيال اسمه : الخلايا العقدية . وإن الفقرة التى نقلناها (ص ١٠٩) عن باحث متزن دقيق مثل بينتس ، تلك الفقرة التى تصف كيف يشرق فجر البقطة على مجاميع الخلايا النائمة فى المخ ، لا تترك لمحاولات شرنر قصب السبق فى شطط الخيال وضعف الاحتمال . وآمل أن تكون لى القدرة على أن أبين أن وراء هذه المحاولات الأخيرة يكمن جانب من الحق ، وإن كان من المقطوع به أن هذا الجانب لم يدركه شرنر إلا على نحو غامض ، وأنه يفتقر إلى طابع العموم الذى لا تكون بغيره نظرية فى الحلم جديدة بهذا الاسم . وإلى أن يتحقق ذلك ، فالتعارض بين نظرية شرنر ونظرية الأطباء يرينا أى طرفين لا يزال الشك يؤرجع بينهما تعليقات الحلم إلى يومنا هذا .

ح العلاقة بين الحلم والأمراض العقلية

عندما نتحدث عن علاقة الحلم بالاضطرابات العقلية ، فقد نعنى بذلك ثلاثة أشياء مختلفة : (١) العلاقات العلية الإكلىنيكية ، مثلما يقع حين يمثل حلم من الأحلام حالة ذهانية أو حين يستهلها أو يتخلل عنها ، (٢) التغيرات التى تطرأ على الحياة الحاملة فى حالات المرض العقلى ، (٣) العلاقات الباطنة بين الحلم وحالات الذهان ؛ فبينهما من

أوجه التماثل ما يشير إلى قرابة جوهرية . ولقد كانت هذه العلاقات المتشعبة بين الظاهرتين موضوعاً يؤثره المؤلفون الأطباء بعنايتهم في الماضي ، وهم اليوم يؤثرونه من جديد — كما يتضح من قوائم المراجع التي جمعها في هذا الشأن شبيتا ورادشوك ومورى وتيسيه . وحديثاً جداً أعار سান্তه دى سانكتيس هذه المسألة انتباهه ^(١) . ولكن يكفيننا فيما نتوخاه أن نلمس هذه المسألة الهامة لمساً .

وأما فيما يتصل بالعلاقات الإكلينيكية والعلية بين الحلم والذهان ، فأورد الملاحظات الآتية على سبيل المثال : يرى هنبوم (على ما يقوله كراوس) أن التفجر الأول للجنون الهجاسى ينبعث في أحيان كثيرة من حلم هيلة مروع ، وحينئذ يكون ثمت ارتباط بين الفكرة المتسلطة والحلم . ويورد سান্তه دى سانكتيس ملاحظات مماثلة في صدد حالات من البارانونيا ، معلناً أن الحلم في بعض هذه الحالات قد يكون هو « العلة الحقيقية المحتممة للجنون » ^(٢) ويقول سانكتيس : إن الذهان قد ينبعث إلى الحياة دفعة واحدة بانبثاق الحلم الذي يخرج فيه التأويل الهجاسى إلى الضوء ، أو قد يتمخض رويداً رويداً خلال سلسلة من الأحلام تأتي بعد ذلك إلى أن يغلب الاعتقاد الهجاسى كل شك . واتفق في إحدى حالاته أن الحلم التأويلي كانت تعقبه نوبات هستيرية خفيفة ثم صارت تعقبه حالة سوادية تصحبها الهيلة . ويروى فريه (على ما يقول تيسيه) حلماً نجم عنه شلل هستري . وفي هذه الأمثلة يساق الحلم على أنه علة الاضطراب العقلي ، ولكننا نصدّق الواقع أيضاً إذا قلنا : إن الاضطراب العقلي يظهر في الحياة الحاملة أول ما يظهر ، أو إن أول انبثاقه يكون من خلال الحلم . وفي أمثلة أخرى تنحصر الأعراض المرضية في نطاق الحياة الحاملة أو يقتصر الذهان على هذه الحياة . وهكذا يجذب توماير الانتباه إلى أحلام هيلة يرى أن الواجب أن نعدّها أعدالاً لنوبات صرعية . ولقد وصف أليسون (يذكره رادشوك) حالة جنون ليلي ^(٣) كان المريض يبدو فيها مكتمل الصحة كل الاكتمال نهائياً ، ثم لا تأتي ليلة إلا استهدف للهلاوس ولنوبات من الهياج ... إلخ . ويورد دى سانكتيس ملاحظات شبيهة بهذه (حلم يعدل البارانونيا عند رجل مدمن على الكحول ،

(١) ومن الكتاب الذين اهتموا بعد ذلك بهذه العلاقات : فريه وإيدلر ولاسيج وبيشون وريجي وفشبا وجيسلر وكازوفسكى وباكانتوفى .

[“la vraie cause déterminante de la folie”]

(٢)

[nocturnal insanity]

(٣)

وكان الحلم يصور له أصواتاً تهتم زوجه بالخيانة) وكذلك يفعل تيسيه . ويسوق المؤلف الأخير ملاحظات حديثة متعددة عن أفعال مرضية (كالسلوك المقام على مقدمات هجاسية أو اندفاعات قهرية) تفرعت عن الحلم . ويرى جيسلون حالة انقلب فيها النوم إلى جنون يأتى على فترات .

فلا شك فى أن الأطباء إلى جانب بحثهم فى نفسية الحلم ، سوف يوجهون يوماً اهتمامهم إلى مرضيته .

وكثيراً ما يتاح لنا أن نلاحظ بوضوح خاص فى حالات النقاها من المرض العقلى أن الأحلام لا تزال تخضع لتأثير الذهان ، بينما تعمل الوظائف على نحو سوى فى خلال النهار . ويقول كراوس : إن جريجورى هو أول من جذب الانتباه إلى هذه الحقيقة . ويرى ماكاريو (على حسب تيسيه) أن مريضاً بالهوس كان بعد أسبوع كامل من شفائه لا يزال يستهدف فى أحلامه لتلك الأفكار المناسبة والاندفاعات الجارحة التى عرف بها فى مرضه .

وأما التغيرات التى تطرأ على الحياة الحاملة فى حالات الذهان المزمن فلم تلق من البحث إلا حظاً ضئيلاً كل الضالة حتى اليوم . بيد أن الانتباه قد اتجه منذ زمن طويل إلى القرابة الكامنة بين الحلم والاضطراب العقلى ، وهى قرابة تم عليها سعة مدى الاتفاق بين مظاهرها . ويقول مورى : إن كابانيس كان أول من وجه النظر إليها ، وتلاه ليلو ، ثم ج . مورو ، ثم الفيلسوف مين دى بيران بنوع خاص . ولا شك فى أن المقارنة بين الظاهرتين أقدم بعد عهدا . فرادشتوك يستهل الفصل الذى يعالج فيه هذا الموضوع بإيراد عدة من النصوص يماثل مؤلفوها بين الحلم والجنون ، فرى كانت يقول فى موضع ما : « الجنون حلم يقظان » . ويعلن كراوس أن « الجنون حلم يحلمه المرء وهو مستيقظ الحواس » . وأما شوبنهاور فيسمى الحلم جنوناً قصيراً والجنون حلماً طويلاً . وأما هاجن فيصف الهذيان بقوله : إنه حياة حاملة أدخلها المرض لا النوم . ويقول فونت : « والحقيقة هى أننا أنفسنا قد نمرفى أحلامنا بما يكاد يعدل جميع المظاهر التى نصادفها فى مستشفيات المجانين . »

ويعدد شبيتا مواضع الاتفاق التى تقوم على أساسها هذه المقارنة على نحو شبيه كل الشبه بما يسبق إليه مورى : « (١) يعطل الشعور بالذات أو على الأقل يؤخر ، وينجم عن ذلك جهل الشخص بحالته ، ومن ثم العجز عن الدهش وفقدان الشعور الخلقى .

(٢) يتغير إدراك الأعضاء الحسية، فينقص في الحلم ولكنه بوجه عام يزداد زيادة عظمية في الجنون، (٣) يتم الترابط بين الأفكار وفقاً لقوانين التداعي والاستحضار وحدها، أى أن الأفكار تجتمع في سلسلات على نمط آلى محض، وينجم عن ذلك فقدان التناسب في العلاقة بين الأفكار (المبالغات والأوهام)، ويؤدي كل أولئك إلى (٤) تحول الشخصية أو انقلابها في بعض الحالات، وأحياناً يقع ذلك في سمات الطبع (الانحرافات).

ويضيف رادشوك إلى ما سبق سمات قليلة أخرى تتصل بمائل الظاهرتين من حيث المادة: «فعالية الهلاوس والأوهام تقع في مجال حاستي البصر والسمع ثم الحساسية الإجمالية بالجسم. فحاستا الشم والذوق لا تشاركان هنا - شأنهما في الأحلام - إلا بأقل العناصر. وفي الحمى كما في الحلم تنبعث ذكريات من الماضي السحيق، فالنائم والمريض يذكر كلاهما أشياء تبدو نسبياً منسياً عند المستيقظ والمعافي». بيد أننا لا نقدر التماثل بين الحلم والذهان تمام التقدير إلا إذا رأيناها يمتد، مثل شبه عائلي، إلى دقائق الحركات المعبرة وإلى خصائص تعابير الوجه.

«إن من بزرحة آلام الجسد والروح يظفر في الحلم بما أباه الواقع عليه، بالصحة والسعادة. وكذلك المرض العقلي؛ فهو يحفل بصور براقية من السعادة والعظم والجاه والثراء، فأكثر ما يشتمل عليه الهذيان امتلاك مزعوم للخيرات أو تحقيق متخيل لرغبات كان امتناعها أو دمارها هو العلة التي أدت بالفعل إلى الجنون، فتحظى من فقدت ابنها الحبيب بمتع الأمومة في هذيانها، ويعتقد من فقد ماله أن ثروته قد تجاوزت كل حد، وترى الفتاة المخدوعة نفسها موضع الحب والحنان».

(هذه الفقرة المقتبسة من رادشوك تلخص ملاحظة ثاقبة أتاها جريزنجر (١٨٦١)، (١٠٦) وبين فيها بجلاء تام أن الخاصة المشتركة بين الأفكار في كلا الحلم والذهان هي كونها تحقق رغبات. ولقد علمتني مباحثي أيضاً أن ذلك في الحقيقة هو المفتاح إلى نظرية سيكولوجية في الحلم والذهان على السواء.)

«والارتباط المغرب بين الأفكار مع ضعف الحكم هما الخاصتان الرئيستان للحلم والذهان». ففي كليهما نرى الشخص يغالى في تقدير قدراته العقلية مغالاة تلوح جوفاء للعين المترنة. ثم إن سرعة جريان الأفكار في الحلم يوازها انسياب الأفكار في الذهان؛ ففي كليهما يغيب كل معيار زمني. وانقسام الشخصية في الحلم - مثلما يقع حين تتوزع

معرفة الحلم نفسه بين شخصين يصحح أحدهما، وهو الغريب ، خطأ أنا الحلم الخاص — يطابق انقسام الشخصية الذى نعرفه فى البارانونيا الهلوسية كل مطابقة ، ثم إن الحلم أيضاً يسمع أفكاره هو تنطق بها أصوات غريبة . وحتى الأفكار الهجاسية : فهى تجد نظيرها فى الحلم المرضى الذى يراود صاحبه على نمط لا يتغير (الحلم القهرى)^(١) . ولا يندر أن يقول المرضى بعد شفائهم من هذاء مروا به : إن فترة مرضهم جميعاً تلوح لهم أشبه بحلم لم يكن يخلو من المسرة كل الخلو ، بل إنهم ليحدثوننا أحياناً أنهم حتى فى خلال مرضهم كانوا بين الحين والحين يساورهم الشعور بأنهم إنما وقعوا فى حبال حلم من الأحلام ، مثلما يحدث كثيراً فى أحلام الليل .

فلا عجب بعد كل أولئك أن يلخص رادشوك رأيه ورأى الكثيرين معه فى قوله : « إن الجنون — هذه الظاهرة المرضية غير السوية — هو اشتداد حالة سوية منتظمة الوقوع ، هى حالة الحلم . » (ص ٢٢٨) .

ولقد حاول كراوس أن يقيم بين الحلم والجنون علاقة قد تكون أوثق رباطاً من تلك التى يمكن أن تخرج من هذا التماثل بين مظاهرها الخارجية ، مؤسساً هذه العلاقة على العلل أنفسها (أو ، بعبارة أصح ، على مصادر التهييج) . فالعنصر المشترك يكمن فى رأيه — كما رأينا [ص ٧٤] — فى الإحساسات المحتمة عضوياً الإحساسات الناشئة عن مصادر جسمية ، أى فى الحساسية الإجمالية بالجسم ، المبنية على مشاركة أعضاء الجسم جميعاً (أنظر رأى پنس فى كتاب مورى ، ١٨٧٨ ، ٥٢) .

هذا الاتفاق غير المتنازع فيه والممتد إلى خواص التفاصيل بين الحلم والاضطراب العقلى يمكن أن نعهده سنداً من أقوى سند النظرية الطبية فى الحلم ، وهى النظرية التى ترى فى الحلم عملية مزعجة لا طائل منها ومظهراً يعرب عن نشاط نفسى منقوص . ومع هذا فليس لأحد أن يطمع فى الآونة الحاضرة فى الوصول إلى تعليل أخير للحلم من طريق النظر فى اضطرابات النفس ؛ لأن معرفتنا بهذه الاضطرابات لا تزال غير كافية — كما يعلمه الجميع . ولكن من الراجح على العكس كل الرجحان أن تغييراً فى موقفنا تجاه الأحلام قد يكون له أثره فى نظرتنا إلى الميكانيكية الباطنة للأمراض النفسية ، ومن ثم جاز لنا أن نقول : إننا نعمل على تعليل الذهان حين نتكلف مشقة الكشف عن سر الحلم .

ملحق ، ١٩٠٩ :

إن وقوفى عن أتابع الحديث فيشمل المؤلفات التى ظهرت تعالج مشكلات الحلم فى الحقبة الممتدة بين أول ظهور هذا الكتاب وطبعته الثانية ، أمر يستوجب تبريراً . وقد لا يبدو المبرر مقنعاً للقارىء ، ولكنه كان على أية حال ذا أثر حاسم بالنسبة إلى . فالدوافع التى حدثنى إلى أن أتحدث أى حديث عن نهج الكتاب الأسبقين فى معالجة مشكلات الحلم ، قد استفدها الفراغ من هذا الفصل الذى قدمت به . وما كان المضى فى هذا العمل إلا ليكلفنى مشقة بالغة على غير كبير إفادة أو نفع . ذلك أن هذه الحقبة من السنوات التسع لم تأت — سواء فى المادة أو فى الآراء — بقيم أو جديد يكون فيه ما ينير الموضوع ، وظلت معظم المؤلفات التى ظهرت فى هذه الأثناء لا تعبر كتابى ذكراً ولا نظراً . وكان أقل المنبئين إليه بالطبع أولئك المسمون « ببحثة الحلم » ، فضربوا بذلك مثالا ساطعاً على هذا الغزوف عن تعلم كل جديد الذى هو سمة تميز العلماء . ولقد قال أناطول فرانس بسخريته المعهودة : « إن العلماء لا يحبون الاستطلاع . » ^(١) ولو أن العلم كان يعرف شيئاً اسمه حق القصاص ، لكان من حقى يقيناً أن أغفل من جانبي كل ما نشر منذ أن نشر هذا الكتاب . فالملاحظات القليلة التى ظهرت فى الصحف العلمية عنه كانت تنم عن تجرد من الفهم أو عن فهم مخطئ لا أملك لنقادی معهما إلا جواباً واحداً : هو دعوتهم إلى أن يقرأوا هذا الكتاب من جديد . لا ، بل ربما كان الأنسب أن تكون الدعوة إلى قراءته وحسب .

وأما مؤلفات الأطباء وغيرهم ، ممن قرروا أن يتبعوا المنهج التحليلى النفسى فى العلاج ، فتشتمل على عدد وافر من الأحلام ، نشرت وحلت وفقاً لتعاليمى . ولقد أوردت نتائج هذه المؤلفات فى سياق حديثى بمقدار ما تذهب هذه النتائج إلى أبعد من مجرد تأييد آرائى . غير أننى أضفت فى نهاية المجلد قائمة بالمراجع حوت أهم المؤلفات التى ظهرت منذ أن نشر هذا الكتاب للمرة الأولى . وأما الكتاب المسهب الذى وضعه سান্তه دى سانكتيس عن الأحلام والذى ظهرت له ترجمة ألمانية عقب صدوره ، فقد كان تاريخ ظهوره يوافق تاريخ كتابى بحيث استحال على أن أعقب على كتاب المؤلف الإيطالى كما استحال عليه أن يعقب على كتابى . بيد أننى لم أملك إلا أن أرى أسفاً أن هذا الكتاب ، على ما تكلف فيه صاحبه من

الجهل ، فقير في أفكاره كل الفقر — فقير حتى أن القارئ لا يشعر منه ولو مرة بوجود المشكلات التي عالجتها .

وليس ثمة ما يذكر سوى كتابين اثنين ، يقتربان من علاج مشكلات الحلم . فقد حاول فيلسوف شاب ، هو ه . سقوبودا ، أن يمد إلى الأحداث النفسية فكرة الدورة البيولوجية التي اكتشفها فيلهلم فليس (دورة طولها ٢٣ يوماً ودورة طولها ٢٨ يوماً) ، فعمل في كتاب يتسم بسعة كبيرة في الخيال (١٩٠٤) على أن يستخدم هذا المفتاح في حل لغز الحلم ، بين غيره من المشكلات . ولو صحت آراؤه لفقت أهمية الأحلام سريعاً ؛ فهو يزعم أن المادة التي يتألف منها محتوى الحلم ينبغي تحليلها باجتماع جميع الذكريات التي تختتم إحدى هذه الدورات البيولوجية ، سواء أكان ذلك للمرة الأولى أم لأى مرة تشاء . ولقد دعيت رسالة شخصية من المؤلف إلى أن أقدر أنه نفسه لم يعد يأخذ نظريته هذه مأخذ الجد ، ولكنى قد أخطأت التقدير ، فيما يبدو ، وسوف أورد فيما بعد [ص ١٨٩] بضع ملاحظات أثبتتها للتثبت من فكرة سقوبودا ، دون أن أخرج منها بنتيجة مقنعة . بيد أنني لم أكن إلا أعظم سروراً حين التقيت في مجال لم أكن أتوقع فيه مثل هذا الالتقاء برأى يطابق لب نظريتي تمام المطابقة . فإذا رجعنا إلى التواريخ ، تبين أن من المحال أن يكون صاحب هذا الرأي قد تأثر بكتابي . وعلى ذلك أرى لزماً على أن أحيي فيه المثال الوحيد الذي أستطيع اكتشافه لمؤلف يتفق معي في جوهر نظريتي . وأما الكتاب الذى حوى الفقرة التي أعنيها في موضوع الحلم ^(١) ، فقد ظهر في طبعته الثانية عام ١٩٠٠ بعنوان « خيالات واقعي » ، كتبه لينكويس ^(٢) .

ملحق ١٩١٤ :

كتبت صفحة التبرير السابقة عام ١٩٠٩ . ولقد تغيرت الأوضاع يقيناً منذ ذلك الحين ؛ فما عاد العمل الذى قمت به في « تفسير الأحلام » يغفل في أدب الموضوع . بيد أن الموقف الجديد إنما يجعل متابعة العرض السابق ضرباً من المحال . فقد أثار « تفسير الأحلام » طائفة كاملة من الآراء والمشكلات الجديدة تنوعت فيها طرق المناقشات أكبر التنوع . ولست أستطيع أن أتحدث عن هذه الكتابات قبل أن أفصل الكلام في آرائى نفسها التي إليها استند هؤلاء المؤلفون . وعلى ذلك فكل ما لاح ذا قيمة عرضت له في موضعه المناسب من مقال الذى يتلو الآن .

(١) وهي فقرة يوردها فرويد كاملة في صفحة ٣٢٠ ، في الهامش .

(٢) أنظر مقال المعنون : " يوسف پوپر - لينكويس ونظرية الحلم " (١٩٢٣ و) .

الفصل الثانى

المنهج فى تفسير الأحلام

تحليل حلم على سبيل المثال

إن العنوان الذى عُلِّيتُ به هذا الكتاب يبين أى تقليد سلتى فى تصور الحلم أنزع إلى الانتساب إليه . فالغرض الذى أضعه نصب عيني هو أن أبين أن الأحلام تقبل التفسير ، ولقد أجيء فى سياق ذلك بما يعين على حل المسائل المعالجة فى الفصل السابق ، ولكن ذلك لن يكون إلا فضلاً يعرض فى خلال المضى إلى هدفى الخاص . وأنا إذ أزعم أن الأحلام تقبل التفسير أراى دفعة واحدة فى موقف يخالف النظرية السائدة عن الأحلام ، بل يخالف فى الحقيقة نظريات الحلم جميعاً ، فيما خلا نظرية شررر وحدها . فأن « تفسر » حلماً معناه أن تحدد له « معنى ما » ، أى أن تستبدل به شيئاً آخر ينتظم فى سلك أفعالنا النفسية كحلقة لها من القيمة والشأن مثل ما لغيرها . ولكن النظريات العلمية ، كما رأيناها ، لا تترك مجالاً للحديث عن أية مشكلة تتصل بتفسير الحلم ، لأن الحلم بحسبها ليس فعلاً نفسياً على الإطلاق ، بل عملية جسمية يُستبته إلى وقوعها لعلامات تبلغ الجهاز النفسى . وأما رأى سواد الناس من جميع العصور فكان مختلفاً : فإنهم قد أعملوا حقهم المقرر فى أن يغفلوا السلامة المنطقية ، فسلموا من جهة بأن الأحلام غير معقولة ، باطلة ، دون أن يجمعوا أنفسهم مع ذلك على إعلان خلوها من كل مغزى . فهم يبدون كأن شعوراً مبهماً يقودهم إلى أن يقدرُوا أن لكل حلم مغزاه وإن خفى هذا المغزى ، وأن الحلم قد جعل ليحل محل عملية فكرية أخرى ، وليس علينا إلا أن نرفع هذا البديل على النحو الصحيح لكى نصل إلى ذاك المعنى الخفى .

ولهذا جهد عامة الناس منذ أقدم العصور فى « تفسير » الأحلام . وهم قد اتبعوا فى ذلك منهجين مختلفان اختلافًا جوهرياً . فأما أولهما فينظر إلى محتوى الحلم فى مجموعه ويسعى إلى أن يستبدل به محتوى آخر معقولاً يماثل الأول من بعض الوجوه . ذلك هو التفسير الرمزى للأحلام ، وهو منهج لا يلبث أن يتضح بالضرورة عجزه حين يواجه أحلاماً تتسم

بالتشوش فوق لا معقوليتها . وقد يكون في التفسير الذى تذكره التوراة عن يوسف الحلم فرعون ، مثال على ذلك المنهج : فأن يرى فرعون سبع بقرات سمان تأكلها سبع عجاف تأتى من بعدها ، ذلك كان بديلاً رمزياً لنبوذة تنبئ بسبع سنين من المجاعة فى أرض مصر تأكل فائض السنوات السبع وافرة الغلة . وغالبية الأحلام المصطنعة التى يبتدعها خيال الكتاب إنما يراد بها إلى مثل هذا التفسير الرمزى ، فهى تخلع على فكرة الكاتب قناعاً يتسق وما نعلم من خبرتنا أنه سمات الحلم^(١) . واعتقاد الناس أن الحلم يشغل بالغيث أولاً ويكشف عن وجهه — وهو أثر من الدلالة النبؤية التى كانت تنسب إلى الحلم يوماً ما — هو الذى يدعو بعد ذلك إلى الانتقال بمغزى الحلم المكتشف بالتفسير الرمزى إلى الزمان المستقبل ، بإدخال « سوف » عليه .

وأما السؤال : كيف يجد المرء طريقه إلى مثل هذا التفسير الرمزى ؟ فذلك بالطبع أمر لا سبيل إلى تبيانهِ والإرشاد له ، والنجاح فيه يظل مرهوناً بالتخمين الحاذق والحدس المباشر ومن ثم أمكن أن يعلى تفسير الأحلام بالرموز إلى مرتبة النشاط الفنى الذى يتطلب موهبة خاصة^(٢) . وأما المنهج الشعبى الآخر فى تفسير الحلم ، فبعيد كل البعد عن مثل هذا الادعاء . وفى وسعنا أن نسميه « منهج الشفرة » ؛ لأنه يعالج الحلم كما لو كان ضرباً من كتابة سرية تمكن ترجمة كل علامة من علاماتها إلى علامة أخرى معروفة المعنى وفق مفتاح ثابت : مثال ذلك أن أحلم بخطاب ثم يجنازة ، إلخ . ، فاستشير كتاب الأحلام فأجد « الخطاب » يترجم إلى « نكد » و « الجنازة » إلى « خطبة » ، ويبقى على بعد ذلك أن أنشئ من هذه المقومات التى قمت بفك مغلقها على هذا النحو جملة مفيدة أنقلها من جديد إلى الزمان المستقبل . وفى كتاب أرتيميدوروس الأفسوسى عن تفسير الأحلام تعديل حرى بالاهتمام يصحح بعض التصحيح ما يتسم به منهج الشفرة هذا من طابع النقل الآلى

(١) لقد عثرت بالصدفة فى رواية « جراديفا » للكاتب ف . يزن على أحلام متعددة خلقها المؤلف خلقاً ، ولكنها كانت مع ذلك صحيحة كل الصحة فى بنائها ، وأمکن تفسيرها كما لو كانت صدرت عن أشخاص حقيقيين ولم تكن من بدع الخيال . وقد ذكر لى المؤلف ردأ على سؤال من جازبى أنه لم يكن يعلم شيئاً عن نظريتى فى الحلم . ولقد اتخذت من هذا التطابق بين مباحثى وخلق الكاتب شاهداً على صحة تحليلي للأحلام . (أنظر فرويد ١٩٠٧ أ) .

(٢) يقول أرسطو فى هذا الصدد : إن أحسن مفسرى الحلم هم أقدرهم على إدراك أوجه التماثل ، وذلك لأن صور الحلم تشوه بفعل الحركة مثل الصور فى الماء بحيث يصيب النجاح من استطاع أن يتوسم الشكل الصحيح من وراء الصورة المشوهة (بوكسنشوتس ، ١٨٦٨ ، ٦٥) .

المحض^(١) . فهذا المنهج المعدل لا يحسب حساب محتوى الحلم وحده بل يدخل كذلك في تقديره طبع الحالم وملايسات حياته ، بحيث يختلف معنى العنصر الحلمى هو هو عند الغنى أو المتزوج أو الخطيب منه عند الفقير أو الأعزب أو التاجر مثلاً . والشئ الجوهرى في منهج الشفرة على أية حال ، هو أن عمل التفسير لا يوجه فيه إلى الحلم في جملته بل يتناول كل جزء من محتواه على حده ، كما لو كان الحلم حجراً جيولوجياً تستوجب كل شظية من شظاياه تقديراً خاصاً . ولا شك في أن الأحلام المختلطة المفككة هى التى أدت إلى اختراع هذا المنهج^(٢) .

(١) لقد ترك لنا أرميد وروس الأفسوسى ، المولود في القرن الثانى من الميلاد على الأرجح ، كتاباً في تفسير الأحلام كما كان يعرف في العالم اليونانى الرومانى يفوق كل ما عده من حيث الاستيعاب وضخامة الجهد . وهو يلح في كتابه هذا - كما يبيته جومبرتس - على ضرورة تأسيس تفسير الحلم على الملاحظة والخبرة ، ويفرق تفرقة قاطعة بين فنه وغيره من الفنون الخداعة . وأما المبدأ الذى يقوم عليه فنه التفسيرى فلا يختلف بحسب جومبرتس من مبدأ السحر : إنه مبدأ التعادى ؛ فالشئ المرأى في الحلم يعنى الشئ الذى يرد على الذهن في صده - وغنى عن البيان أن المراد هو ذهن المفسر لا الحالم . وإذا كان عنصر الحلم يذكر المفسر الواحد بأشياء مختلفة ، ويذكر هذا بغير ما يذكر به ذاك ، فقد كان ذلك مصدراً للحيرة والهوى لا سبيل إلى التغلب عليه . وتختلف الطريقة التى أصفها في الصفحات القادمة من طريقة القلمافى تلك الناحية الجوهرية : وهى أنها تلقى عبء التفسير على الحالم نفسه ، فهى لا تحسب حساباً لما يطأ على بال المفسر وإنما اهتمامها بما يرد على ذهن الحالم . وترينا الروايات الحديثة للبشر تفنكسجى (١٩١٣) أن مفسرى الأحلام المحدثين في الشرق يعتمدون هم أيضاً اعتماداً كبيراً على مؤازرة الحالم ، فهو يتحدث عن مفسرى الأحلام بين أعراب ما بين التهرين قائلا : « ولكي يفسر حلم ما تفسيراً مضبوطاً ، ترى أمهر المفسرين يسألون من يشاورونهم عن جميع الملابسات التى يرون وجوب مرفقها من أجل الوصول إلى الحل الصحيح وخلاصة القول هى أن مفسرينا لا يتكونون كبيرة أو صغيرة تفوتهم ، ولا يدلون بالتفسير المنشود إلا بعد أن يمتلكوا الجواب عن جميع أسئلتهم تمام الامتلاك . »

["Pour interpreter exactement un songe, les oniromanciens les plus habiles s'informent de ceux qui les consultent de toutes les circonstances qu'ils regardent nécessaires pour la bonne explication ... En un mot nos oniromanciens ne laissent aucune circonstance leur échapper et ne donne l'interprétation désirée avant d'avoir parfaitement saisi et reçu toutes les interrogations désirables."]

ومن بين الأسئلة التى يوجهها المفسرون أسئلة تهدف إلى الإلمام بأوثق صلات الحالم بنوى قربه - الولدين والزوجة والأبناء - كما تجد صيغاً محفوظة كهذه : " هل جاءت زوجك في هاتيك الليلة قبل الحلم أم بعده ؟ " ["Habuisse in hac nocte copulam conjugalem ante vel post somnium"]

« هذا والفكرة المسيطرة على تفسير الأحلام تقوم في تفسير الحلم بضده . »

["L'idée dominante dans l'interprétation des songes consiste à expliquer le rêve par son opposé."]

(٢) نبئى الدكتور ألفريد رويتسك إلى أن كتب الأحلام الشرقية التى تد كتبنا بمجوارها سرقات حرية بالراء كثيراً ما تستند في تفسير عناصر الحلم إلى ما بين الألفاظ من الاتفاق في الجرس أو التماثل . وضياح هذه العلاقات ضياحا محتوما عند الترجمة هو الذى يملل استغلاق بعض التفسيرات التى نجدها في كتب الأحلام الشائعة بيننا . ويجد القارئ في مؤلفات هوجو فينكلرز مزيداً من المعلومات عن القيمة الخارقة التى تعلقها المذنبات الشرقية

ولسنا نستطيع أن نشك برهه في أن هذين المنهجين الشعبيين في تفسير الأحلام لا يمكن استخدام أى منهما في معالجة الموضوع معالجة علمية ؛ فالمنهج الرمزي محدود التطبيق ولا يمكن شرحه على أسس عامة ، وأما منهج الشفرة فكل شيء يتوقف فيه على إمكان الثقة « بالمفتاح » ، أى كتاب الحلم ، وهنا يعوزنا كل ضمان . وهكذا قد يغرى المرء بأن يسلم بأن الحق للفلاسفة وأطباء النفس ، فيمحو معهم مشكلة تفسير الحلم محو ، باعتبارها مشروعاً خيالياً محضاً^(١) .

بيد أننى قد تعلمت ما هو خير من ذلك ؛ فلأنى لم أجده بداً من أن أدرك أننا نواجه هنا مرة أخرى حالة من هذه الحالات غير النادرة التي يبدو فيها اعتقاد شعبي قديم قدم الزمن ، لا تتزعزع عنه النفوس أقرب إلى حقيقة الأمور من الحكم السائد اليوم في دنيا العلم . ولزام على " أن أؤكد أن الحلم له في الحقيقة معناه وأن من الممكن أن يكون ثمت منهج علمي لتفسيره . وأما معرفة هذا المنهج فقد أتيت إليها من ذلك الطريق :

لقد شغلت سنوات طويلاً بتحليل بعض التراكيب النفسية المرضية ، مثل المخاوف المستيرية والأفكار القهرية وما شاكلها ، مستهدفاً في ذلك علاجها . وشغلت بها على التحديد منذ أن علمت من كلمة هامة ليويسف بروير أن هذه التراكيب التي تعد أعراضاً مرضية - يتطابق فيها التحليل والحل^(٢) . (أنظر بروير وفرويد ، ١٨٩٥) .

القديمة على التورية واللعب اللفظي . وعلى مثل هذا اللعب يقوم أجمل مثال على تفسير الحلم انحدر إلينا من الأزمنة القديمة ، وهو مثال يرويه أرتيميدوروس إذ يقول (ص ٢٥٥) : « ويخيل إلى كذلك أن أريستا ندروس قد وفق أحسن التوفيق في تفسير حلم الإسكندر المقدوني . فبينما كان هذا الأخير يحاصر مدينة تيروس [صور] وقد هاجه طول الحصار وأقلقته ، رأى في المنام ساتيروس [كائن أسطوري] يرقص على درعه . واتفق أن كان أريستاندروس قريباً من صور ، فقد كان في معية الملك أثناء حملته على السوريين ، فأمكنه بتقسيم كلمة ساتيروس إلى sa [ما = لك] و Tyros [تيروس = صور] أن يبحث الملك على الاستماتة في الحصار حتى استولى على المدينة . » - والحق أن الرابطة بين الحلم والتعبير اللغوي قوية إلى درجة دعت فروتسى إلا أن يلاحظ بحق أن لكل لسان لغته الحلمية الخاصة ، بحيث يستحيل بوجه عام أن يترجم الحلم إلى لغة أخرى . ولا أخال إلى أن الأمر كذلك في كتاب مثل هذا الكتاب ، بيد أن الدكتور أ . أ . بريل ، من مدينة نيويورك ، وآخرين من بعده ، قد أفلحوا مع ذلك في ترجمة « تفسير الأحلام » .

(١) لقد عثرت بعد أن فرغت من هذا الكتاب على مقال كتبه ستوف اتفقت فيه آراؤه مع ما أرى إليه من التدليل على أن للحلم معناه وأنه يقبل التفسير . بيد أنه يجري تفسيراته بالاستعانة برمزية ذات طابع استعاري تمثيل ، دون أن يكون ثمت أقل دليل على جواز منهجه بوجه عام .

(٢) [Auflösung und Lösung - والمراد هو أن الكشف عن سر هذه الحالات لا يفرق من علاجها .]

فإن أمكن اقتفاء فكرة مرضية من هذا القبيل حتى العناصر التي نشأت منها هذه الفكرة في حياة المريض النفسية ، ابحث الفكرة وخلص المريض منها . وإزاء العجز الذي لمسته في جهودنا العلاجية الأخرى ، وإزاء الطابع الملغز الذي تتسم به هذه الاضطرابات ، رأيتني أغرى بالمضي في الطريق الذي دلني إليه بروير على الرغم من كل صعوبة ، حتى ينجلي الأمر كاملاً . وسوف يتسنى لي في مناسبة أخرى أن أفصل الكلام في الصورة التي اتخذها هذا المنهج أخيراً وفي النتائج التي انتهت إليها جهودي . وإنما أقول الآن : إنني إنما التقيت بتفسير الأحلام في خلال هذه المباحث التحليلية النفسية . ذلك أن مرضاى ، بعد أن أستعهد منهم الإفضاء إلى بكل فكرة أو خاطر يعن لهم ، كانوا يقصون على أحلامهم ضمن ما يقصون ، وهكذا تعلمت منهم أن الحلم يمكن إدراجه في السلسلة النفسية التي يجب اقتفاء أثرها في الذاكرة ابتداء من الفكرة المرضية . ومن هذا إلى أن يعامل الحلم نفسه معاملة العرض وأن يطبق عليه ذات المنهج التفسيري الذي أحكم تدبيره للأعراض — لم يكن أمد بعيد .

وهذا العمل يقتضى بعض الإعدادات السيكولوجية للمريض . فنحن نهدف معه إلى أمرين : زيادة انتباهه إلى مدركاته النفسية ، وتعليق ملكة النقد التي اعتاد أن ينخل بها ما ينبعث من أفكاره . ولكي يتمكن المريض من تركيز انتباهه في الملاحظة الذاتية فمن الخير له أن يستلقي في وضع هادئ ويغمض عينيه ، وعلينا أن نطلب منه صراحة الإفلاخ عن كل نقد للأفكار التي يدركها ، ونخبره أيضاً أن نجاح التحليل مرتب بملاحظته كل ما يدور برأسه وروايته إياه دون أن يتقاد إلى قمع هذا الخاطر من خواطره لأنه يبدو له خالياً من الشأن أو خارجاً عن الموضوع ، أو إلى قمع ذلك لأنه يبدو له غير معقول . فعليه أن يقف تجاه خواطره جميعاً موقف الحياد التام ؛ لأنه إذا كان لا يوفق عادة إلى الإيضاح المنشود للحلم أو الفكرة القهرية أو ما إليهما ، فالإخفاق مرده هذا الموقف النقدي على التحديد .

ولقد لاحظت في خلال عملي التحليلي النفسي أن الوضع النفسي للمريض وهو يفكر يفكر يغابر كل المغايرة وضعه وهو يلاحظ عملياته النفسية . فالتفكير يتضمن نوعاً من النشاط النفسي يزيد على المتضمن في الملاحظة الذاتية ، مهما بذل المرء في هذه من الانتباه ، وبهذا تشهد — بين سائر الشواهد — هيئة الفكر المتوترة وجبته المتعقدة ، على تقيض التعبير الساكن لمن

يلاحظ نفسه . فى كلا الحالين يلزم تركيز الانتباه ، ولكن من يفكر يعمل ملكة النقد فوق ذلك : ينحى بعض خواطره بعد أن يدركها ويقتضب بعضها الآخر دون أن يتابع مسالك الفكر التى كانت توحى بها . ثم هو يعرف كيف يسلك حيال فريق ثالث منها مسلماً لا تبلغ معه إلى الشعور البتة ، فتجمع قبل أن تدرك . وأما الذى يلاحظ نفسه ، فليس عليه إلا أن يجمع ملكته النقدية . فإن أفلح ، تواردت إلى شعوره أفكار لا حصر لها ما كان ليجتازها بغير ذلك . وبهذه المادة المكتسبة حديثاً لإدراكه الذاتى على هذا النحو يمكن تفسير أفكاره المرضية وتراكيبه الحلمية على السواء . فالمسألة كما نرى هى أن نقيم حالة نفسية تماثل بعض المماثلة تلك التى تسبق النوم (وتماثل أيضاً حالة التنويم المغناطيسى من غير شك) ، من حيث توزيع الطاقة النفسية – أعنى توزيع الانتباه المتحرك . فقبيل النوم تنبعث « أفكار لا إرادية » ، نتيجة لاسترخاء نشاط إرادى معين (هو أيضاً نشاط نقدى ما فى ذلك من شك) كنا نتركه يؤثر فى مجرى أفكارنا ونحن مستيقظون . وأما سبب هذا الاسترخاء ، فنقول عادة : إنه « التعب » . وتستحيل هذه الأفكار اللاإرادية المنبعثة [قبل النوم] إلى صور بصرية وسمعية (أنظر ملاحظات شلاير ماخر وغيره فيما سبق ، ص ٨٤ وما بعدها .)^(١) وأما فى الحالة المستخلصة لتحليل الأحلام والأفكار المرضية ، فيترك المرء هذا النشاط تركاً مقصوداً متعمداً ، ثم يعمل الطاقة النفسية المدخرة على هذا النحو (أو يعمل جزءاً منها على الأقل) فى الانتباه المتصل إلى الأفكار اللاإرادية التى تأخذ الآن فى الانبعاث ، والتى تظل – وهنا الفرق بين هذه الحالة وحالة الأخذ فى النوم – محتفظة بطابع الأفكار . وهكذا تحول الأفكار

« اللاإرادية » إلى أفكار « إرادية » .

ويبدو أن هناك كثيراً من الناس لا يسهل عليهم الوقوف الموقف المطلوب حيال الأفكار المنبعثة « إنبعثاً حراً » فى ظاهره ، واطراح النقد الذى ألفوا ممارسته إزاءها . فن شأن « الأفكار اللاإرادية » أن تحرك مقاومة عنيفة فى الغاية ، تهدف إلى الحيلولة دون انبعاثها . ومع هذا فالخلق الشعرى نفسه لا بد يتضمن موقفاً يماثل الذى نصفه كل مماثلة – هذا إذا أولينا التصديق شاعرنا وفيلسوفنا العظيم فردريك شيللر . فهو فى فقرة من رسائله إلى كورنر

(١) لقد أتى سيلبرر بنتائج هامة فى تفسير الحلم ، وذلك بملاحظة هذا التحول للأفكار إلى صور ملاحظة مباشرة (١٩٠٩ ، ١٩١٠ ، ١٩١٢) . [أنظر « الظاهرة الوظيفية » فى الفهرست التحليل .] .

يرجع فضل الكشف عنها إلى أوتورانك ، يرد على شكوى صديقه من افتقاره إلى القدرة الخالقة فيقول : « أعتقد أن السبب في شكواك يرجع إلى استبداد عقلك بخيالك ، وسأضرب لمعناى بتشبيه يمثل لك : فإن العقل إذا غالى في إكثاب النظر إلى الأفكار التي ترد عليه كأنه واقف لها بالمرصاد وهي لا تزال على الأبواب — إن جاز هذا التعبير — لم يكن في ذلك نفع بل لعله يعرقل عمل النفس الخالقة . فالفكرة إن أخذتها على حدة قد تبدو تافهة كل التافهة ، غريبة أقصى الغرابة ، ولكن أخرى قد تتلوها فإذا هي ذات شأن ، أو هي قد ترتبط بأفكار غيرها تلوح في مثل سحنها فإذا هي الحلقة المفقودة ؛ فما يستطيع العقل أن يحكم على الكل إذا هو لم يمسك بالفكرة أمداً كافياً ليتأملها مقرونة بأخرياتها . وأما الذهن الخالق — فيما يهيا إلى — ففيه على العكس يرفع العقل الحراسة عن الأبواب ، تاركاً الأفكار تهجم شذر مذر ، وعندئذ — وعندئذ فقط — يأخذ في النظر إليها وفحصها مجتمعة . وأما أنتم يا حضرات النقد — أو أيا كان الاسم الذي يحلو لكم — فتستحيون — أو تهربون — هذا الجنون العابر الموقوت الذي يعرفه كل خالق حقيقى ، والذي يفرق طول أمده أو قصره بين الفنان المفكر والحالم . ومن ثم شكواكم من العقم ، فأنتم تنبذون سريعاً وتفرقون عسفاً . » (خطاب الأول من ديسمبر ١٧٨٨) .

ومع هذا فما يسميه شيلار « رفع الحراسة عن أبواب العقل » ، أى التحول إلى حال من الملاحظة الذاتية التي لا يشوبها إعمال النقد ، ليس على الإطلاق بالأمر المتعذر .

فعظم مرضاى يوفقون إليه بعد سماع إرشاداتى الأولى ، وأنا نفسى أقوم به على أوفى وجه إذا استعنت في خلاله بتلوين الحواطر التي تعن لى . ويتفاوت مقدار الطاقة النفسية التي تنقص من النشاط النقدى وتزداد بها شدة الملاحظة الذاتية تفاوتاً ضخماً بحسب الموضوع الذي يراد تثبيت الانتباه عليه .

وتعلمنا الخطوة الأولى في استخدام هذا المنهج أننا لا نستطيع أن نتخذ الحلم في مجموعه موضوعاً للانتباه ، وإنما الأجزاء المتفرقة لمحتواه . فلو سألت مريضاً لم يزل حديث العهد بالمنهج : ما الذى يخطر له في صدد هذا الحلم ؟ ، لم يجد في العادة شيئاً يدركه في حقله النفسى . فإن قسمت له الحلم أجزاء أمكنه أن يدلى في صدد كل جزء بطائفة من المستدعات يجوز لنا وصفها بأنها « الأفكار المستترة » وراء هذا الجزء . وهكذا يختلف منهج التفسير الذى أزاله من المنهج الشعبى التاريخى الطائر الذكر ، منهج التفسير بوساطة الرموز ،

من هذه الوجهة الهامة الأولى ، ويقرب من المنهج الثانى « منهج الشفرة » : فهو — كهذا — الأخير — يفسر الحلم جزءاً فجزءاً وليس جملة ، وهو — مثله — يعد الحلم منذ البداية شيئاً مركباً ، مجتمع مكونات نفسية شتى .

ولقد فسرت فى خلال اشتغالى بالتحليل النفسى للعصابيين ما يربو على ألف الحلم ، ولكنى لا أريد أن أستخدم هذه المادة فى التمهيد الحاضر إلى طريقة تفسير الحلم ونظريته . فهناك — بغض النظر عن كون استخدام هذه الأحلام يعرضنى لقول المعترض : إنها أحلام عصابيين لا تجوز النتائج المستخلصة منها على أحلام السويين — وهناك بغض النظر عن ذلك سبب آخر يفرض على هذا الامتناع ؛ فمن الطبيعى أن يكون الموضوع الذى تسوق إليه أحلام مرضاى هو دائماً تاريخ المرض الكامن وراء أعصبتهم ، لذلك كان كل حلم من أحلامهم يستلزم تمهيداً مسهباً وغوصاً فى طبيعة الأعصبة وشروطها العلية ، وهذه فى ذاتها مسائل ذات جلة ، محيرة إلى أقصى مدى ، فقد تصرف الانتباه عن مشكلات الأحلام ، بينما أريد على العكس أن أتخذ تحليل مشكلات الحلم ذريعة إلى حل المشكلات السيكولوجية للأعصبة — وهى الأشد صعوبة . فإذا أغفلت الآن مادى الرئيسة — أعنى أحلام العصابيين — لم يعد لى أن أتصعب فى الاختيار بين ما يتبقى ؛ فما تبقى سوى أحلام من قبيل ما يرويه لى بين الحين والحين أشخاص سويون بين معارفى ، أو من قبيل تلك المساقاة على سبيل المثال فى المصنفات الموضوعية عن الحياة الحاملة . ولكن هذه الأحلام جميعاً لا تصطبغ لسوء الحظ بالتحليل الذى لا أستطيع بدونه أن أكشف معنى الحلم . فمنهجى من غير شك ليس له يسر منهج الشفرة الشعبى ، حيث يترجم كل جزء من محتوى الحلم وفق مفتاح ثابت ، بل أنا أتوقع على العكس أن يكن ذات المحتوى معنى يختلف باختلاف الناس أو الملابسات . وهكذا أساق إلى أحلامى نفسى من حيث هى مادة وفيرة صلمت عن شخص قريب من السواء ، تتصل بوقائع متعددة الألوان من حياة كل يوم . ولا مرية فى أن البعض سوف يتشكك فى إمكان الثقة بمثل هذه « التحليلات الذاتية » ، وسوف أسمع أن مثل هذه التحليلات لا تتجنب الهوى . بيد أنى أعتقد أن الأوضاع قد تكون فى الحقيقة أعون على ملاحظة الذات منها على ملاحظة الغير . ومهما يكن من أمر ، فلم لا نحاول أن نرى إلام نستطيع المضى فى تفسير الحلم بوساطة التحليل الذاتى ؟ وهناك عدا ذلك صعوبات أخرى يتحتم على التغلب عليها ، صعوبات ألقيا هذه المرة فى داخل

نفسى : فبالإنسان نفور طبيعى يصده عن الإفراط فى البوح بسرائر نفسه ، ولا هو يضمن أن الغرباء لن يسيثوا التأويل . ولكن لا بد للمرء من أن يستطيع التغلب على مثل هذه الصعوبات . ولقد قال دلبوف : « من الواجب على كل عالم نفسى أن يفضى حتى بمواطن ضعفه ، إذا اعتقد أنه يلقى بذلك بعض الضوء على مشكلة غامضة . » ^(١) ثم إنى أقدر أن القارئ أيضاً لن يلبث أن يزول اهتمامه الأول بالأمر الذى أرانى مضطراً إلى الإفشاء بها ، ليحل محل هذا الاهتمام اشتغال مانع بالمشكلات التى يعين هذا الإفشاء على حلها ^(٢) . وعلى ذلك أمضى فأنتخب حلماً من أحلامى وأوضح طريقي فى التفسير بتطبيقها عليه ولكن كل حلم من هذا القبيل يستلزم بعض التمهيد . فلزام على الآن أن أسأل القارئ أن يجعل مشاغلي مشاغله فترة ، وأن ينغمس معى فى أدق تفاصيل حياتى ؛ فتل هذا التحويل أمر يقتضيه اهتمامنا بالمعنى الخبيء للأحلام اقتضاء أمراً .

تمهيد

كنت فى صيف عام ١٨٩٥ أعالج بالتحليل النفسى سيدة فى مقتبل العمر كانت تربطها بى وبأسرتى صداقة وثيقة . ونفهم أن من شأن مثل هذا التداخل فى العلاقات أن يثير كثيراً من المشاعر المضطربة فى نفس الطبيب ، وبخاصة إذا كان طبيباً نفسياً . فاهتمام الطبيب الشخصى يزيد ، لكن سلطته تقل . فإن أخفق ، كان فى ذلك ما يهدد صداقته القديمة بنوى المريض . بيد أن العلاج كان قد انتهى فى هذه الحالة إلى نجاح جزئى ؛ فقد برئت المريضة من هيلتها المسترية ، لكن دون أن تبرأ من جميع أعراضها الجسمية . وكنت فى ذلك الحين لا أعلم بعد علم اليقين ما هى المعايير التى تدل على انتهاء التاريخ المرضى لحالة من حالات المستريا انتهاء لا رجعة بعده ، وكنت قد اقترحت على المريضة حلاً بدا لها غير مقبول . وبين هذا الخلاف أوقفنا العلاج ؛ لإجازة فصل الصيف . وفى ذات يوم زارنى زميل يصغرنى سنّاً ، وهو أيضاً صديق من أقرب الأصدقاء إلى . وكان قد حل

(١) [“Tout psychologue est obligé de faire l'aveu même de ses faiblesses s'il croit par là jeter du jour sur quelque problème obscur.”]

(٢) ولا أنسى مع هذا أن أفيد هذا القول فأضيف أننى لم أكد أورد ولو مرة كل التفسير الذى أعرفه لحلم واحد من أحلامى . وأغلب الظن أنى كنت مصيباً حين اقتصدت فى الثقة بتصور القارئ .

ضيفاً على المريضة - إرما - وعائلتها في مقرهم الصيفي ، فسألته عن حالها ، فأجابني :
 « حسنة ، لكنه ليس الحسن كله . » وأعلم أن كلمات صديقي أوتو - أو نبرات صوته حين
 إلقائها - قد ضايقني ؛ فقد خيل إلىّ أنّي أسمع فيها لوماً : كأن أكون وعدت المريضة
 بأكثر مما استطعت . وكان أنّي عزوت - سواء مصيباً أم مخطئاً - ما توهمته من تعصب
 أوتو علىّ إلى تأثير أهل المريضة الذين لم ينظروا قط بعين الرضا إلى علاجي - أو هكذا
 كان يتسرب إلى ظني . ولم يكن هذا الانطباع المؤلم واضحاً لي على أية حال ، كما أنني لم
 أبد ما يعرب عنه . وفي مساء ذلك اليوم كتبت تقريراً في تاريخ مرض إرما ، كنت أنوي
 إعطائه إلى الدكتور م . (وهو صديق مشترك كان في ذلك الوقت صاحب الكلمة
 المسموعة بيننا) ، كأنما كنت أريد أن أبرئ نفسي . ثم في الليل (أو في الصباح المبكر
 على الأرجح) حلمت بهذا الحلم الذي بادرت إلى تلوينه عقب اليقظة مباشرة ^(١) .

حلم ليلة ٢٣ - ٢٤ من يولييه ١٨٩٥

قاعة كبيرة - ضيوف كثيرون ونحن نستقبلهم . - بينهم إرما ، أبادر إلى الانتحاء بها جانباً ، كأنما
 أريد أن أرد على خطابها ، أن ألومها على كونها لم تقبل « الحل » ^(٢) . بعد . أقول لها : إذا كنت مازلت
 تتألمين ، فالذنب في الحقيقة ذنبك وحدك . - تجيبني قائلة : لو علمت أية أوجاع أحسها الآن في الحلق
 والمعدة والبطن ، إنها تختنقني - أفزع وأنظر إليها . إنها تبدو شاحبة منتفخة ، أحدث نفسي : لابد أن
 ثمت شيئاً عضوياً أغفلته . آخذها إلى جوار النافذة وأنظر في حلقها . حينئذ تبدو بعض المانعة ، شأن
 النساء اللاتي يحملن أسناناً صناعية . أقول لنفسي : وما بها مع هذا من حاجة إلى ذلك . - عندئذ يفتح
 فها كما ينبغي ، فأرى بقعة كبيرة بيضاء ^(٣) على الجانب الأيمن ، وفي موضع آخر أرى قشوراً كبيرة ذات لون
 رمادي يضرب إلى البياض ، انتشرت فوق زوائد متجمعة ، غريبة الشكل ، كان من الجلي أنها قد صيغت على
 غرار الخياشيم الأنفية . - أمتدعي الدكتور م . على الفور ، فيعيد الفحص ويؤيده . . . إن الدكتور م .
 يبدو مختلفاً من نفسه كل الاختلاف ؛ فهو شاحب جداً ، يمرج في مشيته ، حليق الذقن . . . الآن يقف
 بجانب صديقي أوتو كذلك ، وصديقي ليوبولد ينقر صدرها من فوق الصدر ويقول : إن ثمت منطقة صماء
 على الجانب الأيسر إلى أسفل ، ثم ينبه أيضاً إلى رقعة مرتشحة من الجلد على الجانب الأيسر (وهو ما أحظه
 مثله على الرغم من الرداء) . . . يقول م . : لا شك في أن هذه العلوى ، ولكن هذا ليس بشيء ؛ فسوف تعقب
 المستناري وينطرد السم . . . إننا نعلم أيضاً علماً مباشراً من أين نشأت العلوى . فقد حقنها صديقي أوتو
 منذ قريب ، وقد سامت صحبتها يوماً ، حقنة من مركب من البروبيل . . . بروبيلين . . . حامض البروبيونيك . . .
 تريبتيلين (وهنا أرى المعادلة الخاصة بتركيب هذه المادة الأخيرة مطبوعة أمامي بحروف سميكة) . . . إن
 مثل هذه الحقن لا يقدم عليها المرء بمثل هذه الخفة ، وأغلب الظن أن الحقنة لم تكن نظيفة كذلك .

(١) ذلك هو أول حلم حللته تحليلاً مستفيضاً .

(٢) ["Losung" ، ويعني أيضاً " الحلول "] .

(٣) [أسقطت كلمة " بيضاء " من طبعة سنة ١٩٤٢ وحدها وهو إسقاط مرجعه السهو من غير شك .]

إن لهذا الحلم ميزة على أحلام كثيرة غيره : فنحن نرى على الفور بأى أحداث اليوم السابق يرتبط وأى موضوع يعالج . فالكلمة التى مهدت له بها تأتى فى ذلك بالبيان : فالأنباء التى حملها إلى أوتو عن حالة إرما ، وتاريخ مرضها الذى انهمكت فى تحريره إلى ساعة متأخرة من الليل قد ظلا يشغلان نشاطى النفسى حتى بعد أن نمت . ومع هذا يعجز من ألم بالتمهيد وبمحتوى الحلم عن أن يحذر معناه . ولا كنت أنا نفسى أعلمه . فأنا أعجب للأعراض التى تشكوها إرما فى الحلم ؛ فهى غير الأعراض التى من أجلها عاجلتها . وأما هذه الفكرة الجوفاء ، عن حقنة مركبة من حامض البروبيونيك ، وكذلك كلمات الغراء الموضوعة على لسان الدكتور م . ، فكل هذه تدعونى إلى الابتسام . ثم إن الحلم يبدو لى فى نهايته أكثر إبهاماً وكثافة منه فى أوله . ولا بد ، لكى أعرف معنى هذا كله ، من أن أعقد العزم على تحليله تحليلًا دقيقاً .

التحليل

القاعة - ضيوف كثيرون ، ونحن نستقبلهم . كنا نقضى ذلك الصيف فى بلثى ^(١) فى منزل منعزل قام على أحد التلال الملتحقة بالكالنبرج . وكان قد قصد فى بناء هذا المنزل إلى أن يكون مكاناً للهوى ، ولهذا كانت به غرف تخرج عن المألوف فى علو أسقفها ، أشبه بالقاعات . وفى بلثى أيضاً وقع لى هذا الحلم ، وكان وقوعه يسبق عيد ميلاد زوجى بأيام معدودات . وكانت زوجى قد ذكرت لى فى اليوم الذى سبق الحلم أنها تتوقع أن يزورنا عدد من الأصدقاء - بينهم إرما - يوم عيد ميلادها هذا . فالحلم إذن يسبق إلى هذا الموقف : إنه عيد ميلاد زوجى ، ونحن نستقبل ضيوفاً كثيرين - ومن بينهم إرما - فى القاعة الرحبة بمنزل بلثى .

أوم إرما هل كونها لم تقبل الحل ، أقول لها : إذا كنت ما زلت تتألمين ، فالنوب فى الحقيقة ذنبك وحده . لقد كان من الممكن أن أقول لها هذا الكلام فى حياة اليقظة ، أو قد أكون قلته فعلاً . فقد كان من رأى فى ذلك الوقت (وهو رأى عرفت خطأه فيما بعد) أن مهمتى تقف عند إطلاع المريض على المعنى المستتر لأعراضه ، فأما أن يقبل المريض هذا الحل

أو ألا يقبله، فأمر لا شأن لى فيه - وإن كان النجاح مرهوناً به . ولقد كان من فضل هذا الخطأ على (وإن أكن صحته اليوم لحسن الحظ) أنه هون على الحياة فى وقت كان من المفروض فيه ن أظفر بنتائج علاجية ناجحة مع جميع ما كنت عليه من جهل محتوم . - بيد أنى ألحظ من العبارة التى أتحدث بها فى الحلم إلى إرما أننى إنما أريد قبل كل شىء أن كون بريئاً من ذنب الآلام التى لا تزال تعانيتها : إذا كان الذنب ذنبها ، لم يكن ذنبى . أنلتمس هدف الحلم فى هذا الاتجاه ؟

شكايات إردا : أوجاع فى الحلق والبطن والمعدة ، كانت تختفها . كانت آلام المعدة بين أعراض مريضتى ، لكنها لم تكن من أعراضها البارزة ، بل كان معظم شكواها من أحاسيس بالغثيان والاشمئزاز . وأما آلام الحلق والبطن وانقباض الحلق ، فلم يكذب يكون لها نصيب فى مرضها . وإنى لأعجب لم قررت أن أختار هذه الأعراض فى الحلم . بيد أنى لا أعلم سر ذلك الآن .

إنها تبدو شاحبة منتفخة . لقد كانت مريضتى متوردة اللون دائماً . إنى ليساورنى الشك فى أن يكون شخص آخر قد حل محلها هنا .

أفزع إذ أفكر فى أنى ربما كنت أغفلت مرضاً عضوياً ما . إن من السهل أن نصدق أن مثل هذا الإغفال مصدر هيلة لا تنقطع عند طبيب متخصص لا يكاد يرى غير العصائيين وصار من عادته أن ينسب إلى المستريا عدداً كبيراً من الأعراض التى يعالجها الأطباء الآخرون معالجة الأمراض العضوية . وهناك من ناحية أخرى شك خافت أخذ يتسرب إلى نفسى - من أين ؟ لا أدرى - هو الشك فى أن يكون فرعى هذا فرعا صادقا كل الصدق : إذا كانت آلام إرما ذات أصل عضوى ، لم أكن - مرة أخرى - مشغولاً عن شفائها ؛ فعلاجى إنما يزيل الآلام المسترية . وهكذا يخطر لى أننى ربما كنت فى الحقيقة راغباً فى أن يكون ثمت خطأ فى التشخيص ؛ فحينئذ يزول غنى أيضاً اللوم على الإخفاق .

أخذنا إلى جوار النافذة لكى أنظر فى حاقها . تبدى بعض الممانعة شأن النساء اللاتى يحملن أسناناً صناعية ، أقول لنفسى : وما بها مع هذا من حاجة إلى ذلك . لم يعرض قط فى علاج إرما ما يدعو إلى فحص تجويف فيها . وإنما يذكرنى ما يقع فى الحلم بفحص آخر أجرته منذ وقت ما : كانت المريضة مربية تبدو للوهلة الأولى صورة من صور الجمال الغض ، فلما وجب أن تفتح

فأها، أخذت تحتاط لكى تخفى « طقم » أسنانها . ويسوقنى ذلك إلى ذكريات أخرى عن الفحوص الطبية وما تكشف عنه من أسرار صغيرة لا تسر طبيبا ولا مريضا . وأما قولى : وما بها مع هذا من حاجة إلى ذلك ، فيبدو للوهلة الأولى إطرأ لإرما ، بيد أنى أتصور له معنى آخر عدا ذلك — وإن المرء إذا أعمل انتباهه فى أثناء التحليل ، أحس أهو استفد كل الأفكار المستترة التى يصح له توقعها أم لا . ثم إن الوضع الذى اتخذته إرما وهى واقفة إلى جوار النافذة يذكرنى فجأة بواقعة أخرى : فقد كانت لإرما صديقة حميمة كنت أكن لها أكبر التقدير ، ثم اتفق أنى زرتها ذات مساء فوجدتها واقفة إلى جوار النافذة فى الوضع الذى أعاده الحلم ، وقال طبيبها — وكان الدكتور م . عينه — إنها تشكو من غشاء دفتيرى . إن شخص الدكتور م . يظهر من جديد فى الحلم ويظهر أيضا الغشاء . وهنا يخطرلى أننى فى الأشهر القليلة الأخيرة قد دعتنى كل الأسباب إلى أن أفترض أن هذه السيدة الأخرى إنما تشكو كذلك آلاما هسرية . لا ، بل إن إرما نفسها قد كشفت ذلك لى . ولكن ما الذى أعلمه عن حالها ؟ شىء واحد على التحديد : وهو أنها تشكو اختناقا هسريا ، شأن إرما فى الحلم . وأنا إذن فى الحلم قد استبدلت بإرما صديقها . ويحضرنى الآن أنى كثيرا ما داعبتنى تلك الفكرة : أنها أيضا — أعنى صديقة إرما — قد تسألنى يوما الخلاص من أعراضها . على أنى كنت أقدر فى الوقت نفسه أن هذه فكرة بعيدة عن الاحتمال ؛ لما كان بطبع هذه السيدة من شدة التحفظ : إنها تمنع مثل إرما فى الحلم . وسبب آخر لموقفها : وهو أنها لم تكن بحاجة إلى ذلك ؛ فهى فى الحقيقة قد أبدت حتى هذه اللحظة قدرة كافية على مغالبة ما بها من غير حاجة إلى عون خارجى . وتبقى بعد ذلك بضع ملامح لا أستطيع إسنادها إلى إرما أو صاحبها : شاحبة ، متفخة ، أسنان زائفة . فأما الأسنان الزائفة فتذهب إلى المربية التى سبق أن ذكرتها ، وأشعر الآن أننى أستطيع أن أكتفى بهذا القسط فى باب الأسنان الرديئة . وأفكر بعدئذ فى شخص آخر قد يكون فى هذه الملامح ما يوفى إليه : إن التى أعنى لم تكن أيضا بين مرضاى ، ولا كنت أحب أن أكون طبيبها ؛ فقد لاحظت منها تحرجا شديدا فى محضرى ، ولا أظنها كانت تكون مريضا سهل القياد . إنها كانت شاحبة اللون عادة واتفق حيناً أن بلغت صحتها أوجها فكانت تلوح ممتلئة ^(١) . وهكذا أقارن إرما فى

(١) ربما كان من الممكن أن نرد إلى هذا الشخص الثالث أيضاً شكوى آلام البطن التى بقيت من غير =

الحلم بشخصين آخرين ما كانا هما أيضا لإلا ليديا ممانعة في العلاج لو قد أخذنا فيه . فأى داع دعانى أن أبدل بإرما صديقتها ؟ لعله أنى كنت أرغب في هذا التبديل فعلا ؛ إما لأن الأخرى كانت تحرك في نفسى انعطافا أكبر إليها أو لأنى كنت أرفع تقديرا لذكائها ؛ فقد كنت أراه حمقا من إرما أنها لم تقبل الحل . فأما الأخرى فكانت تكون أكثر فطنة ومن ثم أسرع استسلاما ، حيثئذ كان يفتح القم كما ينبغي : إنها كانت ستفضى إلى بأكثر مما أفضت به إرما ^(١) .

ما أراه في الحلق : بقعة بيضاء وخياشيم عليها قشور . إن البقعة البيضاء تذكرنى بالدقريا ومن ثم بصديقة إرما . ولكنها تذكرنى أيضا بالمرض الذى أصاب ابنتى منذ عامين على التقريب وبكل الجزع الذى عانيته في هذه الأيام التعسة . وأما القشور المنتشرة على الخياشيم فتذكرنى بقلق يساورنى على صحتى نفسى . فقد كنت في هذه الأيام أكثر من استخدام الكوكايين لأخفف به تورما أنفيا ممضا ، وكنت سمعت قبل الحلم بأيام قلائل أن إحدى مرضاى حذت حنوى فأصابها نكروز واسع النطاق في الغشاء الأنفى المخاطى . ولقد كنت أول من أوصى باستعمال الكوكايين في سنة ١٨٨٥ ^(٢) ، وجرت على هذه التوصية ملائم خطيرة . ثم إن الإفراط في استعمال هذا الدواء قد عجل بموت صديق عزيز على ، وكان موته قبل سنة ١٨٩٥ .

استدعى الدكتور م . على الفور ، فيعيد الفحص ويؤيده . ذلك ما يتفق ومكانة الدكتور م . بيننا . غير أن « على الفور » هذه تستلفت نظرى ، بحيث يقتضى أمرها لإيضاحاً = إيضاح . وغنى عن البيان أن هذا الشخص الثالث كان زوجى نفسى ، وتذكرنى آلام البطن بمناسبة لحظت فيها تحريجها . ولا أجد مفرأ من أن أصارح نفسى بأنى لا أحسن في هذا الحلم إلى إرما ولا إلى زوجى . ولكن قد فلاحظ على سبيل المَعذرة أننى إنما أقارنهما بمثال المريضة الشجاعة الطيبة .

(١) إنى أحس أننى لم أوصل تفسير هذا الحلم حتى أتناثر كل معنى خبيء ، ولو أنى أردت أن أوصل المقارنة بين النساء الثلاث للذهب في ذلك منهجا بعيدا . - إن في كل حلم موضعا واحدا على الأقل يخفف فيه قراره ، سره - إن جاز التعبير - يرتبط منها بالمجهول .

(٢) [هذا خطأ لم يصححه فرويد في أى من الطبقات الثماني التى ظهرت في حياته . والصحيح أنه أوصى باستعمال الكوكايين في مقال نشر له عام ١٨٨٤ . ولقد يدرك المرء سر هذا الخطأ إذا قرأ الفصل السادس من الجزء الأول من كتاب جونز عن حياة فرويد ، وهو مخصص لأبحاث فرويد في الكوكايين وما ارتبط بها من الأحداث . ومنه نعلم أيضاً أن « الصديق العزيز » المشار إليه هو فلايشل فون ماركسوف أحد معاونى بروكه في المعهد الفيزيولوجى الذى عمل فيه فرويد . ويجد القارئ فيما بعد إشارات أخرى متعددة إلى هذه القصة ، ص

خاصا . إنها تذكرني بمحادثة فاجعة وقعت لى فى أثناء القيام بمهنتى : فقد حدث مرة أننى كنت سببا فى أن أصيبت لإحدى مريضاتى بتسمم حاد ، وذلك بأن وصفت لها المرة بعد المرة دواء كان يعد فى ذلك الوقت لا ضرر منه (السيلفونال) ، وكان أنى هلمت إلى هذا الزميل الذى يكبرنى سنا وحنكة ، ألتمس منه العون والسند . وهناك قرينة تؤيد أننى كنت أفكر حقيقة فى هذا الحادث : فقد كانت المريضة التى أودى السم بها تحمل اسم ابنتى الكبرى . وما فكرت قط فى هذا الاتفاق من قبل ، ولكنه يلوح لى الآن أشبه بقصاص من القدر ، لكأنما كان من الحتم أن يواصل تبديل الأشخاص بعضهم ببعض فى تلك الوجهة الأخرى : ماتيلدا هذه بما تيلدا تلك ، عين بعين وسن بسن . إنه ليبدو أننى كنت ألتمس كل مناسبة أستطيع أن أؤنب بها نفسى على افتقارها إلى الضمير الطبى .

الدكتور م . شاحب الوجه ، حليق الذقن ، يمرج فى مشيته . جانب الصدق فى ذلك هو أن الدكتور م . كثيرا ما يثير مظهره المعتل قلق أصدقائه . وأما السمتان الأخريان فإنما تصدقان من غير شك على شخص آخر : إنى أذكر هنا أخى الأكبر الذى يعيش فى الخارج ؛ فهو حليق الذقن ، وإذا لم تكذبنى الذاكرة فقد كان م . الحلم يشبهه . وكنا قد علمنا قبل الحلم بأيام قلائل أنه كان يعرج فى مشيته لالتهاب مفصلى فى أعلى فخذه اليسرى . ولا إلا أرى أن ثمت سببا من أجله أدمجت فى الحلم الاثنين فى واحد : وإنى لأذكر بالفعل أننى كنت واجدا على كليهما لأسباب متماثلة ؛ فكلاهما قد رفض اقتراحا كنت عرضته عليه .

صديق أوتو يقف الآن بجانبنا بينما يفحصها صديق ليوبولد ويكشف عن منطقة سماء فى أسفل الجانب الأيسر . إن صديق ليوبولد طبيب كذلك وله بأوتو قرابة . وقد شاء القدر إلا أن يكونا غريمين ؛ فقد سلكا اختصاصا واحدا وكانت لمفاضلة بينهما لا تنقطع . وقد عاوننى كلاهما بضع سنوات حين كنت أدير مستشفى خاصا بالأمراض العصبية للأطفال وكانت تقع هناك مشاهد شبيهة بالذى يقع فى الحلم : فبينما كنت أناقش أوتو إحدى الحالات كان ليوبولد يعود إلى فحص الطفل المريض ثم يخرج بجديد يكون له أثره الحاسم فى قرارنا . وكان بين الاثنين من التباين فى الطبع مثل ما بين المفتش برازيج وصديقه كارل ^(١) : فأحدهما قد عرف بمحضوره وتوقده ، وأما آخرهما فبطيء ، لكنه

(١) [شخصيتان رئيسيتان فى رواية كتبها فريش رويتر (١٨٦٢ - ١٩٤٠) وكان لها ذبوع عظيم فى وقت ما .]

لا يترك كبيرة ولا صغيرة . وجلى أننى إذ أفاضل فى الحلم بين أوتو وليوبولد الحذر فلنأما أبتغى من وراء ذلك إعلاء ليوبولد؛ فالفاضلة بينهما أشبه بها بين مريضتى العصبية إرما وبين صديقها التى كنت أراها أكثر رجاحة . وهأنذا الحظ الآن أحد المسالك التى عرج عليها تداعى الخواطر فى الحلم : من الطفلة المريضة إلى مستشفى الأطفال وأما المنطقة الصماء بأسفل الجانب الأيسر فيخيل إلى أنها تطابق فى كل تفاصيلها حالة ممائلة أدهشنى فيها ليوبولد بدقته . وبذهنى أيضا فكرة مبهمة ، هى أن هذا الكدر ربما كان وليد سروح مرضى ^(١) . ولعل فى هذه الفكرة ما يلمح كذلك إلى الصديقة التى كنت أود علاجها بدل إرما ؛ فقد ظهرت من هذه السيدة - بقدر - ما وسعنى الحكم - أعراض تحاكى الدرن .

رقعة مرتشحة من الجلد على الكتف الأيسر . أرى على الفور أن المراد هنا هو الروماتزم الذى أعانيه فى كتفى نفسى والذى لا أسهر ليلة حتى ساعة متأخرة إلا أحسسته . وإن الطريقة التى ركبت بها عبارة الحلم نفسها لتسم هى أيضا بالاشتراك ^(٢) إلى أبعد حد : « وهو ما ألحظه مثله . . . » ، ألحظه فى جسمى نفسى - هذا هو المقصود ^(٣) . ويتبادر إلى ذهنى عدا ذلك كيف يخرج هذا التعبير : « رقعة مرتشحة من الجلد » عن المؤلف ؛ فقد كان من عادتنا أن نقول : « ارتشاح بأعلى اليسار خلفا » - وهو ما يشير إلى الرثة فى الدرن مرة أخرى .

على رغم الرداء . هذه الكلمات لا تخرج على التأكيد عن أن تكون إضافة ثانوية ؛ فنحن بالطبع كنا نفحص الأطفال فى المستشفى وهم مجردون من ثيابهم ، على عكس ما يجب اتباعه عند فحص النساء . وأذكر أنه كان يروى عن أحد الأطباء المشهورين أنه كان يجرى الفحص الجسمى لمرضاه من خلال ثيابهم . وأما فيما عدا ذلك ، فلست أتميز شيئا . والصراحة هى أننى لا أريد التعمق فى هذا الموضع .

يقول الدكتور م. إنها عدوى ، ولكن ذلك ليس بشئ سوف تغلب الستتاريا وينطرد السم . ذلك ما ييلو لى شيئا مضحكا للوهلة الأولى . ولكن لا بد مع هذا من تحليله تحليللا مستوفى ،

(١) [انتقال العلة من عضو لآخر .]

(٢) [اللفظ المشترك هو ما كان له معنيان .]

(٣) [والانتقال من المعنى الأول إلى المعنى الثانى يسهله فى الألمانية لعب بالألفاظ يضيع عند الترجمة ؛

لأن Wie er spüre (بمعنى " ألحظه مثله ") لا يكاد يختلف فى النطق من verspüre (بمعنى " أحس ") .]

شأنه شأن غيره . وإنى لألح فيه ضرباً من المعنى إذ أقرب النظر إليه . فالمرض الذى اكتشفته بالمريضة كان التهاباً دفترياً بالخلق . وإنى لأذكر مناقشة دارت أيام مرض ابنتى حول العلاقة بين الالتهاب الدفتري الموضعى والدفتريا ؛ فالأخيرة هى العدوى المعممة التى تنشأ من الدفتريا الموضعية وكان ليوبولد يستدل على مثل هذه العدوى المعممة من وجود المنطقة الصماء التى يصبح تبعاً لذلك أن نعلها ناتجة عن السروح المرضى . وأما أنا فكنت أعتقد أن مثل هذا السروح المرضى لا يقع فى الدفتريا ، بل هو يذكرنى على الأكثر بالحمى الصديدية .

ذلك ليس بشئ . إن المراد هو العزاء . وأما وجه الحاجة إلى العزاء فى هذا المقام ، فهو الآتى : لقد كان مضمون الجزء السابق من الحلم أن مريضتى تشكو آلاماً ترجع إلى علة عضوية خطيرة ، وبهياً إلى أننى إنما كنت أبتغى من وراء ذلك أن أصرف اللوم عن نفسى ؛ فالعلاج النفسى لا يمكن أن يُسأل عن دوام آلام دفترية ، ولكن ينغصنى مع هذا أن أكون اخترعت لإرما مثل هذه العلة الخطيرة لا لغاية سوى أن أبرئ نفسى ؛ ففى هذا تظهر القسوة كل القسوة ، وأنا إذن بحاجة إلى من يؤكد لى حسن العاقبة ، وأحال أنى لم أسئ الاختيار حين أجريت العزاء على لسان الدكتور م . بالذات . بيد أننى أسمو بنفسى فوق الحلم فى هذا الموضع ، وهذا نفسه يحتاج إلى إيضاح . ثم لماذا صيغ العزاء فى هذه العبارة المجردة من كل معنى ؟

الاستتاريا : أسرحُ إلى ضرب من فكرة نظرية غامضة فحواها أن المواد السامة يمكن أن تطرد من طريق الأمعاء . أكون أنى أريد أن أهزأ بخصب الدكتور م . فى تصور التعليقات المستبعدة وإنشاء العلاقات المرضية غير المتوقعة ؟ إن الاستتاريا تذكرنى أيضاً بشئ آخر : فقد عنيت منذ بضعة شهور بشاب كان يعانى متاعب عجيبة تتعلق بالبرز ، عاجلها زملاء آخرون على أنها « فقر دم مع تغذية سيئة » . وأدركت من جانبي أن الأمر يتعلق بحالة هسترية ، بيد أننى لم أرد أن أجرب معه علاجى النفسى ، وأرسلته فى رحلة بحرية . وحدث قبل الحلم بأيام أنى تلقيت منه خطاباً يائساً من مصر جاء فيه أن نوبة جديدة ألمت به هناك وأن الطبيب أعلن إليه أنها الاستتاريا . وأكبر ظنى أن هذا التشخيص خطأ انزلق إليه زميل غير عليم ترك الهستريا تمكراً به ، ولكنى لا أستطيع مع ذلك أن أجنب نفسى اللوم على أنى جعلت المريض فى موقف قد تُصاب منه أمعاؤه بمرض عضوى فوق

مرضها المسترى . وفوق ذلك فلفظ « دستريا » يشبه في الجرس « دفتريا » - وهو اسم نحس* لا يعرض ذكره في الحلم .

نعم ، هو هذا من غير شك : إننى أسخر من الدكتور م . إذ أجرى على لسانه هذه النبوءة المعزية : سوف تعقب المستاريا . . . إلخ . فأنا أذكر أنه نفسه - قبل ذلك بسنوات - قد روى مرة وهو يضحك قصة جد مماثلة عن زميل من الزملاء : فهو - أعنى الدكتور م . - قد دعى مرة ليتشاور وهذا الزميل في شأن مريض اشتدت به العلة اشتدادا خطيرا . وأحس الدكتور م . أن الواجب يقتضيه أن ينبه زميله - وكان يبدو جم التفاؤل - إلى أنه قد وجد ببول المريض مادة الألبومين . ولكن الزميل أبى أن يأبه لذلك وأجاب هادئا : « ذلك ليس بشئ يا سيدى العزيز ، فلسوف ينطرد الألبومين سريعا ! » وهكذا لا أملك التشكك بعد الآن فى أن هذه الفقرة من الحلم تحوى فى طياتها استخفافاً بالزملاء الذين لا يعلمون أمر المستريا . وها هى ذى فكرة أخرى تجول الآن بخلدى كأنما أريد بها أن تؤيد هذا رأى : أيعلم الدكتور م . أن الأعراض التى تشكوها مريضته صديقة إرما - والتى تحولوه إلى خشية السل ، إنما تنبعث هى أيضا من المستريا ؟ أترأه فضح المستريا ، أم تراها « ضحكت عليه » ؟

ولكن أى دافع يدفعنى إلى أن أسئ إلى هذا الصديق كل هذه الإساءة ؟ الجواب هين : ذلك أن « الحل » الذى أرأياه لإرما لا يلقى من قبول الدكتور م . إلا ما يلقاه من إرما نفسها . وهكذا أكون انتقمتم فى هذا الحلم من شخصين : من إرما حين أقول : إذا كنت ما زلت تتألمين ، فالذنب ذنبك أنت ، ثم من الدكتور م . بمنطوق العزاء المجرد من المعنى الذى وضعته على شفتيه .

إننا نعلم أيضا علما مباشرا من أين نشأت العلوى . هذه المعرفة المباشرة فى الحلم مدعاة إلى العجب ؛ فما كنا نعلم من أمرها شيئا منذ هنية ، إذ كان ليوبولد أول من اكتشف وجود العلوى .

حقها صديق أوتو منذ قريب حين ساءت صحتها يوما . لقد روى لى صديق أوتو حقيقة أنه قد استدعى يوما فى أثناء إقامته القصيرة مع أسرة إرما إلى فندق مجاور ليحقن شخصا ساءت صحته فجاءة . وتذكرنى الحقن مرة أخرى بصديق التعس الذى سم نفسه بالكوكايين . لقد كنت أوصيته باستعمال هذا الدواء من الباطن فحسب [أى من طريق الفم] بعد

ابتداء التخلص من المورفين ، ولكنه باذر إلى حقن نفسه بالكوكايين .

مركب من البروبيل... بروبيلين... حامض البروبيونيك . كيف اتفق لى التفكير فى ذلك ؟ لقد حدث فى الأمسية السابقة - قبل أن أكتب تاريخ الحالة المرضية ويأتينى هذا الحلم - أن فتحت زوجتى زجاجة شراب كيب عليها « أناناس »^(١) وكانت هذه الزجاجة هدية من صديقنا أوتو؛ فقد كان من عادته أن ينهز كل مناسبة لكى يزف هداياه ، والأمل أن يرزق يوماً بزواج فيراً من هذه العادة^(٢) . وكانت تفوح من هذا الشراب رائحة زيت الفوزل ، حتى أننى امتنعت عن مذاقه . وخطر لزوجى أن تعطى الخدم هذه الزجاجة ، ولكنى كنت أكثر حذراً منها ، فأجبته بهذه الملاحظة الإنسانية : هم أيضاً لا يجب أن يتسمموا . وحلى أن رائحة زيت الفوزل (آميل . . .) قد استدعت هذه السلسلة كلها : پروبيل ، ميتيل ، وما إليها - وهو ما يعلل ورود مركب البروبيل فى الحلم . صحيح أننى أجريت هنا بعض التبديل ، فحلمت بالبروبيل بعد أن شممت الآميل ، ولكن مثل هذه التبديلات قد تجوز فى الكيمياء العضوية بخاصة .

تريمتيلامين . لقد رأيت فى الحلم المعادلة الكيميائية لهذه المادة ، وهو ما يشهد بمجهود عظيم من جانب ذاكرتى . ثم إنى رأيتها مطبوعة بحروف سمكية ، كأنما أريد أن يُنصَ لها على أهمية خاصة فى هذا السياق . فإلام يسوقنى التريمتيلامين الذى يُفرض على انتباهى على هذا النحو ؟ إلى حديث دار يوماً بينى وبين صديق كان يعلم كل شئ عن مؤلفاتى وهى فى طور النمو كما كنت أعلم منه المثل^(٣) . ففى خلال هذا الحديث أفضى إلى صديقى بآرائه فى كيمياء العمليات الجنسية وكان بين ما ذكره لى أن التريمتيلامين - على ما يعتقد -

(١) وهناك بعد ذلك جناس ملحوظ بين " أناناس " واسم عائلة مريضى إرما .

(٢) [هامش أضيف فى عام ١٩٠٩ ثم حذف ابتداء من عام ١٩٢٥ :] لم يكن الحلم نبيا من هذه الناحية ، ولكنه كان كذلك فى ميدان آخر : فالآلام التى كانت تمنيتها مريضى إرما " من غير حل " والتى كنت حريصاً كل هذا الحرص على ألا آلام عليها قد ثبت أنها كانت العلامة الأولى على اضطراب خطير ناجم عن حصوة فى كيس الصفراء .

(٣) [الصديق الذى تذهب إليه هذه الإشارة هو فيلهلم فليس ، وكان أخصائياً فى أمراض الأنف والحنجرة فى مدينة برلين ، ولكن اهتماماته شملت ميدان علم الحياة بأجمعه ، وكانت له فى هذا العلم نظريات أقل ما يقال ضنها هو أنها كانت تتسم بالغرابة . ولكى تعرف شيئاً عن هذه النظريات وعن صلة صاحبها بفرويد وأثره فى حياته ، فلا مبدى عن قراءة رسائل فرويد إليه التى نشرت أخيراً مع مقامة كتبها إرنست كريس (فرويد ١٩٥٠ أ) . هذا وسوف يكثر ذكر هذا الصديق فى خلال الصفحات القادمة ، دون الإشارة إلى اسمه أو مشاراً إليه بحرف الفاء .]

أحد المواد الناتجة عن الميتابوليزم الجنسي . وهكذا تسوقني هذه المادة إلى الحياة الجنسية ، وهي العامل الذي أعزو إليه أكبر الأهمية في نشوء الاضطرابات العصبية التي أروم علاجها . ومريضتي إرما أرملة في مقتبل العمر ؛ فلو سُئلت عذرا أبرر به إخفاق علاجي ، ما وجدت خيرا من الاحتجاج بهذا الوضع الذي يود أصدقائها لو تغير . ولكن يا للعجب لتركيب مثل هذا الحلم ! فالمرأة الأخرى - تلك التي جعلتها مريضتي بدل إرما - أرملة شابة هي الأخرى .

إني أحذر الآن لم أبرزت معادلة التريمتيلامين كل هذا الإبراز في الحلم ؛ فكم من أمور ذات بال تلتقي في هذه الكلمة الواحدة ! إن التريمتيلامين لا يشير إلى الحياة الجنسية بسلطانها الغلاب وحسب ، إنه يلمح فوق ذلك إلى صديق يسعدني أن أذكر تأييده كلما أحسست عزلي الفكرية . وصديقٌ هذا شأنه في حياتي ، ألا يكون من المحتوم أن يتردد في الحلم ذكره ؟ نعم ، إن له إلاما خاصا بعواقب أمراض الأنف وجيوبه . وهو قد كشف للعلم عن علاقات جدية بأكبر الإعجاب بين خياشيم الأنف وعضو الإنسال عند الأنثى (الزوائد الثلاث المتجمعة في حلق إرما) . ولقد جعلته يفحص إرما مرة ليرى هل كان لأوجاع المعدة عندها أصل أنثى . ولكنه نفسه يشكو التهابا صديديا في الأنف يثير القلق في نفسي ، وإلى هذا توي من غير شك الحصى الصديدية التي طاف ذكرها بخلد في صدد السروح المرضى المذكور في الحلم .

إن الإنسان لا يقدم على مثل هذه الحقن بمثل هذه الخفة . هنا يوجه اللوم على الخفة إلى صديقي أوتو مباشرة . وأعتقد أن خاطرا من هذا القليل قد طرأ لي بعد الظهر حين خيل إلى من كلماته ونظراته أن يتعصب عليّ ، كأنما قلت : ما أسهل التأثير فيه ! بأي خفة يرسل أحكامه ! - وفوق هذا ، تذكرني هذه الحملة من جديد بصديقي المتوفى الذي التجأ إلى حقن الكوكايين من غير ترو ؛ فما فكرت على الإطلاق - كما قلت من قبل - في أن يأخذ هذا الدواء حقنا . وألاحظ أيضا أنني إذ ألوم أوتو على نزقه في استخدام المواد الكيميائية ألمس مرة أخرى قصة ماتيلدا التعسة ، وهي القصة التي تعرضني لهذه المؤاخذة عينا . وجلي أنني أجمع هنا الشواهد على حساسية ضميري ، ولكني أجمعها أيضا على العكس .

وأغلب الظن أن الحقنة لم تكن نظيفة كذلك . ذلك لوم آخر يوجه إلى أوتو ، ولكنه

لوم مختلف المصدر. فقد اتفق أنى قابلت فى اليوم السابق ابن سيدة عجوز فى الثانية والثمانين من عمرها، كنت قد كلفت بحققها حقنتين من المورفين كل يوم. وكانت السيدة تقيم فى الريف حين قابلت ابنها. فأخبرنى أنها تعاني التهابا وريديا. فخطر لى على الفور أن الأمر ربما كان ارتشاحا نجم عن محقنة قذرة. فقد كان من أسباب فخارى أننى لم أسبب لها ارتشاحا واحدا خلال سنتين. فنظافة المحقنة هى همى الدائم: لأننى - وذلك هو بيت القصيد - ذو ضمير. وتعود بى الذاكرة من الالتهاب الوريدي إلى زوجى الذى اشتكت مرة من انسداد وريدى أصابها فى إحدى فترات الحمل. وهنا تمثل فى ذاكرتى ثلاثة مواقف متماثلة مع زوجى وإرما وما تيلدا المتوفاة. وواضح أن تماثل هذه المواقف هو الذى خول لى فى الحلم تبديل هذه الوجوه الثلاثة فيما بينها.

* * *

الآن أكملت تفسير الحلم^(١). وكنت وأنا ماض فى هذا التفسير أجهد ما استطعت فى تجنب الأفكار التى لم يكن مفر من أن توجيها المقارنة بين محتوى الحلم والأفكار الكامنة وراءه. وفى هذه الأثناء أشرق فى ذهنى « معنى » الحلم. لقد لحظت أن ثمت مأربا وأن هذا المأرب قد صار فى الحلم شيئا واقعا، وهو هو الذى كان لا محالة دافعى إلى الحلم. فالحلم يحقق بضع رغبات أثارها فى نفسى أحداث الأمسية السابقة: الأنباء المتلقاة من أوتو وتاريخ الحالة المرضية الذى دونته. وحاصل الحلم هو أننى برىء من شكاة إرما المستمرة؛ فلنما المذنب أوتو. والحقيقة هى أن أوتو قد أثار حفيظتى إذ أشار لإشارته إلى شفاء إرما شفاء غير تام. والحلم يثار لى إذ يرد اللوم إليه. ثم هو يعفىنى من كل مسئولية فيما عليه إرما إذ يرد حالها إلى عوامل أخرى - وهو يتبدع هنا طائفة كاملة من التعليقات. الحلم - إذن - يصور وضعاً من الأوضاع التصوير الذى أحب: إن محتواه يحقق رغبة والدافع إليه رغبة.

كل هذا يقتحم العين. ولكن تفاصيل الحلم كذلك يدنو الكثير منها للفهم إذا نحن نظرنا إليه من وجهة تحقيق الرغبة. فأنا لا أثار من أوتو لتعجله فى التعصب على وحسب، راميا إياه بالتهور فى علاجه (الحقنة)، بل أثار منه كذلك للشراب الردىء الذى يفوح منه زيت الفوزل، وأجد فى الحلم تعبيراً يوحد الملامتين: حقنة من مركب البروبيل.

(١) وإن كان من المفهوم أننى لم أرو كل ما خطر لى فى أثناء عملية التفسير.

ثم لا يكفينى ذلك ، فأمضى فى انتقامى ، فأفاضل بينه وبين منافس ثقة عنه ، كأنما أبتغى القول : إنه أحب إلى منك . ولست أصب جام غضبى على أوتو وحده ، بل أنتقم أيضا من مريضتى العاصية إذ أستبدل بها أخرى أعقل وأطوع . بل الدكتور م . نفسه لا أنسى له معارضته إياى ، بل أريه بإشارة لا تخفى أنه لا يفقه من الأمر شيئا (و سوف تعقب المستاريا ... الخ .)) وإنه ليلدولى أننى أتحول عنه إلى حكم آخر أوسع معرفة ، مثلما تحولت من قبل عن إرما إلى صديقها وعن أوتو إلى ليوبولد . لكأنى أقول : أبعدها عني هؤلاء الثلاثة وآتوني بثلاثة أنتقيهم من غيرهم ، ترتفع عني هذه الملامات التى لا أريدها مستحقة ! ثم هذه الملامات ذاتها لا يلبث أن يُساق البرهان فى الحلم على بطلانها ، مسبها كأكثر ما يكون الإسهاب : فالآلام إرما لا تقع على ، بل هى الملوثة ؛ لأنها ترفض حلى . ثم ما شأنى وآلام إرما وهى بطبيعة عضوية ، فلا يشفيها علاج نفسى ؟ ثم إن فى ترمل إرما التعليل الكافى لدائها (التريغيتيلامين !) ، ولا حول لى على تغيير هذا الوضع . ثم إن علة إرما قد ولدتها حقنة من مادة غير مناسبة ، لم يأخذ أوتو فيها بالحذر — وهو أمر ما كان ليصلر عني قط . ومرض إرما — مثل الالتهاب الوريدي الذى أصاب مريضتى العجوز — منشؤه حقنها بإبرة قدره ، وأنا الذى ما أضرت حقنه أحدا قط . ولا يفوتنى بالطبع أن هذه التعليلات لمرض إرما لا تتفق فيما بينها وإن انفقت على تبرئى ، بل إن كلا منها يمنع غيره . فالدفاع كله — فما هذا الحلم إلا دفاع — يُذكر برجل اتهمه جاره بأنه اقترض منه قدرا ثم أعادها بعد أن أفسدها . فأجاب الرجل بأنه قد أعاد القدر على خير حال — هذا أولا — ثم إن القدر — ثانيا — كانت مثقوبة حين استعارها ، ثم هو — أخيرا — لم يستعر شيئا على الإطلاق . والنفع فى الإكثار : فلو لم تجز من حجج الرجل إلا واحدة ، لكنى ذلك أن يُنحلى مسيله .

وفى الحلم فكر أخرى تشارك فى بنائه دون أن تكون لها مثل هذه الصلة الواضحة برغبتي فى أن أُبرأ من مرض إرما : مرض ابنتى ومرض سميتها ، الأذى الذى جره الكوكابين ، إصابة مريضى المسافر بمصر ، قلتي على صحتى زوجى وأخى وصحة الدكتور م . شكاياتى نفسى ، قلتي على صديقتى الغائب وهو يعانى الالتهاب الصديدي الآن . ولكنى إذا نظرت إلى كل أولئك رأيته يجتمع فى دائرة فكرية واحدة عنوانها : القلق على الصحة ، لنفسى ولغيرى ، الضمير المهنى . وإنى لأذكر إحساساً أليماً غامضاً خالجتى حين أتانى أوتو بأنبائه

عن إرما ، وفي مقدورى الآن - وقد سمرت هذه الطائفة من الأفكار التى كان لها فى الحلم نصيبها - أن أرجع إلى هذا الإحساس العابر فأثبتته فى كلم ، إنى كنت كأنما أسمعهم يقول لى : أنت لا تأخذ تبعاتك الطبية مأخذ الحد ، أنت لا ضمير لك ، أنت لا تنجز ما تعد . وكان أن وائتنى هذه الطائفة من الأفكار لكى أتمكن بها من تبيان أى ضمير مرهف هو ضميرى ، وكم أحرص على صحة ذوى وصحة أصدقائى ومرضى . وحرى بالملاحظة أن هذه المادة قد حوت كذلك أفكارا تؤيد اتهام صديقى أوتو أكثر مما تبرئنى ، إنها مادة محايدة - إن جاز التعبير . ولكن هناك مع ذلك رباطا لا ينفك بين هذه المادة الأوسع نطاقا والتى ينهض عليها الحلم وبين الموضوع الأضيق الذى يعالجه هذا الحلم والذى نشأت عنه الرغبة فى البراءة من كل ذنب فى مرض إرما .

ولست أريد أن أقول : إنى كشفت معنى هذا الحلم كشفا كاملا أو إن تفسيره يخلو من الثغرات .

لقد كان يسعنى أن أفرغ له مزيدا من الوقت وأن أخرج منه بمزيد من العلم وأنا أناقش فى صدره مشكلات جديدة ما زال يثيرها . وأنا نفسى أعلم ما هى المواضع التى ينبغى تتبع المستدعيات الفكرية الجديدة ابتداء منها . ولكن توقفت دون مواصلة التفسير اعتبارات تظهر فى ضد كل حلم . فإن أحس البعض بنفسه مسارعة إلى استنكار مثل هذا التحفظ منى ، كفاه أن يحاول غلبتى فى الصراحة . فأما أنا فأقنع فى الوقت الحاضر بتلك المعرفة المفردة الجديدة : إذا سرنا على منهج تفسير الحلم المبين فى هذه الصفحات ، رأينا أن الحلم له فى الحقيقة معنى وأنه بعيد غاية البعد عن أن يكون مظهرا لنشاط مخي متجزئ ، كما يريد المؤلفون : إذا تم التفسير تبين أن الحلم تحقيق رغبة (١) .

(١) [فى خطاب إلى فليس بتاريخ ١٢ من يوفيه ١٩٠٠ يتحدث فرويد عن حياة الأسرة فى بلن ثم يردف قائلا :

” أظن أن لوحا من المرمر سوف يعلق يوما على هذا المنزل وقد نقشت عليه تلك الكلمات ؟ -

فى هذا المنزل ، فى ٢٤ من يوفيه ، ١٨٩٥

كشف سر الأحلام

للككتور سيجموند فرويد

إن الأمل فى ذلك يلوح ضعيفا فى الوقت الحاضر . »

الفصل الثالث

الحلم تحقيق رغبة

لو أن رجلا ضرب في منعطف ضيق ثم إذا هو يستوى فوق قمة عالية تتشعب منها الطرق وينتشر الأفق ثريا في كل اتجاه ، لكان من الأوفق للرجل أن يتمهل برهة ليتدبر في نفسه ما هي مقبلة عليه . وحالنا وحال هذا الرجل سواء ، بعد أن استتب لنا أول تفسير فسر به حلم ما . فنحن نقف ونور الكشف المبالغت يغمرنا . فالحلم ليس بالأصوات الناشزة تنبعث من معزف قرعته قوة خارجة لا يد الموسيقى ، والحلم ليس خلوا من المعنى ولا فاسده ، ولا هو يدعنا نفترض أن فريقا من أفكارنا المختزنة ينام بينما يصحوفريق . إنه ظاهرة نفسية صادقة كأصدق ما تكون الظاهرة النفسية : إنه تحقيق رغبة ، والطريق موصول بينه وبين ما نعقل من نشاطنا النفسى في يقظتنا ، ويناؤه من صنع نشاط ذهنى على كثير من التعقيد . بيد أننا لا نكاد نأخذ في الابتهاج لهذا الكشف حتى يهجم علينا سيل من الأسئلة : فإذا كان الحلم يمثل رغبة محققة — كما يحدثنا به التفسير — فما مأتى الصورة العجيبة التى يتخذها هذا التحقيق ؟ أى تغيير ينال أفكار الحلم قبل أن تحول إلى الحلم الظاهر الذى نذكره في يقظتنا ؟ كيف يقع هذا التغيير ؟ من أين تأتى المادة التى تحول إلى حلم ؟ وما أصل الخصائص الكثيرة التى نستطيع ملاحظتها في أفكار الحلم — كقبولها التناقض مثلا ؟ (أنظر مثال القدر المستعارة ص ١٤٧) . هل يستطيع الحلم أن يعلمنا جديدا عن عمليتنا النفسية الباطنة ؟ هل يستطيع محتواه أن يصحح آراء كنا نعتقد صدقها في أثناء النهار ؟ إني أرى أن ندع جانبا جميع هذه الأسئلة في الوقت الحاضر ، وأن نتقدم ببحثنا في طريق واحدة : لقد رأينا أن الحلم يحقق رغبة ، فواجبنا الآن هو أن نبحث هل هذه خاصة مشتركة بين الأحلام جميعا أو هو اتفاق عرض في محتوى ذلك الحلم الجزئى الذى بدأنا به تحليلنا (حلم حقنة إرما) . فلقد تقبل التسليم بأن لكل حلم معناه وقيمته النفسية ، ولكن من الواجب مع ذلك أن نترك مكانا لإمكان تفاوت هذا المعنى بتفاوت الأحلام . فحللنا الأول قد حقق رغبة ، ولكن قد ينجىء ثان فإذا هو يحقق مخافة ، أو ثالث فلا يخرج

محتواه عن أن يكون فكرة ما ، أو رابع يستحضر إحدى الذكريات وحسب . أهناك إذن أحلام رغبة أخرى عدا هذا الحلم ، أم لعله لا وجود لأحلام سوى أحلام الرغبة ؟

إن من السهل أن نتبين أن تحقيق الرغبة كثيرا ما يرد في الأحلام سافرا غير خاف ، حتى أن المرء ليعجب لأن لغة الأحلام لم تفهم منذ زمن طويل . إليك مثالا على ذلك أستطيع إحداثه كلما شئت ، كأنما كان ذلك بالتجريب : إذا أكلت في الليل أنشوجة أو زيتونا أو غيرها من الأطعمة الشديدة الملوحة ، أحسست في الليل العطش وأيقظني هذا الإحساس . ولكن هذه الیقظة تجيء دائما في أعقاب حلم لا يختلف محتواه ، ومحتواه أني أشرب ، أشرب جرعات كبيرة من الماء ، والماء حلو المذاق كما يحلو السلسيل والحلق جاف . عندئذ أستيقظ وأراني حقيقة مسوقا إلى تلمس الماء . فالمناسبة الداعية إلى هذا الحلم غير المعقد هي العطش الذي أحسه حين أستيقظ ، ومن هذا الإحساس تنبعث الرغبة في الارتواء ، وهذه الرغبة يصورها الحلم متحققة . وهو إذ يفعل يؤدي وظيفة أحذرهما على الفور : فأنا أنام نوما عميقا ولم آلف أن توقظني حاجة من حاجات الجسد ، فلو قد أفلحت في أن أسكن عطشي بحلم أراني فيه شاربا ، لأغنانني ذلك عن الاستيقاظ لإرضاء لهذا العطش ؛ فهذا الحلم حلم أخذ بالتي هي أسهل : لقد حل الحلم محل العمل — كما يقع أيضا في غير ذلك من مواقف الحياة . ومن سوء الحظ أن الحاجة إلى الماء إرواء لعطشي لا يمكن إشباعها بحلم مثل ظمأى إلى الثأر من صديقي أوتو ومن الدكتور م . ولكن حسن القصد في الحالين واحد . وحدث منذ وقت غير بعيد أن اتخذ هذا الحلم نفسه صورة مختلفة بعض الاختلاف . فقد أدركني العطش قبيل النوم فأفرغت في جوفى كوبا من الماء أضعه على منضدة صغيرة بجوار سريري ، ولكن العطش عاودني في خلال الليل بعد ذلك بساعات واستتبع ما يستتبع من إزعاج ، فكان عليّ أن أردت لغلي ارتواء أن أنهض باحثا عن الكوب الموضوع على مائدة زوجي . وعلى ذلك أتاني حلم مناسب للمقام ، فرأيت زوجي تقدم إلى وعاء به شراب ، وكان الوعاء جرة خزف إترورية^(١) من قبيل ما يحفظ فيه رماد الموتى بعد إحراقهم ، كنت قد جلبتها معي من رحلة إلى إيطاليا ثم أهديتها إذ ذاك إلى البعض . ولكن الماء كان مالح المذاق (وجلى أن ذلك من أثر الرماد) ، حتى

(١) [نسبة إلى إتروريا ، وهي المنطقة من إيطاليا المباة اليوم توسكانيا ، وبها استقر قوم يفلب أنهم من أصل آري وأنهم وفدوا إليها من آسيا الصغرى ، وكانت لهم حضارة رفيعة منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد .]

أننى استيقظت . ولا يفوتنا أن نلاحظ كيف سهّل هذا الحلم الأمور على أوفى وجه . فغرضه الأوحده هو أن يحقق رغبة ، ومن ثمّ جاز له أن يكون أناانيا مطلق الأنانية . والحق أن حب السهولة لا يستقيم ومراعاة الآخرين . والراجح أن إدخال الجرة الحزبية فى الحلم كان يحقق أيضا رغبة : فأنا أسف على أن هذا الإناء قد خرج من حوزتى — كما يخرج من متناول الإناء الموضوع على مائدة زوجى . والجرة برمادها تنشق أيضا وإحساس المذاق المالح الذى كان آخذا إذ ذاك فى الاشتداد والذى أعلم أنه موقظى لا محالة ^(١) .

وكانت أحلام السهولة هذه تقع لى كثيرا فى شبابى ؛ فقد كان من عادى دائما أن أعمل حتى ساعة متأخرة من الليل وكان الاستيقاظ المبكر أمرا عسيرا على دأما ، فكنت أحلم حينئذ أننى قد غادرت الفراش ، واقف بجوار الحوض أغتسل . وغنى عن البيان أنه لم يكن فى مستطاعى أن أتمادى فى التغافل عن الواقع إلى غير حد ، ولكننى كنت أظفر فى هذه الأثناء ببرهة من النوم . وحدثنى زميل شاب ، كان يشاركنى هذا الغرام بالنوم على ما يبدو ، عن حلم كسل من هذا القليل ، اتخذ عنده صورة فريدة فى طرافها . ذلك أن هذا الزميل كان قد طلب إلى السيدة التى يقيم بدارها قريبا من المستشفى أن توقظه فى ساعة محددة كل صباح ، وكان ذلك أمرا مشددا ، ولكن السيدة لم تلبث أن تبينت أن تنفيذه لم يكن بالأمر الهين . وفى ذات صباح لاح له النوم فريدا فى حلاوته ، وجاءت السيدة تصيح وهى بالبالب : « يا سيد پي استيقظ ، لقد جاء وقت الذهاب إلى المستشفى » ، فكان جوابه حلما رأى فيه أنه نائم فى إحدى حجرات المستشفى وقد علفت فوق سريره لائحة خط عليها : « پي ه . ، طالب طب ، ٢٢ سنة » فكان أن حدث نفسه — وهو ما زال بحلمه — قائلا : « لا حاجة بى إلى أن أذهب إلى المستشفى ما دمت هناك » — ثم تقلب فى فراشه ومضى فى نومه . وهكذا اعترف اعترافا صريحا بدافعه إلى الحلم .

(١) عرف فيجانت أيضا وقوع أحلام العطش هذه ، فهو يقول : (١٨٩٣ ، ٤١) « وهذا الإحساس بالعطش هو الذى يدرك أدق إدراك ، وهو يبعث دائما على تصور الارتواء . وأما الطريقة التى يصور بها الارتواء فى الحلم ، فتختلف وتستمد صورتها الخاصة من إحدى الذكريات القريبة . وظاهرة أخرى مطردة الوقوع فى هذا المجال : هى أن فكرة إرواء العطش لا يلبث أن يتلوها الشعور بالحمية ؛ لقلة غناء هذا الارتواء الوهمى . » إلا أن فيجانت يغفل المغزى الكلى الذى تتضمنه استجابة الحلم إلى المنبه . — هذا ، وإذا كان بعض الناس قد يدركهم العطش فى أثناء الليل فيستيقظون دون أن يعلموا ، فذلك ليس اعتراضا على تجريقى ، وإنما هو دليل على أن هؤلاء الناس أردأ نوما من غيرهم . — أنظر سفر إسمياء ، الإصحاح ٢٩ ، ٨ : « ويكون كما يحلم الجائع أنه يأكل ثم يستيقظ وإذا نفسه فارغة . وكما يحلم العطشان أنه يشرب ثم يستيقظ وإذا هو رازح ونفسه مشبعة . »

وها هو ذا حلم آخر فيه كذلك أحدث المنبه فعله في خلال النوم نفسه . فقد أمر الأطباء إحدى مريضاتي— وكانت قد أجريت لها عملية في الفك لم تصب النجاح المأمول — بأن تضع على خدها المصاب جهازا مبردا ، ليلا ونهارا . ولكنها كانت لا تكاد تنام حتى تسارع إلى إلقائه . وسئلت ذات يوم أن أعنفها بعض التعنيف على مسلكها هذا ؛ فقد رمت جهازها مرة أخرى . ولكنها أجابتنى قائلة : « الحق أنى لم أكن أملك حيلة فيما وقع هذه المرة ، وإنما المستول حلم حلمته في الليل . فقد رأيتني في شرفة بدار الأوبرا وقد أخذ المشهد بلبي ، ولكن الهر كارل ماير كان واقدا في المستشفى وهو يشكو ألما في فكه مر الشكوى ، فقلت لنفسى : لا حاجة بي إذن إلى هذا الجهاز ما دمت أنا لا أعانى ألما . وكان أنى رميت الجهاز . » إن حلم هذه الشاكية المسكينة يبدو تصويرا أميناً لعبارة شائعة ترد على اللسان عفوا حين يرى الإنسان نفسه في موقف لا يحسد عليه : « الحق أنى كنت أستطيع أن أتصور ما هو ألطف من ذلك » ؛ فالحلم إنما يصور هذا الألفظ ، فقد كان الهر كارل ماير الذى حولت إليه الحاملة أوجاعها آخر شاب يمكن أن يتجه إليه تفكيرها بين من تعرف .

وبمثل هذه السهولة نستطيع أن نتبين تحقيق الرغبة في أحلام أخرى جمعتها من أناس أصحاء . فقد قال لى يوما صديق كان يعرف نظرياتي في الحلم وتحدث بها إلى زوجه : « سألتنى زوجى أن أخبرك أنها حلمت بالأمس أن الحيض قد جاءها . لعلك تعلم ما معنى ذلك . » ويقينا أنى أعلمه : فأن تحلم هذه الزوج الشابة بأن الحيض قد جاءها ، معناه أن الحيض قد انقطع . وأستطيع أن أتصور أنها كانت تود لو استمتعت بحريتها بعضا آخر من الوقت قبل أن تبدأ تكاليف الأمومة : إن الحلم كان طريقة ماهرة في الإنباء بحملها الأول . وكتب إلى صديق آخر يقول : إن زوجه قد حلمت منذ قريب بأنها تلحظ بقعا من اللبن على صدرها . وهذه أيضا بشرى تنبئ بالحمل ولكنه ليس الحمل الأول : فالأم الشابة تأمل أن تدر لرضيعها الثانى أكثر مما أدت لرضيعها الأول .

وظلت سيدة شابة أسابيع طويلا بمعزل عن المجتمع ؛ لأنها كانت تتعهد ابنها المريض مرضا معديا . فلما كتب له الشفاء ، حلمت بمجلس التقت فيه بالفونس دوديه وبورجيه ومارسيل بريفو وغيرهم من الكتاب وكان لطف الجميع تجاهها غاية ، وسروا عنها أجمل سرية . وكانت للمؤلفين المجتمعين ملامح كالتى لهم في صورهم ، إلا مارسيل بريفو

الذى لم تكن قد رأت صورته؛ فقد كان يشبه . . . موظف وزارة الصحة الذى بخر غرفة المريض يوم أمس وكان أول زائر يزورها منذ وقت طويل . وهكذا يبدو أن فى الإمكان أن نترجم هذا الحلم ترجمة وافية : لقد آن أوان الانصراف إلى شيء أكثر تسلية من هذا التمريض الأبدى .

لعل هذه المقطعات كافية أن ترينا أننا نجد فى أحيان كثيرة جداً وبين ملابس على أشد ما يكون اختلافاً — أحلاماً لا تترك مجالاً لفهمها بغير كونها تحقق رغبة ، أحلاماً يسفر محتواها عن فحواها فى غير خفاء . إنها فى الأغلب أحلام قصيرة غير معقدة تبين التآليف الحلمية المشوشة المسببة التى جذبت بنوع خاص انتباه المؤلفين مبانية حسنة الوقع . بيد أن جهدنا لن يضيع مع ذلك هباء إذا نحن وقفنا عند هذه الأحلام غير المعقدة بعض الوقت . ولنا أن نتوقع أبسط صور الحلم عند الأطفال ؛ فلا شك فى أن نتائج نشاطهم النفسى أقل تعقيداً من نظيراتها عند الراشدين . واعتقد أن من المقدر على علم نفس الطفل أن يسدى إلى علم نفس الراشدين خدمات نافعة كالتى أسدتها دراسة بنية الحيوانات السفلى وتطورها إلى دراسة بنية الحيوانات الأعلى مراتب . ولكن الجهود التى بذلت عن قصد من أجل الانتفاع بعلم نفس الأطفال لهذا الغرض لا تزال قليلة حتى اليوم .

إن أحلام الأطفال لا تخرج فى أحيان كثيرة^(١) عن أن تكون تحقيق رغبات ، وهى تخلو عندئذ^(٢) من القيمة ، بالقياس إلى أحلام الراشدين ؛ لأنها لا تثير ألغازاً تنتظر الحل . ولكنها بالطبع تظل ذات قيمة لا تقدر من أجل البرهنة على أن الأحلام تعنى فى جوهرها الدفين تحقيق رغبة . ولقد أمكننى أن أجمع بضعة أمثلة عليها ، من مادة زودنى بها أطفالى نفسى .

إذ أشكر لرحلة قمنا بها فى صيف عام ١٨٩٦ من آوسى إلى قرية هالشتات الجميلة^(٣) أن كانت سبباً فى حلمين أتت أولهما ابنتى ، وكانت تبلغ من العمر إذ ذاك ثمانية أعوام

(١) [" فى أحيان كثيرة " أضيفت فى طبعة ١٩١١ . ولغرويد ملاحظة على هذا التقييد يقول فيها (الكتابات المجهمة ، الجزء الثالث ، ١٩٢٥ ، ص ١٢) : " لقد بينت الخبرة أن الأحلام المشوشة التى تحتاج إلى تفسير تقع أيضاً للأطفال الذين يبلغون الرابعة أو الخامسة . وذلك ما يتفق تمام الاتفاق وأرأينا النظرية عن الشروط التى تحتم تشويه الأحلام . "]

(٢) [قبل عام ١٩١١ كنا نقول : " من أجل ذلك " بدلا من " عندئذ " .]

(٣) [فى منطقة سالتسكامر جوت بأعلى النمسا .]

ونصف العام، وأتى ثانيهما ولد تجاوز الخامسة بثلاثة شهور . ومن اللازم أن أقول على سبيل التمهيد : إننا كنا نقضى ذلك الصيف على تل قريب من آوسى ، كنا نستمتع منه إذا صحا الجو بمنظر بديع من مناظر جبل داخشتاين . وكان من الميسور إذا استعنا بمنظار مقرب أن نتبين منه فى وضوح كوخ^(١) سيمونى . ولقد حاول الأطفال رؤيته من خلال المنظار تكررا ، ولست أعلم مدى نجاحهم فى ذلك . وكنت قد ذكرت للأطفال قبل الرحلة أن هالشتات تقع على سفح الداخشتاين ، وكانوا هم ينتظرون اليوم الموعد فى فرح شديد . ومن هالشتات أخذنا نصعد فى [وادى] اشرنال الذى خلب الأطفال بمشاهده المتقلبة ، إلا أن واحدا منهم — وهو الولد الذى فى الخامسة — أخذ يتذمر ؛ فكلما لاح للنظر جبل جديد جعل يسأل : أهذا هو الداخشتاين ؟ فأجيبه : كلا ، إنه أحد التلال التى على سفحه فقط . وبعد أن كرر سؤاله هذا بضع مرات ، التزم الصمت التزاما تاما وأبى مصاحبتنا فى المرتقى الذى يقود إلى مسقط المياه . وظننت أنه كان تعباً ، ولكنه أقبل فى الصباح وعلامات البشر بادية عليه ، وقال : « لقد حلمت فى الليلة الماضية أننا كنا فى كوخ سيمونى . » وإنى لأفهمه الآن : فهو قد توقع حين تحدثت عن الداخشتاين أن يصعد الجبل فى أثناء رحلتنا إلى هالشتات وأن يرى عن كسب كوخ سيمونى الذى طالما كان موضع حديثنا ونحن ننظر إليه بالمنظار . فلما رأى أن عليه أن يقنع بتلال على السفح وبمسقط مياه ، خاب ظنه وصار صموتا . ولكن الحلم عوضه عما فاتته . ولقد حاولت أن أعرف بعض تفاصيل الحلم ، ولكننى لم أظفر منه بالشئ الكثير ؛ فكل ما استطاع قوله هو : « إن المرء يصعد ست ساعات قبل أن يصل إلى هناك . » وهو — حتى فى هذا القليل — إنما يردد ما سمع .

كذلك الفتاة البالغة من العمر ثمانى سنوات ونصف السنة ، فقد تركت هذه الرحلة أيضا فى نفسها رغبات لزم أن يرضيها حلم . فقد أخذنا معنا إلى هالستات ابن الحيران ، وكان فى فى الثانية عشرة من عمره كله فروسية ، تدل الدلائل على أنه قد نزل من الآنسة الصغيرة منزل القبول . فى الصباح التالى روت لى الفتاة هذا الحلم : « تصور أنى حلمت أن إميل واحد منا ، يناديكما «ماما» و «بابا» وينام معنا فى الحجرة الكبيرة مثل إخوتى

(١) [Hüttel — يطلق على بيوت صغيرة من الخشب تقام فى أنحاء متفرقة من الجبل ويأرى إليها الناس ليلوذوا بها من الخطر ، أو ليسهتريحو . ويطلق على كل منها اسم الجهة المقام فيها .]

الصبية . ثم جاءت ماما وألقت بملء يديها تحت أسرتنا ألواحا كبيرة من الشوكولاته لفت في ورق أزرق وأخضر . « فلما سمعها إختوتها الذين لم يرثوا القدرة على تفسير الأحلام — كما نرى — صاحوا مثل المؤلفين الذين نعرف : هذا الحلم هراء . بيد أن الفتاة نفسها دافعت عن جزء واحد من الحلم على الأقل ، ومن المفيد لنظرية الأعصبة أن نعلم أى جزء هو ، قالت : « أن يكون إميل واحدا منا ، هذا هراء ، وأما حكاية الشوكولاته فلا . » وكان هذا الجزء على التحديد هو الجزء الذى خفى على ، ولكن أم الأولاد أتنى ببيانه : ذلك أن الأطفال قد توقفوا وهم فى طريقهم من المحطة إلى المنزل أمام موزع آلى بغية الحصول على ألواح من الشوكولاته لفت فى ورق معدنى لامع من هذا النوع عينه ، كانوا يعلمون من سابق خبرتهم أن الآلة تخرجها . غير أن أهمهم رأت بحق أن اليوم قد حقق لهم من رغباتهم الكفاية ، وبذلك تركت للحلم تحقيق هذه الرغبة الأخيرة . وكان هذا المشهد الصغير قد فتنى . وأما جزء الحلم الذى تخاذلت ابنتى عن الدفاع عنه ، فقد فهمته على الفور : فلقد سمعت بأذنى ضيفنا المهذب وهو يطلب من الأولاد أن ينتظروا « بابا » و « ماما » ، فجعل الحلم من هذه القرابة الموقوتة تبنا مستديما . فعاطفة الفتاة لم تكن تعرف بعد شكلا آخر من أشكال الحياة المشتركة غير الذى صوره الحلم مستوحيا علاقتها بإختوتها . وأما كون ألواح الشوكولاته قد رميت تحت الأسرة ، فهذا بالطبع ما لا يتسنى توضيحه إلا باستفسار الطفلة .

وحدثنى صديق يحلم يشبه حلم ابنى تمام الشبه : كان الحلم لفتاة فى الثامنة . فقد خرج أبوها وفى صحبته جماعة من الأطفال فى نزهة إلى دورنباخ وفى نيتهم أن يزورا كوخ روهـرر . ولكن الوقت تأخر بهم ، فقفـل الأب بعد أن وعد الأطفال بأن يعرضهم عما فاتهم فى مرة أخرى . وبينما هم عائلون مروا بسارية تشير إلى الطريق المؤدى إلى الضيعة ، فسأله الأطفال أن يأخذهم إليها ، ولكن كان عليهم فى هذه المرة أيضا ، ولذات السبب ، أن يعزوا أنفسهم بوعـد الزيارة فى يوم آخر . وفى صباح اليوم التالى ذهبت الفتاة ذات الأعوام الثمانية إلى والدها ، تقول له وعليها علامة الرضا : « بابا ، لقد رأيت الليلة الماضية فى الحلم أنك كنت معنا فى كوخ روهـرر وفى الضيعة . » وهكذا سبق صبرها النافذ إلى تحقيق ما وعد به أبوها .

وها هو ذا حلم آخر لا يقل صراحة أوحاه جمال الطبيعة فى آوسى إلى ابنة أخرى

كانت تبلغ من العمر إذ ذاك ثلاث سنوات وثلاثة شهور . فهي كانت عبرت البحيرة للمرة الأولى ، وبدأت لها الرحلة أقصر مما كان ينبغي ، فأبت أن تغادر القارب حين رسا وبكت مر البكاء ، فلما جاء الصباح قالت لنا : « لقد ركبت البحيرة في الليلة الماضية . » نرجو أن تكون رحلة الحلم هذه قد دامت وقتاً أبعد على رضاها .

وأما ابني الأكبر — وكان عمره ثماني سنوات — فكان قد سبق إلى الحلم بتحقيق خيالاته ؛ فهو قد رأى نفسه يركب إحدى عربات القتال مع أخيلئوس ، وكان ديوميد سائق العرب . ولا غرو إذا كانت أساطير اليونان التي قرأها في اليوم السابق في كتاب مهدي إلى أخته الكبرى قد ألهمت حماسه .

وإذا جاز أن ندرج الألفاظ التي يتفوه بها الأطفال وهم نيام في عداد الأحلام ، أمكنني أن أسرد في هذا الموضع حلماً لحلم بين أحدث من في مجموعتي . فقد أصيبت ابنتي الصغرى — وكان عمرها تسعة عشر شهراً — بنوبة من القيء ذات صباح ، فنعت عن الأكل طيلة النهار . فلما كان الليل الذي أعقب ذلك النهار الجائع سمعناها تنادى وهي مهتاجة في نومها : « أنا ف (ر) ويد ، ف (ر) يز ، ف (ر) يز ؛ (ر) ي ، أومليت ، ك (ر) يمه ! . » وهي إذن تستخدم اسمها نفسها للدلالة على فعل الملك — كعادتها إذ ذاك — كما أنها قد ضمنت قائمة الطعام بالطبع كل ما لاح لها أنه يؤلف وجبة شبيهة . وأما ذكرها صنفين من الفريز فكان إظهاراً لاحتجاجها على القواعد الصحية المرعية في المنزل ، وهو احتجاج بعثت عليه ملابسمة لم تغب على التأكيد عن ملاحظتها : ذلك أن المربية كانت قد عزت توعكها إلى تخمة أصابتها من جراء الإفراط في أكل الفريز . وهكذا كانت الطفلة تتأثر من هذا الحكم الذي لم يصادف هوى من نفسها ^(١) .

فإذا كنا نشهد بسعادة الطفولة لبراءتها من الرغائب الجنسية فلا ننسى أي مصير خصيب للخيبة وللنزول المكروه — ومن ثم أي منبه إلى الحلم — تتضمنه ثنائية العزيزتين

(١) واتفق بمد ذلك بقليل أن حقق الحلم للجنة ما قد حققه للطفلة الصغيرة — ويبلغ عمرهما معاً شيئاً يقرب من السبعين سنة . فقد أجبرت اللجنة على التزام الحمية يوماً لاضطراب راجع إلى كلية سابعة ، فكان أن حلمت في الليلة التالية — وقد حملها حلمها من غير شك إلى أيام شبابها البهيبة — بأنها قد دعيت إلى تناول كلتا الوجبتين الرئيسيتين في الخارج ، وفي كل وجبة كانت تقدم إليها أشهى الأطعمة .

الحويثين الكبيرين^(١) . وها هو ذا مثال آخر على ذلك : وكلت إلى ابن أخى - وكان له من العمر اثنان وعشرون شهرا - مهمة القيام بتهنئتي بعيد ميلادى مع تقديم سلة من الكريز الذى لا تُرى فى هذا الوقت من العام سوى بواكيره هديةً إلى . ويبدو أن المهمة كانت شاقة عليه ؛ لأنه جعل يردد جملة : « فيها ك (ر) يز » دون أن يتيسر إقناعه بترك السلة تخرج من يديه . إلا أنه عرف على أبة حال كيف يعوض ما فاتته . فقد كان من عادته حتى ذلك الوقت أن يعلن إلى أمه فى كل صباح أنه قد حلم « بالضابط الأبيض » أى بضابط من ضباط الحرس الإمبراطورى كان قد أعجب به يوماً فى الطريق إذ شاهده بعباءته البيضاء - ولكنه فى صبيحة اليوم الذى أعقب تلك التضحية من جانبه ، نهض فرحاً ليعلن نبأ لا يمكن أن يكون له مأتى غير الحلم : « ه (ر) مان أكل الك (ر) يز كله ! »^(٢) .

(١) [١٩١١ :] هذا ويعلمنا النظر الأدق إلى الحياة النفسية للأطفال أن القوى الغريزية الجنسية تشارك - وإن يكن على صورة طفلية - بنصيب كبير ، ظلالاً نفعل أمره زمناً طويلاً ، فى النشاط النفسى للأطفال . كما نخرج أيضاً من مثل هذا النظر بأسباب تدعونا إلى التشكك بعض الشيء فى سعادة الطفولة كما يتصورها الراشدون لأنفسهم من بعد . أنظر كتابى : " ثلاث مقالات فى نظرية الحياة الجنسية " (١٩٠٥ د) .

(٢) [١٩١١ :] يجب أن نذكر أن الأطفال سريعاً ما يأخذون فى الحلم بأحلام أكثر تعقيداً وأقل شفافية ، بينما قد يحلم الراشدون فى بعض الملابس بأحلام ذات طابع خال من التعقيد ، طفل . ويجد القارئ أمثلة على ما قد تزخر به أحلام الأطفال المتراوحة أعمارهم بين الرابعة والخامسة من المادة غير المتوقعة فى مؤلفى : " تحليل مخافة شاذة عند غلام فى الخامسة " (١٩٠٩ ب) ، ووينج (١٩٠٩ أ) . وارجع أيضاً فيما يتصل بالتفسيرات التحليلية لأحلام الأطفال إلى هوج - هلموت وپوتنام وراثه وشيلراين وتاولك . وتجد أحلاماً أخرى عند بيان كيرى وبوزمان ودوليا ، وبخاصة عند فيجرام الذى ألح على نزوع هذه الأحلام إلى تحقيق الرغبة . ويبدو من جهة أخرى إن الأحلام ذات الطابع الطفلى يكثر ورودها عند الراشدين إذا وجدوا أنفسهم فى ملابس خارجية لم يألفوها مثال ذلك ما يتحدث به أوتو نوردنسكولد فى كتابه « القطب الجنوبي » (الجزء الأول ، ص ٣٣٦) عن أعضاء بعثته الذين قضوا معه فصل الشتاء هناك ، يقول : « وكانت أحلامنا أشد ما تكون دلالة على اتجاهات أفكارنا الدفينة ، فهى لم تكن فى يوم من الأيام أشد وضوحاً أو أكثر عدداً . بل حتى أولئك الرفاق الذين لم يكونوا يحملون إلا زادراً ، قد صاروا يصيحون وفى جيبهم القصص الطوال يقصونها حين نتبادل آخر خبراتنا فى عالم الخيال . وكانت هذه الأحلام جميعها تتعلق بالعالم الخارجى الذى صار الآن بعيداً عنا أجمع بعد ، وإن جاءت أيضاً فى كثير من الأحيان متكيفة بعض التكيف مع ملابس حياتنا الحاضرة . ومن أكثر هذه الأحلام دلالة على ذلك ، حلم خيل فيه إلى أحد الرفاق أنه قد عاد إلى مقعد الدراسة ، وكان عليه فى الحلم أن يسلم كلاب ببحر مصفرة صنعت خصيصاً لأغراض تعليمية . وكان الطعام والشراب هما المحور الذى تدور حوله معظم أحلامنا : فكان أحداً - وكان ذا موهبة ممتازة فى الاختلاف ليلاً إلى موائد العشاء الفاخرة - يقضى حبوراً إذا هو استطاع أن ينشئنا فى الصباح بأنه « قد ظفر بعشاء من ثلاثة أصناف » . هذا بينما كان يحلم آخر بالطباق ، بجمال منه ، وثالث بسفينة تتجه نحواً وقد انبسط من حولها المباب تمخره بخراً . ثم حلم آخر جدير بالذكر : يقبل ساعى البريد ويفرق فى شرح السبب الذى من أجله أقبل متأخراً ؛ فقد حمل البريد إلى عنوان غير العنوان الصحيح ، ولم يستطع استرجاعه

أما بم يحلم الحيوان ، فهذا ما لا أعلم عنه شيئا . ولكن هناك مثلا سائرا - أدين بمعرفته لأحد تلاميذى - يدعى معرفة الجواب : يسأل المثل : بم تحلم الأوزة ؟ ثم يجيب : بالذرة^(١) . إن النظرية القائلة : « إن الأحلام تحقيق رغبة » محتواة جميعها في هاتين الحملتين^(٢) .

وهكذا نرى أنه كان في مقدورنا أن نصل إلى المعنى الخبيء للحلم من طريق أقصر لو أننا استرشدنا العرف اللغوى . صحيح إن اللغة الدارجة تتحدث عن الأحلام أحيانا حديث الزراية . وحين تقول هذه اللغة : « الأحلام أضغاث » فكأنها تبغى بقولها هذا أن تؤيد الحكم العلمى . ومع ذلك فالأحلام فى اللغة الدارجة هى قبل كل شىء المحققات المباركات للربغات . فنحن نصيح إذ يستخفنا الطرب لأن الواقع قد جاوز ما كنا نتوقه : ذلك ما لم أكن أنخيله ولو فى أشد أحلامى جرأة .

إلا بالجهد الجهد . وكنا نحلم على التأكيد بأحلام أخرى أشد بعد استحالة من هذا . ولكن فقر الخيلة فى هذه الأحلام جميعا - ما أثنى نفسى وما سمعت عن غيرى - كان عجبيا أكبر العجب . ولو قد سجلت كل هذه الأحلام ، لكان من المؤكد أن تكون لها قيمة سيكولوجية كبرى . ومن السهل أن نفهم بعد ذلك كيف كنا نتوق إلى النوم ؛ فلم يكن غير النوم ليحبيب كلامنا إلى ما كانت نفسه تنحرق شوقا إليه . " ويقول دوپلر كذلك (١٨٨٥ ، ٢٣١) : " إن مونجو پارك حين أشرف على الموت ظمأ فى إحدى رحلاته الإفريقية كان لا ينقطع عن الحلم بمراعى وطنه ووديانه التى تجرى فيها المياه . وكذلك تركك حين عذبه الجوع وهو يحين فى قلعة ماجد بورج ؛ فلما كان يرى نفسه محاطا بأفخر صنوف الطعام . أما جورج پاك - وكان عضوا فى بعثة فرانكلين الأولى - فكان حين أشرف على الموت جوعا لا يكف عن حلم واحد لم يتغير : الطعام الكثير . "

(١) وهناك مثل هنجارى استشهد به فرنسى ، يزيد على ذلك فيقول : " يحلم الخنزير بشر البلوط وتحلم الأوزة بالذرة " . ويقول مثل يهودى : " بم تحلم الفرخة ؟ بالقمح " (برشتاين ، ١٩٠٨ ، ١١٦) .

(٢) لست أفكر فى القول : إن إرجاع الحلم إلى الرغبة لم يخطر قط لمؤلف من قبل (أنظر مطلع الفصل القادم) فى مكنة من يعلق أهمية ما على مثل هذه الحدوس المبكرة أن يرجع إلى الأزمنة القديمة وأن يستشهد بهيروفيلوس - وهو طبيب عاش فى أيام بطليموس الأول . فهذا الرجل - على ما يروى بوكسنتوش (١٨٦٨ ، ٢٣) - قد فرق بين ثلاثة أنواع من الأحلام : أحلام ترسلها الآلهة ، أحلام طبيعية تنشأ حين تتصور النفس ما فيه نفعا وما سوف يقع ، أحلام مختلطة تنشأ نشوا تلقائيا باجتماع الصور بعضها إلى بعض وذلك حين نرى ما نرغب فيه . ولقد نبه شاركره إلى حلم فى مجموعة شرر يصفه المؤلف نفسه بأنه تحقيق رغبة ، يقول شرر (١٨٦١ ، ٢٣٩) : " إن الحلم قد حقق الرغبة التى أضمرتها الحاملة فى اليقظة ، لا لشيء سوى أن هذه الرغبة كانت تحرك نفسها تحريكا شديدا . " ويدرج شرر هذا الحلم فى قائمة " الأحلام المزاجية " إلى جانب " أحلام الشبق عند الذكور والإناث " و " أحلام المزاج المعتل " . ومن هذا نرى أن شرر لا يفكر أقل تفكير فى أن ينسب إلى الربغات أهمية أخرى فى إثارة الحلم غير التى لغيرها من سائر حالات اليقظة ، وأقل من ذلك أن يفكر فى الربط بين الرغبة وجوهر الحلم .

الفصل الرابع

تشويه الحلم

لو أننى سقت الآن تلك القضية : إن تحقيق الرغبة هو المعنى الذى ينطوى عليه كل حلم ، أى أن من المحال أن تكون ثمت أحلام غير التى تحقق رغبة ، لكان من المحقق مقدما أن ألقى أقطع المعارضة. سوف يقول لى القائلون : « أن تكون هناك أحلام ينبغى فهمها بكونها تحقق رغبات ، ذلك ليس بالشئ الجديد ، بل كثير من المؤلفين قد لاحظوه منذ زمن طويل (أنظر رادشتوك ص ١٣٧ ، ١٣٨ وفولكلت ص ١١٠ ، ١١١ وبوركينيه ص ٤٥٦ وتيسيه ص ٧٠ وحديث م . سيمون فى ص ٤٢ عن أحلام الجوع التى عرفها البارون ترنك وهو سجين ، ثم الفقرة الواردة فى ص ٨٩ عند جريز نجر)^(١) . وأما أنه لا وجود لأحلام غير التى تحقق رغبات ، فتعميم جديد من هذه التعميمات التى لا مبرر لها ، وهو لحسن الحظ تعميم يسهل دحضه . فالأحلام التى تطالعنا بمحتوى أليم أشد الألم دون أن تضم أقل أثر من تحقيق الرغبة ليس أكثر منها . ولا شك فى أن الفيلسوف المتشائم إدوارد فون هارتمان كان أبعد المبعدين عن نظرية تحقيق الرغبة هذه ؛ فهو يقول فى الجزء الثانى من كتابه 'فلسفة اللاشعور' (١٨٩٠ ، ٥٢ ، ٣٤٤) : « وأما الحلم ، فبه تنتقل إلى النوم منغصات اليقظة ، فلا شئ ينقصه سوى الشئ الوحيد الذى قد يصلح إلى حد بين الرجل المثقف والحياة : أعنى متعة العلم والفن . . . بل إن من الملاحظين من هم أقل منه برما بالحياة وهم مع ذلك يلحون على أن الألم والضرر يكثران فى الحلم اللذة : مثال ذلك شولتس (١٨٩٣ ، ٥٧) وفولكلت (١٨٧٥ ، ٨٠) وغيرهما . وأكثر من ذلك أن السيدتين سارا ويد وفلورنس هالام قد قدرتا غلبة الألم فى الأحلام تقديرا عدديا استندتا فيه إلى دراسة أحلامهما ؛ فأحصتا فى كل مائة حلم ٥٧,٢ حلما أليما ، وأما الأحلام السارة من غير لبس فلم تعد ٢٨,٦ حلما . ثم هناك إلى جانب هذه الأحلام التى تنتقل إلى النوم ما تضمه الحياة من ضروب المشاعر الاليمية ، هناك أحلام الهيلة التى فيها يهزنا — حتى ليذهب الكرى

(١) وقديماً قال فيلسوف الأفلاطونية الجديدة أفلوطين : « إذا انبثت الرغبة ، جاءت الهيلة فصورت لنا ما يشبه موضوع هذه الرغبة . » (عن دوپرل ١٨٨٥ ، ٢٧٦) .

عنا — هذا الشعور الذى يفوق فى هوله كل شعور عداه . ولا تزور أحلام الهيلة هذه أحدا بمثل السهولة التى تزور بها الأطفال^(١) ، وهم الذين وجدت عندهم أحلام الرغبة فى صورتها السافرة .

والحق هو أن أحلام الهيلة على التحديد تبدو عائقا يحول دون أى تعميم للقضية التى خرجنا بها من الأمثلة المسوقة فى الفصل السابق : أن الحلم تحقيق رغبة . لا ، بل إنها لتدمغ مثل هذه القضية بالبطلان .

بيد أننا لا نجد مع ذلك كبير صعوبة فى دفع هذه الاعتراضات التى تلوح ذات قوة ملزمة . فكل ما نحتاج إليه هو أن نتذكر أن نظريتنا لا تقوم على النظر فى محتوى الحلم الظاهر ، بل هى تحيل إلى الأفكار التى يكشف عنها التفسير من وراء الحلم ، ومن الواجب أن نفرق بين محتوى الحلم الظاهر ومحتواه الكامن . فمن الحق أن ثمت أحلاما يكون محتواها الظاهر من النوع الأليم ، ولكن هل حاول أحد أن يفسر هذه الأحلام وأن يكشف عن المحتوى الفكرى المستتر وراءها ؟ إذا كان الجواب نفيا ارتفع عنا كلا الاعتراضين الموجهين إلينا ؛ فقد يتبين بعد تفسير الأحلام المؤلة وأحلام الهيلة أنها أيضا تحقق رغبات^(٢) .

(١) أفظر حديث دوباكى عن الفرع الليل .

(٢) [١٩٠٩ :] إن من الصعب أن نتصور مدى إصرار قراء هذا الكتاب ونفاذه على أن يفضوا طرفهم عن هذه التفرقة الجوهرية بين محتوى الحلم الظاهر ومحتواه الكامن . — [١٩١٤ :] هذا ولست أجد فى أدب الموضوع شيئا يقرب من رأيى فى الحلم قرب تلك الفقرة التى تجيء فى مقالة ج . سوللى " الحلم من حيث هو كشف " ، والتى لا ينال من قيمتها أننى لم أستشهد بها من قبل : " وهكذا قد يتبين أن الأحلام ، مهما يكن من أمر ليست كلها ترهات ، على ما ذهب إليه بعض الثقاة من أمثال تشوسر وشكسبير وميلتون . فالتأليف المختلطة الناجمة عن تخيلتنا اليلية تملك مغزى وتنقل معرفة جديدة . فنقش الحلم كخطاب كتب بالشفرة لا تكاد تنم النظر إليه إلا فقد طابع الطلسماء الذى لاح له للوهلة الأولى ولبس ثوب الرسالة الجدية المقولة . أو إذا أردت أن تغير التشبيه قليلا ، فقد نقول إن مثل الحلم كتل مخطوط قديم مسح ليسطر فى محله كلام لا وزن له ولكننا نستطيع مع ذلك أن نتبين من وراء أحرف هذا الكلام أثرا من إفادة قديمة ثمينة . "

["Dreams as a revelation" — "It would seem, then, after all, that dreams are not the utter nonsense they have been said to be by such authorities as Chaucer, Shakespeare and Milton. The chaotic aggregations of our nightfancy have a significance and communicate new knowledge. Like some letter in cipher, the dreaminscription when scrutinized closely loses its first look of baladerdash and takes on the aspect of a serious intelligible message. Or, to vary the figure slightly, we may say that, like some palimpsests, the dream discloses beneath its worthless surface - characters traces of an old and precious communication."]

إذا اتفق أن واجهتنا مشكلة صعبة الحل ونحن بسبيل بحث علمي ، فقد يكون من النافع في أحيان كثيرة أن نضيف إلى هذه المشكلة أخرى ، على نحو ما يسهل كسر جوزتين معا عن كسرهما واحدة فواحدة . وعلى ذلك فلن نواجه هذا السؤال وحده : كيف يمكن أن تكون الأحلام المؤلة وأحلام الهيلة تحقيقات لرغبات ؟ بل نضيف إليه سؤالاً ثانياً نستطيع أن نخرج به من مناقشاتنا السابقة في أمر الحلم : تلك الأحلام التي تبدو محتوية خالياً من اللذة والألم على السواء ثم يتضح بعد ذلك أنها تحقق رغبات ، لماذا لا تعرب عن معناها هذا إعراباً سافراً؟ إليك هذا الحلم الذي أطلنا في مناقشته ، حلم حقنة إرميا : إنه لم يكن حلماً أليماً بحال ما ، ثم تبين بتفسيره أنه كان مثلاً ساطعاً على تحقيق الرغبة . ولكن لماذا أحوج الأمر إلى تفسير على الإطلاق ؟ لماذا لم يعرب الحلم عن مراده إعراباً مباشراً ؟ فالحقيقة أن حلم إرميا لا يوحي للوهلة الأولى أنه يصور للحلم تحقق إحدى رغباته : فلا قارئاً الحلم قد خرج من قراءته بهذا الشعور ، ولا أنا نفسي كنت أعلمه حتى أخذت في تفسيره . فإذا سمينا هذا المسلك الذي يتطلب تعليلاً ظاهرة تشويه الحلم ، كان سؤالنا الثاني هو : ما منشأ هذا التشويه في الأحلام ؟

ههنا قد تخطر لنا على الفور عدة من الحلول الممكنة لهذه المشكلة ، كأن نقول : إن النوم يتضمن ضرباً من العجز عن الإعراب عن أفكارنا الحلمية إعراباً مباشراً . ولكن تمت أحلاماً بحملنا تحليلها على التماس تحليل لعل آخر لتشويه الأحلام . وأمثلة لذلك بحلم آخر من أحلامي . ويجزني هذا التمثيل من جديد إلى البوح بأمور شتى ، ولكن يعوض عن هذه النصحية الشخصية أن تتضح المشكلة اتضاحاً تاماً .

تمهيد : علمت في ربيع عام ١٨٩٧ أن أستاذين جامعيين قد رشحاني للدرجة أستاذ مساعد^(١) . وكان هذا الخبر مفاجأة لي وكان سروري به عظيماً ؛ فقد رأيت فيه تقديراً صادراً عن رجلين جليلين ، لا يمكن عزوه إلى علاقات شخصية . ولكنني حذرت نفسي عند سماعه من أن تجري وراء الأمل : فلقد ضربت الوزارة صفحاً عن اقتراحات من هذا القبيل في خلال السنوات الأخيرة^(٢) ، وهناك زملاء كثيرون يكبروني سناً ويعدلونني — على الأقل — استحقاقاً ظلوا مع ذلك سنوات ينتظرون هذا المنصب هباءً ، ولم يكن

(١) [ترجمة تقريبية لما يسمى في جامعات النمسا "Professor extraordinarius" .]

(٢) [كانت أمثال هذه الترقيات تصدر إذ ذاك بقرار من وزير المعارف .]

ثمت أى سبب يجعلنى أتوقع أن تتغير الحال معى . لهذا وطلدت النفس على الخيبة ، ولست - فيما أعلم - بالرجل الواسع المطامع ، ثم لى كنت ألاقى فى مهنتى نجاحا مرضيا من غير حاجة لى أن يزكىنى لقب . وعلى أية حال لم يكن ثمت مجال للسؤال عن العنب أحلو هو أم مر ؛ فقد كان من المقطوع به أنه كان مرتفعا جدا .

وفى ذات مساء زارنى صديق من أولئك الزملاء الذين اتخذت لنفسى من مصيرهم نذيرا ؛ فقد ظل زمانا طويلا مرشحا للدرجة الأستاذية التى تجعل من الطبيب فى مجتمعنا نصف إله فى نظر مرضاه . إلا أنه كان أقل منى استسلاما ، فكان يتردد بين الحين والحين على مكاتب الوزارة ، مذكرا كبار المسئولين ، آملا تحقيق مطلبه . وكان مجيئه لى بعد زورة من هذه ، فقص على كيف أنه فى هذه المرة قد جذب الكبير المسئول لى أحد الأركان ثم سأله إذا كان تعويق ترقيته لا يرجع فى حقيقة الأمر لى اعتبارات دينية ^(١) . فكان الجواب هو : إنه بالنظر لى تيار المشاعر العامة فى الوقت الحاضر ، فإن معالى الوزير لا يجد نفسه - مؤقتا - فى موقف يسمح له . . . إلخ . ثم أردف صديقى قائلا : « الآن أعرف على الأقل أين أنا » ، مختما بذلك روايته التى لم تكن تحمل لى جديدا وإن دعمت تسليمى بالأمر الواقع ؛ فتلك الاعتبارات الدينية تصدق على كذا .

وفى الصباح الذى أعقب هذه الزيارة وقع لى الحلم الآتى ، وهو حلم استرعى نظرى من أجل الصورة التى اتخذها كذا ؛ فقد تكون الحلم من فكرتين وصورتين : فكرة فصورة ثم فكرة فصورة . ولا أذكر هنا سوى النصف الأول وحده ، لأن النصف الآخر لا علاقة له بالغرض الذى من أجله أورد هذا الحلم .

١ - صديقى ر . هو عمى - أشعر نحوه بحنان كبير .

٢ - أرى وجهه أمامى وقد أصابه بعض التغيير : كأنه استطال . تبرز فى وضوح شديد لحية صفراء أحاطت به .

ثم يعقب الجزآن الآخران اللذان أحذفهما : فكرة أيضا فصورة .

ولقد وقع تفسير الحلم على هذا النحو :

عندما خطر هذا الحلم ببالى فى خلال الصباح ، ضحككت وحدثت نفسى قائلا :

هذا الحلم هراء . ولكن الحلم لم يتفك عنى ، بل ظل يلاحقنى طوال النهار ، لى أن أنبت

(١) [كانت المشاعر المعادية للسامية متأجبة فى ذلك الوقت فى فيينا ، وفرويد - كما نلم - يهودى .]

نفسى أخيرا ، فى المساء ، قائلا : « لو أن مريضا من مرضاك لم يجد فى خلال تفسير حلمه خيرا من قوله : إن هذا الحلم هراء ، لأخذت فى تأنيبه ولظننت أن الحلم يخفى قصة كريمة يريد الحالم أن يجنب نفسه مؤونة العلم بها . فخذ نفسك بما تأخذ به غيرك . إن اعتقادك أن الحلم هراء إنما يدل على مقاومة باطنة بإزاء تفسيره . فابدأ ، ولا تدع مانعا يمنحك . » وعلى ذلك شرعت أفسره .

« ر . ر . هو عمى . » ما معنى ذلك ؟ إني لم يكن لى قط سوى عم واحد ، عمى يوسف (١) . وكانت لهذا العم قصة مؤلة : فقد حدث مرة — منذ أكثر من ثلاثين عاما — أن دفعه الطمع فى الكسب إلى التورط فى صفقة من النوع الذى يعاقب عليه القانون عقابا صارما ، وكان أن عوقب . وكان من عادة والدى الذى شاب رأسه من الحزن فى أيام معدودات أن يردد دائما قوله : إن العم يوسف ليس بالرجل الشرير ، ولكنه أبله — تلك كانت كلماته . فلو كان صديقى ر . هو عمى يوسف ، لكان معنى ذلك أى أقول : إن ر . أبله . أمر لا يكاد يصدق ، كربه على النفس كل الكراهة ! ولكن هناك الوجه الذى أراه فى الحلم بملاحمه المستطيلة ولحيته الصفراء . لقد كان لعمى حقيقة وجه كهذا الوجه ، مستطيل الشكل ، يحيط به إطار من لحية جميلة شقراء . وأما صديقى ر . فكان فى أول أمره أسود الشعر حالكة . ولكن ذوى الشعور السوداء إذ تتقدم بهم الأيام يفقدون بهاء شبابهم . فلحاؤهم الداكنة يدب فيها — شعرة فشعرة — تحول فى اللون لا يسر ، فهى تصوير فى بادئ الأمر ضاربة إلى الحمرة ، فضاربة إلى الصفرة ، ثم تحول بعدئذ فقط إلى الرمادى الخالص . وقد كانت لحية صديقى ر . تمر بهذا الطور الأخير — وكذلك كانت بعد لحيتى ، كما كنت ألحظه فى غير رضا . فالوجه الذى أراه فى الحلم هو وجه صديقى ر . ووجه عمى فى آن معا : إنه كان أشبه بصور جالتون المركبة — فقد كان جالتون يطبع على اللوحة الواحدة وجوها متعددة إظهارا لما قد يكون بين ذوى القربى من الشبه المشترك . وما من شك إذن فى أننى كنت أعنى أن أصف صديقى ر . بالبله — مثل عمى يوسف .

ولست أعلم حتى الآن ما هو الغرض الذى أتوخاه من هذه المماثلة التى لا أزال أثور

(١) من العجيب أن نلاحظ كيف ضاق نطاق ذاكرتى — ذاكرتى المستيقظة هنا ، فلم يعد يتسع لغير أغراض التحليل . فالحقيقة هى أننى أملك خمسة أعوام ، أحببت واحدا منهم وأجلته ، ولكننى ما أن تغلبت على المقاومة التى كانت تصدى عن تفسير الحلم حتى قلت لنفسى : إني لم يكن لى قط سوى عم واحد — العم المقصود فى الحلم .

عليها . ثم هي مع ذلك مماثلة لا عمت فيها . فقد كان عمى مجرما ، على حين أن صديقي ر . برى من كل شائبة . . . اللهم إلا من غرامة أدين بها يوما لأنه صدم صبيا بدراجه . أياكون أنى أفكر فى هذه الفعلة ؟ إن معنى ذلك هو أننى أجرى المماثلة مجرى المزاح . ولكننى أذكر الآن حديثا دار منذ بضعة أيام بين زميل آخر - هو ن . - وبينى ، وأذكر أن مدار الحديث كان هذا الموضوع عينه . فقد قابلت ن . فى الطريق ، وكان أيضا مرشحا للدرجة الأستاذية ، فلما علم أنى نلت مثل هذا الشرف هنأتى عليه . ولكننى قاطعته قائلا : « إنك آخر من يحق لم المزاح فى هذا الباب ؛ فأنت تعلم من خبرتك نفسك ما هي قيمة مثل هذا الترشيح . » فأجابنى وهو فى الأغلب غير جاد : « من يدري ؟ فالموقف يختلف معى . ألا تعلم أن امرأة قد اتهمتنى يوما فى ساحة القضاء ؟ لا أظننى بحاجة إلى أن أؤكد لك أن الحق قد رجع إلى نصابه وأن الأمر لم يعد أن يكون محاولة دنيئة للابتزاز ، ولقد تحملت مع ذلك كل مشقة لكى أجنب تلك المبلغلة الكاذبة جزاءها . ولكن ربما كان القوم فى الوزارة يتخذون من هذه القصة تعلقة للحيلولة دون ترقيتى . وأما أنت فلا شائبة تعلق بك . » وهأنذا إذن أملك المحرم وأملك معه تفسير الحلم ومرماه : فعفى يوسف يصور لى كلا الزميلين اللذين لم يرقيا إلى الأستاذية : فأما أولهما ؛ فلأنه أبله . وأما آخرهما ؛ فلأنه مجرم . وأعلم الآن أيضا ما هو وجه الحاجة إلى هذا التصوير : فلو قد كان لعامل الدين أثر فى إرجاء ترقية صديقى ، لكانت ترقيتى كذلك فى خطر ، فإن استطعت أن أجد لإخفاقهما عللا أخرى ، بقى لى الأمل دون أن يضطرب . وعلى هذا يعمل الحلم : فهو يجعل من الأول أبله ويجعل من الآخر مجرما - ولما كنت ولست بهذا ولا بذلك ، فلا شئ يجمع بيننا ومن حق أن أهنى نفسى على الأستاذية وأن أستثنى شخصى فلا أطبق عليه النتيجة المؤتة التى تخلص من رواية صديقى ر . عن حديث الموظف الكبير إليه .

بيد أنى لا أجد بدا من المضى فى تفسير هذا الحلم إلى أبعد من هذا المدى ؛ فما زلت أشعر بأننى لم أنه منه إلى النهاية التى أرزئها ، وأنا لا أزال أضطرب لهذا الاستخفاف الذى أضع به من قدر زميلين جليلين لكى يخلو لى الطريق إلى الأستاذية . نعم ، إن من المستيقن أن سخطى على هذا الأسلوب قد أدركه الوهن منذ تعلمت كيف أقدر شهادة الحلم حق قدرها : فلا أخالنى إلا منكرا أشد الإنكار كل إشارة قد يفهم منها أنى أعد ر . أبله حقيقة ، أو أننى لا أصدق حقيقة قصة البلاغ الكاذب كما رواها ن . ، ولا أنا

أصدق بالطبع أن إرما قد أصابها مرض خطير لأن أوتو حققها بحقنة من البروبيل ؛ فالحلم هنا ، شأنه هنالك ، إنما يعرب عن رغبتى فى أن تكون الأمور كذلك . كل الفارق هو أن العبارة التى تتحقق فيها رغبتى تلوح فى الحلم الثانى أقل سخفا منها فى الحلم الأول ؛ فهى قد صيغت فى هذه المرة باستخدام بعض السند من الواقع استخدما أكثر مهارة ، كتجريح ذكى يُخَيِّلُ إليك أن « من وراء الدخان نارا » : فقد وقع لذك لصديقى ر . أن أستاذنا من كليته قد صوت ضده ، وأما صديقى ن . فقد زودنى هو نفسه بمادة القذف من حيث لا يدرى . ولكننى - مع هذا كله - أعود فأقول : إن الحلم لا يزال يقتضى مزيداً من الإيضاح .

إنى أذكر الآن أن هذا الحلم قد احتوى جزءاً آخر أغفل التفسير أمره حتى الساعة : ذلك أننى بعد أن خطر لى أن ر . هو عمى شعرت فى الحلم بحنان كبير نحوه . فإلى من يتجه هذا الشعور ؟ فأما عمى يوسف ، فطبعى أننى لم أشعر نحوه بمثل هذا الشعور فى يوم من الأيام . وأما صديقى ر . ، فقد ظلت سنوات أكن له المودة والتقدير ، ولكننى لو قد ذهبت إليه لأعرب له عن مودتى فى كلمات تقارب الحنان الذى خالجتى فى الحلم لما كان دهشه من غير شك بالقليل . فحنانى فى الحلم نحوه يظهر لى زائفاً مبالغاً فيه ، مثل حكمى على مقدراته العقلية ، وهو الحكم الذى أعربت عنه حين أدمجت شخصيته فى شخصية عمى ، وإن تكن المبالغة قد اتخذت هناك الاتجاه المضاد . ولكن ضوءاً جديداً قد أخذ يشرق الآن على : فالحنان الذى أحسسته فى الحلم لا ينتمى إلى المحتوى الكامن ، إلى الأفكار المستترة خلف الحلم ، بل هذا الحنان ضد هذا المحتوى وما أريد به سوى أن يخفى عنى تفسير الحلم . والراجع أن ذلك على التحديد كان الداعى إلى وجوده . وأذكر الآن كيف أخذت فى تفسير هذا الحلم على كره منى ، وكيف انتحلت الأعذار لإرجائه زمناً طويلاً ، وكيف قلت : هذا الحلم هراء محض . ولقد علمتنى ممارسة العلاج بالتحليل النفسى كيف ينبغى تفسير هذا النوع من النبذ : إنه مجرد من كل قيمة من حيث هو حكم ، ولا يعدو أن يعرب عن شعور قائله . فابتنى الصغيرة إذا رغبت عن تفاحة قدمت إليها ، أكدت أن التفاحة مُرّة وهى لم تذوقها . فإن صنع مرضاى صنيع الصغيرة علمت أن ثمت خطراً يريدون له الكبت . وهذا عينه يصدق على حلمى : فأنا لم أكن أرغب فى تفسيره ؛ لأن تفسيره ينطوى على شئ أغالبه . وأعلم الآن - بعد أن أكملت التفسير - ما هو هذا

الشيء ، إنه قولى : إن ر . أبله . ولست أستطيع أن أرجع الحنان الذى أحسست به إلى أفكار الحلم الكامنة ، بل الأحرى إرجاعه إلى تلك المغالبة . فإذا كان الحلم قد شوه فى هذا الموضع بالقياس إلى محتواه الكامن - وشوه بحيث ينقلب إلى ضده - فقد كان الحنان الظاهر فى الحلم مطية هذا التشويه ، أو بعبارة أخرى : إن التشويه يتبين فى هذه الحالة تشويها متعمدا وطريقة من طرق الاستخفاء . فأفكار الحلم كانت تتضمن قدحا فى ر . ، ولكى أعمى عن هذا القدح ، ظهر فى الحلم الضد ، ظهر نحوه حنان شديد .

إن من الجائز أن يكون ذلك كشفا شامل الصدق . نعم ، إن من الحق أن هناك أحلاما يتجلى فيها تحقيق الرغبة من غير خفاء - كما اتضح من أمثلة الفصل الثالث - ولكن حينما خفيت الرغبة أو تفتحت ، وجب أن يكون ثمت باعث يبعث المرء على أن يقف من هذه الرغبة موقف المدافع ، ويكون من أثر ذلك أن تعجز الرغبة عن أن تفصح عن نفسها إلا إفصاحا مشوها . وهذا الذى يحدث فى مجال الحياة النفسية سأحاول أن أجده له نظيرا فى حياة المجتمع : أين نصادف فى مجال الحياة الاجتماعية مثل هذا التشويه للأفعال النفسية ؟ نصادفه حينما نجد شخصين حظ أحدهما أن يملك القوة وحظ الآخر أن يحسب لهذه القوة حسابها ، حينئذ نرى هذا الشخص الثانى يشوه أفعاله النفسية ، ونستطيع كذلك أن نقول : إنه يستخفى . والأدب الذى أمارسه فى كل يوم هو إلى مدى بعيد استخفاء من هذا القبيل . وإنى حين أفسر للقارئ أحلامي أراى مضطرا إلى مثل هذا التشويه . ومن ضرورة مثل هذا التشويه يشتكى الشاعر إذ يقول :

« ثم إن خير ما تستطيع علمه ، قد لا تملك قوله للصبيان . »^(١)

ويعرف الكاتب السياسى مثل هذا الموقف ، إذا كانت لديه حقائق لا تسر ذوى السلطان . فهو إن أعرب عن رأيه فى غير موارد قمعت الحكومة كلماته - قمعا رجيا

(١) [بيتان بلوته ، يجرهما على لسان مفيستوفليس أثناء الحوار بينه وبين فاوست فى المشهد الرابع من الجزء الأول من " فاوست " . والمراد بالصبيان هم التلاميذ الذين يأخذون عنه المعرفة . وقد كان فرويد يحب الاستشهاد بهذين البيتين ؛ فهو يذكرهما فى موضع آخر من " تفسير الأحلام " ، وكان قد استشهد بهما قبل ذلك فى خطاب إلى فليس بتاريخ ٣ من ديسمبر سنة ١٨٩٧ وخطاب بتاريخ ٩ من فبراير سنة ١٨٩٨ (فرويد ١٩٥٠ أ) ، ثم رجع فاستشهد بهما فى أواخر حياته بمناسبة منحه جائزة جوته الأدبية سنة ١٩٣٠ ، مطبقا إياها فى هذه المرة على جوته نفسه (فرويد ١٩٣٠ هـ) .]

إن كان قد أدلى برأيه مشافهة، وقمعا وقائيا إن كانت كلماته لا تزال في سبيلها إلى النشر. فعلى الكاتب أن يحسب للرقابة حسابها، وهو من أجل ذلك يتلطف في تعبيره ويشوّه. وقد يرى نفسه مضطرا - على حسب شدة الرقيب وحساسيته - إما إلى مجرد الإقلاع عن بعض صور المهاجمة، أو إلى التحدث تلميحاً لا تصريحاً، أو إلى أن يخلع على روايته غير المرضي عنها ثوبا من البراءة، فيتحدث مثلا عن خلاف بين كبيرين من كبراء الصين، بينما المعنى كبيران في بلده. وكلما زادت الرقابة ضغطا، زاد التقمع استفحالاً وربما زادت كذلك الحيل التي يشتم منها القارئ حقائق الأمور^(١).

(١) لقد روت الدكتور هـ. فون هوج - هلموت (١٩١٥) حلما ربما كان أصلح من أى حلم آخر في تبرير المصطلحات التي اخترتها. فالتشويه في هذا الحلم يستخدم طريقة لا تختلف عن الطريقة التي كانت تعتمد إليها رقابة البريد في خلال الحرب للتخلص من الفقرات التي تثير اعتراضها: كانت للرقابة تلمحا إلى ترجيم مثل هذه الفقرات ترجيما تاما لكي تجعل من قراءتها شيئا مستحيلا، بينما عدت رقابة الحلم إلى إحلال دملة غير مفهومة في مكانها.

ولكي نفهم هذا الحلم أذكر أن الحاملة كانت سيدة محترمة، على درجة عالية من الثقافة، بلغت الخمسين من عمرها. وهي أرملة توفى زوجها - وكان ضابطا كبيرا - منذ اثني عشر عاما، ولها ولدان راشدان كان أحدهما في جبهة القتال حين وقع الحلم.

واليك الآن حلم "خدمات الحب" [اللفظ الألماني "Liebesdienste" يعني أولا الخدمات المبلولة من غير مقابل، أى بدافع من الحب، ولكنه ينطاع أيضاً لتأويل آخر يسهل إدراكه]: «تذهب الحاملة إلى المستشفى رقم ١، وتخبر الحارس الواقف بالباب أنها يجب أن تقابل الطبيب الأول... (وهنا تذكر اسما لا عهد لها به)؛ لأنها تريد التطوع للخدمة في المستشفى. بيد أنها تنطق كلمة "الخدمة" بطريقة تجعل ضابط الصف يدرك على الفور أنها تعنى "خدمة حب"، فيتردد بعض التردد، ولكنه يدعها تمر؛ لما يراه من تقلمها في السن. غير أن السيدة بدل أن تذهب إلى الطبيب الأول، تدخل سحرة كبيرة، شبه مظلمة، كان بها عدد كبير من الضباط والأطباء العسكريين جلسوا إلى مائدة طويلة أو وقفوا حولها. وتتجه السيدة بمقرعها إلى طبيب أركان حرب فيدرك مرادها ولما تفه إلا بكلمات قليلة. وكان نص كلامها في الحلم ما يلي: "إننى أعلم أن اقتراحنا هذا يبدو لكم على جانب كبير من الغرابة، ولكننا جادات فيه غاية الجدة. ولا يسأل الجنسى في الميدان أيريد الموت أم لا يريد." وهنا يسود صمت أليم خلال بضع دقائق. ثم بعد ذلك يطوقها ضابط أركان الحرب بذراعه ويقول: "يا سليل الكريمة، تصورى ماذا يكون الموقف، لو أن الأمر انتهى حقيقة إلى... (دملة) فتغلت منه وهي تحدث نفسها قائلة: "إنه لا يختلف عن غيره"، ثم يجيبه: "يا إلهى، إننى سيدة متقدمة في السن، وأظن أذى لن أنتهى إلى ذلك أبدا. وهناك على أية حال شرط واحد يجب ملاحظته: مراعاة السن؛ فلا ينبغي لسيدة عجوز وفقى حدث... (دملة)، إن ذلك يكون أمرا مروعا... - ويجب الطبيب: "إننى أقدر ذلك تمام التقدير". وعندئذ ينطلق بعض الضباط في الضحك بصوت عال، وكان من بينهم ضابط كان قد طلب يدها وهي في شبابه. وتعرب السيدة عن رغبها في أن ترى الطبيب الأول الذي تعرفه معرفة شخصية لكي تنهى معه هذه المسألة جميعها. ولشد ما كانت دهشتها حين رأت أنها لم تكن تعرف اسمه. بيد أن طبيب أركان الحرب يرميها في أدب واحترام بالعينين سلما من الحديد، حلزونيا، شديد الضيق، يسلم مباشرة إلى الطابق

هذا التطابق الذى يمس دقائق التفاصيل بين ظواهر الرقابة والتشويه يخلو لنا أن نفترض أن كليهما شروطا متماثلة . وفى مقدورنا إذن أن نقول : إن الذى يعين شكل الحلم عند كل فرد قوتان (ونستطيع أن نسميهما تيارين أو نظامين) ، إحداهما هى الرغبة التى يعرب عنها الحلم ، والأخرى هى التى تقوم بالرقابة على هذه الرغبة وبذلك تؤدي بالضرورة إلى تشويه التعبير عنها . ولا يبقى إلا أن نسأل : فمى تقوم سلطة هذا النظام الثانى ، تلك السلطة التى تمكنه من أن يفرض رقابته ؟ إذا لم ننس أن أفكار الحلم الكامنة هى أفكار لم نكن نشعر بها قبل أن نقوم بالتحليل ، على حين أننا نتذكر الحلم الناشئ عنها تذكرنا شعوريا ، لم نكن بعينين عن أن نقدر أن المزية التى يحظى بها هذا النظام الثانى هى مزية الإذن بدخول الشعور . فلا شىء يدخل الشعور من النظام الأول إلا مر بهذا النظام الثانى ، كما أن هذا النظام الثانى لا يترك شيئا يدخل الشعور بدون أن يمارس حقوقه ودون أن يدخل على الفكرة الصائرة إلى الشعور كل ما يراه مناسبا من التغييرات . ونحن نتوسم من وراء ذلك فكرة محدودة تمام التحديد عن « ماهية » الشعور : فالصيرورة إلى الشعور تصبح فى نظرنا فعلا نفسيا خاصا ، له تميزه واستقلاله عن عملية تكوين الأفكار أو التصورات ، كما أن الشعور يتبدى لنا فى صورة عضو من أعضاء الحس يتناول بإدراكه مادة تنشأ فى جهات أخرى . ومن الممكن أن نبين أن علم الأمراض النفسية لا يملك الاستغناء عن هذه الفروض الأساسية بحال من الأحوال . بيد أننا لا نجد بدا من أن نرجى النظر فى هذه الفروض إلى موضع آخر . [أنظر الفصل السابع ، وبخاصة القسم و .]

فإذا أخذنا بفكرة النظامين النفسين وعلاقتهما بالشعور ، وجدنا فى مجال الحياة السياسية مثلا يصور أحسن التصوير هذا الحنان العجيب الذى شعرت به فى الحلم نحو صديق ر . مع ما أظهره التفسير من حط قدره : إني أتخيل الحياة السياسية فى بلد يغار حاكمه على سلطته أشد الغيرة وينازعه إياها رأى عام يقظ : قد يثور الشعب على رجل من رجال الدولة بغض إلىه ويطالب بإقالته ، ولكن الحاكم المستبد يريد أن يظهر ازدراءه

الثانى . وبينما تصعد تسمع ضابطا يقول : " إنه قرار ما أجسمه ، ويستوى أن تكون صاحبتة صغيرة السن أو متقدمته ، لما كل إجلالنا ! "

« وتمضى الحائلة مصعدة فى درجات لا تنتهى ، يملؤها الشعور بأنها إنما تؤدي واجبا . وتكرر هذا الحلم مرتين فى خلال بضعة أسابيع دون أن يمس - على حسب ما لاحظته السيدة - سوى تغيير مجرد من كل أهمية أو مغزى . »

لإرادة الشعب ، فإذا هو يخلع على رجل الدولة هذا شرفا كبيرا ما كان لينحه إياه لولا ذلك . وعلى هذا النحو يوجد النظام الثانى الذى يتحكم عندى فى الطريق إلى الشعور بطفحة من الحنان على صديق ر . ، لا لشيء سوى أن التوازن المتمية إلى النظام الأول كانت تبغى لو رمت ر . بالبله ؛ لمنفعة خاصة كانت تجذبها فى ذلك الحين ^(١) .

لعلنا نلمح الآن أن فى مقدور تفسير الأحلام أن يلقى على تركيب جهازنا النفسى ضوءا ظللنا ننظره عبثا من الفلسفة . بيد أننا لن نسلك هذه السبيل ، بل نعود وقد وضعنا أمر تشويه الحلم – إلى المشكلة التى ابتدأنا منها . لقد كان سؤالنا هو : كيف يمكن أن ترد الأحلام الأليمية إلى تحقيقات للرغبات ؟ وما نحن أولاء نرى أن ذلك أمر ممكن إذا طرأ التشويه على الحلم ، وإذا لم يكن المحتوى الأليم سوى قناع لأمر تتجعة الرغبة إليه . ويمكننا أيضا أن نقول بالإشارة إلى ما افترضناه من وجود نظامين نفسيين : إن الأحلام الأليمية تتضمن حقيقة شيئا مؤلما بالنسبة إلى النظام الثانى ولكنها تحقق فى الوقت عينه رغبة للنظام الأول ؛ فهى أحلام رغبة من حيث أن كل حلم يصدر عن النظام الأول ، وأما علاقة النظام الثانى بالحلم فعلاقة دفاعية لا إنشائية ^(٢) . ولو أننا قصرنا أنفسنا على النظر فيما يضيفه النظام الثانى إلى الأحلام ، ما أمكننا قط أن نتوصل إلى فهمها : إن جميع الألغاز التى لاحظ المؤلفون أمرها فى صدد الحلم تظل عندئذ قائمة .

أن يكون لكل حلم حقيقةً معنى مستتر لا يخرج عن أن يكون تحقيق رغبة أمر يجب تبياناه بالتحليل فى كل حالة من جديد . وعلى ذلك أنتخب قليلا من الأحلام ذوات المحتوى الأليم وأحاول تحليلها . وبعض هذه الأحلام قد أتاها أشخاص هستريون ، وهى

(١) إن أمثال هذه الأحلام المناققة غير نادرة الوقوع سواء عندى أم عند غيرى . ولقد اتفق بيننا كنت أشتغل بمشكلة علمية معينة أن أزعجنى حلم عاودنى فى خلال عدة ليالى متقاربة . وكان مضمونه هو الصلح مع صديق كنت قد تحولت عنه منذ زمن بعيد . وأخيرا ، بعد المرة الرابعة أو الخامسة ، أفلحت فى فهم هذا الحلم : إنه كان تحريضا على أن أدع البقية الباقية من الاعتبار الذى كنت أكنه لهذا الشخص ، وعلى أن أحرر نفسى منه تحريرا تاما ، وهو ما تقنع بقناع الضد نفاقا . ولقد ذكرت فى موضع آخر (١٩١٠ ل) حلما حلمه البعض فيه حل الحنان الظاهر محل النزعات العدوانية ورغبات الموت المتضمنة فى الأفكار الكامنة . وسوف أذكر فيما بعد نوعاً آخر من أحلام التناق (أنظر الفصل السادس " عمل الحلم " ص ٧١ ؛ وما بعدها) [الصديق المشار إليه فى هذا الهامش هو من غير شك فيلهلم فليس ، والهامش كله قد أضيف فى سنة ١٩١١ .]

(٢) [١٩٣٠ :] سوف نصادف أيضا – فيما بعد – أمثلة أخرى تعرب – على العكس – عن رغبة لهذا النظام الثانى . [أنظر " أحلام العقاب " فى الفهرست التحليل .]

إذن تستدعى تمهيدا طويلا وتستدعى فى بعض المواضع غوصا فى العمليات النفسية التى تتميز بها المستريا . ولكننى لا أجد سبيلا إلى إزالة هذه الصعوبات التى تثقل عرض حجتى .

عندما أعالج أحد العصايين بالتحليل النفسى ، فالقاعدة — كما سبق أن ذكرت — هى أن تغدو أحلامه موضع حديثنا . ولست أجد بدا فى خلال هذه المناقشة من أن أطلعه على كل الإيضاحات السيكلوجية التى أعاننى نفسى على فهم أعراضه . وهنا أسمع منه نقدا لا هوادة فيه ، لا يقل صرامة — على التأكيد — عن هذا الذى أتوقعه من زملائى . ولم يفت مريضا من مرضاى أن ينقد قولى : إن الأحلام جميعها تحقق رغبات . وها هى ذى بضعة أمثلة من تلك الأحلام التى ساقها أصحابها تدليلا على بطلان نظرتى .

قالت مريضة فطنة من مرضاى : « إنك تقول دائما : إن الحلم يحقق رغبة . إليك إذن حلما كان على عكس ذلك تماما ؛ فقد كان مؤداه أننى لا أحقق إحدى رغباتى . فكيف توفق بين ذلك وبين نظريتك ؟ وها هو ذلك الحلم :

« أريد أن أقيم مأدبة عشاء ، ولكنى لا أجد لى سوى قليل من سمك السالمون المدخن . أفكر فى الخروج لى أشتري شيئا ما ، ولكنى أتذكر أننا فى عصر يوم الأحد وأن جميع المحال مغلقة . فأحاول الاتصال ببعض الموردين ولكن التليفون كان متعللا . وعلى ذلك لا أجد بدا من النزول عن رغبى فى إقامة مأدبة العشاء . »

وكان جوابى بالطبع هو : أن التحليل وحده هو الذى يستطيع أن يقرر ما معنى هذا الحلم ، وإن كنت أسلم بأنه يلوح للوهلة الأولى معقولا متناسق الأجزاء ، وأنه يرينا عكس تحقيق الرغبة . « ولكن أية مناسبة دعت إلى هذا الحلم ؟ فأنت تعلمين أن الحافز إلى الحلم يكمن دائما بين أحداث اليوم السابق . »

التحليل : إن زوج المريضة — وهو رجل أمين قدير يشتغل بتوريد اللحوم بالحملة — قد أخبرها فى اليوم السابق أنه أخذ يفرط فى السمنة ، وأنه — لذلك — قد اعترم أن يبدأ علاجاً يخفف وزنه : أن يستيقظ فى ساعة مبكرة من الصباح وأن يقوم ببعض التمرينات البدنية ، مع الأخذ بنظام دقيق فى التغذية ، ثم هو — قبل كل شيء — لن يقبل أى دعوة إلى العشاء . — وأضافت المريضة كيف تعرف زوجها فى المطعم الذى اعتاد أن يتناول فيه وجبة الغذاء برسام ألح فى طلب رسمه إلحاحا شديدا ؛ لأنه — أعنى الرسام — لم ير فى

حياته رأسا كانت للملاحمة مثل هذه القوة المعبرة . إلا أن زوجها أجابه بطريقته القاطعة :
أنه شاكر جزيل الشكر ولكنه واثق من أن طرفا من مؤخر فتاة جميلة سوف يكون أحب
إلى الرسام من رأسه هو بأكمله ^(١) . إنها الآن مولعة بزوجها أشد الولع ، وتتجنب المناسبات
لمعاكسته . وهي أيضا قد طلبت منه أخيرا أن يكف عن تقديم الكافيار إليها . — ما معنى
ذلك ؟

الحقيقة هي أنها تتمنى منذ زمن طويل لو قد استطاعت أن تأكل سانلويتش من
الكافيار كل صباح ، ولكنها تغالب نفسها خشية التكاليف . إنها تستطيع بالطبع أن
تنال على الفور كل الكافيار الذى تشاء لو قد سألت زوجها ، ولكنها طلبت منه — على
العكس — ألا يهدى إليها شيئا منه ، لكي يتاح لها المضى فى معاكسته .

(إن هذا التعليل يبدو لى مفتعلا . وأمثال هذه البيانات غير المقنعة تستر فى العادة
دوافع لا يصارح بها صاحبها نفسه . إنها تذكرنا بالمرضى الذين كان ينومهم برنهام تنويما
مغناطيسيا والذين كانوا ينفذون بعد استيقاظهم ما أمروا فى خلال تنويمهم بأدائه ، فإن
سئلوا عن دوافعهم ، لم يقولوا : لا ندرى ، بل انتحلوا لفعلهم سببا يظهر للعيان بعده عن
الصواب . وأغلب الظن أن ذلك هو الشأن فيما يتصل بكافيار مريضتى . وألحظ أنها قد
سيقت إلى أن تخلق لنفسها رغبة غير محققة فى حياة اليقظة . والحلم أيضا يصور هذا
التزول عن الرغبة . فما وجه حاجتها تلك إلى رغبة لا تتحقق ؟)

إن الأفكار التى ظفرنا بها حتى الآن لا تكفى فى تفسير الحلم ؛ فألح فى طلب المزيد .
وإذا هى — بعد وقفة قصيرة تنشق والوقت الذى استغرقه ظهورها على بعض المقاومة —
نقص على أنها فى اليوم السابق قد زارت صديقة لها تعترف مريضتى بغيرتها منها ، لأن
زوجها لا يكف عن امتداحها . ومن حسن الحظ أن هذه السيدة نحيفة عجفاء ، بينما
يعجب زوجها بالأشكال المليئة . والآن : عم تحدثت هذه الصديقة العجفاء ؟ تحدثت
بالطبع عن رغبتها فى أن تمتلأ ببعض الامتلاء . وهى أيضا قد سألت مريضتى : « ترى متى
تدعيننا إلى وجبة أخرى ؟ فالطعام الذى نأكله عندك ما أطيبه دائما ! »

والآن انضح معنى الحلم ، وأستطيع أن أقول لمريضتى : « لكأنك — حين سألتك

(١) أنظر قولنا : " قد المصور " ثم بيق جوته :

وإذا لم يكن السيد النبيل مؤخره

فكيف يستطيع السيد النبيل قمودا ؟

صديقتك سؤالها — قد حدثت نفسك قائلة : حقا ! تريدن أن أدعوك إلى منزل حتى تأكل وتسمنى وتظفري من إعجاب زوجي بالمزيد ! إني لأفضل ألا أدعو أحدا للعشاء بعد الآن . والحلم يقول لك : إنك لا تستطيعين أن تدعى أحدا إلى العشاء ، فيحقق بذلك رغبتك في ألا تفعل ما من شأنه أن يستدير جسم صديقتك . وإن عزم زوجك على أن يرفض دعوات العشاء تجنبنا للسمنة قد ذكرك أن المرء يسمن في الولايم . « ولا تنقصنا بعد ذلك إلا مصادفة تؤيد حلنا : ذلك أن مجيء السالمون المدخن في الحلم لم يكن قد تبين أمره بعد . فلما سألت المريضة : « كيف اتفق لك التفكير في السالمون ؟ » أجابت : « إن السالمون المدخن هو طبق صديقتي المفضل . » ويتفق أنني أعرف هذه السيدة ، وأستطيع أن أقول : إنها تحل لنفسها من السالمون المدخن مقدار ما تستحله مريضتي من الكافيار .

إن هذا الحلم لا يزال يقبل تفسيراً آخر ، أطف وأخفى ، تقتضيه ملابس ثانوية . ثم هو تفسير لا يتناقض وسابقه ، بل إنهما ليتداخلان ضاربين لنا مثالا طيبا على هذا التكرار في المعنى الذى تنطوى عليه الأحلام عادة شأنها في ذلك شأن سائر الظواهر النفسية المرضية جميعا . فنحن نذكر أن مريضتي حين وقع لها الحلم الذى تخلت فيه عن إحدى رغباتها كانت تعمل على أن تخلق لنفسها رغبة معوقة في الحياة الواقعة كذلك (رغبة ساندويتش الكافيار) . وكانت صديقتها قد أعربت من جانبها عن رغبة لها — هى الرغبة في أن تزيد امتلاء . وما كنا لندهش لو أن مريضتي قد حلمت بأن رغبة صديقتها قد جانبها التحقيق ؛ فلك على التحديد هى رغبة مريضتي ، إنها الرغبة في ألا تتحقق رغبة صديقتها في أن تزيد وزنا . ولكنها — بدل ذلك — تحلم بلا تحقق إحدى رغباتها هى . وإن الحلم ليكتسب تفسيراً جديدا إذا لم تكن هى المعنية في الحلم بل صديقتها ، إذا كانت قد وضعت نفسها مكان صديقتها أو عينت ذاتها^(١) بها — كما يمكننا أن نقول .

(١) [هكذا نترجم فعلا ذا أصل لاتينى ، ثم انتقل من اللاتينية إلى جميع اللغات الأوروبية ، دون أن يكون له مرادف تام في العربية . ومعنى هذا الفعل هو (أ) أن تقول عن شيئين إنهما ذات الشيء ، أن تقول عن أحدهما إنه الآخر أى أن تعرفه به ، أو (ب) أن تجعلهما كذلك . ثم استخدم فرويد هذا الفعل ليسى به العملية النفسية أو العلاقة التى يتحدث عنها الآن بين الذات وغيرها . فن الواضح من المثال الذى ذكره أن قول المريضة فيما يتصل بصديقتها : " لا أريد أن تتحقق رغبتها " قد اتخذ في الحلم صورة : " لا أريد أن تتحقق رغبتى " ومنه تظهر المساواة أو المطابقة التامة بين ياء المتكلم وضمير الغائبة . فكان المريضة قد دلت على نفسها بصديقتها ، عرفتها بها ، وهذا هو المعنى الأول للكلمة . — وننبه باختصار إلى أن الأمر لا يتعلق بالطبع بمعرفة

وأعتقد أن ذلك هو ما قد وقع حقيقة ، وإن كونها قد خلقت لنفسها رغبة محبطة في الحياة الواقعة لعلامة على هذا التعيين لذاتها بصديقتها . ولكن ما معنى هذا التعيين المستر؟ إن ذلك ما يحتاج إلى شرح مطول . فالتعيين لحظة بالغة الأهمية في ميكانيكية الأعراض المسترية . فهو الذى يمكن المرضى من أن يعربوا بأعراضهم لا عن خبراتهم أنفسهم فقط ، بل عن خبرات عدد كبير من الناس فوق ذلك ، حتى لكأنهم يألمون

تدركها المريضة وتملكها ، أى معرفة تنطق بها وتجعلها موضع قول ، بل الأصدق هو أن نقول : إن هذه المعرفة هى التى تملك المريضة وتؤسسها وتفضلها عن حقيقتها ، إنها معرفة معاشه قبل كل شيء . ويجزنا هذا إلى المعنى الثانى : فقد " وضعت المريضة نفسها مكان صديقتها " أى أنها قد صارت هى المعقودة الرغبة ، أى هى الصديقة . وترجمتنا لا تنقل هذا المعنى الثانى فقلنا مباشرا ، ولكن يبررها أنه إذا كان الأمر كذلك ، فكان المريضة قد تعينت بصديقتها بالمعنى الأرسطوطاليسى الذى نقول به : إن المادة تتعين بالصورة .

وإذا أردت أن تمثل للعلاقة التى يراد التمييز عنها بمثال مألوف قلنا : حين نرى رجلا انتزعته شخصية نابليون عن نفسه انتزاعا جزئيا (وحيث أنه يكون الأمر غرورا ، قل أو كثر) أو انتزاعا كليا (وحيث أنه يكون جنونا) - فأئنا نعرب عن ذلك بأن نقول حينئذ : إنه « فاكرك نفسه نابليون » ، ونقول حينئذ آخر : إنه « عامل نفسه نابليون » . وهذه الحرية فى اختيار العبارة دليل على أننا نشعر بأن العلاقة المراد الإعراب عنها ، بين المحنون ونابليون ، هى علاقة ذات وجهين : وجه معرفى (اعتقائى) هو الذى يبرز حين نقول : فاكرك نفسك (وهى معرفة هى فى الوقت نفسه ضلال) ، ثم وجه معاش هو الذى يبرز حين نقول : عامل نفسك (وهو فعل هو فى الوقت نفسه خيال) . ونحن نرى كيف ينطبق الفعل الأوروبى بمعنييه على هذه العلاقة بوجهيهما جميعا أحسن الانطباق . أما بالعربية فلم نجد خيرا من قولنا إن المحنون قد " عين ذاته " بنابليون .

وأما الترجمتان الموضوعتان من قبل : تقمص وتوحد ، فلم نجد بدا من تركهما . فقد غضضنا الطرف عن الطابع المجازى لأولاهما وعن الخطأ اللغوى الذى فى ثانيتهما - فأتجدى المناقشة إلا بعد التسليم بمقاصد المخاطب - ومع هذا بقى سببان يحولان دون قبولهما : الأول ، هو أن كلا هاتين الترجمتين تغفل الوجه المعرفى لفكرة المراد ترجمتهما إغفالا تاما . ولقد كنا نفرض الطرف عن ذلك نظراً لأن هذا المعنى وإن كان متضمنا من غير أدنى شك فى اللفظ الأوروبى إلا أن فرويد لا يبرزه فى العادة صراحة حين يتحدث عن العلاقة التى يسميها بهذا اللفظ ، ولكن هناك السبب الثانى ، وهو الأهم : ذلك أن كلتا هاتين الترجمتين تعرضاننا تعريضا شديدا لفهم التعيين الذاتى على أنه محاكاة ؛ فقولنا : " تقمص فلان فلانا أو توحد به " يجعلنا نفهم عادة أنه يحاكيه محاكاة شديدة ، على حين أن فرويد نفسه يفرق فيما يلى تفرقة قاطعة صريحة بين التعيين الذاتى بالمعنى التحليلى وبين العملية السيكلوجية المعروفة باسم التقليد . والحق هو أن التقليد عملية تتم بين طرفين مكونين من قبل هما المقلد والمقلد ، فى حين أن التعيين الذاتى هو العملية أو العلاقة التى تتكون الذات بها فيها . أو بعبارة سيبنوزية : إن فكرة التعيين الذاتى فكرة تضمننا فى مستوى الطبيعة الطابعة أو المكونة لا الطبيعة المطبوعة أو المكونة ، ويجب أن نفهم فى هذا المستوى . وإن ذلك عينه هو الذى يجعل فهمها هذا عسيرا غاية العسر على غير المحللين ، فليس مثل المحلل ليدرك فى وضوح العلم قول الشاعر : Je est un autre .

هذا ولقد أردنا أن نجنب القارئ كل غلط ممكن فامتنعنا فى طول هذا الكتاب وعرضه عن أن نستخدم مادة " عين " إلا فيما يعادل Identifizieren فلم نقل "عين ذاته أو نفسه" إلا لمعادلة sich identifizieren ، كما لم نقل " التعيين " إلا فى معنى Identifizierung . [

بوساطته نيابةً عن جمهور بأكله من الناس ، ويملاؤن بمفردهم أدوار الرواية جميعا .
 وسوف أسمع من يقول : إن هذا إلا التقليد المسترى المعروف ، قدرة المسترين على أن يقللوا أى عرض قد يستدعى انتباههم عند غيرهم من الناس ، إنه المشاركة الوجدانية وقد اشتدت - إن جاز التعبير - إلى حد التكرار . بيد أن هذا القول إنما يدل على الطريق الذى تسلكه العملية النفسية فى حالة التقليد المسترى . والطريق شئ ، والفعل النفسى الذى يسلك هذا الطريق شئ آخر؛ فهذا الفعل يقوم فى عملية استنباطية لا شعورية ، كما يتضح بمثال : لنفرض أن طبيبا يعالج مريضة تعاني نوعا من التشنج فى حجرة واحدة من حجرات المستشفى مع غيرها من المرضى : إن الطبيب لن يدهش إذا رأى ذات صباح أن هذا النوع من النوبات المسترية قد وجد مقلدين ، ولن يزيد الطبيب على أن يقول : « لقد رأها سائر المرضى ، فحللوا حلولا ، هذه حالة من حالات العدوى النفسية » - نعم ، ولكن هذه العدوى النفسية قد وقعت على نحو يقرب من الآتى : إن المرضى يعلمون فى العادة ، كل عن الآخر ، أكثر مما يعلمه الطبيب عن كل منهم على حدة ، وهم - بعد أن تفرغ زيارة الطبيب - يتحولون إلى الاهتمام بعضهم ببعض ؛ فافرض أن مريضة قد انتابتها اليوم إحدى أزماتها : إن البقية لن تلبث أن تعلم أن العلة خطاب تلقته من أهلها أو هائج غرام هاج شجوها أو شئ يشبه ذلك ، ثم إذا كل منهم ثور مشاركته ، وتتكون فى نفسه تلك النتيجة - وإن لم تبلغ شعوره - : « إذا كان من الممكن أن يعانى المرء مثل هذه النوبة من جراء مثل هذه العلة ، فأنا أيضا قد أعانيها ؛ لأن مثل هذه العلة قد تعرض لى ، ولو كانت هذه نتيجة تستطيع أن تبلغ الشعور ، لأمكن أن تسلم إلى الهيلة من معاناة مثل هذه النوبة ، ولكنها قد تكونت فى منطقة نفسية مغايرة ، ولهذا كانت تنهى إلى تحقيق العرض المخوف . وهكذا لا يكون تعيين الذات بغيرها تقليدا وحسب ، بل تمثلا^(١) قائما على ادعاء علة مماثلة ؛ إنه يعرب عن فكرة « ما من فارق » ويتعلق بعنصر مشترك يظل باقيا فى اللاشعور .

ويستخدم التعيين فى المستريا - أكثر ما يستخدم - تعبيرا عن شركة جنسية . فالمرأة المسترية أسرع ما تكون - وإن لم يكن ذلك على نحو مانع - إلى أن تعين ذاتها فى أعراضها بأولئك الأشخاص الذين كانت لها بهم علاقة جنسية ، أو بمن كانت لهم بأولئك

هذه العلاقة نفسها . وتدخل اللغة في حسابها تصورا مماثلا للأمور ، فيقال عن العاشقين :
 إنهما « شيء واحد » . ويكنى من أجل وقوع التعين ، في الخيلة المسترية كما في الحلم ،
 أن يفكر المرء في علاقات جنسية ، دون أن تكون هذه العلاقات حقيقة بالضرورة .
 فريضتنا إنما تتبع قواعد التفكير المستري حين تعرب عن غيرتها (وهي بعدُ غيرة تسلم هي
 نفسها بخلوها من كل مبرر) بأن تضع نفسها موضع صديقها وتعين ذاتها بها بخلق عرض من
 الأعراض (هو الرغبة الممنوعة) . ولنا أن نعرب عن العملية في كالم على النحو الآتي : إن
 المريضة قد وضعت نفسها في محل صديقها لأن صديقها قد شغلت منزلها في نفس زوجها ،
 ولأنها — أعني مريضتي — كانت تود لو تحل محل صديقها في إعجاب زوجها ^(١) .
 وأرادت مريضة أخرى (هي أمهر حالماتي) أن تنقض نظريتي في الأحلام ، فأمكن
 أن يحل حلمها حلا أقل تعقيدا وإن ظل متفقا مع ذات القاعدة : أن لا تحقق إحدى
 الرغبات معناه تحقق أخرى . ذلك أننى شرحت لها يوما أن الحلم يحقق رغبة ، فأنتنى في
 اليوم التالى بحلم رأت فيه أنها تسافر وزوجة أبيها لتقضي فصل الصيف معا في الريف .
 وكنت أعلم أنها قد ثارت ثورة شعواء على فكرة المصيف قريبا من زوجة أبيها ، وأنها —
 قبل ذلك بأيام — قد أفلحت لحسن حظها في الإفلات من هذه الصعبة المخوفة فاستأجرت
 منزلا في الريف يبعدها عن حيث كانت امرأة أبيها كل البعد . وما هو ذا الحلم قد أتى
 فإذا هو يقلب هذا الوضع رأسا على عقب . ألا ينقض ذلك نظريتي في تحقق الرغبة
 بوساطة الحلم أقطع نقض ؟ يقينا ، ولا يحتاج المرء إلا إلى أن يستخرج النتيجة التي تخلص
 من هذا الحلم لكي يحصل على تفسيره : إن الذى يخلص من هذا الحلم هو أننى كنت
 على خطأ . وهكذا فقد كانت رغبتي هي أن أكون على خطأ والحلم يريها تحقق هذه

(١) إني أسف إذ أدرج في سياق كلامي هذه الفقرات الخاصة بـ « سيكوباثولوجية المستريا » ، وهي — بعد —
 فقرات لا يمكن أن تأتينا بنور كبير لتقطع عرضها ولا تزعجها من محيطها . بيد أنه لو أمكن أن تدلنا هذه الفقرات على
 العلاقات الباطنة بين الأحلام والأعصاب ، لحقق ذلك الغرض الذى أوردتها من أجله . [هذه هي المرة الأولى التي
 يتحدث فيها فرويد في كتاباته المنشورة عن فكرة التعين وإن يكن قد أشار إليها من قبل (١٨٩٧) في رسائله
 إلى فليس . وتزيد أهمية هذا النص إذا علمنا أن فرويد لا يعود إلى مثل هذا النظر المفصل إلا بعد ذلك بما يزيد
 على العشرين عاما (فرويد ١٩٢١ ج ، الفصل السابع) وأن الأمر يتعلق بفكرة لا نغالي إذا قلنا إنها حجر الزاوية
 في كل النظرية التحليلية النفسية — ونرجو أن يعترفوا ذلك على الها مش الطويل الذى وضعناه في تقرير ترجمتنا لهذا
 المصطلح . هذا ويطلق لفظ التعين أيضاً على عملية أخرى تكون جزءا من عمل الحلم ، يتحدث عنها فرويد في
 القسم ج من الفصل السادس ، ص ٣٣٠ . وهذه العملية الأخيرة تختلف في دلالتها من تلك التي تحدث عنها
 فرويد الآن اختلافاً مطلقاً — وإن اشتركت معها في الاسم .]

الرغبة . بيد أن رغبتي في أن أكون قد جانبت الصواب — وهى الرغبة التى ارتبط تحقيقها بقصة إجازة الصيف — كانت فى الحقيقة تتصل بشئ آخر أكثر خطرا . ذلك أننى كنت قد استتجت فى ذلك الوقت من المادة التى جلبها تحليلها أن أمرا كان له أثره الحاسم فى نشأة مرضها لا بد قد وقع لها فى فترة معينة من حياتها . ولكنها نفت ذلك ؛ لأنها لم تكن تذكري شيئا منه . وما لبث أن تبين أنى كنت على صواب . ورغبتى إذن فى أن أكون على خطأ كانت تجيب رغبة أخرى لها وجاهاها ، هى الرغبة ألا تكون قد وقعت قط تلك الأمور التى كانت المريضة قد أخذت تحذرهما إذ ذاك للمرة الأولى .

وحدث مرة أننى جازفت ففسرت من غير تحليل ما بل بتخمين محض قصة صغيرة جرت لصديق لى كان زميلى فى المدرسة طيلة ثمانى سنوات . فقد استمع يوما إلى محاضرة ألقيتها فى دائرة صغيرة وكان موضوع المحاضرة هو هذه البدعة القائلة : إن الحلم تحقيق رغبة . فلما عاد إلى منزله حلم بأنه قد خسر جميع قضاياه . وكان محاميا — ثم جاءنى يشتكىنى فى هذا الصدد . فكان أنى تهربت قائلا : « إن المرء لا يستطيع أن يكسب جميع قضاياه . » بيد أننى قد حدثت نفسى قائلا : « إذا كنت قد ظلت ثمانى سنوات وأنا أول الفصل على حين كان هو يتأرجح فى مكان ما بمنتصفه ، فهل من عجب فى أن تساوره تلك الرغبة المتخلفة من أيام الصبا فى أن أبوء يوما بالخذلان ؟ » .

وها هو ذا حلم آخر أقمت طابعا ساقته أيضا لإحدى مريضاتى اعتراضا على نظرية أحلام الرغبة . كانت المريضة فتاة فى مقتبل العمر ، قالت : « تذكر أن أختى لم يبق لها الآن إلا ولد واحد ، هو كارل ؛ فقد توفى أخوه الأكبر أوتو حين كنت لا أزال أسكن بمنزلها ، وكان أوتو هو الولد المفضل عندى ؛ فأنا فى الحقيقة التى نشأته . نعم ، إن الولد الأصغر عزيز على كذلك ، لكنه إعزاز لا يقارب ما كنت أكنه لأخيه المتوفى . وفى الليلة الماضية حلمت أنى أرى كارل يرقد ميتا فى نمشه الصغير وقد تشابكت يده وأحاطت به الشموع ، وبالاختصار كان المشهد شبيها كل الشبه به حين مات صغبرى أوتو تلك الميتة التى تعلم إلى أى حد صدمتنى . والآن خبرنى ، ما معنى ذلك ؟ إنك تعرفنى . هل أكون من القسوة بحيث أتمنى لأختى أن تفقد طفلها الوحيد ؟ أو أن ذلك يعنى أنى كنت أفضل لو كان الميت كارل وليس أوتو الذى آثرته ذلك الإيثار الكبير ؟ »

وهنا أكدت لها أن التفسير الأخير تفسير ينبغى استبعاده كل الاستبعاد . ولم يعجزنى

— بعد قليل من التروى — أن آتيتها بالتفسير الصحيح . وقد وسعنى ذلك لأننى كنت أعلم من قبل تاريخ الحاملة برمته .

تتيمت الفتاة وهى فى مطلع حياتها فنشأت فى منزل أخت لها تكبرها فى السن كثيرا . ولقيت الفتاة بين من كانت تلقى من أصدقاء المنزل وزواره رجلا ترك فى قلبها أثرا لا يمحو . وجاء وقت لاح فيه أن هذه العلاقة التى ما كادت تبلغ مبلغ التصريح سوف تنتهى إلى الزواج ، ولكن أختها قضت على هذه الخاتمة ؛ لأسباب لم تستر قط كل الاستنارة . ولما حلت القطيعة انقطع عن المنزل الرجل الذى خصته مريضتى بحبها ، واستقلت هى بعيشها بعد أن مات أوتو الصغير الذى كانت تحولت إليه فى إبان ذلك بحبها . بيد أنها لم تفلح فى التحرر من تلك العيلة التى أوقعها فيها تعلقها بصديق شقيقها . كان كبرياؤها ينهاها عن اللقاء ، لكنها كانت عاجزة عن أن تخلع حبها على غيره من الطلاب الذين تواردوا عليها . وكان من المحقق إذا أعلن رجلها الحبيب — وهو من المشتغلين بالأدب — عن محاضرة يلقيها ، أن تجدها بين سامعيه . وكانت إلى ذلك لا تترك فرصة تتيح لها أن تراه فى مكان عام دون أن تُرى . وأذكر أنها قد أبلغتنى فى اليوم السابق أن الأستاذ ذاهب إلى حفل موسيقى وأنها أيضا ذاهبة إليه حتى تنعم بطلعته مرة أخرى . كان ذلك فى اليوم السابق على الحلم ، وكان يوم الحفل هو اليوم الذى قصت فيه الحلم على . وهكذا تيسر أن أستنتج التفسير الصائب : سألتها هل هناك حدث تخصه بالذكر بعد موت أوتو ، فأجابت على الفور : « طبعا ، لقد جاء الأستاذ إذ ذاك بعد طول غيبة ، فرأيت مرة أخرى بجوار أوتو الراقد فى نعشه الصغير » ، وكان ذلك عينه هو ما حسبت ، ففسرت لها الحلم على هذا النحو : « لو أن الولد الآخر مات الآن ، لتكرر ذلك مرة أخرى . سوف تقضين اليوم فى منزل أختك ، ويحيى الأستاذ على التأكيد للتعزية وتبرينه من جديد فى ذات الملابس التى رأيت فيها من قبل . ولا يعنى الحلم سوى هذه الرغبة فى العودة إلى رؤيته ، تلك الرغبة التى تكافح فيها فى دخيلة نفسك . وأعلم أنك تحملين فى حقيبتك تذكرة لحفل اليوم ؛ فحلمك حلم صبر نافذ : إنه يستبق لقاء اليوم بساعات فلا تلتل . »

فالمریضة لکی تخفی رغبتها قد اختارت موقفا جرت العادة على أن تكبت فيه أمثال هذه الرغبات ، موقفا يطغى فيه الحزن على المرء فلا يجد متسعا للتفكير فى الحب . ومع هذا فإن من الممكن كل الإمكان أن تكون الفتاة قد عجزت — حتى وهى واقفة حقيقة بجانب (١٢)

نعش الولد الأكبر الذى أثرته بحبها — عن أن تكبت مشاعرها الرقيقة تجاه ذلك الزائر الذى طالما اشتاقت إليه .

وهناك حلم آخر يماثل الذى سبق، بيد أنه لقي تفسيراً مختلفاً ، وهو حلم أخته مريضة عرفت فى صباها بسرعة النكته ومرح المزاج وكانت لا تزال تبدى هذه الصفات فى المستدعيات التى كانت تلور بخاطرها فى أثناء العلاج على الأقل . فقد خيل إلى هذه السيدة ، ضمن ما خيل إليها فى سياق حلم طويل ، أنها ترى ابنتها الوحيدة البالغة من العمر خمسة عشر ربيعاً وقد رقدت أمامها فى صندوق رقدة الموت . وكانت السيدة تود لو قد أقامت من ظاهر حلمها حجة على نظريتي ، ولكنها كانت تشعر هى نفسها بأن ملابسة الصندوق تنطوى لا محالة على ما قد يؤدى إلى فهم مختلف للحلم^(١) . وأخذنا فى التحليل فخطر لها أن الحديث قد دار فى سهرة الأمس حول كلمة "box" الإنجليزية وحول الكلمات الألمانية التى تترجم معانيها المختلفة فى الإنجليزية ، مثل Schachtel [صندوق] و Loge [مقصورة] و Kasten [خزانة] و Ohrfeige [لكمة] . وكان فى سائر فقرات ذلك الحلم ما يسمح لنا بأن نضيف إلى ذلك أن السيدة قد حدثت العلاقة بين الكلمة الإنجليزية "box" وبين الألمانية "Büchse"^(٢) وأنها قد تذكرت عندئذ — ولم تبرحها الذكرى — أن كلمة "Büchse" تستخدم فى لغة السوقة للدلالة على الأعضاء التناسلية عند المرأة . وبهذا أمكننا أن نسلم — مع قليل من التسامح تجاه معرفتها بالتشريح الموضعى — بأن وجود الطفلة فى الصندوق كان يعنى جنينا فى رحم أمه . فلما بلغنا من الاستنارة هذا المبلغ ، لم تعد المريضة تنكر أن الصورة كانت تعرب حقيقة عن رغبة من رغباتها . فهى — شأن الكثيرات من الزوجات الصغيرات السن — لم تستشعر أقل سعادة حين رأت نفسها حاملاً ، بل هى قد صرحت أكثر من مرة بما كانت تتمناه من موت الطفل وهو جنين . وأكثر من ذلك أنها قد أخذت مرة — فى نوبة من الغضب أعقبت مشادة حامية مع زوجها — أخذت تقرع بطنها بقبضتي يديها لكى تصرع الجنين الذى تحمله . وهكذا كانت صورة الحلم تحقق بالفعل رغبة ، ولكنها رغبة انطوت منذ خمسة عشر عاماً . وما من عجب إذا كان المرء لا يرجع يعرف رغبة له تحققت بعد هذا الإرجاء الطويل ؛ فكم تبدلت فى خلال ذلك بالأمر أمور .

(١) كما كان الشأن مع السالمون المدخن فى حلم الرغبة الممنوعة [ص ١٧٢] .

(٢) وتعنى آنية أو وعاء . وتنطق " بوكسه " بضممة مشمومة الكسر . [

وسوف أعود، تحت باب الأحلام النطية [القسم د من الفصل الخامس] إلى هذه الطائفة من الأحلام التي ينتمى إليها الحلمان الأخيران والتي يمثل محتواها موت قريب عزيز. وسوف أتمكن من أن أبين ببعض الأمثلة الجديدة كيف يجب تفسير هذه الأحلام بكونها تحقق رغبات على الرغم من محتواها غير المرغوب فيه . وأما الحلم الآتي الذي رواه صاحبه أيضاً لكي يردني عن التعجل في تعميم نظريتي ، فلا أدين به لمريض بل لرجل نابه من رجال القانون تربطني به معرفة وثيقة . قال محلتي : « حلمت أني أسير أمام منزل وقد اتكأت سيدة على ذراعي . وهناك أرى عربة مغلقة ورجلا يخرج منها ويتجه نحوي ثم يطلقني على ما يثبت أنه من ضباط الشرطة ويطلب مني أن أتبعه ، فأرجو منه أن يمهلي برهة أرتب فيها حوائجي . أفعتقد أنني ربما رغبت في أن يقبض علي ؟ » - فلا أجدر إلا أن أجيبه : « كلا ، يقينا . ولكن أترك تذكر لأي تهمة قبض عليك ؟ » - « نعم ، أظنها قتل رضيع . » - « قتل رضيع ؟ ولكنك تعلم أن هذه جريمة لا ترتكها إلا أم نحو وليدها ؟ » - « هذا صحيح . » ^(١) - « وما هي الملابس التي صاحبت وقوع هذا الحلم ؟ ما الذي حدث في الليلة السابقة عليه ؟ » - « ذلك ما أؤثر الامتناع عن الحديث عنه ، فهي مسألة حساسة . » - « ولكنني أحتاج إليها . وإلا صرفنا النظر عن فكرة تفسير هذا الحلم . » - « اسمع إذن : إنني لم أقض الليلة الماضية بمنزلي بل بمنزل سيدة تعني الشيء الكثير بالنسبة لي . فلما استيقظنا في الصباح عدنا لما فعلناه من قبل . وبعدئذ نمت مرة ثانية وحلمت الحلم الذي رويته لك . » - « أهى سيدة متروحة ؟ » - « نعم . » - « وأنت لا تريد أن تعقب منها ولدا ؟ » - « كلا ، كلا ، فذلك ما قد يفضح سرنا . » - « ولست - إذن - تمارس الجماع السوي ؟ » - « إني أحتاط فانسحب قبل الإنزال . » - « هل أفترض أنك قد عملت هذه الحيلة أكثر من مرة تلك الليلة وأنت لم تكن واثقا من النجاح بعد تكرارك الأمر في الصباح ؟ » - « ممكن جدا . » - « إذن حلمك يحقق رغبة ؛ فهو يؤكد لك أنك لم تعقب ولدا أو أنك قتلته ، والأمران سيان ، وفي وسعي أن أبين لك من غير عناء ما هي الحلقات التي ربطت بينهما . أتذكر أننا كنا نتحدث منذ أيام قليلة عن متاعب الزواج وعن التناقض الذي في إباحتنا الجماع مع الاحتياط لمنع النسل في حين أننا نعد

(١) يحدث في كثير من الأحيان أن يروي الحلم منقوصاً في أول الأمر ولا تنبثق ذكرى الأجزاء المحذوقة إلا في أثناء التحليل . وحينئذ يتضح دائماً أن هذه الأجزاء التي تضاف من بعد هي التي تزودنا بمفتاح تفسير الحلم . انظر مناقشة نسيان الأحلام فيما بعد [القسم أ من الفصل السابع] .

كل تدخل يحدث بعد التقاء البويضة والحيوان المنوى وبعد تكون الجنين جريمة ؟ لقد تذكرنا بهذه المناسبة المناقشة التي دارت في القرون الوسطى عن اللحظة التي تنفذ فيها الروح إلى الجنين لأن تطبيق فكرة القتل لا يكون إلا ابتداء من هذه اللحظة . ثم إنك تعرف من غير شك قصيدة ليناو المروعة التي يسوى فيها بين قتل الرضع ومنع النسل . « - العجيب هو أنني قد فكرت في ليناو هذا الصباح ، كأنما جاء ذلك اتفاقاً . » - « ذلك صدى آخر لحلمك . وأريك الآن في حلمك تحقيقاً آخر ثانوياً لرغبة أخرى : ذلك أنك تسير إلى منزلك والسيدة بذراعك ، أي أنك تأخذها إلى دارك^(١) بدل أن تقضى الليل بمنزلها كما هو الأمر في الواقع . أما كون تحقيق الرغبة قد اتخذ في الحلم هذه الصورة غير السارة ، فأمر قد يكون له أكثر من سبب . فلعلك علمت من مقالتي في علية أعصبة الهيلة [فرويد ١٨٩٥ ب] أنني أدخل الجماع المنقطع في عداد العوامل التي تنشأ عنها الهيلة العصبية . وإنه ليتفق وذلك أن يتركك تكرارك مثل هذا الجماع في حالة من القلق صارت بعدئذ أحد العناصر المقومة لحلمك . ثم إنك تستغل هذه الحالة المزاجية لكي تخفي بها تحقيق رغبتك . وعلى أية حال فإن إشارتك إلى قتل الرضيع لم ينجل أمرها بعد . كيف اتفق أن خطرت لك تلك الجريمة التي تنفرد بها النساء ؟ » - « أعترف لك بأنني قد تورطت مرة - منذ بضع سنوات - في قصة شبيهة بهذه . فقد كنت مستولاً عن إقدام إحدى الفتيات على الإجهاض لكي تدرأ ما نجم عن صلتها بي . ولم يكن لي أقل دخل في تنفيذ ما اعتزمته ، ولكنني ظلت بالطبع زمناً طويلاً في خشية من أن ينفضح الأمر . » - « أفهم ذلك . وإن هذه الذكرى لتزودنا بسبب ثانٍ يرينا لم كان من الحتم أن يركبك القلق عند توحسك الإخفاق في حيلتك . »

وسمعي طبيب شاب أروى هذا الحلم في قاعة محاضراتي ، ولا بد أن هذا الحلم قد أصاب من نفسه الشيء الكثير ؛ لأنه سارع إلى محاكاته بحلم من عنده طبق فيه ذات الأسلوب الفكري على موضوع مختلف : فهو قد أدى في اليوم السابق لإقرار الدخول ، وكان إقراره صريحاً لا مواربة فيه ؛ لأنه لم يكن يملك سوى الشيء القليل ليقرب به . ثم بعد ذلك رأى في الحلم أن صديقاً من معارفه يحجى إليه بعد اجتماع لجنة الضرائب ويبلغه أن جميع الإقرارات قد مرت من غير استيقاف إلا إقراره ؛ فقد أثار تشكك الجميع ، وأنه

(١) [heimfuehren ، يعني "أخذها إلى داره" ويعني أيضاً "تزوجها" .]

قد يدان من جراء ذلك بغرامة كبيرة . إن هذا الحلم ليس إلا قناعا شفافا لبسته الرغبة في أن يكون طبيبا ذا دخل كبير . وإنه ليذكر بقصة الفتاة التي نصحتها الناصحون بأن ترفض رجلا طالب يدها ؛ لأنه رجل حاد المزاج ولأنه لا محالة سوف يتفاهم معها باللكمات بعد الزواج ، فكان أن أجابت الفتاة : « لو ضربني ! » فرغبة الفتاة في الاقتران شديدة حتى أنها لتقبل ضمن البيعة منغصات هذا الزواج ، بل تتمناها .

لو أنى جمعت هذا النوع من الأحلام الشائعة أكبر الشيوخ ^(١) والتي تبدو تناقض نظريتي مناقضة مباشرة من حيث تحتوى على رغبة حيل دونها والتحقق أو من حيث تحتوى على أمر تصدف عنه النفس صدوقا جليا تحت عنوان «الأحلام المضادة للرغبات» ، لرأيت أنها ترتد جميعا إلى مبدأين لم أذكر أحدهما بعد على كبير خطره في حياة الناس كما في أحلامهم . فأول قوة دافعة إلى هذه الأحلام هي الرغبة في أن أكون على خطأ . وتظهر هذه الأحلام في خلال العلاج دون أن تتخلف ، إذا مر المريض بفترة من المقاومة تجاهي ؛ وأستطيع أن أستثير عند المريض حلما من هذا القبيل وأنا واثق أكبر الثقة من ذلك إذا شرحت له للمرة الأولى نظريتي في أن الحلم تحقيق رغبة ^(٢) . بل إنى أتوقع أن تجرى الأمور على هذا المنوال مع الكثيرين من قرأى ، فيمنعوا أنفسهم في الحلم إحدى رغباتها طواعية ، لا لغرض سوى التذليل على خطائى . ويصور لنا ذلك مرة أخرى الحلم الآتى - وهو آخر ما أذكر من هذا النوع من الأحلام التي تقع تحت العلاج . والحالمة هنا فتاة في مقتبل العمر استطاعت أن تستمر في علاجها بعد أن كافحت لإرادة أهلها وإرادة من شاورتهم من أولى الأمر كفاحا شاقا ، رأت : أن أهلها يمنعونها عن الهوى إلى ، فتذكرنى بما وعدتها إياه من المداومة على علاجها من غير مقابل إذا لزم ذلك ، ولكننى أجيبها : إننى لا أعرف اعتبارا لأحد في مسائل النكود .

الواقع أن تبين الرغبة في هذا المثال ليس أمرا سهلا . بيد أننا نجد في جميع أمثال هذه الحالات مشكلة أخرى يعين حلها على حل المشكلة الأولى . فمن أين جاءت المريضة بهذه الكلمات التي وضعها على لسانى في الحلم ؟ إن مثل هذا القول لم يصدر عني قط

(١) [أضيفت هذه الفقرة والتي تليها في عام ١٩٠٩ .]

(٢) لقد سمعت تكرارا في خلال السنوات القليلة الأخيرة كثيراً من هذه «الأحلام المضادة للرغبات» وكان أصحابها من المستمعين إلى محاضراتى ، وكانت أحلامهم هذه هي استجابتهم تجاه أول التقائهم «بنظرية الرغبة» في الأحلام .

بالطبع ، ولكن أخالها — هو صاحب التأثير الأعظم فيها — كان من اللطف بحيث خصنى بهذه الملاحظة. والحلم — إذن — يهدف إلى إثبات صواب أخيها. وهى لا تصر على أن يكون الحق لأخيها هذا فى الحلم وحده ، بل ذلك كان شاغل حياتها ودافعها إلى المرض .

وها هو ذا حلم آخر ^(١) يبدو للوهلة الأولى أنه يواجه نظرية تحقيق الرغبة بصعوبات خاصة ، وهو حلم أتاه طبيب وفسره (ورواه أوجست شتاركة ، ١٩١١) :

« أرى على العقلة الأخيرة من السبابة اليسرى أول آثار [Primäraffekt] السفلس »

إن المرء قد يحجم عن تفسير هذا الحلم بعد الروية ؛ فهو حلم واضح متناسق ، فيما خلا محتواه غير المرغوب فيه. ولكن أو أن أحدا تكلف مع ذلك عناء تحليله لعلم ، أن "Primäraffekt" تعادل "Primo Affectio" (الحب الأول) ، ولتين أن القرحة المنفرة كانت — كما يقول شتاركة — « تمثل تحقيق رغبات ذات شحنة وجدانية شديدة . »

وأما الدافع الثانى إلى الأحلام المضادة للرغبات ^(٢) . فواضح حتى ليسهل خطر إغفاله ، كما كان الشأن معى زمنا طويلا. ذلك أن التكوين الجنسى يضم عند كثير من الناس مقوما ماسوشيا ينشأ عن انقلاب المقوم العدوانى السادى إلى ضده . ويسمى أمثال هؤلاء الناس ماسوشيين « نفسيين » إذا لم يلتمسوا اللذة فى إيقاع الألم الجسمى بأنفسهم ، بل فى المذلة وعذاب النفس . ونذكر على الفور أن هؤلاء الأشخاص قد تقع لهم أحلام برغبات مضادة أو أحلام مؤلة ، وهى مع ذلك لا تخرج عن أن تكون تحقيقات رغبات ؛ لأنها تشبع نوازعهم الماسوشية . وإليك حلما من هذا القبيل ، وهو لشاب كان يعذب فى صباه أخاه الأكبر شر العذاب وكان له بهذا الأخ شغف جنسى ، فلما تغير طبعه تغيرا أساسيا جاءه ذلك الحلم على ثلاثة أجزاء : ١ - أخوه الأكبر يفيظه . ٢ - شخصان بالغان يلاطف أحدهما الآخر لغاية جنسية مثلية . ٣ - باع أخوه المؤسسة التجارية التى كان يطمع فى إدارتها يوما . ويستيقظ الحالم من الحلم الأخير نهبا لأشد الأحاسيس ألما . والحلم مع ذلك حلم رغبة ماسوشية تمكن ترجمته على هذا النحو : إنه لجزء عدل أن يعقد أخى هذا البيع على كره منى عقابا لى على كل ما اضطر إلى احتماله من العذاب على يدى .

أرجو أن تكون الأمثلة المتقدمة كافية — حتى يظهر اعتراض جديد — فى تسويغ

(١) [أضيف ذكر هذا الحلم مع التعقيب عليه فى عام ١٩١٤ .]

(٢) [وهو الدافع الذى قال فرويد فى الصفحة السابقة إنه لم يذكره بعد— أضيفت هذه الفقرة فى عام ١٩٠٩ .]

القول بوجوب تحليل الأحلام الأنيمة المحتوى كما لو كانت هي أيضاً تحقق رغبات^(١) . ومن الواجب كذلك ألا نعد الأمر صدقة إذا كان تفسير هذه الأحلام يوفقنا في كل مرة على موضوعات ينفر الناس من التحدث عنها أو التفكير فيها . فلا شك في أن الشعور الأليم الذي تثيره هذه الأحلام لا يختلف من النفور الذي يحدونا - بنجاح في غالب الأحيان - إلى الإمساك عن معالجة هذه الموضوعات أو ذكرها والذي تتحتم على كل منا مغالبتها إذا لم نجد مع ذلك بدا من مواجهتها . بيد أن هذا الشعور غير اللاذ الذي يتردد تبعاً لذلك في الأحلام لا يمنع من أن تكون ثمرة رغبة من الرغبات ؛ فلكل امرئ رغبات يؤثر كتمها عن غيره من الناس ، بل ورغبات لا يريد أن يصارح نفسه بها . ونحن ، من ناحية أخرى ، محقون حين نربط بين الطابع غير اللاذ لهذه الأحلام جميعاً وبين واقعة تشويه الحلم ، وحين نخلص إلى أن تلك الأحلام إنما نالها ذلك التشويه وأن تحقيق الرغبة إنما تقنع فيها إلى حد الخفاء لأن ثمرة نفورا من موضوع الحلم أو من الرغبة المتفرعة عنه ، ونية "مبيتة" على كبتها . وهكذا يتضح أن تشويه الحلم هو في الحقيقة فعل من أفعال الرقابة . ونحن إذ ندخل في حسابنا كل ما قد أظهره إلى الضوء تحليل الأحلام غير اللاذ حين نعدل الصيغة التي أردنا أن نعرب بها عن ماهية الحلم هذا التعديل : الحلم تحقيق (مقنع) لرغبة (مقموعة أو مكبوتة)^(٢) .

(١) أشير هنا إلى أنني لم أفرغ بعد من هذا الموضوع فروغاً تاماً ، وسوف أعود إليه فيما بعد [أنظر "أعلام العقاب" في الفهرست التحليلي .]

(٢) [هامش أضيف عام ١٩١٤ :] لقد توصل كاتب معاصر كبير - وهو على ما علمت يرفض أن يسمع كلمة واحدة عن التحليل النفسي أو عن تفسير الأحلام - إلى صيغة في ماهية الحلم لا تكاد تختلف من تلك التي وضعها ، فهو يقول : إن الحلم "انبعاث من غير تصريح لرغبات وأمان مقموعة ، تحت ملامح وأسماء مزيفة . " (شبيتلر ، ١٩١٤) .

[١٩١١ :] وأسبق الأمور هنا بذكر التوسيع والتعديل اللذين أدخلهما أوتو رانك على الصيغة الأساسية المذكورة في النص : " إن الحلم يصور دائماً ، في صورة مقنعة رمزية ، تحقق ورغبات حاضرة ، هي أيضاً في القاعدة رغبات جنسية ، وذلك بالاستناد إلى مواد مستندة من الحياة الجنسية الطفلية المكبوتة وبمعاونتها . " (رانك ، ١٩١٠) .

[١٩٢٥ :] هذا ولم يحدث قط أني ذكرت في أي موضع من المواضع أن صيغة رانك تعرب عن رأي . وإن الصيغة الأقصر ، على ما وردت عليه في النص ، لتبدو لي وافية بالغرض . ولكن مجرد ذكر التعديل الذي أدخله رانك كان كافياً لأن تنال على التحليل النفسي اتهامات لا يحصى عددها ، مؤداها أن التحليل النفسي يؤكد أن جميع الأحلام ذات محتوى جنسي . وهذه الجملة إذا فهمت بالمعنى الذي يراد فهمه منها فإنما تدل على مدى التجرد من الضمير الذي يظهره النقاد في قيامهم بعملهم ، وعلى مدى مسارعة الخصوم إلى التعمى عن كل

تبقى الآن أحلام الهيلة من حيث هي نوع أسفل من أنواع الأحلام الأليمة المحتوى ، وهي التي سوف يلاق تصورهما على أنها أحلام رغبة أقل الترحيب ممن لا يعلمون . غير أنى لا أستطيع مع ذلك أن أعرض لأحلام الهيلة فى هذا الموضع إلا عرضاً موجزاً غاية الإيجاز . وذلك لأنها لا تواجهنا بوجه جديد لمشكلة الحلم ، وإنما المشكلة هنا هى أن نفهم الهيلة العصابية بوجه عام . فالهيلة التى نستشعرها فى الحلم لا يعللها محتوى ذلك الحلم إلا فى الظاهر . فإذا أخضعنا محتوى الحلم للتحليل رأينا أن الهيلة فى ذلك الحلم لا تعلل بمحتواه [الظاهر] خيراً مما تعلل الهيلة فى مخافة من المخاوف المرضية بالفكرة التى تقترن بها هذه المخافة — مثلاً . فمن الحق — مثلاً — أن المرء قد يقع من الشباك وأن على المرء لهذا السبب أن يأخذ ببعض الحيلة إذا وقف قريباً من الشباك ، لكننا لا نفهم لم كانت الهيلة فى مخافة الشبايبك كبيرة إلى هذا الحد ولم كانت تلاحق ضحاياها ملاحقة تعدو ما تجيزه علته الظاهرة بمدى بعيد . والذى نكتشفه عندئذ هو أن ذات التعليل يصدق على المخافة المرضية مثلاً يصدق على حلم الهيلة : فالهيلة فى كلتا الحالتين إنما تلصق إلصاقاً بالفكرة التى تصحبها ، وأما منبعها فشئ آخر .

هذه العلاقة الوثيقة بين الهيلة فى الحلم والهيلة فى العصاب ^(١) لا تترك لى مفراً من

قضية مهما بلغ وضوحها ، ما دامت لا تتلام وزعائهم العدوانية ؛ إذ يكنى القارئ أن يرجع صفحات قليلة إلى الوراء ليرى أننى ذكرت أحلاماً تحقق عند الأطفال رغبات متنوعة (كنزعة بالبر أو ببسيرة ، أو كتمويض أكلة فاتت ، إلخ .) ، كما ذكرت فى موضع آخر أحلاماً أثارها العطش أو الحاجة إلى التبول وأخرى لا تخرج عن أن تكون أحلام استسهال . بل إن رائك نفسه لا يرسل القول على إطلاقه ؛ فهو يقول : ” هى أيضاً فى القاعدة رغبات جنسية “ ، وهو قول يمكن تأييده تأييداً واسعاً فى أحلام معظم الراشدين .

ولقد كان الموقف يختلف لو كان فقادى استخدموا لفظ ” جنسية “ بالمعنى الذى شاع استخدامه فى اليوم فى التحليل النفسى — معنى ” إيروس “ [اسم يونانى لإله الحب كان من سخطه أنه صار يستخدم منذ قديم كاسم كلى لجميع النوازع المتجهة — فى الطبيعة كما فى الإنسان — إلى التوحيد والخلق ، فى مقابل التفرقة والمهدم أو السلب] . ولكن فقادى كانوا بعيدين غاية البعد عن أن يفكروا فى تلك المشكلة الهامة : هل الأحلام جميعها من خلق القوى الغريزية ” الليبيدية “ (فى مقابل ” التسميرية “) ؟

(١) [الهيلة Angst لغة هى المخافة من الأمر لا يدرى المرء ماذا يهجم عليه منه . ويراد بها فى التحليل النفسى الخوف الذى يكون من ممكن مستقبل فحسب (كهبوب العاصفة أو الرسوب فى الامتحان أو — أخيراً — الموت) وليس من موضوع بعينه (كالرضاء أو النار) . ولكن كلمة ” Angst “ يكثر أيضاً استخدامها فى اللغة الألمانية للدلالة على الخوف مجرداً وبأى درجة من درجاته ، وقد يجربها فرويد بهذا المعنى . ويقال أيضاً فى العربية ” الهول “ ولكننا لم نكد نستخدمه قط لشيوع معناه فى غير ذلك — وهذا وقد احتفظنا بكلمة ” القلق “ لترجمة معنى ” Sorge “ أو ” Worry “ .]

الإشارة إلى الثانية عند مناقشة الأولى . لقد قلت منذ زمن ما في مقال قصير عن عصاب الهيلة (فرويد ، ١٨٩٥ ب) : إن الهيلة العصابية تنشأ عن الحياة الجنسية ، وأنها توافق لبيدو صرفت عن غايتها ولم تجد شاغلا يشغلها . ومنذ ذلك الوقت لم تجد هذه القضية إلا ما يزيد لها ثبوتاً . وهي تمكنت الآن من أن نستخلص منها أن أحلام الهيلة أحلام ذات محتوى جنسى ، تحولت اللبيدو المتصلة بها إلى هيلة . وسوف يتسع المقام فيما بعد لتأييد هذه القضية بتحليل بعض أحلام المرضى العصبيين . كما سوف يتاح لي في خلال محاولة قادمة من أجل الوصول إلى نظرية في الحلم أن أتحدث عن شروط أحلام الهيلة وعن اتفاقها مع نظرية تحقيق الرغبة [ص ٥٦٧ وما بعدها .]

الفصل الخامس

مادة الحلم ومصادره

عندما تبين لنا من تحليل حلم حقنة لإرما أن الحلم تحقيق رغبة ، اتجه كل اهتمامنا بادئ ذي بدء إلى أن نعرف هل هذه خاصة مشتركة بين الأحلام جميعا ، وفي خلال ذلك أخذنا كل تطلع علمي آخر كان يمكن أن يثار ونحن نقوم بعمل التفسير . ويحق لنا الآن - وقد بلغنا من هذا الدرب نهايته - أن نقفل أدرجنا ، وأن نختار موضعاً آخر نبدأ منه استكشافاتنا في مشكلات الحياة الحاملة ، وإن اضطرنا ذلك إلى أن نتناسى بعض الوقت مشكلة تحقيق الرغبة التي لم نزل بعيدين عن استيعابها .

فمن الطبيعي - وقد أمكننا بتطبيق منهجنا في التفسير أن نرفع النقاب عن محتوى كامن للحلم تعلق قيمته قيمة المحتوى الظاهر بآماد وآماد - أن تكون المهمة التي تعجلنا الآن هي أن نتناول مشكلات الحلم من جديد واحدة فواحدة ؛ لكي نرى إذا كانت الألغاز والمتناقضات التي لاحت لنا متعذرة ونحن لا نعرف من الحلم غير ظاهره تلقى الآن عندنا حلا مرضيا .

ولقد فصلنا الحديث - في الفصل الذي قدمنا به هذا الكتاب - عن آراء المؤلفين السابقين في علاقة الحلم بالحياة المستيقظة وفي منشأ مادته . وإنا لنذكر هذه الخصائص التي تتميز بها الذاكرة في الحلم والتي لاحظها المؤلفون كثيرا ، دون أن يوضحوا أمرها قط :

١ - أن الحلم يؤثر انطباعات الأيام الأخيرة ليناثارا ظاهرا (روبرت ، شترومبل ، هيلدبرانت ، ويد ، هالام .)

٢ - أنه ينهج في اختياره على مبادئ تختلف من تلك التي تنتهجها ذاكرتنا المستيقظة من حيث كونه لا يختار ما هو جوهري وهام ، بل الثانوي وغير الملحوظ .

٣ - أنه يملك استحضار انطباعات ترجع إلى طفولتنا المبكرة ، بل يستعيد من تلك الفترة من حياتنا تفاصيل تبدلوا على جانب كبير من التفاهة ، وكنا نعتقد ونحن

مستيقظون أننا قد نسيناها منذ زمن طويل^(١) .
وغنى عن البيان أن جميع هذه الخصائص التى يتميز بها اختيار مادة الحلم إنما لاحظها
المؤلفون بصدد محتوى الحلم الظاهر وحده .

أ

الحديث والتألف فى الحلم

إذا استرشدت خبرتى الشخصية فيما يتصل بمنشأ العناصر التى تدخل فى محتوى الحلم ،
لم أجد مناصاً من أن أقرر ، بادئ ذى بدء ، أنه ما من حلم يخلو من بعض الصلة بأحداث
اليوم الذى انقضى . وما من حلم تناولته بالبحث ، سواء أكان من أحلامى أم كان من
أحلام غيرى ، إلا أيد عندى هذه الخبرة الشخصية . وفى مكنتى - وقد علمت هذه
الحقيقة - أن أبدأ تفسير الحلم بالبحث عن حدث اليوم السابق الذى حرك إليه ، بل
تلك فى الحقيقة هى الطريق الأقصر فى كثير من الحالات . والحلمان اللذان فصلت
تفسيرهما فى الفصول السابقة (حلم حقنة إرما وحلم عمى ذى اللحية الصفراء) تتضح فيهما
هذه العلاقة باليوم السابق انتضاحاً لا نحتاج بعده إلى توضيح . ولكنى أورد هنا بعض
الأمثلة أنتخبها من سجل أحلامى الخاصة ؛ لكى أبين كيف يمكن التثبت من هذه العلاقة
على نحو مطرد . ولن أروى هذه الأحلام إلا بالقسط الذى أحتاج إليه من أجل الكشف
عن مصدرها الذى نبحث عنه .

١ - أزور منزلاً لا أستطيع دخوله إلا بعد صمويات . . . إلخ . ، وفى هذه الأثناء أدع سيدة تنتظرنى

المصدر : محادثه مساء أمس مع إحدى قريباتى : إن عليها أن تنتظر حتى تستلم
سلعاً اشترتها . . . إلخ .

٢ - كتبت بحثاً خاصاً بنوع (غير واضح) من أنواع النبات .

(١) من البين أننا لا نستطيع أن نأخذ بفكرة روبرت القائلة بأن غاية الحلم هى تخليصنا من الانطباعات
غير النافعة المتخلفة من النهار ، إذا كانت الصور الذكورية المستمدة من طفولتنا تردّد فى الحلم أى تردّد ؛
وإلا كان معنى ذلك أن الحلم إنما يقوم بوظيفته تلك على نحو ناقص جداً .

المصدر : رأيت في الضحى بحثا خاصا بفصيلة السيكلامين في عارضة إحدى المكتبات .

٣ - أرى في الطريق امرأتين : أما وابنتها ، والأخيرة منهما مريضة من مرضى .

المصدر : حدثتني البارحة إحدى مريضاتي عن الصعوبات التي تقيمها أمها في طريق استمرارها في العلاج .

٤ - أجريت بمكتبة س . اشتراكا في إحدى الدوريات ، وكانت قيمة الاشتراك عشرين فلورين سنويا .

المصدر : ذكرتني امرأتى أمس نهارا أنني لا أزال أدين لها بعشرين فلورين من مصروف الأسبوع الماضي .

٥ - تلقيت رسالة من لجنة الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، وفي هذه الرسالة وجه إلى الكلام باعتبارى عضوا .

المصدر : كنت قد تلقيت في وقت واحد رسالتين : إحداهما من اللجنة الانتخابية لحزب الأحرار والثانية من جماعة الإخاء الإنساني التي أنا عضو فيها حقيقة .

٦ - رجل يقف على صخرة في عرض البحر على أسلوب بوكلين^(١) .

المصدر : دريفوس في جزيرة الشيطان ، وفي الوقت نفسه أنباء من أقاربي المقيمين بانجلترا ، إلخ .

وقد نسأل : ألا تكون صلة الحلم إلا بأحداث اليوم الذي يسبق الحلم مباشرة ، أم هي قد تمتد إلى فترة أطول من فترات الماضي القريب ؟ الراجح أن ذلك سؤال لا ينطوي على كبير أهمية نظرية ، ومع ذلك أراني أميل إلى الأخذ بأحقية اليوم الأخير (ولنسمه يوم الحلم) أحقية مانعة . فكلما خيل إلى أن مصدر الحلم كان انطباعا يرجع إلى ما قبل الحلم بيومين أو بثلاثة أيام ، أمكنني بإكثاب النظر أن أقنع بأن ذلك الانطباع قد تمثل للذاكرة يوم الحلم ، أى أن استحضارا بيسنا قد وقع في خلال اليوم الذي يسبق الحلم مباشرة فتوسط بين يوم الحدث ووقت الحلم ، وأمكنتني فوق ذلك أن أبين ما هي المناسبة الحديثة التي ربما كانت السبب في تذكر هذا الانطباع الأقدم . بيد أنني - من جهة أخرى - لم أر ما يقنعني بوجود أية فترة منتظمة ذات مغزى بيولوجي بين الانطباع النهاري المهيج ورجوعه

(١) [أسلوب بوكلين هو الرومانسية المفرقة ، فالصخور التي أكثر من رسمها محفور تملؤها ألبات البحر وعرائسه في بحر عاصف متلاطم الأمواج ، محفور " فاجنريه " - إن جاز التعبير .]

في الحلم (وكان سقوطه قد ذكر أن أول فترة من هذا القليل تستغرق ثمانى عشرة ساعة^(١)). وكذلك أعلن هافلوك إليس الذى أولى أيضا هذه المسألة انتباهه أنه عجز عن أن يعثر فى أحلامه على مثل هذا الاستحضار الدورى المنتظم « رغم البحث عنه » . وهو يروى حلما أى فيه أنه يسافر فى أسبانيا وبغيته مكان يدعى : داراوس أو فاراوس أو زاراوس . فلما استيقظ عجز عن أن يذكر مكانا له مثل هذا الاسم وصرف النظر عن الحلم . ثم ثبت له بعد ذلك بشهور قلائل أن زاراوس حقيقة اسم لمحطة تقع بين سان سباستيان وبيلباو ، وكان قد مر بها فى القطار قبل تاريخ الحلم بمائتين وخمسين يوما .

(١) (١٩١١ :) لقد حاول هرمان سقوطه - على ما ذكرته فى كلمة ألحقها بالفصل الأول (ص ١٢٥) أن يطبق على مجال الأحداث النفسية بوجه عام فكرة الدوريات البيولوجية المولفة من ٢٣ و ٢٨ يوما والتي اكتشفها فيلهلم فليس (عام ١٩٠٦) . وهو يؤكد بوجه خاص أن هذه الدوريات هى التى تحتم انبعاث العناصر التى تظهر فى الحلم . ولو قد ثبت صحة هذا الرأى ، لما غير ذلك من تفسير الأحلام تغييراً جوهرياً ، كل ما هنالك هو أننا نكون اكتشفنا بذلك مصدراً جديداً من مصادر مادة الحلم . ومع هذا قمت حديثاً ببحث عدد من أحلامي ؛ بغية التحقق من صدق " نظرية الدوريات " عليها ، واخترت من أجل هذا الفرض عناصر حلمية تلفت النظر بنوع خاص ، أمكن التيقن من تاريخ ظهورها ، فى الحياة الواقعة .

١ - حلم ١ - ٢ من أكتوبر ١٩١٠ .

(نبذة) . . . فى مكان ما بإيطاليا . ثلاث ابنت يرينى تحفا صغيرة الحجم - كما لو كان ذلك فى دكان آثار . وهن جالسات فى حجرى . أقول بصدد إحدى القطع : لقد أخذتن هذه منى . وبينما أقول ذلك أرى قناعاً يمثل جانب وجه " سافونا رولا " يتقاطيعه الحادة .

متى رأيت صورة « سافونا رولا » للمرة الأخيرة؟ تقول مذكرة رحلاتى : إني كنت بفلورنسا فى الرابع والخامس من شهر سبتمبر . وهناك خطر لى أن أرى رفيقى فى الرحلة الحفر الذى يحمل ملامح ذلك الراهب المتعصب فى [الميدان المسمى] Piazza Signoria ، بالبقة التى لقي فيها الموت حرقاً . وأظن أنى جذبت انتباهه إليه فى صباح اليوم الخامس من شهر سبتمبر . فالفترة المنقضية بين هذا الانطباع وبين تكرره فى الحلم هى يقينا : ٢٧ + ١ يوماً - وهى مدة " البورة الأنثوية " على حسب فليس . [لاحظ الخطأ فى هذه الحسبة . ولقد وضع ستراشى " الثالث من سبتمبر " بدل " الخامس " ونبه إلى أن " الخامس " خطأ مطبعى ورد فى الطبعة الحديثة . ومن شأن تعديله هذا أن يصلح الحسبة ، ولكنه من جهة أخرى لا يستقيم وما ورد من إشارة المذكرة إلى وجود فرويد بمدينة فلورنسا فى الرابع والخامس من سبتمبر] . بيد أننى - لسوء حظ القيمة البرهانية التى لذلك المثال - لا أجد بدا من أن أضيف أنه قد اتفق يوم الحلم نفسه أن زارى زميل قدير لكنه ذو طلمة متقطعة ، كنت ألقبه منذ سنوات " سيدى الحاخام سافونا رولا " . وقدم لى زميل مريضاً نكته حادثة فزلت بقطار بوتنا السريع - وهو القطار الذى كنت سافرت فيه منذ أسبوع - فرجع ذلك بذكري إلى رحلتى الأخيرة فى إيطاليا . وهكذا نرى أن ورود ذلك العنصر الذى يلفت النظر " سافونا رولا " فى محتوى الحلم تعله زيارة زميل يوم الحلم بينما تفقد فترة الثمانية والعشرين يوماً كل مغزاها .

٢ - حلم ١٠ - ١١ من أكتوبر .

أدرس الكيمياء من جديد بمعمل الجامعة . يدعونى الأستاذ ل . إلى مكان ما ويقودونى فى أحد الأوراق ممسكا

وعلى ذلك أعتقد أن لكل حلم حافزا نجاهه بين تلك الخبرات التي لم ينقص عليها الليل بعد .

أمامه بمصباح أو بآلة أخرى رفعها بيده المنتصبه وقد امتد رأسه إلى الأمام هيئة خاصة ، ولاح كن ينظر في نفاذ (؟) (إلى بعيد ؟) . ثم بعد ذلك نصل إلى مكان قضاء ... (نسيت البقية) .

إن أكبر ما يسترعى الانتباه من محتوى هذا الحلم هو الطريقة التي حمل بها الأستاذ ل. المصباح (أو العلمة) أمامه وقد أفغذ بصره إلى بعيد . ولم أكن رأيت ل. منذ سنوات متعددة ، ولكنني أدرك على الفور أنه إنما كان شخصا بديلا حل محل آخر يعلوه شأنا ، محل أرشميدس . الذي انتصب تمثاله بالقرب من نافورة أريثوزا ، في سيرا قوسة ، وقد اتخذ تلك الهيئة عينها : مسكا مرآته المحرقة بيده ، مادا بصره إلى الجيش الروماني المحاصر . فتي رأيت هذا التمثال للمرة الأولى (والأخيرة) ؟ رأيت - على حسب مفكرتي - في مساء اليوم السابع من سبتمبر ، وبين ذلك اليوم ووقت الحلم قد انقضى حقيقة $13 + 10 = 23$ يوما - وهي "الدورة المذكرة" بحسب فليس . بيد أن من سوء الحظ أننا لا نتعمق تفسير الحلم حتى نرى هذا الاتفاق أيضا جزئا يفقد من قوته البرهانية . فقد كانت المناسبة التي حفزت إلى الحلم نبأ سمعته يوم الحلم ، كان مؤداه أن العيادة التي كنت أستضاف للمحاضر بقاعتها قد أوشك فتلها إلى مكان آخر . وقدرت أن المكان الجديد لن يكون إلا بجهة متطرفة جداً وقلت لنفسي : وما الفرق بين ذلك وبين ألا تكون لي قاعة أحاضر فيها على الإطلاق ؟ وكان لزاما أن ترجع في الذاكرة عند ذلك إلى أيام بدأت حياتي كمحاضر بالجامعة حين كنت حقيقة لا أجد قاعة أحاضر فيها ، وحين لم تكن جهودي من أجل الحصول على قاعة تصادف إلا القليل من ترحيب أساتذة الجامعة وأصحاب كراسيها الذين كان يدهم السلطان . وأذكر أني ذهبت إذ ذاك إلى ل. - وكان عميدا وقتئذ وكنت أعده حاميا - لكي أشكو إليه حاجتي . فوعدي بالعون ، ثم لم أسمع منه بعد ذلك شيئا . وهو في الحلم أرشميدس يعطيني Pou stō [مكانا أقف فيه ، باليونانية] ، ويقودني بنفسه إلى المحل الجديد . فأما أن رغبة الانتقام والشموخ بالمعظمة لا يفتيان عن أفكار هذا الحلم - فذلك ما يسهل تخمينه على كل عارف بالتفسير . وإنما الذي أريد أن أقوله هو أن أرشميدس ما كان ليجد طريقه إلى الحلم في هاته الليلة لولا تلك المناسبة . كما أنني لست واثقا من أن ذلك الانطباع القوي ، الحديث العهد بعد ، الذي أثاره في نفسي تمثال سيرا قوسة - لم يكن يستطيع أن يحدث كذلك أثره في نفسي بعد فترة مختلفة من الزمن .

(٣) حلم ٢ - ٣ أكتوبر ١٩١٠ .

(نبذة) . . . شيء عن الأستاذ أوزر الذي وضع بنفسه قائمة الأطعمة التي يجب أن أتناولها ، وهو ما يدخل على نفسي ارتياحا كبيرا (وأشياء أخرى نسيت) .

هذا الحلم استجابة بإزاء اضطراب هضمي جعلني أفكر في ضرورة الالتجاء إلى أحد زملائي لكي يقرر نظام التغذية الذي يجب أن أتبعه . وأما كونني قد اخترت لأجل ذلك الغرض الأستاذ أوزر الذي مات في خلال الصيف فيرجع السبب فيه إلى موت مدرس جامعي آخر كنت أعجب به أشد الإعجاب ، وكان موته قبل الحلم بزمان قليل (في الأول من أكتوبر) فتي مات أوزر ؟ ومتى سمعت نعيه ؟ يتضح من الصحف أنه قد مات في الثاني والعشرين من أغسطس . وكنت في ذلك الوقت في هولندا ، وكانت صحف فيينا تصل إلى بانتظام ؛ فلا بد أني قرأت نعيه في الرابع والعشرين من أغسطس . ولكن هذه الفترة لا تتفق وأي من الدوريتين : فهي تعدل $7 + 30 + 2 = 39$ يوما ، وقد تكون ٤٠ ، وأستطيع أن أذكر أني تحدثت عن أوزر أو فكرت فيه في هذه الأثناء .

وأشكال هذه الفترات التي لا يمكن التوفيق بينها وبين نظرية الدورات دون مزيد من التفنن في الحساب - تفوق في أحلامي كثيرا تلك التي تتفق وهذه النظرية . والعلاقة الوحيدة التي أراها ترد بانتظام هي تلك التي تصل الحلم بانطباع من اليوم السابق ، على ما أكدته في النص .

ولا تسفر إذن انطباعات الماضي الحديث (باستثناء اليوم الذى يسبق الحلم) عن علاقة بمحتوى الحلم تختلف فى نوعها من تلك التى لغيرها من انطباعات الزمن الماضى بوجه عام أياً كان بعده . فالحلم قادر على أن يختار مادته من أى فترة من فترات الحياة ما دام ثمة خيط فكري يصل بين خبرة يوم الحلم (أى « أحدث » الانطباعات) وبين سابقتها .

ولكن لم تُخصت أحدث الانطباعات بهذا الإيثار ؟ سوف نصل إلى تكوين رأى فى هذه المسألة إذا أخذنا حلما من الأحلام التى استشهدت بها توا [ص ١٨٧] فحللتناه تحليلاً أوفى . وعلى ذلك أختار :

حلم المبحث النبائى

كتبت مبحثاً خاصاً بنبات ما . الكتاب مائل أمامى وأنا أدير فى تلك اللحظة صفحة مطوية رسمت فيها لوحة ملونة . ربطت فى داخل كل نسخة نموذج مجفف من ذلك النبات ، كأنه مأخوذ من مشب (١) .

التحليل

كنت رأيت فى الصباح كتاباً جديداً فى واجهة إحدى المكتبات عنوانه : فصيلة . السيكلامين - ومن الواضح أنه كان مبحثاً خاصاً بذلك النبات .

السيكلامين هو الزهرة المفضلة عند زوجتى . إنى ألوم نفسى على أنى قلما أفكر فى أن آتيا بالأزهار ، مثلما تحب . - وتذكرنى فكرة نسيان الأزهار بقصة سردها حديثاً على جماعة من الأصدقاء لكى أدلل بها على أن النسيان كثير اجدا ما يحمل غرضاً لاشعوريا وأنه يمكننا دائماً من أن نستتج ما تنطوى عليه نفس النامى من نيات مستترة . فقد ألفت امرأة شابة أن تتلقى باقة أزهار من زوجها يوم عيد ميلادها . واتفق فى سنة أنها افتقدت هذه الأمانة على الحب ، فطفقت تبكى بدمع غريز . وفيما هى كذلك أقبل زوجها ، فلم يدر سبباً ليكائها حتى أخبرته أن ذلك كان يوم عيد ميلادها . فضرب جيئته بيده

(١) [وهو مجموعة الأعشاب الجفيفة .]

وصاح قائلا : إني لأسف ، ولكنني نسيت ذلك كل النسيان . وأراد أن يخرج على الفور لكي يبحث لها عن الأزهار . بيد أنها تأبى العزاء لأنها رأت في نسيان زوجها برهانا على أنها لم تعد تشغل من أفكاره المكان الذي كانت تشغله من قبل . — هذه السيدة ، كانت قد قابلت زوجي منذ يومين ، وأخبرتها أنها في خير حال ، ثم سألتها عني — وكنت قد توليت علاجها قبل ذلك بسنوات .

ثم ها هي ذي بقية جديدة : لقد كتبت مرة — حقيقة — شيئا أشبه بمبحث خاص بنبات ما ، وكان على التحديد مقالا عن نبات الكوكبة جذب انتباه كارل كولر إلى خصائص الكوكباين المخدرة [فرويد ١٨٨٤هـ]. لقد أشرت في بحثي الذي نشرته إلى إمكانية استخدام القلواني هذا الاستخدام ، ولكنني لم أكن من الدقة بمبحث أتابع تلك المسألة ^(١) . وأذكر الآن أن الفكر قد ذهب بي غداة الحلم — ولم أكن وجدت متسعاً لتفسيره إلا في المساء — ذهب بي إلى الكوكباين فيما يشبه أن يكون حلما من أحلام اليقظة . لو أصابني الجلوكونا لسافرت إلى برلين وأجريت هناك ، في منزل صديقى البرلينى [فليس] عملية جراحية على يد طبيب يزكيه صديقى ، دون أن يعلم الطبيب من أنا . وسوف ينوه الطبيب مرة أخرى — وهو لا يدري على من أجرى عملياته — بمدى السهولة التى صارت تجرى بها هذه العملية منذ إدخال الكوكباين ، ولن أبدى فى خلال ذلك أقل بادرة ثم على أننى قد أخذت فى ذلك الكشف بنصيب . وساقى هذا التخيل إلى خواطر تدور حول مدى الحرج الذى يستشعره الطبيب — مهما يكن من أمر — حين يسأل زملاءه علاجاً لنفسه . ولكن جراح العيون البرلينى لن يعرف من أنا وسيكون فى وسعى أن أنقذه أجره مثلما يصنع أى مريض آخر . وألحظ الآن لأول مرة ، بعد أن تذكرت هذا الحلم من أحلام اليقظة ، أنه كان يحنى وراءه ذكرى حدث بعينه : فقد أصابت الجلوكونا والذى ، فكان أن أجرى له صديقى الدكتور كونجشتاين جراح العيون عملية ، وتولى الدكتور كولر التخدير بالكوكباين ، ولاحظ كولر بتلك المناسبة أن هذه الحالة قد جمعت الأشخاص الثلاثة الذين أخذوا فى إدخال الكوكباين بنصيب .

وتذهب خواطرى بعد ذلك إلى المرة الأخيرة التى ذُكرت فيها بقصة الكوكباين هذه :

كان ذلك منذ أيام قلائل حين تلقيت نسخة من كتاب تذكاري أصدره بعض التلاميذ العارفين بالجميل احتفالاً منهم بيوبيل معلمهم ومدير معلمهم . وجاء في هذا الكتاب - بين ما أحصى من مآثر المعلم - أن اكتشاف الخصائص المخدرة للكوكايين قد تم هناك على يد كولر . إني أرى الآن فجأة أن حلمي كان يتصل بحدث وقع في المساء : فقد صحبت الدكتور كونيجشتاين بالذات إلى منزله ، وأخذت معه في حديث تناول أمراً يلهيني ذكره كلما ورد . وبينما كنت أتحدث إليه في مدخل البيت أقبل الدكتور جارتنر [ومعناه البستاني] ومعه زوجه الشابة ، فلم أملك إلا أن أنأهما على مظهرهما المزدهر . ولقد كان الاستاذ جارتنر أحد الذين حرروا الكتاب التذكاري الذي أشرت إليه توا ، ومن الجائز - إذن - أن يكون قد ذكرني به . ثم إن السيدة ل . التي رويت منذ هنية كيف خاب أملها يوم عيد ميلادها قد عرض ذكرها أيضاً في خلال حديثي مع الدكتور كونيجشتاين - وإن يكن قد عرض في سياق مختلف قطعاً .

وأحاول بعد أن أبين كذلك ما هي المحمات الأخرى لهذا الحلم . لقد ضُمنَ البحث نموذجاً مجففاً من النبات ، كأنه معشب . إن المعشب يقودني إلى ذكرى ترجع إلى أيام المدرسة الثانوية . فقد استدعى ناظر مدرستنا مرة طلبة الفصول العالية وأسلمهم معشب المدرسة لكي يقوموا بمراجعته وتنظيفه ؛ فقد وجدت به بعض الديدان الصغيرة - ديدان كتب . ويبدو أن ناظر المدرسة كان قليل الثقة بقدرتي على المعاونة ، لأنه لم يسلمني إلا ورقات قليلة . ولا أزال أذكر إلى اليوم أن هذه كانت تتضمن بعض الصليبيات ^(١) . إن العلاقة بيني وبين علم النبات لم تكن قط بالعلاقة الحميمة . وقد حدث وأنا أؤدي الامتحان التمهيدى في علم النبات أني أعطيت أيضاً نباتاً من فصيلة الصليبيات لكي أقول ما هو ، فلم أحر جواباً . ولولا أن معارفى النظرية أسعفتني ، لآلت الأمور معي ما لا سيئاً . ومن فصيلة الصليبيات أنقل إلى فصيلة المركبات . والخرشوف يدخل بحق في عداد هذه ، وهو الذى أستطيع يقيناً أن أدعوه زهرة المفضلة . وكثيراً ما تعود زوجتي من السوق - وهى أكثر كرماً منى - حاملة إلى تلك الأزهار التى أوترها .

أرى البحث الذى كتبه ماثلاً أمامي . هذا أيضاً يذكرني بشيء . فبالأمس كتب إلى صديقى البصير الذى يسكن برلين [فليس] خطاباً جاء فيه : « إن كتابك عن

(١) [أى من فصيلة النباتات الصليبية .]

الأحلام يشغل حيزاً كبيراً جداً من تفكيرى : إني أراه ماثلاً أمامى وأراني أدير صفحاته . «
لکم غبطته على قدرته هذه كراء ! لو أنى أيضاً استطعت أن أراه ماثلاً أمامى كاملاً !
اللوحة الملونة المطوية . كنت وأنا أدرس الطب ضحية لدافع لائى يدفعنى إلى تعلم
الأشياء من طريق الأبحاث المقصورة على موضوع واحد دون غيرها . وكنت على الرغم
من ضيق مواردى أتزود بعدد كبير من منشورات الجمعيات الطبية كانت تخلى
لوحاتها الملونة . وكنت أستشعر الفخر بهذا التزوع إلى الاستيفاء . فلما بدأت أنشر
مقالاتى ، لم يكن بد من أن أرسم لوحاتها بنفسى . وأذكر أن إحداها بلغت من الركاكة
مبلغاً حمل زميلاً من أهل الخير على أن يسخر منى . وههنا تحضرنى — لا أدري كيف —
إحدى ذكريات الطفولة . فقد عن لوالدى مرة أن يعطينى مع كبرى أخواتى كتاباً حوى
لوحات ملونة (وكان يصف رحلة فى بلاد فارس) لكى ندمره — وهو أمر لا يسهل تبريره
من الوجهة التربوية . وكنت أبلغ من العمر إذ ذاك خمس سنوات ولم تكن أختى بلغت
الثلاث . وإن صورتنا ونحن آخذان كلانا — وقد فاض بنا الجبور — فى تمزيق هذا
الكتاب (وأراني أقول : كالخرشوف ، ورقة فورقة) لى الذكرى الوحيدة التى أذكرها
من هذه الفترة من حياتى فى صورة مرئية . فلما صرت طالباً تكون عندى ولع لا يوصف
يجمع الكتب وامتلاكها ، أشبه بالتزوع إلى دراسة الأبحاث ذات الموضوع الواحد ، أى
هواية مفضلة (وفكرة الهواية المفضلة قد ظهرت من قبل فى صدد السيكلامين والخرشوف) .
لقد صرت دودة كتب (أنظر معشب) . وقد كنت منذ أخذت أفكر فى أمر نفسى —
أرجع دائماً هذا الغرام الأول فى حياتى إلى ذلك الانطباع الطفلى ، أو قل : إني عرفت
فى هذا المشهد من مشاهد طفولتى « ذكرى ستارية » لصداقتى اللاحقة بالكتب . وقد
اكتشفت أيضاً بالطبع منذ تلك السن المبكرة أن غرم المرء كثيراً ما يكون فى غرامه ؛ فقد
كان لى وأنا بالسابعة عشر حساب لا يستهان به عند بائع الكتب دون أن تكون لى القدرة
على سداده . وكان والدى لا يكاد يقبل الاعتذار بأن نوازعى كان يمكن أن تتجه إلى ما
هو شر من ذلك . بيد أن ذكرى تلك الخبرة المتأخرة من خبرات حدثتى ترجع بى دفعة
واحدة إلى حديثى مع صديقى الدكتور كونجشتاين : فقد كان مثل ذلك اللوم على إفراطى
فى الجرى وراء هواياتى المفضلة أحد الموضوعات التى تناولها الحديث فى تلك الأمسية التى
سبقت الحلم .

وإلى هذا الحد أقف بتفسير ذلك الحلم ؛ لأسباب لا محل لذكرها ، وإنما أشير محض إشارة إلى الطريق الذى يسلم إليه . لقد تذكرت وأنا أفسر الحلم محادثتى مع الدكتور كونجشتاين ، وتذكرتها من أكثر من وجهة . وإنى إذ أنظر فى الموضوعات التى دار بها هذا الحديث أرى معنى الحلم يتضح لى . فجميع خيوط الفكر التى تبتدئ من الحلم : الأفكار المتعلقة بأزهار زوجتى المفضلة وأزهارى ، ثم بالكوكايين وبالخرج الذى فى طلب المعالجة بين زملاء الأطباء ، ثم بإيثارى دراسة الأبحاث المقصورة على موضوع واحد وإغفالى بعض فروع العلم مثل النبات ، كل هذه تسلم فى النهاية — إذا المرء تابعها — إلى فرع من فروع تلك المحادثة المتعددة الشباب . والحلم ينقلب مرة أخرى إلى تبرير ، إلى دفاع عن حقى ، شأن الحلم الذى فسرناه أول ما فسرنا ، حلم حقنة إرما . نعم ، إنه يتابع الموضوع المثار هناك ويناقشه بالإشارة إلى مادة جديدة تجمعت فى الفترة الواقعة بين الحلمين . بل حتى صور الحلم بما اتسمت به من لامبالاة ظاهرية هى أيضاً لهجة ^(١) ؛ لأنها تعنى : ومع هذا فأنا الرجل الذى كتب تلك المقالة القيمة ذات الأثر عن الكوكايين ، مثلما كنت أقول من قبل : ومع هذا فأنا طالب مجد لا يترك مجالاً لعائب . وحاصل القول فى الحالتين هو : ومن حقى إذن أن أستبيح ذلك لنفسى . بيد أنى أكتفى من تفسير الحلم بهذا القدر ؛ فما أردت بروايته سوى أن أصور بمثال علاقة محتوى الحلم بخبرة اليوم السابق التى أثارتها : ما دمت لا أعرف من ذلك الحلم سوى محتواه الظاهر لم تتضح لى سوى علاقة واحدة للحلم بانطباع واحد من انطباعات النهار ، فأما بعد أن قمت بالتحليل فيظهر مصدر ثانٍ للحلم فى خبرة أخرى من خبرات ذلك النهار نفسه . فأما أول هذين الانطباعين اللذين تعلق بهما الحلم فانطباع يستوى شأنه عندى ، إنه ملابسة ثانوية : أرى فى إحدى العارضات كتاباً يجذب عنوانه انتباهى لحظة ، ولا يكاد محتواه أن يثير منى أقل اهتمام . فأما الخبرة الثانية فذات قيمة نفسية عالية ؛ فقد تحدثت ساعة تامة إلى صديق طيب العيون حديثاً مشبوحاً ، لمحت فى خلاله تلميحات كان من شأنها أن تصيب كليتنا من قريب ، واستثيرت ذكريات جعلتني أنتبه إلى ما انطوت عليه دخليتى من تهيجات ذات صنوف شتى . أضف إلى ذلك أن

(١) [Akzent — ونقول " لهجة " بالمعنى الذى تكون هذه الكلمة من خلال استخدامها العامى على الأقل وهو معنى تعبير الصوت عند الكلام ، كما فى قولنا " لهجة التوصل " أو " لهجة التحدى " مثلاً . والمراد بالطبع هو : حتى صورة الحلم لا تخلو من المعنى كما لا تخلو منه " لهجة " الكلام .]

المحادثة قد انقطع جملها قبل تمامها إذ أقبل علينا بعض معارفنا . فما علاقة هذين الانطباعين
النهارين كلا بالآخر ثم بحلم الليلة التالية ؟

فأما محتوى الحلم [الظاهر] فلا أرى فيه سوى إشارة إلى الانطباع المجرد من القيمة
الخاصة ، وبذا أستطيع أن أؤيد قول القائلين : إن الحلم يؤثر أن يلتقط من
الحياة الواقعة ما هو ثانوى لكى يدرجه فى محتواه . وأما تفسير الحلم فكل شئ فيه يقود
على العكس إلى الخبرة الهامة التى أهاجتنى بحق . فلو حكمت على معنى الحلم على النحو
الوحيد الصحيح ، أى بحسب محتواه الكامن الذى أخرجه التحليل إلى الضوء ، رأيت
أنى قد انتهيت على غير توقع إلى كشف جديد ذى خطر . فأنا أرى للغز المتضمن فى
قولنا : إن الحلم إنما يشغل بأشئ معدومة القيمة فى حياة النهار - أراه يتبدد . ولست
أجد كذلك بدا من مناقضة القضية القائلة بأن الحياة النفسية التى نعرفها فى اليقظة لا تتواصل
فى الحلم وأن الحلم - تبعاً لذلك - إنما هو نشاط نفسى ينفق فى الصغائر : إن الضد
هو الصحيح ؛ فما يشغلنا فى النهار يسيطر أيضاً على أفكار الحلم ، وما نكلف أنفسنا
عناء الحلم إلا بتلك الأمور التى كانت فى النهار داعية إلى التروى .

إن أقرب تحليل لكونى أحلم بالانطباع المجرد من القيمة ، فى حين أن ما حملنى على
الحلم كان الانطباع الذى هاجنى بحق ، هو من غير شك أننا نواجه هنا مرة أخرى ظاهرة
من ظواهر التشويه الحلمى الذى أرجعناه فيما سبق إلى قوة تعمل عمل الرقابة . وفى هذه
الحالة تكون ذكرى البحث الخاص بفصيلة السيكلامين قد استخدمت من أجل الإشارة
إلى حديثى مع صديقى ، مثلما نابت إشارة « السالمون المدخن » فى حلم العشاء المعاق
[ص ١٧٢] عن ذكر الصديقة . وسؤالنا الوحيد هو عن الحلقات الوسطى التى مكنت
انطباع ذلك البحث من أن يعمل كإشارة إلى حديثى مع طبيب العيون ؛ فما تمت من
صلة واضحة للوهلة الأولى بين الطرفين . ففى مثال العشاء المعاق كانت الصلة قائمة
مقدماً : « فالسالمون المدخن » - وهو طبق الصديقة المفضل - كان يدخل من غير
تكلف ضمن طائفة الأفكار التى كان يحتمل أن تثيرها شخصية الصديقة فى نفس
الحالة . وأما فى مثالنا الجديد فكل ما هنالك انطباعان منفصلان لا يبدو بينهما للوهلة
الأولى جامع مشترك سوى وقوعهما فى ذات اليوم : فى الصباح يلفت البحث الخاص
بفصيلة السيكلامين ناظرى ، ثم فى المساء أتحدث إلى صديقى . إن الجواب الذى يضعه

التحليل بين يدينا هو هذا : إن أمثال هذه العلاقات التي لا توجد من قبل بين انطباعين من الانطباعات تنسج من بعد بين المحتوى الفكرى الذى لأحد هذين الانطباعين وذلك الذى لآخرهما . ولقد جذبت الانتباه من قبل إلى الحلقات الوسطى فى مثالنا هذا بالكلمات التى أبرزتها عند رواية التحليل . فلولا التأثير الذى جاء من جهة أخرى ما أدت فكرة البحث الخاص بفصيلة السيكلامين - فى الأغلب - إلا إلى فكرة أن تلك هى الزهرة التى تؤثرها زوجتى ، وربما ساقى أيضاً إلى باقة السيدة المفتقدة . ولست أعتقد أن تلك الأفكار المسترة كانت تكفى عندئذ فى أن تستثير حليماً ؛ فكما يحىء فى « هاملت » :
« ولا حاجة بنا ، يا سيدى ، إلى شبح يخرج من قبره

لكى يأتينا بهذا الخبر ^(١) . »

ولكن انظر ! لقد تذكرت فى خلال التحليل أن الرجل الذى قطع جبل حديثنا كان يدعى جارتنر [البستاني] وأن زوجه لاحت لى مزهرة ، بل إنى لأذكر الآن وأنا أكتب هذه الكلمات أن الحديث بيننا قد دار برهة حول مريضة من مريضاتى كانت تحمل ذلك الاسم الجميل : فلورا [أزهار] . فلا بد أن الذى حدث هو أن تلك الحلقات الوسطى المنبعثة من دائرة الأفكار النباتية قد وصلت ما بين خبرتى اليوم : المجردة من القيمة والمثيرة . ثم استتبت بعد ذلك روابط أخرى ، وأعنى بها تلك التى كانت تصحب فكرة الكوكابين - وهى فكرة كانت تملك الحق كل الحق فى أن تتوسط بين شخص الدكتور كونيشتاين وبين بحث نبأى كنت قد كتبت - فكان أن وثقت هذه الروابط اندماج كلتا الدائرتين الفكرتين ، بحيث صار من الممكن أن يستخدم جزء من الخبرة الأولى فى الإشارة إلى الثانية .

إنى أتوقع أن يرد البعض هذا التعليل لكونه يحىء اعتباطاً أو لأنه مفتعل : فإذا ترى كان يحدث لو أن الأستاذ جارتنر وزوجه المزهرة لم يقبلا ، أو لو أن المريضة التى جرى الحديث بذكرها لم تكن تدعى فلورا بل آنا ؟ والجواب مع ذلك هين : فلو قد غابت تلك الروابط الفكرية لاتجه الاختيار من غير شك إلى غيرها . وما أسهل إنشاء أمثال هذه الروابط ! كما يتضح من التوريات والنكات التى يتبدعها الناس كل يوم لكى يلهوا بها : إن سلطان النكتة لا يعرف حدوداً . ونستطيع أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول : إنه لو قد تعذر إنشاء روابط كافية بين انطباعى النهار لما خرج الأمر عن

(١) [الفصل الأول ، المشهد الخامس ، السطر ١٢٥ - بالإنجليزية فى الأصل .]

أن يحمي الحلم مختلفاً ؛ كان يحمي انطباع آخر مجرد من القيمة — من قبيل ما يعرض لنا زرافات ثم لا نلبث أن ننساه — فيقوم بالنسبة إلى الحلم مقام « المبحث الخاص » ، فيرتبط بمضمون الحادثة وينوب عنها في محتوى الحلم . ولما كان هذا المبحث دون غيره هو الذى قد خص بهذا القدر ، فعنى ذلك أنه كان من غير شك أنسب الانطباعات لهذا الارتباط . ولسنا بحاجة إلى أن نتعجب مع هانشن سلاو — فى [إحدى لُمع] لسنج [المنظومة] — من « أن أغنياء الدنيا وحدهم هم الذين يملكون معظم المال » .

بيد أن العملية النفسية التى بوساطتها تحل الخبرة المجردة من القيمة محل الخبرة ذات القيمة النفسية — على حسب كلامنا — لا يمكن إلا أن تبدو لنا مع ذلك مثار شك وحيرة وسوف نعمل فى فصل قادم [الفصل السادس ، قسم ب ، ص ٣١٧ وما يليها] على تقريب خصائص تلك العملية اللامعتولة مظهرًا من أفهامنا . وأما فى هذا الموضع فلسنا نشغل إلا بتنتيجة تلك العملية التى تدفعنا إلى التسليم بها خبرات لا تحصى ، مطردة الوقوع ، فى تحليل الحلم . بيد أننا نقول الآن : إن العملية تبدو كأن نقلة — أنقول : فى النبذة ^(١) النفسية ؟ — تقع على طول الطريق المؤلف من هاته الحلقات الوسطى ، إلى أن تكتسب الأفكار ذات الشدة الضعيفة أصلاً شحنة الأفكار التى كانت مستثمرة فى الأصل استثماراً شديداً ، وبذلك تتمكن من شق طريقها إلى الشعور ^(٢) . وأمثال هذه النقلات لا تثير عجبنا على الإطلاق حين يتعلق الأمر بكيميات وجدانية أو بوجوه النشاط الحركى عامة : فأن تتحول عانس وحيدة بحبا إلى الحيوانات ، أو أن يصبح الأعزب من المغرمين بجمع الأشياء ، أو أن يذود الجندى بمهجته عن خرقه ملونة ، علمه ، أو أن تطول ضغطة اليد لحظة فتفيض بالعاشق النشوة ، أو أن يفقد مندبل فى « عطيل » فيطلق فقداه غضباً عارواً ، كل أولئك أمثلة على النقل لا نجادل فيها . ولكن أن يتقرر أمر ما يدخل الشعور وما يقبض عنه — أى ما تفكر فيه وما لا تفكر فيه — أن يتقرر ذلك على هذا النحو عينه

(١) [Akzent — ويعنى أيضاً رفع الصوت أو خفضه عند النطق بالمقاطع أو العلامات الدالة على ذلك ، من وترجمناه بالنبذة من " نبر " أى رفع صوته بعد انخفاض . ويستخدم هنا كناية عن الشدة أو الأهمية النفسية من حيث أن الصوت يرتفع فى المقاطع التى يراد إبراز أهميتها .]

(٢) [سوف يرى القارئ كيف يحاول فرويد فى الفصل السابع أن يبنى نظرية فى الحياة النفسية تقوم على فكرة " الطاقة " . ومن شأن فكرة الطاقة أن تجر إلى فكرة الاستثمار أى صرف هذه الطاقة واستخدامها فى الأوجه المختلفة . والأفكار المستثمرة استثماراً شديداً هى إذن تلك التى وضعت أو صرفت فيها كميات كبيرة من الطاقة النفسية ، أو المصحوبة بشحنات نفسية كبيرة .]

ووفقاً لتلك المبادئ الأساسية ذاتها — ذلك ما يلوح لنا حدثاً مرضياً ، ونسميه خطأ في التفكير حيثما وقع في حياة اليقظة . وأستبق الأمور هنا بذكر نتيجة سوف نخلص إليها فيما بعد ، فأقول : إن العملية النفسية التي شاهدناها في النقل الحلمى لا يمكن أن تعد اضطراباً مرضياً ، بيد أنها تختلف مع ذلك من العمليات السوية ، ومن الواجب أن نعتبرها عملية ذات طبيعة أكثر أولية [أنظر الفصل السابع ، القسم هـ .]

ونحن — إذن — نفسر كون محتوى الحلم يلتقط آثار الخبرات الثانوية بأنه مظهر من مظاهر التشويه الحلمى (تشويه بالنقل) ، ونذكر في هذا الصدد أننا قد عرفنا في تشويه الحلم أثراً من آثار الرقابة التي تعمل عملها في منتصف الطريق بين نظامين نفسيين [ص ١٦٨] ولهذا نتوقع أن يكشف لنا تحليل الحلم بانتظام عن مصدر حياة النهار الحقيقى ، ذى القيمة النفسية — ذلك المصدر الذى نقلت الثبرة من ذكره إلى الذكرى المجردة من الوزن . ونحن إذ نتصور الأمور على هذا النحو نرانا نعارض نظرية روبرت [ص ١١١] التي تفقد عندئذ كل جدوى بالنسبة إلينا تمام المعارضة . فالواقعة التي توخى روبرت تعليلها واقعة لا وجود لها ، وتسليمه بها يرجع إلى فهم خاطئ ، إلى إخفاق روبرت في أن يستبدل بالمحتوى الظاهر للحلم معناه الحقيقى . واعتراض آخر يمكننا توجيهه إلى نظرية روبرت : فلو كانت مهمة الحلم الحقيقية هي أن يخلص ذاكرتنا بفعل نفسى خاص من « حثالة » ذكريات النهار ، للزم من ذلك أن يكون النوم أكثر عذاباً وأبلغ مشقة من الحياة النفسية المستيقظة ؛ فمن الواضح أن عدد الذكريات المجردة من القيمة التي كان ينبغي عندئذ حماية الذاكرة منها يفوق الحصر : إن الليل بأكمله ما كان ليكنى الفراغ من مثل هذا الحشد . والأرجح من ذلك كثيراً هو أن نسيان الانطباعات المجردة من الوزن يتم من نفسه دون أن تتدخل قوانا النفسية في ذلك تدخلاً فعالاً .

بيد أننا نشعر مع ذلك بما يحذرنا من أن ننصرف عن أفكار روبرت دون مزيد اعتبار ؛ فما فسرنا بعد تلك الواقعة ، وأعنى بها : أن انطباعات لا منزلة له من انطباعات اليوم — اليوم الأخير على التحديد — يشارك دائماً في محتوى الحلم . فإن العلاقة بين هذا الانطباع وبين مصدره الحقيقى في اللاشعور لا تقوم منذ البدء ، بل هي — كما رأينا — قد لا تتسج إلا من بعد في خلال عمل الحلم ^(١) ، كأنها قد سخرت تسخيراً لتحقيق

(١) [تلك هي المرة الأولى التي يذكر فيها فرويد تلك الفكرة الجوهرية التي يخصص لها الفصل السادس من

هذا الكتاب — وهو أطول فصواه وأهمها جميعاً .]

النقل المستهدف . وعلى ذلك فلا بد أن تمت قوة القاهرة تدفع إلى إنشاء روابط في اتجاه الانطباع الحديث ، المحرود مع ذلك من القيمة ، دون غيره . ولا بد أن هذا الانطباع قد خص بكيف يجعله يصلح لهذا الغرض صلاحية خاصة . فلولاً هذا لكان من السهل كذلك أن تنقل أفكار الحلم شدتها إلى عنصر غير هام مما يدخل في دائرة معانيها هي .

إن الملاحظات الآتية قد تعيننا على توضيح هذه المسألة : إذا حمل النهار في طياته خبرتين جديرتين بأن تستثيرا حلماً - أو أكثر من خبرتين - أدمج الحلم ذكر كليهما في كل واحد : إنه يخضع لدافع قهري يدفعه إلى أن يؤلف منهما وحدة . وها هو ذا مثال على ذلك : دخلت في عصر يوم من أيام الصيف عربة قطار فوجدت بها رجلين أعرفهما دون أن يعرف أحدهما الآخر . وكان أحدهما زميلاً كبير النفوذ وكان الآخر وجهاً من عائلة معروفة كانت تطلب مشورتي الطبية . فعرفت كلا منهما بالآخر ، بيد أنهما ظلا طيلة الرحلة يتبادلان الحديث من خلالي ، بحيث كان على أن أتحدث في مختلف الموضوعات مع أحدهما طوراً ثم مع الآخر طوراً آخر . ورجوت من زميلي أن يزكي شاباً يعرفه كلانا ، كان قد بدأ يزاول مهنته كطبيب في ذلك الحين . فأجاب الزميل بأنه واثق أكبر الثقة من كفاءة هذا الشاب ، بيد أنه يعتقد أن مظهره المتواضع لن يجعل نجاحه وسط العائلات الكبيرة أمراً سهلاً . فأجبته : « وهذا عينه هو الذي يجعله محتاجاً إلى توصية » . ثم استدرت بعد ذلك إلى رفيق الآخر في السفر أستفسره عن صحة عمته - وهي أم إحدى مريضاتي ، وكانت تلزم الفراش إذ ذاك لمرض خطير ألم بها . وفي الليلة التي جاءت في أعقاب تلك الرحلة ، رأيت في الحلم صديق الشاب الذي رجوت تزكيته واقفاً في قاعة أنيقة جمعت كل من أعرف من الأكابر والأغنياء ، وهو يلقي عليهم - ولا شيء ينقصه من مسحة رجل المجتمعات - خطاباً في رثاء السيدة العجوز (التي اعتبر الحلم موتها شيئاً واقعاً) عمه رفيق الثاني في السفر . (وأعترف بأن العلاقة بيني وبين هذه السيدة لم تكن على ما يرام .) وهكذا عرف الحلم مرة أخرى كيف يقيم الروابط بين انطباعي النهار وكيف يؤلف منهما موقفاً واحداً .

ولست أرى بدا من أن أقرر - استناداً إلى خبرات كثيرة من هذا القبيل - أن عمل الحلم يخضع لنوع من القسر يدفعه إلى أن يؤلف من جميع المصادر التي تزود الحلم

بمنهاته وحدة واحدة في الحلم . (١)

وأنظر الآن في تلك المسألة : أمن الحلم في كل مرة أن يكون المصدر الحافز إلى الحلم والذي يقود إليه التحليل حدثاً قريب العهد (وذا أهمية) ، أم أن من الممكن أن تقوم بعمل الحافز إلى الحلم خبرة باطنة ، وأعني بذلك تذكر حدث ذي أهمية نفسية ، أى تفكيراً فيه ؟ إن الجواب الذى نخلص إليه من عدد كبير من التحليلات يؤيد الاحتمال الثانى أقطع التأييد . فالحافز إلى الحلم قد يكون عملية باطنة ، اكتسبت حداثة العهد — إن جاز التعبير — لأن الفكر قد اتجه إليها في خلال النهار . ولقد حان الوقت لكى نجعل الشرائط التى نرى خضوع مصادر الحلم لها .

إن مصدر الحلم قد يكون :

- أ (خبرة حديثة ذات أهمية نفسية تُمَثَّل في الحلم تمثيلاً مباشراً) (٢) ، أو
 - ب (عدة من الخبرات الحديثة الهامة يدمجها الحلم في وحدة) (٣) ، أو
 - ج (خبرة أو أكثر من الخبرات الحديثة الهامة تمثل في محتوى الحلم بذكر خبرة أخرى معاصرة لها لكنها خالية من القيمة) (٤) ، أو
 - د (خبرة باطنة ذات أهمية (ذكرى من الذكريات أو خيطاً فكرياً) تمثل باطراد في الحلم بذكر انطباع حديث لكنه مجرد من الوزن) (٥) .
- ومن هذا نرى أن تفسير الأحلام يحقق ذلك الشرط في جميع الحالات : أن يكون أحد مقومات محتوى الحلم تكراراً لانطباع حديث من اليوم السابق . وهذا الانطباع الذى

(١) إن نزوع عمل الحلم إلى أن يدمج في موقف واحد جميع الأحداث ذات الشأن والتي تقع في وقت واحد ، ظاهرة لاحظها مؤلفون عديدون من قبل ، مثل دولاج (١٨٩١ ، ٤١) ودلبوف الذى يتحدث في هذا الصدد عما يسميه "rapprochement forcé" [التقريب القهري] (ص ٢٣٧) . [هذا وقد كانت تلك الفقرة تنتهى بالجملة الآتية التى أضيفت في طبعة ١٩٠٩ ثم حذفت من جديد بعد سنة ١٩٢٢ : " وسوف نصادف في فصل قادم (عن عمل الحلم) هذا الدافع القاهر إلى الإدماج من حيث هو حالة من حالات تكثيف الحلم . - وهو نوع آخر من العمليات الأولية . "]

(٢) كما في حلم حقنة إرميا وحلم عمى ذى اللحية الصفراء .

(٣) كما في حلم خطبة الرثاء التى يلقيها الطبيب الشاب .

(٤) كما في حلم المبحث النباقي .

(٥) معظم أحلام مرضاى في خلال العلاج تنتمى إلى هذا النوع .

يتحتم تمثيله في الحلم إما أن يكون داخلاً في دائرة الأفكار التي ينتمى إليها الحافز الحقيقي إلى الحلم — سواء كجزء جوهري منها أم كجزء غير هام — وإما أن يكون قد أخذ من مجال انطباع لا قيمة له ربطت بينه وبين الأفكار المحيطة بالحافز إلى الحلم حلقات يزيد عددها أو ينقص . والكثرة الظاهرة في هذه الشروط إنما تتوقف في الحقيقة على هذين الاحتمالين : أن يحدث النقل أو ألا يحدث ، وحرى بنا أن نلاحظ كيف يمكننا هذان الاحتمالان من تحليل كل درجات التباين بين مختلف الأحلام ، بمثل السهولة التي كان كان يتيحها للنظرية الطبية فرض الخلايا الحية المتدرجة من اليقظة الجزئية حتى اليقظة التامة (أنظر ص ١٠٩) .

ونلاحظ بعد ذلك فيما يتصل بهذه الحالات الأربع الممكنة أن عنصراً حديثاً لكنه خال من القيمة قد يستبدل من أجل تكوين الحلم بعنصر نفسى ذى قيمة لكنه غير حديث (سلسلة الأفكار أو الذكرى) وذلك على أن يتوافر الشرطان الآتيان : (أ) أن يكون محتوى الحلم على رباط يربطه بخبره حديثه العهد ، (ب) أن يظل الحافز إلى الحلم عملية نفسية ذات قيمة . ولا يجتمع هذان الشرطان في ذات الانطباع إلا في حالة واحدة ، هي (أ) . فإذا لاحظنا — فوق ذلك — أن الانطباعات المجردة من المترلة والتي يمكن استخدامها في تكوين الحلم طالما ظلت على حداثتها — تفقد هذه الصلاحية إذا ما انقضت عليها يوم واحد (أو بضعة أيام على الأكثر) ، لم يكن بد من أن نخلص إلى أن حداثة الانطباع في ذاتها تخلع عليه نوعاً من القيمة النفسية تعدل بوجه من الوجوه القيمة التي للذكريات أو للسلسلات الفكرية ذات النبرة الوجدانية . وأما الأساس الذى نهض عليه هذه القيمة التي تملكها الانطباعات الحديثة فيما يتصل بتكوين الحلم فلن يتضح لنا إلا في سياق مناقشاتنا السيكلوجية التالية^(١) .

هذا ولقد يتجه اهتمامنا بهذه المناسبة إلى تلك الظاهرة ، وهي : أن مادتنا الذكورية والفكرية قد تصبحها تغييرات تقع في خلال الليل دون أن يلحظها الشعور . فن البين أن النصيحة التي تسدى إلينا بإسلام أنفسنا للنوم ليلة قبل أن نتخذ قراراً أخيراً في صدد أمر ما هي نصيحة لها ما يبررها . ولكننا ننتقل هنا من سيكلوجية الأحلام إلى سيكلوجية

(١) أنظر ما ورد عن " التحويل " في الفصل السابع [ص ٥٥١ وما بعدها] .

النوم ، ولن تكون هذه هي المناسبة الأخيرة التي نغرى فيها بهذا الانتقال (١) .
غير أن ثمت اعتراضاً يهدد بدفع نتائجنا الأخيرة . ذلك أنه إذا كانت الانطباعات
المجردة من المتزلة لا تشق طريقها إلى الحلم إلا ما دامت على حداتها ، فكيف يتفق
أن يشتمل محتوى الأحلام كذلك على عناصر مستمدة من فترة سابقة من فترات الحياة ،
لم تكن لها - على حسب كلمات شرومبل - أية قيمة نفسية حتى في إبان حداثة
عهدنا ، وكان الواجب - من ثم - أن يعف عليها النسيان منذ زمن بعيد ، أى عناصر
لا هي بالطازجة ولا هي بذات أهمية نفسية ؟

إن في إمكاننا أن نفرغ من هذا الاعتراض فروغاً تاماً إذا استعنا بمكتشفات التحليل
النفسى للعصابيين . والحل الذى تلقاه المشكلة عندئذ هو هذا : إن النقل الذى يبدل
بالمادة ذات الأهمية السيكلوجية مادة أخرى لا قيمة لها (فى الحلم كما فى التفكير على
السواء) قد وقع فعلاً فى تلك الحالات فى هاته الفترة السابقة من فترات الحياة ، ثم نبت
من بعد ذلك فى الذاكرة . فالانطباعات التى كانت مجردة من القيمة فى مبدأ الأمر
لم تعد كذلك منذ أن اكتسبت بوساطة النقل قيمة المادة ذات الأهمية النفسية . وما بقى
بغير أهمية حقيقة لا يمكن استحضاره فى الحلم بعد ذلك أبداً .

ومن المناقشات المتقدمة يستخلص القارئ بحق أننى أذهب إلى أنه لا وجود لحافز
مجرد من القيمة ولا وجود - من ثم - لأحلام بريئة . وذلك هو ما أعنيه بكل صراحة ومن
غير قيد - هذا إذا تركنا جانبا أحلام الأطفال وربما بعض الاستجابات الحلمية

(١) لقد قام بوتسل بعمل هام فى تبيان النصيب الذى يرجع إلى الانطباعات الحديثة العهد فى
تكوين الحلم ، وذلك فى مقال ترى فى متضمناته (١٩١٧) . فقد قام بوتسل بتجارب كان يطلب فيها إلى عدد
من الأشخاص أن يرسموا ما قد لاحظوه ملاحظة شعورية من صورة تعرض على أبصارهم بوساطة التاخيستوسكوب
[جهاز يستخدم لعرض الصورة فى فترة وجيزة جداً من الزمن] . ثم يعد ذلك كان يتجه باهتمامه إلى أحلامهم التى
يحلمون بها فى خلال الليلة التالية ويطلب منهم مرة أخرى أن يقوموا برسم أجزاء مناسبة منها . وحيتئذ كان يتبين
بما لا يقبل الشك أن التفاصيل التى لم يلاحظها هؤلاء الأشخاص ملاحظة شعورية من الصور المعروضة عليهم هى
التي كانت توفر مادة أحلامهم على التحقيق ، على حين لم تكن تتكرر فى المحتوى الظاهر للحلم تلك التفاصيل التى
أدركت إدراكاً شعورياً وبجملته بالرسم بعد أن عرضت الصورة . وكانت المادة التى يقتبسها عمل الحلم تعدل بوساطته
على طريقته " التحكية " المألوفة (أو ، على الأصح ، " الأوتوقراطية ") تعديلاً يسخرها لأغراض تكوين
الحلم . وإن المشكلات التى تثيرها تجارب بوتسل لتعدو كثيراً نطاق تفسير الحلم كما نعالجه فى هذا الكتاب . ومع
هذا ينبغي علينا أن نشير بكلمة عابرة إلى مدى الفرق بين هذا المنهج الجديد فى دراسة تكوين الأحلام بالتجريب
وبين الطريقة القديمة الفجة التى كانت تتلخص فى أن تدخل على محتوى الحلم منبهات مزعجة للنوم .

القصيرة إلى أحاسيس يستشعرها المرء في خلال الليل . وأما فيما خلا ذلك فما نحلم به إما أن يكون ذا قيمة نفسية سافرة ، وإما أنه قد شوه فلا نعود نملك الحكم عليه حتى نفسره ، وحينئذ يكتشف مرة أخرى أنه ذو قيمة . فالحلم لا يشغل أبداً بالتوافه ، ولسنا ندع نومنا تزعجه الصغائر ^(١) . والأحلام البريئة مظهراً لا يلبث أن يتبين مكرها إذا تعشم المرء عناء تحليلها . وإذا جاز لي أن أبدأ إلى هذا التعبير الجارى ، قلت : إنها ترينا « تحت التبن ماء » . ولما كانت هذه مسألة أتوقع المناقضة في صدها ، وكنت أرحب بكل فرصة تتيج لي أن أفصح تشويه الحلم وهو يعمل عمله — فقد انتخبت من مجموعتي عدداً من الأحلام البريئة ، لكي أقوم بتحليلها .

١

روت شابة ذكية ، مثقفة ، لكنها من أولئك الذين يسود التحفظ مسلكتهم ، الذين يشبهون : « الماء الساكن » ^(٢) — روت ما يلي : حلت أنى وصلت إلى السوق بعد فوات الوقت ، فلم أستطع أن أخرج بشئ ، لا من الجزار ولا من بائنة الخضر . حلم برئ من غير شك ، لكن الأحلام لا تكون بهذه البساطة ، فأسأله أن يزيد تفصيلاً ، فتدلى إلى بالرواية الآتية تذهب إلى السوق ومعها طاهيا وهو يحمل السلة . تسأل الجزار شيئاً ما ، فيقول لها : « لم يعد ذاك في الإمكان » ويعرض عليها شيئاً آخر بدله قائلاً : « هذا أيضاً لا بأس به » . تعرض عنه وتذهب إلى بائنة الخضر ، وتريد هذه أن تبينها نوعاً غريباً من الخضر ربط حزماً ، لكنه كان أسود اللون . تقول الحاملة : « لا أعرف ذاك ، لا أخذه . »

إن الحلم صريح الصلة باليوم السابق . فهى — حقيقة — قد ذهبت متأخرة إلى السوق ،

(١) يقول هافلوك إليس — وهو من أرق نقاد « تفسير الأحلام » — : « وهذا هو الموضع الذى لا يستطيع الكثيرون منا أن يتابعوا فرويد بعده . » (١٩١١ ، ١٦٩) . بيد أن هافلوك إليس لم يقيم قط بتحليل أى حلم من الأحلام ، وهو لا يريد أن يصدق كيف يكون من الجور أن يقيم المرء حكمه على محتوى الحلم الظاهر .

(٢) [وهم الذين لا يظهرون شيئاً مما بهم ، وبهم مع ذلك الشئ الكثير ، كالماء الساكن لا تظهر حركة على سطحه وهو مع ذلك بميد الغور .]

فخرجت منه خالية الوفاض : كان دكان الجزار مغلقاً — هذا هو ما يتبادر إلى الذهن كوصف لما حدث . ولكن مهلاً ! أليس ذلك — أو على الأصح ضده — تعبيراً سوقياً يشير إلى نوع بعينه من الإهمال قد يأتيه الرجل في ملبسه ؟^(١) أيا كان الأمر فإن الحاملة لم تستخدم هذه العبارة ، ولعلها تجنب استخدامها . فلنعمل — إذن — على أن نفسر تفاصيل هذا الحلم .

إن كل ما يحمل في الحلم صفة الكلام الصريح ، أى كل ما يقال أو يسمع ولا يقف الأمر عند مجرد التفكير فيه (والفرقة ممكنة في معظم الأحيان عن يقين) فهو مستمد من كلام قيل فعلاً في الحياة المستيقظة — وإن كان من المفروغ منه أن هذا الكلام إنما يعالج معالجة المادة الخام ، فيقتطع ، ويعدل بعض التعديل ، ويتترع من محيطه بنوع أخص^(٢) . ولنا حين نفسر حلماً أن نبدأ بأمثال هذه العبارات المنطوقة ؛ فما هو — إذن — مصدر كلمة الجزار : إن نيل ذلك لم يعد في الإمكان ؟ أنا المصدر ؛ فقد ذكرت لها منذ أيام قلائل أن أقدم خبرات الطفولة لم يعد في الإمكان نيلها من حيث هي كذلك ، بل تحل محلها في التحليل «التحويلات» والأحلام . وهكذا أكون أنا الجزار ، وهى ترفض هذا التحويل إلى الحاضر للأساليب القديمة في التفكير والإحساس . وما مصدر قولها في الحلم : لا أعرف ذلك ، لا آخذه ؟ ذلك ما يقتضى التحليل تجزئته . إن «لا أعرف ذلك» كلام قالته هى في اليوم السابق لطاهاها إذ احتدم النقاش بينه وبينها . بيد أنها قد أردفت إذ ذاك قائلة : الزم حدودك ! ومن البين أن نقلا قد وقع في هذا الموضع ؛ فهى لم تدرج في حلمها من الحملتين اللتين وجهتهما إلى طبائخها سوى الحملة التى لا خطر منها ، لكن الحملة المقموعة وحدها : «الزم حدودك» هى التى تتلاءم وبقيّة محتوى الحلم ، إنها الحملة التى يجوز توجيهها إلى رجل خرج عن اللياقة ونسى «دكان جزارته مفتوحاً» . وأما أننا قد وقفنا حقيقة إلى الأثر الصحيح بتفسيرنا هذا فذاك ما يثبت بعدئذ من التجاوب بين هذا التفسير وبين التلميحات

(١) [« دكان الجزار مفتوح » تعبير دارج في فنيينا معناه : « أضرار البنطلون مفكوكه . »]

(٢) انظر ماسوف ييجي بمصدر الكلام في الأحلام في الفصل الخامس بعمل الحلم [القسم و ص ١٩ وما بعدها] . وليس هناك سوى كاتب واحد يبدو أنه عرف مصدر العبارات المنطوقة في الحلم ، وأعنى به دلبوف الذى يشبه هذه العبارات بال clichés .

الكامنة وراء قصة بائعة الخضر . فصنف الخضر الذى يباع فى حزم (وحزم مستطيلة ، كما أضافت الحاملة من بعد ، وهو إلى ذلك أسود اللون — هذا الصنف ما عساه أن يكون إلا مزيجاً حليماً من الهليون والفجل الأسود ؟ وأما الهليون فلا أظننى بحاجة إلى تفسيره لعارف أو عارفة^(١) . وأما الصنف الآخر من الخضر — وانظر كيف يتحول [اسمه : Schwarzer rettich ، أى الفجل الأسود] إلى تلك الصيغة : [اهرب ، يا أسود !]^(٢) — فيبدأ إلى أنه يشير كذلك إلى ذات الناحية الجنسية التى خمنها منذ البدأ حين استشعرنا الميل إلى أن ندرج فى رواية الحلم جملة : كان دكان الحزاز مغلّقاً . ولسنا بحاجة إلى أن نعرف معنى هذا الحلم معرفة كاملة ؛ فالشئ الثابت هو هذا : أن للحلم معنى ومعنى بعيداً عن البراءة^(٣) .

٢

وها هو ذا حلم آخر برىء لهذه المريضة ، وهو بمعنى ما بمثابة الكفة الأخرى للميزان بالنسبة إلى الحلم الأول : يسألها زوجها : ألا ينبغي علينا أن نضبط أصوات هذا المعزف فتجيبه قائلة : إن الأمر لا يستحق العناية ، فالمطارق محتاجة إلى أن تتركب مع الأوتار الصحيحة على أية حال . هذا أيضاً تكرر لحدث حقيقى من أحداث اليوم السابق ؛ فقد سألتها زوجها هذا السؤال وأجابته بمثل هذا الجواب . فما معنى حلمها به ؟ . إنها تقول عن المعزف : إنه قفص يبعث على الاشتزاز ، منكر الصوت ، شئ كان يملكه زوجها

(١) [« نبات ذو قضبان رخصة بها لبن » — عن « أقرب الموارد » .]

(٢) [لاحظ الجناس . وأما كيف يؤيد هذا الجناس الإشارة الجنسية التى يراها فرويد فى اسم هذا النبات فأمر غير بين . ويرجح سترائى بهذه المناسبة أن فرويد ربما كان يتحدث هنا وهو يذكر لفرزاً من الألفاظ المصورة التى كانت دائمة أكبر الذبوع فى مجلات ذلك العصر الهزلية وبخاصة مجلة : *Fliegende Blätter* أو " الصحائف الطائرة " . وسوف يرد ذكر هذه المجلة وذكر ألفاظها المصورة فى مواضع شتى من هذا الكتاب .]

(٣) أقول لمن أراد العلم أن هذا الحلم يخفى وراءه تخيلاً مداره أنى أسلك مسلكاً منافياً للأدب ، منطوياً على استفزاز جنسى ، وأنها تصد هذا المسلك من جاذبى . فإن بدا هذا التفسير شيئاً بعيداً عن التصديق ، ذكرت القارىء بالحالات التى يرى فيها الأطباء أنفسهم هدفاً لاتهامات من هذا القبيل من جانب نساء هستريات لم يظهر هذا التحليل عندهن مشوهاً فى صورة حلم ، بل يظهر ظهوراً شعورياً سافراً فى صورة هذائية — [١٩٠٩ :] وقد كانت الحاملة فى يده تحليلها حين أتاها هذا الحلم ، ولم أعلم إلا فيما بعد أنها إنما كانت تكرر بهذا الحلم الصدمة الأولى التى كانت منشأ عصانها . ومنذ ذلك الحين وأنا ألحظ هذا المسلك عينه من جانب أشخاص كانوا فى طفولتهم ضحايا لمثل هذه المحاولات الجنسية ثم صاروا الآن كأنهم يلتصقون تكرارها فى أحلامهم .

من قبل الزواج^(١) ، الخ . بيد أن مفتاح الحل إنما يكمن في قولها : إن ذلك لا يستحق العناء . فهي قد استمدت هذه الكلمات من زيارة قامت بها في اليوم السابق لإحدى صديقاتها ، ودعتها الصديقة إلى أن تترع سترتها ولكنها أبت قائلة : شكرًا ، ولكن الأمر لا يستحق العناء ؛ فأنا ذاهبة بعد قليل . وبينما كانت تقص على ذلك تذكرت أنها في خلال جلسة التحليل بالأمس قد أمسكت بسترها فجاءة ؛ فقد انفك أحد ازارها . وهكذا تكون كمن أرادت أن تقول : أرجو ألا تلتفت ، إن الأمر لا يستحق العناء . وبذا يكتمل القفص فيصبح : القفص الصدري ، ويعود بنا تفسير الحلم دفعة واحدة إلى زمن نضجها الجسمي في خلال المراهقة ، حين بدأت تشعر بقله رضاها عن هيئة جسمها . بل إنه ليقودنا إلى أزمنة تسبق ذلك كثيراً إذا اعتبرنا « يبعث على الاشتزاز » و « منكر الصوت » ، وإذا تذكرنا في هذا الصدد كيف يكثر في التلميح وفي الحلم أن يحل نصفاً الكرة الأصغر من جسم المرأة محل النصفين الأكبرين - على سبيل التقابل أو التبديل .

٣

وأقطع هنا هذه السلسلة من أحلام تلك المريضة بإيراد حلم قصير ، برىء ، أنه شاب في مستقبل العمر : فقد رأى أنه يرتدى معطفه الشتوي من جديد ، وكان ذلك شيئاً مروعاً . إن السبب الظاهر لهذا الحلم هو هجوم البرد هجوماً مفاجئاً . بيد أننا نلاحظ إذا أنعمنا النظر أن الخزيين القصيرين اللذين تركب منهما هذا الحلم لا يستقيمان كلا والآخر : إذ ما هو « المروع » في ارتدائك في البرد معطفاً ثقيلًا أو سميكا ؟ إن من سوء حظ براءة هذا الحلم أن أول ما يحضر ذاكرة الحالم في أثناء التحليل هو أن سيدة قد أسرت إليه البارحة بأن الفضل في حياة ولدها الأخير يرجع إلى تمزق الحجاب المانع للنسل . فقد أجرى الحالم أفكاره بما يتفق وما سمع : الحجاب الرقيق خطر ، لكن السميكة ردىء . ولقد تمثل الحجاب بحق في صورة « المعطف » ؛ فكلاهما يُعْتَطَفُ . ولا شك في أن حادثة من قبيل ما أفضت به السيدة قد كانت تكون شيئاً « مروعاً » بالنسبة إلى رجل أعزب . ولكن لنعد الآن إلى حاملتنا البريئة .

(١) وهو ما ينطوي على إبدال للصد بالصد كما سيتضح من تفسير الحلم .

إنها تضع شمعاً في الشمعدان ، ولكن الشمعة تنكسر فلا تنتصب كما ينبغي . وتقول رفيقاتها في المدرسة : إنها غير حاذقة . بيد أن المدرسة تقول : إن الذنب ليس ذنبها .

إن لهذا الحلم أيضاً مناسبة من الحقيقة . فهي — حقيقة — قد وضعت البارحة شمعة بالشمعدان ، إلا أن هذه الشمعة لم تنكسر . وقد لجأت الحاملة إلى رمز شفاف : فالشمعة موضوع يهيج أعضاء المرأة الجنسية ، وانكسارها بحيث لا تنتصب كما ينبغي يعنى عجز الرجل الجنسي (« إن الذنب ليس ذنبها ») . ولكن أتعرف السيدة الشابة هذا الاستعمال للشمعة ، وهي التي نشئت تنشئة ملؤها العناية وظلت بمنأى عن كل قبيح ؟ لقد اتفق أنها كانت قادرة على أن تبين كيف بلغ ذلك علمها : فهي كانت تركب نهر الراين يوماً حين مر بهم قارب علته جماعة من الطلبة استخفهم الطرب فرفعوا عقائدهم بأغنية ينشدونها — أو بالأحرى تصايحوا بها — هي : « عندما تقف ملكة السويد ، خلف مصراع النافذة المغلق ، وهي بشموع أبوللو . . . » ^(١)

إن السيدة لم تسمع الكلمة الأخيرة [المحذوفة] أو سمعتها فلم تفهمها . ولا بد أن زوجها قد أدلى إليها بالإيضاح المنشود . وقد استبدلت بهذه الأبيات في محتوى الحلم ذكرى بريئة تتعلق بعمل كلفت به المريضة وهي لا تزال بالمدرسة فلم تحذف أدائه ؛ لأن مصراع النافذة كان مغلقاً — وهو العامل المشترك الذي يسر التبديل . وأما العلاقة بين فكرتي الاستمناء والعجز الجنسي فواضحة بما فيه الكفاية . و « أبوللو » المتضمن في المحتوى الكامن لهذا الحلم كان حلقة وصل بينه وبين حلم سابق تمثلت فيه [الآلهة] بالاس العذرية . كل هذا بعيد في الحقيقة عن البراءة .

•

ولكى لا نخال أن الاستدلال بالحلم على الحياة الحقيقية للحالم أمر جم السهولة ،

(١) [أبيات من أغنية معروفة من أغاني الطلبة . "وشموع أبوللو" اسم لنوع من الشموع . وأما الكلمة المحذوفة فهي onaniert أى "تستنى" .]

أضيف حلماً آخر - ظاهره البراءة أيضاً - من أحلام تلك السيدة . قالت : لقد حلمت بشيء صنعتته بالأمس حقيقة ؛ فقد رأيت أنني أملك خزانة صغيرة بالكتب حتى تعذر على إغلاقها ، وكان ما حلمت به هو الذي قد حدث حقيقة . في هذا المثال ينصب معظم إلحاح الحاملة نفسها على الاتفاق الذي بين الحلم والحقيقة . وإن كل ما يعن في صدد الحلم من أمثال هذه الأحكام والملاحظات - وإن حلت في الفكر المستيقظ - إنما يكون دائماً ، في الحقيقة ، جزءاً من محتوى الحلم الكامن - كما سوف تؤيده الأمثلة فيما بعد [ص ٤٤٥] . والذي تحدثنا به الحاملة - إذن - هو أن الحدث الذي يصفه الحلم قد وقع حقيقة بالأمس . وإن المطاف ليبعد بنا كثيراً لو أردنا أن نروى كيف خطر لنا أن نستعين باللغة الإنجليزية في تفسير هذا الحلم . يكفي أن نقول : إن الأمر يلور من جديد حول box صغير (أنظر حلم الطفل الميت في الصندوق ، في ص ١٧٨) ، امتلاً حتى تعذر أن يدخله بعد ذلك شيء . وما من شائنة - إذن - في هذه المرة على الأقل .

ومن البين في جميع هذه الأحلام « البريئة » أن العامل الجنسي هو الدافع إلى الرقابة بيد أن ذلك موضوع ذو أهمية رئيسة يجب أن ندعه جانباً .

ب

مادة الطفولة

من حيث هي مصدر من مصادر

الحلم

قلنا - متفقين في ذلك مع كافة المؤلفين إلا روبرت - : إن ثلاثة الخصائص التي تميز محتوى الحلم هي أن الحلم قد تظهر فيه انطباعات ترجع إلى حياة الطفولة الأولى ، انطباعات تبدو بعيدة عن تناول الذاكرة في اللحظة . ومن الصعب بطبيعة الحال أن نقرر (١٤)

إلى أى حد يندر ورودها أو يكثر ؛ ما دمنا لا نعرف بعد اليقظة مصدر عناصر الحلم . فالبرهان على أن الأمر يتعلق فى هذا الحلم أو ذاك بانطباع مستمد من الطفولة يجب أن يؤسس على شهادة موضوعية ، وهو أمر لا تتيحه القرص إلا نادراً . ومن الأمثلة الفريدة الدلالة على ذلك قصة مورى [المذكورة فيما سبق ، ص ٥٦] عن الرجل الذى اعترم أن يزور مسقط رأسه بعد غيبة دامت ما ينيف على العشرين عاماً : فقد حلم الرجل فى الليلة السابقة على الرحيل بأنه فى مكان لا عهد له به على الإطلاق وأنه يلتقى فى الطريق هناك برجل لا يعرفه ويتحدث إليه ، فلما عاد إلى وطنه تاح له أن يقتنع بأن المكان المجهول موجود حقيقة على مقربة من بلده ، وأما رجل الحلم الغريب فصديق من أصدقاء والده المتوفى لم يكن لا يزال على قيد الحياة بذاك المكان . وذلك من غير شك دليل على أنه قد رأى فى طفولته كلا الرجل والمكان . والحلم بعد ذلك حلم ينبغى إدراجه بين أحلام الصبر النافذ ، كحلم الفتاة التى كانت تحمل تذكرة الحفل الموسيقى فى جيبها [ص ١٧٦] ، أو حلم الطفلة التى وعدّها أبوها برحلة إلى الضيعة [ص ١٥٥] ، إلى آخر ذلك . فأما الدوافع التى جعلت الحالم لا يستحضر من طفولته إلا تلك الانطباعات دون غيرها — فأمر لا يتبين بالطبع من غير تحليل .

وأخبرنى أحد المستمعين إلى محاضراتى — وكان يفخر بأن أحلامه قلما يصحبها التشويه — بأنه قد حلم منذ زمن غير بعيد بأنه يرى مدرسه الخاص القديم راقداً فى سرير واحد مع المربية التى ظلت بمنزلة تحت الحادية عشرة من عمره . وحضره فى الحلم أيضاً مكان ذلك المشهد . وأثار كل هذا فى نفسه فضولاً شديداً ، فقص الحلم على أخيه الأكبر الذى أكد له ضاحكاً صدق الحلم ؛ فهو — أعنى الأخ الأكبر — يذكر ذلك تمام الذكرى ، فقد كان عمره ، إذ ذاك ستة أعوام : كان من دأب العاشقين أن يسكرا الأخ الأكبر بالجمعة كلما هيات لهما القرصة أن يجتمعا ليلاً ، وأما الأخ الأصغر — حاملنا الذى كان يبلغ إذ ذاك الثلاثة أعوام وكان ينام مع المربية فى غرفة واحدة — فلم يكن يعد خطراً .

وثمت حالات أخرى يسهل علينا فيها أن نقطع باحتواء الحلم على عناصر مستمدة من حياة الطفولة دون استعانة بتفسير الأحلام . وذلك إذا كان الحلم مما يسمى بالأحلام المتكررة عن قدم ، أى إذا كان حلماً يأتى صاحبه للمرة الأولى وهو ما زال طفلاً ثم

يعاوده بعد ذلك فى الرشد من حين إلى حين . وأستطيع أن أضيف إلى الأمثلة المعروفة على هذا النوع من الأحلام أحلاماً قليلة جمعتها ، وإن لم أكن قد وقع لى قط حلم متكرر من هذا القبيل : فقد قص على طبيب فى العقد الرابع من عمره أن أسداً أصفر اللون كان يترأى له كثيراً فى أحلامه منذ عهد طفولته إلى يومنا هذا ، وكان فى استطاعته أن يصفه أدق الوصف . ثم جاء يوم فإذا هو يكتشف هذا الأسد الذى عرفه من حلمه متجسماً فى صورة لعبة من الخرف عفى عليها الدهر . وحينئذ علم الشاب من أمه أن هذا الأسد كان لعبته المفضلة فى طفولته ، وإن لم يعد يذكر شيئاً من ذلك .

وإذا تركنا المحتوى الظاهر للحلم إلى أفكاره الكامنة التى لا تنال بغير التحليل ، أدهشنا أن نرى أثر خبرات الطفولة فى أحلام ما كان محتواها ليدعونا قط إلى مثل هذا الظن . وأدين لزميلى المبجل ، صاحب « الأسد الأصفر » ، بمثال على ذلك فريد فى لطفه ودلالته النظرية . فقد أتاه — بعد أن قرأ وصف نانزنس لرحلته القطبية — حلم رأى فيه أنه فى حقل من الجليد يعالج هذا المستكشف المقدام علاجاً كهربائياً لنوبة ألمت به من مرض عرق النساء ! وبينما كنا نحلل الحلم تذكر قصة من طفولته لولائها لظل الحلم مستغلقاً على الفهم كل الاستغلاق : ذلك أنه — وهو طفل فى الثالثة أو الرابعة — كان يصغى يوماً إلى حديث دار بين من يكبرونه حول رحلات الاستكشاف حين سأل والده : أذلك مرض خطير ؟ وكان جلياً أنه قد خلط كلمة « رايزن » [رحلات] بكلمة « رايسن » [تشنجات] ، وتكفلت سخرية إخوته وأخواته بالألا تتلقى تلك الخبرة المخزية إلى النسيان .

وإننا لمرانا لإزاء مثال شبيه بذلك كل الشبه حين أعثر وأنا أحلل حلم المبحث الخاص بفصيلة السيكلامين على إحدى ذكريات طفولتى : ذكرى والدى حين جعلنى — وأنا فى الخامسة — أمزق كتاباً زين بلوحات ملونة . وقد نتشكك فى أن تكون تلك الذكرى قد أخذت حقيقة بنصيب ما فى تشكيل محتوى ذلك الحلم ، ونرجح أن يكون التحليل هو الذى أوجد هذه العلاقة من بعد . ولكن غزارة الروابط الاستدعائية وتشابكها يضمنان صحة وجهة النظر الأولى : السيكلامين — الزهرة المفضلة — الطبق المفضل — الخرشوف ، تمزيق كتزيق الخرشوف ورقة فورقة (وهى جملة كانت تطرق أسماعنا كل يوم بمناسبة تمزيق الامبراطورية الصينية) ، المعشب — دودة الكتب التى تجد فى الكتب

غذاءها المفضل . ثم إنى أستطيع أن أؤكد للقارئ أن المغزى الأخير لذلك الحلم — وهو مالم أفض به ههنا — كان متصلاً أوثق الاتصال بمضمون ذلك المشهد الطفلى .

ويرينا التحليل فى طائفة أخرى من الأحلام أن الرغبة التى أثارت الحلم فعلاً ،
والتي صور الحلم تحقيقها — قد تفرعت عن حياة الطفولة ، حتى أن المرء يدهش إذ
يرى الطفل باندفاعاته وهو ما زال حياً فى الحلم !

وفى هذا الموضع أستأنف تفسير حلم سبق أن خرجنا منه بجديد ، وأعنى به حلم :
صديقى ر . هو عمى [ص ١٦٢ وما يليها] . لقد مضينا فى تفسيره إلى أن تبين لنا
فى جلاء أن الرغبة فى أن أرقى إلى منصب الأستاذية كانت لإحدى الرغبات الدافعة إليه ،
وعللنا الحنان الظاهر فى الحلم تجاه صديقى ر . بأنه كان نتاجاً أملتته معارضتى
ومدافعتى للمطاعن الموجهة فى أفكار الحلم نحو زميلى . ولقد كان الحلم حلمى ، ولى
— إذن — أن أتابع تحليله بأن أقول : إننى وقد انتهيت من حله إلى هذا المدى لم أشعر
بالرضا بما انتهيت إليه . فقد كنت أعلم أن حكمى المستيقظ على التزميلين اللذين أسأت
إليهما فى الحلم كل هذه الإساءة كان حكماً مختلفاً كل الاختلاف ، وكان سلطان
الرغبة فى ألا أشاركهما مصيرهما فيما يتصل بمسألة الترقية يدولى أضعف من أن يفسر
هذا التناقض بين التقديرين : تقدير اليقظة وتقدير الحلم . فلو أن احتياجى إلى أن ألقب
بلقب مختلف كان شديداً إلى هذا الحد ، لكان ذلك دليلاً على طموح مرضى لا أعهده
فى نفسى وأعتقد أنه بعيد عنى . ولست أدرى ما هو حكم الغير ، ممن يعتقدون معرفتى ،
فى هذا الصدد . ربما كنت طموحاً حقيقة . ولكن إذا كان الأمر كذلك ، فهذا الطموح
قد انصرف منذ أمد بعيد إلى موضوعات أخرى غير لقب الأستاذ المساعد أو منصبه .

من أين — إذن — أتى الطموح الذى ألهمنى هذا الحلم ؟ هنا تحضرنى قصة كثيراً
ما سمعتها تحكى فى طفولتى : ذلك أنه اتفق حين ولدت أن تنبأت فلاحه عجوز لأخى
السعيدة بوليدها الأول بأنها قد أتت إلى الدنيا بـرجل عظيم . ولا شك أن أمثال هذه النبوءات
شئء كثير الوقوع : فكفى فى الدنيا من أمهات آمالات وكم فيها من عجائز فلاحات — أو
غير فلاحات — ممن هجرتهن قواهن الدنيوية فتحولن جهة الغيب ! ثم إن المتنبئة لن
تضيرها النبوءة . أليكون ذلك هو النبع الذى منه كان ظمئى إلى العظمة ؟ ولكنى أذكر

هنا انطباعاً آخر يرجع إلى ما أعقب من سنوات حدائتي ، انطباعاً يزودنا بتعليل أفضل :
 فقد حدث ذات مساء في مطعم في [حديقة] براتر اعتاد والدائ أن يصطحباني إليه
 وأنا غلام في الحادية أو الثانية عشرة من عمري أن جذب انتباهنا رجل كان ينتقل من
 مائدة إلى أخرى مرتجلاً لقاء هبة صغيرة أبياتاً من الشعر في أي موضوع يعرض عليه .
 وأُرسِلت في طلب الشاعر إلى مائدتنا ، فأبدى شكره للرسول ، وقبل أن يسألنا أي موضوع
 اخترنا ألتي ببضعة أبيات غني ، ثم أعلن في غمرة الإلهام أنني على الأرجح صائر في
 يوم من الأيام « وزيراً » . وما زلت أذكر أحسن الذكرى أي انطباع أحدثته هذه النبوءة
 الثانية في نفسي . لقد كانت تلك أيام وزارة الطبقة المتوسطة ^(١) ، وكان والدی قد أحضر إلى
 المنزل منذ قريب صور أولئك الأقطاب البورجوازيين : هربست وجيسكرا وأونجر وبرجر
 وغيرهم ، وكنا قد أشعلنا الأنوار تكريماً لهؤلاء السادة . بل لقد بلغ من الأمر أن كان
 بينهم يهود ؛ فكان يهياً لكل غلام يهودي مجتهد أنه يحمل كرسي الوزارة في حقيبته المدرسية .
 ولا بد أن الانطباع الذي تخلف في نفسي من ذلك العهد قد كان له أثره في أنني بقيت
 إلى ما قبل التحاق بالجامعة بزمان قصير وأنا أنوي أن أدرس القانون ، ولم أعد إلا في
 اللحظة الأخيرة . ومن اشتغل بالطب صدت دونه أبواب الحياة الوزارية من غير رجعة .
 ونعود الآن إلى حلمي : إنني ألحظ للمرة الأولى أنه ينتقل بي من الحاضر الحزن إلى أيام
 الوزارة البورجوازية المليئة بالآمال المرحية ، وأنه يبذل ما وسعه من أجل أن يحقق ما كنت
 أرغب فيه إذ ذاك : فأنا إذ أسىء إلى زميلي العالمين الجليلين إلى هذا المدى لأنهما يهوديان ،
 وإذ أعد أحدهما أبله وأعد الآخر مجزماً — أسلك كأني كنت الوزير : لقد وضعت نفسي
 في موضعه . ياله من انتقام حاسم من صاحب المعالي ! إنه يرفض ترقيتي أستاذاً مساعداً ،
 وأنا أرد له الكيل بأن أضع نفسي مكانه .

وأمكنني أن ألحظ في حالة أخرى أن الرغبة التي تثير الحلم — وإن تكن رغبة حاضرة —
 قد لقيت مع ذلك تعزيزاً قوياً من ذكريات امتدت جذورها بعيداً في الطفولة . وأنا
 أفكر هنا في طائفة من الأحلام كان أساسها الحنين إلى زيارة روما . ولسوف أمكث
 زمناً طويلاً وأنا مكره على أن أرضى هذا الشوق بوساطة الأحلام ؛ ففي هذا الفصل من

(١) [Burgerministerium] — وزارة كانت لها آراء من قبيل الآراء المتوارثة عن أحزاب الأحرار ،

انتخب بعد وضع الدستور النمساوي الجديد عام ١٨٦٧ .

العام الذى أتمكن فيه من الترحال يتحتم على أن أتجنب الإقامة فى روما لأسباب صحية^(١). وهكذا رأيت مرة فى الحلم أننى أنظر من نافذة عربة قطار إلى نهر التيبر وجسر سانت آنجلو، ثم يأخذ القطار فى الحركة، فيخطر لى أننى لم أظأ المدينة قط. وكان المنظر الذى رأيته فى الحلم مقتبساً عن رسم معروف وقع عليه بصرى برهة فى حجرة جلوس أحد مرضاى. وفى مرة أخرى يقودنى قائد إلى قمة تل ويرينى منه روما وقد تلفعت بالضباب نصف تلفع وبعدت بعداً سحيقاً حتى لأعجب معه من وضوح منظرها. ومحتوى الحلم أكثر ثراء مما أستطيع روايته، ولكن من السهل أن نستشف فيه فكرة «أرض الميعاد وهى تلوح من بعيد». والمدينة التى رأيها للمرة الأولى على هذا النحو، ملفعة بالضباب، كانت: لوبك، وأما التل فقد رأيت أنموذجه فى — جلا ينخبرج. وفى حلم ثالث أراى أخيراً فى روما — على ما حدثنى به الحلم — بيد أنى — نخيبة أملى — أرى منظرأ لا يشبه المدن فى شىء، أرى: نهراً حلك ماؤه وحملت إحدى ضفتيه صخوراً سوداء وانتشرت على الأخرى مراعى انتشرت فيها أزهار كبيرة بيضاء، ثم ألحظ رجلا يدعى السيد تسوكر (وهو رجل لى به بعض المعرفة) وأعقد العزم على أن أسأله عن الطريق المؤدية إلى المدينة. وجلى أننى كنت أحاول عبثاً أن أرى فى الحلم مدينة لم أرها فى حياة اليقظة قط. وإنى إذ أجزئ مشهد الحلم إلى عناصره أرى الأزهار البيضاء تعود بى إلى مدينة رافنا التى أعرفها والتى احتلت مكانة روما كعاصمة لإيطاليا — بعض الزمن على الأقل. فى المستنقعات المحيطة برافنا وجدنا أجمل الزنايق المائية نامية فى الماء الأسود. وكنا نكابد العناء فى اقتطافها من الماء، فجعلها الحلم تنبت فى المرعى، مثل الزجس فى آوسى. وأما الصخرة السوداء القريبة ذلك القرب من الماء فتذكرنى تذكيراً شديداً بوادى التهل، على مقربة من كارلسباد. وتمكننى الآن «كارلسباد» من أن أفسر تلك اللمحة العجيبة، وأعنى بها سؤالى السيد تسوكر عن الطريق: إن المادة التى نسج منها الحلم قد تضمنت فى هذا الموضع قصتين من تلك القصص اليهودية، الممتعة، المنطوية على علم عميق بأحوال الدنيا، هو فى غالبية الأحيان مرير، والتى يطيب لنا كثيراً أن نستشهد بها فى

(١) [١٩٠٩ :] لقد تعلمت منذ ذلك الحين أن تحقيق الرغبات التى يظل المرء زماناً طويلاً وهو يعتقد امتناعها إنما يحتاج إلى قليل من الشجاعة. [١٩٢٥ :] ومنذ هذا الحين وأنا من حجاج روما المواطنين على زيارتها. [سوف يلمح القارئ من هذه الأحلام مدى الأهمية النفسية التى كانت ترتبط فى نفس فرويد بفكرة زيارة مدينة روما، وهو أمر يتضح فى مواضع كثيرة من رسائله إلى فليس. هذا وقد حقق فرويد تلك الرغبة للمرة الأولى فى صيف عام ١٩٠١.]

أحاديثنا ورسائلنا . وأما الأولى فهي قصة « البنية » ، وهي تروى كيف يدلف يهودى مسكين إلى قطار كارلسباد السريع دون تذكرة ، ثم يفتضح أمره ، ولا يمر المفتش للمراجعة إلا طرده من القطار وزاد إغلاظاً إليه ، ثم يلتقى به صديق فى إحدى محطات سكة الأوجاع هذه ، فيسأله عن وجهته ، فيجيبه : « إلى كارلسباد — إذا احتملت بنيتى »^(١) . وتنتقل ذاكرتى إلى القصة الثانية ، وهي تدور حول رجل يهودى لا يعرف الفرنسية ، كلف أن يسأل فى باريس عن شارع ريشليو . وقد كانت باريس أيضاً هدفاً لأشواقى سنوات طويلاً . والسعادة التى أحسستها وأنا أنزل قديمى على رصيفها لأول مرة قد لاحت لى بشيراً بتحقيق أمنيات أخرى . ثم إن السؤال عن الطريق كان إشارة مباشرة إلى روما ؛ فإلى روما تذهب كل الطرق كما نعلم . وكذلك اسم تسوكر [أى سكر] : إنه يشير من جديد إلى كارلسباد ؛ فمن عادتنا أن نرسل إلى هذا البلد مرضى السكر ، وهو مرض مرده البنية . ولقد كان الحافز إلى هذا الحلم اقتراحاً من صديقى البرلينى [فليس] بالالتقاء فى براج ، فى خلال عيد الفصح . وكان بين الموضوعات التى كان مفروضاً أن نتحدث فيها موضوع له رباط آخر « بالسكر » « وبمرض السكر » .

ويعود بى إلى روما من جديد حلم رابع تلا الحلم السابق بزمان قليل : رأيت أمامى ناصية طريق ، وأدهش لكثرة ما أراه من اللافتات المكتوبة باللغة الألمانية . وكنت فى اليوم الذى سبق هذا الحلم قد كتبت إلى صديقى أخبره — وكأنما كنت أقرأ الغيب — أن براج لن تكون بالمكان الذى يدخر لسائح المانى إقامة طيبة . وهكذا يعرب الحلم فى آن واحد عن الرغبة فى ملاقة صديقى فى روما بدل ملاقاته فى مدينة بوهيمية ، ثم عن الرغبة فى أن تحظى اللغة الألمانية بمزيد من التسامح فى براج — وهى رغبة ترجع فى الأرجح إلى أيام التلمذة . ولا بد أننى كنت أفهم اللغة التشيكية فى السنوات الأولى من طفولتى ؛ فقد ولدت بمدينة صغيرة فى موارثيا وسط شعب سلافي . ولقد سمعت مرة وأنا فى السابعة عشرة من عمرى بيتاً من الشعر الذى يغنى للأطفال ، فعلق البيت فى ذاكرتى دون ما جهد منى حتى أننى لأستطيع ترديده إلى اليوم — وإن كنت لا أدرك شيئاً من معناه . وهكذا لا تخلو هذه الأحلام أيضاً من روابط تربطها بطفولتى الأولى .

(١) [يشير فرويد إلى هذه القصة فى كثير من رسائله إلى فليس : رسالة ٥٤ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٣٠]

مثلاً . وهو فى الرسالتين الأخيرتين يستخدم روما وكارلسباد رمزاً للأهداف التى لا تترك .]

وكان في خلال رحلتى الإيطالية الأخيرة التى حملتنى إلى ما وراء بحيرة تراسيمن أننى اكتشفت في النهاية — بعد أن رأيت التبر وقفلت راجعاً على مضض وأنا على ثمانين كيلو متر من روما — كيف تعزز شوقى إلى المدينة الخالدة بانطباعات حدائتى . فقد كنت أفكر في رحلة تحملنى في العام القادم إلى نابولى مارا بروما حين خطرت لى تلك الحملة التى لا أشك في أننى قرأتها في نص من نصوصنا المأثورة^(١) : « إنه لسؤال : أى الرجلين كان أنفذ صبرا وهو يذرع الحجرة طولاً وعرضاً بعد أن قر قراره على الذهاب إلى روما : وكيل ناظر المدرسة فينكلمان أو القائد الأعظم هانيبال ؟ » نعم ، إننى في الحقيقة كنت أقفو خطى هانيبال . فقد كتب على ، مثلما كتب عليه ، ألا أرى روما . وهو أيضاً قد توجه إلى كامبانيا حين كان العالم أجمع ينتظره في روما . ولكن هانيبال الذى انعقدت بينى وبينه تلك سيئة كان بطل الأثير وأنا ما زلت بالمدرسة . فشاعرى ، شأن الكثير من الغلمة بتلك السن . قد انحازت في حروب قرطاجنه إلى جانب القرطاجنيين وليس إلى جانب الرومان . ثم حين أخذت أدرك في سنوات المدرسة الأخيرة ما يحجره على المرء انتماؤه إلى جنس غريب ، وحين نهتئ مشاعر العداء السامى بين الأقران إلى أننى لم يعد لى مفر من أن أنتخذ لى موقفاً — حينئذ زاد أيضاً شخص القائد السامى علواً في ناظرى . فهانيبال وروما كانا يرمزان في عين الصبى للصراع بين عناد اليهودية ونظام الكنيسة الكاثوليكية . ومنذ ذلك الحين وحركة العداء السامى لا تزيد آثارها في حياتنا الانفعالية إلا خطورة ، فأعان ذلك على تثبيت أفكار تلك الأيام المبكرة وأحاسيسها . وهكذا صارت رغبة الذهاب إلى روما في حياتى الحاملة ثوباً ورمزاً تكتسبها رغبات أخرى أشد احتداماً ، رغبات يقتضى تحقيقها بذل الجهد بكل دأب القرطاجنى وبكل عزوفه عما ليس من قصده ، وإن بدا في الحاضر أن تحقيقها لن يلقى من مواتاة القدر إلا ما لاقته الرغبة التى صاحبت هانيبال في حياته جمعاء ، رغبة الدخول في روما .

والآن أعثر لأول مرة على خبرة الحداثة التى ظلت تعرب إلى اليوم عن سلطانها في كل هاته الانفعالات والأحلام . ربما كنت في العاشرة أو في الحادية عشرة من عمرى حين بدأ والدى يصطحبنى في نزهاته ويكاشفنى في أحاديثه بنظراته في أمور هذا العالم الذى نحيما فيه . وهكذا حدثنى مرة بالقصة الآتية لكى يرينى كم تفضل الأيام التى

(١) إن الكاتب الذى قرأت عنده هذه الحملة لا بد أن يكون — من غير أدنى شك — جان بول .

ولدتُ بها أيامه ، قال : كنت وأنا شاب أتتزه في يوم سبت في شوارع البلد الذي ولدتُ به وقد لبست لباساً حسناً ووضعت على رأسي قلنسوة من الفراء وإذا مسيحي يقبل فيضرب بقبعتي في الوحل ، صائحاً : أيها اليهودي انزل عن الرصيف ! — فسألت والدي : وماذا فعلت ؟ — فأجابني في هدوء : نزلت إلى عرض الطريق والتقطت القلنسوة . لقد بدا لي ذلك مسلماً مجرداً من البطولة إذ يصدر عن الرجل الضخم القوى الذي كان يقودني ممسكاً بيدي — أنا الولد الصغير . وقارنت هذا الموقف الذي لم يرضني بآخر أكثر تلاؤماً ومشاعري ، قارنته بالمشهد الذي فيه يستحلف هاميلكار باركاس^(١) — أمام مذبح العائلة — ابنه هانيبال إلا أن يأخذن بالثأر من الرومان . ومنذ ذلك الحين وهانيبال يحتل مكاناً بين تخايلي .

وأظنني قادراً بعد على تأثر هذه الحماسة للقائد القرطاجني إلى عهد أقدم من عهود طفولتي ؛ بحيث لا يخرج الأمر هنا أيضاً عن أن يكون تحويلاً إلى حامل [أى موضوع] جديد لعلاقة عاطفية متكونة من قبل . فقد كان من أوائل الكتب التي وضعت بين يدي وأنا طفل حديث العهد بالقراءة كتاب تيير « تاريخ القنصلية والإمبراطورية » . وما زلت أذكر كيف ألصقت بالظهور المسطحة لجنودى الخشبية قصاصات من الورق تحمل أسماء القواد الإمبراطوريين ، وأذكر أن ماسينا (باليهودية : منشا) كان بطلي المفضل إذ ذاك^(٢) . (وهو تفضيل يفسر أيضاً من غير شك بكوني قد ولدت في ذات التاريخ ، قرناً بعده) .^(٣) ونابليون خليفة هانيبال ؛ لعبوره جبال الألب . وربما أمكن أن أتتبع نشأة هذا المثل الأعلى الحربى إلى زمن أقدم من طفولتي : إلى علاقتي في خلال السنوات الثلاث الأولى من حياتي بولد يكبرني بعام واحد ، وإلى المشاعر التي لا بد قد أثارها في نفس أضعف الرفيقين تلك العلاقة التي كانت طوراً صداقة وطوراً حرباً^(٤) . وكلما تعمق المرء تحليل أحد الأحلام ، زاد عثوره على آثار خبرات الطفولة التي كان لها نصيبها بين مصادر المحتوى الكامن لهذا الحلم .

(١) [١٩٠٩ :] جاء هذا الاسم في الطبعة الأولى على تلك الصورة : هاسدروبال . وهو خطأ عجيب فسرته في كتابي : سيكوباتولوجية الحياة اليومية (١٩٠١ ب ، الفصل العاشر) .

(٢) [١٩٣٠ :] وأشير عرضاً إلى أن الأصل اليهودى لهذا القائد موضع شك .

(٣) [أُضيفت هذه الجملة عام ١٩١٤ .]

(٤) [سيحدث فرويد عن هذه العلاقة كثيراً فيما بعد .]

وقد علمنا من قبل (ص ٥٩-٦٠) أنه يندر غاية الندرة أن يستحضر الحلم الذكريات الاستحضار الذى يجعلها تؤلف - دون أن ينالها اقتضاب أو تحريف - كل المحتوى الظاهر للحلم . ومع هذا فهناك أمثلة على ذلك لا يتطرق إليها الشك . وفى استطاعتى أن أضيف إليها بضعة أمثلة أخرى تتعلق من جديد بمشاهد مستمدة من الطفولة . فقد اتفق مرة أن واجه الحلم أحد مرضاى باستحضار كاد يخلو من التشوية لواقعة جنسية تبين على الفور أنها ذكرى صادقة . والحقيقة هى أن هذه الذكرى لم تضع قط من حياته المستيقظة كل الضياع ، ولكنها غمضت غموضاً شديداً وكان بعثها أثراً من آثار العمل الذى تم من قبل فى خلال التحليل . فالحلم كان قد ذهب وهو فى الثانية عشرة من عمره ليزور رفيقاً من رفاق المدرسة لزم الفراش حين تعرى هذا الرفيق تعرياً جاء فى أغلب الظن عفواً بحركة فى فراشه . فلما رأى المريض أعضاء الولد التناسلية ولبه نوع من الدافع القهرى ، فعرى نفسه وأمسك بعضو الولد الآخر الذى نظر إليه مستنكراً دهشاً ، فأسقط فى يده وخلقى . وقد أعاد الحلم هذا المشهد بعد ذلك بثلاثة وعشرين عاماً ، وأعاده بكل المشاعر التى صاحبته ، إلا أنه عدّل بحيث أخذ الحلم الدور السلبي بدل الإيجابي ، بينما استبدل برفيق المدرسة شخص معاصر .

والقاعدة المستيقنة هى أن مشهد الطفولة لا يرد فى محتوى الحلم الظاهر إلا تلميحاً ، ولا معدى عن استخلاصه من الحلم بالتفسير . والأمثلة على ذلك لا تحمل روايتها كبير إقناع ؛ فليس ثمت فى معظم الأحيان شاهد آخر على وقوع خبرات الطفولة هذه : إنها - وقد وقعت فى سن مبكرة جداً - لا ترجع الذاكرة تعرفها . وإن حقنا فى أن نستدل عامة بالأحلام على وقوع مثل هذه الخبرات إنما يخلص من خلال العمل التحليلي من جملة من العوامل تبدو خليقة بالركون إليها من حيث اتفاقها فيما بينها . فإذا انتزعت هذه الإشارات الراجعة إلى خبرات الطفولة من محيطها بغية تفسير الحلم ، كان من المحتمل ألا تترك إلا تأثيراً قليلاً ، وبخاصة إذا كنت لا أذكر مرة واحدة كل المادة التى يستند إليها التفسير . بيد أننى لن أدع ذلك يردنى عن رواية بعض الأمثلة .

بين مريضاتى مريضة تمتاز أحلامها جميعاً بذلك الطابع : وهو كون الحاملة تظهر « مُعْجَلَةً » ^(١) . فهى تعجل لكى تصل فى الميعاد ، أو تعجل لثلا يفوتها القطار ، وهكذا . وفى أحد أحلامها رأت أنها تتأهب لزيارة إحدى صديقاتها وقالت لها أمها أن تذهب راكبة لاشية ، ولكنها تنطلق جرياً ولا تكف فى أثناء ذلك عن الوقوع . — لقد مكنتنا المادة المنبعثة فى سياق التحليل من التعرف على ذكريات تتصل بهياج الأطفال (ونعلم ما يسميه أهل قيينا « هيجة » ^(٢)) . وأشار أحد أحلامها بخاصة إلى تلك المزحة التى يحبها الأطفال كثيراً ، وهى أن يكرروا جملة : « جرت البقرة حتى وقعت » بسرعة شديدة حتى تبدو الجملة كأنها كلمة واحدة — وهو أيضاً ضرب من « الجرى » . وقد استحضرت الذاكرة كل هذا الجرى البريء بين الصديقات الصغيرات ؛ لأنه كان يخفى وراءه ذكريات أخرى أقل براءة .

وها هو ذا حلم ثان لمريضة أخرى : إنها فى حجرة كبيرة انتصبت فيها آلات من كل نوع ، شئ أشبه بما كانت تتخيله عن أحد معاهد تقويم الأجسام . وتسمع أذننى لا وقت عندى وأنه لا معدى لها عن أن تقبل معالجتها فى وقت واحد مع خمسة آخرين . ولكنها تأبى وتمتنع عن الرقود فى السرير المخصص لها — أو فى الشئ الذى ظهر على أنه السرير ، أياً كانت حقيقته . وتقف فى الركن وتنتظر أن أقول لها : إن ذلك غير صحيح . وفى هذه الأثناء يضحك منها الآخرون ، قائلين : إنه دلالها المجهود . — فى الوقت نفسه : كأنما كان عليها أن ترسم مربعات كثيرة صغيرة .

يرتبط الجزء الأول من هذا الحلم بالعلاج وبتحويلها مشاعرها إلى . وأما الجزء الثانى فينطوى على إشارة إلى مشهد من مشاهد الطفولة . ووصل بين الجزئين ذكر السرير . فعهد تقويم الأجسام يرجع إلى حديث لى قارنت فيه العلاج من حيث مدته وطبيعته بعلاج

(١) [من فعل zu hetzen ويعنى عجل ، وجرى وراء الصيد أو طرد وعلى سبيل المجاز اضطهد ، ثم هيج وأثار .]

(٢) [eine Hetz وهو الحفل المرح الحافل بالامتناع الذى يترك كل مشترك فيه لنفسه العنان .]

يستهدف تقويم الجسم . ولقد اضطرت عند ابتداء علاجها إلى أن أخبرها أنني لا أستطيع أن أخصص لها في الوقت الحاضر إلا وقتاً قليلاً ، واكتفى سوف أفرغ لها ساعة كاملة كل يوم فيما بعد . وحرك ذلك حساسيتها القديمة التي هي سمة يتميز بها الأطفال المهيأون للهستيريا ؛ فرغبتهم في الحب لا تتردى . ومريضتي كانت صغرى ستة إخوة وأخوات (ومن ثم : مع خمسة آخرين) . وكانت لذلك الطفلة المحببة إلى والدها ، ولكن يبدو أنها كانت ترى رغم ذلك أن والدها لا يفرغ لها سوى القليل من الوقت والالتفات . — وأما كونها تنتظر حتى أقول لها : إن ذلك غير صحيح ، فأتاه ما يلي : أحضر صبي طرزي ثوباً إليها ، فسلمته النقود ، ثم بعد ذلك سألت زوجها هل هي ملزمة بأن تدفع النقود مرة ثانية لو أن الغلام أضاعها ، فأجابها زوجها بغية معاكستها : يقينا (المعاكسة في الحلم) ، وظلت تعاود السؤال المرة تلو المرة وهي تنتظر أن يقول لها في النهاية : إن ذلك غير صحيح . وهكذا أمكن أن نستخلص أن أفكار الحلم كانت تتضمن تلك الفكرة : هل هي ستلزم بأن تدفع ضعف المبلغ حين أفرغ لها ضعف الوقت ؟ فكرة شحيحة تسمئز لها نفسها . (ومن الشائع أن يحل إمساك المال محل قذارة الطفولة في الحلم ؛ وكلمة "باعث على الاشتزاز" ^(١) هي هنا حلقة الوصل) . فلوصح أن كل تلك الفقرة حول انتظارها حتى أقول ذلك لها ... الخ . — إنما هي ترجمة مسهية لكلمة «باعث على الاشتزاز» ، لكن مما يتفق وذلك الوقوف في الركن وإباء الرقود في السرير باعتبارهما عنصرين من مشهد طفلى تكون قد وسخت فيه سريرها فكان عقابها أن وقفت في الركن وقد هددت بأن بابا سوف يكف عن حبها ، بينما ضحك منها إختوها وأخواتها ... الخ . وأما المربعات الصغيرة فكانت تحيل إلى ابنة أختها — أو أخيها — الصغيرة التي أرتها تلك الحيلة الحسابية التي تلخص في أن تكتب أرقاماً داخل تسعة مربعات — على ما أعتقد — بحيث تجمعها في أى اتجاه فيكون المجموع خمسة عشرة .

وها هو ذا حلم أتاه رجل : يرى صبيين يتصاربان ، إتهما من غير شك صبيبا صانع براميل ، كما يستنتجه من العدد المبعثرة حولها . يطرح أحد الولدين الآخر أرضاً . يحمل الولد المطروح قرطاً ذا أحجار زرقاء

[(١) Schmutzig وهو يستخدم للقذارة والبخل الشديد على السواء .]

إنه يندفع نحو ضاربه وافعاً عصاه لكي يقتص منه . يلوذ الضارب بامرأة تقف بجوار حاجز خشبي . كأنها كانت أمه . إنها امرأة من الطبقة العاملة ، وهي تقف وظهراً إلى الحلم . ولكنها تستدير إليه في النهاية وتصوب إليه نظرة مروعة حتى ليولين الإدبار وقد ملكه الرعب . كان يسمع المرء أن يرى اللحم الأحمر بلقنيها الأسفلين وقد برز تحت عينيها .

إن هذا الحلم يستغل أحداثاً تافهة مما وقع في اليوم السابق استغلالاً واسعاً . فبالأمس رأى الحلم في الطريق حقيقة ولدين طرح أحدهما الآخر أرضاً . فلما تقدم منهما ليفض العراك لاذا بأهداب الفرار . — أما كونهما صبي صانع براميل ، فلا يفسره إلا حلم تال استخدم فيه هذا التعبير : « خرق قاع البراميل » [أى : أفرغ ما بنفسه] . — وأما الأقراط ذات الأحجار الزرقاء فيقول الحلم إن خبرته قد دلته على أن البغايا هن اللاتي يحملنهن بنوع خاص . وعلى ذلك يخطر له بيت من أغنية شعبية ذائعة عن ولدين : « والولد الثاني كان اسمه ماري » (أى أنه كان فتاة) . — والمرأة الواقعة ؟ إنها تجعله يتذكر أنه قد ذهب بعد مشهد الولدين لكي يتنزّه على شاطئ الدانوب ، وأنه انتهز خلوته لكي يتبول بجوار حاجز خشبي . ثم بعد ذلك بقليل صادف في طريقه سيدة مسنة محتشمة الرداء ابتسمت له في لطف وأرادت أن تعطيه بطاقة من بطاقات الزيارة .

ولما كانت المرأة تقف في الحلم كما وقف هو من قبل عند تبوله ، فالأمر يتعلق بامرأة يتبول . ومن هنا كانت « النظرة » المروعة ، وكان بروز اللحم الأحمر الذي لا يمكن أن يشير إلا إلى تجويف أعضاء المرأة حين تجلس القرفصاء ، تلك الأعضاء التي رآها في طفولته فترجع من بعد إلى ذاكرته في صورة « لحم منتفش » في صورة « جرح » . والحلم يوحد بين مناسبتين مكتناه وهو صبي صغير السن من أن يرى أعضاء فتاة صغيرة : إذ طرحها على الأرض مرة ، وحين رآها يتبول مرة أخرى ، وهو — كما يتبين من بقية الحلم — لا يزال يحفظ ذكرى عقاب أو وعيد أتاها من والده على ما أبداه في هاتين المناسبتين من التطلع الجنسي .

وأما الحلم الآتي — وهو لسيدة مسنة — فتكمن وراءه طائفة كاملة من ذكريات

الطفولة ، أدمجت بقدر الإمكان فى تخييل واحد :

تخرج متعجلة فى قضاء بعض الحاجيات . تقع على ركبتيها فى شارع جرابين كأنما أصابها كبوة . يجتمع من حولها حشد من الناس ومن الحوزية بنوع خاص ، لكن ما من أحد يعينها على النهوض . تبذل هى جهدها مرات متعددة من غير جدوى . لا بد أنها قد أفلحت أخيراً ، فهى ذى توضع فى إحدى العربات لكى تقودها إلى منزلها . يقذف البعض وراءها ، من خلال نافذة العربة ، بسلة كبيرة مثقلة (من قبيل ما يستعمل فى التسوق .)

تلك هى السيدة التى تظهر دائماً معجلة فى أحلامها ، مثلما كان شأنها فى طفولتها . وحلى أن المشهد الأول من الحلم مستمد من رؤيتها جوادا يقع ، كما أن الكبوة تشير أيضاً إلى سباق الجياد . والحالمة كانت فارسة فى شبابها ، وأرجح الظن أنها ، وهى بعد أكثر شباباً ، كانت أيضاً جوادا . وإلى السقوط ترجع ذكرى من أوائل ذكريات طفولتها ، عن ابن البواب البالغ من العمر سبعة عشر عاماً ؛ فقد سقط يوماً فى عرض الطريق وقد نزلت به نوبة من الصرع ، وأحضر إلى المنزل محمولاً فى عربة . إنها بالطبع لم تعلم ذلك إلا سماعاً ، ولكن فكرة نوبات الصرع ، فكرة « النازلة » ، قد اكتسبت سلطاناً عظيماً على مخيلتها ، وكان لها فيما بعد أثرها فى تشكيل نوباتها المستيرية . — وإذا حلمت امرأة بالسقوط كان فى حكم القاعدة أن لذلك معنى جنسياً : إنها تغدو « ساقطة » . وإذا كان هذا التفسير يثير شكاً فهو لا يثير فى حلمنا إلا أقله ؛ لأنها تسقط فى طريق جراين ، أى فى ذلك المكان من فيينا الذى عرف بكونه مرايح العاهرات ومغذاهم . وأما سلة التسوق فتحتمل أكثر من تفسير : فهى ، من حيث أنها سلة - رفض ^(١) ، تذكرها بالسلال المتعددة التى وزعتها أول الأمر على المتيمين بها ، ثم عادت بدورها — كما تعتقد — فتلقها . ومن ثم جاء أنه ما من أحد يريد أن يعينها على النهوض — وهوما تؤوله بنفسها على أنه يعنى الازدراء بها . وتذكرها سلة السوق بعد ذلك بتخيلات سبق ظهورها فى خلال

(١) [Einkaufskorb = سلة التسوق . ولفظ Korb له معنيان : السلة والرفض أو الإباء . و " أعطته

سلة " تعبير ألماني جار ، بمعنى : صدت حبه أو طلبه الزواج منها .]

تحليلها ، وكان مدارها أنها قد تزوجت زواجاً دون منزلتها بكثير ، حتى صارت تذهب إلى السوق بنفسها لكي تقضى منه حاجياتها . وسلّة التسوق — أخيراً — قد تكون شارة يدل بها على خادم . وفي هذا الصدد تحضرها ذكريات أخرى من طفولتها : الذكرى الأولى عن طاهية طردت لأنها سرقت ؛ إنها — أيضاً — قد سقطت على ركبتها تطلب الغفران . لقد كان عمر الحاملة إذ ذاك اثنتي عشرة سنة . وأما الذكرى الثانية فعن خادم طردت من المنزل لعلاقة بينها وبين الحوذى — ونقول عرضاً : إن الحوذى قد تزوج الخادم بعد ذلك . وهكذا تربنا هذه الذكرى أحد مصادر الحوذية في الحلم (إلا أن هؤلاء لا يأخذون بساعد المرأة الساقطة ، على خلاف ما قد وقع في الحقيقة) . ويبقى علينا أن نفسر قذف السلّة ، وقذفها من خلال النافذة : إن ذلك يذكرها بتشجيع الطرود بسكة الحديد ، وبعادة العشاق في الريف أن يناجوا محبوباتهم ليلاً بالنوافذ ، وكذلك ببضعة انطباعات صغيرة تركتها حياتها في الريف : كيف رى سيد سيدة ببضعة برقوقات زرقاء من خلال نافذتها . وكيف فزعت أختها الصغرى يوماً لأن معنوها عابراً تطاع إلى غرفتها من خلال النافذة . ومن خلال هذا كله تنبثق ذكرى معتمة من سنّتها العاشرة عن مربية اشتبكت وهم بالريف في علاقة غرامية — يحتمل أن تكون الفتاة قد أدركت شيئاً منها — مع أحد الخدم ، فكان جزاؤها أن ”شيعت“ من المنزل و”قذفت إلى الخارج“ (وفي الحلم الضد : ”قذف إلى الداخل“) — وهى قصة كنا قد اقتربنا منها من وجهات أخرى متعددة . بيد أن متاع الخادم أو صندوقها يسمى في قيننا على سبيل الاستخفاف «بالسبع برقوقات» : «احزى برقوقاتك السبع وانزحى !»

إن مجموعتي تزخر بالطبع بأحلام كهذه من أحلام المرضى ، يسوق تحليلها إلى انطباعات من الطفولة لم تعد تذكر إلا ذكراً غامضاً ، أو لا تذكر البتة ، انطباعات كثيراً ما ترجع إلى السنوات الثلاث الأولى من الحياة . بيد أن تطبيق النتائج المستخلصة منها على الأحلام عامة عمل غير مأمون . فأصحابها كانوا دائماً من العصبيين ، وبخاصة هستيريين . فمن الجائز أن يكون نصيب المشاهد الطفلية في أحلامهم راجعاً إلى طبيعة العصاب عندهم وليس إلى ماهية الحلم . بيد أننى وأنا أفسر أحلامى نفسى — وهو مع ذلك تفسير لا أفعله من جراء أعراض مرضية بالغة — يتفق لى بمثل تلك الكثرة أن أعثر

في محتوى الحلم الكامن ، وأنا خالي البال ، على مشهد من مشاهد الطفولة ، وأن أرى مجموعة كاملة من أحلامي ترتبط دفعة واحدة بمستدعيات تتشعب من خبرة وقعت في طفولتي . وقد سقت من قبل أمثلة على ذلك ، وسوف أسوق أمثلة أخرى منها في مناسبات شتى . ولعل خير ما أختتم به هذا الجزء كله هو أن أسرد بعضاً من أحلامي تلتقي فيه مناسبات حديثة بخبرات من الطفولة انسحب عليها النسيان دهنراً طويلاً ، فكانت جميعاً مصادر للحلم .

(١) أويت إلى الفراش وأنا متعب جائع ، ثم أخذت حاجات الحياة الكبرى تعلن عن نفسها ، فكان أن حلمت الحلم الآتي : أذهب إلى المطبخ في طلب بعض الحلوى . هناك ثلاث نساء واقفات ، إحداهن هي مضيفة المنزل . إنها تدبر شيئاً في يدها كما لو كانت تصنع فطيراً . تجيبني أن على بالانتظار حتى تفرغ (لم يكن من الواضح أنها قد تكلمت) ينفد صبري وانصرف متأذياً . ارتدى معطفاً ، ولكن المعطف الذي أجربه أولاً مفرط الطول . أخله وأدهش إذ أراه محلى بالفراء . ارتدى معطفاً ثانياً له ذيل طويل ، موشى برسوم تركية . يقبل رجل غريب ، ذو وجه مستطيل ولحية مدببة ، ويمنمني من ارتدائه قائلا : إن المعطف معطفه . أريه أن المعطف مغطى كله بوشى تركى . يسألني : « وما لك و (الرسوم ، الذبول . . .) التركية ؟ ولكننا سرعان ما نصبح صديقين حميمين .

عندما أخذت أحلل هذا الحلم ، اتجه خاطري على خير توقع إلى أول رواية قرأتها — ولعل كنت إذ ذاك في الثالثة عشرة من عمري ^(١) — وأقول قرأتها والحقيقة هي أنني بدأتها من نهاية المجلد الأول . وما علمت قط اسم الرواية ولا اسم مؤلفها ، ولكن خاتمتها لا تزال حية في ذاكرتي : يتردى البطل في هاوية من الجنون وهو يردد أسماء النساء الثلاث اللائي كان لهن في حياته أعظم النصيب من سعادتها ومن شقاؤها . وكان بيلاجي أحد هذه الأسماء . ولست أعلم بعد ما أنا صانع بهذا الخاطر في التحليل . وههنا تنبثق في خاطري — بصدد النساء الثلاث — آلهات القدر الثلاث اللائي ينسجن مصائر الناس . وأعلم أن إحدى النساء الثلاث — وأعني المضيفة في الحلم — هي الأم التي تهب الحياة ثم تعطي الحي (كما كان الشأن معي) أول غذاءه . إن الجوع والحب يلتقيان على صدر المرأة . والقصة تُروى عن شاب غدا من كبار المعجبين بالجمال الأنثوي ، دار الحديث عن جمال المرضع التي غذته وهو وليد ، فأعرب عن أسفه إذ لم ينتهز الفرصة بخير مما فعل . وإن

(١) [لا شك في أن فرويد يعنى أول رواية من أدب المحدثين ؛ فن المقطوع به أنه كان قد قرأ معظم

الأدب الألماني المأثور وهو بتلك السن .]

أن من عادى أن أستعين بهذه القصة لأوضح بها عامل التأثير البعدى^(١) فى ميكانيكية الأعصبة . كانت إحدى الآلهات - إذن - تفرك يديها كأنها تصنع فطيراً : إنها لمسْغلة عجيبة بالقياس إلى إحدى آلهات القدر^(٢) ، ولا بد لها من إيضاح عاجل ! إن هذا الإيضاح تحمله ذكرى أخرى ، أقدم عهداً ، من ذكريات طفولتى : فقد كان المفروض - وأنا طفل فى السادسة أتلقى من أمى أول دروسى - هو أن أصدق أننا جعلنا من طين وأننا - إذن - إلى الطين نعود ، ولكن النظرية لم ترقى وارتبت فى أمرها ، وحينئذ فركت أمى كفيها - مثلما تفعل حين تصنع الفطير سوى أنه لم يكن عجين بين يديها - ثم أرثى ما انفرك من القشور الصغيرة السوداء لطبقة الجلد الخارجية ، برهاناً على الطين الذى صنعنا منه . لقد كان دهشى لهذا البرهان العيانى لا يعرف حداً ، وكان أنى أسلمت نفسى لما سمعته من بعد يؤدى فى تلك العبارة : إن عليك للطبيعة ميتة^(٣) . وهكذا فألهات القدر هن حقاً من أجد حين أذهب إلى المطبخ ، مثلما كنت أفعل كثيراً فى طفولتى حين كنت أحس الجوع ، وكانت أمى تأمرنى - وهى بجانب النار - بأن أنتظر حتى يعد الغذاء . - والآن إلى الفطير [بالألمانية كنودل] ! إن بين من علمونى فى الجامعة معلماً واحداً على الأقل - وهو على التحقيق من أدين له بمعرفتى فى علم الأنسجة (الطبقة الخارجية للجلد) - سوف يذكره اسم كنودل [من حيث هو اسم علم] بشخص اضطر

(١) [Nachträglichkeit من Nachtraglich بمعنى « من بعد » . والمراد هو أن الخبرة الماضية لا تحدث تأثيرها عند وقوعها ، بل بعد أن تنقضى حقبة من الزمن . وتأثيرها بهذا المعنى يكون « فعلاً مرجأ » a deferred action - وتلك بالفعل هى الترجمة المطردة التى يستعملها سترائى لهذا الاصطلاح . غير أن هذه الترجمة تغفل بعداً آخر من أبعاد هذه الفكرة : ذلك أن « من بعد » تعنى أيضاً أن الخبرة لا تحدث تأثيرها إلا بعد أن يعود عليها صاحبها فينظمها تنظيمًا جديدًا ويخلع عليها معنى لم يكن لها فى المبدأ . ففى القصة التى يشير إليها فرويد يخلع الشاب معنى تناسلياً على علاقة لم يكن لها سوى طابع فى . وهذا المعنى الثانى هو من غير شك المعنى الأهم وهو الذى يجعل للفكرة أصالة يستحيل معها ردها إلى تصورات علم النفس التجريبي . ولم نجد - للإبقاء على المعنيين - خيراً من أن نقول : عامل « التأثير البعدى » .]

(٢) [من المعلوم أن أولى آلهات القدر - وهى المشرقة على الولادة - كانت تمسك المفزل ، وكانت الثانية تدبر البكرة ، وأما الثالثة فتقطع خيط الحياة .]

(٣) إن كلا الانفعاليين اللذين صحبا هذا المشهد : الدهش والاستسلام للمحتوم - قد أتانى من قبل فى حلم سبق هذا الحلم بوقت قصير وكان أول ما ذكرنى بتلك الخبرة الطفلية [هذا ولقد استشهد فرويد بتلك الكلمات فى إحدى رسائله إلى فليس (الرسالة رقم ١٠٤) ناسباً إياها إلى شكبير والنص الصحيح من شكبير هو : « إن عليك لله ميتة » (الجزء الأول من هنرى الرابع ، الفصل الخامس ، المشهد الأول ، يقوله الأمير هال لفالستاف .) ولكن « وفى دينه للطبيعة » كان تعبيراً ذاتماً فى زمن جوته ، يعرب عن فكرة العصر عن الموت .]

معلمي إلى مقاضاته لأنه نقل كتاباته . وأن يرتكب المرء مثل هذا النقل [پلاجيات] ، وأن يستحل لنفسه كل ما صادفه وإن كان ملكاً للغير — ذلك ما ينتقل بنا ، كما هو ظاهر ، إلى الجزء الثاني من الحلم الذي أعامل فيه مثلما عومل سارق المعاطف الذي زاول حرفته حيناً في قاعات محاضراتنا . ولقد استخدمت كلمة « پلاجيات » [نقل أو سرقة أدبية] عن غير قصد لا لشيء سوى أنها خطرت لي ، ولكنني ألحظ الآن أن من الممكن أن تكون هذه الكلمة قد استخدمت جسراً [بروكه بالألمانية ، وهو أيضاً اسم أحد أساتذة فرويد] يصل بين الأجزاء المختلفة لحتم الحلم الظاهر . فسلسلة المستدعيات : پلاجي — پلاجيات — پلاجيوسوم ^(١) (أي سمك القرش) — مئانة السباحة عند السمك ^(٢) ، قد وصلت الرواية التي قرأتها قديماً بحادثة كنودل وبالمعاطف التي تشير من غير خفاء إلى عدة لها وجه استخدامها الجنسي [ارجع إلى ص ٢٠٧] . (أنظر حلم موري [عن السلسلة الجنسية] : كيلو — لوتو ، في ص ٩٤ .) وذلك على التأكيد رباط قد بلغ الغاية من الافتعال ومن اللامعقولية ، ولكنني ما كنت قط لأجد القدرة على اختراعه ، لو لم يكن قد أنشئ من قبل في خلال عمل الحلم . لا ، بل لكأن هذا الدافع القهري إلى فرض الروابط لا يعرف لشيء حرمة : فهي هو ذلك الاسم الموقر ، اسم بروكه (أنظر الجسر اللفظي فيما سبق) يستغل في تذكيري بالمعهد الذي قضيت به أسعد أيام حياتي ، طالباً خلت نفسه من كل حاجة سوى الدرس (« وهكذا أنت على صدر الحكمة ، سوف تجد في كل يوم لذة ») ^(٣) — بما يبين كل المبانية تلك الرغبات التي تعذبني [في الألمانية : پلاجن] وأنا نائم . وتنبت أخيراً ذكرى معلم آخر « كبيره » ، كان اسمه — فلايشل ^(٤) [فلايش = لحم] — يجانس أيضاً اسم غذاء (مثل كنودل) ، ثم ذكرى حادثه فاجعة تدخل فيها قشور الطبقة الخارجية للجلد (الأم المضيفة) والاضطراب العقلي (الرواية) ودواء من أدوية العطارة [الترجمة

(١) لقد تجنبت عادة التوسع في صدد « پلاجيوسوم » ؛ إنه يذكرني بمناسبة غير سارة جرت على الخزي أمام المعلم المذكور .

(٢) (Pélagic - Plagiat - Plagiostomen (Haifische) — Fischblase)

(٢)

(٣) [بيتان من المشهد الرابع من الجزء الأول من فاوست : « في مكتب فاوست » .]

(٤) [أنظر فيما يتصل ببروكه وفلايشل بعض الحقائق التي سردناها عنها وعن صلة فرويد بهما في

هامش [وضعناه في صفحة ٤٨٠ .]

الحرفية هي : من المطبخ اللاتيني] يسكن الجوع - وهو الكوكابين .
لقد كان يسغنى أن أتابع خيوط الفكر المتشابكة على هذا النحو ، وأن ألقى الضوء كاملاً على هذا الجزء من الحلم الذى لا يزال ينقصنا تحليله . ولكنى لا أجد بداً من التخلي عن هذا العمل لما يقتضيه من تضحية شخصية فادحة . وإنما أكتفى بأن أقبض على خيط واحد من بين الخيوط التى تقودنا إلى أفكار الحلم الكامنة وراء هذا الخليط : إن الرجل الغريب ذا الوجه المستطيل واللحية المدببة ، والذى يمنغى من ارتداء المعطف - يحمل ملامح تاجر فى سهالاتو اشترت منه زوجى كثيراً من الأقمشة التركية . وكان الرجل يدعى پوپوفيتش ^(١) - وهو اسم مريب ، عقب عليه من قبل أحد الكتاب الفكاهيين ، هو شتيتهام ، بملاحظة غامزة إذ قال : وذكر لى اسمه ثم ضغط يدي وقد احمر وجهه خجلاً . ولكن هأنذا أراى من جديد إزاء ذلك اللعب بالأسماء الذى رأيناه من قبل فى پيلاجى وكنودل وبروكه وفلايشل . وما من أحد يجادل فى أن مثل هذا اللعب ضرب من الحبس الطفلى . فإذا كنت أمعن فيه ، فذلك قصاص لنفسى ؛ فقد اتفق فى مناسبات لا تحصى أن كان اسمى أيضاً ضحية لأمثال هذه المحاولات السهلة فى الفكاهة ^(٢) . وقد لاحظ جوته مدى حساسيتنا فيما يتصل بأسمائنا التى نحس أننا قد نمونا معها نمونا فى جلدنا ، وكانت تلك الملاحظة حين نظم هردر فى اسم جوته قوله :

« أنت يا سليل الآلهة أو الغوط أو الطين » -
« هكذا باتت صوركم الآلهية تراباً » ^(٣)

إنى ألاحظ أن هذا الاستطراد حول إساءة اللعب بالأسماء إنما قصد به إلى التمهيد لتلك الشكاة . ولكن لنقف هنا . - إن صفقة سهالاتو تذكرنى بأخرى فى كاتارو كانت

(١) [پوپو لفظ يطلق فى لغة الأطفال على المؤخر .]

(٢) [فرويد " يعنى فى الألمانية السرور .]

"Der du von Göttern abstammst, von Gothen oder vom Kote"

(٣)

"So seid ihr Götterbilder auch zu Staub."

[يلاحظ القارئ أن Götter فى الكلمتين المرتزتين لا تكاد تختلف فى النطق من اسم الشاعر الكبير جوته ، وهو ما يضيح عند الترجمة . ويقول ستراشى : إن السطر الأول قد نظمه هردر فى رسالة ظريفة بعث بها إلى جوته يسأله إعارته بعض الكتب ، وبقيته : أى جوته ، ابعث إلى بها ! وأما السطر الثانى فيلحق بالأول فى ذهن فرويد على سبيل الاستدعاء الحر ، وهو مستمد من مسرحية جوته المنظومة : " إيفيجينيا فى توريدا " ، تمر به إيفيجينيا من ألبانيا حين ينبؤها پيلاد أى عدد من الأبطال ماتوا فى أثناء حصار طروادة .]

يدى فيها شديدة القبض فضاعت على فرصة الظفر بشيء جميل . (فوات الفرصة على صدر الموضع ، أنظر ما سبق .) فيين الأفكار التي أوحاها الجوع إلى الحالم فكرة ذلك فحواها : إن من الواجب ألا يدع المرء شيئاً يفوته وأن يأخذ المرء كل ما استطاع أخذه وإن جر ذلك بعض الجور ، على المرء ألا يضيع فرصة ؛ فالحياة قصيرة والموت محتوم .

ولما كان هذا الدرس في « اغنم من الحاضر لذاته » ^(١) يرسل على إطلاقه وكانت الشهوة لن تحجم عن الجور ، فقد حقت له خشية الرقابة وحق عليه أن يستتر بحلم . ومن ثمت كان الإعراب عن أفكار مضادة من كل نوع : من ذكرى الزمن الذي كان الحالم يقنع فيه بالغذاء الروحي وحده ، إلى أفكار تتصل بكل ضروب الموانع ، لا ، بل إلى تهديدات بألوان من العقاب الجنسي من أشد ما يكون تنفيراً .

(٢) وما هو ذا حلم ثان يتطلب تمهيداً طويلاً بعض الطول :

كنت قد ركبت عربة إلى محطة الغرب [في فيينا] لكي أبدأ منها رحلة الإجازة إلى آوسى . بيد أنني وصلت إلى الرصيف مبكراً وقطار إشل الذى يرحل قبل قطار آوسى لا يزال واقفاً . وهناك لحقت الكونت تون ^(٢) في طريقه مرة أخرى إلى مقابلة الإمبراطور في إشل . جاء الكونت على رغم المطر في عربة مكشوفة ، ثم مرق لا يلوى على شيء من مدخل قطر الضواحي ، منحياً بإشارة مقتضبة من يده لا يصحبها أى إيضاح حارس الباب الذى لم يعرفه وأراد أن يأخذ التذكرة منه . وكان الواجب على بحسب النظم أن أغادر الرصيف عائداً إلى حجرة الانتظار بعد أن رحل قطار إشل ، بيد أنني استطعت — بعد شيء من الجهد — أن أحصل على إذن بالبقاء . وأخذت أقطع الوقت أترقب من ذا الذى يأتى فيحاول أن يحصل بطريق المحسوبة على مقصورة محجوزة ، عاقداً العزم على أن أرفع الصوت عندئذ بالشكوى ؛ أى على المطالبة بحق مماثل . وفي هذه الأثناء كنت أدندن بشيء لم ألبث أن عرفت فيه ذلك اللحن من زواج فيجارو :

(١) [carpe diem كلمة دائمة لهوراس ترجمتها الحرفية « اغنم يومك » ولها المعنى الذى لكلمة الخيام المعروفة .]

(٢) [رجل من رجال الدولة النمساويين ، ذو آراء رجعية ، عاش بين عامى ١٨٤٧ - ١٩١٦ . كان يريد قيام حكومة ذات استقلال ذاتى في بوهيميا ، معارضا مطالب الوطنيين الألمانين . ولى الوزارة عام ١٨٩٨ ، ١٨٩٩ . - وأما إشل Ischl فكانت المصيف الرسمى لبلط ، بأعلى النمسا .]

إذا أراد سيدى الرقص ، الرقص ،
فما عليه سوى الطلب ،
وأنا كفيل بالعزف .

(وما أظن أن أحداً غيرى كان ليعرف ماذا أغنى .)

لقد كنت طيلة المساء فى مزاج ناثر شكس ، فهكمت بالندل وبسائق العربى — دون أن أجرح شعورهما ، أو هذا على الأقل ما أرجوه . وتجول الآن برأى خواطر جريئة ثورية من كل صنف ، خواطر تتفق وكلمات فيجارو وتتفق وذكرى مسرحية بومارشيه التى رأيتها تمثل فى الكوميدي فرانسيز : كلمة فيجارو عن كبار السادة الذين كبدوا أنفسهم عناء الحياء إلى الحياة ، حق السيادة الذى يريد الكونت ألقاها أن يستولى باسمه على سوزانا [حبيبة فيجارو] ، ثم النكات التى تعجزها جرائد المعارضة الخبيثة عندنا حول اسم الكونت تون إذ تسميه الكونت نيختستون^(١) . حقاً ، لست أحسده ؛ فهناك مقابلة عسيرة تنتظره مع الإمبراطور . وما الكونت « فاعل لا شيء » حقيقة إلا إياى : فأنا المسافر حراً طليقاً فى إجازة . وتتاو ذلك ألوان من المشاريع السارة أدبرها . ثم يقبل سيد كنت قد عرفته مراقباً موفداً من قبل الحكومة فى امتحان كلية الطب واستحق على نشاطه فى هذا المضمار أن يلقب بذلك اللقب اللطيف : « نَوَّام الحكومة » . إنه يطلب بماله من صفة رسمية نصف تذكرة بالدرجة الأولى . وأسمع أحد الموظفين يسأل موظفاً آخر : « بأى مقصورة نضع السيد صاحب نصف تذكرة الدرجة الأولى ؟ » ذلك أيضاً لون طريف من ألوان التفرقة ؛ فأنا قد دفعت درجتى الأولى كاملة . صحيح أننى حصلت على مقصورة كاملة ، ولكنها فى عربى لا دهليز لها ، بحث أظل طيلة الليل ولا مرافق فى متناولى . وأشتكى إلى الموظف ، فلاتثمر الشكاية شيئاً ، فأثار لنفسى بأن أقترح عليه أن يصنع على الأقل ثقباً بأرض تلك المقصورة ؛ فقد يحتاج إليه المسافرون . ثم فى الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والأربعين من الصباح ، أستيقظ حقيقة — وبى حاجة ملحة إلى التبول — من الحلم الآتى :

حشد من الناس ، اجتماع طلبة . — يخطب فى الجمع كونت (اسمه تون أو تافه^(٢)) . يتحداه البعض أن يقول

(١) [أى الكونت " فاعل لا شيء " . Thun. (تون) يعنى أيضاً " فعل " و Nichts يعنى " لا شيء " .]

(٢) [Taaffe (١٨٣٣ - ٩٥) سياسى ألماني ، ولي رئاسة الوزارة بين عامى ١٨٧٠ ، ١٨٧١ ثم من ١٨٧٩ إلى ١٨٩٣ . وكان مثل الكونت تون يحجب منح الاستقلال الذاتي للأجزاء غير الألمانية من الإمبراطورية النمساوية .]

شيئاً عن الألمان ، فيجيب بحركة تتم عن الازدراء : إن زهرتهم المفضلة هي حشيشة السعال ، ثم يثبت في عروته شيئاً أشبه بورقة ممزقة من أوراق الشجر - أو على الأصح هيكلها الجمعد . أهب ثائراً ، وأهب ثائراً^(١) بيد أننى أعجب مع ذلك لانفدالى هذا . ثم فى وضوح أقل : المكان أشبه بقاعة الاحتفالات الكبرى فى الجامعة [Aula] . الأبواب محاصرة ولا بد من الفرار . أشق طريقى فى سلسلة من الغرف فرشت فرشاً جميلاً ، كان جلياً أنها حجرات رسمية ، نجد أثاثها بلون متوسط بين البنى والبنفسجى . وأخيراً أبلغ بهوا جلست فيه خادم - امرأة عجوز بدينة . أتجنب التحدث إليها ، ولكن كان من الواضح أنها كانت تحسب أن لى حقاً فى المرور من هناك ؛ لأنها تسألنى : هل ترافقتى بالمصباح ؟ أفهمها أو أقول لها : إن عليها أن تلزم السلم ، ويهيا لى فى أثناء ذلك أننى شديد المهارة ، إذ نجحت فى أن أفلت فى النهاية من التفتيش وهكذا بلغت أسفل السلم ، فأرى أمامى طريقاً ضيقة شديدة الصمود ، أمضى فيها .

وفى غير وضوح كذلك : . . . كأنما مشكلتى الثانية هى الفرار من المدينة كما قررت قبل ذلك من المنزل . أركب عربة وأطلب من السائق أن يذهب بى إلى إحدى محطات السكة الحديدية . أقول للسائق وقد أثار اعتراضاً ما كان أكون كلفته ما لا يطيق : « إننى لا أستطيع أن أركب معك مسافة الخط الحديدى نفسه . » لكنما كنت فى أثناء ذلك قد ركبت معه بالفعل جزءاً من المسافة التى يركبها المرء عادة بالقطار . المحطات محاصرة ، وأنا أفاضل بين الذهاب إلى كرمس أو إلى تسنايم . بيد أننى أفكر فى أن البلاط ربما كان مقبياً هناك ؛ فأعقد العزم على الذهاب إلى جراتس أو إلى مكان يشبهها . أجلس الآن فى عربة قطار أشبه بعربة من عربات غط الضواشى ، وفى عروقى شئ غريب الشكل ، مضفر ، مستطيل ، علته أزهار بنفسج ذات لون بنفسجى بنى ، صنعت من قماش غشن ، ويمعجب الناس لذلك كثيراً . وهنا ينقطع المشهد .

أرأى أمام المحطة مرة أخرى ، بيد أننى فى صحبة سيد هرم . أفكر فى خطة تمكننى من البقاء مجهول الشخصية ، ولكننى أجد الخطة قد تحققت بالفعل : كأنما كان التفكير والخبرة الفعلية شيئاً واحداً . يبدو ذلك السيد فاقد البصر أو على الأقل أعور ، أمد له مبلولة زجاج للرجال (كان علينا أن نشترىها من المدينة أو أننا اشتريناها فعلاً) أنا إذن معرض ومن واجبى أن أمد له المبلولة لأنه أعمى . لو أن المفتش رآنا بتلك الحال لتفاضى من غير شك عنا . هنا يظهر العميان فى صورة تامة الشكل وضع الرجل وعضوه المتبول . وفى هذا الموضع كان أنى استيقظت وبى حاجة إلى التبول .

إن هذا الحلم فى جملمته يلوح تخيلاً يحمل الحالم إلى ثورة عام ١٨٤٨ التى جدد ذاكرها يوبيل [الإمبراطور فرانسييس جوزيف] عام ١٨٩٨ ، كما جددتها ذكرى رحلة

(١) تكرار تسلل وأنا أنجل الحلم دون أن يكون لذلك سبب ظاهر سوى السهو . ولكننى تركته كما هو ؛ فسوف يبين التحليل أن له معناه .

قصيرة إلى فاشاو ، زرت في أثناءها إمرسدورف ^(١) حيث مثوى زعيم حركات الطلبة فيشهوف الذى ربما كان في بعض عناصر الحلم ما يؤول إليه . وتذهب في المستدعيات بعد ذلك إلى إنجلترا ، إلى منزل أخى الذى دأب على أن يمازح زوجته بأن يردد على مسمعها تلك الكلمات المقتبسة من عنوان لإحدى قصائد اللورد تينسون : « منذ خمسين عاماً مضت » ^(٢) فيصححها الأطفال قائلين : منذ خمسة عشر عاماً . بيد أن هذا التخيل الذى تفرع عن الخواطر التى أثارها في نفسى رؤية الكونت تون يخلو — مثل واجهة كنيسة إيطالية — من كل رابطة عضوية تجمع بينه وبين البناء الذى من خلفه ، وإن كان يختلف بعد ذلك من مثل تلك الواجهة في أنه ملئ بالثغرات ، مشوش ، وفي أن بعض الأجزاء الداخلية قد برزت في كثير من المواضع . فالموقف الأول من الحلم خليط من مشاهد متعددة أستطيع أن أفرق بينها . فالهيئة المتعاطمة التى اتخذها الكونت في الحلم تنسخ مشهداً وقع في المدرسة الثانوية ، كنت حينه في الخامسة عشرة من عمرى : فقد كنا تأمرنا على معلم مكروه جاهل ، وكان الروح المحرك للمؤامرة رقيقاً تدل الدلائل على أنه — منذ ذلك الحين قد اتخذ من هنرى الثامن ملك إنجلترا مثالا يحتذى . وكانت قيادة الضربة القاضية قد وكلت إلى . وكانت العلامة المؤذنة بالثورة المكشوفة هى أن نفتتح نقاشاً في أهمية الدانوب بالنسبة إلى النمسا (أنظر فاشاو ^(٣)) . وكان في زمرة المتآمرين الرفيق الوحيد الأرستوقراطى الأصل بيتنا ، وكنا نسميه « الزرافة » لما كان بأطرافه من طول مفرط . وأذكر أنه حين أخذ يناقشه الحساب طاغية المدرسة — وأعنى به أستاذ اللغة الألمانية — قد وقف بمثل وقفة الكونت في الحلم . وأما الزهرة المفضلة ووضعى في العروة شيئاً لا بد من أن يكون أيضاً زهرة (وهو ما يجعلنى أفكر في سحاب كنت أحضرتها في ذلك اليوم إلى صديقة لى ، وأفكر فوق ذلك في وردة من ورد أريحا ^(٤)) فيذكرانى تذكيراً عجبياً

(١) فاشاو ذلك خطأ ، لكنه ليس هفوة هذه المرة ! فما علمت إلا فيما بعد أن إمرسدورف الواقعة في فاشاو هى غير البلد المسمى أيضاً بهذا الاسم والذي أوى إليه الزعيم الثورى فيشهوف .

(٢) [بالإنجليزية في الأصل . ويقول سترشى : إنه لا يبدو أن لتينسون قصيدة لها هذا المطلع .]

(٣) [فاشاو شعبة من وادى الدانوب تبعد قرابة الخمسين ميلاً من فيينا .]

(٤) [نسبة إلى أريحا وهى أول بلد استولى عليه بنو إسرائيل بعد أن عبروا الأردن على حسب قصة دائمة تجدها في الإصحاح السادس من سفر يشوع . ولهذا النوع من الورد خاصة عجيبة هى أنه يلوى في الجفاف ثم لا يلبث أن يبعث إلى الحياة إذا وجد في الرطوبة . وهو — إذن — ورد « البعث » .]

بالمشهد الذى يصور فى إحدى روايات شكسبير التاريخية^(١) ابتداء حروب الوردتين الحمراء والبيضاء - وورود ذكر هنرى الثامن قد مهد السبيل لهذه الذكرى . والمسافة بعد ذلك غير بعيدة من الورد إلى القرنفل الأحمر والأبيض . (وفى هذه الأثناء يتسرب إلى التحليل سطران من الشعر أولهما ألماني وثانيهما أسباني : ورد خزامى أو قرنفل ، كل الأزهار تذبل . - إيزابيلتا لا تبك ، فالأزهار من بكائك تنوى^(٢)) . والبيت الأسباني يرجع بى إلى « فيجارو » والقرنفل الأبيض قد صار عندنا ، فى فيينا ، شارة أعداء الساميين بينما الأحمر شارة الاشتراكيين الديمقراطيين . ومن وراء ذلك تكمن ذكرى حادثة من حوادث استفزاز الساميين وقعت فى خلال رحلة بالسكة الحديدية فى ريف ساكس الجميل (أنظر آنجلو ساكسون) . وأما المشهد الثالث الذى شارك فى تكوين الموقف الأول من الحلم فيرجع إلى السنين الأولى من حياتى المدرسية : فقد جرت فى ندوة للطلبة الألمان مناقشة فى علاقة الفلاسفة بالعلوم الطبيعية ، فاندفعت - وأنا لا أزال فى غضاً ملأت رأسه النظريات المادية - أذود عن وجهة نظر متطرفة لا مهادنة فيها . وهنا نهض زميل يكبرنى سنّاً وعقلاً ، أبدى منذ ذلك الحين قدرته على توجيه الرجال وتنظيم الجماعات وكان بعد يحمل اسماً من المملكة الحيوانية^(٣) ، نهض فألقمنا حجراً : فهو أيضاً قد رعى الخنازير فى صباه ثم رجع ثائلاً إلى بيت أبيه^(٤) . وعندئذ هبت ثائراً (كما فى الحلم) وأجبت ، فى غلظة الخنزير^(٥) : أننى وقد علمت أنه قد رعى الخنازير يوماً ، لا أعود أدهش للهجة خطابه . (فى الحلم أدهش للموقف الوطنى الألماني الذى اتخذته .) وهنا عم الصخب ، وارتفعت الأصوات من جوانب متعددة تطالبنى بأن أسحب

(١) [الجزء الثالث من هنرى السادس الفصل الأول ، المشهد الأول .]

(٢) [Isabelita, no llores, que se marchitan las flores.]

(٣) [المظنون أنه فيكتور آدلر (Adler = نسر) الزعيم الاشتراكي الديمقراطي (١٨٥٢ - ١٩١٨) . وانظر

الإشارة التى سترد قريباً إلى هذا الاسم .]

(٤) [إشارة إلى مثال معروف للسيد المسيح تجده فى إنجيل لوقا ، الإصحاح الخامس عشر ، ويضرب

للمرء يركب رأسه ثم يعود إلى عشيرته مستغفراً .]

(٥) [ترجمة حرفية لوصف جار : saugrab .]

كلمتى ، ولكننى ثبت على موقعى . وكان الزميل المهان أعقل من أن أن يرى فى تلك البادرة تحديداً موجهاً إليه ، فترك المسألة تهداً من تلقاء نفسها .

وأما العناصر المتبقية من هذا الموقف الأول فى الحلم فتنبعث من طبقات أعمق . فما معنى أن يعلن الكونت عن « حشيشة السعال » ما أعلنه ؟ لا مناص لى هنا من أن أسأل مستدعيانى ، فأجد : حشيشة السعال [والترجمة الحرفية لاسمها الألمانى هى : خس الحافر] - خس - سلطة - كلب السلطة ^(١) إننا نجد هنا ذخيرة من أسماء الشتائم :

زَرَّ - افه [« آفه » بالألمانية معناه القرد] ، خنزير ، كلب - وكان يسغنى لو قد عرجت على اسم آخر أن أتوصل إلى حمار ، وأن أخرج بذلك مدرساً جامعياً آخر . وأنا - عدا ذلك - أترجم حشيشة السعال إلى الفرنسية - ولست أدرى هل الترجمة صحيحة أم لا - بكلمة "pisse-en-lit" ^(٢) . ولقد استنتجت ذلك من رواية زولا « جرمينال » ففيها نرى الأطفال يكلفون بجمع هذا النبات لأجل السلطة . والكلب ينطوى اسمه الفرنسى - chïen - على جناس مع اللفظ الدال على الوظيفة العضوية الكبرى (Chier [تبرز] مثل pisser بالنسبة إلى الوظيفة الأصغر) . ولا يلبث أن تجتمع لنا القذارة فى كل حالاتها المادية [الصلبة والسائلة والغازية] : فإن تلك الرواية عينها « جرمينال » - وهى تدور إلى مدى كبير حول الثورة القادمة - قد اشتملت على وصف منافسة فريدة فى نوعها حول إنتاج مستخرج غازى اسمه فلاتوس ^(٣) [نفس أو ريح] . ولا يسغنى الآن إلا أن ألحظ كيف مهّدت الطريق المؤدية إلى « فلاتوس » هذا منذ أمد طويل : من الأزهار عبر البيت الإسبانى إلى إيزابيلينا ، إلى إيزابيلا وفرديناد ثم عبر هنرى الثامن إلى التاريخ

(١) ["Salathund"] أى « كلب السلطة » تعبير نمسوى يقال لمن استيأس فى التشبث بشئ لاعتن رغبة منه فيه بل لأن غيره قد رغب فيه . ومنشأ هذا التعبير قصة لاقت ذبوعاً عظيماً للكتابة أوجينى شفارتسفالده عن كلب لم يكن يعطيه صاحبه سوى الخس وكان الكلب لا يأكله إلا راغماً ، إلى أن جاء يوماً كلب أدق منه فقرا فأراد أن يزاحمه فى أوراق الخس هذه ، فنهض الكلب يطرد غريمه ويدافع عن خسه دفاع المستميت .

(٢) ["Pissenlit"] فى الحقيقة هو الهندب أو الخس البرى . تقطيع الكلمة على النحو الوارد فى النص

يحملها تحتمل هذا المعنى : بال فى السرير .

(٣) وهو ما لم يرد فى الحقيقة فى Germinal بل فى La terre [الأرض] - وهى غلطة لم ألحظها إلا بعد أن فرغت من التحليل . - لاحظ الاشتراك فى الحروف بين "flatus" و "Huflattich" [حشيشة السعال] .

الإنجليزى وقت حملة الأرمادا [التى شنها الأسبان] على إنجلترا ، وهى الحملة التى صك الإنجليز بعدها « ميداليا » حضروا عليها تلك الكلمات : « ونفخ ، فتبعثروا » (١) ؛ لأن الريح قد بغثرت شمل الأسطول الإسباني (٢) . ولكن تلك كلمات كنت قد فكرت نصف مازح فى أن أتخذها عنواناً لفصل عن « العلاج » ، لو قد بلغت يوماً إلى أن أكتب شرحاً مفصلاً لنظرتى فى المستريا وعلاجها .

وأما المشهد الثانى من الحلم فلست أستطيع الخوض فيه بمثل هذا التفصيل ، حاسباً للرقابة حسابها . فأنا أضع نفسى هنا فى مكان سيد رفيع المقام من رجال ذلك العهد الثورى ، كانت له أيضاً مغامرة مع نسر [آدلر] ، وقيل إنه كان يعانى فقدان القدرة على ضبط الأمعاء ... الخ .. وأعتقد أننى لا أكون محقاً فى تجاوز الرقابة هنا ، وإن يكن الجانب الأكبر من تلك القصة قد رواه لى مستشار البلاط (Aula, conciliarius aulicus) (٣) .

وأما سلسلة الحجرات فمشقة من عربة القطار الخاصة بصاحب السمو التى كنت أفلحت فى أن ألتى نظرة عليها . ولكن الحجرات [Zimmer] — كما هو الحال غالباً فى الأحلام — تعنى أيضاً النساء [Frauenzimmer] (٤) — و « نساء مشاعة » فى هذا المثال . وأما شخص الخادم فيوئى إلى سيدة عجوز بارعة النكتة إيماء أجزيها به سوءاً على حسن ترحيبها وعلى القصص العديدة الطيبة التى كانت تغدق بها على فى منزلها . — وأما الإشارة إلى المصباح فترجع إلى جريلپارتر (٥) الذى دون

(١)

[Flavit et dissipati sunt]

(٢) [١٩٢٥ :] أخذ على كاتب تطوع بتاريخ حياى غير مرجو — هو الدكتور فريتس فيتلز أننى خلقت اسم « يهو » من تلك الكلمات . [١٩٣٠ :] وإن المداليا الإنجليزية لتحمل اسم الرب بالحروف العبرية على صحابة فى الخلف ، بحيث يستطع المرء أن يراها على أنها جزء من الرسم أو من تلك الكلمات على الدواء .

(٣) [Aula] هى الاسم الذى كان يطلق على قاعات الاحتفالات الكبرى بالجامعة (أنظر صدر المشهد الثانى من الحلم) ومن معانيها فى اللاتينية « بلاط الملك » . أما « مستشار البلاط » أو « مستشار ملكى » فترجمة حرفية للكلمة الألمانية "Hofrat" ، وهو لقب كان يمنحه الإمبراطور لكل من امتاز بخدمة طويلة مشهودة فى وظائف الحكومة أو فى الحياة العامة ، دون أن تعنى أن لصاحبها أقل صلة بالبلاط . [

(٤) [ومعناه بالحرف " حجرة النساء " لفظ جار يطلق فى اللغة الألمانية — مع شئ من التحقير — على النساء .]

(٥) [من أكبر كتاب النحس المرححين فى القرن الماضى (١٧٩١ — ١٨٧٢) . لا تزال مسرحياته تمثل إلى اليوم .]

حادثة ظريفة من نوع مماثل كانت قد وقعت له حقيقة ، ثم أدرجها بعد ذلك في مأساته « هير و ولياندر » ^(١) (أمواج البحر والحب - الأرمادا والعاصفة) . ^(٢)

ولست أجد كذلك بدا من أن أمسك عن التحليل المفصل للجزئين الباقيين من هذا الحلم ^(٣) . وأكتفى بأن ألتقط تلك العناصر التي تقودنا إلى مشهدي الطفولة اللذين ما أخذت في مناقشة هذا الحلم على الإطلاق إلا من أجلهما . وسنحذر بحق أن هذا التكم قد ألحأت إليه مادة جنسية ، ولكننا لا نحتاج إلى أن نقف عند هذا التعليل قانعين ؛ فكثيرة هي الأمور التي يصارح بها المرء نفسه وإن واراها عن غيره اضطرابا . ثم إن المسألة لا تتعلق ههنا بالأسباب التي تحملني على أن أخفي الحل ، بل بدوافع الرقابة الباطنة التي أخفت المحتوى الصحيح للحلم عني نفسي . وعلى ذلك لا أجد مناصاً من أن أقول : إن التحليل قد بين أن هذه الأجزاء الثلاثة [الأخيرة ، بعد الجزء الخاص باجتماع الطلبة والكونت الخطيب] إنما هي مباهاة سليطة ، دقيقة من جنون باطل بالعظمة كبحت جماحه في حياتي المستيقظة زمناً طويلاً ، واقتحمت بعض شعابه محتوى الحلم الظاهر نفسه (هي "إلى أننى كثير الدهاء") ، ثم هو يجعلنا من غير شك نفهم أحسن الفهم ذلك المزاج الفائر المتعاطف الذي كنت فيه في المساء الذى سبق الحلم . وقد شملت المباهاة جميع الميادين ؛ فذكر [مدينة] جراتس - مثلاً - كان يرجع إلى تلك الحملة العامية : « ما ثمن جراتس ؟ » - وهى الحملة التي يعرب بها المرء عن اغتباطه إذ يشعر بوفرة المال . وكل من يذكر وصف رابليه المنقطع النظر في حياة جاراجانتوا وابنه بانتاجرويل ^(٤) وأعمالهما

(١) [لياندر فتى من أبيدوس أحبته هير و - وكانت كاهنة لفينوس - أغرق نفسه في الدردنيل .]

(٢) [١٩١ :] لقد حاول سيلبر (١٩١٠) في مقال هام أن يدلل من هذا الجزء من حلمي على أن عمل الحلم لا يملك تمثيل الأفكار الكامنة وحدها ، بل كذلك العمليات النفسية التي تقع في خلال تكوينه (وهو ما يسميه "الظاهرة الوظيفية") . [١٩١٤ :] بيد أننى أعتقد أنه يغفل بذلك تلك الحقيقة : وهى أن "العمليات النفسية التي تقع عند تكوين الحلم" إنما هى بالنسبة إلى مادة تشغل فكرى شأنها شأن غيرها . فن الواضح أننى أفخر فى هذا الحلم المتباهى بأننى قد اكتشفت تلك العمليات .

(٣) [إلا أن فرويد يحلل الجزء الأول منهما (ركوب العربى إلى المحطة) ، فيما بعد ص ٤٣١ .]

(٤) [من وقائع جاراجانتوا الذائفة وأقمة سوف يشار إليها في هذا الكتاب وهى أنه اعتلى كنيسة فوتردام بباريس وبال على أهلها " بولا عتيفا حتى أغرق منهم مائتين وستين ألفاً وأربعة مائة وثمانية عشر رجلاً عدا النساء والأطفال " . وله ولابنه وقائع متعددة في هذا الباب وما يعدله .]

سوف يدرج تحت باب المفارقة ما ألحت إليه الفقرة الأولى من الحلم كذلك . ولكن ها هي ذى تلك المادة التى ينتسب إليها مشهدا الطفولة اللذين وعدت بهما: كنت قد اشتريت من أجل تلك الرحلة حقيقية جديدة ، ظهر لونها - وكان نبياً بنفسجياً - مرات متعددة فى الحلم (أزهار البنفسج ذات اللون البنى البنفسجى ، المصنوعة من قماش خشن ، بجانب شئ يسمى « مصيدة بنات »^(١) ، ثم أثاث الحجرات الرسمية) . ونحن نعلم أن الأطفال يعتقدون أن كل جديد يجذب الأنظار . ولقد قص على هذا المشهد من مشاهد طفولتى الذى حلت روايته فى ذاكرتى محل ذكره ، قيل : إننى وأنا فى الثانية من عمري كنت لا أزال أبلل فراشى بين الحين والحين ، وكنت إذا قرعنى والدى على ذلك عزيته واعدا إياه بأن أبتاع له سريراً جميلاً جديداً أحمر اللون من ن . - وهى أقرب مدينة لها بعض الحجم إلينا . ومن هنا جاءت فى الحلم تلك الجملة الاعتراضية فيما يتصل بالمبولة الزجاجية ؛ اشتريناها من المدينة أو كان علينا شراؤها - إذا وعد المرء فقد حق عليه الوفاء . (ونلاحظ التجاور بين المبولة الزجاجية - رمز مذكر - والحقيقية أو الصندوق - رمز مؤنث [أنظر ص ١٧٨] .) إن كل جنون العظمة عند الطفل متضمن فى وعدى هذا . ولقد عرفنا من قبل ونحن نفسر حلماً سابقاً مدى ما يكون لصعب الطفل المتصلة بالتبول من خطر فى الحلم [أنظر ص ٢٢٠] . كما أن التحليل النفسى للعصابيين قد علمنا مدى الارتباط الوثيق بين بلل الفراش وبين تلك السمة من سمات الطبع التى هى الطموح^(٢) .

ثم جاء بعد ذلك - وأنا فى السابعة أو الثامنة من العمر - مشهد عائلى آخر ما زلت أذكره أبين الذكر : فقد تغاضيت يوماً عما ينهى عنه الاحتشام من إجابة بعض الحاجات فى غرفة الوالدين وفى محضرهم ، وكان أن ألقى والدى - وهو يقرعنى - بتلك الملاحظة : هذا الولد لن يصير شيئاً ما . ولا بد أن هذه كانت صدمة مروعة لطموحى ؛ فالإشارات إلى هذا المشهد لا تزال تترى فى أحلامي من غير انقطاع ، مصحوبة بتعديد ما حققته وأصبت فيه نجاحاً ، كأنما أريد أن أقول : « أترى ؟ لقد صرت مع ذلك شيئاً . » وهذا المشهد الطفلى يزودنا الآن بالمادة التى نسجت منها صورة الحلم الأخيرة بعد أن تبودلت فيها الأدوار بدافع من الانتقام بالطبع : فالرجل العجوز - من الواضح أنه والدى ؛

(١) [تعبير بمعنى عرييد أو قناص نساء .]

(٢) [الجملة الأخيرة قد أضيفت عام ١٩١٤ .]

وما يشير العور إلا إلى الجلوكونا التي أصابت عينا من عينيه^(١) - هو الذى يتبول الآن أماى ، شأنى أمامه من قبل . ثم إن فى الجلوكونا تذكيراً لوالدى بالكوكابين الذى أعانه على احتمال العملية التى أجريت له [أنظر ص ١٩٣] ، كأنما كنت بذلك قد حققت وعدى . وأنا بالإضافة إلى ذلك أهزأ به : فهو أعمى ، وأنا لذلك مضطر إلى أن أمد له الزجاجه ، ثم أسترسل فى تلميحات إلى مكتشفاتى فى نظرية المستريا التى أنا فخور بها^(٢) . ولكن إذا كان مشهدا التبول المستمدان من طفولتى مرتبطين على أية حال بباب

(١) وتفسير آخر : إنه أعور مثل أودين ، أبى الآلهة [فى الأساطير الجرمانية] . - عزاء أودين [اسم رواية أسطورية كتبها Felix Dahn عام ١٨٨٠] . - تعزيتى إياه فى مشهد الطفولة بوعده بشراء سرير جديد .

(٢) وهى هى ذى مادة تفسيرية أخرى : إن الإمساك بالزجاجه يذكرنى بقصة الفلاح الذى ذهب إلى النظاراتى فظل يجرب الزجاجه [أى العدسة] بعد الزجاجه دون أن يستطيع القراءة . - (مصيدة فلاحين] ويقال للمحتال [- مصيدة بنات ، فى الفقرة السابقة من الحلم .) - المعاملة التى يلقاها الأب على أيدي الفلاحين بعد أن ضعف عقله فى رواية زولا « الأرض » - المقاصة الفاجعة حين أخذ والدى فى أواخر أيام حياته يوسخ الفراش بدوره كالطفل ، ولهذا كان أفى ظهرت مرضا . - « كان التفكير والخبرة الفعلية شيئا واحدا هنا » . يذكرنى ذلك بمسرحية أدبية ذات طابع ثورى عنيف كتبها أوسكار بانيتسا ، فيها يلقي الأب - وقد تشكل فى صورة رجل عجوز مشلول - شر المعاملة ، و « كن » و « يكون » كانتا هنا شيئا واحدا ، فكان على ملاك من ملاكته - أشبه بجانيמיד [ساقى الآلهة فى الأساطير اليونانية] - أن يحول بينه وبين اللعن والسب وإلا تحققت دعواته على الفور . - وأما التفكير فى خطة فلول موجه إلى والدى يرجع إلى فترة لاحقة فى نمو ملكتى النقدية . والحق أن كل محتوى الحلم بما فيه من تمرد ومن عيب فى الذات الملكية وانتقاص للسلطة العليا إنما يرجع إلى ثورة على والدى . فالأمير يدعى أبى الشعب ، والأب أقدم السلطات وأولها ، وهو بالنسبة إلى الطفل السلطة المفردة ، ومن هيمنته المطلقة خرجت فى خلال تاريخ الحضارة سائر السلطات (اللهم إلا بالقدر الذى يقتضى به « النظام الأموى » تقييد هذه القضية) . - وحيلة الحلم : « كان التفكير والخبرة الفعلية شيئا واحدا » تتصل بتفسير الأعراض الهدئية ، وهذه أيضا تتصل المبولة الزجاجية . فلست أحتاج إلى أن أشرح لمن كان من أهل قريتنا ما هو المبدأ الأساسى الذى تقوم عليه اللعبة المسماة « Gschinas » : إنها تتلخص فى أن تتركب من مواد تافهة أو - وهو أفضل - مضحكة ، معدومة القيمة موضوعات تبدو فادرة غالية ، كأن تصنع درعا من أوعية المطبخ والقش وأرغفة الخبز المكورة وغيرها - وهى تسلية يشغف بها فنانونا فى سهراتهم البوهيمية . ولقد لاحظت أن المستريين يجرون على تلك الوتيرة : فهم إلى جانب ما يقع لهم حقيقة يبيتون لأنفسهم - لا شعوريا - أحداثا متخيلة ، مروعة أو منحرفة ، يركبونها من أقل خبراتهم ضررا أو أكثرها ألغة . وأعراضهم ترتبط فى المرتبة الأولى بهذه التخيلات وليس بذكريات الأحداث الحقيقية ، سواء أكانت هذه أحداثا جدية أم كانت أحداثا خالية من الشأن . ولقد أعاننى هذا الكشف على كثير من الصعوبات ، وجلب لى سرورا لا يعدهل سرور . وأما الذى مكثنى من الإلحاح إلى هذا كله بوساطة هذا المنصر من الحلم ، « مبوله الرجال الزجاجية » ، فهو ما سمعته عن ليلة « الكشناس » الأخيرة من أن كأما سامية من ككوس لوكريس بورجيا قد عرضت فيها ، وكان هيكلها وأهم أجزائها مكونا من مبوله زجاجية للرجال .، من قبل ما يستعمل فى المستشفيات .

الحنون بالعظمة أوثق الارتباط ، فقد أعان بعد ذلك على تنبيههما في خلال رحلة آوسى ما اتفق من خلوه مقصورتى من المرافق ومن أننى كنت أتوقع تلك الورطة ، مثلماً حدث بالفعل فى الصباح : فقد استيقظت إذ ذاك وأنا أشعر بحاجة عضوية . وأغلب ظنى أننا قد نميل هنا إلى أن نرى فى هذا الشعور العامل الذى أطلق الحلم فعلاً . ولكننى أؤثر وجهة نظر أخرى ، هى على التحقيق : أن الحاجة إلى التبول إنما بعثت عليها أفكار الحلم . فإنه لأمر غريب على كل الغرابة أن تزعجنى فى أثناء النوم حاجة جسمية من أى نوع كانت ، وبخاصة فى ذلك الوقت الذى استيقظت فيه - الثانية والخامسة والأربعون . ويبقى اعتراض آخر أدفعه بأن ألاحظ أننى لم أشعر قط فى رحلات أخرى تحقق لى فيها من أسباب الراحة قسط أوفر بالحاجة إلى التبول بعد الاستيقاظ مبكراً . وليس يضربنى على أية حال أن أترك تلك المسألة من غير بت .

ولما كانت خبراتى فى تحليل الأحلام قد جذبت انتباهى إلى أنه حتى تلك الأحلام التى يبدو تفسيرها للوهلة الأولى أمراً مفروغاً منه لأننا اكتشفنا من غير عناء مصادرها والرغبات الخافزة إليها - تخرج منها هى الأخرى خيوط تمتد إلى أبعد عهود الطفولة ، فإنى لم أجد مفراً من أن أسأل : هل هذه الخاصة أيضاً شرط جوهرى من شروط الحلم ؟ ومعنى ذلك - إذا وضعنا القضية فى صورة كلية - هو أن كل حلم يرتبط فى محتواه الظاهر بخبرات حديثة العهد ، لكنه - فى محتواه الكامن - مرتبط بأشد الخبرات قدماً ، تلك الخبرات التى تمكنت من أن أبين بالفعل فى تحليل الهستيريا أنها قد ظلت على حداثتها بالمعنى الصحيح للكلمة حتى الزمن الحاضر . بيد أن هذا الظن ما زال يبدو بحق صعب البرهان غاية الصعوبة ، وسوف أعود فى مناسبة أخرى (الفصل السابع [القسم ب ، ص ٥٤٣-٥٤٤]) إلى مناقشة النصيب المحتمل الذى تقوم به خبرات الطفولة المبكرة فى تكوين الحلم .

فإذا رجعنا إلى الخصائص الثلاث التى تتميز بها الذاكرة فى الحلم والتى أحصيناها فى مطلع هذا الفصل ، وجدنا أن الواحدة - تفضيل ما هو ثانوى فى محتوى الحلم - قد لقيت حلاً مرضياً بإرجاعها إلى تشويه الحلم . فأما الاثنتان الأخريان - تغليب الحديث والطفلى - فقد تأيد لنا وجودهما ، بيد أننا لم نتمكن من استنباطهما من الدوافع المؤدية إلى فعل الحلم . فلا ننسى هاتين الخاصيتين اللتين يبقين علينا تعليلهما أو تقديرهما ؛ فهما - لا محالة - واجدتان مكانهما فى موضع آخر : إما فى سيكولوجية حالة النوم ، أو

عند البحث في تركيب الجهاز النفسى - وهو البحث الذى سوف نشرع فيه حين نكون تعلمنا أن تفسير الحلم أشبه بنافذة نستطيع أن نلقى منها نظرة إلى باطن هذا الجهاز [أنظر الفصل السابع] .

غير أن هناك نتيجة أخرى تلزم من تحليلات الأحلام السابقة نبه إليها دون إهمال ، وهى : أن الحلم كثيراً ما يبدو الحلم حاصلًا على أكثر من معنى واحد . فهو كما يتبين من أمثلتنا - قد لا يقتصر على أن يحقق رغبات متعددة جنباً إلى جنب بل قد يتضمن فوق ذلك جملة من المعانى أو تحقيقات الرغبات يفتش كل منها غيره حتى نعثر فى القاع على تحقيق رغبة ترجع إلى أقصى عهود الطفولة . وهنا نسأل من جديد : أليس الأصدق هو أن نضع « دائماً » بدل « من الشائع » فى هذه القضية ؟ ^(١) .

ج

المصادر الجسمية للحلم .

لو أننا أردنا أن نبعث أحد المثقفين غير المختصين على الاهتمام بمشكلات الحلم ، فسألناه من أجل هذا الغرض أى المصادر تصدر عنها الأحلام فى زعمه ، لوجدنا فى معظم الأحيان أن من نسأله يظن أنه واثق كل الثقة من امتلاكه هذا الجزء من الجواب عن السؤال : فهو يفكر لفوره فى الأثر الذى يحدثه فى تكوين الحلم هضم معتل أو عسير (« الأحلام تأتى من المعدة » [أنظر ص ٦٠]) أو وضع يعرض للجسم أو حدث صغير يقع أثناء النوم ، وهو لا يظهر أبداً ولو ربية فى أننا إذا حسبنا لهذه العوامل جمعاء حسابها بقى بعدها شيء يقتضى مع ذلك إيضاحاً .

فأما النصيب الذى تعزوه المؤلفات العلمية إلى المصادر الجسمية للتنبيه فى تكوين الحلم ، فذلك ما أطلنا فى تبياناه فى الفصل الذى قدمنا به (ص ٦٠) بحيث لا نحتاج

(١) إن تراكم معانى الحلم بعضها فوق بعض طبقات مشكلة من أدق مشكلات تفسير الحلم وإن تكن كذلك من أمتها . وكل من نسى هذه الإمكانية سهل عليه أن يفضل الصواب وأن يتقاد إلى قضايا لا يمكن الأخذ بها فى مافية الحلم . ومع هذا فالأبحاث الموضوعة فى هذا الباب لا تزال قليلة غاية القلة . فاجد حتى الساعة من دراسة عميقة سوى تلك التى خصصها أوتو رانك (١٩١٤ أ) لتراكم الرمزى المنتظم إلى حد كبير فى الأحلام الناشئة عن منه بولى .

هنا إلى غير التذكير بنتائج ذلك البحث : لقد سمعنا أن هناك ثلاثة أنواع من المصادر الجسمية للتنبيه تنبغى التفرقة بينها : المنبهات الحسية الموضوعية الناشئة عن موضوعات خارجية ، الحالات التهييجية الباطنة لأعضاء الحواس - وهذه ليس لها إلا أساس ذاتي - ثم المنبهات الحسائية المنبعثة من باطن الجسم . ولاحظنا بالإضافة إلى ذلك نزوع المؤلفين إلى أن يهونوا من قيمة كل مصدر نفسي للحلم بجانب هذه المنبهات الحسية ، أو إلى أن يستبعدوه جملة (ص ٨٧) . فلما فحصنا ما يدعى لهذه المنبهات الجسمية من شأن ، انتبهنا إلى أن قيمة المنبهات الموضوعية لأعضاء الحس - وبعضها عارض في أثناء النوم وبعضها يستحيل تجنب النفس إياه ولو كانت نائمة - أمر تثبته الملاحظات المتعددة ويؤيده التجريب (ص ٦٢) ، وأما نصيب التهييجات الحسية الذاتية فيثبته - فيما يبدو - رجوع الصور الحسية قبل النوم في الأحلام (ص ٦٨) ، وأخيراً فإن ما يقال على إطلاقه من رجوع صور الحلم وأفكاره إلى منبهات جسمية باطنية أمر يستحيل قطعاً لإثباته في كل مداه ، ولكنه قد يجد مع ذلك سنداً فيما هو معروف من تأثير حالات التهييج الذي يصيب أعضاء الهضم والتبول والإنسال في أحلامنا [ص ٧٤] . وهكذا يكون « التنبيه العصبي » و « التنبيه الحسائي » هما المصدران الحسيمان للحلم ، أى - في رأى كثير من الكتاب مصدراه الوحيدان على الإطلاق .

غير أننا قد سمعنا أيضاً أصواتاً تعرب عن عدد من الشكوك ، وإن كان من الحق أن هذه الشكوك لا تبلى موجهة إلى صحة نظرية التنبيه الحسنى ، بل إلى كفايتها .

فهما كان من ثقة المتصرين لهذه النظرية من ناحية أسسها الواقعية - وعلى الأخص فيما يتعلق بالمنبهات العصبية الخارجية العارضة التي يسهل قفوها في محتوى الحلم دون ما عناء - فما غاب عن أحدهم أن في الأحلام من ثراء المحتوى الفكري ما يستحيل تفريعه من المنبهات العصبية الخارجية وحدها . ولقد مكثت الآتسة ماري هويتون كالكنيز ستة أسابيع تبحث من هذه الوجهة أحلامها وأحلام شخص آخر ، فلم تجد على الترتيب سوى ١٣،٢ و ٦،٧ من المائة حلماً أمكن فيها الاهتمام إلى عنصر الإدراك الحسى الخارجى ، ولم يكن في المجموعة كلها سوى حلمين أمكن إرجاعهما إلى إحساسات عضوية . فالإحصاء يؤيد هنا ما قد ختمته من نظرة عاجلة إلى خبراتى الخاصة .

وكثيراً ما يرتأى البعض أن تفصل أحلام « التنبيه العصبي » - باعتبارها نوعاً سافلاً

من الأحلام تمت دراسته دراسة وافية من سائر أشكال الحلم . ومثال ذلك شبيتا إذ يقسم الأحلام قسمين : أحلام تنبيه عصبي وأحلام تداع . بيد أن من الواضح أن ذلك سوف يظل حلاً غير مرض ، ما دمنا لا نفلح في تبيان الرباط بين المصادر الحسية للحلم وبين محتواه الفكرى .

وهكذا ينهض إلى جانب الاعتراض الأول : أن المصادر الخارجية للتنبيه ليست كثيرة الوقوع الكثرة الكافية - ينهض اعتراض ثان : أن تعليل الأحلام التى تأتى بوساطة مثل هذه المصادر ليس بالتعليل الكافى . ذلك لأن أنصار هذه النظرية مدينون لنا بإيضاحين : الأول : لم كان المنبه الخارجى لا يُعرَف فى الحلم على طبيعته الحقة ، بل يعرف دائماً معرفة خاطئة (أنظر أحلام جرس المنبه فى ص ٦٥) ؟ والثانى هو : لم كانت استجابة النفس النائمة لهذا المنبه الذى يعرف معرفة خاطئة تتنوع كل هذا التنوع الذى لا ضابط له ؟ لقد سمعنا شرومبل يقول فى الإجابة عن هذا السؤال : إن النفس وقد انصرفت فى أثناء النوم عن العالم الخارجى لم تعد قادرة على أن تفسر المنبهات الموضوعية الحسية تفسيراً صحيحاً ، بل هى مضطرة إلى أن تشيد أوهاماً حسية على ما يصل إليها من تنبيه مبهم فى كثير من نواحيه ، أو بعبارة هو (١٨٧٧ ، ١٠٨) :

« إنه ما أن يستثار فى النفس النائمة - نتيجة لمنبه عصبي خارجى أو باطنى - إحساس أو مركب من الإحساسات أو انفعال أو أية عملية نفسية بوجه عام ، وما أن تدرك العملية المستثارة على هذا النحو بوساطة النفس - حتى تستدعى العملية صوراً حسية تستمد من نطاق خبرات اليقظة المتخلفة فى النفس ، أى مدركات سابقة ، تجيء إما مجردة من قيمتها النفسية التابعة لها وإما مصخوبة بها . وهكذا تحيط العملية نفسها بعدد يزيد أو ينقص من أمثال تلك الصور التى من طريقها يكتسب الانطباع الناشئ عن المنبه العصبي قيمته النفسية . ونحن نقول هنا (مثلما اعتدنا أن نفعل فيما يتصل بسلوك اليقظة) إن النفس تفسر الانطباعات الناجمة عن المنبه العصبي . ونتيجة هذا التفسير هى ما نسميه حلم تنبيه عصبي ، أى حلماً تحتتمت مقوماته بوساطة منبه عصبي ، أحدث أثره النفسى فى النفس النائمة وفقاً لقوانين الاستحضار . »

ويطابق تلك النظرية مطابقة جوهرية قول فونت : إن أفكار الحلم يصدر الجزء الأعظم منها على الأقل عن منبهات حسية ومنبهات الحساسية العامة بالجسم بنوع خاص ، (١٦)

ولهذا كان معظمها أوهاماً تخيلية ولم تكن إلا إلى حد ضئيل في الراجع ذكريات خالصة اشتدت إلى درجة الهلاوس . ولقد عثر شرومبل على تشبيه موفق للعلاقة التي تخلص من هذه النظرية بين محتوى الحلم ومنبهاته ، وذلك إذ يقول : « إن الأمر يبدو كأن رجلاً لا يملك أقل معرفة بالموسيقا قد أجال أصابعه العشرة على مفاتيح المعزف . » وهكذا لا يكون الحلم بحسب تلك النظرة ظاهرة نفسية تقوم على دوافع نفسية ، بل نتيجة لتنبية فيزيولوجي أعربت عنه أعراض نفسية ؛ لأن الجهاز الذي أصابه المنبه لا يملك أية صورة أخرى من صور التعبير . وعلى مسلمة مماثلة يقوم — مثلاً — التشبيه الذائع الذي أراد ماينيرت أن يعلل الأفكار القهرية بوساطته : ميناء الساعة تبرز عليها بعض الأرقام لأنها قد زيدت تحديداً .

غير أنه مهما كان التحييد الذي صارت تنعم به نظرية التنبية الحسائي ومهما بدا من جذبها ، فمن الهين كذلك أن نبين موطن الضعف فيها . فكل منبه من منبهات الحلم الحسية التي تحث الجهاز النفسى النائم على تفسيرها بتشديد الأوهام يستطيع أن يطلق عدداً لا يحصى من أمثال هذه المحاولات التفسيرية ، وأن ينتهى بذلك إلى أن تمثله في الحلم أفكار لا حصر لها^(١) . ولكن نظرية شرومبل وفوننت تعجز عن أن ترينا أى دافع يضبط العلاقة بين المنبه الخارجى وبين فكرة الحلم المختارة لتفسيره ، أى عن أن تعلل « هذا الاختيار العجيب » الذى كثيراً ما تبديه المنبهات « في خلال نشاطها المنتج » (ليس ، ١٨٨٣ ، ص ١٧٠) . ثم هناك اعتراض آخر يمتد إلى المسلمة التي تنبنى عليها نظرية الوهم بأسرها ، وهى المسلمة القائلة بأن النفس حين تنام تفقد القدرة على تعرف الطبيعة الحقيقية للمنبهات الموضوعية الحسية : فقد بين الفيزيولوجى بورداخ منذ زمن طويل أن النفس تملك في النوم كذلك قدرة تامة على أن تفسر ما يصل إليها من الانطباعات الحسية تفسيراً صحيحاً ، وعلى أن تستجيب بما يتفق وهذا التفسير الصحيح ، وذلك حين ذكر بأن في وسع الإنسان أن يستثنى من الإهمال الذى يشمل الانطباعات الحسية عند النوم تلك الانطباعات التي تبدو له ذات بال (الموضع والطفل) ، وأن استيقاظ المرء على صوت اسمه أوثق كثيراً من استيقاظه على انطباع سمعى آخر لا يهمه في شيء وكل هذا يتضمن

(١) لقد أخرج مورلى فولد مجلدين يحتويان على وصف دقيق مفصل لطائفة من الأحلام أحدثها بالتجريب ، مجلدين أشير على كل قارئ بدراساتها ؛ حتى يقتنع بضالة الضوء الذى تلقىه الشروط التجريبية الموصوفة في هذين المجلدين على محتوى الأحلام الجزئية ، ثم بقلة غناء أمثال هذه التجارب عامة في فهم مشاكل الحلم .

من غير شك أن النفس تفرق في النوم كذلك بين الإحساسات (الفصل الأول ص ٨٨) .
 ويخلص بورداخ من هذه الملاحظات إلى أن ما ينبغي افتراضه في خلال حالة النوم ليس
 العجز عن تفسير المنبهات تفسيراً صحيحاً ، بل نقص الاهتمام بها . وهذه الحجج التي
 استخدمها بورداخ عام ١٨٣٠ تعود هي هي عام ١٨٨٣ عند ليبس في نقده لنظرية
 التنبيه الجسماني . وهكذا تبدو النفس مثلها مثل الحالم الذي تحكى عنه الحكاية ؛ فقد
 سأله سائل : « هل أنت نائم ؟ » فأجابته : « كلا » ، فلما أثنى السائل : « إذن أقرضني
 عشرة ريالات » تعلل قائلاً : « إنني نائم » .

ومن الممكن أن نثبت عدم كفاية نظرية التنبيه الجسمي بطرق أخرى . فالملاحظة
 تظهر أن المنبهات الخارجية لا تدفعني إلى الحلم دفعاً وإن كانت هذه المنبهات تظهر في
 الحلم بمجرد ما أحلم وإذا ما حلمت . ودعنا نفترض أن منبهاً من المنبهات ، بضغط أو
 بلمس ، قد عرض لي في أثناء النوم : إن في متناولي أن أستجيب له باستجابات مختلفة :
 فأنا أستطيع أن أغض الطرف عنه لكي أكتشف حين أستيقظ أن ساقاً من ساق قد
 تعرت أو أن ساعداً قد ضغط – وفي عالم الأمراض شواهد موفورة على أن منبهات حسية
 أو حركية شديدة التهييج ، مختلفة النوع قد تلبث دون أن تحدث أثراً في خلال النوم .
 ثم أنا قد أستشعر هذا الإحساس وأنا نائم ، أستشعره « من خلال » النوم ، كما نقول ،
 (وتلك هي القاعدة في حالة المنبهات المؤلمة) ولكن دون أن أنسج من الألم حلماً . وفي
 استطاعتي – ثالثاً – أن أستجيب لهذا المنبه بالاستيقاظ لكي أتخلص منه ^(١) . وأما أن
 يسوقني المنبه العصبي إلى الحلم – فإن هذا إلا احتمال رابع ، يقع ، ولكن الاحتمالات
 الأخرى تقع أيضاً بمثل كثرته على الأقل . وما كان ذلك ليكون لولا أن الدافع إلى الحلم
 يكمن خارج المصادر الجسمية للحلم .

وقدر بعض الكتاب – وأعني به شرزر والفيلسوف فولكلت الذي تابعه – قدروا
 شأن تلك الثغرات التي عينت عليها الآن في تعليل الحلم بوساطة المنبهات الجسمية تقديراً
 صائباً ، فحاولوا أن يعرفوا بجزء من الدقة ما هي أوجه النشاط النفسي التي تؤدي

(١) أنظر مقالة لاندور عن السلوك في أثناء النوم (١٩١٨) . وإن في استطاعة كل منا أن يلاحظ
 أناساً نائمين وهم يقومون بأفعال ذات دلالة واضحة . فالإنسان لا يرتد عند النوم إلى البله المطلق ، إنه – على
 العكس – يظل قادراً على الإتيان بأفعال منطقية متعمدة .

إلى نشوء صور الحلم المتقلبة من المنبهات الحسية ، أى أن يعودوا بماهية الحلم فيقيموها من جديد فى النفس وفى نشاطها . فشرنر لم يكفه أن يترك لنا وصفا يزخر بالإحساس الشعاعى ويفيض حياة للخصائص النفسية المتجلية فى تكوين الحلم ، بل هو قد اعتقد فوق ذلك أنه اكتشف المبدأ الذى تسلك النفس بمقتضاه حيال المنبهات التى تعرض لها ، وهذا المبدأ هو : إن عمل الحلم — وقد أطلقت الخيلة فيه من قيود النهار — ينزع إلى تصوير العضو الذى ينبعث منه المنبه وكذلك طبيعة هذا المنبه تصويراً رمزياً . وهكذا يخرج لنا ما يشبه أن يكون كتاباً من كتب الأحلام ، مرشداً إلى تفسيرها ، به يتسنى لنا أن نستدل من صور الحلم على أحاسيس الجسم وحالة الأعضاء وطبيعة المنبهات . «فصورة القط تعرب عن مزاج مستاء غضوب ، بينما تعرب صورة الحبز الأملس الفاتح اللون عن عرى الجسم . والجسم الإنسانى فى مجموعته تصوره بخيلة الحلم فى صورة منزل وتصور كل عضو منه بجزء من أجزاء المنزل . وفى (الأحلام ذات المنبه السنى) يقوم بهو مرتفع السقف مقوسه مقام الفاه ، ويقوم سلم مقام الطريق النازل من الخلق إلى البلعوم . وأما (أحلام الصداق) ففيها يصور أعلى الرأس سقف غطته عناكب شبيهة بالصفادع السامة ، تبعث أشكالها على الغثيان » (فولكلت ١٨٧٥ ، ٣٩) . وبنوع الحلم فيختار من هذه الرموز العدد الكبير للدلالة به على ذات العضو ، فالرثتان وهما تنفسان قد تجدان رمزهما فى موقد استعر لهبه وصار له حفيف ، بينما يجده القلب فى صناديق أو سلال خاوية ، وتجده الكلية فى موضوعات مستطيلة تشبه الأكياس أو مجوفة وحسب بوجه عام . والمهم بنوع خاص هو أن العضو الذى أثار الحلم — أو وظيفة هذا العضو — كثيراً ما يتكشف فى ختام الحلم صراحة ، ويتكشف فى معظم الأحيان فى جسم الحالم نفسه ، وهكذا ينتهى عادة الحلم الناجم عن منبه سنى بأن يرى الحالم نفسه وهو يخلع سنا من فيه « (ص ٣٥) . ولا يستطيع المرء أن يقول : إن هذه النظرية قد لاقت من المؤلفين ترحيباً كثيراً . فالغربة أظهر ما فيها ، حتى أن الكتاب ترددوا فى أن يسلموا لها ولو بهذا القسط من الوجهة الذى نرى أنه حق لها . فهى تؤدى — كما نرى — إلى أن يبعث من جديد تفسير الأحلام بوساطة الرموز — وهو المنهج الذى اتبعه القدماء — سوى أن النطاق الذى تؤخذ منه التفسيرات قد حدد بحدود الجسم الإنسانى نفسه . ثم إن خلو نظرية شرنر من كل نهج فى التفسير نستطيع تعقله بأسلوب علمى قد ضيق من غير شك إمكان تطبيقها تطبيقاً عظيماً . وأما الاسترسال مع

الهوى فى تفسير الحلم فلا يبدو أن تلك النظرية تمنعه بحال من الأحوال ، وبخاصة أن من الحائز — هنا أيضاً — أن يظهر المنبه الواحد فى محتوى الحلم بصور شتى ، وهكذا عجز أيضاً تلميذ شرر ، فولكلت ، عن أن يؤيد ظهور الجسم فى صورة المنزل . واعتراض آخر لا بد منه ، وأعنى به أن النفس تودع مرة أخرى القدرة على الحلم وكأنها أودعت شيئاً لا نفع منه ولا غاية له ؛ فالنفس تقنع فى تلك النظرية التى نحن بصدددها بأن تحيك التخيلات حول المنبهات التى تشغلها ، دون أقل إشارة إلى وظيفة تستهدف التخلص من تلك المنبهات .

بيد أن هناك اعتراضاً آخر ينال نيلاً بالغاً من نظرية شرر فى أن الحلم يعبر عن المنبهات الجسمية تعبيراً رمزياً : فهذه المنبهات قائمة فى كل وقت ، ومن الأمور المتفق عليها أن النفس أشد إحساساً بها فى النوم منها فى يقظتها ؛ وعلى ذلك كنا لا نفهم لم لا تحلم النفس طيلة الليل كله من غير انقطاع ، بل لم لا تحلم فى كل ليلة بجميع الأعضاء . لقد نحاول تجنب هذا الاعتراض ، فنقول : إنه لكى يستثار نشاط الحلم فلا بد من أن تصدر عن العين والأذن والأسنان والأحشاء وغيرها من الأعضاء تهيجات عدا المألوفة . وعندئذ نواجه صعوبة أخرى ، ألا وهى أن نثبت وقوع هذا الاشتداد فى التنبيه — وهو ما لا يتسنى إلا فى عدد قليل من الحالات . فلو أن أحلام الطيران كانت رمزاً للرثين حين تعلوان وحين تهبطان ، لكان الواجب — كما لاحظ شرومبل — أحد أمرين : فلما أن يكون لهذه الأحلام من كثرة الوقوع ما يزيد عن المألوف زيادة كبرى ، وإما نثبت أن النشاط التنفسى قد اشتد فى أثنائها . وهناك بعد احتمال ثالث هو أرجح الاحتمالات جميعاً ، وأعنى به أن دوافع خاصة قد تعمل عملها فى هذه اللحظة أو تلك فتجذب الانتباه إلى الإحساسات الأحشائية القائمة فى كل وقت ، ولكن ذلك احتمال يحملنا إلى ما وراء نظرية شرر .

إن القيمة التى لأفكار شرر وفولكلت تقوم فى كونها تجذب الانتباه إلى عدد من الخصائص التى يتميز بها محتوى الحلم — وهى خصائص تتطلب تعليلاً وتبدو تبشر باكتشافات جديدة . فمن الحق كل الحق أن الأحلام تحمل فى طياتها رموزاً ترمز لأعضاء الجسم ووظائفه : أن الماء فى الحلم يشير كثيراً إلى منبه بولى ، وأن أعضاء التناسل عند الذكر قد تصور بعضاً مثبتة تثبيتاً عمودياً أو بعمود أو بما أشبه . والأحلام التى يزدحم

فيها الحقل البصرى بالحركة وبالألوان الزاهية — على خلاف ما يسود بعض الأحلام الأخرى من قتمة — هذه الأحلام لا نكاد نستطيع تفسيرها بغير كونها «أحلاماً ذات منبه بصرى» ، ولا نحن نستطيع أن ننازع في دخل الأوهام الحسية في الأحلام التى تحوى ضوضاء ولغظا . فحلم كالذى يرويه شرر عن فريقين من الصبية الحسان الشقر اصطفا على جسر فى صيفين متقابلين ، أخذ كل منهما يهجم على الآخر ثم يعود إلى موضعه ، إلى أن يرى الحلم نفسه فى النهاية وقد جلس على جسر وهو يخلع سنا ، أو حلم كالذى يرويه فولكلت ، كان لصيفين من الأدراج شأن فيه وانتهى مرة أخرى بسن يخلع — أحلام كهذه يورد منها هذان المؤلفان العدد الوفير لا تسمح لنا بأن ننبد نظرية شرر كما لو كانت اختراعاً لا طائل منه دون أن نبحت لها الطيب . ومهمتنا إذن هى أن نجد تعليلاً من نوع آخر للتعبير الرمزي المفترض عما يقال إنه منبه سنى .

لقد امتنعت طيلة هذا الوقت الذى شغلنا فى أثناءه بنظرية المصادر الجسمية للحلم عن استخدام الحجة التى تلزم من تحليلاتنا للأحلام . فلو قد تسنى لنا بطريقة لم يطبقها سائر المؤلفين على المواد المتجمعة عندهم عن الأحلام أن نثبت أن الحلم قيمته الخاصة من حيث هو فعل نفسى ، وأن الدافع إلى تكوينه رغبة ، وأن خبرة اليوم السابق تمده بأقرب مادة يبنى منها محتواه ، فإن كل نظرية أخرى فى الحلم تغفل طريقة فى البحث تلك أهميتها وتظهر الحلم من ثمت فى صورة استجابة نفسية ، معلومة القيمة ، معماة ، إزاء بعض المنبهات الجسمية — هى نظرية مقضى عليها من غير حاجة إلى نقد خاص . هذا ، وإلا وجب أن يكون ثمت نوعان من الأحلام مختلفان أكبر الاختلاف ، مر أحدهما بى وحدى ومر الآخر بالبحث السابقين وحدهم — وهو أمر بعيد كل البعد عن الاحتمال . والذى يبقى علينا — إذن — إنما هو أن نجد فى نطاق نظريتنا عن الحلم مكاناً للوقائع التى قامت عليها النظرية السائرة ، نظرية التنبيه الجسمى للأحلام .

لقد خطونا بالفعل الخطوة الأولى فى هذا الاتجاه حين سقنا تلك القضية ، وهى : أن الحلم يعمل مدفوعاً إلى أن يصوغ فى وحدة كل حوافز الحلم الناشطة فى وقت واحد (ص ٢٠٠) . وكنا رأينا أنه إذا تخلفت من اليوم السابق خبرتان أو أكثر من الخبرات القادرة على أن تستثير انطباعاً فإن الرغبات المتفرعة عن هذه الخبرات تدمج فى حلم واحد ، ورأينا كذلك أن الانطباع ذا القيمة النفسية يدرج فى مادة الحلم إلى جانب خبرات اليوم

السابق التافهة ، بشرط أن يتسنى إيجاد أفكار تصل ما بينهما . وهكذا يبدو الحلم استجابة لكل ما يجتمع حضوره في النفس حضوراً ناشطاً . فمادة الحلم — بقدر تحليلنا إياها حتى الآن — قد رأينا أنها مجموعة من البقايا النفسية والآثار الذكورية ، اضطررنا (لما بدا من إثارة المادة الحديثة والطفلية) إلى أن ننسب إليها صفة نفسية تركناها حتى الآن من غير تحديد ، هي صفة الحضور الناشط . وعلى ذلك كنا لا نصادف كبير حيرة في أن نتنبأ بما يقع إذا ما جاءت مادة جديدة — هي الإحساسات — فانضافت في خلال النوم إلى هاته الذكريات الحاضرة حضوراً ناشطاً : إن هذه التهييجات الحسية سوف تكتسب هي الأخرى أهمية بالنسبة إلى تكوين الحلم لكونها حاضرة حضوراً ناشطاً ، وهي سوف توحد مع ما عداها من المواد النفسية ذات الحضور الناشط من أجل تزويد الحلم بالمادة التي تلزم تكوينه . وبعبارة أخرى : إن المنبهات التي تقع في خلال النوم سوف تصاغ بحيث يخرج منها تحقيق رغبة تتكون سائر مقوماته من بقايا النهار النفسية التي نعرف أمرها . ولكن هذا التوحيد أو الإدماج لا يحدث ضرورة ، فقد رأينا أن المنبهات الجسمية التي تقع في أثناء النوم يمكن التصرف إزاءها بأكثر من طريقة . فإن حدث ، لم يكن ذلك إلا لأن الوصول إلى مادة تستطيع أن تمثل كلا مصدرى الحلم — الجسمي والنفسي — قد تيسر .

وليس يغير من ماهية الحلم في شيء أن تضاف مادة جسمية إلى مصادره النفسية ؛ فالحلم يظل تحقيق رغبة أيا كانت الطريقة التي يتم عليها تحم الصورة المفصلة عن هذا التحقيق بوساطة المادة الحاضرة حضوراً ناشطاً .

وإني أفصح الحال هنا طواعية لطائفة من العوامل التي من شأنها أن تحدد مدى ما يكون للمنبهات الخارجية من الأهمية بالنسبة إلى الحلم ؛ فأن يسلك المرء على هذا النحو أو ذاك في حالة بعينها من الحالات التي يشتد فيها التنبيه الموضوعي في أثناء النوم اشتداد نسبياً ، ذلك — كما أتصوره — أمر تحدده مجموعة متآزرة من عوامل فردية ، فيزيولوجية ، عارضة ، تنشأ عن ملاسبات الساعة : فعمق النوم عمقاً مألوفاً أو عارضا — مأخوذاً في علاقته بشدة المنبه — سوف يتيح في حالة قمع المنبه بحيث لا يزعج النائم ويضطر النائم في حالة أخرى إلى الاستيقاظ أو يؤيد محاولته في أن يسكت المنبه بإدخاله في نسيج حلم من الأحلام . وعلى حسب هذه التراكيب المتعددة الممكنة فإن الإفصاح

عن المنبهات الخارجية الموضوعية في صورة حلم سوف يكثر عند هذا الشخص - أو يقل - عنه عند ذلك . فأما فيما يتعلق بى - أنا الذى أنام نوماً ممتازاً وأرفض رفضاً عنيداً أن أنزعج في خلال النوم لأية علة كانت - فيندر كل الندرة أن تجد العلة الخارجية للتنبيه منفذاً إلى أحلامي ، في حين يتضح أن الدوافع النفسية تجعلنى أحلم في سهولة لا مزيد عليها . والحق أنى لم ألحظ إلا حلماً واحداً يمكننا أن نتعرف فيه على منبه موضوعى أليم ، ويفيدنا فائدة كبرى أن نبحت أى أثر أحدثه المنبه الخارجى في هذا الحلم بالذات .

أركب حصاناً رمادى اللون ، أركبه أول الأمر في وجل ومن غير مهارة كما لو كنت لا أفعل سوى التعلق به . أقابل أحد الزملاء ، ب . ، وقد امتطى جواده عالياً ، مرتدياً حلة من الصوف . يجذب ب . نظرى إلى شيء ما (لعله سواركوبى) . أراى الآن أحكم ركوب جوادى ذى الذكاء الخارق إحكاماً متزايداً ، فأستقر عليه مستريحاً ، وألحظ أنى أجدى على صهوته كما لو كنت في دارى . يقوم مقام السرج عندى شيء يشبه الحشية ، يشغل كل المسافة بين عنق الجواد ومؤخره . أجرى على هذا النحو بين عربتين . بعد أن قطعت شوطاً من الطريق أستدير وأريد النزول أول الأمر عند كنيسة صغيرة ، مفتوحة ، تقوم في مواجهة الطريق . ثم بعدئذ أنزل بالفعل أمام كنيسة أخرى تقرب من الأولى . كان فندقى يقع في الطريق نفسه ، وكان يسمنى أن أترك الحصان يلعب إليه بمفرده . ولكننى آثرت أن أقوده إليه . كأنما كان على أن أستشعر النجلى إذ أصل إلى هناك راكباً . يقف أمام الفندق غلام يطلعنى على مذكرة لى عثر عليها ، ويهزأ بى من جرائها . كان مكتوباً على المذكرة - وقد غط سطران تحت ما كتب : « لا أكل » ، ثم جملة ثانية (غير متميزة) مثل : « لا عمل » . تصعب ذلك فكرة مبهمة مؤداها أنى في مدينة غريبة لا أعمل فيها شيئاً .

إن المرء لا يفتن للوهلة الأولى إلى أن هذا الحلم قد جاء بتأثير من منبه أليم ، أو - على الأصح - تحت إكراهه . ولكننى كنت منذ بضعة أيام أعانى خراجات جعلت على من كل حركة عذاباً . وأخيراً ظهر في كيس الحصيتين خراج بحجم التفاحة ، فكان سبباً في ألم لا يطاق مع كل خطوة أخطوها . وحالف الألم على تنغيصى كلال محموم وفقدان للشبهة ثم عمل النهار المضنى الذى مضيت رغم ذلك فيه . ولم أكن أملك كل القدرة على أداء تبعات الطبيعة ، ولكن من السهل - وتلك طبيعة العلة وموضعها - أن نتصور عملاً آخر ، كنت من غير شك أقل صلاحية له منى لأى عمل سواه ، وأعنى به : الركوب . وذلك على التحقيق هو النشاط الذى يسلمنى الحلم إليه . لذلك أقوى إنكار للمرض يستطيع أن يذهب إليه الخيال ! والحق أنى لا أعرف الركوب ولا حلمت به غير هذا الحلم ، كل الأمر أنى أجلس على حصان مرة في حياتى وكان الحصان بغير سرج ولم أجد في ذلك متعة . ولكننى أركب في هذا الحلم ، كأن لم يكن عندى خراج فيما بين الفخذين أو - على الأصح - لأننى لا أريد أن يكون ثمت خراج .

وما السرج الذى جلست عليه - إذا حكمنا استناداً إلى وصفه - إلا الكمادة التى أعانتنى على النوم . وأغلب الظن أنى - وقد هدأتى فعلها - لم أستشعر الألم فى خلال الساعات الأولى من النوم . بيد أن الإحساسات المؤلمة أخذت بعدها فى الظهور عاملة على إيقاظى ، فأنى عندئذ الحلم يقول مهونا : « امض فى سباتك فما بك من حاجة إلى الاستيقاظ ، وما بك خراج ، فأنت تركب جوادا وما يستطيع امرؤ الركوب لو كان يشكو خراجاً فى مثل هذا الموضع ! » ونجح الحلم فى مأربه ، فأخرس الألم ومضيت فى نوى .

ولكن الحلم لم يكفه أن « يوحى إلى » زوال الخراج ، بالإلحاح على فكرة لا تتفق مع الألم الذى كنت أعانيه ، متخذاً فى ذلك مسلك الهجاس الهلوسى الذى تسلكه الأم فقدت ولدها^(١) أو التاجر ضيعت خسائره ثروته . كلا ، بل إن تفاصيل الإحساس المراد استبعاده وتفاصيل الصورة التى استخدمت فى كبت هذا الإحساس قد أفادت الحلم هى الأخرى من حيث كانت أداة توصل بها الحلم إلى أن يربط بالموقف الذى ظهر فيه سائراً ما كان حاضراً فى النفس حضوراً ناشطاً وتوصل بها إلى تصويره . فأننا أركب حصاناً رمادى اللون ، ولون الحصان هو لون الحلة التى كان يرتديها صديق ب . حين قابلته أخيراً فى الريف : لون الملح والفلفل . ولقد عزوت خراجأتى إلى أننى كنت أكلت طعاماً زخر بالتوابل - وهو تعليل أقل ما يقال عنه هو أنه يفضل مرض السكر الذى قد يتجه الدهن إليه أيضاً بمناسبة الخراجات . وصديق ب . يجب أن يركب جواده العالى معى^(٢) منذ أن خلفنى لدى مريضة من المريضات كنت قد أظهرت فى علاجها الأفانين (كنت فى أول الحلم أركب الحصان من جانب واحد مثلما يفعل راكب متفنى) ، ولكنها فى الحقيقة - مثل الجواد فى قصة فارس الأحد^(٣) - كانت تقودنى حيثما تشاء .

(١) أنظر الفقرة الواردة عند جرايزنجر [والمشار إليها فى ص ١٢٢] ، وكذلك الملاحظات الواردة فى مقالتي الثانية عن الأعصاب النفسية الدفاعية (فرويد ١٨٩٦ ب) .

(٢) [تعبير يقال كناية عن الاستعلاء والمباهاة .]

(٣) [بين خطابات فرويد إلى فليس (فرويد ١٩٥٠ أ) خطاب يتحدث فيه عن " المبدأ المعروف ، مبدأ إيتسيج فارس الأحد : إيتسيج ، إلام أنت راكب ؟ لا تسألنى ، أسأل الحصان ! "]

وهكذا صار الحصان يرمز للمريضة (كان خارق الذكاء في الحلم) . وأما جملة « أحسن أننى على صهوته كما لو كنت فى دارى » فتشير إلى المكائنة التى كنت أشغلها فى منزل هاته المريضة قبل أن يخلفنى فيه ب . وكان أحد القلائل من ذوى الفضل على بين كبار أطباء هذه المدينة قد قال لى منذ زمن غير بعيد وهو يشير إلى هذا المنزل : « كنت أظنك ثابتاً على السرج هناك » . ثم أن أقوم بالتطبيب النفسى من ثمانى إلى عشر ساعات فى اليوم وبى كل هذا الألم – ذلك أيضاً كان فعل رجل مفن^(١) . غير أننى كنت أعلم أننى لن أستطيع مواصلة عملى الجلم الصعوبة بغير عافية مكتملة ، والحلم ملء بالإشارات العابسة إلى ما ليس بد من حدوثه عندئذ (المذكرة ، مثل المذكرات التى يحملها مريضى النوراستانيا لكى يروا الطبيب إياها) : لا عمل ، لا أكل . وحين واصلت تفسير الحلم رأيت أن عمل الحلم قد أفلح فى أن يجد طريقاً يمتد من الموقف المرغوب فيه ، موقف الراكب ، إلى مشاهد شجار ترجع إلى طفولتى المبكرة ، مشاهد لا بد أنها وقعت بينى وبين ابن أخ لى يعيش اليوم فى إنجلترا ، وكان بعد يكبرنى بعام واحد . والحلم فوق ذلك قد استمد بعض عناصره من رحلاتى إلى إيطاليا : فالشارع قد تركب من انطباعات من فيرونا وسينا ، ثم إن تعمق التفسير إلى أبعد من ذلك يسوق إلى أفكار جنسية ، وإنى لأتذكر ماذا كانت تعنيه الإشارة إلى إيطاليا فى أحلام مريضة لم تكن قد رأت قط هذا البلد الجميل (gen Italien [إلى إيطاليا] – Genitalien [الأعضاء التناسلية]) ، ولم يكن ذلك أيضاً بغير ارتباط بالمنزل الذى كنت طبيبه قبل ب . وبالموضع الذى ظهر فيه خراجى .

وتمت حلم آخر أفلحت فيه بطريقة مماثلة فى أن أدفع خطراً هدد بأن يقطع نوى ، أتى هذه المرة من منبه حسى ، إلا أن الصدفة وحدها هى التى مكنتنى فى تلك الحالة من أن اكتشفت الرابطة بين هذا الحلم وبين منبه الطارئ ومن أن أفهم الحلم تبعاً لذلك . فقد استيقظت ذات صباح – وكان ذلك فى أوج الصيف ، فى مكان جبلى بالتيرول – وأنا أذكر أننى قد حلمت بهذا الحلم : مات البابا . واستعصى على أن أفسر هذا الحلم القصير ، غير البصرى ، ولم أذكر سوى أصل من أصوله ، وهو أننى كنت قد طالعت فى

(١) [أى يفعل الأعاجيب .]

إحدى الصحف أن قداسة البابا كان يشكو توعكا خفيفاً . غير أن امرأتى سألتنى فى خلال الصباح : أسمعت قرع الأجراس المفزع صباح اليوم ؟ ولم أكن أعلم ذلك ، لم أكن أعلم أنى سمعتها ، ولكنى أفهم الآن حلمى : إنه كان استجابة استجابت بها حاجتى إلى النوم تجاه الضوضاء التى أراد أهل التيرول الأتقياء إيقافها ؛ لقد أدركت منهم ثأرى بأن خلصت إلى تلك النتيجة التى تكون منها محتوى الحلم ، ثم مضيت فى نوى دون أدنى مزيد من الاحتفال بالأجراس وقرعها .

وبين الأحلام التى ذكرناها فى الفصول السابقة أحلام كثيرة ، يمكن اتخاذها أمثلة على الصياغة الجديدة التى تلقاها المنبهات المسماة منبهات عصبية . فما حلمت به من شرب الماء على جرعات كبيرة [ص ١٥٠] كان مثالا على ذلك ؛ فقد كان المنبه الجسمى مصدره الوحيد - فيما يبدو - وكانت الرغبة الناشئة عن الإحساس - وأعنى بها العطش - هى الدافع الوحيد إليه . والأمر أشبه بذلك فى أحلام أخرى خالية من التعقيد ، يبدو المنبه الجسمى فيها قادراً بذاته على أن يخلق رغبة . وحلم المريضة التى ألفت فى أثناء الليل بالجهاز المبرد عن خدها [ص ١٥٢] يرينا منهجاً غير مألوف فى الاستجابة إلى المنبه الأليم بتحقيق الرغبة : إن الموقف يبدو فى هذا المثال كما لو كانت الحاملة قد نجحت فى أن تجرد نفسها من حاسة الألم بأن تنسب آلامها إلى شخص عداها .

وحلمى ، حلم آلهات القدر الثلاث [ص ٢٢٤] ، كان صراحة حلم جوع ، إلا أنه عرف كيف ينقل الحاجة إلى الطعام راجعاً بها إلى رغبة الطفل فى صدر أمه ، وكيف يجعل من تلك الرغبة البريئة غطاء يستر به أخرى أشد خطراً ولا يجوز الإعراب عنها بمثل هذه الصراحة . وفى وسعنا أن نرى فى حلم الكونت تون أى طرق تربط بين حاجة جسمية عارضة وبين نوازع هى أشد نوازع الحياة النفسية عنفاً ، وإن تكن أيضاً أشدها حظاً من القمع . وإذا كان القنصل الأول [نابليون] - على ما يرويه جارييه - قد نسج حلماً بمعركة من دوى قبيلة انفجرت قبل أن يوقظه هذا الدوى ، فإنه قد كشف بذلك فى وضوح فريد فى بابهِ عن الدافع الأوحى الذى من أجله يشغل النشاط النفسى فى خلال النوم بالإحساسات . وأعرف محامياً شاباً نام فى عصر يوم وهو ممتلىء الرأس بأولى قضاياها الهامة ، سلك مسلكاً لا يفتقر من مسلك نابليون العظيم فى شىء : فقد حلم برجل يدعى

ج . رايخ من [مدينة] هوسياتين ، وكان قد تعرف به في قضية من القضايا ، وظل اسم هوسياتين هذا يلح عليه حتى استيقظ فإذا زوجه - وكانت تشكو رشحاً صدرياً - قد أخذتها نوبة من السعال [بالألمانية husten] .

ولنقارن حلم نابليون الأول الآنف الذكر (ونعلم أن نابليون كان ينام نوماً خارق العمق) بحلم ذلك الطالب التزوم الذى جاءت ربة الدار توقظه ، وكان عليه أن يذهب إلى المستشفى ، فحلم أنه هناك ، راقد على أحد الأسرة ، ثم مضى في نومه بحجة أنه لا يحتاج إلى النهوض من فراشه لكي يذهب إلى المستشفى ما دام موجوداً به [ص ١٥١] . إن من الواضح أن هذا الحلم حلم أخذ بالأسهل ، ولقد صرح الحالم نفسه بدافعه إلى الحلم من غير خفاء . ولكنه بهذا عينه يكشف الغطاء عن سر من أسرار الحلم عامة : فكل الأحلام أحلام أخذ بالأسهل ، بمعنى من المعاني : فالهدف الذى تخدمه هو إطالة النوم بدل الاستيقاظ : إن الأحلام حراس النوم لا مزعجاته . وسيتاح لنا في موضع آخر أن نبرر هذه النظرة فيما يتعلق بالعوامل النفسية التى تدفع إلى اليقظة [الفصل السابع ، القسم د] ، ولكننا نستطيع منذ الآن أن نبين صدق انطباقها فيما يتصل بنصيب المنبهات الخارجية . فالنفس إما أن تغفل جملة مناسبات الإحساس في أثناء النوم - إذا وسعها هذا الإغفال على رغم شدة المنبهات ورغم ما تعرف من دلالتها - ، أو هى قد تلجأ إلى الحلم لكي تنكر به وجود هذه المنبهات ، أو هى - ثالثاً - حين لا تجد مفرأ من التسليم بها - تلمس لها تفسيراً من شأنه أن يحيل الإحساس الحاضر الناشط إلى جزء مقوم من أجزاء موقف مرغوب فيه ، يتفق والنوم . فالإحساس الحاضر الناشط إنما ينسج في حلم لكي يُسَلَبَ واقعته . ولنابليون أن يمضى في نومه ، فما يعمل على إزعاجه سوى حلم يذكر بقصف المدافع في أركول ^(١) .

وهكذا فرغبة النوم التى يستغرق فيها الأنا الشعورى والتى تُكوّن بالإضافة إلى الرقابة وإلى المراجعة الثانوية التى يحىء ذكرها فيما بعد نصيب الأنا الشعورى في الحلم - يجب أن يحسب حسابها في كل حالة من حيث هى دافع إلى تكوين الحلم ، وكل حلم

(١) إن المرجعين اللذين عرفت منهما هذا الحلم لا يتفقان في روايته .

ناجح هو تحقيق لهذه الرغبة . وسوف نبحث في موضع آخر أمر العلاقة بين هذه الرغبة العامة التي لا تتخلف ولا تختلف - رغبة النوم - وبين سائر الرغبات التي يحقق محتوى الحلم الواحدة منها حيناً ثم الأخرى حيناً آخر . وأما الآن فإننا اكتشفنا في رغبة النوم هذه ذلك العامل الذي يستطيع أن يسد وجه النقص في نظرية شرومبل وفونت وأن يفسر الطريقة الفاسدة التعسفية التي تفسر بها المنبهات الخارجية . فالتفسير الصحيح الذي يستطيع الذهن النائم إتيانته تمام الاستطاعة يتضمن اهتماماً فعالاً ويستلزم لإنهاء النوم . ولهذا السبب لم يترك المجال إلا لما كان - بين جميع التفسيرات الممكنة - متفقاً مع الرقابة المطلقة التي تزاولها الرغبة في النوم . وكأني بالحلم يقول : إنه البلب لا القبرة ؛ فلو أنها كانت القبرة ، لكان معنى ذلك أن ليل العاشقين قد حان ختامه . وعلى ذلك لم يكن يُنتخب من بين التفسيرات التي يمكن تفسير المنبه بها إلا هذا التفسير الذي يستطيع أن يوفر أحسن رباط بالاندفاعات الراغبة التي تربص في النفس . وهكذا كل شيء محتوم من غير لبس ، ولا شيء متروك للهوى ، وخطأ التفسير ليس وهماً ، بل هو - إن جاز التعبير - مماثلة . ولكن علينا أن نسلم بأننا نجد أنفسنا هنا من جديد - كما في حالة التبديل بالنقل وفقاً لمقاصد الرقابة [أنظر ص ١٩٩] - بإزاء فعل يحيد عن العمليات النفسية السوية .

وحيث تبلغ المنبهات العصبية الخارجية والمنبهات الجسمية الباطنية حداً من الشدة يحمل النفس على الانتباه إليها ، فإنها تصير - هذا إذا أدت إلى الحلم وليس إلى اليقظة - بمثابة النقطة الثابتة في تكوين الحلم ، نواة تجتمع من حولها مادته ، ويدور البحث عن تحقيق رغبة متسق معها ، على نحو ما يدور البحث عن أفكار وسطى تربط ما بين منبهين نفسيين (أنظر ماسبق [في ص ٢٤٦-٢٤٧]) . وإلى هذا المدى يصدق على بعض الأحلام أن العنصر الجسمي يملئ فيها محتوى الحلم . ولقد يذهب الأمر في هذه الحالة المتطرفة إلى حد استدعاء رغبة ليست بالحاضرة النشطة من أجل تكوين الحلم . بيد أن الحلم لا يملك إلا أن يصور رغبة وقد تحققت في موقف من المواقف ؛ فهو - إن جاز التعبير - يواجه تلك المشكلة : أن يبحث عن الرغبة التي يمكن تصوير تحقيقها بواسطة الإحساس الناشط حاضراً . فإن كانت هذه المادة الحاضرة ذات طابع كرهه أو مؤلم ، لم يكن ذلك بالضرورة أن استخدامها من أجل تكوين الحلم قد صار محالاً ؛ فإن بالنفس رغبات يجلب تحقيقها

الأم، ولقد يبدو ذلك شيئاً متناقضاً ، ولكنه يدنو للفهم إذا لم ننس وجود نظامين نفسيين ووجود رقابة بينهما .

فى الحياة النفسية — كما رأينا — رغبات مكبوتة تنتمى إلى النظام الأول ، ويناقض النظام الثانى تحقيقها . وأنا إذ أقول : إن تمت رغبات مكبوتة من هذا القبيل ، لا أطلق حكماً تاريخياً قصاراه أن هذه الرغبات قد وجدت حيناً ثم اُحمت ، بل إن نظرية الكبت التى لا يستغنى عنها المرء فى دراسة الأعصاب تؤكد أن هذه الرغبات المكبوتة لا تزال قائمة وإن قام فى الوقت نفسه معها كف يوازنها . ويصيب العرف اللغوى [فى الألمانية] كبد الحقيقة حين يتحدث فى صدد هذه الاندفاعات عن « Unterdrucken » [أى « دفع إلى أسفل » ومعناه القمع] . والحيل النفسية التى تمكن هذه الرغبات المقموعة من أن تشق طريقها إلى التحقيق لا تبنى قائمة ، قابلة للاستخدام . ولكن دع رغبة مقموعة من هذا القبيل توضع موضع التنفيذ : إن كف النظام الثانى ، المغلوب على أمره (وهو النظام القادر على الصبرورة إلى الشعور) يفصح عندئذ عن نفسه فى صورة الأم . ولكى نختم هذه المناقشة نقول : إنه إذا نشأت فى أثناء النوم إحساسات ذات طابع أليم صادرة عن مصادر جسمية ، استغل عمل الحلم هذا الوضع فى تصوير تحقيق رغبة تُلاقى عادة بالكف — هذا مع بقاء الرقابة إلى درجة تنقص أو تزيد ^(١) .

وهذا الوضع هو الذى يتيح وقوع طائفة من أحلام الهيلة ، فى حين تم عن ميكانيكية مختلفة طائفة ثانية من تلك التراكيب الحلمية التى لا تحمل على تأييد نظرية الرغبة : ذلك أن الهيلة فى الأحلام قد تكون هيلة عصابية ، ناشئة عن تهيج نفسى جنسى ، وهى فى هذه الحالة تعدل ليبدو مكبوتة . وعندئذ تكون للهيلة ، كما لحلم الهيلة جميعه ، قيمة العرض النفسى ، ونكون اقترابنا من الحد الذى يتحطم عنده ميل الحلم إلى تحقيق الرغبة . وأما أحلام الهيلة الأخرى فالهيلة فيها تنجم عن الجسم (مثلما يقع حين تعثرى مرضى الرئتين أو القلب صعوبة فى التنفس) . وفى هذه الحالة تُستغل الهيلة فى المعاونة على أن تتحقق فى صورة الحلم رغبات مكبوتة كبتاً عنيفاً ، لو أن الدوافع إلى الحلم بها كانت دوافع نفسية لكانت النتيجة انطلاق الهيلة كذلك . وليس من الصعب

(١) [يعود فرويد إلى معالجة هذا الموضوع فى القسم ج من الفصل السابع، ص ٥٤٧ وما بعدها .]

أن نجتمع بين هاتين الحالتين على ما يبدو من انفصالهما ؛ ففي كلتاها نجد عنصرين نفسيين مرتبطتين كلاً بالآخر أوثق الارتباط ، هما نزوع وجداني ومحتوى فكري ، يستدعى أحدهما - وهو الحاضر الناشط - العنصر الآخر حتى في الحلم : فطوراً تستدعى الهيلة المحتمة بعقل جسمية المحتوى الفكري للحلم ، وطوراً آخر يستتبع المحتوى الفكري - بعد أن تحرر من عقال الكبت بما يصحبه من تهييج جنسي - يستتبع انطلاق الهيلة . ونستطيع أن نقول عن الحالة الأولى : إن حالة وجدانية محتمة بعقل جسمية قد لقيت فيها تفسيراً نفسياً ، وأما الحالة الثانية فالكل فيها ذو أصل نفسي إلا أن تفسيراً جسمياً يتلائم والهيلة قد حل فيها من غير عناء محل المحتوى الذي كان مكبوتاً . وعلى أية حال ، فإن الصعوبات التي نلقاها في فهم هذا كله لا تحمل كبير صلة بمسألة الأحلام : إنها ترجع إلى كوننا نقرب ههنا من مشكلة نشوء الهيلة ومشكلة الكبت .

وما من شك في أن الحالة المزاجية العامة [أنظر ص ٧٢] للجسم تدخل في عداد المنبهات الجسدية الباطنة التي تتحكم في محتوى الحلم ؛ لا لكونها تستطيع أن تمد الحلم بمحتواه ، ولكنها تملئ على أفكار الحلم أن تختار ما تختاره من المادة المعدة لأن تصور في محتوى الحلم ، وذلك من حيث أنها تقرب ما كان من أجزاء تلك المادة متلائماً وطبيعتها بينما تبعد الأجزاء الأخرى . أضف إلى ذلك أن تلك الحالة المزاجية العامة المتخلقة من النهار ترتبط يقيناً ببقايا النهار النفسية - مع ما لهذه من أهمية بالنسبة إلى الحلم . ولقد يبقى هذا المزاج هو هو في خلال النوم ، وقد تم الغلبة عليه فإن كان أليماً انقلب إلى الضد .

وهكذا أقدر أن مصادر التنبيه الجسمية (أى إحساسات النوم) إنما تأخذ من تكوين الحلم بنصيب يماثل نصيب ما يتخلف عن النهار من انطباعات حديثة العهد لكنها خالية من الشأن - هذا إلا إذا كانت تلك المصادر ذات شدة غير مألوفة . أى أننى أعتقد أن الأحاسيس الجسمية إنما يستعان بها في تكوين محتوى الحلم إذا كانت تتلائم والمحتوى الفكري المستمد من مصادر الحلم النفسية بحيث يمكن التوحيد بينها وبين هذا المحتوى الفكري ، وإلا لم يستعن بها . فهي تعامل بمثل ما تعامل به مادة رخيصة سهلة

النال في كل وقت ، تنطاع للمرء كلما احتاج إليها ، وليس كمادة ثمينة ، تفرض بذاتها وجه استخدامها . فمثل الحال هنا كمثل أحد الحاديين على الفنون الجميلة أتى فناً بحجر كريم - كقطعة من العقيق - لكي يصوغ منه أثراً فنياً ؛ إن حجم القطعة ولونها وتشريحها سوف تعين الفنان على أن يقرر أى رأس أو أى منظر يصلح لأن يصور فيها ، على حين أن الفنان لا يحتاج في مادة متساوية موفرة - كالمرمر أو الحجر - إلى غير متابعة الفكرة التي تهيات في ذهنه . وعلى هذا النحو وحده نفهم - فيما يهيا إلى - تلك الحقيقة : أن المنبهات العضوية ذات الشدة المألوفة لا تظهر آثارها في محتوى الحلم في كل حلم وفي كل ليلة ، وإن زودت الحلم ببعض محتواه أحياناً^(١) [أنظر ص ٢٤٥] .

وربما كان أحسن ما يوضح معنای مثال يعود بنا من جديد إلى تفسير الأحلام . فقد كنت أجهد ذات يوم في فهم المعنى الذي تراه يكون لهذا الإحساس الذي يكثر في الأحلام أيما كثرة ويقرب من الهيلة أيما قرب : حين يشعر المرء بأنه قد كف ، أو سمر في موضعه ، أو فقد القدرة على إتيان عمل من الأعمال ، الخ . فلما كان الليل جاء في هذا الحلم

أصعد السلم وأنا مرتد ثيابي منقوصة إلى حد كبير ، من شقة في الطابق الأرضي إلى طابق أعلى . كنت أنهب السلم ثلاث درجات في كل خطوة وأنا سعيد بهذه الخفة . أرى فجأة خادماً تنزل السلم ، أي مقبلة نحوي . يتولاى الخجل وأريد أن أمضي سراعاً ، وفي هذه اللحظة يحل في هذا الشور بالكف : لقد سمعت على الدرج ولم أعد أستطيع حراكاً من موضعي .

التحليل : إن الموقف الذي يظهر في الحلم مأخوذ من واقع كل يوم ؛ فأنا أشغل في منزل بفيينا شقتين لا يصل بينهما سوى السلم المشترك . وتقع غرفة الاستشارة مع مكتبي في الطابق الأول ، بينما تقع غرف السكن في الطابق الأعلى . فإذا فرغت من عملي في ساعة متأخرة من الليل صعدت السلم إلى حجرة النوم . وكنت في الأمسية التي سبقت الحلم قد قطعت هذه المسافة القصيرة وأنا حقيقة مبهر بالثياب بعض الشيء ، وأعني أنني نزعتم البنية وربطة العنق والأكمام . وتزيد في الحلم درجة التجرد من الثياب - وإن

(١) لقد بين رانك في مقالات متعددة أن الأحلام الجالبة لليقظة والتي تحدث عن منبهات عضوية (مثل الأحلام ذات المنبه البولي وأحلام الإنزال) تصلح صلاحية خاصة لبرهنة على الصراع بين الحاجة إلى النوم ومطالب الحاجات العضوية ، وكذلك على تأثير تلك الحاجات في محتوى الحلم .

بقيت غير محددة، كما هو الشأن عادة [أنظر ٢٦٠ وض ٢٦٢]. ومن عادتي أن أنهب السلم على هذا النحو، وهي عادة كان جلياً في الحلم أيضاً أنها تحقق رغبة؛ فالسهولة التي أصعد السلم بها كانت تطمئنني إلى حالة القلب عندي. وعدا ذلك، كانت هذه الطريقة في الصعود تناقض الكف الذي أعقب في النصف الثاني من الحلم مناقضة فعالة، لأنها كانت تريبي - وهو ما لم يكن محتاجاً إلى برهان - أن الأحلام لا تجد أقل صعوبة في تصوير الأفعال الحركية وهي تؤدي أداء يبلغ حد الكمال. ويكفي أن يفكر المرء في أحلام الطيران!

غير أن الدرج الذي أصعده لم يكن درج منزلي. وقد عجزت للوهلة الأولى عن معرفته، ولم أثبت أي مكان هو المعنى إلا حين عرفت من هو الشخص الذي أقبل نحوى: إن هذا الشخص خادم تعمل لدى سيدة متقدمة في السن أزورها في كل يوم مرتين لكي أحقنها. والسلم أيضاً كان يشبه كل الشبه سلم منزلها، هذا السلم الذي كنت أصعده في النهار مرتين.

ولكن كيف كان لهذا السلم ولهذا الشخص الأثوي أن يدخل حلمي؟ إن الخجل لتجردي من الثياب بعض التجرد خجل ذو طابع جنسي من غير شك. ولكن الخادم التي أحلم بها تكبرني سناً، عبوس، عاطل ولا شك من الحاذبية. الجواب الوحيد الذي يخطر لي هنا هو هذا: كنت عندما أزور هذا المنزل زيارة الصباح يتأبني السعال عادة وأنا أصعد السلم. ولم يكن بد من أن يقع البصاق على الدرج؛ فلم تكن هناك مبصقة في أي من هذين الطابقين، وكانت وجهة نظري هي أن نظافة السلم لا ينبغي صونها على حسابي، بل يجب تسييرها بوضع المبصقات. ولكن بوابة المنزل - وهي أيضاً عجوز عبوس - وإن تكن فطرت على النظافة، كما أسلم به طائعاً - كانت ترى رأياً مختلفاً: فهي ترقبني لترى هل أبيع لنفسى الفعل الذي ذكرته، فإن رأيتي أفعله سمعت لها مهمة لا تُخطأ، وظلت بعد ذلك أياماً لا تجيب التحية بمثلها. واتفق في يوم الحلم أن انتصرت الخادم لحزب البوابة: فقد كنت فرغت على عجل - شأني دائماً - من زيارة المريضة، حين استوقفتني الخادم لتدلي بهذه الملاحظة: «يا سيدى الطيب أما كان يسعك أن تمسح نعليك اليوم قبل أن تدخل الحجرة، لقد اتسخت السجادة الحمراء

كلها من قدميك مرة أخرى . « وهذا هو كل ما يخول للسلم والخدام أن يظهر
في حلمي .

وهناك رباط باطن يربط ما بين انتهاب السلم والبصق عليه . فالسعال — كمرض
القلب — يعد لوناً من العقاب على رذيلة التدخين ، وهي رذيلة كان من جرائها أن
سمعتي من ناحية النظافة لم تكن على أحسن ما يرام قبل السلطات المعنية في منزلي
نفسى ؛ إنها ضعيفة في كلا المنزلين على السواء حتى أن الحلم قد مزجهما في صورة
واحدة .

ولست أجد بدا من أن أرجئ المضي في تفسير الحلم حتى أبين منشأ هذه الأحلام
النمطية التي نرى فيها أنفسنا متجربين بعض التجرد من الثياب . وإنما أكتفى هنا بالإشارة
إلى نتيجة موقوتة تخلص من الحلم الذي رويته ، وهي : أن الشعور بكف الحركة إنما
ينشأ في الحلم كلما اقتضت ذلك ملابسات خاصة . فمن المحال أن تكون علة هذا المحتوى
الحلمي تغييراً خاصاً طرأ على قدرتي الحركية في أثناء النوم ؛ فقد رأيتني منذ لحظة سبقت
(كأنما كان المراد دعم ما أقول) وأنا أهول على الدرج دون ما عناء .

د

الأحلام النمطية

إننا لا نجد أنفسنا — بوجه عام — في موقف يسمح لنا بأن نفسر أحلام شخص
سوانا ، إلا إذا قبل الحالم أن ينقل إلينا أفكاره اللاشعورية الكامنة وراء محتوى الحلم ؛
ولهذا "حدّ" إلى مدى كبير إمكان التطبيق العملي لمنهجنا في تفسير الأحلام^(١) . غير أن
هناك أحلاماً تخالف كل المخالفة هذه الحرية التي يملكها كل فرد في أن يشكل دنيا

(١) إن القول بأن منهجنا في تفسير الأحلام لا يمكن تطبيقه إلا إذا وقفنا على المادة الاستعدادية عند
الحالم يقتضى تكلمته بالنص على أن نشاطنا التفسيري يصبح مستقلاً عند هذه المستعداديات في حالة واحدة : إذا

الحلم عنده على حسب خصوصيته ، جاعلا فهمها أمراً ممتنعاً على الآخرين : إنها أحلام لا يكاد يكون بيننا امرؤ لم يحلم بها على نحو لا يختلف عنده منه عند الآخرين وألفنا أن نفترض لها معنى واحداً عند الجميع . هذه الأحلام النمطية هي أيضاً أحلام ذات أهمية خاصة ؛ لأنها تنشأ في الراجع من مصادر واحدة عند جميع الناس ، وهي لذلك تبدو ذات صلاحية خاصة لأن تلقى بعض الضوء على مصادر الحلم .

ومن ثمت كنا نأخذ في تطبيق منهجنا التفسيري على هذه الأحلام النمطية ونحن نعقد عليه آمالا كبارا ، لكي نتبين بعد ذلك على مضض أن منهجنا هذا لا يجيب تلك الآمال الكبار فيما يتصل بهذه المادة بالذات . ذلك أن الذي يقع عادة حين نتعرض لتفسير الأحلام النمطية هو أن نغيض خواطر الحالم — تلك الخواطر التي كانت تتيح لنا فهم الحلم في غير ذلك من الحالات — أو هي تغمض وتندر ، بحيث نعجز عن أن نحل مشكلتنا بمعاونتها .

فما منشأ ذلك ؟ وكيف نسد هذا النقص في طريقتنا ؟ ذلك ما سوف يتضح في موضع آت من هذا الكتاب [القسم هـ من الفصل السابع] ، وعندئذ سوف يتبين أيضاً للقارئ لم كنت لا أستطيع أن أتناول هنا سوى أنماط قليلة من مجموعة الأحلام النمطية ، مرجئاً مناقشة ما عداها إلى ذلك الحين .

(أ) أحلام الارتباك من جراء العرى

إن الأحلام التي يرى فيها المرء نفسه عارياً من الثياب أو متجرداً بعض التجرد منها قد تتسم أيضاً بتلك السمة : وهي أن يغيب عند الحالم كل شعور بالحجل أو بما شاكلة . ولكننا لن نشغل بأحلام العرى إلا حين يستشعر فيها المرء الحجل والارتباك ، ويريد الفرار أو الاختباء ، وعندئذ يتولاه كف غريب ، فلا يستطيع من موضعه حراكاً ،

استخدم الحالم عناصر رمزية في محتوى الحلم . فعندئذ يتسنى لنا أن نلتجئ إلى منهج في تفسير الحلم يمكن وصفه وصفاً دقيقاً بأنه منهج ثانوي مساعد . (أنظر ما يلي [القسم هـ من الفصل السابع] .)

ويحس العجز عن أن يغير من موقفه الأليم . وبغير هذه المصاحبة لا يكون الحلم حلمًا منطقيًا ؛ فلا شيء يمنع إذا هي ارتفعت من أن تدرج النواة التي يدور من حولها محتوى الحلم وسط ملابسات من كل نوع ، أو من أن تزان بتطاريز تختلف باختلاف الأفراد . فالحلم يقوم في جوهره [من حيث هو حلم نمطي] في هذا الشعور الأليم الذي هو خجل ، وفي كون المرء يود لو أخفى عريه — بالحركة في أغلب الأحيان — ولكنه يجد نفسه عاجزاً دون ذلك . وأعتقد أن الغالبية العظمى من القراء قد عرفوا هذا الموقف في الحلم .

والمألوف هو أن يكون نوع العرى ومداه بعيدين عن الوضوح . فقد نسمع الحلم يقول : « كنت أرتدى قميصاً » ، ولكن قل أن تكون هذه صورة متميزة . فالعرى في الأغلب غير محدد ، حتى أن الراوى يعدد في وصفه الاحتمالات : « كنت ألبس قميصاً أو معطفاً » . والنقص في الثياب لا يكون في العادة خطيراً إلى المدى الذي يبدو معه مبرراً لما يصحبه من الخجل ، بل إن العرى كثيراً ما تستبدل به عند من ألبس الملابس العسكرية طريقة في الارتداء تخرج بعض الشيء على التعليقات : « كنت أسير في الطريق بغير سيف ورأيت بعض الضباط يقبلون » ، أو « كنت بغير ربطة عتق » ، أو « كنت أرتدى سراويل مدنية » ، الخ .

وأما الناس الذين يستشعر المرء قبالتهم هذا الخجل فيكادون أن يكونوا دائماً غرباء تركت سباهم من غير تحديد . ولا يحدث أبداً في الحلم النمطي أن تلقى طريقة الارتداء التي توقع صاحبها في كل هذا الارتباك اعتراضاً ، ولا هي تُعار التفاتاً ، بل تحمل الناس على العكس وجوهاً لا تبالي أو — كما لحظته في حلم فريد في دلالة — وقورة ، جامدة . لني ذلك مدعاة إلى التفكير !

نعم ، إن ارتباك الحلم وقلة احتفال الناس يطالعائنا — مجتمعين — بتناقض من قبيل ما يكثر وقوعه في الأحلام : فلإنما كان يماشى مشاعر الحلم أن ينظر إليه الغرباء في دهش واستهزاء أو مستنكرين . بيد أني أظن أن هذا الوجه القاضح من الموقف قد أزيل بفعل تحقيق الرغبة في حين أبقت على الوجه الآخر [الارتباك] قوة من القوى ؛ وهكذا لا يتوأم الشطران كلا والآخر . ولدينا شاهد متمتع على أن الحلم في صورته التي شوهتها الرقابة تشويهاً جزئياً لم يلق فهمه الصحيح . ذلك أن هذا الحلم قد كان الأساس الذي بنيت عليه قصة صرنا جميعاً نعرفها في رواية هانس أندرسن (« حلة الإمبراطور الحديدية ») ،

ونظمها حديثاً لودفيج فولدا في «الطلسيان» : تحدثنا قصة أندرسن عن محتالين نسجا للأمبراطور رداء غالى الثمن لا يراه إلا الأخيار المخلصون ويخرج الأمبراطور مرتدياً هذا الرداء الخفى ، ويخاف الناس مما يزعم للنسيج من القدرة على امتحانهم ، فيسلكون كما لو كانوا لا يرون عرى الأمبراطور .

ولكن هذا عينه هو الموقف الذى نجده فى حلمنا . ولسنا نجازف كثيراً حين نقدر أن لا معقولة الحلم هى التى كانت الحافز إلى اختراع رداء يجعل لهذا الموقف - كما يمثل فى ذاكرتنا بعد الحلم - معنى ما . صحيح أن الموقف يُسلب فى أثناء ذلك معناه الأصيل ويسخر فى خدمة أغراض مغايرة . ولكن مثل هذا الفهم الخاطئ الذى يلقاه محتوى الحلم من جانب النشاط الفكرى الشعورى الصادر عن نظام نفسى ثان - سوف نعلم أنه أمر كثير الوقوع وأنه يجب أن يعد بين العوامل التى تخلع على صورة الحلم شكلها الأخير^(١) ، وسوف نعلم فوق ذلك أن أخطاء مماثلة فى الفهم - تقع أيضاً فى نطاق الشخصية النفسية الواحدة - تشارك بنصيب رئيس فى تكوين الأفكار القهرية والخاوف الشاذة . ثم إن من السهل فيما يتصل بحلمنا أن نبين من أين استقيت المادة التى أقيم عليها التفسير الخاطئ : فالمحتال هو الحلم ، والأمبراطور هو الحالم نفسه ، والميل إلى الموعظة الخلقية ينم عن معرفة مبهمة بأن الأمر يدور فى محتوى الحلم الكامن حول رغبات محرمة ، ذهبت ضحية الكبت . والحق أن السياق الذى تظهر فيه أمثال هذه الأحلام فى أثناء قيامى بتحليل العصائين لا يترك أقل مجال للشك فى أن الحلم قائم على ذكريات ترجع إلى الطفولة المبكرة . فطفولتنا هى الزمن الوحيد الذى كنا نرى فيه غير مكتملى الثياب سواء أمن الأقربين أم من الغرباء ، كالمرقيات والخدم والزوار ، ولم تكن إذ ذاك نشعر بالحنج لعرينا^(٢) . ونستطيع أن نلاحظ كيف يطرب الكثير من الأطفال ، ممن تقدموا مع ذلك بعض التقدم فى السن ، حين ينزعون ملابسهم ، يطربون إلى ما يقارب النمل بدل أن ينجلوا ، فهم يتضاحكون ويتواثبون ويتبادلون الضربات على صفحات أجسامهم ، بينما تفرعهم أمهم أو من اتفق حضورها قائلة : آه ، إن هذا عار لا يجوز . والأطفال كثيراً ما يظهرون التذاذهم بأن يعرضوا أنفسهم ، فلا يكاد المرء يمر بقرية فى ريفنا دون أن

(١) [يشير فرويد هنا إلى عملية "المراجعة الثانوية" التى يشرحها فى القسم ط من الفصل السادس .]

(٢) وقصة أندرسن يظهر فيها طفل كذلك ؛ فطفل هو الذى يصيح : ولكنه عار !

يصادف طفلاً في الثانية أو الثالثة يرفع أمامه جلبابه الصغير - ربما على سبيل التكريم . وبين مرضاه مريض حفظت ذاكرته الشعورية مشهداً وقع له وهو في الثامنة من عمره ، حين أراد وقد نزع ثيابه متأهباً للنوم أن يرقص وليس عليه سوى القميص في الحجرة المحاورة حيث أخته الصغيرة ، فصدمته المربية عن مراده . والتعري أمام أطفال الجنس الآخر ظاهرة لها نصيب ضخم في تاريخ الطفولة عند العصائين ، كما أن ما يهيا في البارانونيا للمريض من أنه ملحوظ حين يرتدى ثيابه وحين ينزعها يجب إرجاعه إلى خبرات من هذا القبيل . هذا بينما نجد بين من بقوا على انحرافهم طبقة اشتد عندها هذا الاندفاع الطفلي حتى بلغ مبلغ العرض المرضى : تلك هي طبقة المستعرضين .

هذه الفترة من الطفولة التي لا تعرف الحجل تبدو للنظر حين نرده إليها ضرباً من الفردوس . والفردوس نفسه إن هو إلا تخيل جماعي عن طفولة الفرد ؛ لهذا كان الناس في الفردوس كذلك عراة لا ينجلون حين يتواجهون ، إلى أن جاء أوان فاستيقظ الحجل ودب الهول وتبع الطرد^(١) وأخذت الحياة الجنسية ومشغل العمران في المسير . ولكن الحلم مستطيع أن يسرى بنا فيعيدنا إلى هذا الفردوس من جديد ، ولقد أعربت من قبل [ص ٢٤١] عن ظن مؤداه أن انطباعات الطفولة (أعنى من فترة ما قبل التاريخ إلى أن تقارب السنة الثالثة ختامها) تسعى إلى التكرار من تلقاء ذاتها ولذاتها ، وربما سعت إليه بغض النظر عن محتواها ، وأن تكرارها هذا يحقق رغبة . وهكذا تكون أحلام العرى أحلام استعراض^(٢) .

والحلم الاستعراضى تتكون نواته من الحلم الذى لا يترأى على ما كان عليه في طفولته بل كما هو في حاضره ، ومن رذاته المنقوص الذى يبدو غير متميز ، سواء أرجع ذلك إلى تراكم ما أعقب من ذكريات لا حصر لها عن نزع ملابسه أم رجع إلى الرقابة ، ثم يأتي بعد ذلك الأشخاص الذين ينجل في محضرم . ولست أعرف مثالا واحداً عاود فيه الظهور في الحلم أولئك الذين قد شهدوا حقيقة ذاك الاستعراض الطفلي ؛ فالحلم لا يكون

(١) [الطرد ، هو طرد آدم وحواء من الجنة على حسب قصة التوراة المعروفة في سفر التكوين ، وقد رواها القرآن رواية مقتضبة أطولها ما جاء منها في سورة البقرة . والهول بمعنى الهيلة .]

(٢) لقد سجل فرنسى طائفة جديرة بالاهتمام من أحلام العرى حلمت بها نساء . ولم تكن هناك صعوبة في تأثر هذه الأحلام إلى الرغبة الطفلية في الاستعراض ، إلا أنها كانت تختلف في بعض نواحيها من الأحلام " النمطية " التي أعالجها في النص .

أبدا ذكرى وحسب ، ومن العجيب أن أولئك الأشخاص الذين يتجه إليهم اهتمامنا الجنسي في طفولتنا يتركون جانباً في كل استحضار يقع في الحلم أو في المستريا أو في العصاب القهرى . البارانونيا وحدها هي التي تعود إلى هؤلاء المشاهدين فتنصيبهم من جديد وتستدل على وجودهم في يقين ملؤه التعصب ، وإن ظلوا غير منظورين . وأما ما يحل محلهم في الحلم - « كثرة من الغرباء » لا تلقى بالاً إلى المشهد المعروض عليها - فإن هو على التحقيق إلا الضد المرغوب لذلك الشخص المفرد عينه الذى قد ألفه الحالم يوماً والذى من أجله كان التعرى . وهذه « كثرة من الغرباء » تظهر بعد في الأحلام كثيراً ، في سياق يتنوع بتنوع المقاصد ، وهى عندئذ تعنى دائماً - باعتبارها رغبة مضادة - « في الخفاء »^(١) . وإنا لنلاحظ كيف لا تخلو البارانونيا ذاتها - حيث يتحقق استرجاع الوضع القديم - من أثر هذا الاتجاه المضاد ؛ ففيها يحس المريض أنه لم يعد وحده : إنه موقن من أن ثمة آخرين يرقبونه ، ولكن مراقبيه « كثرة من الغرباء متروكين من غير تحديد على نحو عجيب » .

والكبت أيضاً له كلمته في أحلام الاستعراض ؛ فالشعور الأليم الذى يرد في الحلم إنما هو رد النظام النفسى الثانى على نجاح المشهد الطفلى فى أن يعرب عن محتواه على الرغم من تحريره . والسبيل الوحيد إلى تجنب هذا الألم هو ألا يبعث ذلك المشهد أبداً . ونعود فيما بعد إلى الشعور بالكف [ص ٣٤٤] . وإنما نقول الآن : إنه بصور في الحلم - تصويراً ما أوفقه ! - صراع الإرادة ، يصور « كلا » ؛ فالغاية اللاشعورية تأبى إلا متابعة الاستعراض والرقابة تأبى إلا إيقافه .

وما من شك في أن الروابط بين أحلامنا النمطية وبين قصص الأطفال وغيره من مؤلفات الخيال ليست بالقليلة ولا بالعارضة . ويتفق أحياناً أن تتسنى لفنان خالق نافذ البصر معرفة تحليلية بعملية التحول التي لا يكون الفنان عادة سوى مطيهاً ، فإذا هو - وقد تتبع تلك العملية في اتجاه عكسى - يرد الأثر الفنى إلى الحلم . ولقد نبهني صديق إلى فقرة خطها جوتفريد كيللر في « هاينريخ اليانع » جاء فيها : « ولست أود لك يا عزيزى لى أن تعلم أبداً علم المتعظ بنفسه ما حواه من صدق لاذع فريد ذلك الموقف من الأوديسا ، حيث يظهر أوليس عارياً ، مغطى بالوحل أمام أعين نوسيكافقريناتها .

(١) وما له هذا المعنى أيضاً حضور « العائلة مجتمعة » وذلك لأسباب لا تخفى على الفهم .

أتريد أن تعلم كيف يقع ذلك ؟ لنكشب النظر إذن إلى مثالنا : لو أنك جولت في الغربية بعيداً عن وطنك وعن كل عزيز عليك ، ورأيت كثيراً وخبرت كثيراً ، وعرفت الأسى والهلم ، وصرت إلى تعس وضياح بلغا منك النهاية ، إذن لحلمت لا محالة في ليلة أنك تدنومن وطنك . لسوف تراه مشرقاً زاهياً في أبهى الألوان، وهامى ذى أطيايف رحيمة ، رقيقة ، حبيبة تقرب منك ، وهنا ينكشف لك فجأة أنك في سمال ، عار ، عليك غبار . وعندئذ يتولاك خجل لا وصف له ، وسوف تبحث عما يسترِكَ أو يخفيك ، ثم تصحو في عرق مصبوب . ذلك ، ما بقى على الأرض الإنسان ، حلم الرجل أثقلته الأحزان وتطارحته الرياح ؛ فما استمد هومير صفحاته هاته إلا من أعتمق أعماق الوجود الإنسانى وخالده .

وأعتمق ما في الوجود الإنسانى وخالده ، هذا الذى يعتمد الشاعر عادة على استثارته ، يقوم في هذه الاندفاعات النفسية التى تضرب جنورها في طفولة آلت من بعد إلى ما قبل التاريخ . فهناك رغبات من رغبات الطفولة مكبوتة ، ممنوعة ، تنفذ إلى الحلم مسترة وراء رغبات الشريد التى لا اعتراض عليها والتي يمكن قبولها في الشعور . ولهذا كان الحلم الذى يتجسم في أسطورة نوسيكاً ينقلب دائماً إلى حلم هيلة .

وحلمى المروى في ص ٢٥٦ ، الذى رأيتني فيه أنهب السلم نهياً ثم لا أثبت أن أتسمر على درجاته كان أيضاً حلماً استعراضياً لأنه يحمل الأمارات الجوهرية على ذلك . ولا بد إذن من أن يكون في الوسع تأثيره إلى ذكريات وقعت في الطفولة ، ومعرفة هذه الذكريات بدورها لا بد أن تعيننا على أن نقدر إلى أى مدى أعان مسلك الخادم لزازى — وأعنى تقريرها إياى على توسيع السجادة — على أن تجد لها محلاً في الحلم . والواقع أننى أستطيع أن آتى بالإيضاح المطلوب : إن التحليل النفسى يعلم المرء أن يفسر التقارب في الزمن بالترابط في المضمون [أنظر القسم ج من الفصل السادس ، ص ٣٢٤] . فإذا تعاقبت فكرتان على غير رباط ظاهر كان ذلك دليلاً على أنهما تتسميان إلى كل واحد ينبغي الكشف عنه ، كما أنك إذا كتبت أ ثم أردفت بها ب وجب النطق بهما مقطوعاً واحداً : أب ، والأمر كذلك إذا وقع الترادف في الحلم . وحلم السلم هذا قد اخترته من بين سلسلة من الأحلام ألمت بمعناها بعد تفسيرها . وهو إذن يعالج ذات الموضوع من غير شك . وأقول الآن : إن هذه الأحلام كانت تقوم على ذكرى مربية عهد بنى إليها في فتره ما ، امتدت من

زمن الرضاة إلى أن بلغت الستين والنصف ، ولا زالت أحفظ في الشعور ذكرى غامضة عنها . وقد كانت هذه المرأة — على حسب ما علمته أخيراً من أمى — عجوز ، قبيحة ، لكنها كانت ماهرة ، قديرة . ثم هى لم تكن — بحسب النتائج الذى يجوز لى استخلاصها من أحلامى — تعاملنى دائماً ألطف المعاملة ، وأظنها كانت تسمحنى خشنا إذا قصرت فى بلوغ المستوى المطلوب من النظافة . وهكذا حتى للخادم — وقد أخذت على عاتقها من جديد متابعة تلك المهمة التربوية — أن تعامل فى الحلم كما لو كانت نسخة جديدة من عجوز ما قبل التاريخ . ونستطيع أن نفترض بالطبع أن الطفل كان يهدى حبه إلى من لفتته هاته الدروس على الرغم من سوء معاملتها^(١) .

(ب) أحلام موت الأحياء

وهناك طائفة أخرى من الأحلام تصح تسميتها أحلاماً غمطية ، هى تلك التى يرد فى محتواها أن حياً قد مات ، كأحد الوالدين أو الإخوة أو الأبناء . وعلىنا أن نبادر بالترفة بين طبقتين من هذه الأحلام : الواحدة هى التى يظل الحلم فيها دون أن يحرك الموت فى نفسه شيئاً ، حتى ليدھش — إذا استيقظ — لجمود حسه ، وأما الأخرى فيحزن فيها الحلم للموت حزناً عميقاً ، حتى ليدفق دمه غزيراً وهو قائم .

ولنا أن نترك الطائفة الأولى من هذه الأحلام ، إذ ليس هناك ما ينحول لها أن تعد أحلاماً غمطية ، لأننا نجد إذا حللناها أنها تعنى شيئاً آخر غير ما تحويه ، وأنها قد جاءت لكى تستر رغبة أخرى من الرغبات . ومثال ذلك حلم الحالة التى رأت ابن أختها الوحيد مسجى أمامها (ص ١٧٨) : فهذا الحلم لم يكن يعنى أنها كانت تريد الموت لابن أختها

(١) وما هو ذا تفسير آخر : لما كان "Spucken" [: البصق ويعنى أيضاً الولاية أو التسلط حين يقالان للأرواح] من مهام الأرواح ، فإن "Spucken" [بمعنى البصق] على السلم ، يذهب بالذهن — من طريق ترجمة واهية — إلى : "Esprit d'escalier" [تعبير فرنسى ترجمته الحرفية : "روح السلم" ، ويعنى بطء البديهة عند الرد ، من كؤذك لا يسمعك الجواب ثم تجده "وأنت نازل على السلم"] . وهذا التعبير يعدل ضدّه فى الألمانية قولنا : "Schlalgfertigkeit" [ومعناه الحرقى : التأهب للضرب] وهو استعداد لا أرى إلا أنه ينقصنى . ولكن أترأه كان ينقص مربيى ؟ [يشير فرويد إلى هذه المربية فى نهاية الفصل السابع من كتاب "سيكوباتولوجية الحياة اليومية" ويتحدث عنها بمزيد من التفصيل فى خطابين إلى فليس : ٧٠ ، ٧١ (فرويد ١٩٥٠ أ)] .

الصغير ، كل ما هناك — كما رأينا — هو أن الحلم كان يخفى رغبة في أن ترى بعد طول قطعة شخصاً حبيباً إليها ، هذا الشخص عينه الذى سبق لها لقاءه مرة — بعد انقطاع دام كذلك طويلاً — بجوار ابن أختها الآخر وهو راقد فى نعشه . ولم يكن من شأن هذه الرغبة التى كانت تكون محتوى الحلم الحقيقى أن تثير حزناً ، وعلى ذلك لم يكن فى الحلم حزن . فنحن نلاحظ هنا أن الشعور الذى أحست به الحاملة لم يكن يتعلق بمحتوى الحلم الظاهر بل بالباطن ، وأن محتوى الحلم الوجدانى قد سلم من التشويه الذى أصاب محتواه الفكرى .

ولكن الأمر يختلف فى تلك الأحلام التى يتخيل فيها الحالم موت قريب حبيب ، ويألم لذلك وجدانه : هذه الأحلام — كما يتحدث به محتواها — تعنى الرغبة فى موت الشخص المقصود . ولما كنت أتوقع هنا أن تثور مشاعر قرائى كافة ، هم وكل من وقع له مثل هذا الحلم ، لم يكن بد من أن أحاول إقامة دليل على أوسع أساس ممكن .

لقد ناقشنا من قبل حلماً علمنا منه أن الرغبات التى يصور الحلم تحقيقها لا تكون دائماً بنت يومها ، بل هى قد تكون أيضاً رغبات ماضية ، مهجورة ، مدفونة ، مكبوتة ، لا يحملنا على أن ننسب إليها نوعاً من الوجود المستمر سوى رجوعها إلى الانبعاث فى الحلم . فهى — تلك الرغبات — ميتة ، لا كالموتى فى تصورنا ، بل كأشباح الأوديسا التى لا تلبث أن تبعث إلى الحياة حين تلغ الدم . فحمل الطفلة الميتة فى صندوقها (ص ١٨٠) كان يتصل برغبة كانت منذ خمسة عشر عاماً رغبة حاضرة وكانت الحاملة إذ ذاك تعلمها سافرة . ولا أظنه أمراً يخلو من القيمة بالنسبة إلى نظرية الأحلام أن أضيف أن هذه الرغبة كانت تقوم هى أيضاً على ذكريات من ذكريات الطفولة : ذلك أن الحاملة قد سمعت فى طفولتها — دون أن تدري متى تحديداً — أن أمها قد افترسها فى أثناء الحمل الذى كانت هى ثمرته انقباض شديد ، وأنها ودت ودا حاراً لو أن الطفل قد مات وهو جنين . فلما كبرت الحاملة وصارت حاملاً ، لم تفعل إلا أن حذت حذو أمها .

فإذا حلم البعض وهو يفصح عن كل علام الألم أن أباه أو أمه أو أخاه أو أخته قد مات ، لم أفكر على الإطلاق فى أن أقيم من هذا الحلم دليلاً على أن الحالم يريد اليوم موت هذا القريب . فنظرية الحلم لا تقتضى كل هذا ، بل تقنع بالانتهاء إلى أنه — أعنى الحالم — قد انتهى هذا الموت فى فترة أو أخرى من فترات الطفولة . غير أننى أخشى ألا

يفلح هذا التحفظ في تسكين المعارضين ؛ فهؤلاء سوف ينكرون احتمال أن تكون مثل هذه الفكرة قد طرأت لهم يوماً بمثل القوة التي ينكرون بها أن تكون تلك رغبتهم اليوم . وعلى ذلك لا يكون مفر من أن أبعث من جديد بعض ما غبر من حياة الطفولة النفسية استناداً إلى شهادة الحاضر^(١) .

دعنا ننظر بادئ ذي بدء في علاقة الطفل بإخوته . لست أدري لماذا نفترض مقدماً أن هذه العلاقة لا بد أن تكون حياً . فمن ذا الذي لم ير بين الراشدين شواهد على شقاق الإخوة ؟ وكم يتاح لنا التحقق من أن هذا الشقاق قد تأصل في الطفولة وأنه لم ينقطع يوماً ! أضف إلى ذلك أن كثيراً من الراشدين الذين تربطهم اليوم بإخوتهم أواصر المودة وينصرونهم عند الشدة كانوا في طفولتهم يعيشون وإياهم على عداوة لا تكاد تلين . فالأكبر كان يسيء إلى الأصغر ويقهره ويسلبه لعبه ، في حين يضيء الأصغر مما به ، من غيظ العاجز المقهور . فهو يحسد أخاه الأكبر ويخشاه أو قد يستدير إلى مضطهده فيواجهه بأوائل ثوراته محبة للحرية وشعوراً بالعدل . هذا بينما يردد الوالدان أن أبناءهم لا يصطلحون ، دون أن يعرفوا لذلك سبباً . ولا يصعب أن نرى أن الطفل ولو كان حسن الطبع لا يحقق كل ما نأمل في رؤيته عند الراشد . فالأطفال أنانيون مطلقاً الأنانية ، وهم يشعرون بحاجاتهم شعوراً بالغ الشدة ، ويجهدون في إرضائها غير حاسبين لما عداها حساباً ، وبخاصة في وجه الغرماء من سائر الأطفال ، ومن الإخوة في المحل الأول . غير أننا لا نقول من أجل ذلك : إن الطفل « شرير » بل نصفه « بالرداءة » ؛ فهو لا يسأل عن سوء فعالة ، في نظرنا كما في نظر القانون . ومن العدل أن تكون الأمور كذلك ؛ فلنا أن نتوقع أن تستيقظ قبل ختام تلك الفترة المسماة طفولة نزعات غيرية ، وأن تستيقظ الأخلاق ، أو أن يأتي أنا ثان – بتعبير ماينيرت – فيغطي الأول ويكفه . ومن المحقق أن الأخلاق لا تظهر في كل النواحي في وقت واحد ، وأن مرحلة الطفولة اللاخلاقية يتفاوت طولها بتفاوت الأفراد . فإن وقف هذا التخلق عن النمو ، أجبنا الحديث عن « الانحلال » بينما الواضح أننا نواجه كفا في النمو . وأما بعد أن يغطي النمو اللاحق الطبع الأول ، فقد يعرى هذا الطبع ثانية ، على الأقل إلى حد في حالات المرض المسترى . والحق أن الشبه عجيب بين ما ندعوه الطبع المسترى وبين رداءة الأطفال . وأما العصاب القهري فيوافق

(١) أنظر " تحليل مخافة شاة عند طفل في الخامسة " (فرويد ١٩٠٩ ب) . وكذلك مقالتي في " بعض النظريات الجنسية عند الأطفال " (١٩٠٨ ج) .

على العكس تخلفاً مفرطاً أريد به تعزيز القدرة على مغالبة ما يتحرك من جديد من الطبع الأول .

هناك إذن قوم كثيرون ممن يحبون اليوم لإخوتهم ويستشعرون فداحة فقدان لو قد حق عليهم الموت ، وهم مع ذلك يضمرون لهم في لا شعورهم رغبات خبيثة من العهد الأول قادرة على أن تتحقق في الحلم . ولكن الذى يفيدنا هنا أكبر الفائدة هو أن نلاحظ مسلك صغار الأطفال إلى سن الثالثة أو الرابعة تجاه من يصغرونهم من أشقائهم وشقيقاتهم ؛ لقد ظل الطفل حتى ذلك الحين وهو الطفل الأوحده ، وها هو ذا يعلم اليوم أن اللقلق قد أتى بطفل جديد : إنه لينعم النظر في هذا الوافد الصغير ثم يعلن في عزم . « ليعده به اللقلق من حيث أتى (١) » .

وإني لأعتقد وأنا جاد تمام الجحد أن الطفل يعرف كيف يقدر تقديراً صائباً كل ما ينتظره على يد الدخيل الصغير . وها هي ذى سيدة من معارف تربطها اليوم أحسن الروابط بأختها التي تصغرها بأربعة أعوام - تخبرني أنها قد تلقت نبأ وفاة أختها لأول مرة بهذا التحفظ : « ولكنني لن أعطيها معطى الأحمر مهما يكن ! » ومن هذا التاريخ تبدأ عداوة الطفل ولو لم يدرك موقفه إلا فيما بعد . وأعرف طفلة لما تبلغ الثالثة حاولت أن تختنق رضيعاً في مهده لأنها لم تستبشر بمحضره خيراً . والغيرة في هذا الوقت من الحياة شىء يستطيعه الأطفال بكل شدته ووضوحه . وهب الأخ الصغير أو الأخت قد خلى مكانه بالفعل عاجلاً ، وعاد الطفل يحتكر كل عطف المنزل ، ثم يأتي اللقلق بوافد جديد : أليس من المنطق أن يضمم طفلنا المدلل الرغبة في أن يلقي منافسه الجديد مصير سابقه حتى تسير الأمور بما يشتهى ، شأنها في البدء وفيما بين الفترتين (٢) . ومن الطبعي أن يتفاوت مسلك الأطفال هذا تجاه من يولد بعدهم بتفاوت الأعمار . فقد يحدث إذا بلغ الفرق في السن حداً معيناً أن تستثار في الأخت الكبرى أول بشائر الغريزة الأموية تجاه هذا الوليد الذى لا عون له .

(١) وهانس البالغ من العمر ثلاثة سنوات ونصف السنة والذي كانت مخافته الشاذة موضوع التحليل المشار إليه في الهامش السابق - قد صاح وهو محموم حين ولدت أخته : ولكنني لا أريد اختاً صغيرة . ثم هو قد أعرب صراحة في أثناء عصابه - بعد ذلك ببضعة عشر شهراً - عن رغبته في أن تلقى أمه الطفلة في حجرة الاستحمام حتى تموت . ومع هذا كان هانس ولداً حسن الطبع ، عطوفاً ، سرعان ما شفى بأخته الصغرى وشغف على الأخص بمحبتها . (٢) إن حالات الموت التي يعاصرها الطفل على هذا النحو أمر قد تسارع العائلة إلى نسيانه ولكن البحث التحليل النفسى يرينا أن لها أهمية قصوى في المصائب التى يحىء من بعد .

وما من شك في أن مشاعر العداوة بين الإخوة تزيد في سن الطفولة كثيراً عما يلحظه منها الراشدون الغافلون^(١) .

ولقد ضيعت فيما يتعلق بأبنائي الذين تتابعوا الواحد إثر الآخر في تعاقب سريع فرصة إتيان مثل هذه الملاحظات . ولكنني أدرك اليوم ما فاتني مع ابن أخت صغير جاءه غريم أنثوى فأدخل الاضطراب على حكمه المطلق بعد أن دام خمسة عشر شهراً . نعم ، لقد سمعت أن الشاب الصغير يسلك بإزاء أخته مسلماً جد كريم ؛ فهو يقبل يديها ويلطفها . بيد أنني رأيت ما يقنعني بأنه قد أخذ - ولما يكمل الثانية - في استخدام قدرته اللغوية في نقد هذا المخلوق الذي لم يكن يبدو إلا نافلة : فهو كلما دار الحديث عنها أقحم نفسه وصاح متأففاً : « صغيلة جداً ، صغيلة جداً ! » ولا ترعرت الطفلة في الشهور الأخيرة وصارت من الكبير بما يرفع عنها هذه الزرابة ، التمس صاحبنا سنداً جديداً لزعمه أنها لا تستحق كل هذه الرعاية ، فلا تسنح فرصة إلا ذكرنا بأنها لا أسنان لها^(٢) . ولا تزال أسرتنا جميعها تذكر عن البنت الكبرى لأخت لي أخرى كيف أخذت مرة - وكانت في السادسة - تلح ساعة كاملة على جميع عماتها ، تسألن لكي يؤيدنها : « إن لوسى لا تستطيع أن تفهم ذلك بعد ، أليس كذلك ؟ » وكانت لوسى منافستها التي تصغرها بعامين ونصف العام .

ولم أجد - مثلاً - بين جميع مريضاتي مريضة واحدة أخطأها هذا الحلم الدال على أقصى العداوة : بموت أخ أو أخت . لم أجد إلا استثناء واحداً لم يصعب تفسيره بما يؤيد القاعدة . فقد كنت أشرح هذا الوضع لإحدى السيدات في إخلال جلسات تحليلية لأنه بدا لي ذا حساب يحسب في العرض الذي كان مطروحاً على بساط البحث في ذلك

(١) إن ملاحظات لا يحصرها المد عن عداوة الأطفال في المبدأ نحو إخوتهم وأحد والديهم قد لوحظت وبجلت في المؤلفات التحليلية منذ أن خطت هذه السطور . ولكن الشاعر [السويسري] شيتلر قد صور لنا هذا المسك الطفل الضطى تصويراً فريداً في صلفه وسذاجته استمدته من طفولته : « وكان هناك عدا ذلك - أدولف ثان : مخلوق صغير زعموا أنه أخى وإن كنت لا أفهم كثيراً وجه النفع منه ، وأفهم أقل لم يحفلون له مثلاً يحفلون لي أنا . لقد كانت نفسي تكفيني ، فما حاجتي لأخ ؟ وليته كان عديم النفع وحسب ! يل هو يزيد أحياناً فيصير عقبة : فإذا عاكت جدي أراد أن يماكها مثلي ، وإن خرجت لتزده جليس قبالي ، فلا يكون مناص من أن تقتضارب بأقدامنا . »

(٢) وهذه الكلمات عينها قد استعارها أيضاً هانس الصغير وهو في الثالثة والنصف من عمره في نقده الجارف لأخته الصغيرة (ذات المرجع) . وكان يقدر أن عجزها عن الكلام راجع إلى افتقارها إلى الأسنان .

اليوم ، وإذا هي تجيبني لدهشي أنها لم تر مثل هذا الحلم قط . غير أن حلماً يبدو منقطع الصلة بالموضوع طراً بياها ، وهو حلم أتاها في الرابعة - وكانت إذ ذاك أصغر أفراد الأسرة - ثم عاودها بعد ذلك تكراراً : جمع من الأطفال - كلهم من الإخوة والأقارب ، صبية وبنات - يزحفون في حقل ثم فجأة ظهرت لهم أجنحة ، فطاروا كلهم ثم اختفوا . ولم تكن الحاملة تملك أقل فكرة عن هذا الحلم . ولكن من السهل علينا أن نعرف أنه في صورته الأصلية التي لم تغير منها الرقابة إلا قليلاً لم يموت لإخوتها وأخواتها جميعاً . وأجازف إلى افتراض التحليل الآتي : عندما مات أحد هؤلاء الأطفال - وكانت الحاملة وإخوتها قد نشئوا هم وأولاد عم لهم في أسرة واحدة - اتجهت الحاملة - ولما بلغت الرابعة - إلى أحد الكبار العققلين تسأله : ما الذي يحدث للأطفال حين يموتون ؟ ولا بد أنه أجابها : تنمو لهم أجنحة ويصبحون ملائكة صغاراً . ونحن نرى في الحلم الذي أعقب هذه الإفادة أن إخوة الحاملة قد صارت لهم جميعاً أجنحة كالملائكة وأنهم - وهنا المهم - قد طاروا بعيداً ، ولم يبق سوى صغيرتنا صانعة الملائكة ^(١) ، وتأمل : إنها الباقية الوحيدة من الحشد كله ! وأما أن يزحف الأطفال في حقل قبل طيرانهم فهو ما لا نكاد نجانب الصواب إذ نرى فيه إشارة إلى الفراشات ، وكأنما كانت الطفلة مسوقة بذلك التداعي الفكري الذي ساق القدامى إلى أن يصوروا الروح في صورة فراشة ذات أجنحة .

وهنا قد يعترض البعض قائلاً : « نسلم بأن الأطفال عرضة لدفعات عداوية نحو إخوانهم ، ولكن أنى لقلب الطفل أن يبلغ من الفساد إلى تلك القمة ، حتى يشتهي موت من نافسه أو قوى عليه من رفاق اللعب ، كأنما كان لا يعرف غير الموت عقاباً لكل جريمة ؟ » بيد أن قائل مثل هذا الكلام ينسى أن فكرة الطفل عن « الموت » لا تحمل - بعد اللفظ - إلا أقل الشبه بفكرتنا نحن . فما يعلم الطفل شيئاً من شناعة الفساد ، ومن الرعدة في قبر بارد كالثلج ، ومن هول العدم الأبدى - وكلها أمور قلما احتمل الكبار تصورها ، دليل ذلك كل الأساطير المنسوجة حول العالم الآخر . فالخوف من الموت غريب عن الطفل ، ومن ثمت كان لعبه بالكلمة الهائلة والتجاذف إليها لكي يهدد بها أحد الرفاق : « ستموت لو عدت إلى ذلك مثلما مات فرائتس » .

(١) [صانعة الملائكة تعبير يقال للقبالة التي تزاول عمليات الإجهاض - من كونها تقتل الأولاد ولما يولدوا فيصيرون ملائكة .]

وتسرى الرعدة في الأم المسكينة ، ولعلها لا تستطيع أن تنسى أن الشطر الأكبر من البشر مواليد الأرض لا تتجاوز حياتهم سنى الطفولة . بل لقد يبلغ الطفل الثامنة ثم لا يزال قادراً على أن يقول لأمه وقد عاد إلى المنزل من جولة في متحف التاريخ الطبيعي : « ماما ، ما أكثر حبي لك ! إذا مت فسأجعلهم يحشونك ، وسأضعك هنا ، في هذه الغرفة ، حتى أستطيع رؤيتك دائماً ، دائماً . » إلى هذا المدى يختلف الطفل منا في تصوره للموت ^(١) .

ولما كان الطفل يجنب فوق ذلك مشاهدة آلام الاحتضار ، فالموت عنده يعنى إلى حد كبير « الغياب » ، الكف عن إزعاج الأحياء المتبقين . وهو لا يميز بين أسباب هذا الغياب ؛ أسفر أم طرد أم غربة أم موت ^(٢) . فلو أن طفلاً طردت مربيته وهو مازال بالمرحلة قبل التاريخية ثم ماتت أمه بعد ذلك بقليل ، لتطابق الحدثان في ذهنه وكونا سلسلة واحدة — كما يكشف عنه التحليل . وأما أن الطفل لا يفتقد الغائب كثيراً فهذا ما تعلمه الكثيرات من الأمهات لحسرتن حين يعدن إلى دورهن بعد أسابيع قضيتها في إجازة الصيف فيقابلن بهذا النبأ : أن الأطفال لم يسألوا عن أمهم مرة واحدة . فإن ذهبت الأم حقيقة إلى هذه « الأرض المجهولة التي لا يعود منها راحل » بدا على الطفل للوهلة الأولى أنه نسيها ولم يأخذ إلا من بعد في تذكر موتها .

وهكذا إذا رأى طفل ما يدعوه إلى أن يتمنى غياب شخص آخر ، فليس ما يمنع من أن يلبس أمنيته هذه لبوس الرغبة في الموت ، كما أن الاستجابة النفسية إلى الأحلام

(١) لقد أدهشني أن أسمع ولدا في العاشرة عالى الذكاء وهو يقول على أثر وفاة والده وفاة مفاجئة : " إنى أفهم أن يكون والدى ميتا ، ولكنى لا أرى لم لا يحضر إلى المنزل للعشاء . " ويجد القارئ مادة أخرى تتصل بهذا الموضوع في الباب الذى تشرف على تحريره الدكتور هـ . فون هوج - هلموت تحت عنوان " نفس الطفل " بمجلة Imago ، المجلدات ١ - ٥ ، ١٩١٢ - ١٩١٨ .

(٢) أتى أحد الآباء من لم يلأم بالتحليل النفسى ملاحظة أرتة اللحظة التي أدركت فيها ابنة له في الرابعة على نمو عقل كبير ما هو الفرق بين " الموت " و " البعد " . ذلك أنها سلكت على المائدة سلوكاً مزعجاً بعض الشيء وأحست أن إحدى الخادومات تنظر إليها في غير استحسان فأعربت لوالدها عن شعورها قائلة : " أود لو ماتت جوزفين ! " فسألها والدها مهدئا : " ولم الموت ؟ ألا يكتفى أن تبعد ؟ " فأجابته الطفلة : " كلا ، وإلا عادت ثانية . " إن محبة الذات المطلقة عند الأطفال (الترجسية) تجعلهم يرون في كل تدخل جريمة مساس بالذات الملكية ، ومشاعرهم — مثل قوانين دراكون — لا تعرف لكل جريمة من هذا القبيل إلا تلك الصورة من العقاب التي لا تحتل وسطا .

المنطوية على رغبات في الموت ترينا أنه مهما تنوع محتوى هذه الرغبات عند الطفل فهي تعنى مع ذلك على نحو من الأنحاء ما تعنيه نظيراتها عند الراشدين .

ولكن إذا كانت رغبة الطفل في موت إخوته وأخواته تجد ما يفسرها من أنانيته التى تجعله يرى في هؤلاء منافسين له ، فكيف نفسر رغبته هذه تجاه والديه اللذين يمنحانه الحب ويقضيان له حاجاته واللذين كان يخلق بأنانيته تلك أن تدعوه إلى اشتها بقائهما ؟ هذه صعوبة يهدينا إلى حلها ما نلاحظه من أن الحلم بموت الوالدين يصيب في الغالبية الغالبة من كان من الزوجين الوالدين يشارك الحلم جنسه ؛ فالرجل يحلم في الأغلب بموت الأب وتحلم المرأة بموت الأم . ولست أستطيع أن أدعى لتلك القضية عموم القاعدة ، ولكن غلبة الاتجاه الذى أشير إليه بيته إلى حد يتطلب تعليلها بعامل ذى قيمة كلية كذلك ^(١) : إن الأمور تجرى - إذا تركنا كل تعبير مخفف - كما لو كان ثمت إيثار جنسى يستشعره الطفل وهو في باكورة الحياة ، كما لو كان الصبي يرى في أبيه - والفتاة في أمها - غريماً لن يصيبه من إزاحته غير النفع .

وإنه ليجدر بنا هنا أيضاً - قبل أن نبذ هذه الفكرة معتبرين إياها فكرة شنعاء - أن نكتب النظر إلى العلاقات الحقيقية بين الوالدين والأبناء . وعلينا بنوع خاص أن نفرق بين تلك العلاقة كما يريدونها واجب التقوى البنوية الذى يقتضيه العمران وبين ما يتكشف بالملاحظة اليومية أنه واقع تلك العلاقة : إن وراء العلاقة بين الوالدين والأبناء لأكثر من مناسبة من مناسبات العدواة ، وإنها لعلاقة تزدهم في وفرة ما بعدها وفرة بكل العوامل التى تبعث على رغبات لا يمكن أن تواجه الرقابة . ولتقفن بادئ ذى بدء على العلاقة بين الأب والابن : إني أعتقد أن القداسة التى أسبغناها على ما سته الوصايا العشر من نواه قد أعمت أبصارنا عن إدراك الحقيقة الواقعة . ولعلنا لا نكاد نجرؤ على ملاحظة أن الشطر الأعظم من أبناء النوع الإنسانى يخرجون عن طاعة الوصية الرابعة ^(٢) . فتقوى الأبناء نحو آبائهم - فى أسفل مراتب المجتمع كما فى أعلاها - تطغى عليها عادة مطامع أخرى . والبلاغ الحالك الذى ينحدر إلينا عبر الملاحم والأساطير عن العصور الأولى للمجتمع

(١) [١٩٢٥ :] إن الغموض كثيراً ما يشمل هذا الموقف لظهور دافع عقابى يهدد الحالم بموت من يحب من الوالدين على سبيل الجزاء الخلقى .

(٢) [" أكرم أباك وأمك لئلا تطول أيامك على الأرض التى يعطيك الرب إهلك . " (خروج ، ٢٠)]

الإنسانى يرينا ما لا تطرب له النفس من مطلق سلطان الأب ومن قساوته فى مزاوله هذا السلطان . فكرونوس قد التهم أبناءه مثلما يفعل الخنزير الوحشى بخلف أنثاه ، وجاء زوس فأخصى أباه ^(١) ونصب نفسه سيداً فى مكانه . وكلما خلا سلطان الأب فى العائلة من كل قيد ، وجد الابن نفسه بالضرورة - وهو الوريث المنتظر - فى موقف العدو من أبيه ، ونفذ بالضرورة صبره وهو يترقب الظفر بالسيادة عبر موت أبيه . ولا يزال الأب فى طبقتنا المتوسطة يأبى على ابنه الاستقلال ويأبى عليه العدة لبلوغه ، متعهداً بذلك بذور العداوة التى تكمن بطبيعتها فى هذه العلاقة . وكثيراً ما يتاح للطبيب أن يلحظ كيف يعجز حزن الابن لفقد أبيه عن قمع فرحه إذ يظفر أخيراً بحريته . وكل أب يتشبث اليوم يائساً بما يتبقى فى عصرنا من « سلطة لرب العائلة » ^(٢) صارت إلى قدم لا يذكر بالخير ، وكل كاتب - مثل إيسن - يبرز هذا الصراع الأذى بين الآباء والأبناء إلى مكان الصدارة من كتاباته فله أن يكون على ثقة من أنه يحدث فى النفوس أثراً . وأما البنت وأما فتنشأ فرص النزاع بينهما حين تشب البنت فترى فى أمها رقيباً عليها ، على حين تطمح هى إلى الحرية الجنسية ، هذا بينما ترى الأم من ناحيتها فى تفتح ابنتها نذيراً يندرهما أن قد حان وقت التزول عن مطالبها الجنسية .

كل هذا ظاهر بملأ أعين الجميع . لكنه لا يعيننا على ما نستهدفه من تفسير الأحلام بموت الوالدين عند أناس رسخت تقواهم نحو والديهم رسوخاً وطيداً منذ زمن طويل . أضف أن المناقشات السابقة قد أعدتنا لأن نعلم أن رغبة الموت تجاه الوالدين تنبعث جذورها من الطفولة الأولى .

إن هذا الفرض يتأيد تأييداً لا يتطرق إليه أدنى شك بالنسبة إلى العصابين الذين يأخذون فى التحليل النفسى . فنحن نعلم عندئذ أن رغبات الطفل الجنسية - إذا كانت هذه الرغبات تستحق هذا الوصف وهى لا تزال فى طورها الجنينى - تنشأ منذ وقت مبكر ، وأن أول نزوع الفتاة يكون لأبيها كما تتجه رغائب الولد أول ما تتجه إلى أمه ،

(١) أو ذلك ما ورد فى بعض الأساطير . وفى روايات أخرى أن الإخصاء إنما أوقمه كرونوس على أبيه أورانوس . ولمعرفة المفزى الأسطورى الذى لهذه المسألة اقرأ رانك ، ١٩٠٩ ، وكذلك رانك ١٩١٢ ج ، الفصل التاسع ، القسم الثانى .

(٢) [potestas patris familiaris ، الإشارة هنا إلى نظام المائلة الرومانية وسلطة الأب فيها .] (١٨)

وبذلك يصبح الأب للولد — مثل الأم للبنت — مزاحماً مزعجاً ، ولقد رأينا من قبل — فيما يتعلق بالإخوة — كيف يكفى الشيء القليل من مثل هذا الشعور في سوق الطفل إلى اشتاء الموت للغريم . ويظهر مثل هذا الإيثار عادة عند الوالدين كذلك ؛ فهناك نسبة طبيعية ترعى الأمور بحيث يدلل الزوج ابنته الصغيرة وتأخذ زوجه جانب الابن ، بينما يعمل كلاهما — هذا إذا لم يفسد حكمهما سحرُ الجنس — على تنشئة صغارهما تنشئة دقيقة . ويلحظ الطفل هذا الإيثار تمام الملاحظة وينقلب على الجانب الذى يعارضه من الزوجين الوالدين ؛ فالحظوة بحب الراشد لا تشبع حاجة بعينها من حاجات الطفل وحسب ، إنها تعنى بنوع أخص أن يرغبته مجابة في كل ناحية أخرى من النواحي . وهكذا يتبع الطفل دافعه الجنسي ويزيد في الوقت عينه نزوع والديه حدة جديدة ، حين يتفق اختياره بينهما واختيارهما .

ومن عادتنا أن نغض النظر عن معظم علائم هذه النوازع الطفلية ، بيد أننا نستطيع مع ذلك أن نلاحظ بعضها حتى بعد انقضاء السنوات الأولى من الطفولة : فأنا أعرف فتاة في الثامنة لا يدعو أمها داع إلى المغيب عن المائدة دون أن تنهز الفرصة لتعلن أنها قد خلقتها : « سأصبح أنا ماما الآن . كارل ، أتريد مزيداً من الخضر ؟ خذ بعضاً من فضلك ! » وهكذا . ولقد شفت هذه الناحية من سيكولوجية الطفل شفافية خاصة عند طفلة في الرابعة على جانب ملحوظ من الحيوية والذكاء ، كانت تقول : « الآن تستطيع ماما أن تذهب ، وستزوجني بابا بعد ذلك على التأكيد . وأصبح أنا زوجه » — هذا دون أن تتنافى هذه الرغبة عند الطفلة مع حبها أمها حباً ملؤه الحنان . وإذا أبيع لطفل أن ينام إلى جانب والدته والدة مسافر ثم أعيد مكرها فور رجوعه إلى غرفته المعتادة حيث ينام مع شخص آخر لا يحبه إلا حباً يقل كثيراً عن حبه لأمه ، كان من السهل أن تنشأ عنده الرغبة في أن يظل والده غائباً على الدوام حتى يتمكن من استبقاء أمه الحبيبة الحميصة على الدوام . وجلى أن من الوسائل إلى ذلك أن يصبح الأب في عداد الأموات ؛ فقد علم الطفل من تجربته شيئاً : هو أن الموتى يظلون دائماً على غيبتهم — مثل جده — ولا يرجعون منها إلى أبد الآبدين .

هذه الملاحظات قبل الأطفال الصغار وإن وافقت التفسير الذى أقترحه دون أن نحملها مالا تحتمل ، لا تجلب مع ذلك مطلقاً هذا الاقتناع الكامل الذى يفرضه على

الطبيب تحليل الكبار الراشدين . فالأحلام التى نحن فى صدها ترد هنا مصحوبة بمقدمات يستحيل معها تجنب تفسيرها . بغير كونها أحلام رغبة . ولقد وجدت يوماً لإحدى مريضاتى مكتوبة دامعة وقالت المريضة لى : « إننى لا أريد أن أرى أقربائى أبداً ، لا بد أنهم يرتعدون منى فرقا . » ثم أردفت تقول — من غير ما صلة تقريباً — : إنها تذكر حلماً من أحلامها ، وإن تكن بالطبع لا تفقه شيئاً من معناه . هذا الحلم قد أتاها فى الرابعة ، وهذا هو نصه : يحول فهد أو ثعلب ^(١) على سطح البيت ، عندئذ يسقط شيء من أعلى ، أوهى نفسها قد سقطت ، ثم تحمل أمها ميتة إلى خارج المنزل — وهنا تنحب الحاملة نحياً موجعاً . وما كدت أخبرها أن هذا الحلم لا بد يعنى رغبة أضمرتها وهى طفلة فى أن ترى أمها ميتة وأن هذا الحلم ولا شك هو الذى جعلها تظن أن أقرباءها يرتعدون منها فرقا ، حتى أسلمتنى مادة ألقت على الحلم الضوء : ذلك أن « عين الفهد » شتمة رماها بها ولد من أولاد الأزقة وهى لا تزال صغيرة جداً ، ثم إن حجراً قد سقط من السطح وهى فى الثالثة والنصف فأصاب رأس أمها وأدامها غزيراً .

وأتيج لى مرة أن أدرس درساً وافياً فتاة مرت بحالات نفسية متقلبة : فقد بدأ مرضها بحالة من الهيجان الخلطى ، كانت تبدى فى خلالها نفورا بالغ الشدة من أمها ، تضربها وتشتتمها كلما اقتربت من سريرها ، بينما ظلت فى الوقت عينه على حبها وانطباعها لأخت تكبرها كثيراً ، ثم أعقبت هذه حالة من صفاء الذهن ، وإن صاحبها شيء من الحمد الانفعالى مع اضطراب فى النوم . وفى هذه المرحلة أخذت فى علاجها وتحليل أحلامها ، وكان عدد عظيم منها يدور — على نحو يزيد أو ينقص استخفاء — حول موت أمها : فهى طورا تشترك فى تشييع جنازة امرأة عجوز ، وطورا آخر تجلس مع أختها إلى المائدة وقد ارتديتا ثياب الحداد — بحيث لم يعد هناك أقل مجال للشك فى معنى هذه الأحلام . فلما زادت حالها تحسناً أخذت مخاوف هستيرية فى الظهور . وكان أشد هذه المخاوف تعذيباً لها الخوف من أن تصاب أمها بمكروه ؛ فكانت — حيثما كانت — تضطر إلى أن تعجل بالعودة إلى المنزل ، حتى تقتنع بأن أمها لا تزال حية ترزق . هذه الحالة — هى وتجاربي الأخرى مجتمعة — قد علمتنى الشيء الكثير ؛ فهى قد أرنتى — فيما يشبه الترجمة إلى لغات مختلفة — تنوع الطرق التى يستجيب بها الجهاز النفسى إلى فكرة

(١) [هناك جناس شديد بين اسمى هذين الحيوانين فى الأصل : Luchs و Fuchs .]

مهيجة : ففي حالة الهيجان — التي أتصورها على أنها طغيان النظام النفسى الأول الذى يظل فى العادة مكبوتاً على النظام النفسى الثانى — يجد العداء نحو الأم متنفساً حركياً قوياً ، فلما أخذت الحالة فى الهدوء وقمعت الثورة واستتب سلطان الرقابة من جديد ، لم يبق لعداوتها من مجال مفتوح غير مجال الحلم تحقق فيه رغبتها فى موت أمها ، ولما قويت الحالة السوية بعد ذلك ظهر قلقها المفرط على أمها من حيث هو استجابة هسترية مضادة وظاهرة من ظواهر الدفاع . وهنا لا يعود يغمض علينا لم كان من الشائع إلى هذا المدى أن تتعلق الفتيات المستريات بأمهاتهن فى تحنان زائد .

وأناحت لى فرصة أخرى أن أسبر غور الحياة اللاشعورية عند شاب فى مقتبل العمر كاد عصابه القهرى أن يعجزه عن الحياة . فهو لم يكن يخرج إلى الطريق ؛ لأنه إذا خرج عذبه الخوف من أن يقتل كل من مر به . وكان يقضى أيامه وهو يفكر فى دليل يثبت به براءته إذا وقعت جريمة قتل فى المدينة وأخذ هو يجربها — وغنى عن البيان أن هذا الشاب كان على مقدار عظيم من علو الخلق والثقافة على السواء . لقد بين التحليل (وهو تحليل أدى إلى شفائه) أن أساس هذه الفكرة القهرية الأليمة كان دافعاً إلى القتل يستهدف أباه ، وكان هذا الأب على صرامة لا تخلو من بعض الغلو . ولقد أعرب المريض لفرط دهشه عن هذا الدافع إعراباً شعورياً وهو فى السابعة من عمره ، وإن كانت نشأة الدافع ترجع بالطبع إلى ما قبل ذلك كثيراً من سنن الطفولة . فلما قضى الأب بعد مرض حفل بالعذاب ركب المريض — وكان فى الحادية والثلاثين — تأنيب قهرى تحول إلى الغرباء فى صورة هذه المخافة . وكأنما كان المريض يحدث نفسه قائلاً : إن من استطاع أن يرغب فى أن يدفع أباه من قمة جبل عال إلى هاوية سحيقة لا يمكن أن يؤمن بحال من الأحوال على احترام حياة الغير ممن هم أقل قرباً إليه ؛ ولهذا كان صواباً منه أن يلزم غرفته حيساً .

وتشهد خبرتى — وهى خبرة بلغت مدى واسعاً — بأن والدين يقومان بالدور الرئيس فى الحياة النفسية الطفلية لكل من صار فى مستأنف حياته عصائياً . فحجة أحد والدين وكراهية الآخر من المقومات الجوهرية فى خزانة الاندفاعات النفسية التى تتكون فى ذلك الوقت والتى تملك أكبر الأهمية فى تشكيل أعراض العصاب الذى يحى بعد ذلك . بيد أننى لا أعتقد أن العصائيين يختلفون فى هذه الناحية اختلافاً جوهرياً من أولئك

الذين يظنون سوين أى أنهم يملكون القدرة على أن يخلقوا شيئاً جديداً مطلق الجدة ،
خاصاً بهم كل الخصوص . بل الذى يرجح ذلك كثيراً وتؤيده أيضاً الملاحظات العارضة
عن الأطفال السوين هو أن العصبيين بمشاعرهم هذه — من حب وكره نحو والديهم —
إنما يطلعوننا فى صورة مكبرة على ما يعتمل فى نفوس معظم الأطفال بوضوح أقل وشدة
منقوصة . ولقد جاءتنا من الزمن القديم أسطورة لا سبيل إلى أن نفهم فعلها العميق
الشامل فى النفوس إلا إذا كان الفرص الذى قدمته فى سيكولوجية الطفل صحيحاً كذلك
صحة شاملة .

وأنا أشير هنا إلى أسطورة الملك أوديب وإلى مسرحية سوفوكليس التى تحمل
اسمه : ولد أوديب من لا يوس ملك طيبة ومن زوجه يوكاستا ، وألقى به إلى العراء وهو
بعد رضيع ، لأن نبوءة أعلمت لا يوس — وابنه ما زال بالرحم — أن ابنه هذا سوف يكون
قاتله . إلا أن منقذاً أنقذه وشب الطفل ولياً للعهد فى بلاط أجنبي إلى أن خامره الشك
فى أصله فراح بدوره يستفسر العرافة فأندرتة إياه والإقامة فى وطنه ؛ فقد قضى عليه أن
يقتل أباه وأن يأهل أمه . وبينما هو هائم على وجهه فى طريق يبعده عما يظن أنه وطنه إذا
هو يلتقى بالملك لا يوس فيصرعه فى قتال نشب على غرة . وأقبل بعدها إلى طيبة ، وهناك
حل لغز أبى الهول ^(١) الذى كان يعترض الطريق إلى المدينة فنصبه الطيبون ملكاً عليهم
عرفاناً منهم بحمىل صنعه ، وأهدوا إليه يد يوكاستا . وظل أوديب يحكم دهرأ آمناً معزراً ،
وأعقبت له أمه المجهولة منه ولدين وابنتين ، إلى أن نزل وباء فكان سبباً فى أن يذهب
الطيبون فى سؤال العرافة من جديد . وهنا تبدأ مأساة سوفوكليس : يعود الرسل بهذا
البلاغ : ينقطع الوباء إذا ارتحل قاتل لا يوس عن الديار . ولكن بأى أرض هو ؟

« أين نجد هذا الأثر الخفى لجرمة غابرة ؟ »

(السطر ١٠٩)

ولا تقوم المعالجة المسرحية فى شىء آخر سوى الإفضاء — إفضاء تتزايد الإثارة فى
سياقة رويدا رويدا ويتم بعد تعويقاً ماهر ، حتى لتجوز مقارنته بسير التحليل النفسى
— بأن أوديب نفسه هو هو قاتل لا يوس وأنه أيضاً ولده ، منه ومن يوكاستا . ويرتاع

(١) [لغز أبى الهول فى أشهر صيغته هو الآتى : من ذا الذى إذا طلع النهار سار على أربع ، فإن انتصف
فعل اثنتين ، فإن ضرب إلى المغييب فعل ثلاث ؟ والجواب هو : الإنسان — الذى يستند إلى العصا فى شيخوخته .]

أوديب ليهول ما أتى غير عالم ، فيفقأ عينيه ويهجر وطنه . وهكذا تصدق النبوءة .

« أوديب ملكا » تدخل بين ما يعرف باسم مأسويات القدر . ويقال : إن تأثيرها المأسوى يقوم في التضاد بين مشيئة الآلهة القاهرة وبين محاولة الإنسان سدى أن يجنب نفسه الويل الذى يهدده . ويقال أيضاً : إن الدرس الذى يخرج به من شهد المسرحية فلكته — هو الاستسلام للمشيئة الإلهية والبصر بقلّة حوله . وعلى ذلك أراد المؤلفون المحدثون أن يبلغوا مثل هذا التأثير المأسوى ، فحاكوا هذا التضاد عينه فى خيال من عندهم . ولكن المشاهدين ظلوا لم يحركوا ساكناً وهم ينظرون كيف تنفذُ عرافة أو نبوءة مهما بذل برىء فى دفعها ؛ إن مأسويات القدر المحدثّة لم تصب وقعاً .

فإذا كانت « أوديب ملكا » تهر اليوم معاصرنا مثلما هزت من عاصرها من الإغريق ، فلا تفسير لذلك إلا أن وقعها لا يقوم على ما بين القدر وإرادة الإنسان من التضاد ، وإنما ينبغى علينا أن نلتمس سر هذا الوقع فى طبيعة المادة التى تشخّص بها هذا التضاد . أو قل : إنه لا مناص من أن يكون ثمت صوت يُعِدُّنا لأن نعرف قوة القدر للطاغية فى أوديب ، على حين يسعنا الزهد فى مواقف من قبيل ما يحاك فى « الجدة » [لجريلبارتسر] أو غيرها من مأسويات القدر المحدثّة زهدنا فى نتاج لم يمل سوى هو صاحبه . وقصة الملك أوديب تشتمل حقيقة فى طياتها على عامل من هذا القبيل : فما يحركنا مصيره إلا لأنه مصير قد كان يمكن أن نصير إليه ، لأن النبوءة قد صبّت علينا — ولما نولد — تلك الدعوة التى صُبّت عليه ؛ فلعله قد قدر علينا أجمعين أن نتجه بأول نزوعنا الجنسى جهة الأم وبأول البغضاء ورغبة الدمار جهة الأب ، وأحلامنا تقنعنا بأن الأمر كذلك . فما عدا أوديب الملك الذى قتل أباه لايوس وتزوج أمه يوكاستا أن يحقق رغبات من طفولتنا . بيد أننا ونحن أسعد منه حظاً قد نجحنا فى أن نتحول بنوازعنا الجنسية عن أمهاتنا وفى أن ننسى غيرتنا من آبائنا — نجاحاً يقاس بمقدار نجاحنا فى ألا نصير عصابيين . ولكن ، ها هو ذا البعض تحققت عنده هذه الرغبات وليدة الزمن الأول : إن الرعدة لتسرى فينا وإنا لندبر بعدا عنه ، لا تدخر فى ذلك طاقة من الكبت الذى ألجم منذ إذ ذاك هاته الرغبات فى دخيلتنا . فالشاعر إذ يخرج إلى الضوء — بينا ينقب فى الماضى — جرم أوديب هذا لا يترك لنا محيصاً عن أن نعرف دخيلتنا ، دخيلتنا التى لا تفتأ هاته الدفعات ماثلة فيها وإن قمعت . والتقابل الذى تودعنا الجحوة على صورته :

« أنظروا أوديب هذا ، من حل اللغز الذائع الصيت وكان رجلاً فاق الرجال اقتداراً ، من كان المواطنون جميعاً يرمقون حظه في حسد ، أنظروا في أي بحر من الشقاء يقذف به ! »^(١) هذا المتقابل تحذير يصيبنا ويصيب كبرياءنا ، نحن الذين صرنا — في اعتقادنا — على هذه الدرجة من الحكمه ومن القوة منذ أن شيعنا سنى الطفولة ؛ فنحن نعيش — مثل أوديب — على جهل بهذه الرغبات المنافرة للأخلاق ، التي فرضتها الطبيعة علينا ، ولئن كشفت لأردنا أيضاً لو نغمض الطرف عن مشاهد طفولتنا .^(٢)

فأما أن أسطورة أوديب قد نبتت من مادة حلمية قديمة أزلاً ، متصلة بهذا الاضطراب الأليم الذى ينتاب علاقة الطفل بوالديه من جراء نزعاته الجنسية الأولى — ذلك ما يجد في نص مأسوية سوفوكليس إشارة لا شبهة فيها . فها هي ذى يوكاستا ترفه عن أوديب — ولم يكن قد استنار بعد ولكن ذكرى النبوءة أخذت تشيع الاضطراب في نفسه — فإذا هي تشير إلى حلم يأتي حقيقة أناسا كثيرين لكن دون أن يعنى ذلك — في زعمها — شيئاً :
« كم من مائت قبلك ضاجع في الحلم أمه ، ولكن يسهل عبء العيش لمن لم يلق

إلى ذلك بالا . » (سطر ٩٨٢ وما بعده .)

واليوم كما في ذلك الوقت يحلم الكثيرون بمضاجعة الأم ويروون أحلامهم مستنكفين ، متعجبين . ومن السهل أن نفهم أن هذا الحلم هو مفتاح المأسوية والجزء المكمل للحلم بموت الأب . فقصة الملك أوديب استجابة من الخيلة إلى هذين الحلمين النمطين جميعاً . وكما أن هذه الأحلام تصحبها — حين تقع للراشدين — مشاعر شتى من النفور فقد حق كذلك أن تضم الأسطورة في طياتها الارتياح وإيقاع العقاب بالنفس . وأما التحوير الذى يحىء بعد ذلك فنشأه مرة أخرى أن المادة تراجع هنا أيضاً مراجعة ثانوية خاطئة تهدف إلى استخدامها في أغراض لاهوتية . (أنظر مادة أحلام الاستعراض في ص ٢٦٠

(١) [سطر ١٥٢٤ وما بعده .]

(٢) ليس بين مكتشفات التحليل النفسى ما لقي من النقاظ المبرور ومن المدافعة المستميتة — ومن الخذلقة النقدية الطريفة كذلك — ما لقيته هذه الإشارة إلى النزوع الطفلى الذى يظل متيقياً في اللاشعور إلى الزنا بالمحارم بل لقد حاول البعض أخيراً — رغم كل ما تظهره التجربة — ألا يتركوا للزنا بالمحارم غير قيمة « رمزية » . — هذا وقد أتى فرنسى (١٩١٢) بتفسير إضافي بارع لأسطورة أوديب اعتمد فيه على فقرة من خطاب لشوبنهاور . كما ظهر من مواصلة البحث أن « مركب أوديب » الذى أشير إليه للمرة الأولى في هذه الفقرات من « تفسير الأحلام » أهمية لم تكن نحمل بها في فهم التاريخ الإنسانى وتطور الدين والأخلاق (أنظر : الطوطم والتابو ، ١٩١٣ .)

وما بعدها .) ولكن كان من الحتم أن تخفق محاولة التوفيق بين القدرة الآلهية المطلقة وبين المسؤولية الإنسانية ، في صدد هذا الموضوع كما في غيره .

وهناك ماثرة أخرى من مآثر الشعر المأسوى تضرب جنورها في ذات التربة التي تضرب فيها أوديب ملكا : تلك هي « هاملت » شكسبير . بيد أن المعالجة المختلفة للمادة الواحدة تجلو لنا كل الفرق في الحياة النفسية بين هذين العصرين المتباعدين تباعداً كبيراً من عصور الحضارة ، وأعني بهذا الفرق تقدم الكبت عبر القرون في الحياة العاطفية للبشرية . ففي « أوديب » يظهر جهارا ذلك التخيل الذى يجيب رغبة الطفل والذى تقوم عليه المأسوية ، ويتحقق كما قد يتحقق في حلم . فأما « هاملت » فيظل فيها هذا التخيل مكبوتا ، ولا نعلم عن وجوده شيئا إلا بما يظهر من عواقب كفه — شأن الحال مع العصبيين . والعجيب أنه يتبين أن ما تملكه المأسوية الأحداث من وقع طاع في نفوس الناس لا يتعارض مع بقائهم من أمر طبع البطل في ظلمة مطلقة . فالمسرحية تقوم على تردد هاملت في إنفاذ الانتقام الذى وكل إليه ، ولكن ما هي أسباب هذا التردد أو دواعيه ، ذلك مالا ينس النص بحرف عنه وبذلك في تفسيره محاولات لا تحصى فما أتت بطائل . فهاملت في نظرة أصلها جوته^(١) ولا تزال لها الغلبة حتى اليوم يمثل هذا الطراز من الرجال الذين شلت عندهم القدرة على العمل المباشر : شلها نمو العقل نموا مفرطا (« أسقمه الفكر الشاحب ») . وفي نظره أخرى أن الشاعر قد أراد أن يصور لنا طبعاً مريضاً مذبذبا شارف النوراستانيا . بيد أن المسرحية ترينا أن هاملت بعيد كل البعد عن أن يصور في صورة إنسان فقد كل قدرة على العمل . فنحن نراه يعمل مرتين : الأولى في فورة مباغتة حين يقطع السامع المسترق من وراء الستار ، وأما الثانية فعن قصد مبيت بل في مكر جم ، وذلك حين يرسل برجلي البلاط إلى الموت الذى كان مدبراً له هو ، مبدئياً في ذلك كل التحلل الخلقى الذى يمكن أن يتصف به أمير من أمراء عصر النهضة . فما الذى يوقفه على هذا النحو في إنفاذ المهمة التى كلفه شبح أبيه إياها ؟ الجواب نجده مرة أخرى في الطبيعة الخاصة لتلك المهمة . إن هاملت يستطيع أن يأتي كل شيء إلا أن يثار من الرجل الذى أزاح أباه واحتل مكانه عند أمه ، الرجل الذى يريه — إذن — رغباته الطفلية وقد تحققت . وهكذا يحل عنده محل الاستبشاع الذى كان كفيلا أن يدفعه إلى الانتقام تأنيب النفس

(١) [« فيلهلم ما يشتر » ، سنوات التعلم ، الكتاب الرابع ، الفصل ١٣ .]

وتخوف الضمير بذكرانه أنه لا يفضل بحرف ذاك الخاطئ الذى كلف عقابه . وأنا إذ أقول ذلك أترجم فى عبارة شعورية ما كان مقررًا بقاؤه لا شعورياً فى نفس البطل . فإن أراد البعض أن يدعو هاملت هستريا ، لم أجد إلا أن أسلم بأن تلك نتيجة تخرج من تفسيري . ويتسق وذلك أحسن الاتساق ما يعرب عنه هاملت فى حديثه مع أوفيليا من نفوره من الحياة الجنسية ؛ هذا النفور الذى كان مقدراً أن يزيد على الدوام تمكنا من نفس الشاعر فى مستأنف سنواته حتى بلغ التعبير عنه أقصاه فى « تيمون الأثينى » — فما يطالعنا فى هاملت بالطبع سوى الحياة النفسية للشاعر . وإنى لألحظ فى كتاب جورج براندس (١٨٩٦) قوله : إن شكسبير كتب هذه المسرحية فور موت أبيه (١٦٠١) أى حين كانت وطأة الحزن عليه فى أشدها وحين بعثت فى نفسه من جديد — كما يحق لنا افتراضه — مشاعره الطفلية نحو والده . ومن الأمور المعلومة كذلك أن ولد شكسبير الذى مات فى سن مبكرة كان يحمل اسم هامنت (وهو ما يطابق هاملت) . وكما أن هاملت تعالج العلاقة بين الابن والوالدين ، كذلك تدور « ماكبث » المكتوبة قرب تلك الفترة حول موضوع العقم من الخلف . هذا ، سوى أنه كما أن جميع الأعراض العصابية — شأن الحلم ذاته — تقبل أكثر من تفسير واحد ، لا بل هى تقتضى مثل هذا التفسير المضاعف إذا نحن أردنا أن نفهمها حق الفهم ، كذلك كل خلق فى صادق : فهو يصدر عن أكثر من دافع واحد وعن غير هائج واحد بنفس الشاعر ، وهو يفسح المجال لأكثر من تفسير . فما حاولت هنا إلا أن أفسر هذه الطبقة من الدوافع التى ترسب فى قرارة النفس عند الشاعر الخلاق ^(١) .

ولست أستطيع أن أترك الأحلام النمطية بموت الأقرباء المحبين دون أن أضيف بضع كلمات أوضح بها دلالة هذه الأحلام بالنسبة إلى نظرية الحلم عامة . فهذه الأحلام تطالعنا بوضع لم نألفه قط ، وهو أن فكرة الحلم التى أملتها الرغبة المكبوتة تفلت من كل رقابة وتظهر فى الحلم من غير ما تحريف . فلا بد أن تكون هناك شروط خاصة تجعل ذلك أمراً ممكناً . وأعتقد أن العاملين الآتين هما اللذان يعينان على وقوع هذه الأحلام :

(١) [١٩١٩ :] هذه الإشارات إلى فهم تحليل نفسى هاملت قد أعماها إرنست جويزر بعد ذلك ودافع عنها (أنظر جويزر ١٩١٠ أ) . [١٩٣٠ :] هذا ولقد انتهيت فى هذه الأثناء إلى شك مطلق فى صحة المسلمة المتضمنة فى هذا الكلام ، وهى أن يكون مؤلف أعمال شكسبير هو الرجل المولود فى ستراتفورد . [١٩١٩ :] ويجد القارئ محاولات أخرى فى تفسير ماكبث فى مقال (١٩١٦ ج) وكذلك فى مقال آخر بقلم يكلز (١٩١٧) .

العامل الأول هو أننا نعتقد أن هذه الرغبة أبعد ما تكون عنا ، أنها « لا تخطر لنا ولو في الحلم » ، ولهذا ظلت الرقابة على الحلم غير معدة لمواجهة هذه الشناعة ، على نحو ما ظلت شرائع صولون من غير نص على عقاب من قتل أباه . والعامل الثانى هو أنه يكثر بنوع خاص في هذه الحالة أن يذهب إلى لقاء تلك الرغبة الممنوعة غير المتوقعة أثر من اليوم السابق في صورة القلق على حياة شخص عزيز : هذا القلق لا يستطيع أن ينفذ إلى الحلم إلا إذا استغل تلك الرغبة التي تلتقي به في منتصف الطريق ، بينما تستطيع تلك الرغبة من ناحيتها أن تتقنع بقناع ذلك القلق الذى اختلج في أثناء النهار . فإن ارتأى البعض أن الأمر أبسط من ذلك كثيراً وأن الأمر لا يعدو أننا نتابع في الليل وفي أحلامنا ما شغلنا به في نهارنا ، فإن صاحب هذا رأى يترك الحلم بموت الأحياء من غير رباط يجمعه بنظرية الحلم عامة ، وهو بذلك يتشبث من غير داع بلغز يقبل الحل كل القبول . ومن المفيد كذلك أن نتأثر علاقة هذه الأحلام بأحلام الهيلة . فإن الرغبة المكبوتة قد تمكنت في الأحلام التي يموت فيها من نحب من أن تجد وسيلة تفلت بها من الرقابة ومن التشويه الذى تفرضه هذه الرقابة ، ولا يكون ذلك دون أن يستشعر الحالم في أحلامه مشاعر أليمة . وأحلام الهيلة إنما تنشأ على هذا النحو عينه حين تكسح الرقابة اكتساحاً شاملاً أو جزئياً — هذا من جهة — ، بينما نجد — من جهة أخرى — أن اكتساح الرقابة يسهل حين تكون الهيلة قائمة بالفعل في صورة إحساس خامد ناشط منبعث من مصادر جسمية [أنظر ص ٢٥٤] . وهكذا يتضح كل الوضوح أى غرض تقوم الرقابة من أجله بوظيفتها ، ولأى غرض تشوه الحلم : ذلك لكى تحول دون تمخض الهيلة وغيرها من الحالات الوجدانية الأليمة .

* * *

لقد تحدثت فيما سبق [أنظر ص ٢٦٧] عن أنانية النفس الطفلية . وأردف الآن — لكى أشعر بالصلة — أن الأحلام كذلك تتسم بهذا الطابع عينه . فالأحلام في جملتها على أنانية مطلقة ، والأنا المحبوب يظهر فيها جميعاً وإن تقنع . والرغبات التي تتحقق فيها من غير استثناء رغبات هذا الأنا عينه . وإذا لاح أن الاهتمام بالغير قد أثار حلماً ، فما ذلك إلا مظهر خادع . وهأنذا أحلل بضعة أمثلة تبدو مناقضة لما أقول .

روى طفل لم يبلغ الرابعة : أنه رأى طبقاً كبيراً ازدحم بالخضر وعلته شريحة كبيرة من اللحم المشوى . ابتلت الشريحة دفعة واحدة دون تقطيع . لم ير الحالم من أكلها (١) .

من هو يا ترى هذا الشخص المجهول الذى أتحنه حاملنا الصغير بتلك الشريحة الفاخرة ؟ لا شك فى أن خبرة اليوم السابق تلقى الضوء على ذلك : فالطفل كان منذ بضعة أيام لا يغتدى إلا باللبن خضوعاً لأمر الطبيب ، وهو بالأمس قد جاوز الحد فى « الشقاوة » فكان عقابه الحرمان من وجبة العشاء . ثم إنه كان ذا خبرة سابقة بعلاج الحمية هذا وأظهر فى احتماله شجاعة كبيرة : كان يعرف أنه لن يحصل على شيء من الطعام ولكنه لم يكن يبيع لنفسه أقل إشارة إلى جوعه ، ولو بكلمة واحدة . والتربية إذن كانت قد أخذت تحدث أثرها فيه . وإنما لتفصح عن نفسها فى هذا الحلم الذى تظهر فيه بواكير التشويه . فلا شك فى أنه هو هذا الشخص الذى تتجه رغائبه إلى مثل هذه الوجبة الحافلة — وأى وجبة ! وجبة من اللحم . ولكنه وهو يعلم أن ذلك محرم عليه لا يجروء على الجلوس إلى المائدة كما يفعل الأطفال الجائعون فى أحلامهم (أنظر حلم ابنتى الصغيرة أنا بالكريز ، ص ١٥٥) . وهكذا يظل الآكل مجهولاً .

حلمت مرة أننى أرى فى واجهة إحدى المكتبات مجلداً جديداً من إحدى هذه السلسلات التى اعتدت شراءها والتى تنشر من أجل الهواة فى موضوع بعينه (كبار الفنانين ، تاريخ العالم ، أشهر المدائن . ، الخ .) . وكان عنوان السلسلة الجديدة هو

(١) إن ما يظهر فى الحلم من ضخامة الأشياء وكثرة مقاديرها ومن المبالغة بوجه عام أمر يمكن اعتباره خاصة أخرى من الخصائص الطفولية . فليس بين رغبات الطفل ما هو أشد من رغبته فى أن يصير كبيراً وفى أن يحوز من كل شيء مقداراً يحوزه الأكبرون . والطفل صعب الإرضاء ، لا يعرف القناعة ولا يشبع من الإلحاح فى تكرار تلك الأشياء التى سر بها أو أعجبه مذاقها . والتربية وحدها التى تعلمه الاعتدال والقناعة والنزول عن رغباته . ومن المعروف أن العصبيين كذلك ينزعون إلى الإغراب ومجانبة الاعتدال .

« أشهر الخطباء » أو « الخطب » ، وكان أول مجلداتها يحمل اسم الدكتور ليشر .

عندما أخذت أحلل هذا الحلم بدا لى أمراً بعيداً عن الاحتمال أن أشغل فى أحلامى بشهرة الدكتور ليشر ، هذا المتحدث الذى لا يفرغ من الكلام باسم المعارضة الألمانية فى البرلمان . وحقيقة الأمر هى أننى قد أخذت من أيام قلائل فى علاج بعض المرضى الجدد ، وهكذا أصبحت اليوم مضطراً إلى التحدث عشر ساعات أو إحدى عشرة ساعة فى اليوم . فأنا أيضاً متكلم لا يفرغ .

٣

وحلمت فى مرة أخرى أن بعض معارفى من أعضاء هيئة التدريس يقول : يا بنى ، ضعيف النظر . ثم يعقب ذلك حوار مؤلف من جمل قصيرة وردود عليها . ولكن هذا الحوار قد أعقبه أيضاً جزء ثالث من الحلم أظهر فيه أنا وأبنائى ، وليس الأستاذ م . وابنه - من حيث يتصل الأمر بالمحتوى الكامن للحلم - إلا شبحين قصد بهما إلى تغطيتى أنا وابنى الأكبر . وسأعود إلى هذا الحلم مرة ثانية لخاصة أخرى فيه [ص ٤٤٠ وما بعدها] .

٤

ويضرب لنا الحلم الآتى مثالا على مشاعر أنانية خسيصة استترت وراء قلق رؤوف : يبدو صديق أوتو معتل الصحة ؛ فوجهه مسود وعيناه جاحظتان .

إن أوتو طبيب أسرتى ودينى نحوه يفوق كل ما أطمع فى أن أجزيه به ؛ فهو يسهر على صحة أبنائى منذ سنوات ويعالجهم فى مرضهم علاجاً شافياً ، وهو بعد هذا كله لا يدع فرصة تمر دون أن يهدى إليهم شيئاً . [أنظر ص ١٤٤] . واتفق أنه زارنا فى يوم الحلم ولاحظت زوجى أنه يبدو متعباً مستنفد القوى . وفى الليل أحلم به وأعزو إليه فى الحلم بعضاً من أعراض مرض بازدوف . إن من يتعرض لتفسير هذا الحلم غير ملتفت إلى قواعدى سوف يخلص إلى أننى كنت فى قلق على صحة صديق وأن هذا القلق يتحقق فى الحلم . والحلم إذن لا ينقض رأيى فى أن الأحلام تحقق رغبات وحسب ، إنه ينقض

كذلك قضيتى الأخرى : أن الأحلام لا تعرف غير الدوافع الأنانية . ولكن هلا بين لي من أخذ بهذا التفسير لم خشيت على أوتو من مرض بازدوف — وهو تشخيص ليس في مظهر أوتو الحقيقى أقل دليل عليه ؟ إن تحليلي يمدنى بالمادة الآتية التى ترجع إلى حدث وقع منذ ست سنوات خلت : كنا صحبة صغيرة ضمت الأستاذ ر . وكنا نركب في حلقة الليل عربية تتجاذر غابة ن . الواقعة على مسيرة ساعات من المكان الذى كنا نصيف فيه ، وفجأة قذف السائق — وكان ثملاً بعض الشيء بالعربة وبمن فيها في منحدر كان هناك ، ولولا حسن الحظ ما خرجنا جميعاً سالمين . غير أننا اضطررنا إلى أن نقضى الليل في نزل قريب بلغته أنباء حادثتنا فأدرت علينا عطفاً كثيراً . وجاء سيد يحمل علائم لا تخطئ على مرض بازدوف — وكانت على التحديد اسودادا في بشرة الوجه مع جحوظ العينين ولكن بغير تضخم الغدة الدرقية كما هو الحال في الحلم تماماً — جاء يضع نفسه بكلية تحت تصرفنا ويسأل هل يستطيع أن يفعل شيئاً من أجلنا . فأجابه الأستاذ ر . بطريقته الحاسمة : لا شيء إلا أن تقرضنى قميصاً للنوم . وهنا أجابه رجلنا النحيل قائلاً : « إني آسف ، ولكن هذا هو مالا أستطيعه » ثم بارح الحجرة .

ولما تابعت تحليلي خطر لي أن بازدوف ليس اسم طبيب وحسب بل هو أيضاً اسم مرب معروف . (ولست أثق الآن وأنا مستيقظ من صحة هذه المعرفة ^(١)) . ولكن صديقي أوتو هو هذا الشخص الذى رجوت منه أن يعنى لي إذا ما أصابني مكروه بالتريبة البدنية لأبنائى ، وبخاصة في سن المراهقة (ومن هنا قميص النوم) . وأنا — إذن — إذ أرى صديقي أوتو في الحلم بأعراض صاحبنا ذى المروءة أهدف صراحة إلى أن أقول : لو أن مكروهاً أصابني لأبدى من العون مثل ما أبداه البارون ل . في هاتيك المناسبة رغم عروضه السخية . ولعل في ذلك ما ينشر طية الأنانية في هذا الحلم ^(٢) .

(١) [الواقع أنها معرفة صحيحة ؛ فبازدوف رجل من كبار رجال التربية في القرن الثامن عشر .]
 (٢) [هامش وضع عام ١٩١١ :] كان إرنست جوزيف يلقى في جمعية أمريكية محاضرة علمية عن أنانية الحلم حين نهضت سيدة مثقفة تعترض على هذا التعميم غير العلمى قائلة : إن مؤلف هذا الكتاب لا يستطيع إلا أن يحكم على أحلام النمسويين ، وليس له أن يتحدث عن أحلام الأمريكيين . وهى واثقة فيما يتعلق بها من أن جميع أحلامها أحلام غريبة خالصة .

[١٩٢٥ :] ويجمل بنا أن نضيف على سبيل المعذرة لهذه السيدة الوطنية أن من الواجب علينا ألا نخطئ . فهم القضية القائلة بأن الأحلام أنانية على الإطلاق — لأنه إذا كان كل ما يطرأ على التفكير القشعورى يمكن الورد في الحلم (سواء في محتواه الظاهر أم بين أفكاره الكامنة) ، فإن هذه الإمكانية تظل قائمة كذلك بالنسبة

ولكن أين تحقيق الرغبة ؟ إننا لا نجده في الانتقام من صديق أوتو الذى قلد عليه - فيما يبدو - أن تساء معاملته في أحلامى ، بل في الملابس الآتية : إذا كنت قد صورت أوتو في صورة البارون ل. فإنى بهذا عينه أكون قد عينت شخصى أنا بآخر غيره ، وأعنى به الأستاذ ر. ؛ فأنا أيضاً قد طلبت من أوتو طلباً مثلماً فعل الأستاذ ر. مع البارون ل. إيان تلك الحادثة . وهنا بيت القصيد : فالأستاذ ر. - وهو الذى ما كنت لأجرؤ في الحقيقة على أن أقارن نفسى به لولا ذلك - قد شق أيضاً طريقة بعيداً عن العالم الأكاديمى ولم يحصل إلا بعد عمر طويل على لقب الأستاذية الذى كان يستحقه منذ أمد بعيد . وأنا إذن أبغى مرة أخرى أن أصبح أستاذاً . لا ، بل إن هذه الكلمات ذاتها : « بعد عمر طويل » لتحقيق هى أيضاً رغبة ؛ لأنها تعنى أنى سأعيش حتى أرى بنفسى أولادى وهم في سن المراهقة .

وهناك أنواع أخرى من الأحلام النمطية ^(١) يطير فيها المرء مسروراً أو يسقط وهو يشعر بالهيلة : هذه أحلام ما عرفها قط بخبرة شخصية وكل ما أستطيع قوله عنها إنما أستمدته من التحليلات النفسية التى أجريتها . والدروس التى يتلقاها المرء من هذه التحليلات تلجئه إلى النتيجة الآتية : أن هذه الأحلام أيضاً تعيد انطباعات من انطباعات الطفولة ، لأنها تتعلق على التحديد بألعاب حركية تجتذب الأطفال اجتذاباً فائقاً . فمن هو هذا العم الذى لم يُعَين طفلاً على الطيران بأن يهرول به باسط الذراعين عبر الغرفة ، أو لم يتخذ من السقوط مادة للماعتبه ، فيجلسه على ركبته ثم يمد ساقه فجأة أو فيرفعه عالياً ثم يهوى إليه بحركة مباغتة أنه يتخلى عنه ؟ والأطفال حينئذ يصيحون طرباً ولا يكون من استعادة هذه الألعاب ، وبخاصة إذا احتوت على ما يحدث بعضاً من الخوف أو الدوار . ولأنهم ليستعيدونها في أحلامهم بعد أن تمضى بهم السنون ، سوى أنهم يحذفون من الحلم اليد التى تمسك بهم بحيث يبدون اليوم كمن يطفرون أو يسقطون أحراراً . ولعل الأطفال بأمثال هذه الألعاب - كولعهم بالأراجيح بأنواعها - أمر معروف . فإذا رأوا في « السيرك » بعض الأفانين البهلوانية جدد ذلك عندهم ذكرى هذه الألعاب ^(٢) . وقد لا تخرج

= إلى الدوافع الغيرية . وعلى هذا النحو عينه يستطيع دافع من العطف أو العشق تجاه شخص آخر أن يظهر في الحلم إذا كان قائماً في اللاشعور . وعلى هذا ينحصر صدق القضية الموردة في النص في كوننا نجد في أحيان كثيرة جداً بين الحوافز اللاشعورية إلى الحلم نوازع أنانية يلوح في حياة اليقظة أننا قد تغلبنا عليها .

(١) [يلحظ القارئ هنا المفاجأة في الانتقال من أحلام موت الأحياء إلى أنواع أخرى من الأحلام النمطية - وهو ما جعل سترائى يضيف في هذا الموضوع عنواناً جديداً .]

(٢) [١٩٢٥ :] لقد رأينا البحث التحليلي أن هناك عاملاً آخر - عدالة المحبة في الأعضاء ذاتها - يدفع إلى ولع =

النوبات المستيرية عند الصبية عن أن تكون استحضاراً يتأدى في مهارة بالغة لأمثال هذه الأفانين . كما أنه لا يندر أن تنبه هذه الألعاب الحركية – وإن كانت بريئة في ذاتها – مشاعر جنسية^(١) . وإذا جاز لي أن أستخدم تعبيراً دارجاً اعتدنا أن نطلقه على هذا النشاط بكافته ، قلت : إن « هيجان » الأطفال هو ما يستعاد في أحلام الطيران والوقوع والتأرجح وما شابهها استعادة تنقلب في خلالها اللذة إلى هيلة . ولكن هياج الأطفال كثيراً ما ينتهي في الواقع كذلك بالشجار وبالدموع – كما تعرفه كل أم . وأنا – إذن – أملك أسباباً طيبة أستبعد على أساسها النظرية القائلة : إن أحاسيسنا اللمسية في أثناء النوم وكذلك الإحساس بحركة الرثمين وما أشبه – هي التي تبعث على أحلام الطيران والسقوط [أنظر ص ٧٥] ، بل في رأيي أن هذه الأحاسيس ذاتها إنما تستحضر باعتبارها جزءاً من مقومات الذكرى التي يرتد إليها الحلم ، أي أن هذه الأحاسيس جزء من محتوى الحلم وليست مصادر له .

ولكنني لا أخفي عن نفسي بحال من الأحوال قصورى عن الإتيان بتفسير كامل لهذه الطائفة من الأحلام النمطية ؛ فالمادة التي عندي تركني حائراً في هذه المسألة بالذات . إلا أنني – على أية حال – لا أرى بدا من الاستمسك بوجهة النظر العامة هذه : أن جميع الإحساسات اللمسية والحركية المتضمنة في هذه الأحلام إنما تستدعي على الفور كلما احتاج إليها دافع نفسي ما ، وأن من الممكن إغفالها إذا لم تكن هناك مثل هذه الحاجة [أنظر ص ٢٥٦ .] وكذلك العلاقة بين هذه الأحلام وخبرات الطفولة : إنها تبدو لي أمراً تقطع به الدلائل المتجمعة عندي من تحليل العصبيين . فأما ما هي سائر المعاني التي تجيء في سياق الحياة فتربط بذكرى هاته الإحساسات – وأرجح أن هذه المعاني

= الأطفال بالحركات البهلوانية وإلى استعادتهم إيها في النوبات المستيرية ، هذا العامل الآخر هو صورة ذكرورية (يكثر أن تكون صورة لاشعورية) عن جماع لوحظ (بين الإنسان أو الحيوان) .

(١) تحدث إلى في هذا الصدد زميل شاب خلا من كل أثر من الاضطراب العصبي فقال : ” أعلم من خبرتي الشخصية أنني وأنا طفل كنت أستشعر إحساساً معيناً في أعضائي التناسلية عند ما آخذ في التأرجح ، وحين تبلغ الحركة الهابطة حدها الأدنى . وإلى وإن كنت لا أستطيع أن أقول : إنني كنت أسر بهذا الإحساس ؛ إلا أنني لا أجد بداً من وصفه بأنه كان إحساساً لذيذاً ” . – وكثيراً ما سمعت من المرضى أن أولى انتصابتهم المصحوبة باللذة والتي يستطيعون تذكرها قد أتهم في صباهم وهم يتسلقون – كما أنه يثبت من التحليل النفسي ثبوتاً لا يتطرق إليه الشك أن الدفقات الجنسية الأولى كثيراً ما تتأصل جذورها في ألعاب المناوشة والمصارعة التي تقع في سنى الطفولة .

تختلف باختلاف الأفراد مهما كان من ظهور هذه الأحلام على نحو نمطى - فذلك ما لا أعرف الجواب عنه ، وكم كنت أود لو كان فى استطاعتى أن أسد هذا النقص بتحليل بعض الأمثلة البينة تحليلاً دقيقاً . فإن عجب البعض إذ يرانى أشكو نقص المادة فى هذا الصدد وليس أكثر من هذه الأحلام على التحديد - أحلام الطيران والسقوط ووقوع الأسنان ، الخ . - أجبته بأن مثل هذه الأحلام لم تقع لى قط منذ أن وجهت انتباهى إلى موضوع تفسير الأحلام . وأما أحلام العصائين فلا يسعنا دائماً - أو على الأقل لا يسعنا كثيراً - أن نمضى فى تحليلها إلى غاية معناها الحبقى ؛ فهناك قوة خاصة - قوة كان لها نصيبها فى تكوين العصاب أصلاً وتنحرك إلى العمل حين نتعرض للحل - تحول دون تفسير الحلم حتى لغزه الأخير .

(ج) أحلام الامتحان

إن كل من اجتاز امتحان البكالوريا فى ختام الدراسة الثانوية يشكو من إلحاح هذا الحلم من أحلام الهيلة فى ملاحظته : أنه قد رسب فى الامتحان ، أو أنه مضطر إلى إعادته من جديد ، الخ . وأما الذين حصلوا على درجة جامعية فيحل عندهم محل هذا الحلم النمطى حلم آخر يخيل إليهم أنهم قد رسبوا فى امتحان الإجازة الجامعية ، وهو ما يعترضون عليه سدى وهم ما زالوا نياماً محتجين بكونهم يعملون منذ سنوات كأطباء أو محاضرين بالجامعة أو رؤساء أقلام : تلك ذكريات لا تُجسَدَ عن ألوان من العقاب لقيناها فى طفولتنا جزاء على سوء فعالنا ، ذكريات تبعث فى نفوسنا من جديد رابطة نفسها بهاتين اللحظتين الحاسمتين فى تاريخ حياتنا المدرسية ، « يوم الغضب ، ذاك اليوم » ^(١) ، يوم نمتحن أعسر امتحانين . وإلى هذه المخاوف الطفولية عنها يرجع اشتداد « هيلة الامتحان » عند العصائين . فنحن بعد أن نفرغ من مرحلة التلمذة لا نرجع نلقى عقابنا على يد آبائنا أو أولياء أمورنا أو المدرسين من بعدهم ، وإنما يتكفل بتريبتنا فى مستأنف السنين هذا الرباط العلى الذى لا يرحم بين أحداث الحياة الواقعة . وها نحن أولاء

(١) ["dies irae, dies illa!" مطلع صلاة منشورة لا ترددها الكنيسة إلا يوم يموت أبناؤها . وهى تصف ساعة البعث للامتحان الأخير : " . . . الطبيعة والموت سوف يروعان يوم يقف الإنسان ليواجه القاضى الأعلى " - وإن انتهت بالإعراب عن الأمل فى حسن وساطة المسيح .]

نحلم اليوم بامتحان البكالوريا أو الإجازة الجامعية — ومن ذا الذى لم يرتعد إذ ذاك ولو كان مستعداً ؟ — كلما ارتكبنا خطأ أو قصرنا فى أمر فخشينا أن تأتى العاقبة بالعقاب ، أى كلما شعرنا بوطأة المسؤولية .

ولأحلام الامتحان تفسير أعمق أدين به للملاحظة لاحظها أحد الزملاء المحنكين (وهو شتيكل) إذ أعلن مرة فى اجتماع علمى أن الحلم بامتحان البكالوريا لا يأتى — بقدر ما يعلم — إلا الذين اجتازوا هذا الامتحان بنجاح ، ولا يأتى أبداً أولئك الذين أخفقوا فيه . وهكذا يلوح أن أحلام الامتحان المصحوبة بالهيلة — وهى التى يثبت بالملاحظة تلو الملاحظة أنها تأتى المرء حين تنتظره فى الغد مسئولية يخشى الإخفاق فيها — يلوح أنها تتلمس مناسبة ماضية لم تجد فيها الهيلة الشديدة ما يبررها بل جاءت الحوادث بما يكذبها . وإذا كان الأمر كذلك ، كان هذا مثالا عجيباً على الخطأ الذى تقع فيه إذ نفهم محتوى الحلم بوساطة النظام المستيقظ [أنظر ص ٢٦١] . فما نعهده احتجاجاً على الحلم : « ولكننى طيب بالفعل ، الخ . » هو فى الحقيقة العزاء الذى يحمله الحلم ، عزاء يخلق بنا أن نقرأه على هذا النحو : « لا تخش من الغد شيئاً ، أنظر أى هيلة تملكك قبيل امتحان البكالوريا ، ومع هذا لم يمسك شئ ، وها أنت ذا اليوم طيب بالفعل ، الخ . » وأما الهيلة التى نغزوها إلى الحلم فقد تولدت فى الحقيقة من بقايا اليوم السابق .

وإن المحاولات التى استطعت إتيانها للتثبت من صحة هذا رأى عندى وعند غيرى — وإن لم تكن كثيرة العدد الكافية — قد أيدت صدق هذا رأى . فأننا — مثلاً — قد رسبت فى امتحان البكالوريوس فى مادة الطب الشرعى ، ولم يحدث قط أن امتحنى الحلم مرة ثانية فى تلك المادة على حين امتحنت كثيراً فى علوم النبات أو الحيوان أو الكيمياء ، وهى مواد كنت أذهب للامتحان فيها وبى هيلة كانت لها أسباب وجيهة ولكننى كنت أفلت من العقاب سواء بفضل الحظ أو بفضل المتحنيين . وأما فى الأحلام المتصلة بامتحانات الدراسة الثانوية فأرانى أمتحن دائماً فى مادة التاريخ وهى مادة نجحت فيها نجاحاً باهراً — وإن رجع الفضل فى ذلك إلى أن أستاذى ذا القلب الرحيم (غائى ذو العين الواحدة فى حلم آخر ، ص ٥٦) لم يفته أن يلحظ أنى حين أعدت ورقة الأسئلة إليه قد أعلمت بإظفري ثانى الأسئلة الثلاثة المدونة فيها [للإجابة عنها شفهاً] تنبهاً له (١٩)

إلى أنه لا داعى إلى الإلحاح فى هذا السؤال . وأعرف مريضاً من مرضاى عدل عن دخول امتحان البكالوريا فى المرة الأولى ثم عاد بعد ذلك فأداه بنجاح ، ولكنه أخفق فى امتحان الكلية الحربية ولم يفلح قط فى أن يكون ضابطاً : هذا المريض يخبرنى أنه يحلم فى أحيان كثيرة بالامتحان الأول ولكنه لا يحلم أبداً بالثانى .

هذا ، ونحن نواجه فى تفسير أحلام الامتحانات تلك الصعوبة التى قلت من قبل [ص ٢٥٩] إنها خاصة من خواص غالبية الأحلام النمطية : فالمادة التى تزودنا بها مستدعيات الحلم لا تكفى فى تفسير الحلم إلا نادراً ، ولسنا نستطيع الوصول إلى فهم هذه الأحلام فهما أوفى إلا بجمع عدد ضخم من أمثلتها . ولقد انتهت منذ زمن غير بعيد إلى تلك النتيجة المستيقنة ، وهى أن قول الحلم : « ولكنك طبيب حقيقة ، الخ . » لا يضمم العزاء وحسب ، بل هو يتضمن لوماً مؤداه : « إنك اليوم رجل كهل تقدمت بك السنون ، وأنت مع هذا لا تنقطع عن ذلك العبث الطفلى الأخرق » . وهذا المزيج من نقد النفس وتعزيتها هو الذى يعرب فى رأى عن محتوى الحلم الكامن . وعلى ذلك لن يكون أمراً عجباً إذا وجدنا أن ما يجيء فى الأمثلة التى حللناها أخيراً من لوم على « الأخرق » و « العبث الطفلى » إنما يتعلق فى الحقيقة باستعادة أفعال جنسية محرمة .

ولقد كان من رأى شتيكل — وهو الذى أتى بأول تفسير لأحلام البكالوريا ^(١) — أن هذه الأحلام تلمح من غير استثناء إلى الامتحان الجنسى والبلوغ الجنسى . وكثيراً ما دعمت خبرتى صحة هذا الرأى .

(١) [« البكالوريا » فى الألمانية = Matura ، وهو من اللاتينية بمعنى « النضج » أو « البلوغ » .]

الفصل السادس

عمل الحلم

إن كل المحاولات التى بذلت حتى اليوم فى حل مشكلات الحلم قد انصبت من غير وساطة على محتواه الظاهر كما يمثل فى ذاكرتنا ؛ فمن هذا المحتوى جهدت هذه المحاولات فى الوصول إلى تفسير الحلم ، أو عليه أقامت حكمها فى طبيعته — حين تركت مشكلة تفسيره . نحن وحدنا نواجه وضعاً مختلفاً ؛ فهناك مادة جديدة تقوم من وجهة نظرنا بين محتوى الحلم الظاهر وبين النتائج التى انتهى إليها بحثنا : تلك هى محتوى الحلم الكامن أو أفكار الحلم التى بلغناها بمنهجنا . ونحن إنما نفك معنى الحلم من محتواه الكامن لا من محتواه الظاهر . وعلى ذلك تواجهنا مهمة جديدة لم يكن لها وجود من قبل : أن نبحث العلاقة بين محتوى الحلم الظاهر وبين أفكاره الكامنة ، وأن نتأثر العمليات التى تستحيل بها هذه الأفكار إلى ذلك المحتوى .

إن أفكار الحلم ومحتوى الحلم يمثلان أمامنا كترجمتين تؤديان فى لغتين مختلفتين معنى بعينه ، أو بعبارة أوضح : إن محتوى الحلم يبدو لنا كأنه نقل لأفكار الحلم فى نمط مختلف من التعبير ، نمط يحق علينا أن نعرف رسم حروفه وقواعد نحوه ، وذلك بالمقارنة بينه وبين الأصل . إننا نفهم أفكار الحلم من غير وساطة فور العلم بها . وأما محتوى الحلم فيأتينا فيما يشبه الكتابة المصورة ، كتابة يجب علينا أن ننقل رسومها رسماً فرسماً إلى لغة أفكار الحلم . فمن الجلى أننا ننساق إلى الخطأ حين نقرأ هذه الرسوم بحسب دلالتها المصورة لا على حسب علاقتها الرمزية . هب أمانى لغزاً من الألغاز المصورة : منزل أرى على سطحه مركباً ، ثم حرف واحد من الحروف الأبجدية ، ثم شخص يجرى متزوع الرأس ، الخ . لقد أنزلنى إلى التقدير معلناً أن هذه الصورة غير معقولة فى كلها وفى أجزائها : فما شأن المركب بسطح المنزل ؟ وكيف لرجل أن يجرى متزوع الرأس ؟ ثم إن الرجل أكبر حجماً من المنزل وإذا كان المراد بكل هذا هو أن يصور منظراً طبيعياً فليس هذا محل الحرف الأبجدي ، غالطية لا تعرف الحروف الأبجدية . ولكن من الواضح أننا إنما نوفق

إلى الحكم على هذا اللغز حكماً صحيحاً حين ندع جانباً أمثال هذه الانتقادات الموجهة إلى الصورة في مجموعها وفي أجزائها ، وحاولنا بدل ذلك أن نبذل بكل عنصر من عناصر الرسم مقطعاً أو كلمة يمكن تمثيلها بهذا العنصر على نحو من الأنحاء . فإن فعلنا ، فقد لا تخرج لنا منه كلمات خالية كذلك من المعنى ، بل قول من أجمل ما جاء به الشعر وأفصح . والحلم لغرمصور من هذا القبيل ، ولقد أخطأ المتقدمون علينا في مجال تفسير الحلم فنظروا إلى اللغز نظرهم إلى لوحة مصورة . وكان أن بدا لهم — من حيث هو كذلك — خالياً من المعنى ، مجرداً من القيمة .

أ

التكثيف

إن أول ما يتبين للباحث عند المقارنة بين محتوى الحلم وأفكار الحلم هو أن تمت عملية تكثيف قد أجريت على نطاق واسع : فالحلم مقتضب ، هزيل ، مليء بالثغرات ، إن هو قورن بسعة أفكار الحلم وغناها . فهو إذا كتبته قد يستغرق نصف الصفحة ، فلو سطرت التحليل الذي ينشر أفكار الحلم المتضمنة فيه للمأت ضعف ذلك ست مرات أو ثمانى مرات أو اثنتى عشرة مرة . وتختلف هذه العلاقة باختلاف الأحلام . ولكنها بقدر ما تذهب إليه تجربتي — لا تغير اتجاهها أبداً . ونحن في العادة نقدر مقدار الإدغام الذى يقع تقديراً دون الحقيقة ؛ إذ يغلب علينا أن ننظر إلى أفكار الحلم التى خرجت إلى الضوء كما لو كانت تؤلف كل المادة الممكنة ، على حين أننا إذا تابعنا التفسير فقد نتكشف لنا أفكار أخرى مستورة وراء الحلم . ولقد سنحت لى الإشارة من قبل [ص ٢٣٨] إلى كوننا لا نستطيع أن نستيقن أبداً من أن هذا الحلم أو ذاك قد فسر تفسيراً كاملاً . فاحتمال أن يكون للحلم معنى آخر غير الذى كشف احتمال يظل قائماً دائماً حتى ولو بدا الحل مقنعاً لا خلل فيه . أو بعبارة أدق : إن من المستحيل أن نحدد

مقدار التكثيف . غير أن هناك ردا يبدو للوهلة الأولى مقبولا في الغاية على قولنا : إن النقص العظيم في التناسب بين محتوى الحلم وأفكار الحلم دليل على أن المادة النفسية قد احتملت في أثناء تكوين الحلم عملية تكثيف واسعة النطاق . ذلك أننا نشعر في أحيان كثيرة بأننا قد حلمنا بالشئ الكثير طيلة الليل كله ونسينا معظم ما حلمنا به ؛ فالحلم الذي نذكره قد لا يكون — بحسب هذا الرأي — سوى نبذة متبقية من مجموع عمل الحلم ، ولو قد تذكرنا هذا كله لكان من الجائز أن نجد له من الشمول مثل مالأفكار الحلم . وما من شك في أن هذا الرأي لا يخلو من بعض الصديق ؛ فلا جدال في أننا نستحضر الأحلام على أدق وجه إذ حاولنا أن نتذكرها فور استيقاظنا وأن ما نذكره منها يتناقص شيئا فشيئا حتى المساء . غير أننا نستطيع أن نبين — من ناحية أخرى — أن شعورنا هذا بكوننا قد حلمنا بأحلام تربو كثيرا على ما نذكره هو شعور قائم في أحيان كثيرة على وهم سوف أناقش مصدره فيما بعد [ص ٤٨٦ — ٤٨٧ ثم ص ٥٠٧] . أضف إلى ذلك أن فرضنا القائل بأن تمت تكثيفا يقع في خلال عمل الحلم هو فرض لا تغير منه في شئ إمكانية نسيان الأحلام ؛ لأن هذا الفرض إنما تثبتته كمية الأفكار المتصلة بكل جزء مفرد من أجزاء الحلم المحفوظة في الذاكرة . فإن كنا نسينا حقيقة شطرا كبيرا من أحلامنا ، فعنى ذلك في الراجع هو أننا قد حرمتنا من الوصول إلى طائفة جديدة من أفكار الحلم . وأما أن نتوقع أن أجزاء الحلم المفقودة ربما تعلقت بهذه الأفكار عنها التي توصلنا إليها بتحليل الأجزاء المتبقية ، فذلك ما لا مبرر له على الإطلاق (١) .

ولكن من شأن غزارة المستدعيات التي تخطر عند التحليل بخصوص كل عنصر مفرد من محتوى الحلم أن تثير في أذهان الكثيرين من القراء هذا الشك المبدئي : هل يحق لنا أن نعد كل هذه المستدعيات التي تظهر من بعد ، في خلال التحليل ، جزءا من أفكار الحلم ؟ أى : هل يحق أن نعتقد أن هذه الخوطة كانت حاضرة بالفعل ناشطة في خلال حالة النوم وأنها قد شاركت في تكوين الحلم ؟ أليس الأرجح أن مستدعيات

(١) إن وقوع التكثيف في الأحلام ظاهرة أشار إليها مؤلفون كثيرون من قبل . فنحن نجد عند دوهرل (١٨٨٥ ، ٨٥) فترة يقول فيها : إن من الأمور المستيقنة استيقانا مطلقا أن هناك عملية تكثيف تصيب طوائف الأفكار في الحلم .

فكرية جديدة تنشأ في سياق التحليل دون أن يكون لها في تكوين الحلم نصيب ؟ إنني لا أستطيع أن أوافق على هذا الشك سوى موافقة مشروطة . نعم ، إن من الحق ولا شك أن بعض حلقات المستدعيات تظهر في سياق التحليل للمرة الأولى ، ولكن في وسع المرء أن يقتنع في مثل هذه الحالات جميعها بأن هذه الروابط الجديدة إنما تقوم بين فكرتين كانتا موصولتين بالفعل في أفكار الحلم على نحو آخر من الانحاء . فهذه الروابط الجديدة هي بمثابة حودات أو مسالك مختصرة صارت ممكنة لأن ثمت طرقاً رابطة أخرى أعمق غوراً . ولا بد لنا من أن نسلم بأن الغالبية العظمى من الأفكار التي تنكشف في أثناء التحليل كانت حاضرة بالفعل ناشطة عند تكوين الحلم ؛ لأننا كثيراً ما نتابع خيطاً من الأفكار تبدو منقطعة الصلة بتكوين الحلم ، ثم إذا نحن نعر فجأة على فكرة مُثَلَّت في الحلم ، ولا يستغنى عنها في تفسيره ، وما كنا مع ذلك لننتهي إليها بغير متابعة هذا الخيط الفكري . ويحق لي هنا أن أذكر بحلم المبحث النبائي ، هذا الحلم الذي يبدو نتيجة لعملية تكثيف مدهشة وإن لم أرو تحليله كاملاً .

ولكن إذا كان ذلك كذلك ، فعلى أي نحو نتصور الوضع النفسي في خلال فترة النوم التي تسبق الحلم ؟ هل تراض أفكار الحلم جميعاً ، الواحدة بجانب الأخرى ، أو هي تتعاقب تترى ، أو أن عمليات نفسية متعددة تبدأ في وقت واحد من مراكز مختلفة ثم تلتقي ؟ أعتقد أننا لا نحتاج في الوقت الحاضر إلى تكوين فكرة منظورة عن الوضع النفسي القائم في خلال حالة النوم . يكفي ألا ننسى أن الأمر يتعلق بفكر لا شعوري من السهل أن ينجى سيره مختلفاً مما نلاحظه في أنفسنا عند التفكير الهادف المصحوب بالشعور .

وأيا كان الأمر فالحقيقة الثابتة تبقى : أن تكوين الحلم يقوم على عملية تكثيف . فكيف يقع هذا التكثيف ؟

إن المرء إذ يرى أن أقلية ضئيلة من أفكار الحلم هي التي تمثل وحدها في الحلم بوساطة أحد عناصرها الفكرية المشتركة - قد يتجه ظنه إلى أن هذا التكثيف يتم من طريق الحذف ، أي أن الحلم ليس ترجمة صادقة لأفكار الحلم أو إسقاطاً لها نقطة نقطة ، بل هو نسخ ناقص ، ملء بالثغرات إلى أبعد مدى . هذا الرأي - كما سنراه عاجلاً -

بعيد غاية البعد عن مطابقة الواقع . إلا أننا مستكئى الآن عليه انكاء موقوتا ثم نمضى منه
فنسأل : إذا كانت قلة قليلة من أفكار الحلم هى التى تنفذ وحدها إلى محتواه ، فما هى
الشروط التى تحدد اختيارها ؟

لا بد لكى نجيب عن هذا السؤال من أن نوجه الآن اهتمامنا إلى هذه العناصر من
محتوى الحلم التى لا بد أن تكون قد حققت تلك الشروط التى نبحت عنها . وأحسن ما
يعين بالطبع على هذا البحث حلم شاركت فى تكوينه عملية تكثيف ذات شدة تفوق
لألوف . ولهدأ اختار بادئ ذى بدء حلماً ذكرته من قبل فى ص ١٩١ .

١

حلم المبحث النبائى

محتوى الحلم : كتبت مبحثاً خاصاً بنوع (غير محدد) من النبات . الكتاب مائل أمامى وأذا أدير فى
تلك اللحظة على التحديد لوحة ملونة مطوية . أرفق بالنسخة نموذج مجفف من النبات .

إن العنصر الذى يظهر على غيره فى هذا الحلم هو المبحث النبائى . وقد نشأ هذا
العنصر من انطباع تخلف من اليوم الذى سبق الحلم ؛ فقد رأيت فى واجهة إحدى
المكتبات بحثاً فى فصيلة السيكلامين ولم يرد لهذه الفصيلة ذكر فى الحلم ، بل كل ما
تبقي كان المبحث وصلته بعلم النبات . ولم يلبث «المبحث النبائى» دون أن ينكشف رباطه
بمقال عن الكوكابين كتبته مرة . ومن الكوكابين ذهبت المستدعيات — من جهة —
إلى الكتاب التذكارى وإلى أحداث معينة وقعت فى معمل الجامعة ، وذهبت — من جهة
أخرى — إلى الدكتور كونجشتاين طبيب العيون الذى كان له سهم فى التعريف بالكوكابين .
وذكرنى شخص الدكتور كونجشتاين بمحادثة قطع حبلىها ، جرت بيننا فى مساء الحلم
وبخواطرى المتعددة فيما يتعلق بسداد أجر الخدمات الطبية بين زملاء . وكانت هذه
المحادثة هى الحافز الحقيقى إلى الحلم ، حافزه الحاضر الناشط ، وأما المبحث الخاص
بفصيلة السيكلامين فكان انطباعاً حاضراً ناشطاً كذلك ولكنه كان خالياً من القيمة .

وتبين لى أن « المبحث النبأى » فى الحلم كان بمثابة عنصر مشترك أوسط بين خبرتى اليوم السابق ؛ فهو قد أخذ كما هو من الانطباع المحرد من القيمة ثم ربط بالانطباع ذى القيمة النفسية الكبيرة بوساطة روابط استدعائية غزيرة .

ولكن الأمر لم يقتصر على هذه الفكرة المركبة ، فكرة « المبحث النبأى » ، بل إن كل عنصر من عناصرها ، « نبأى » و « مبحث » ، قد أدى منفصلاً إلى رزمة أفكار الحلم المختلطة من خلال روابط متعددة تزيد عمقاً بعد عمقا . فإلى « نبأى » رجعت ذكرى الأستاذ جارتير [البستانى] وذكرى زوجته المزهرة ، ثم ذكرى مريضتى فلورا [أزهار] وذكرى السيدة التى رويت فى صدها قصة الأزهار المنسية . وأدى جارتير بدوره إلى المعمل وإلى حديثى مع كونجيتشائين ، ولقد كنا أشرنا فى خلال هذا الحديث عنه إلى هاتين المريضتين [فلورا والسيدة ل.] . ومن السيدة بأزهارها تشعب الفكر إلى أزهار زوجتى المفضلة ثم إلى عنوان البحث الذى كنت ألقى عليه فى النهار نظرة عابرة . و « نبأى » قد ذكرنى — عدا ذلك — بقصة وقعت فى المدرسة الثانوية وبامتحان فى الجامعة ، ثم جاء موضوع جديد كان الحديث مع كونجيتشائين قد تطرق إليه — وأعنى به هواياتى المفضلة — فارتبط من طريق ما سميته مازحا زهرتى المفضلة — وأعنى الخرشوف — بسلسلة الخواطر المنبعثة من الأزهار المنسية . ومن وراء « الخرشوف » كنت — من جهة — ذكرى إيطاليا^(١) وكن — من جهة أخرى — مشهد من طفولتى كان فاتحة ما أصبح من بعد علاقتى الحميمة بالكتب . وهكذا كان هذا العنصر « نبأى » معقد الحلم حقيقة : ففيه التقت خيوط من الفكر كانت قد دخلت فى سياق تلك الحادثة دخولاً مناسباً — كما يسعنى توكيده . فنحن نجد أنفسنا هنا فى مصنع للأفكار يصدق عليه قول الشاعر عن عمل النساج :

فى دفعة القدم يمجج ألف خيط
ويستفض البكر فى كر وفر
والخيوط تنساب لا تنظرها
كل ضربة تحزم ألف شكل^(٢) .

(١) [لم يرد ذكر إيطاليا فى المستعيات التى أوردها فرويد فى صدد هذا الحلم ، وأغلب الظن أنه يشير هنا إلى مستعيات لم يذكرها .]

(٢) [فاوست ، الجزء الأول ، المشهد الرابع " فى مكتب فاوست " سطر ١٩٢٤ وما بعده .]

وكذلك « مبحث » : فهي تلمس موضوعين : اقتصار دراساتي على جانب واحد ثم التكليف التي تجر إليها هواياتي .

هذه النظرة الأولى تشعر المرء بأن هذين العنصرين ، « نباتي » و « مبحث » ، قد وجدا موضعاً في محتوى الحلم لأنهما كانا يملكان أوفر العلائق بمعظم أفكار الحلم ، وكانا لذلك بمثابة معقدين تجتمع فيهما أفكار حلمية غزيرة غاية الغزارة ، أى لأن لهما فيما يتصل بتفسير الحلم معاني متعددة . وفي وسعنا أيضاً أن نعبّر عن الظاهرة الأساسية التي يقوم عليها هذا التعليل تعبيراً مختلفاً فنقول : إن كل عنصر من عناصر محتوى الحلم لا يلبث أن يتبين أنه محتوم حتماً مضاعفاً ، أى أنه ممثل في أفكار الحلم أكثر من مرة .

وإنا لنعلم ما هو أكثر من ذلك إذا فحصنا سائر مقومات الحلم من حيث ورودها بين أفكاره . فاللوحة الملونة التي كنت أديرها قد أدت (أنظر تحليل الحلم في ص ١٩٧) إلى موضوع جديد هو النقد الذي وجهه الزميل إلى أعمالي ، ثم إلى موضوع آخر سبق أن ريناه ممثلاً في الحلم ، هو هواياتي المفضلة ، وهذا بالإضافة إلى ذكرى مشهر الطفولة الذي كنت أمزق فيه - ورقة فورية - كتاباً حوى لوحات ملونة . وأما نموذج النبات المجفف فكان يرجع إلى قصة معشب المدرسة الثانوية ويؤكد هذه الذكرى توكيدها خاصاً . وهكذا يتضح لنا نوع العلاقة بين محتوى الحلم وأفكاره : فعناصر الحلم قد حتمتها أفكار الحلم مرة بعد المرة ، ولكن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، بل إن أفكار الحلم المتفرقة قد تمثل في الحلم بأكثر من عنصر واحد فطريق التداعي يمتد من أحد عناصر الحلم إلى أفكار كثيرة للحلم ، ثم من فكرة واحدة من أفكار الحلم إلى أكثر من عنصر من عناصره . وهكذا لا يتم تكوين الحلم بحيث تسلم كل فكرة من أفكاره أو كل طائفة من هذه الأفكار إلى عنصر مختزل يمثلها في محتوى الحلم تمثيلاً مستقلاً على نحو ما تنتخب الدوائر الانتخابية نوابها ، بل الأصح أن تقلبنا يتناول أفكار الحلم في مجموعها بحيث لا يكتسب حق الدخول في الحلم إلا العناصر المؤيدة أكثر التأييد وأقواه على نحو مماثل نظام الانتخاب بالقائمة . وما من حلم حلته مثل هذا التحليل إلا اكتشفت فيه هذا المبدأ الثابت : أن عناصر الحلم تبني من أفكار الحلم مأخوذة في مجموعها وأن كل

عنصر من هذه العناصر محتوم في علاقته بهذه الأفكار أكثر من حتم .

ومن المؤكد أنه لن يكون من نافلة الكلام أن نصور العلاقة بين محتوى الحلم وأفكار الحلم مثال جديد يمتاز بتشابهك العلائق المتبادلة بين هذين الطرفين تشابكا فذا في مهارته . والحلم حلم مريض كنت أعالجه من مخافة الأماكن المغلقة وسيتبين للقارئ سريعا لم اخترت لهذا النتاج الحلمى الفريد فى ألمعيته اسم :

٢

« حلم جميل »

كان يركب مع صحبة كبيرة فى شارع س . حيث يوجد فزل متواضع (وهو ما ليس صحيحاً) . بداخل النزول مسرحية تمثل . إنه متفرج تارة ، ممثل تارة أخرى . كان على الجميع بعد أن انتهت المسرحية أن يغيروا ملابسهم لكى يذهبوا إلى المدينة . فزل فريق من المجموعة فى الطابق الأرضى وفزل فريق آخر فى الطابق الأول . شب حيثئذ نزاع : الأعلون غاضبون لأن الأسفلين يتباطئون بحيث يحولون بينهم وبين النزول . كان أخوه بالطابق الأعلى وكان هو بالطابق الأسفل وكان ساخطا على أخيه لأنه وفريقه يحزنهم حشا لا يطاق . (هذا الجزء غير واضح) كانت القسمة بين من يحتلون الطابق الأعلى وبين من يحتلون الطابق الأسفل أمراً مقرراً منذ اللحظة التى وصلوا فيها . يلهب بعد ذلك وحده مصعداً فى شارع س . فى اتجاه المذنية . يلاقى فى الصعود صعوبة ويلاقى عناء حتى أنه لا يكاد يبارح مكانه . يقبل عليه سيد متقدم فى السن ويعرض بملك إيطاليا . عند ما يبلغ قمة المرتقى يسهل سيره كثيراً .

وكانت صعوبة الصعود متميزة حتى أنه ظل يشك بعد اليقظة برهة فيما إذا كان الأمر حلماً أم حقيقة .

إن هذا الحلم لن يلقى منا كلمة طيبة لو حكمنا عليه من محتواه الظاهر . وسأبدأ تفسيره على عكس القاعدة — بهذا الجزء الذى نص الحلم على أنه كان أشد أجزاءه تميزاً .

إن الصعوبة التى حلم الحلم بها وأحسها فعلا فى حلمه على الراجح — الصعود الشاق مع عسر التنفس — هى لإحدى الأعراض التى كانت قد بدت بالفعل على المريض منذ سنوات وعزيت إذ ذاك — مع غيرها — إلى السل (ويرجح أنه كان محاكاة هستيرية .)

ولقد عرفتنا أحلام الاستعراض من قبل بهذا الإحساس الخاص الذى يرد فى الحلم ، إحساس الكف ، وأنا لنرى مرة أخرى أن هذا الإحساس مادة سهلة المنال فى كل وقت ، تستغل فى كل غرض تصويرى آخر . ولقد ذكرتنى تلك الفقرة من الحلم التى يبدأ فيها الصعود صعباً ثم يسهل عند نهاية المرتقى - ذكرتنى والحلم يروى حلمه بالمقدمة الذائعة المنقطعة النظير التى يستهل بها القونس دوديه رواية « سافو » : هناك نرى شاباً فى مقتبل العمر يصعد السلم حاملاً خليلته خفيفة كالريشة أول الأمر ، ولكنه كلما صعد أثقلت ذراعيه . والمشهد كله ينبئ بمصير العلاقة بينهما ، أراد دوديه بتصويره أن يحذر الشباب من الإغراق فى كلف جاد بفتيات لا يعرف لمن أصل ولا يسلم ماضيهن من بعض الظن^(١) . وكنت أعلم أن مريضى قد اشتبك فى صلة غرامية بسيدة تعمل فى المسرح وأنه قد قطع هذه الصلة أخيراً ، ومع هذا لم أكن أتوقع أن يتأيد تفسيرى . أضف إلى ذلك أن الموقف فى سافو كان عكسه فى الحلم : فى الحلم يبدأ السير صعباً ثم يسهل من بعد ، بينما يقوم كل مغزى الرمز الروائى فى كون ما كان سهلاً فى البداية قد صار فى النهاية عبئاً ثقيلاً . فلشد ما كان دهشى حين أجاب المريض أن تفسيرى يتسق غاية الاتساق ومسرحية رآها فى مساء الحلم : كان اسم المسرحية « جولة فى فيينا » وكانت تعالج سيرة فتاة بدأت حياتها فتاة محترمة ثم صارت بين بين ، وتعددت لها صلات برجال من ذوى المكانة وبذلك « بلغت القمة » ، ولكنها عادت فى النهاية « فهبطت بأسرع مما صعدت » . وذكرته هذه المسرحية بمسرحية أخرى رآها منذ سنوات ، كان عنوانها « درجة فدرجة » وكان لها إعلان يصور سلماً متعدد الدرجات .

لنمضين فى التفسير . إن الممثلة التى اتصل بها اتصاله الأخير الحافل هذا كانت تقطن شارع س . وليس بهذا الشارع نُزِّل . بيد أنه قد قضى جزءاً من الصيف فى فيينا من أجل هذه السيدة ، ونُزِّل إذ ذاك فى فندق صغير قريب منها . وهو يذكر أنه قد قال لسائق العربّة إذ غادر الفندق : « إننى لسعيد ؛ فقد سلمت على الأقل من الحشرات ! » (وأذكر عرضاً أن تلك كانت إحدى مخافاته) وكان جواب السائق : « وكيف ينزل

(١) إن ما كتبت فى القسم الخاص بالرمزية من هذا الكتاب عن معنى أحلام الصعود يلقى الضوء على

تصوير الكاتب . [القسم من هذا الفصل .]

المرء يمثل هذا المكان ! إنه ليس فندقاً بالمعنى الصحيح ، إن هو في الحقيقة إلا نُزُل . «
ولا تلبث فكرة النزول أن تذكره بهذين البيتين :

« قد حلت أخيراً في نزل

وكان المضيف أرق مضيف . »

والمضيف في قصيدة أولاند [التي استشهد منها المريض بهذين البيتين] كان شجرة

تفاح . والآن ترد على خاطره آية أخرى من الشعر :

فاوست (وهو يرقص مع الساحر الصغيرة) :

أتانى مرة حلم جميل

رأيت فيه شجرة تفاح

وعلى الشجرة أشرفت تفاحتان جميلتان

سلبتاني اللب فصعدت صوبهما .

الساحرة الجميلة :

لقد نقت للتفاح توقا جما

منذ أن خلته في الحنة

كم يستحقني الطرب وأنا أجد

حديقتي تؤتى هذه الأكل (١) .

إن الشك محال فيما يعنيه الشاعر بشجرة التفاح وبالتفاحتين . والصدر الناهد كان بعدُ بين السحر الذي شد حالى إلى صاحبه .

وكان سياق التحليل ينحدر لنا كل الحق في أن نفترض أن الحلم يرجع إلى انطباع من الطفولة . فإذا كان الأمر كذلك ، لزم أن الحلم يتعلق بمرضع الحلم البالغ الآن ثلاثين عاماً . وما صدر المرضع في الحقيقة إلا نُزُل بالنسبة إلى الطفل . والمرضع إذن — مثل سافو دودويه — تلبو تومئ إلى الحبيبة المهجورة منذ زمن غير بعيد .

وأخو الحلم (وهو أخوه الأكبر) يظهر كذلك في محتوى الحلم ، ويظهر في الطابق

(١) [فاوست ، الجزء الأول ، المشهد ٢١ .]

الأعلى بينا الحالم نفسه في الطابق الأسفل . وهذا أيضاً قلب للوضع الحقيقي : فالأخ – كما أعرف – قد فقد مكانته الاجتماعية بينا ظل المريض محتفظاً بها . ولقد تجنب الحالم حين سألته أن يعيد رواية الحلم – تجنب أن يقول : إن أخاه كان في الطابق الأعلى وكان هو في « الطابق الأرضي » . وما تجنب هذا التعبير إلا لأنه كان يكون تعبيراً واضح المعنى أكثر مما ينبغي ؛ فنحن حين نقول [في ثنايا] عن رجل ما : إنه « في الطابق الأرضي » نغني بذلك أنه قد فقد ثروته ومكانته ، أى نغني – بعبارة أخرى – أنه قد هبط . ولأن يصور أمر ما في هذا الموضع من الحلم تصويراً مقلوباً – ذلك ماله بالضرورة معناه . ولا بد أن القلب قد تناول فوق ذلك علاقة أخرى بين أفكار الحلم ومحتواه . ولنا لنملك إشارة بينة ترينا أين نجد هذا القلب : من الجلى أنه قد ورد في نهاية الحلم حيث يجرى الصعود على نسبة معكوسة منها في سافو . وهنا يسهل علينا أن نرى أى قلب هو المقصود : ففي سافو يحمل الرجل المرأة التي تعقد بينها وبينه صلات جنسية ، فأما في أفكار الحلم فيتصل الأمر على العكس بامرأة تحمل الرجل . ولإذ كانت هذه الحالة لا تتحقق إلا في الطفولة ، فالأمر يتعلق من جديد بالمرضع التي تحمل الرضيع بما وزن . وهكذا وفقت نهاية الحلم إلى أن تصور في إشارة واحدة كلا سافو والمرضع . وكما أن المؤلف لم يختار اسم سافو دون أن يلمح به إلى العادات الجنسية المثلية بين النساء ، كذلك فقرات الحلم التي تتحدث عن « الأعلين » و « الأسفلين » : فهي تلمح إلى تخيلات من نوع جنسى شغلت الحالم ولم تكن تخلو من بعض الصلة بعصابه من حيث هي شهوات مكبوتة . ولا يرينا تفسير الحلم في ذاته هل الأمور المصورة هذا التصوير تخيلات وليست ذكريات عن أحداث وقعت حقيقة ؛ فالتحليل إنما يسلمنا محتوى فكرياً بعينه ويترك لنا تقدير مدى حظه من الحقيقة . وذلك لأن الأحداث سواء أكانت حقيقية أم متخيلة تبدو هنا للوهلة الأولى متساوية القيمة – وليس هنا ، أى في الحلم ، وحسب ، بل كذلك في خلق الأبنية النفسية التي تفوق الحلم خطراً . والصحبة الكبيرة نغني « السر » – كما نعلم من قبل [ص ٢٦٣] . وأما الأخ فإن هو إلا ممثل لجميع مزاحميه اللاحقين في حب المرأة ، ممثل أدرج في مشهد الطفولة بفعل « تخيل راجع » . وأما قصة السيد الذي يُعرّض بملك إيطاليا فتصل مرة أخرى – من طريق خبرة حديثة العهد خالية في ذاتها من القيمة – بتكالب الأشخاص الذين لا مكانة لهم على الاندساس

بين الطبقات العليا للمجتمع . والأمر يبدو كما لو كان التحذير الموجه من دوديه إلى الشباب قد ضم إليه تحذير يناظره ، متجه إلى الطفل الرضيع ^(١) .

ولكى آتى بمثال ثالث يعين على دراسة التكثيف فى تكوين الحلم أروى تحليلا جزئيا لحلم آخر أدين به لسيدة متقدمة فى السن أعالجها علاجاً تحليليا نفسيا . وكانت هذه المريضة تشكو حالات من الهيلة شديدة الوطأة ، فلاغرو أن حفلت أحلامها بأفكار جنسية أثارت معرفتها دهش المريضة وتخوفها على السواء . وإذ كنت لا أستطيع أن أسوق تحليل هذا الحلم حتى نهايته ، فسوف تبدو مادته منقسمة طوائف متعددة لا يربط بينها رباط ظاهر .

٣

« حلم الخنفساوين »

محتوى الحلم : تتذكر أن لديها خنفساوين وضعتا فى صندوق وأن عليها أن تطلق لها الحرية وإلا اختنقتا . تفتح الصندوق فتجد الخنفساوين فى حالة من الإعياء الشديد . تطير إحدى الخنفساوين من النافذة المفتوحة ، وأما أخراهما فيسحقها مصراع النافذة بينما كانت المريضة تغلقها - على ما طلب إليها (علامات على الاشتزاز) .

التحليل : كان زوجها غائبا عن المنزل فى سفر ، وكانت ابنتها البالغة من العمر أربعة عشر ربيعاً تنام فى السرير إلى جوارها . لقد نبهتها الصغيرة إلى أن عثة قد سقطت فى كوب مائها ، ولكنها لم تفكر فى إخراجها ثم إذا طلع الصباح أسفت للمخلوقة المسكينة . إنها كانت قد قرأت فى المساء قصة روت كيف ألقى بعض الصبية بقطة فى ماء مغلى وأعقب ذلك وصف تقلصات الحيوان : ذاك هما مناسيتا الحلم وهما يخلوان من الأهمية فى ذاتيهما . إنها تفكر بعد ذلك فى موضوع القسوة على الحيوان . إن ابنتها قد كانت منذ بضع سنوات - وكانوا يقضون الصيف إذ ذاك فى مكان ما - شديدة القسوة على على الحيوان . فهى - أعنى الابنة - كانت تجمع الفراشات وكانت تسأل أمها بعض الزرنينخ لكى تقتل به الفراشات . وكان من صنعها أن يراعى ظلت تحوم فى أرجاء

(١) لقد ثبت أن الموقف المتصل بمرضع الحالم إنما كان وليد التخيل ، أنبته تلك الواقعة الموضوعية : وهى أن مرضع الحالم كانت فى هذه الحالة أم الحالم نفسه . وأذكر هنا بحكاية الشاب الذى أسف على أنه لم يستغل موقفه من مرضعه استغلالاً أحسن (ص ٢٢٤) ، فلا شك فى أن حلمنا هذا يصدر عن أسف من هذا القبيل .

الغرفة برهة وقد اخترق دبوس جسمها . وفي مرة أخرى ماتت يرقات كانت البنت قد احتفظت بها لكي تشهد انسلاخها . وكان من دأب هذه الطفلة أيضاً - وهي بعد أصغر سنّاً - أن تمزق أجنحة الخنافس والفراشات . إنها - أعني الابنة - ترتاع اليوم من هذه القساوة كلها ؛ لكم رق قلبها من بعد !

إن المريضة تفكر في هذا التناقض ، وهذا التناقض يذكرها بآخر - وأعني به التناقض بين المظهر والخبر كما تصوره [جورج] إليوت في رواية « آدم بيد » : فتاة جميلة لكنها مغرورة ، غبية إلى آخر درجات الغباء ، وأخرى دميعة لكنها على خلق كريم ، ورجل نبيل الطبقة يستغوى الرعناء وآخر من الطبقة العاملة ولكنه النبيل حقيقة في حسه وصنيعه على السواء . لكم يغرك البصر عن البصر بالناس ! أكان الناظر إليها - هي - يحذر تلك الرغبات الحسية التي تؤرقها ؟

لأنه في السنة التي أخذت فيها ابنتها تجمع الفراشات أصيبت منطقهم بوباء خطير من خنفس - مايو^(١) . كان الأطفال ينجون لمراى الخنفس ويسحقونه من غير رحمة . لقد رأت في ذلك الحين رجلاً كان ينزع أجنحة خنفساء - مايو ثم يلتهم الجسد . إنها قد ولدت في شهر مايو ، وفي مايو كان أيضاً زواجها . ولما انقضت ثلاثة أيام من شهر العسل كتبت خطاباً إلى أهلها تتحدث فيه عن سعادتها - وكان ذلك أبعد الأمور عن الحقيقة .

إنها في الأمسية التي جاءها الحلم في أعقابها كانت تنبش في رسائلها القديمة ، وقرأت على ذويها بعضاً كان منه الجدى وكان منه ما يضحك . وكان بين ما قرأته خطاباً مُسلّ جداً جداً ، كتبه إليها مدرس بيانو غازها أيام عذرها ورسالة أخرى كتبها معجب نبيل الطبقة^(٢) .

إنها تؤنب نفسها لأن إحدى بناتها قد عثرت على كتاب لا يليق من كتب موباسان^(٣) .

(١) [Maikäfer ، نوع من الخنفس ، ترجمته الصحيحة هي الجمل أو الخنفس الأوروبي . ولكننا أثّرنا التزام الترجمة الحرفية في هذا الموضع تمهيداً لمتابعة المستدعيات .]

(٢) ذلك كان الباعث الحقيقي على الحلم .

(٣) ونذكر على سبيل التكلفة : هذه الكتب سم للفتيات . والحالة أيضاً قد انغمست في هذه الكتب

إن الزرنينخ الذى سألتها إياه فتاتها يذكرها بحبيب الزرنينخ التى أعادت إلى اللوق دى مورا قوة الشباب فى « الناباب » (١) .

وأما « إطلاق الحرية » فيذكرها بتلك الفقرة من الناي الساحر :

« الحب لا أدرى كيف أرغمك عليه ،

وأما الحرية فلن أعطيك إياها . » (٢)

و « خنفس - مايو » يذكرها أيضاً بقول كاتخن (٣) :

« لأنت تهيم بى مثل هيام الخنفساء . » (٤)

وبين هذا كله يجمى تانهويزر [لفاجنر] : « أما وقد حركتك هذه اللذة

الخبيثة . » (٥)

إنها تعيش فى هيلة وشغل دائمين من أجل زوجها الغائب . والخوف من أن يصيبه مكروه فى ترحاله يعرب عن نفسه فيما يأتها فى خلال النهار من شتى التخيلات . وقد كانت رأت منذ زمن قريب - فى خلال التحليل - فكرة من أفكارها اللاشعورية فحواما الشكوى من « شيخوخة » زوجها . وربما كنا نحذر على أحسن وجه فكرة الرغبة التى يخفيها هذا الحلم لو ذكرت أن الحاملة قد روعت منذ بضعة أيام إذ جاءتها وسط مشاغلها جملة وضعت فى صيغة الأمر ووجهت إلى زوجها ، وهى « اشتق نفسك ! » ثم تبين أنها قد قرأت فى موضع ما - قبل ذلك بساعات - أن الشق يحدث انتصاباً شديداً . فالرغبة فى هذا الانتصاب هى التى بثقت من خلال الكف متقنعة بهذا القناع

(١) [لقب هنرى دخل اللغة الفرنسية ، أطلقه ألفونس دوديه على أحد أشخاص رواية له معروفة بهذا الاسم : Le Nabab . وقد جاء فى هذه الرواية أن اللوق دى مورا كانت له فى شيخوخته علاقة غرامية مستترة وأن طبيبه الإيرلندى الدكتور جنكيز كان يعطيه حبوباً مسماة " لآلى جنكيز " بقصد تقوية الباه ، ثم عرف الطبيب أن معشوقه اللوق هى المرأة التى يحبها هو ، فجن جنونه ودس السم اللوق فى هذه الحبوب .]

(٢) [من سارا سترو إلى يامينا فى ختام الفصل الأول من « الناي الساحر » لموزار.]

(٣) [فى المشهد الثانى من الفصل الرابع من مسرحية Kleist المعنونة : Kathe von Heilbronn]

واتجه خاطر الحاملة بعد ذلك إلى Penthesilea للشاعر عينه ، وإلى فكرة القسوة على العاشق .

(٤) [أى هياما شديداً .]

(٥) [فى الفصل الثالث حين يروى تانهويزر لثولفرام كيف ذهب إلى روما ليسأل الغفران لأنه - وهو

الفارس المسيحى - كان قد شاطر فينوس الآلهة الوثنية الملذات ، وكيف أجابه البابا أنه وقد شارك فى هذه اللذة الخبيثة فلن يكون له غفران . والبيت يرد هنا محرفاً عن الأصل تحريفاً خفيفاً .]

المروع . وقولها : « اشتق نفسك ! » يعدل قولها : « أحصل على أن تنتصب أيا كان الثمن ! » وهنا تجد موضعها المناسب حبوب الدكتور جنكتز - حبوب الزرنيخ في الناباب . ولكن مريضتي كانت تعلم أيضاً أن أشد مقويات الباه - وهى الذرايح (وتعرف عادة باسم الذباب الأسباني ^(١)) - تصنع من الجعل المسحوق قلى . هذا المعنى يهدف الجزء الرئيس من محتوى الحلم .

فأما فتح التوافذ وإغلاقها فكان من أسباب الخلاف الدائمة بينها وبين زوجها ؛ فهى تحب النوم والهواء طلق ولكن زوجها مخشاه . وأما الإعياء فهو العرض الرئيس الذى تشكو منه هذه الأيام .

لقد أبرزت وأنا أسرد هذه الأحلام الثلاثة المواضيع التى يعاود فيها أحد عناصر الحلم الظهور بين أفكاره لكى أبين بذلك تعدد العلائق التى تشعب من هذا العنصر . ولكن ليس بين هذه الأحلام حلم مضيناً فى تفسيره حتى النهاية ، ولذلك ربما كان من الأفيد أن نتناول حلماً أوردنا تحليله مفصلاً لكى نوضح به كيف يحتم محتوى الحلم تحتياً مضاعفاً . ولهذا الغرض اختار حلم حقنة إرما . وسيسهل علينا أن نرى فى هذا المثال أن التكثيف يستخدم أكثر من وسيلة فى تكوين الحلم .

إن الشخص الرئيس فى محتوى الحلم هو مريضتي إرما التى تظهر فى الحلم بالملامح التى أعرفها لها فى حياة اليقظة والتى تمثل بذلك شخصاً ذاته . ولكن الوضع الذى كنت أفحصها فيه بجانب النافذة كان متخذاً من ذكرى شخص آخر ، وأعنى به تلك السيدة التى كنت أود استبدالها بمريضتي - كما تبين من أفكار الحلم . وإرما من حيث ما يظهر عندها من غشاء دفتري يذكرني بقاتي من أجل ابنتى الكبرى تمثل هذه الابنة ، وهذه بنوتها تخفى وراءها - بجامع الاشتراك فى الاسم - شخص المريضة التى ماتت من جراء التسمم . ولا يبنى شخص إرما عن أن يتغير مدلوله فى مستأنف سياق الحلم (دون أن تتغير مع ذلك صورتها المرئية فى الحلم) . فهى تصوير الطفل الذى تفحصه فى قسم الأمراض العصبية بمستشفى أمراض الأطفال فحسب تجلى فى خلاله ما بين صديق [أوتو وليوبولد] من التباين فى المواهب . وكان من البين أن طفلتى الصغيرة قد كانت حلقه الوصل فى هذه الصبورة . وإرما أيضاً توى بممانعتها فى أن تفتح فمها إلى مريضة

(١) [ويقال بالعربية : الذباب الهنتى .]

أخرى قمت بفحصها مرة ، وتوئى كذلك - لذات العلاقة - إلى زوجى . وأنا بعد هذا كله قد ضمنت التغييرات المرضية التى اكتشفتها فى حلقتها إشارات تذهب إلى فريق بأكملة من أشخاص آخرين .

كل هؤلاء الأشخاص الذين ألتقى بهم وأنا أتابع « إرما » لا يظهرون فى الحلم بأشكالهم الجسمية ، بل يختبئون وراء شخص الحلم « إرما » التى تستحيل بذلك إلى صورة جمعية اجتمعت فيها - والحق يقال - شتى الملامح المتناقضة . أى أن إرما قد صارت تنوب عن هؤلاء الأشخاص الآخرين الذين ضُحى بهم من أجل التكثيف لأننى مررت إليها - لمحة فلمحة - كل ما يذكرنى بهؤلاء الأشخاص .

وهناك طريقة أخرى أستطيع بوساطتها أن أركب شخصاً جَمْعِيًّا من أجل أغراض التكثيف الحلمى ، وذلك حين أمزج الملامح الحقيقية لشخصين أو أكثر فى صورة موحدة : على هذا النحو ركب شخص الدكتور م . فى حلم إرما ، فهو يحمل اسم الدكتور م . ويتحدث مثله ويعمل مثله ولكن خصائصه الجسمية ونوع مرضه كانت لشخص آخر هو أخى . ولم يكن الختم مضاعفاً سوى فى لمحة واحدة فى سياهما - وأعنى بها شحوب الوجه ؛ فهذا الشحوب كان فى الحقيقة مشتركاً بينهما . ونجد مثل هذا الشخص المزيج فى حلم « الدكتور ر . هو عمى » ، غير أن صورة الحلم قد ركبت هنا بطريقة مختلفة : فأنا لم أمزج ملامح لأحدهما بملامح من الآخر مختزلاً فى أثناء ذلك الصورة المنطبعة فى الذاكرة عن كل منهما بأن أحرف سائر ملاحظته ، بل قد اتبعت طريقة جالتون فى إحداث الصور العائلية ، أى أننى أسقطت صورتين كلا على الأخرى بحيث تبرز الملامح المشتركة بينهما برونزاً قوياً فى حين تبطل الملامح غير المتوائمة بعضها بعضاً ويغمض ظهورها فى الصورة . وهكذا تبرز الliche الشقراء فى حلم عمى مثل سمة مقواة فى وجه ينتسب إلى شخصين ، ولهذا جاء ممسوحاً . هذا كما انطوت اللحية على إشارة إلى والدى وإلى من طريق فكرة المشيب .

إن تكوين أشخاص الجمع والأشخاص المزيجية أحد الوسائل الرئيسة التى يتبعها الحلم فى التكثيف . وستسمح لى عاجلاً فرصة التحدث عن ذلك فى سياق مختلف . وكانت فكرة « الدستاريا » فى حلم حقنة إرما محتمة أيضاً حتماً مضاعفاً : أولاً من حيث التجانس فى الجرس بينها وبين « دفتريا » ، وثانياً من حيث صلتها بالمرضى الذى

أرسلته إلى الشرق والذي لم يعرف أحد وجود المستريا عنده .

ومثال آخر جرى بالاهتمام من أمثلة التكثيف في هذا الحلم هو ذكر « البرويلين » . فنحن لا نجد بين أفكار الحلم « برويلين » بل « آميل » . وقد يظن المرء أن ما وقع في هذا الموضع من تكوين الحلم إنما هو نقل وحسب . وذلك حق ، بيد أن هذا النقل كان يختم أغراض التكثيف ، كما يثبت من تلك التكملة التي أضيفها إلى تحليل الحلم : عندما تمهلت عند كلمة « برويلين » برهة انتهت إلى الجناس بينها وبين كلمة « برويلين » . ولكن أثينا ليست البلد الوحيد الذي ينفرد بوجود « برويلين » فيه ، بل قد حوت ميونيخ نظيره ^(١) . ولقد ذهبت إلى ميونيخ قبل هذا الحلم بعام أزور هناك صديقاً أُلِمَ به إذ ذاك مرض خطير - وهو هذا الصديق الذي لمح إليه الحلم تلميحاً لا لبس فيه بوساطة كلمة « تريمتيلامين » التي أعقبت « برويلين » مباشرة .

إنني لن ألح على هذا الوضع العجيب ، وأعني به ما نجده هنا - كما في عدا ذلك من المواضع في تحليل الأحلام - من أن مستدعيات متفاوتة القيمة أشد التفاوت تستخدم في إقامة الروابط بين الأفكار كما لم يكن بينها مثل هذا التفاوت ، وسأسلم نفسي لهذا الإغراء الذي يدعوني إلى أن أصور فيما يشبه الرسم البياني تلك العملية التي استبدل بها البرويلين في محتوى الحلم بالآميل الذي في أفكاره .

إننا نجد - من جانب - طائفة الأفكار المتصلة بصديقي أوتو الذي لا يفهمني ولا يقرني والذي أهدي إلى شرباً له نكهة الآميل ، ونجد - من جانب آخر - طائفة أخرى ارتبطت بالأولى من طريق التضاد ، تلك هي طائفة صديقي البرليني [فيلهلم فليس] الذي يفهمني ويقرني والذي أدين له بمعلومات جمة القيمة تتصل - بين ما تتصل به - بكيمياء العمليات الجنسية .

ولقد حددت المناسبات التي بعثت على الحلم حديثاً وكانت حوافزه الحقيقية أي أفكار من مجموعة أوتو كان ينبغي أن تجذب انتباهي بنوع خاص ، وكان الآميل بين هذه العناصر المختارة التي كان مقدراً أن تظهر في محتوى الحلم . وأما المجموعة الحافلة الأخرى ، مجموعة « فيلهلم » فقد بعث فيها الحياة على التحديد من أجل التضاد الذي بينها وبين مجموعة أوتو ومنها أبرزت تلك العناصر التي تتناغم مع العناصر المستتارة من مجموعة أوتو . نعم ، فأنا

(١) [بهو للاحتفالات في ميونيخ على غرار بهو الأكروبول في أثينا .]

فى خلال هذا الحلم بأسره أستعيد من شخص يسخطنى بآخر أقباله به وفق مشهاى ، وأنا أستدعى من الصديق كل ما يظهرنى على الخصم — نقطة فنقطة . وهكذا كان أن أثار الآميل الذى يتسمى إلى مجموعة أوتو ذكريات من مجال الكيمياء من المجموعة الثانية وكان أن نجح التريمتيلين الذى كان يلقى التأييد من جهات متعددة فى أن يصل إلى محتوى الحلم . ولقد كان من الممكن أن ترد آميل فى الحلم من غير تغيير لولا تأثير مجموعة « قبلهم » ؛ فقبضة الذكريات التى يصدق عليها هذا الاسم قد جرى استكشافها جميعاً من أجل العثور على عنصر يضاعف تحم « آميل » ، وكانت « پرويلين » سهلة الاستدعاء من آميل ، ثم جاءت ميونيخ بمبناها — البرويلين — جاءت من مجموعة « قبلهم » تلاقى پرويلين هذه . فهاتان الدائرتان الفكريتان قد التقيتا جميعاً فى « پرويلين — پرويلين » ، وهكذا استطاع هذا العنصر الأوسط أن ينفذ إلى محتوى الحلم كأنما كان ذلك بفعل من أفعال المساومة . فهنا قد صكت وحدة مشتركة متوسطة تقبل أكثر من حتم . وهكذا نلمس لمس اليد أن الحتم المضاعف يسهل النفاذ إلى محتوى الحلم . فن أجل خلق مثل هذه الوحدة الوسطى نقل الانتباه دون ما تردد من الفكرة المستهدفة حقيقة إلى مستدعى آخر قريب منها .

لقد مكنتنا دراسة حلم حقنة إرما من أن ننفذ ببصرنا بعض الشيء إلى عمليات التكثيف التى تقع عند تكوين الحلم واستطعنا أن نرى بعض تفاصيل التكثيف مثل اختيار العناصر التى يتكرر ورودها فى أفكار الحلم وخلق الوحدات الجديدة (كالأشخاص الجمعية والصور المزيجية) وتكوين الحدود المتوسطة المشتركة . وأما الغاية التى يخدمها التكثيف والعوامل التى تستلزمه فأسئلة لن نثيرها إلا حين نعرض للعمليات النفسية التى تعمل فى تكوين الحلم لكى ندرسها فى جملتها [القسم ٥ من الفصل السابع] . ويكفيها الآن أن نلاحظ أن التكثيف الحلمى خاصة ملحوظة من خصائص العلاقة بين أفكار الحلم ومحتواه . ولكن عمل التكثيف الذى يقوم به الحلم إنما يتجلى فى أوضح صوره حين يتناول الألفاظ والأسماء . فالحلم بوجه عام كثيراً ما يعالج الألفاظ كما لو كانت أشياء عيانية ، وهو إذن يجرى بينها من المزج مثل ما يجرى بين صور الأشياء العيانية . وتطالعنا الأحلام التى من هذا القبيل بأطراف المبتكرات اللغوية وأغربها ^(١) .

(١) [وهنا يتوقع القارئ بالطبع أن تكون الأمثلة على ذلك غير قابلة للترجمة ، كما سبى .]

١) أرسل إلى أحد الزملاء مقالا كتبه ، وكان من رأي أنه غالى في تقدير أهمية كشف فيزيولوجى حديث وأنه — على الأخص — قد عالج الموضوع بعبارات طنانة . فحلمت فى الليلة التالية بجملة كان من الجلى أنها تشير إلى هذه المعالجة : « ياله من أسلوب نوركدال ! » لقد واجهت بادئ الأمر صعوبة فى حل هذه الكلمة . صحيح أنه لم يكن ثمت شك فى أنها قد ركبت بوساطة تحريف ماجن لنعتين [ألمانيين] من النعوت المطلقة : كولوسال [جسم] وپيراميدال [هرى] ، بيد أنه لم يكن من السهل أن أقول ما مصدرها . وأخيراً تبينت أن المسخ قد ركب من هذين الاسمين : نورا و إكدال — وهما شخصيتان فى مسرحيتين معروفتين من مسرحيات إبسن^(١) ، وقد كنت قرأت فى إحدى الصحف مقالا عن إبسن كتبه هذا المؤلف الذى كنت أنقد عمله الأخير .

٢) وروت لى إحدى مريضاتى حلماً قصيراً ورد فيه مركب لفظى لا معنى له : كانت فى حفل رينى مع زوجها ثم قالت : سوف ينتهى ذلك إلى “Maistollmütz” شامل . وكانت الحاملة تشعر فى الحلم شعوراً مبهما بأن ذلك صنف من الحلوى يصنع من دقيق الذرة ، نوع من الولاى . وقد قسم التحليل الكلمة إلى : Mais [ذرة] — toll [مجنون] mannstoll [مجنونة بالرجال] Olmütz [مدينة فى مورافيا] ، وكلها أجزاء تبين أنها كانت آثاراً تبقت من حديث جرى حول المائدة بينها وبين أقاربها . وكانت كلمة Mais تتضمن — عدا الإشارة إلى المعرض اليوبيلى الذى افتتح أخيراً^(٢) — الكلمات الآتية : Meissen (شكل من الصينى المصنوع بمدينة مايسن [فى ساكس] على صورة الطائر) ، Miss [وكانت المربية الإنجليزية التى تعمل عند أقربائها قد سافرت إذ ذاك إلى أولوتس] ، mies (وهى كلمة يهودية عامية تستخدم على سبيل المزاح بمعنى « مقرف ») . وكانت تشعب من كل مقطع من هذا المخلوط اللغوى سلسلة طويلة من الخواطر والمستدعيات .

٣) شاب قرع أحد معارفه بجرس بابه فى ساعة متأخرة من الليل ليترك له بطاقة زيارة فحللم فى تلك الليلة بالحلم الآتى : ظل رجل يعمل حتى ساعة متأخرة من الليل لكى

(١) [“نورا” فى “بيت اللمية” و “إكدال” فى “البطة البرية” .]

(٢) [احتفالاً بيوبيل الإمبراطور فرانسو جوزيف عام ١٨٩٨ .]

يصليح تليفون المنزل . وظل الرنين مستمراً بعد أن انصرف الرجل ولكنه لم يكن رنيناً موصولاً بل دقات منفصلة . يذهب الخادم لكي يبحث عن الرجل مرة ثانية ، فيقول له هذا الرجل : إن لمن العجيب أن يقف في أمر كهذا أفأس هم في العادة tutrein .

إننا نرى أن المناسبة غير الهامة التي بعثت على هذا الحلم لا تفسر سوى عنصر واحد من عناصره . وإنما اكتسبت هذه المناسبة بعض الأهمية حين وصل الحلم بينها وبين خبرة سابقة من خبراته تخلو هي الأخرى من الخطر ولكن خيال الحلم قد خلع عليها معنى بديلاً : ذلك أن الحلم حين كان صبيّاً يعيش مع والده قد قلب مرة كوباً من الماء على الأرض وهو نصف نائم . وكان من أثر ذلك أن ابتل سلك التليفون المنزلي وأزعج رنينة المتصل نوم والده . وإذا كان الرنين المتصل يوافق البلبل فالدقات المنفصلة قد استخدمت في تصوير قطرات تسقط . وأما كلمة "tutrein" فقد أمكن تحليلها على أنحاء ثلاثة ، فأدت بذلك إلى ثلاثة موضوعات متمثلة في أفكار الحلم : "tutel" - وهو لفظ قانوني بمعنى الوصاية ، ثم "tutel" (وربما كتب "Tuttell" -) وهو اسم يطلقه العوام على صدر المرأة ، وأما الجزء الأخير من الكلمة ، "rein" ، فإنه إذا ركب مع الجزء الأول من الكلمة المركبة "Zimmertelegraph" [التليفون المنزلي] كون "Zimmerrein" [النظافة المنزلية] - وهو ما يذكر تذكيراً قوياً ببلبل أرض الغرفة ثم هو فوق ذلك لفظ يجانس في الجرس اسم أحد أقرباء الحلم ^(١) .

(١) إننا نستخدم في اليقظة هذه الطريقة في تحليل المقاطع وتركيبها (وهي كيميائية مقطعية بمعنى الكلمة) ، وذلك في تكوين عدد كبير من النكات . وهناك مثالا على ذلك : « كيف تحصل على الفضة بأرخص طريقة ؟ تذهب في طريق اصطفت على جانبيه Silberpappeln [أى أشجار الحور ، ولكن الكلمة الألمانية قد ركبت من لفظين الأول معناه الفضة والثاني له معنيان : الحور والخفيف] ثم تأمر بالصمت ، فينقطع الخفيف وتبقى الفضة » . ولقد اعترض على أول قارئ قرأ كتابي ونقده [المقصود هنا هو فيلهلم فليس ، أنظر الخطاب ١١٨ في فرويد ١٩٥٠] اعتراضاً أرجح أن القراء اللاحقين سوف يرددونه ، وهو " أن الحلم يبدو بارع النكتة في كثير من الأحيان " . وهذا القول صحيح ما دام المقصود هو الحلم ، ولا يصبح نقداً إلا إذا مد إلى مفسر الحلم . وما أظن أن « نكات » من المحمولات التي أملاك كبير حق في الانتصاف بها في حياة اليقظة ، فإذا كانت أحلام تبدو « نكاتة » فالمر في ذلك لا يعود إلى شخصي بل إلى الشروط السيكلوجية الخاصة التي ينحصر لها تكوين الحلم - وهو أمر يتصل أوثق اتصال بنظرية النكتة والمضحك . فالحلم إنما يصير نكاتها لأن الطريق المباشر والأسهل إلى الإعراب عن أفكاره قد سد في وجهه ، أي أنه مكروه على أن يكون كذلك . وفي وسع القارئ أن يقتنع بأن أحلام مرضى تحوى مثل ما تحويه أحلامى من النكات ، بل تزيد عليها . ومع هذا فقد دعاني هذا الاعتراض إلى المقارنة بين طرائق النكتة وعمل الحلم ، مقارنة يجد القارئ حاصلها في كتاب نشرته عن النكتة وعلاقتها باللاشعور (١٩٥٥ ج) .

(٤) حلمت حلاً طويلاً بعض الشيء مشوشاً كان يدور - فيما يبدو - حول رحلة بحرية ، وتراءى لى فيه أننا سنرسو أولاً فى ميناء اسمه Hearsing ثم فى آخر يليه اسمه Fliess وهذا الاسم الأخير هو اسم صديق القاطن فى مدينة ب . [برلين] ، والذي كان هدفاً لأسفارى مراراً . وأما Hearsing فمركب اشتق جزء منه من أسماء الأماكن الواقعة فى ضواحي فيينا ، وهى أسماء كثيرة ما تنتهى بالمقطع ing : Hietzing ، Liesing ، Mödling (والاسم القديم لهذه المدينة هو Medelitz من [اللاتينية] mea deliciae أى "meine Freud" [أى « سرورى » ، و « سرور » هو اسم فرويد فى الألمانية]) . وأما الجزء الآخر فاشتق من الكلمة الإنجليزية Hearsay بمعنى شائعة ، وهو ما يشير إلى التمسك بعلاقة الحلم بالمنية غير الهام المتخلف من النهار ، وأعنى به قصيدة قرأتها فى مجلة " Fliegenden Blättern " [« الصحف الطائرة »] عن قزم نمام يدعى " Sagter Hatergesagt " [« قيل وقال »] . فإذا أضفنا المقطع " ing " إلى الاسم Fliess ، خرج لنا " Vlissingen " ^(١) - وهو حقيقة اسم الميناء الذى يرسو فيه أخى حين يقبل من إنجلترا لزيارتنا . ولكن المرادف الإنجليزي لكلمة Vlissingen هو Flushing ، وهو ما يعنى حمرة الحجل ويذكرنى بالمرضى الذين أعابهم من « مخافة الحجل » ويذكرنى كذلك بمقال حديث - أثار بعض السخط فى نفسى - نشره بشرف عن هذا العصاب .

(٥) وحلمت فى مرة أخرى حلاً تركب من جزئين منصفين : الجزء الأول كلمة عقلت واضحة فى ذاكرتى هى كلمة " Autodidasker " . وأما الجزء الثانى فكان بعيد - إعادة أمنية - تخيلاً قصيراً ، لا ضرر فيه ، طاف بذهنى منذ بضعة أيام . وكان مؤدى هذا التخيل أننى سأقول للأستاذ ن . فى أول فرصة أراه فيها : « إن المريض الذى كنت استشرت فى أمره أخيراً يعانى بالفعل عصباً ، على ما خنته أنت » . ولا بد إذن لهذه الطريقة اللفظية " Autodidasker " من أن تحقق شرطين : الأول هو أن تحمل - أو أن تصور - معنى مضغوطاً ، والثانى هو أن يكون لهذا المعنى رباط مقبول يربط بينه وبين تلك النية المكررة فى الحلم بعد اليقظة ، وأعنى بها نية تقديم هاته الرضية للأستاذ ن .

لننظر إذن فى كلمة " Autodidasker " هذه : إن من السهل أن نقسمها إلى

Autor [مؤلف] و Autodidact [متعلم عصامي] و Lasker - وهو اسم يرتبط في الذهن باسم Lasalle^(١) . وتسوقني أولى هذه الكلمات إلى مناسبة الحلم - وهي مناسبة لها مغزاها في هذه المرة - : فقد كنت أعطيت زوجي عدة من المجلدات لمؤلف معروف كان صديقاً لأخى وكان - على ما علمت - من أبناء البلد الذي ولدت فيه (ي. ي. دافيد) . وفي ذات مساء حدثتني زوجي عن الأثر العميق الذي تركته في نفسها قصة فاجعة قرأتها في أحد مجلدات دافيد عن رجل موهوب ساء مآله . وعرج بنا الحديث إلى المواهب التي نرى آماراتها في أطفالنا . وهنا أعربت زوجي - وهي ما تزال متأثرة بما قرأت - عن تخوفها فيما يتصل بالأطفال ، فرفهت عنها ملاحظاً أن تلك على التحقيق هي المخاطر التي يمكن أن نتلافها بالتنشئة الحسنة . ولكنني واصلت تلك الخواطر في خلال الليل ، فأخذت عن زوجي مخاوفها ونسجت حول هذه المخاوف أشياء أخرى من كل صنف . وكان لهذا المؤلف رأى في الزواج أفضى به إلى أخى ، ولقد ساق هذا الرأي خواطري في طريق جانبي يمكن أن تبلغ منه إلى التصور في الحلم : هذا الطريق قد أدى إلى برسلاو حيث تزوجت - وأقامت - سيدة كان تعقد بينها وبيننا صداقة متينة . ووجد الخوف من أن تضيع الحياة من أجل امرأة - هذا الخوف الذي كان مدار أفكارى في ذلك الحلم - مثالين في برسلاو مكناني من أن أصور في وقت واحد كلتا الطريقتين اللتين يُنفذ بهما هذا التأثير المنحوس : لاسكر ولاسال^(٢) . هذه الخواطر تتخلص جميعها في : « ابحث عن المرأة » ، وهذه العبارة تقودني بدورها - وقد أخذتها بمعنى مختلف - إلى أخى الذي لم يتزوج بعد ، واسمه الكساندر . إلى الحظ الآن أن Alex يكاد يجانس لاسكر مقلوباً وأن هذا العامل لا بد قد شارك في التعرّيج بأفكارى بجهة برسلاو .

ولكن هذا اللعب بالأسماء والمقاطع الذي كنت أستمرسل فيه ههنا كان يضمّر بعد ذلك معنى آخر ؛ فهو يعرب عن رغبتى في أن أرى أخى ينعم بحياة عائلية سعيدة ، وكان ذلك من الطريق الآتية : نعلم أن زولا قد وصف نفسه ووصف حياته العائلية في بعض

(١) [ولد فرديناند لاسال مؤسس الحركة الاشتراكية الديمقراطية في ألمانيا بمدينة برسلاو عام ١٨٢٥ ومات عام ١٨٦٤ . وولد إدوارد لاسكر (١٨٢٩ - ١٨٨٤) في ياروتشين على مقربة من برسلاو ، وكان أحد مؤسسى حزب الوطنيين الأحرار في ألمانيا . وكلاهما كان من أصل يهودى .]

(٢) مات لاسكر من شلل تدريجى ، أى من جراء عدوى نقلتها إليه امرأة (السفلس) ، وأما لاسال

فقد مات - كما نعلم - في مبارزة من أجل امرأة .

مشاهد الرواية التى ألفها عن حياة فنان 'L'oeuvre' - وهى رواية لا بد أن محتواها قد قرب بينها وبين أفكار هذا الحلم . وهو يظهر فى هذه الرواية باسم ساندوز ، وأغلب الظن أنه قد توصل إلى تعديل اسمه على هذا النحو من الطريق الآتية : إذا كتبنا اسم زولا معكوساً (وهو الشيء الذى يصنعه الأطفال عادة فى ولع كبير) خرج لنا آلوز . ولكن لا شك فى أن ذلك كان يكون تنكراً غير كاف . وعلى ذلك رفع زولا آل - وهو المقطع الأول من آلكساندر - ووضع مكانه ساند - وهو المقطع الثالث من هذا الاسم عينه - وبذلك خرج ساندوز . وعلى نحو جد شبيه بذلك أنشأت أيضاً كلمتى « أوتوديداسكر » .

فأما التخيل الذى كان مؤداه أننى أقول للدكتور ن : إن المريض الذى اشتركنا فى فحصه إنما كان يعانى عصبياً - فقد جاء فى الحلم على هذا النحو : أخذت قبل أن يحين موعد أجازتى السنوية بوقت قصير فى العناية بمريض حارت فى أمره قدرنى على التشخيص ؛ فقد كانت حاله توحى أن ثمت مرضاً عضوياً خطيراً - قد يكون فساداً فى النخاع الشوكى - ولكن لم يكن فى المستطاع التثبت من ذلك . وكان القول بأن الحالة حالة عصاب مغرباً وكان ذلك كفيلاً أن ينهى كل صعوبة ، لولا أن المريض قد أنكر التاريخ الجنسى الذى لا أسلم بدونه بوجود العصاب أشد الإنكار . ولم أجد - وأنا فى هذه الربكة - إلا أن أستعين بالطبيب الذى أجله رجلاً كما لا أجل رجلاً سواه (يشاركنى فى ذلك الكثيرون عداى) وأذعن لرأيه طبيباً أسرع لإذعان . واستمع الأستاذ إلى شكوكى وأقرنى عليها ثم ذكر رأيه : « امض فى ملاحظة الرجل ، فلا بد أن الأمر عصاب . » وكنت أعلم أنه لا يشاركنى آرائى فى علية الأعصاب ، فلم أفاتحه بالحجة التى تدعونى إلى رأى مخالف ، بيد أننى لم أخف عنه تشككى . ثم بعد ذلك بيضعة أيام أبلغت المريض أننى لا أعرف ماذا أصنع معه ونصحت له بالتوجه إلى طبيب آخر . ولشد ما دهشت عندئذ إذ طفق الرجل يرجو منى معذرتة لكذبه على ، قائلاً : إنه كان خجلاً من نفسه خجلاً شديداً ، ثم كاشفنى بهذا الطرف من العلية الجنسية الذى كنت أتوقعه على التحديد والذى لم أستطع بدونه القول بوجود العصاب . لقد فرج ذلك عنى ولكنه فى الوقت عينه قد أذلنى ؛ فقد وجب على أن أسلم بأن ناصحى - إذ لم يضلله اعتبار التاريخ الجنسى - قد أصاب فى رأيه أكثر مما أصبت . وكان أنى عقدت العزم على أن

أخبره بذلك حين أراه مرة ثانية : أن أخبره بأنه كان على صواب وأنى كنت على خطأ .

وهذا على التحقيق هو ما أصنع في الحلم . ولكن ما هى هذه الرغبة التى تتحقق حين أعترف بأنى كنت على خطأ ؟ إنها الرغبة فى هذا الخطأ بالذات : لقد كنت أود لو أخطأت فى مخاوفى ، أو — بعبارة أصح — لو قد أخطأت زوجى فى هاته المخاوف التى صارت فى الحلم مخاوفى . ثم إن الموضوع الذى يدور من حوله الصواب والخطأ فى الحلم لم يكن بعيداً كل البعد عن المسائل التى كانت تشغلنى فى أفكار الحلم حقيقة ؛ فالأذى الذى تسببه امرأة أو تسببه — بعبارة أصح — الحياة الجنسية قد يكون كذلك عضوياً وقد يكون وظيفياً : شلل زهرى أو عصاب ، وفى هذه المقولة الأخيرة نستطيع أن ندرج من طريق غير مباشر نوع الموت الذى لاقاه لاسال .

ولكن الأستاذ ن . لم يأخذ بنصيب فى هذا الحلم المتناسك التركيب والذى يصبح شفافاً كل الشفافية حين نعى بتفسيره من أجل تلك المماثلة ومن أجل رغبى فى أن أكون مخطئاً ، ولا من أجل الروابط العارضة التى تربطه بمدينة برسلاو وبأسرة الصديقة التى تزوجت هناك ، بل قد جاءت مشاركتة — فوق ذلك — من أجل هذه الواقعة الصغيرة التى اختتم بها تشاورنا : فهو بعد أن أدلى برأيه الذى ذكرته وفرغ بذلك من مهمته الطبية تحول باهتمامه إلى الأمور الشخصية فسألنى : « ما عدد أطفالك الآن ؟ » — « ستة » — وهنا أتى بحركة تتم عن الإعجاب والقلق ثم قال : « بنات أم صبية ؟ » — « ثلاثة وثلاث ، وهم فخرى وغناى » — « حسنا ، ولكن خذ حذرك ! إن الأمور تجرى على ما يرام فيما يتعلق بالبنات ، وأما الصبية فتجلب تربيتهن المتاعب فيما بعد » ، فاحتججت بأن أبنائى قد ظلوا حتى اليوم طيعين على أحسن وجه . ومن الواضح أن هذا التشخيص الثانى فيما يتصل بمستقبل أبنائى لم يرقى إلا بقدر ما رافقى سابقه عن المريض الذى لا يشكو إلا عصاباً . فهذان الانطباعات قد ارتبطا من طريق التلازم ، أى لأننى خبرتهما الواحد عقب الآخر ، وأنا حين أتناول قصة العصاب فأدرجها فى حلمى أحلها محل حديثنا عن التربية — هذا الحديث الذى كان لاشك مرتبطاً أوثق الارتباط بأفكار الحلم من حيث يقرب كل هذا القرب من المخاوف التى أعربت عنها زوجى أخيراً . وهكذا نرى أنه حتى خوفى من أن يكون ن . محقاً فيما تحدث به من صعوبة تنشئة الصبيان قد وجد منفذاً إلى محتوى الحلم ، من حيث كان يستتر وراء الصورة التى صورت رغبى فى أن أكون

مخطئاً في مجازاة أمثال هذه المخاوف . وذات التخيل قد أفاد - كما هو - في تصوير كلا الاحتمالين المتقابلين .

٦) نقلا عن مارسينوفسكى [١٩١١] : « خبرت اليوم وأنا بين الحلم واليقظة مثالا بديعاً غاية الإبداع على التكثيف الحلمى : فقد استوقفتنى وسط أشتات حلمية لا أكاد أذكرها كلمة رأيته وقد كتب نصفها وطبع النصف الآخر . كانت الكلمة : 'erzefilisch' [كلمة لا معنى لها] ، وهى قد جاءت فى جملة انزلقت فى ذاكرتى الشعورية مفضولة من كل سياق ومعزولة عزلاً تاماً . هذه الجملة هى : « إن ذلك يؤثر فى المشاعر الجنسية تأثيراً 'erzefilisch' . لقد عرفت للوهلة الأولى أن هذه الكلمة لا بد أن تكون فى الحقيقة : 'erzieherisch' [تربوى] ولهذا ظلت أتشكك برهه فيما إذا لم يكن الأجدر أن تكون الكلمة غير المفهومة 'erzifilisch' [بحيث يكون المقطعان الأولان متفقين نطقاً والمقطعين الأولين من الكلمة الدالة على « تربوى » ، وهى الكلمة التى ضمن الحالم أن الكلمة المخترعة قد أخذت منها] . وفى هذه الأثناء خطرت لى كلمة 'Syphilis' ، وأخذت أعصر ذهنى - وقد بدأت فى تفسير الحلم وأنا مازلت نصف نائم - سائلاً كيف نسى لهذه الكلمة أن تعرض فى الحلم ، إذ ليست هناك أى علاقة تربط بينى وبين هذا المرض لا من وجهة شخصية ولا من وجهة مهنية . وعندئذ خطرت لى كلمة 'erzehlerisch' [كلمة أخرى لا معنى لها] ففسرت السر فى وجود حرف e الثانى [فى الكلمة المخترعة فى الحلم] ، وذلك بأن ذكرتنى بأن المربية 'Erzieherin' كانت قد سألتنى فى المساء أن أحدثها برأى فى مشكلة البغاء ، فأعطيتها كتاب هس (عن البغاء) قاصداً من ذلك إلى التأثير فى حياتها الانفعالية - ولم تكن قد نمت نمواً سوياً تماماً - تأثيراً 'erzieherisch' [تربوياً] ، ثم حدثتها بعد ذلك حديثاً طويلاً فى هذه المشكلة . وعندئذ اتضح أن كلمة 'Syphilis' لا يجب أخذها بمعناها الحرفى ، بل هى تنوب عن « سم » - فيما يتصل بأمور الحياة الجنسية بالطبع . وهكذا نجد أننا نخرج من ترجمة هذه الكلمة غير المفهومة بجملة منطقية تماماً : لقد كنت أبتغى من هذا الحديث ['Erzählung' ، e = a نطقاً] أن أؤثر فى الحياة الانفعالية لمربيته ['Erzieherin'] تأثيراً تربوياً ['erzieherisch'] ولكننى أخشى أن يكون لذلك فعل السم . أى أن 'erzefilisch' قد ركبت من 'erzäh' ، ثم 'erzieh' .^(١)

(١) [أى أن الكلمة المخترعة فى هذا الحلم erzefilisch قد تضمنت تكثيفاً حاداً ، فهى قد

هذه التركيبات اللغوية الفاسدة للحلم تشبه غاية الشبه تلك التي نعرفها في البارانويا وإن كانت لا تغيب أيضاً من المستريا والأفكار القهرية . وإن الألاعيب اللغوية للأطفال الذين يعاملون الكلمات أحياناً معاملة الموضوعات وبيتدعون فوق ذلك لغات جديدة وصوراً نحوية مصطنعة لى المنبع الذى يصدر عنه هذا كله ، سواء أفى الحلم أم فى الأعصاب النفسية .

إن تحليل الألفاظ التى لا معنى لها يصلح صلاحية خاصة لإظهارنا على ما يحققه عمل الحلم فى مجال التكثيف . وليس للقارئ أن يستنتج من قلة الأمثلة التى ذكرتها أن هذا الضرب من المادة نادر أو لا يعرض للملاحظة إلا نادراً . بل الأصديق هو أن هذه الأمثلة كثيرة الوقوع إلى مدى كبير ولكن توقف تحليل الحلم على العلاج النفسى كان من نتيجته أن أمثلة قليلة العدد جداً هى التى قد لوحظت ورويت وأن التحليلات المروية لهذه الأمثلة لا يدنو فهمها فى العادة إلا للمتخصصين فى دراسة مرضية الأعصاب . ولقد روى الدكتور فون كارينسكا (١٩١٤) مثالا من هذا النوع احتوى على هذا المركب اللفظى غير المفهوم « *svingnum elvi* » . وإنه لجدير بنا أن نذكر هذه الحالات التى فيها تظهر فى الحلم كلمة لا تخلو فى ذاتها من المعنى ولكنها قد جردت مع ذلك من معناها الخاص وضمنت معانى متعددة يكون شأن هذه الكلمة منها شأن الكلمة التى « لا معنى لها » . مثال ذلك حلم رواه تاوسك (١٩١٣) عن طفل فى العاشرة من عمره وردت فيه الكلمة « *Kategorie* » [مقولة] ، وكانت تعنى هنا أعضاء المرأة التناسلية ، كما كان الفعل الذى اشتق من هذه الكلمة « *Kategoriieren* » يعنى التبول .

وإذا وردت فى الحلم جمل منطوقة متميزة صراحة - من حيث هى كذلك - من الأفكار ، فالقاعدة التى لا تتخلف هى أن الكلمة المنطوقة فى الحلم إنما تستمد من كلمات منطوقة متذكّرة فى مادة الحلم . ومنطوق الكلام إما أن يحفظ كما هو أو يصدر معدلاً بنقل طفيف . وكثيراً ما يؤلف الكلام فى الحلم من أقوال متنوعة مستمدة من ذاكرة الحالم ، وفى هذه الأثناء يبقى النص هو هو ، ولكن تخلع عليه - إذا أمكن ذلك -

ركبت من الكلمات الآتية (١) *erzieherisch* (تربوى) + (٢) *Erzieherin* (مربية) + (٣) *Erzählung* (محادثة) + (٤) *Syphilis* - وهى أهم الكلمات الداخلة فى تكوين الحملة المتضمنة فى أفكار الحلم . [

معان متعددة ، أو معنى يختلف من معناه الأصلي . ولا يندر أن يستخدم الكلام الوارد في الحلم على سبيل الإشارة إلى الموقف الذى ورد فيه هذا الكلام لا أكثر^(١) .

ب

عمل النقل

لا بد أن علاقة ثانية لا تقل في الراجح أهمية عن التكيف قد تجلت لنا بينما كنا نجمع الشواهد على هذا الأخير . لقد وسعنا أن نلاحظ أن العناصر التى تبرز في محتوى الحلم باعتبارها مقومات جوهرية له بعيدة كل البعد عن أن يكون لها مثل هذا الشأن في أفكار الحلم . ونستطيع أن نعكس هذه القضية فنخرج منها بنتيجة تتبعها : إن ما يتضح جلياً أنه المحتوى الجوهرى في أفكار الحلم لا يتمثل في الحلم بالضرورة . فللحلم - إن شئت - محور مختلف ، أى أن محتواه ينتظم حول عناصر غير التى تشغل في أفكاره نقطة المركز . خذ مثلاً حلم المبحث النبأى : من الواضح أن مداره كان العنصر « نبأى » وأما في أفكار الحلم فيتعلق الأمر بالتعقد والتزاع اللذين ينشآن بين الزملاء من جراء التزاماتهم المهنية ، ثم يتعلق بعد ذلك بما ألام عليه من أننى أبذل في سبيل هوايائى تضحيات تفوق كل ما ينبغى ، ولم يكن العنصر « نبأى » يشغل أدنى محل في نواة أفكار الحلم هذه ، اللهم إلا أن يكون قد ارتبط بها ارتباطاً واهياً على سبيل التضاد من حيث أن علم النبات لم يكن يوماً بين العلوم التى أوثرها . ثم حلم سافو الذى أناه أحد مرضاى : النقطة الرئيسية في هذا الحلم هى الصعود والهبوط ، الأعلى والأسفل ، ولكن الحلم يعالج مخاطر العلاقات الجنسية بأشخاص محطوطى القدر ، بحيث يبدو أن عنصراً واحداً من

(١) [١٩٠٩ :] لقد وجدت منذ زمن غير بعيد الاستثناء الوحيد لهذه القاعدة ، وكان ذلك في حالة شاب كان يشكو أنكاراً قهرياً مع احتفاظه بكل وظائفه العقلية - وكانت بعد على نمو كبير - كاملة غير منقوصة : لم تكن الأقوال التى ترد في أحلام هذا الشاب أقوالاً سمها أو قالها ، بل كانت توافق النص غير المحرف لأفكاره القهرية التى لم تكن تستطيع أن تنفذ إلى شعوره في اليقظة إلا في صورة محرفة . [الشاب المعنى هنا هو الذى عرفت حالته بين الحالات الخمس التى نشرها فرويد باسم " الرجل الفأر " (فرويد ١٩٠٩ د) .]

أفكار الحلم هو الذى قد نفذ إلى محتواه ، وإن يكن هذا العنصر قد مُطَّ مطاً لا تناسب فيه . والحال كذلك فى حلم الخنفساوين : فموضوعه هو العلاقة بين الحياة الجنسية والقسوة ، وعامل القسوة يظهر يقيناً فى محتوى الحلم ، ولكنه يظهر فى سياق مختلف دون أن يذكر للحياة الجنسية ذكر ، أى متروكاً من محيطه ، مصوراً - من ثم - فى صورة تنأى به عن الموضوع . كذلك فى حلم عمى حيث كانت اللحية الصفراء هى النقطة الرئيسية : لقد بدت هذه اللحية مجردة من كل معنى يربط بينها وبين رغبة العظمة التى عرفنا فيها لب أفكار الحلم . إن أمثال هذه الأحلام توحى إلى المرء بحق أن « نقلاً » قد وقع . وحلم حقنة إرماً يبدو إذن مخالفاً لهذه الأمثلة تمام المخالفة ؛ إذ فيه أمكن العناصر المختلفة أن تحتفظ فى خلال تكوين الحلم بالحلم الذى كانت تشغله فى أفكار الحلم . وإن الكشف عن هذه العلاقة الجديدة بين أفكار الحلم ومحتواه - تلك العلاقة المتقلبة غاية الثقل فى اتجاهها أو معناها - لأمر يثير عجبنا للوهلة الأولى . فنحن إذا نظرنا فى عملية نفسية من عمليات الحياة السوية فوجدنا أن فكرة بعينها قد انتخبت من بين الكثيرات غيرها ثم اكتسبت حدة خاصة بالنسبة إلى الشعور ، رأينا فى ذلك عادة دليلاً على أن لهذه الفكرة قيمة نفسية عالية بنوع خاص - على أنها تلتقى درجة معينة من الاهتمام . ولكننا نرى الآن أن هذه القيمة التى تختلف العناصر المتضمنة فى أفكار الحلم لا تُستَبَقَى فى خلال تكوينه أو لا يحسب لها حساب . فنحن لا نشك أقل شك فى أى عناصر أفكار الحلم تفوق ما عداها قيمة : فحكمنا يثبتنا بذلك إنشاء مباشراً . وهذه العناصر الجوهرية المحملة باهتمام شديد قد تعامل عند تكوين الحلم كما لو لم تكن تملك سوى قيمة ضئيلة ، وتحل محلها فى الحلم عناصر أخرى لا نشك فى أنها كانت ذات قيمة ضئيلة فى أفكار الحلم . وفى ذلك ما يوحى للوهلة الأولى أن الشدة النفسية ^(١) التى تختلف الأفكار لا يحسب لها حساب على الإطلاق حين يختار الحلم من هذه الأفكار ما يختار ، وإنما الشئ الوحيد الذى يحسب حسابه هو تعدد حتمها تعدداً ينقص أو يزيد ، أى أن المرء قد يظن أن ما يظهر فى الحلم من أفكار الحلم ليس خطيرها ، بل مكرها . بيد أن هذا الفرض لن يعيننا كثيراً على فهم تكوين الحلم ؛ فنحن لن نعقل أن عامل الحلم المضاعف

(١) علينا أن نفرق بالطبع بين الشدة النفسية أو القيمة أو درجة الأهمية التى لفكرة من الأفكار ، وبين الشدة الحسية ، أى شدة الصورة الماثلة أمامنا .

وعامل القيمة النفسية الخاصة يمكن أن يعمل في اتجاهين متباينين على اختيار العناصر التي تظهر في الحلم ، بل الأفكار التي هي أشد أفكار الحلم أهمية سوف تكون يقينا أكثرها أيضاً ترددا ، فمنها — كما من بؤرة — تشع أفكار الحلم المتفرقة . ومع هذا يستطيع الحلم أن يترك تلك العناصر المؤكدة توكيداً شديداً في ذاتها المؤيدة من جوانب متعددة بغيرها ، وأن يلتقط محتواه عناصر أخرى لا تتحقق فيها سوى ثانية هاتين الخاصتين .

ولكى نصل إلى حل هذه الصعوبة سوف نسترشد بانطباع آخر يوحيه أيضاً بحثنا في الحتم المضاعف لمحتوى الحلم : ربما كان الكثيرون من القراء قد حكموا من تلقاء أنفسهم بأن الحتم المضاعف لعناصر الحلم ليس بالمكتشف الهام لأنه أمر واضح بذاته ؛ فنحن نأخذ في التحليل ابتداء من عناصر الحلم ثم ندون كل الحواطر التي تستدعيها هذه العناصر ، ولا عجب إذن حين نجد أن هذه العناصر على التحديد قد تكرر ورودها في المادة الفكرية المكتسبة من هذا الطريق تكراراً خاصاً . ولست أستطيع أن أقبل هذا الاعتراض ، ولكنني أسوق مع ذلك قولاً يلوح مشابهاً له : إن بين الأفكار التي يخرجها التحليل إلى الضوء أفكاراً كثيرة بعيدة بعداً نسبياً عن لب الحلم وتبدو مثل وسائل مصطنعة جعلت لهدف بعينه . وهذا الهدف يسهل تخمينه : فهذه الأفكار على التحقيق هي التي تعقد الصلة بين محتوى الحلم وأفكاره ، صلة كثيراً ما تكون مفروضة ، مفتعلة . ونحن إذا أسقطنا هذه العناصر من التحليل كانت النتيجة في كثير من الأحيان أن مقومات المحتوى الحلمى لا تفقد حتمها المضاعف وحسب ، بل هي قد تفقد كل حتم كاف يجيئها من أفكار الحلم . وهكذا نساق إلى تلك النتيجة : أن الحتم المتكرر الذي يفصل في اختيار ما يدخل الحلم ليس عاملاً أولياً في تكوين الحلم بل هو في الكثير من الأحيان نتاج ثانوى لقوة نفسية لا نزال نجهلها . ومع هذا فلا بد أن تكون لهذا الحتم أهمية خاصة في اختيار أى العناصر يدخل الحلم ، ما دمنا نلاحظ أن هذا الحتم يُجلب جلباً بجهد خاص حين لا ينبعث من أفكار الحلم بغير عون .

وهكذا نصبح قاب قوسين من تلك الفكرة : أن هناك قوة نفسية تفصح عن نفسها في أثناء عمل الحلم ، قوة تجرد العناصر ذات القيمة النفسية العالية من شدتها — هذا من جهة ، وهي — من جهة أخرى — تخلق بوساطة الحتم المضاعف من العناصر ذات القيمة النفسية المنخفضة قيا جديدة ، تلج بعد ذلك محتوى الحلم . وإذا كان الأمر كذلك ،

كان معناه أن تحويلاً ونقلًا في الشدات النفسية التي لمختلف العناصر يقعان في أثناء تكوين الحلم ، وأن التباين بين نص محتوى الحلم ونص أفكار الحلم يأتي نتيجة لهذا التحويل وهذا النقل . والعملية التي نفترض وجودها على هذا النحو هي على التحقيق الجزء الجوهرى في عمل الحلم ، وهي تستحق اسم « النقل الحلمى » . فالنقل الحلمى والتكثيف الحلمى هما سيدا العمل اللذان يحق لنا أن نعزو تشكيل الحلم إلى نشاطهما هما في المقام الأول . وأعتقد أن من السهل علينا أيضاً أن نعرف ما هي تلك القوة النفسية التي تفصح عن نفسها في وقائع النقل الحلمى ؛ فنتيجة هذا النقل هي أن محتوى الحلم يفقد شبهه بلب أفكار الحلم ، وأن الحلم لا يعطينا بعد ذلك سوى صورة مشوهة من رغبة الحلم اللاشعورية . وتشويه الحلم ظاهرة عرفناها من قبل ، وقد كنا أرجعناها إلى الرقابة التي يمارسها أحد نظامين يعملان في الحياة الفكرية بإزاء النظام الآخر . والنقل الحلمى — على ذلك — وسيلة من الوسائل الرئيسة التي يتحقق بها هذا التشويه ؛ فإن « فاعل الفعل هو من انتفع منه » .^(١) ومن حقنا إذن أن نفترض أن النقل الحلمى يقع بتأثير من هاته الرقابة ، رقابة الدفاع الصادر عن داخل النفس .^(٢)

[Is fecit, cui profuit.] (١)

(٢) إننى أستطيع القول بأن رد تشويه الحلم إلى الرقابة هو جوهر نظريتي عن الأحلام ، ولهذا أورد هنا الجزء الأخير من قصة بعنوان « الحلم على غرار اليقظة » من كتاب « أحلام واقسى » تأليف لينكوس (فيينا ، الطبعة الثانية ، ١٩٠٠) — وهو كتاب التفتيت فيه هذه السمة الرئيسة التي تتميز بها نظريتي . [أنظر الملحق المكتوب بتاريخ ١٩٠٩ بآخر الفصل الأول] :

« حول رجل له تلك الخاصة العجيبة ، وهي أنه لا يحلم أبداً أحلاماً تتنافى المعقول . . . »
 « إن تلك الموجبة المأجدة التي خصصت بها : أن تحلم كما لو كنت مستيقظاً — هي ثمرة فضائلك وطيبتك وإنصافك وعجبتك الحقيقة . والصفاء الخلقى الذى فى طبيعتك هو الذى يجعلنى أفهم كل ما اتصل بك . »
 « فأجاب الآخر : ولكنى — حين أمنى النظر . أعتقد أن جميع الناس قد خلقوا على هذا الفرار ، وأنه ما من أحد تخلو أحلامه أبداً من المعنى ! فكل حلم يتذكره المرء تذكراً متميزاً بحيث يستطيع روايته من بعد ، أى كل حلم لم تلده الحسى ، هو دائماً حلم ذو معنى ، ومحال أن تكون الأشياء على خلاف ذلك ! فافرق بينه التناقض لا يمكن أن يجتمع فى كل واحد . فإما أن الزمان والمكان كثيراً ما يختلطان فذلك ما لا ينال من محتوى الحلم الحقيقي فى شيء ؛ فكلأهما — ولا شك — عديم الخطر فيما يتعلق بجوهر الحلم . ثم نحن كثيراً ما نفعل مثل ذلك فى اليقظة ذاتها : أنظر إلى القصص وإلى تأليف الخيال المليئة بالخرافة الزائفة بالحكمة والى لا يستطيع أن يقول عنها : ذلك هراء لأنه مستحيل ، إلا رجل لا عقل له ! »

« فقال الصديق : لو قد استطاع المرء فقط أن يفسر الأحلام دائماً تفسيراً صحيحاً مثلاً فعلت بحلمى ! »
 « تلك حل التأكيد ليست بالمهمة السهلة . ولكن لا مزية فى أن التناجح فيها ميسور بقليل من الانتباه من =

وأما السؤال : كيف تعمل معاً في تكوين الحلم عوامل النقل والتكثيف والحتم المضاعف أيها المسيطر وأنها الثانوي؟ فذلك ما ندخره لبحث مقبل . [أنظر مثلاً القسم ومن هذا الفصل .]
ولكننا نستطيع أن نكشف في الوقت الحاضر عن شرط ثان لا بد من أن تستوفيه العناصر التي تشق طريقها إلى الحلم : أن تقلت هذه العناصر من الرقابة التي تفرضها المقاومة . ومن الآن فصاعداً سنحسب للنقل الحلمى حسابه باعتباره واقعة لا يتطرق إليها الشك .

ج

وسائل الحلم في التصوير

إذا تركنا عاملى التكثيف والنقل اللذين رأينا نشاطهما في تحويل الأفكار الكامنة إلى محتوى الحلم الظاهر ، أوقفنا متابعة البحث على شرطين آخرين يؤثران في اختيار المادة التي تنفذ إلى الحلم تأثيراً لاشك فيه . ولكننى أود أولاً أن ألقى نظرة على العمليات التي تقع في أثناء القيام بتفسير الحلم ، مهما كان في ذلك من خطر الظهور بمظهر من لا يتقدم في طريقه . إننى لا أخفى على نفسى أن أقرب الطرق إلى إيضاح هذه العمليات وإلى الذود عن جدارتها بالثقة في وجه النقد هو أن آخذ حليماً بعينه على سبيل المثال وأن أفصل تفسيره كما فعلت من قبل بحلم حقنة إرما في الفصل الثانى ، وأن أجمع بعدئذ ما يتكشف لى من أفكار الحلم ، ثم آخذ في بناء الحلم من جديد ابتداء من هذه الأفكار ، أى أن أردف تحليل الحلم بتركيب يكمله . ولقد قمت بهذا العمل في أمثلة متعددة طلباً لفائدتي الخاصة ، ولكننى لا أستطيع أن أورد هنا هذه الأمثلة ، إذ تمنعنى من سوق هذا البرهان اعتبارات تتعلق بطبيعة المادة النفسية المضمنة — وهى اعتبارات متنوعة ويسلم بوجاهتها كل امرئ منصف في التفكير . هذه الاعتبارات قد تدخلت في تحليل الأحلام إلى حد أقل ؛ فإن التحليل قد يظل ناقصاً ويستبقى مع ذلك قيمته ، بل هو قد يستبقها

جانب الحالم . إنك تسألنى : ولم الفشل في معظم الأحيان ؟ ذلك أنك تبذل دائماً يا معشر البشر كأنما كان شئ غيب في أحلامكم ، شئ غير عاف بمعنى أخفى وأعمق ، خاصة مسترة ركبت في طبيعتكم ويصعب عليكم تأملها ، ولهذا غلب أن تعجب أحلامكم مجردة من المعقولة ، إن لم تناقضها . بيد أنها تخالف ذلك تمام المخالفة في حقيقتها العميقة ، لا بل ذلك في الحق ما لا يمكن أن يكون ؛ لأن الإنسان يظل دائماً هو هو سواء أفى الحلم أم في اليقظة . "

وإن لم ينفذ إلا في رقعة صغيرة من نسيج الحلم . فأما تركيب الحلم فلست أدري كيف يُصنعُ إلا إذا كان كاملاً . وما أستطيع أن أورد تركيباً كاملاً لبعض الأحلام إلا إذا كانت هذه الأحلام لأناس تجهلهم جمهرة القراء . ولكن إذا كان هذا الشرط لا يتحقق إلا في مرضى - وهم عصائيون - فقد وجب على أن أرجئ هذا الجزء من الكلام عن الحلم إلى أن أتمكن - في موضع آخر غير هذا الكتاب - من المضي بتفسير سيكولوجية الأعصاب إلى الحد الذي يَمُ عند الوصل بينها وبين موضوعنا الحاضر ^(١) .

وقد علمتني محاولات في بناء الأحلام بتركيبها من أفكار الحلم أن المادة التي تنبعث في خلال التفسير تتفاوت في القيمة : فهناك جزء يتكون من أفكار الحلم الجوهرية ، أي تلك التي تحل محل الحلم تماماً وكانت كفيلة أن تجيء بدله لولا وجود الرقابة على الحلم ، وأما الجزء الآخر فهو في العادة خليق بأن يوصف بكونه ذا أهمية ضئيلة . ولسنا نأخذ بالقضية القائلة إن جميع الأفكار التي من هذا النوع الثاني قد اشتركت في تكوين الحلم [أنظر ص ٢٩٤] ، بل لقد توجد بينها على العكس مستدعيات تتعلق بخبرات وقعت بعد الحلم ، بين لحظتي الحلم والتفسير . هذا الجزء يشمل جميع الطرق الرابطة التي أدت من المحتوى الظاهر إلى الأفكار الكامنة ، كما يشتمل على المستدعيات المتوسطة المتدرجة التي توصلنا من خلالها - ونحن نقوم بالتفسير - إلى معرفة تلك الطرق الرابطة .

ولسنا نوجه اهتمامنا في هذا الموضع إلا إلى أفكار الحلم الجوهرية وحدها . هذه الأفكار تنكشف في معظم الأحيان في صورة مجموعة من الأفكار والذكريات ذات بنية متشابكة أقصى التشابك ، حاصلة على كل الخواص التي نعرفها لعملياتنا الفكرية في حياة اليقظة . وهي قد تكون في أحيان ليست بالنادرة سلسلات من الفكر تصدر عر أكثر من مركز واحد ، وإن تماس في بعض المواضع . وتكاد كل سلسلة من هذه أن تقترن دائماً بمقابلها المناقض لها : يرتبط بها من طريق التداعي بالتباين .

والأجزاء المختلفة من هذا البناء المعقد تتداخل بالطبع في علاقات منطقية أو لغوية تتنوع غاية التنوع : ففيها المتقدم والمتأخر وفيها الاستطراد والإيضاح ، فيها الشرط

(١) لقد نشرت منذ ذلك الحين في " طرف من تحليل حالة هستريا " (فرويد ١٩٠٥ هـ) تحليلاً وتركيباً كاملاً لحلمين . ومن الواجب أن نشير هنا إلى التحليل الذي نشره أوتو رانك بعنوان : " حلم يفسر نفسه بنفسه " [رانك ١٩١٠] باعتباره أتم تفسير نعرفه لحلم ذي طول يعتد به .

والتدليل والمناقضة . فإذا ما خضعت كتلة أفكار الحلم هذه للضغط المتولد عن عمل الحلم ، يدير أجزائها ويفتتها ثم يلحمها فيما يشبه الثلج المندفع ، ثار في أنفسنا السؤال عما آلت إليه هاته العلاقات التي كانت حتى الساعة هيكل البناء . أى تصوير تلقاه في الحلم « إذا » و « لأن » أو « مثل » و « رغم » و « إما - أو » وسائر الأحرف التي لا تفهم بغيرها عبارة أو خطاب ؟

لا مفر من أن نجيب في بادئ الأمر بأن الحلم لا يملك أى وسيلة يصور بها هذه العلاقات المنطقية بين أفكار الحلم . فهو في معظم الأحيان يغفل كل هذه الحروف ولا يستبقى من الأفكار سوى محتواها الثنى يصوغ منه صوغه . وعلى التفسير أن يسترجع ما أعدمه عمل الحلم من الروابط المنطقية .

وإذا كانت هذه القدرة على التعبير تعوز الحلم ، فهي لا بد راجعة إلى طبيعة المادة النفسية التي تصنع منها الأحلام . ويعرف هذان الفنان التشكيليان : التصوير والنحت - مثل هذا التعقيد ، بالقياس إلى الشعر الذي يسعه استعمال الكلم . وعلة العجز هنا أيضاً طبيعة المادة التي يجهد هذان الفنان في الإعراب عن شيء ما بتشكيلها . ولقد جهد فن التصوير - قبل أن يصل إلى الأحكام التي يعمل اليوم بمقتضاها - في تدليل هذا العائق . فنحن نرى الأشخاص في الرسوم القديمة وقد تعلقت بأفواههم شرائط خطت عليها أحرف تقول ما قد يشس الفنان من الإعراب عنه في صور .

وربما ظهر في هذا الموضوع اعتراض ينازع فيما نذكره من قدرة الحلم على تصوير العلاقات المنطقية : فهناك أحلام يقوم فيها الحلم بعمليات عقلية معقدة غاية التعقيد ، فيبرهن على القضية أو ينقضها أو يسفها أو يقارنها بغيرها ، كشأنه في اليقظة . وهذا صحيح ، ولكن هنا أيضاً يخذع المظهر ، فلو أننا مضينا في تفسير أمثال هذه الأحلام لعلمنا أن هذا كله إنما هو مادة من مادة الحلم وليس تصويراً لعمل عقلي يتأدى في الحلم .

وما يعيد الحلم بتفكيره الظاهر هذا سوى محتوى أفكار الحلم لا علاقاتها المتبادلة التي يقوم التفكير في التزامها . وسوف أسوق بعض الأمثلة على ذلك [ص ٤٤٠ وما بعدها] ، ولكن أسهل ما نستطيع التثبت منه في هذا الموضوع هو أن كل كلام يعرض في الحلم منصوباً صراحة على أنه كذلك إنما هو إعادة محرفة أو محرفة قليلاً لأقوال موجودة من قبل بين ذكريات مادة الحلم . وفي كثير من الأحيان لا يخرج الكلام المقول في الحلم عن أن يكون للماعا

إلى موقف متضمن في أفكار الحلم ، وأما معنى الحلم فيكون مختلفاً كل الاختلاف .
[انظر ص ٤١٩ وما بعدها .]

يبد أننى لن أنكر مع ذلك أن التفكير النقدي الذى لا يقف عند مجرد تكرار المادة المحتواة في أفكار الحلم يأخذ مع ذلك بنصيب في تكوين الحلم . ولن أجد بدا من ألقى الضوء في نهاية المناقشة الحاضرة على تأثير هذا العامل . وعندئذ سوف يتضح أن هذا النشاط الفكرى لا يرد إلى أفكار الحلم بل يصدر عن الحلم ذاته بعد أن يكون قد اكتمل صنعه بمعنى من المعانى . [انظر القسم الأخير من هذا الفصل .]

وإلى أن يتضح لنا ذلك نقول إذن : إن العلاقات المنطقية بين أفكار الحلم لا تحظى في الحلم بأى تصوير مستقل . فإذا عرض في الحلم تناقض - مثلاً - فهو إما تناقض من جانب الحلم وإما تناقض في فكرة من أفكار الحلم . ولا يكون التناقض في الحلم مصوراً لتناقض بين أفكار الحلم إلا بطريقة غير مباشرة إلى أبعد حد .

ولكن كما أن فن التصوير قد أفلح أخيراً في أن يعرب على الأقل عن مقاصد الكلم عند من يصور من الناس : حب أو وعيد أو تحذير أو غيره ، وذلك بطريقة أخرى عدا الشرائط المدلاة ، كذلك أمكن الحلم أن يدخل في حسابه بعض العلاقات المنطقية بين أفكاره ، وذلك بتعديل طريقة التصوير المميزة للأحلام تعديلاً ملائماً . وتدل التجربة على أن الأحلام المختلفة تتفاوت تفاوتاً كبيراً في هذا الباب ؛ فبينما يغفل حلم الترتيب المنطقى الذى لمادته إغفالاً تاماً ، يعمل حلم آخر على الإبانة عن هذا الترتيب إبانة كاملة بقدر المستطاع . وفى أثناء ذلك يبعد الحلم عن النص المراد صوغه بعداً ينقص أو يزيد . هذا ، وتختلف الأحلام كذلك في مسلكها تجاه الترتيب الزمنى لأفكار الحلم ، إذا كان مثل هذا الترتيب قد قام في اللاشعور (كما في حلم حقنة إرما ، مثلاً) .

فما هى الوسائل التى يتمكن بها الحلم من الإبانة عما تتضمنه مادته من علاقات صعبة التصوير ؟ سأحاول أن أحصى هذه الوسائل واحدة فواحدة .

الحلم أولاً يدخل في حسابه جملة الرباط القائم من غير أدنى شك بين أجزاء أفكار الحلم جميعها ، وذلك بتوحيد هذه المادة في سياق يجمعها في صورة موقف أو حدث : إنه يعيد الرباط المنطقى في صورة المزامنة . وهو في ذلك يحذو حذو الرسام الذى يرسم صورة مدرسة أثينا أو البرناس ، فيحشد في الصورة جميع الفلاسفة والشعراء وما اجتمعوا

قط في رواق واحد أو على قمة واحدة . ولكنهم مع ذلك يؤلفون يقينا صحيحة واحدة بالمعنى التصورى المجرد .

والحلم يتابع هذا المنهج في التصوير حتى الجزئيات . فكلما اقترب عنصران من عناصر الحلم كل من الآخر كان ذلك ضامنا لوجود علاقة وثيقة بنوع خاص بين مقابليهما في أفكار الحلم . فالأمر هنا أشبه به في نظامنا الكتابي : فأنت إذا كتبت « أب » كان معنى ذلك أن هذين الحرفين يجب أن يقرأ مقطعا واحداً ، فإن تركت فاصلا بينهما كان معناه أن « أ » هي الحرف الأخير من كلمة و « ب » الأول في تاليها . وعلى هذا الغرار تجيء تجمعات الحلم ، فهي لا تتكون عفوا من أجزاء مشتتة في مادة الحلم ، بل من أجزاء يربط بينها في أفكار الحلم أيضاً رباط وثيق .

فأما علاقات العلية فيملك الحلم طريقتين في تصويرها ، هما في جوهرهما طريقة واحدة . فعندما تجرى أفكار الحلم على هذه الصورة : « وإذا كان الأمر كذا وكذا ، فقد لزم أن يقع هذا وذاك » فأشيع طرق التصوير هي أن تدرج جملة الشرط في حلم تمهيدى يتلوها جواب الشرط في الحلم الرئيس . ومن الممكن — إذا لم أكن أخطأت التفسير — أن ينقلب هذا الوضع . ولكن الجزء الأوسع في الحلم يقابل دائماً جملة جواب الشرط .

وقد أتت إحدى مريضاتى بمثال بديع على هذه الطريقة في تصوير علاقة العلية ، وذلك في حلم سوف أوردته كاملا فيما بعد . [ص ٣٥٥] . كان الحلم يتكون من مقدمة وجزء ومن حلم مسهب دار إلى درجة ملحوظة حول موضوع بعينه ، وهو يستحق أن يسمى باسم : لغة الأزهار . وكان الحلم التمهيدى كما يلي : تذهب إلى المطبخ حيث تجد خادمتها وتؤنّبهما لأنهما لما تجهزتا لها « قفصة تؤكل » تلحق في أثناء ذلك عدداً كبيراً جداً من أوعية المطبخ العامية الطراز ، قلبت على الأرض وقد رصت بعضها فوق بعض أكواماً حتى يسقط ما علق بها من قطرات الماء . تذهب الخادمان في طلب بعض الماء ، وتضطرران إلى الخوض في نهر ارتفع حتى بلغ المنزل أو فناءه .

ثم تبع ذلك الحلم الرئيس ، وكان يبدأ على هذا النحو : تهبط من مرتفع عظيم فوق حواجز ركبت بطريقة غريبة وتشعر بالسرور لأن ثوبها لم يشبك بأى منها في خلال ذلك الهبوط . . . الخ . إن الحلم التمهيدى يشير إلى منزل والدى هذه السيدة . وأما الكلمات التى ألفت بها في المطبخ فلا شك في أن المريضة قد سمعت أمها ترددها مراراً . وأكوام أوعية

المطبخ مستمدة من دكان متواضع لبيع الأواني بأسفل منزلهم . فأما الجزء الثاني من هذا الحلم التمهيدى فيشير إلى والد الحاملة ، وكان لا يكف عن مطاردة الخادومات ، إلى أن أصابه في أثناء الفيضان مرض أودى به - وكان منزلهم يقع على ضفة النهر . فالفكرة المسترة وراء الحلم التمهيدى يمكن صوغها على هذا النحو : « وإذ كنت ولدت في هذا المنزل ، في هذا الجو الوضع المكتسب . . . » والحلم الرئيس يرجع فيتناول هذه الفكرة عنها ويصوغها من طريق تحقيق الرغبة في الصورة الآتية : « إننى أنحدر من سلالة عالية . » والقراءة الصحيحة للحلم هي إذن : « وإذ كنت أنتهى إلى هذا الأصل الوضع ، فقد كانت حياتى كيت وكيت . »

وانقسام الحلم جزئين متفاوتين في الطول لا يدل في كل حالة - بقدر ما أعلم - على وجود علاقة عليية بين الفكرتين المتضمنتين في هذين الجزئين . فكثيراً ما يبدو الأمر كأن كلا الحلمين يعالج ذات المادة من وجهة نظر مختلفة ، وتلك هي الحال يقينا حين ترد في الليلة الواحدة سلسلة من الأحلام تنتهى بالإمناء ؛ فهذه الأحلام مراحل تقب الحاجة الجنسية من خلالها رويداً رويداً إلى تعبير أصرح . أو قد ينبعث كلا الحلمين من مركز خاص به في مادة الحلم ثم يقع بين الحلمين تداخل في المحتوى بحيث نرى ما كان إشارة عابرة في أحدهما وقد صار مركز الحلم الآخر ، والعكس . بيد أن هناك - مهما يكن - حالات يدل فيها بالفعل انشقاق الحلم شقين - تمهيد قصير وملحق طويل - على وجود رابطة عليية بين الجزئين . وأما المنهج الثانى في تصوير علاقة العلية فيستخدم حين تكون المادة أقل اتساعاً . وهو يتلخص في أن ترد في الحلم صورة - سواء لشخص أم لشيء - ثم تتحول إلى أخرى . والقول بوجود العلاقة العلية هنا لا يكون قولاً جدياً إلا حيث نرى هذا التحول في صورة الحلم يدور أمام ناظرنا ، وليس يكفى فيه أن نلاحظ أن شيئاً ما قد جاء في موضع شيء آخر كان حاضراً منذ هنية . ولقد قلت : إن هذين المنهجين في تصوير علاقة العلية هما في الحقيقة منهج واحد . وذلك لأن العلية تصور في كليهما بالتعاقب : بتعاقب الأحلام طوراً ، وبتحويل إحدى الصور إلى غيرها تحويلاً مباشراً طوراً آخر . ولكن الحق الصراح هو أن علاقة العلية لا تصور على الإطلاق في الغالبية العظمى من الحالات ، بل تضيع وسط تعاقب العناصر تعاقباً لا بد منه حتى في عملية الحلم .

وأما علاقة « إما كذا أو كذا » فلا يستطيع الحلم تصويرها على الإطلاق ، بل يدرج الحلم كلا الاحتمالين في سياق واحد كما لو كانا يتساويان في الجواز . وحلم حقنة إرما يرينا مثالا ماثورا على ذلك . فقد كان من الحلى أن الأفكار الكامنة لهذا الحلم كانت الآتية : لا ذنب لى إذا كانت آلام إرما لا تزال مستمرة ؛ فالذنب راجع إما إلى رفضها الأخذ بحلى ، أو إلى أنها تعيش في وضع جنسى لا يساعد على البرء ولا أستطيع تغييره ، أو إلى أن طبيعة آلامها هذه ليست هسترية على الإطلاق بل عضوية . ولكن الحلم يحقق جميع هذه الاحتمالات التى يكاد يمنع بعضها بعضاً ، ولا يجد مانعاً من أن يضيف إليها احتمالاً رابعاً أوحته رغبة الحلم^(١) . ثم لما فرغت من التفسير أدرجت « إما » و « أو » في سياق أفكار الحلم .

غير أنه إذا شعر الراوى وهو يستذكر حلمه بحيرة بين « إما » و « إما » كأن يقول : « كان المكان إما حديقة وإما غرفة استقبال » فقابل هذا الاحتمال في أفكار الحلم ليس احتمالاً مثلهما بل واو عطف ، أى إضافة وحسب . فنحن في معظم الأحيان نستخدم « إما كذا وإما كذا » لكى نصف بها عنصراً من عناصر الحلم اتسم بطابع من الغموض يسهل مع ذلك تبديده ؛ فالقاعدة التفسيرية في مثل هذه الحالة هى الآتية : أن نعامل كلا الاحتمالين الظاهرين كما لو كانا يتساويان صحة ، وأن نربط كلا بالآخر بوساطة واو العطف . مثال ذلك أننى ظلت زمناً طويلاً أنتظر سدى عنوان صديق لى كان مسافراً في إيطاليا ، ثم حلمت بأنى أتلقى رسالة برقية تخبرنى بهذا العنوان . لقد رأيت العنوان مطبوعاً على الرسالة باللون الأزرق ، وكانت الكلمة الأولى منه مبهمه ؛ فهى :

ربما كانت Via

أو Villa ثم تلوها الكلمة الثانية واضحة Sezerno

أو حتى Casa

إن للكلمة الثانية جرساً كجرس الأسماء الإيطالية ، وهى تذكرنى بمناقشاتى في الاشتقاقات اللغوية مع هذا الصديق ، كما أنها تعرب عن غضبى منه إذ مكث هذا الزمن الطويل يحتفظ بعنوانه سرا^(٢) . وأما الكلمة الأولى فقد ظهر أن كل احتمال من

(١) [أن يكون الذنب ذنب أوتو بمحققته المتسخة .]

(٢) [سر = Segreto في الإيطالية . ويذكر فرويد هذا الحلم مع مزيد من التفصيل في خطاب إلى

فليس - وهو الصديق المشار إليه بتاريخ ٢٨ أبريل ١٧٩٨ . أنظر الخطاب ٦٠ في فرويد ١٩٥٠ أ .]

احتمالاتها كان نقطة ابتداء تفرعت عنها سلسلة من الأفكار ، نقطة قائمة بذاتها مساوية للآخرين في صوابها .

وقد حلمت في خلال الليلة التي سبقت تشييع جنازة والدى بلائحة أو لافتة مطبوعة أشبه ما تكون باللافتات التي تحرم التدخين في حجرات الانتظار بمحطات السكة الحديدية ، وكتب على هذه اللافتة : المرجو أن تغلق كلا العينين
أو

المرجو أن تغلق إحدى العينين
وهو ما أكتبه عادة في الصورة الآتية :

المرجو أن تغلق $\frac{\text{كلا}}{\text{إحدى}}$ العينين

إن لكلا هذين النصين معناه المستقل ، وكلاهما يضرب في اتجاه مستقل حين نشرح في تفسير الحلم . فقد كنت اخترت لجنازة والدى أبسط الطقوس الممكنة ؛ لأنني كنت أعلم رأي الراحل في أمثال هذه المراسيم . ولكن هذه البساطة الطهرية^(١) لم ترض سائر أعضاء الأسرة : فقد رأوا في ذلك مجلبة للعار بين المشيعين . ومن ثم جاء في إحدى القرائتين : « أن تغمض إحدى العينين » أي « أن تغض الطرف » . فالإبهام الذي أعربت عنه « إما - وإما - » يسهل تفسيره هنا بنوع خاص : فعمل الحلم أخفق في أن يجد لفكرتي الحلم صيغة لفظية موحدة ولكنها مزدوجة المعنى ، ولهذا انشقت في محتوى الحلم الظاهر سلسلتا الفكر الرئيستان .

هذا ، وهناك حالات قليلة تحل فيها صعوبة تصوير الاحتمال بقسمة الحلم قسمين متساويين في الطول .

وأما مسلك الحلم بازاء مقولة التضاد والتناقض فمسلك يسترعى النظر إلى أبعد مدى : فالحلم لا يزيد على أن يغفل هذه المقولة إغفالا ، أي أنه لا يعرف شيئا اسمه « كلا » . فهو يبدى إثارة خاصة نحو إدماج الأضداد في كل واحد أو تصويرها على أنها شيء واحد . وهو - فوق ذلك - يستيح لنفسه أن يصور أي عنصر من عناصره بوساطة ضده

(١) [الطهريون لفظ أطلق على طائفة بروتستانية تتمسك بحرف الكتب المغلفة تمسكا شديدا ، ثم صار يطلق بوجه عام على المرتزقين .]

المرغوب فيه ؛ بحيث يعجز المرء للوهلة الأولى - إذا ورد في الحلم عنصر يقبل الضد - عن أن يعرف ما إذا كانت أفكار الحلم قد حوت هذا العنصر في صورة موجبة أم سالبة ^(١) . وفي أحد الأحلام التي رويناها أخيراً (وهو حلم فسرنا جزأه الأول : « إذ كنت أنتهى إلى مثل هذا الأصل . . . ») رأت الحاملة نفسها تهبط فوق الحواجز وقد حملت في يدها غصناً مزدهراً . ولقد خطر لها في صدد هذه الصورة كيف يحمل الملك عوداً من الزنبق في يده في صور البشارة إلى مريم (وكانت هي تدعى مريم) ، ثم كيف تسير العذارى في موكب عيد المسيح ^(٢) بينا ازدانت الطرق بالغصون الخضراء . وهكذا يشير الغصن المزدهر في الحلم إلى الطهارة الجنسية ، ذلك لا ريب فيه . بيد أن الغصن قد غطته في الحلم أزهار حمراء تشبه الكاميليا ، ولقد مضى الحلم حتى بلغت الحاملة نهاية مسيرها وإذا الزهر قد ذوى معظمه أو كاد ، ثم تجيء بعد ذلك إشارات إلى الطمث ما في فهمها من شك . فذات الغصن الذي تحمله الحاملة مثل زنبقة تحملها فتاة طاهرة يلمح في الوقت عينه إلى عادة الكاميليا ؛ فنحن نعرف عن هذه أنها كانت تحمل كاميليا بيضاء اللون ، إلا وقت الطمث فتحمل حمراء . وذات الغصن المزدهر يمثل الطهارة الجنسية ويمثل ضدها (أنظر « أزهار العذراء » في أغنية الطحانة عند جوته) ^(٣) . وذات الحلم الذي يعرب عن فرحها لأنها قد نجحت في المسير عبر الحياة دون أن تفقد بكارتها يتركنا نلمح في بعض مواضعه (مثل ذبول الأزهار) وميض أفكار أخرى مضادة ، فحواها استذئاب النفس لأنها ارتكبت أنواعاً من الآثام في حق النقاوة الجنسية (أى ارتكبتها في

(١) لقد أدهشني أن أعلم من مؤلف كتبه ك . آبل " تضاد المعنى في الكلمات القديمة " (١٨٨٤) (وانظر تعليق عليه ، ١٩١٠ هـ) - أدهشني أن أعلم تلك الواقعة التي أيدتها لغويون آخرون : أن أعظم اللغات قدما تسلك في هذا الصدد مسلكاً يشبه مسلك الحلم تمام الشبه . فهذه اللغات تملك في مبدأ الأمر كلمة واحدة تعرب بها عن طرفين متضادين تتدرج بينهما سلسلة من الكيفيات أو الأفعال (مثل : قوى - ضعيف ، عجوز - حدث ، بعيد - قريب ، يربط - يخل) ، ولا تصل إلى حدود متباينة للأضداد إلا فيما بعد ، بإحداث تغيير طفيف في الأصل المشترك . ويبرهن آبل على هذه الخاصة استناداً إلى اللغة المصرية القديمة بنوع خاص . ولكننا نستطيع أن نعين آثاراً واضحة لهذا التطور عينه في اللغات السامية والإنلوجرمانية .

(٢) [عيد يقع في الخميس الثاني بعد عيد العنصرة وفيه يخرج المسيحيون في موكب من كنيستهم ثم يطوفون بشوارع البلدة ويعود الموكب إلى الكنيسة .]

(٣) [Der Mullerin Verrath أو " خيانة الطحانة " قصة منظومة لجوته ، جاء فيها أن رجلاً قضى ليلة غرام - أو ما ظنه كذلك - مع طحانة جميلة ، فلما أصبح الصباح باغته أهلها بتدبير منها لكي يسألوه الحساب عن " أزهار العذراء " .]

طفولتها) . ولقد أمكن عند تحليل الحلم أن نفرق تفرقة واضحة بين هاتين السلسلتين الفكريتين اللتين بدت أولاهما — تلك التي ترفه — طافية على السطح ، في حين شغلت الثانية — تلك التي تؤنب — طبقة أعمق ، واللتي صور ما بينهما من عناصر متشابهة وإن تكن متقابلة بوساطة ذات العناصر في محتوى الحلم الظاهر .

غير أن هناك علاقة منطقية واحدة تعين ميكانيكية تكوين الحلم على تصويرها إلى أبعد حد ، تلك هي علاقة التشابه أو التوافق أو التقارب ، العلاقة التي يعرب عنها قولنا : « مثل كذا تماماً » . إن هذه العلاقة تجد من تعدد الوسائل في تصويرها ما لا تجده أى علاقة أخرى. ^(١) فحالات « مثل » أو نظائرها المتضمنة من قبل في مادة الحلم هي الأساس الأول الذى يبنى عليه كل تكوين الحلم ، كما أن جزءاً لا يستهان به من عمل الحلم يقوم في خلق نظائر جديدة من هذا القبيل إذا كانت تلك الموجودة من قبل لا تستطيع النفاذ إلى الحلم بسبب الرقابة . وإن تصوير علاقة التشابه ليسند نزوع عمل الحلم إلى التكشيف .

فالتشابه والتوافق والحصول على محمولات مشتركة ، كل هذه يصورها الحلم بأن يدمج طرفى العلاقة في وحدة إما أن تكون متضمنة من قبل في مادة الحلم وإما تخلق خلقاً جديداً . والاحتمال الأول تجوز تسميته تعييناً ، وأما الاحتمال الثانى فنسميه مزجاً . ويستخدم التعيين حين يتعلق الأمر بالأشخاص ، وأما المزج فحين تكون مادة التوحيد هي الأشياء — وإن جاز أن يقع المزج بين الأشخاص كذلك ، كما أن الأماكن قد تعامل في كثير من الأحيان معاملة الأشخاص .

ونجد في التعيين أن شخصاً واحداً من الأشخاص الذين يربط بينهم جامع مشترك هو الذى يظهر دون غيره في محتوى الحلم ، بينما يبدو الشخص الثانى أو الأشخاص المتبقون كأنما قمعوا في الحلم ^(٢) . ولكن هذا الشخص الذى يحجب الآخرين يظهر في الحلم بكل العلاقات والمواقف التي تصدق عليه وعلى سائر من يحجب . وأما في المزج — حين

(١) أنظر ملاحظة أرسطو في المواهب التي تلزم من يفسر الأحلام [أنظر ما سبق ص ٢٨١٢٧] .

(٢) [فكأن هؤلاء الأشخاص قديمين بالشخص الظاهر في الحلم ، أى أخذاً وصورته وجعلوا إياه وعرفوا به . ويلاحظ ستراشى بحق أن التعيين هنا غير التعيين الذى تحدث عنه فرويد من قبل في ص ١٧٢ . فالتعيين هنا عملية من العمليات التي يجربها المرء على شخصين — أو على شيئين أحياناً — أو أكثر . بينما التعيين هناك هو العملية أو =

يمتد المزج إلى الأشخاص - فتجىء صورة الحلم حاوية على ملامح من هذا الشخص وملامح من ذاك ، ولكنها ليست بالملامح المشتركة بينهما ، بحيث يؤدي التوحيد بين هذه الملامح إلى ظهور وحدة جديدة ، أى شخص مركب . وقد تقع عملية المزج على أنحاء مختلفة : فالشخص الظاهر في الحلم قد يحمل اسم أحد الشخصين المرتبطين به - وحينئذ نعلم أن المعنى هو هذا الشخص أو ذاك على نحو يماثل كل المماثلة نحو معرفتنا في اليقظة - بينما تكون ملامحه المرئية هي ملامح الشخص الآخر . أو قد تتركب صورة الحلم المرئية من ملامح يرجع بعضها في الحقيقة إلى أحد الشخصين ويرجع بعضها الآخر إلى الشخص الآخر . أو قد لا يشارك الشخص الثانى في صورة الحلم بملامحه المرئية بل بالحركات التى نظهره بها أو الكلمات التى نجعله يفوه بها أو المواقف التى نضعه فيها - وفى هذا النوع الأخير من المزج يأخذ الفرق بين التعيين والمزج فى الزوال . غير أنه قد يحدث أيضاً أن يفشل الحلم فى تكوين مثل هذا الشخص المركب ، وفى هذه الحالة نجد مشهد الحلم ينسب إلى أحد الشخصين بينما لا يخطر الثانى - وهو فى العادة الشخص الأهم - فى هذا المشهد إلا باعتباره حاضراً وحسب . ويصف الحلم هذا الوضع بأن يقول مثلاً : كانت أمى أيضاً هناك (شتيكل) . ومثل هذا العنصر فى محتوى الحلم تجوز إذن مقارنته بمخصّصات الكتابة الهيروغليفية التى لا يراد بها أن تنطق ، وإنما تجعل لكى توضح سائر العلامات ^(١) .

والعنصر المشترك الذى يبرر توحيد كلا الشخصين أو - بالأحرى - يسببه قد يتمثل فى الحلم وقد يغيب . ولكن القاعدة هى أن التعيين أو تكوين الأشخاص المركبة إنما يستخدم على التحقيق من أجل تصوير هذا العنصر المشترك . فأنا بدل أن أقول : « إن أ يعادبنى وكذلك ب » أبتدع فى الحلم شخصاً مركباً من أ و ب ، أو أتخيل أ وهو يعمل عملاً من نوع يخالف ما عرف عنه ويتميز به ب . والشخص الذى أحصل عليه

العلاقة التى بها وفيها يتكون الأنا . فالفرق بين المعنيين على اشتراك اللفظ قد لا يعدله - إذا جاز لنا اللجوء إلى مماثلة مستمدة من مجال الفلسفة - سوى الفرق بين " الفكر " فى الكوجيتو الديكأتى و " الفكر " بمعنى هذه العملية الفكرية أو تلك ، كما يكون فى حل مسألة حساب أو شطرنج أو غيره . وربما كان فى قولنا هناك : " التعيين الذاتى " - بينما نكتفى هنا بأن نقول : " التعيين " وحسب - ما يشير إلى هذا الفارق أو ينبه إليه . [(١) (Determinativum) - ترجمناه بالمخصصات فقلا عن الدكتور عبد المحسن بكير فى كتابه " اللغة المصرية القديمة فى عصرها الذهبى " .]

بهذه الطريقة أوتلك يخطر لى فى الحلم فى سياق جديد ما ، وإن كونه يومئى إلى أ و ب على السواء ليخول لى الحق فى أن أضع ما هو مشترك بين هذين - وأعنى به موقفهما العدائى نحوى - فى موضعه المناسب من تفسير الحلم . وبهذه الطريقة يتسنى لى فى كثير من الأحيان أن أحقق تكتيفاً خارقاً فى محتوى الحلم : فأنا أستطيع أن أجنب نفسى مؤنة التصوير المباشر لما قد يرتبط بأحد الأشخاص من ملابسات شديدة التعقيد إذا وجدت شخصاً آخر يشاركه بعض هذه الملابس . ومن السهل كذلك أن نرى كم ينفع هذا التصوير فى مداورة الرقابة الناجمة عن المقاومة ، هذه الرقابة التى تفرض على الحلم شروطاً من الصعوبة بمكان : فالرقابة قد تكون موجهة إلى أفكار معينة ترتبط فى مادة الحلم بشخص دون غيره ، وأنا لذلك ألتبس شخصاً ثانياً يرتبط هو الآخر بهذه المادة المعترض عليها ، ولكن بجزء منها ليس غير ، وعندئذ يخول لى هذا التماس القائم بينهما فى تلك النقطة الخاضعة للرقابة أن أكون من كليهما شخصاً مزيجاً يُخصَّصُ بما فى كليهما من سمات لاخطر منها ، وهذا الشخص المتولد عن المزج أو عن التعيين يدرج الآن فى محتوى الحلم حراً من الرقابة ، بينا أكون من جانبي قد أرضيت هذه الرقابة بإعمال التكتيف .

وحيثما يصور فى الحلم عنصر مشترك بين شخصين ، كان ذلك فى العادة بمثابة إشارة تدعونا إلى أن نبحث عن عنصر مشترك آخر مستتر ، حالت الرقابة دون تصويره . أى أن ذلك دليل على أن نقلا قد وقع فيما يتصل بالعنصر المشترك لكى يتيسر تصويره . وعلى ذلك إذا تراءى لى فى الحلم شخص مزيج يحمل سمة مشتركة خالية من الوزن ، حملنى ذلك على أن أستنتج أن ههنا عنصراً آخر مشتركاً بعيداً كل البعد عن أن يكون على هذا الخلو من القيمة .

وبذلك يخدم التعيين وتكوين الأشخاص المزيجية أهدافاً متنوعة فى الحلم : أولها تصوير عنصر مشترك بين شخصين ، وثانيهما تصوير عنصر مشترك أصابه النقل ، ثم الثالث وهو التعبير عن شركة مرغوب فيها ليس غير . وإذا كانت الرغبة فى أن يشترك شخصان فى وجه من الوجوه توافق فى أحيان كثيرة الرغبة فى مبادلة الواحد بالآخر ، كانت هذه العلاقة الأخيرة أيضاً يُعَرَّبُ عنها فى الحلم بوساطة التعيين : ففى حلم حقنة إرما أود لو استبدلت بإرما المريضة الأخرى ، أى أننى كنت أود لو قد كانت هذه الأخرى مريضتى مثلما كانت إرما ، والحلم يحسب حساب هذه الرغبة حين يرينى

شخصاً اسمه إرما ولكنه يفحص في وضع لم يتفق لى قط أن رأيت فيه غير المرأة الأخرى .
وفى حلم عمى نصادف تبديلاً من هذا القبيل صار هو النقطة الرئيسة في الحلم : فأنا أعين
نفسى بالوزير حين أبدأ نحو زميلى مسلماً وحكماً لا يفضلان مسلك الوزير وحكمه في
شئ [أنظر ص ٢١٣] .

ولقد علمتني خبرة لم أجد لها استثناء أن كل حلم يدور حول الحلم نفسه . فالأحلام
على أنانية مطلقة^(١) ، وإذا لم يظهر أناى في محتوى الحلم بل ظهر شخص غريب ،
جاز لى أن أفترض وأنا مطمئن أن أناى يكمن مستراً وراء ذلك الشخص الآخر بوساطة
التعيين ، وجاز لى أن أدرج أناى في السياق . ويحدث في أحيان أخرى – حين يظهر
أناى في الحلم – أن ينبثق الموقف الذى يكون فيه ظهوره أن شخصاً آخر يختبئ وراء
هذا الأنا بوساطة التعيين كذلك . وعندئذ يجب على الانتباه عند تفسير الحلم إلى أن أحول
إلى أنا وجه الاشتراك المستتر المنسوب إلى هذا الشخص . وهناك كذلك أحلام يظهر
فيها أناى بجانب أشخاص آخرين يتضح مرة أخرى حين نحل التعيين أنهم أناى . ولا بد
في هذه الحالة من أن تكون تلك التعيينات قد مكنتني من أن أجمع بين أناى وبين
تصورات بعينها كانت الرقابة تحول دون قبولها . وهكذا يكون في مستطاعى أن أصور
أناى في الحلم مرات ومرات ، تصويراً مباشراً تارة ، وبوساطة تعيينه بأشخاص غرباء تارة
أخرى . وتعدد أمثال هذه التعيينات يمكن من تكثيف كمية ضخمة من أفكار الحلم^(٢) .
وإن ورود أنا الحالم في الحلم مرات متعددة أو في هيئات مختلفة ليس في الحقيقة بأعجب
من وروده في أفكارنا الشعورية مرات متكررة وبمواضع مختلفة أو في علاقات متغيرة
– أنظر مثلاً هذه القضية : حين أذكر أى طفل صحيح كنت^(٣) .

وحل التعيينات أسهل فيما يتعلق بأسماء الأعلام الدالة على الأماكن منه في الأشخاص ؛
فهنا يغيب تدخل الأنا الذى يملك على الحلم كل هذا السلطان . وقد حدث في أحد

(١) أنظر هامش ٢ في ص ٢٨٥ .

(٢) حينما أشك في الشخص الذى ينبغي على أن أبحث عن أناى وراءه بين الأشخاص الظاهرين في الحلم ،
أتبع القاعدة الآتية : الشخص الذى تعرض له في الحلم حالة وجدانية أشعرها أنا نفسى وأنا نائم – هذا الشخص
هو الذى يخفى أناى .

(٣) [لا يغيب عن القارئ أن ضمير المتكلم يظهر في العبارة الألمانية في صورة لفظية مستقلة : Ich .
فن المعلوم أن اللغة الألمانية شأن الكثير من اللغات الأوروبية الحديثة " تجوهر " الضمير في صورة لفظية قائمة
بذاتها ، بينما هو لا يدل عليه في لغتنا العربية وفي كثير من اللغات الأخرى إلا بتصرف الفعل .]

أحلامي عن روما (ص ٢١٥) أن دعى المكان الذى رايتنى فيه روما ، ولكننى دهشت لكثرة ما رأيت فيه من اللافتات المكتوبة باللغة الألمانية على ناصية الطريق . وكانت هذه اللوحة الأخيرة تحقيق رغبة جعلنى أفكر على الفور فى پراج - ولعل الرغبة ذاتها كانت ترجع إلى مرحلة الحماسة للقومية الألمانية ، وهى مرحلة مرت بها فى شبابه ثم انطوت . ذلك أنى حين أتيت هذا الحلم كنت أتوقع لقاء صديقى [فليس] عن قريب فى مدينة پراج ؛ وهكذا يعلل تعيين روما و پراج كلا بالأخرى بشركة كانت موضوع رغبة : فأننا أوتر لقاء صديقى فى روما على لقائه فى پراج ، وأود لو بدلت روما بـ پراج من أجل هذا اللقاء .

فأما القدرة على خلق الأشكال المزيحة فهى أكبر الخصائص التى تفضى على الأحلام هذا الطابع المغرب فى الخيال الذى يكثر اتسامها به . ذلك أن هذه القدرة هى التى تدخل فى محتوى الحلم عناصر ما كانت لتعرض قط لإدراكنا الحسى . ومن الواضح أن العملية النفسية التى تجرى فى أثناء هذا المزج هى التى تقع حين نتخيل كائنا مثل القنطورس أو التنين ، أو حين نرسمه . كل الفرق هو أن التاج المتخيل فى اليقظة لا يسترشد غير التأثير المستهدف لإحداثه من وراء الشكل الجديد ، على حين أن مزيج الحلم محتوم بعامل يخرج عن دائرة خصائصه الشكلية ، وأعنى به العنصر المشترك فى أفكار الحلم . ومن الممكن أن يتحقق المزج فى الحلم على أنحاء تتعدد غاية التعدد . وأقل هذه من حيث مهارة الصنعة هو أن تصور خصائص شىء من الأشياء تصويراً يصطبغ بمعرفتك أن هذه الخصائص تنتسب كذلك إلى موضوع آخر . وطريقة أخرى تزيد عن سابقها عناية ، هى التى تجمع خصائص كل من الموضوعين فى صورة جديدة وتنتفع فى أثناء ذلك انتفاعاً ماهراً بكل ما يمكن أن يوجد فى الواقع من أوجه الشبه بين الموضوعين ، والصورة الجديدة قد تلوح لنا شيئاً تجرد من المعقولة كل التجرد ، وقد تبدو عملاً ناجحاً من جانب الخيلة ، على حسب المادة وعلى حسب البراعة المبذولة فى تركيبها . فإذا كانت الموضوعات المراد تكثيفها فى وحدة أخلاطاً مبعثرة كل التبعر ، غلب أن يكنى عمل الحلم بأن يخلق منها صورة مزيحة ذات نواة متميزة بعض الشىء تصحبها عدة من السمات الأقل تميزاً . وفى هذه الحالة تكون عملية التوحيد فى صورة مفردة كأنما قد بادت بالفشل : فكلما التصورين قد غطى الآخر ، ونجم عن ذلك ما يشبه التزاع بين صورتين بصريتين .

ويستطيع المرء أن ينتهى إلى تصويرات مماثلة إذا هو ابتغى أن يبين فى رسم تَكُونُ أحد التصورات الكلية من صور المدركات الحسية الجزئية .

والأحلام بالطبع تعج بأمثال هذه الصور المزيجة . ولقد سردت من قبل أمثلة منها عرضت فى الأحلام التى حللتها حتى الآن . وهأنذا ألحق بها أخرى : إذا رجعنا إلى الحلم الذى ذكرته فى ٩ ص ٣٢٥ والذى يصف تاريخ حياة المريضة « بلغة الأزهار » ، رأينا أنا الحاملة يُصوّر ممسكا فى يد غصنا ناضراً كان يشير — كما رأينا — إلى الطهارة وإلى الخطيئة الجنسية فى آن واحد . وإن الطريقة التى انتشرت بها الأزهار على الغصن قد ذكرت الحاملة — فوق ما سبق — بأزهار الكريز ، وأما الأزهار فى ذاتها — كل على حدة — فتذكرها بالكاميليا ، ثم الكل مجتمعاً يوحي بعد ذلك بنبات من أرض غربية . ولقد أظهرتنا أفكار الحلم على الجامع المشترك بين عناصر هذه الصورة المركبة : فالغصن المزدهر قد ركب من إشارات إلى هدايا قدمت إليها واكتسب بها مقدموها ودها أو أرادوا اكتسابه : هكذا الكريز فى طفولتها والكاميليا فى مستأنف السنين . وأما النبات الغريب الأرض فيلمح إلى عالم طبيعى كثير الطواف توصل إلى رضاها بزهور رسمها لها . وصنعت مريضة أخرى شيئاً وسطاً بين نجيرة استحمام على شاطئ البحر ومرفقة مياه منزلة من قبيل ما يوجد فى الريف وحجرة ماثلة السقف بأعلى منزل من منازل السكنى فى مدنتنا : العنصران الأولان يشتركان فى علاقتهما بالتعرى ونزع الملابس ، واقتران العنصر الثالث بهما يجعلنا نستنتج أن حجرة ماثلة السقف كانت (والحاملة طفلة) مسرحاً لمشهد من مشاهد التعرى . وهناك مريض صنع مكاناً مركباً من مكانين من الأمكنة التى يقع فيها « Kur » [= علاج وغزل] ، أحدهما غرفة استشارتى والآخر كان الملهى الذى الذى عرف فيه زوجته . وحلمت فتاة بعد أن وعداها أخوها الأكبر بأن يتمتعها بالكافيار — حلمت بأن أخاها الأكبر هذا قد تغطت ساقه بحبوب الكافيار الأسود . وهكذا نجد أن العنصر « عدوى » بالمعنى الخلقى — وأن ذكرى بئر ألم بها فى طفولتها فغطى ساقها ببقع حمراء لا سوداء ، قد اتحدا مع حبوب الكافيار فى تصور جديد ، هو تصور « ما نابها من أخيها » . ولقد عوملت أجزاء الجسم الإنسانى فى هذا الحلم — كما فى غيره من الأحلام — معاملة الموضوعات . وفى حلم رواه فرنتسى وردت صورة ركبت من شخص أحد الأطباء ومن حصان ، ثم بعد ذلك ألبست الصورة قميصاً من قمصان النوم .

وبالتحليل تبين وجه الاشتراك بين هذه العناصر الثلاثة حين عرفت المريضة في قميص النوم إشارة إلى والدها كما رأته في مشهد من مشاهد الطفولة . فالأمر يتصل - في مقومات الحلم الثلاثة - برغبة الحاملة الجنسية في الاستطلاع ؛ ولقد كانت المريضة تصحب مربيتها في أحيان كثيرة إلى إصطبل تابع للجيش حيث كان يتاح لها أن تشبع تطلعاتها الجنسي - ولم يكن مسه الكف بعد - ما أرادت .

وسبق أن قلت [ص ٣١٥]: إن الحلم لا يملك وسيلة ما في الإعراب عن علاقة التناقض أو التضاد، عن « كلا » . وسأخذ الآن في مناقضة هذه القضية للمرة الأولى . فهناك طائفة من الحالات التي يمكن أن نعدّها حالات « تضاد » تصور في الحلم بوساطة التعيين ليس غير ، ويكون ذلك على التحقيق - كما رأينا [ص ٣٣٢] - إذا أمكن أن تقرن فكرة التضاد بفكرة المقايضة أو التبديل - ولقد أعطيت أمثلة متكررة على ذلك من قبل . وبين أفكار الحلم طائفة أخرى من الأضداد - يصح إدراجها في مقولة « القلب أو العكس التام » - تبلغ إلى التمثل في الحلم بطريقة عجيبيّة ، حتى لتكاد تستحق وصفها بالتنكيت . و « الضد الذي هو عكس » لا يمثل هو نفسه في محتوى الحلم ، ولكنه يفصح عن وجوده في مادة الحلم بالطريقة الآتية : أن يقلب في محتوى الحلم الذي تم تكوينه جزء اتفق وقوعه لأسباب خارجية على مقربة من هذا الضد كأنما جاء ذلك القلب من بعد . والتمثل لهذه العملية أسهل من وصفها : خذ مثلاً الحلم الجميل - حلم الصعود والتزول المذكور في ص ٢٩٨ -

تر الحلم يصور الصعود تصويراً يعكس النموذج المائل في أفكار الحلم ، أى يعكس مشهد المقدمة في رواية سافو لدوديه ؛ فهو يتم في الحلم صعباً في أوله سهلاً في آخره ، على حين أنه يسهل في مبدأ ذلك المشهد ثم يصعب شيئاً فشيئاً . ثم « الأعلى » و « الأسفل » فيما يتصل بعلاقة الحالم بأخيه قد صوراً أيضاً تصويراً مقلوباً . ولقد كان في ذلك ما يشير إلى وجود علاقة قلب أو تضاد بين جزئين من أجزاء المادة المحتواة في أفكار الحلم ، وهي علاقة وجدناها فيما تخيله الحالم من حمل مرضعه إياه على عكس ما يحمل البطل محبوبته في الرواية . ثم الحلم الذي أرى فيه جوته يهجم على السيد م . (أنظر ما بعد [ص ٤٣٨]) ، ليس يحوى مثل هذا القلب الذي يجب علينا أن نبدأ بعدله قبل أن نستطيع أن نفسر الحلم تفسيراً صحيحاً ؟ لقد هاجم جوته في الحلم شاباً حديث السن هو السيد م . ، والحقيقة المتضمنة في أفكار الحلم هي أن رجلاً ذا خطر ، صديق [فليس] ، قد تهجم عليه

مؤلف نكرة حديث السن . وأنا في الحلم أحسب السنين ابتداء من تاريخ وفاة جوته ، وأما في الحقيقة فيبدأ الحساب من سنة ميلاد المريض المشلول . والفكرة التي تبين أنها قد كانت القول الفصل في مادة الحلم كانت المعارضة في أن يعامل جوته كما يعامل مخبول ، فالحلم كان يقول : « على العكس ، إذا أنت لم تفهم الكتاب فضعيف العقل أنت لا صاحب الكتاب . » ويلوح لي - عدا ذلك - أن جميع أحلام القلب هذه لا تخلو من معنى الازدراء المتضمن في قولنا : « أدار له ظهره . » ^(١) (أنظر قلب العلاقة بالأخ في حلم سافو . [ص ٣٠١]) وخلق بنا أن نلاحظ - فوق ذلك - كيف يكثر استخدام القلب في الأحلام الصادرة على التحقيق عن دوافع جنسية مثلية مكبوتة .

والقلب أو التحويل إلى الضد هو بعد ذلك وسيلة من آثار وسائل التصوير إلى عمل الحلم وأكثرها تنوعاً من حيث أوجه استخدامها . فهو يستخدم أول ما يستخدم في مساندة تحقيق الرغبة بالنسبة إلى عنصر معين بين العناصر المتضمنة في أفكار الحلم . وإن قولنا : « لو أن الوضع انعكس ! » هو في كثير من الأحيان أحسن ما يعرب عن استجابة الأنا بالنسبة إلى صفحة أئمة من صفحات الذاكرة . ولكن قيمة القلب تظهر بنوع أخص حين يعمل لخدمة الرقابة ؛ لأنه يحدث مقداراً ضخماً من التشويه في الأفكار المراد تصويرها ، بحيث نرى فهماً للحلم وقد مثل للوهلة الأولى شلاً . ولذلك لم يكن ضير - كلما عتد الحلم ولم يسلم معناه - في أن نجرب قلب أجزاء معينة في محتواه ، وحينئذ لا يندر أن يتضح كل شيء على الفور .

وهناك إلى جانب القلب في المحتوى المادى قلب آخر ينبغي علينا أن نحسب حسابه ، هو قلب الترتيب الزمني . فن الطرق الشائعة في تشويه الحلم أن تُصور خاتمة حدث أو نتيجة عملية فكرية في صدر الحلم على حين ترجأ إلى نهايته المقدمات التي بنيت النتيجة عليها أو العلل التي نجم الحدث عنها . وكل من نسي هذه الحيلة الفنية في تشويه الحلم صائر ولا شك إلى الوقوف في تفسيره ^(٢) .

(١) [Kehrseite ويعني الظهر والوجه المقلوب لشيء .]

(٢) إن النوبات المستترية تستخدم أحياناً هذه الطريقة عينها - طريقة قلب الترتيب الزمني - لكي تخفى معناها عن المشاهد . مثال ذلك فتاة هسترية كانت نوبتها تصور مفامرة غرامية قصيرة تخيلتها في لا شعورها بعد أن التقت برجل ما في سكة حديد الضواحي : كيف يجتذب جمال قدمها الرجل فيأدبها بالحديث بينما كانت تقرأ ، وكيف تصحبه هي على أثر ذلك ثم تحيا معه مشهداً غرامياً عاصفاً . كانت نوبتها تبدأ بتصوير هذا المشهد الغرامي (٢٢)

والحق أن هناك حالات لا يكشف فيها المرء معنى الحلم إلا بعد أن يجرى على محتواه قلباً متعددًا ، مختلف الأوجه . مثال ذلك شاب كان يعاني عصاباً قهرياً نرى عنده ذكرى الرغبة الطفلية في موت الأب المخوف وقد اختفت وراء حلم كان ذلك نصه : يشتمه والده نجبته إلى المنزل متأخراً جداً . إن موقع الحلم من سياق العلاج التحليلي ثم مستدعيات الحالم قد بينت أن الأصل يجب أن يقرأ على هذا النحو : أنه — هو — غاضب على والده ، وأن والده كان — في رأيه — يعود دائماً إلى المنزل مبكراً جداً (أى سريعاً جداً) . والحالم كان يؤثر ألا يرجع والده على الإطلاق ، وهى رغبة لا تختلف فى شيء من الرغبة فى موت الأب (أنظر ص ٢٧١) ، فقد حدث وهو طفل صغير أنه أذنب بعدوان جنسى على طفل آخر فى خلال غيبة موقوتة لأبيه ، فكان عقابه هذا الوعيد : « انتظر حتى يعود أبوك ! »

فإذا أردنا أن نمضى فى دراسة العلاقة بين محتوى الحلم وأفكار الحلم إلى أبعد من هذا المدى فأحسن السبل الآن هى أن نتخذ من الحلم نفسه نقطة بدايتنا ، فنسأل : ما هى الدلالة التى لهذه الخاصة أو تلك من الخصائص الصورية لتصوير الحلم بالنسبة إلى أفكاره الكامنة ؟ وأولى هذه الخصائص التى لا يمكن إلا أن تسترعى نظرنا فى الحلم هى التفاوت فى الشدة الحسية بين مختلف صور الحلم وتميز أجزاء معينة منه — أو تميز أحلام بأكملها — إذا هى قورنت فيما بينها . والتفاوت فى الشدة الحسية بين مختلف صور الحلم يشمل سلباً بأجمعه يتدرج من حدة فى الصك ينجح المرء — وإن يكن بغير حق — إلى وصفها بأنها تفوق الواقع ، إلى غموض محقق نعلن أنه سمة تتميز بها الأحلام لأنه لا يقبل المقارنة الصحيحة بأى درجة من درجات اللاتميز الذى قد ندركه فى الموضوعات الحقيقية . يضاف إلى ذلك أننا فى العادة نصف الانطباع الذى نلتقاه من موضوع غير متميز من موضوعات الحلم بقولنا إنه انطباع « سريع المرور » بينما نخیل إلينا أن صور الحلم المتميزة قد تعرضت لإدراكنا زمناً أطول . وسؤالنا الآن هو : أى شروط فى مادة الحلم تجلب هذا التفاوت فى الشدة الحسية بين مختلف أجزاء الحلم ؟

بوساطة تشنجاتها الجسمية (وكانت فى خلالها تحرك شفتيها تصويراً للقبل ، وتبسط ذراعيها تصويراً للعناق) ، ثم بعد ذلك تندفع إلى الغرفة المجاورة وتجلس على مقعد وترفع رداءها حتى يظهر قدميها بينما تتصنع قراءة كتاب ، ثم بعد ذلك تحدث إلى (أى تجيبى) . وهذه المناسبة أنظر ملاحظة آرتيميدوروس : « على المرء حين يفسر الأحلام أن يستعرضها من البداية إلى النهاية ، ثم مرة أخرى من النهاية إلى البداية . . . »

إن علينا في هذا الموضوع أن نناقش أولاً عدة من المظان لا يكاد يكون مفر من تواردها على الذهن . فإنه إذا كانت مادة الحلم تضم إحساسات حقيقية نشعر بها أثناء النوم ، فأغلب الظن أننا سنفترض مقدماً أن هذه الإحساسات أو عناصر الحلم المستمدة منها تحظى في محتوى الحلم بشدة خاصة ، فإذا عكسنا هذه القضية خرج أن ما يبدو في الحلم ذا شدة حسية خاصة لا بد راجع إلى مثل هذه الإحساسات الحقيقية الحادثة في خلال النوم . غير أن خبرتي الخاصة لم تؤيد هذا القول قط . فليس من الصحيح أن عناصر الحلم المستمدة من إحساسات النوم الحقيقية (أى من المنبهات العصبية) تتمتع بشدة خاصة دون غيرها من العناصر الناشئة عن الذكريات : إن عامل الواقع صفر في تحديد شدة عناصر الحلم . .

وقد يظن المرء بعد ذلك أن هناك علاقة بين الشدة الحسية التي لمختلف صور الحلم (وأعني حديثها) وبين الشدة النفسية التي للعناصر المقابلة لها في أفكار الحلم . وفي هذه الحالة تكون الشدة الحسية مطابقة للقيمة النفسية : فأعلى العناصر شدة هي أيضاً أهمها ، تلك التي تكون النقطة الرئيسية في أفكار الحلم . نعم ، إننا نعلم أن هذه العناصر بالذات لا تلقى في معظم الأحيان قبولا في محتوى الحلم بسبب الرقابة ، ولكن من الجائز مع هذا أن تعزز مشتقاتها المباشرة التي تنوب عنها في الحلم بدرجة مرتفعة من الشدة ، دون أن تصير لذلك بالضرورة مركز الحلم . غير أن هذا التوقع ينجب بدوره عند البحث المقارن بين الحلم الظاهر ومادته الأصلية ؛ فما من علاقة بين شدة العناصر هنا وشدةها هناك ، وإنما الحق أن « انقلاباً تاماً في جميع القيم النفسية » [بتعبير نيتشه الذائع] قد وقع بين مادة الحلم والحلم . فما يشغل بين أفكار الحلم مكاناً يظهر به على سواه ، قد لا تكتشف في أحيان كثيرة نائبه الأوحده في الحلم إلا في عنصر عارض طغت عليه صور أقوى حتى حجبتة .

إن الحقيقة هي أن شدة عناصر الحلم تحدد من طريق مختلف ، يحددها عاملان مستقلان كل عن الآخر . فمن السهل أن نرى — أولاً — أن هذه العناصر التي يفصح تحقيق الرغبة عن نفسه بوساطتها تصور في الحلم تصويراً ذا شدة خاصة ، والتحليل ينبئنا — ثانياً — أن عناصر الحلم ذات الشدة الحسية الأعلى هي التي تخرج منها أيضاً أكثر المستدعيات ، أى أن هذه العناصر الأشد هي في الوقت عينه أكثر العناصر حتماً .

ولسنا نغير معنى هذه القضية الأخيرة المقامة على التجربة إذا نحن صغناها في الصورة الآتية : تتناسب شدة عناصر الحلم مع مقدار العمل التكتيفي الذي بذل في تكوينها . ولنا أن نتوقع أن يكون الإعراب في صيغة واحدة عن هذا الشرط وعن سابقه الخاص بتحقيق الرغبة أمراً يدخل في حيز الإمكان .

وأنبه هنا إلى أن المشكلة التي كنت أعالجها الآن - وأعني بها علل التفاوت في الشدة أو الوضوح بين عناصر الحلم المتفرقة - يجب ألا تخلط بمشكلة أخرى ، هي مشكلة التفاوت في الوضوح بين أحلام بأكملها أو فقرات من أحلام . فالوضوح في الحالة الأولى ضد الغموض ، وأما في الحالة الثانية فهو ضد التشوش . ولكننا لا نستطيع أن ننكر أن درجات التفاوت في هاتين الكيفيتين تصعد وتنزل معاً في كلا السليمين : فإذا بدت إحدى فقرات الحلم خالية من التشوش كانت في الأغلب مشتملة على عناصر شديدة ، وأما الحلم المختلط فيتكون على العكس من عناصر ضعيفة في الشدة . ومع هذا فالمشكلة التي تواجهنا في حالة التدرج من الوضوح الظاهر إلى التشوش والغموض أعقد كثيراً من مشكلة التفاوت في درجات الشدة الحسية بين عناصر الحلم ، بل الحق أن المشكلة الأولى مشكلة تتمتع على المناقشة هنا لأسباب سوف تبين فيما بعد [ص ٤٦٩] . هذا ، ويتفق أحياناً أن نكتشف لفرط دهشنا أن إحساسنا بوضوح الحلم أو بتشوشه لا يمت بسبب إلى صنعة هذا الحلم ، بل هو صادر عن مادة أفكار الحلم وجزء من أجزائها : مثال ذلك أني أذكر حلماً بدا لي حين استيقظت حسن الصنعة ، خالياً من الثغرات ، واضحاً ، حتى أنني عقدت العزم وأنا لم أزل في سكرة النوم على إدخال مقولة جديدة من الأحلام لا تخضع لميكانيكيات التكتيف والنقل بل يحق وصفها بكونها « تخييلات في أثناء النوم » ، فلما أنعمت النظر تبين أن هذا الحلم النادر كان فيه من خلل الصنعة وركاكتها مثل ما في سواه ، ولهذا تركت مقولة الحلم التخيلي^(١) . كان مضمون هذا الحلم - بعد أن انتهيت إليه - هو أنني أدلى إلى صديقي [فليس] بنظرية عويصة طال التنقيب عنها في الثنائية الجنسية ، وكانت قوة الحلم على تحقيق الرغبة هي المسئولة في أن بدت هذه النظرية (ولم تكن قد ذكرت في الحلم) واضحة خالية من الثغرات . وهكذا فما حسبته حكماً على الحلم المنهى كان في الحقيقة جزءاً من محتوى الحلم وأهم جزء . وكأن عمل الحلم هنا قد امتد

(١) [١٩٣٠ :] ولست أدري اليوم أمصيب أنا أم مخطئ .

إلى بواكير أفكارى المستيقظة فقدم لى فى صورة الحكم على الحلم هذا الجزء من مادة الحلم الذى لم يستطع النجاح فى تصويره فى الحلم تصويراً وافياً . ورأيت مرة حلماً يوازن حلمى هذا تماماً الموازنة عند مريضة رفضت أن تقص حلماً كان يلزم تحليله رفضاً قاطعاً بحجة أنه « غامض جداً مختلط جداً » ، ثم ذكرت بعد لآى وهى تكرر احتجاجها هذا أن الحلم قد ضم أشخاصاً كثيرين : هى وزوجها والدها ، ولم تكن تعلم إذا كان زوجها هو والدها ، أو من والدها على الحقيقة ، أو شىء من هذا القبيل . فلما قرن هذا الحلم بخواطرها أثناء الجلسة ، اتضح بما لا يرقى إليه الشك أن الأمر يتعلق بتلك القصة الشائعة بين أحداث كل يوم : قصة الخادم التى تضطر إلى الاعتراف بأنها تنتظر وليداً ولكنها لا تعلم « من هو الوالد (والد الطفل) على الحقيقة » .^(١) والغموض الذى أبداه الحلم كان إذن - فى هذه الحالة أيضاً - جزءاً من المادة التى أثارت الحلم ، أى أن بعض هذه المادة قد تمثل فى الصورة التى اتخذها الحلم : إن الصورة التى يبدو الحلم عليها أو الصورة التى يحلم بها تستخدم فى تصوير مادة الحلم الكامنة استخداماً شائعاً إلى درجة تبعث على الدهش .

والتعليقات التى نلقت بها على الحلم والملاحظات الظاهرة البراءة التى تعن لنا فى صدره - كل هذه أيضاً يكثر استخدامها فى إخفاء جزء مما نحلم به - وإن كان الأصدق بالطبع أنها تفضحه - بطريقة هى غاية فى اللطافة . مثال ذلك أن يقول حالم : إن الحلم قد انمسخ فى هذا الموضع ، ثم إذا التحليل يسوق إلى ذكرى طفلية فحواها أن الحالم قد تجسس مرة على شخص كان يمسح نفسه بعد التبرز . وها هو ذا مثال آخر يستحق أن نذكره مفصلاً : فقد حلم شاب حلماً واضحاً غاية الوضوح ذكره بتخييلات من صباه ظلت محفوظة فى شعوره ، وكان مؤدى الحلم أنه قد رأى نفسه ساعة المساء فى فندق فى مصيف وأخطأ رقم غرفته فدخل غرفة وجدها سيدة وابنتها ، وكن جميعاً يتزعن ثيابهن تأهباً للنوم ، ويمضى الحالم قائلاً : « وهنا تخللت الحلم ثغرات ، هناك شىء ناقص ، وأخيراً أرى فى الحجرة رجلاً يريد أن يلتق بى خارجها فأضطر إلى مصارعتها . » ويجهد الحالم فى غير طائل لكى يتذكر ما هو هذا التخييل الصبيانى الذى كان واضحاً أن الحلم يلمح

(١) أعراض هسترية مصاحبة عند هذه المريضة : انقطاع الطمث ثم انقباض شديد كان هو شكاتها

إليه ولكي يتذكر مرماه ، وأخيراً يتضح أن ما نبحت عنه قد أُعطيناه ، أعطتنا إياه تلك الملاحظة عن جزء الحلم غير المتميز : فإن « الثغرات » هي الأعضاء التناسلية للنسوة المتأهبات للنوم و « هناك شيء ناقص » تصف السمة الرئيسية لأعضاء التناسل عند الأنثى . وقد كان المريض يتحرق في صباه تطلعاً إلى رؤية أعضاء المرأة ، وكان لم يزل ينزع إلى الأخذ بتلك النظرية الجنسية الطفلية التي تنسب إلى المرأة عضواً مذكراً .

ويلبس حالم آخر إحدى ذكرياته المماثلة صورة جد مشابهة ، فيحلم : أذهب مع الآتسة ك . في مطعم فولكس جارتن . . . ، هنا تأتي فقرة مبهمة ، قُطِع . . . ، أراي بعد ذلك في بهو منزل من منازل البغاء حيث أرى امرأتين أو ثلاثاً ، إحداهن في قميص ولباس . . .

التحليل : إن الآتسة ك . هي ابنة رئيسه السابق وهي تقوم مقام أخت بديلة — كما يسلم هو بذلك . ولم تكن الفرصة قد سنحت له بالتحدث إليها إلا لما ، ولكن وقع مرة أن دار بينهما حديث « كان كأنما كنا نعترف في أثنائه لأنفسنا بكياننا الجنسي ، كأنما كنت أقول لها : إنني رجل وأنت امرأة » . وهو لم يدخل هذا المطعم إلا مرة واحدة مع أخت صهره — وهي فتاة يستوى أمرها في نفسه . وحدث مرة أخرى أنه صحب ثلاث سيدات إلى هذا المطعم ، وكن أخته وأخت زوجها التي ورد ذكرها ثم زوجة أخيه [وبالترجمة الحرفية : أخته بالمصاهرة] . وثلاثهن يستوين عنده إلى أقصى مدى ، بيد أن ثلاثهن يدخلن في مقولة « الأخت » . فأما منزل البغاء فكان لم يطرقه الحالم إلا نادراً ، مرتين أو ثلاث مرات في حياته .

ولقد بنى التفسير على « الفقرة المهمة » وعلى « القطع » اللذين عرضا في الحلم ، وكانت فحوى التفسير هي أن الحالم في تطلعه الصبياني قد استكشف أحياناً — وإن تكن بالنادرة — أعضاء أخته التي تصغره بأعوام قلائل . وبعد ذلك ببضعة أيام تذكر الحالم هذا الجرم الذي أوماً إليه الحلم تذكراً شعورياً .

وجميع الأحلام التي ترد في الليلة الواحدة يؤلف محتواها جزءاً من كل واحد . وإن انقسامها أقساماً متعددة وكذلك عدد هذه الأقسام ونحو تجمعها — كل هذا أمر له معناه ويجوز لنا أن نعهده إفادة منبعثة عن أفكار الحلم الكامنة . فمن الواجب حين نفسر أحلاماً تتكون من أقسام رئيسة أو حين نفسر — بوجه أعم — أحلاماً وقعت في خلال

الليلة عينها ، من الواجب ألا ننسى إمكانية أن تكون أمثال هذه الأحلام المنفصلة المتعاقبة ذات معنى واحد ، وأنها ربما كانت تعرب عن ذات الاندفاعات بمواد مختلفة . فإذا كان الأمر كذلك ، غلب أن يكون أول هذه الأحلام المتناظرة أكثرها تشويها واستحياء ، بينما تزيد اللاحقة ثقة وتميزاً .

ومن هذا القبيل حلم فرعون في التوراة ، حلم السنابل والبقرات الذي فسره يوسف . لقد روى يوسفوس (تاريخ اليهود القديم ، الكتاب الثاني ، الفصلان الخامس والسادس) هذا الحلم في تفصيل يزيد على ما ورد في التوراة . فقد جاء عنده أن فرعون بعد أن قص حلمه الأول . قال : « وبعد أن رأيت هذه الرؤيا استيقظت ، وهأنذا مبعر النفس أتدبر ما عساه يعنى هذا الطائف ، ثم عدت إلى النوم فرأيت حلماً ثانياً أعجب من سابقه ، روغني وبث الاضطراب في نفسي أكثر مما فعل الأول . . . » فلما سمع يوسف رواية الملك أجاب : « هذا الحلم معناه واحد ، أيها الملك ، وإن تراءى في صورتين . . . »

ويصف يونج في بحثه « مقال في سيكولوجية الإشاعة » كيف حلمت تلميذة حلماً عشقياً مستخفياً ففهمته قريناتها من غير تفسير ما ، ثم أخذنه عنها ووسعن منه وحرفن فيه ، وهو يلحظ في صدد إحدى روايات هذا الحلم : « أن الفكرة الأخيرة في سلسلة طويلة من صور الحلم تتضمن على التحقيق هذا الذي حاولت الصورة الأولى تصويره . فالرقابة تعمل على دفع المركب [الفكرى الانفعالى] أطول زمن ممكن بسلسلة لا تنقطع من الستائر الرمزية والنقل والأفئدة البريئة . . . الخ . » (١٩١٠ ب) . ولقد عرف شرنر هذه الخاصة في تصوير الحلم حق المعرفة ، وهو يصفها — ناظراً إليها من وجهة نظره في التنبيه العضوى — باعتبارها قانوناً كلياً ، فيقول (١٨٦١ ، ١٦٦) : « والمخيلة أخيراً تتبع قانوناً عاماً في جميع أبنية الحلم الرمزية الناشئة عن منبهات عضوية معينة ؛ فهي في مبتدأ الحلم لا تلمح إلى الموضوع الذى يصدر عنه التنبيه إلا أبعد التلميح وأقله تحريماً للحقيقة ، ولكنها تضطر في النهاية إلى أن تظهر المنبه إظهاراً سافراً ، هو أو العضو المعرض له أو وظيفة هذا العضو ، على حسب الأحوال ، وبذلك يبلغ الحلم — وقد عيّن على علته العضوية — نهايته . . . »

ولقد أتى أوتو رانك في بحثه « حلم يفسر نفسه بنفسه » (١٩١٠) بما يؤيد قانون شرنر هذا تأييداً بديعاً . فهو يروى حلماً لفتاة تكون من حلمين جاء في ليلة واحدة مع

فاصل زمني ، وانتهى ثانيهما بالإنعاض . وكان من الممكن تفسير هذا الحلم الثاني تفسيراً مفصلاً بدون مشاركة كبيرة من جانب الحائلة ، وكانت كثرة العلاقات بين محتوى الحلمين تمكننا من أن نرى أن الحلم الأول كان يعرب في استحياء عما أفصح عنه الحلم الثاني ، بحيث أعان الحلم الثاني - الحلم الذي انتهى بالإنعاض - على استجلاء الحلم الأول استجلاء كاملاً . ويستخدم رانك هذا المثال بحق في مناقشة المغزى الذي لأحلام الإنعاض أو الإمناء بالنسبة إلى نظرية الحلم عامة .

يبد أن خبرتي قد دلت مع ذلك على أننا لا نستطيع إلا في حالات نادرة أن نفسر وضوح الحلم أو اختلاطه بما تتضمنه مادته من الثقة أو التردد وسأكشف فيما بعد عن عامل في تكوين الحلم لم أذكره حتى الآن ، على فعله يتوقف تدرج الحلم بين هاتين الكيفيتين توقفاً جوهرياً . [أنظر ص ٤٩٦ .]

ويحدث أحياناً بعد أن يدوم في الحلم فترة موقف ومنظر معينان أن يطرأ انقطاع بوصف بتلك الكلمات : « وعندئذ تغير المكان فصار كأنه مكان آخر في الوقت عينه ، وهناك وقع كذا وكذا . » وبعد برهة يتصل السياق الرئيس للحلم ، ويتضح أن ما قد قطعه على هذا النحو إنما كان جملة شرط محتواة في مادة الحلم ، فكرة اعتراضية - فالحلم قد أعرب عن الشرط المتضمن في أفكار الحلم بالمزامنة . أي أن « إذا » قد انقلبت إلى « بينما » .

وما معنى هذا الإحساس بالحركة المكفوفة الذي يشيع في الأحلام كل هذا الشيوع ويقرب من الهيلة كل هذا القرب ؟ يريد المرء المشي لكنه لا يتحرك من موضعة ، أو يريد أن يبلغ شيئاً من الأشياء فيصطدم بالعقبة تلو العقبة . القطار يؤذن بالحركة وهو لا يستطيع الوصول إليه ، أو هو يرفع يده ليثأر الإهانة ، فإذا يده عاصية ، الخ . إنه إحساس قد صادفناه من قبل عند التحدث عن أحلام الاستعراض [ص ٢٥٩] ، ولكننا لم نعمل بعد على تفسيره عملاً جدياً . قد نجيب بأن شلل الحركة يسود عند النوم وأن هذا الشلل هو ما نشعر به حين نستشعر هذا الإحساس . وإنه لجواب سهل ، لكنه غير كاف . فإن لنا أن نسأل : إذا كان الأمر كذلك فلم لا نحلم دوماً بأشياء هذه الحركة المكفوفة ؟ لأحرى بنا أن نفترض أن هذا الإحساس الذي قد ينبعث في كل وقت من أوقات النوم إنما يخدم هدفاً بعينه من أهداف التصوير ، وأنه لا ينبعث فعلاً إلا حين تكون بمادة

الحلم حاجة تدعو إلى تصويرها هذا التصوير وحده .

و « العجز عن كل فعل » لا يظهر دائماً في صورة الإحساس ، بل إنه في بعض الأحيان قد يكون جزءاً من محتوى الحلم ليس غير . وأمثال هذه الحالات صالحة في رأي تمام الصلاحية لأن تلقى بعض الضوء على معنى هذه السمة من سمات الحلم . وها هي ذى خلاصة حلم ظاهرة أنني أنهم بالحيد عن الأمانة : المكان - زيج من مصحة خاصة ومن محال أخرى متعددة . يظهر خادم يستدعيني لأن هناك فحماً يراد إبرأؤه . أعلم في الحلم أن شيئاً قد فقد وأن الفحص مرجعه الارتياب في أن أكون استوليت على الشيء المفقود . (يتبين من التحليل أن للفحص معنيين وأنه يشمل الفحص الطبي .) أصعب الخادم في هدوء وأنا شاعر بهرامق وبما لي من مكانة الطبيب في هذه المصحة . يظهر خادم آخر بأحد الأبواب ويقول وهو يشير إلى : لماذا أحضرته ؟ إنه شخص محترم . أذهب بعد ذلك غير مصحوب إلى قاعة كبرى نصبت فيها آلات تذكروني بالجحيم وبما يحتويه من عدد العقاب المهنية . أرى أسد زملائى وقد مد على عدة من هذه العدد . كان هذا الزميل يملك أكثر من سبب يدعو إلى أن يشغل بأمرى ، بيد أنه لا يلتفت إلى . يقال لي عندئذ : إننى أستطيع المعنى لثأفى ، ولكننى لا أجد قبمى وأظل عاجزاً عن الذهاب .

من البين أن تحقيق الرغبة في هذا الحلم يقوم في كونه قد عرفت بريئاً يجوز له المضى لثأفه . ولا بد إذن أن أفكار الحلم كانت مشتملة على مادة من كل نوع حوت نقيض ذلك . فأن يجازى إلى الانصراف تلك علامة التبرئة . فإن كانت نهاية الحلم تجيء بحديث يعوقني عن الذهاب ، لم يبعد أن تكون هذه سمة يفصح فيها النقيض المكبوت عن نفسه . وعجزى عن العثور على القبة يعنى بناء على ذلك : لست رجلاً بريئاً بعد . وما يظهر في هذا الحلم من « عجز عن كل فعل » هو إذن إعراب عن المناقضة ، إعراب عن « كلا » ، بحيث يحقق علينا الآن أن نصحح ما قدمناه من قبل أن الحلم

لا يملك الإفصاح عن النفى ^(١) . [أنظر ص ٣٢٨] .

(١) تضمن التحليل الكامل للحلم إشارة إلى خبرة من خبرات الطفولة جاءت من ذلك الطريق : " لقد أدى المغربى واجبه ، ففى استطاعة المغربى أن يمشى لثأفه . " [ينبه ستراشى إلى أن هذا السطر - وهو لشيلر - قد ذكر هنا محرفاً ؛ فقد جاء في الأصل " أدى عمله " لا واجبه .] ثم يتبع هذا السؤال المازح : كم كان عمر المغربى حين أدى واجبه ؟ سنة واحدة ما دام كان يستطيع المشى . (ويبدو أنني قد ظهرت إلى الدنيا بشعر أسود كح حتى أن أمى قد لقبته بالمغربى الصغير) . - وأما العجز عن العثور على القبة فكان حدثاً من أحداث اليوم السابق استغله الحلم في أكثر من معنى ؟ ذلك أن خادمتنا - بعقريتها في حفظ الأشياء - كانت قد أخفت تلك القبة عن نظرى . - كذلك تتضمن نهاية الحلم أطراح بعض الأفكار السوداء المتصلة بالموت : إننى لا أزال بميداً من أكون قد أدبت واجبى ، ومن حق إذن ألا أذهب بعد . فالحياة والموت يعالجان في هذا الحلم كما هو الشأن في حلم جوته والمشلول الذى جافى قبل ذلك بزمن قصير (أنظر ص ٣٣٦ ثم ص ٤٣٨)

وأما الأحلام الأخرى التي يظهر فيها العجز عن الحركة في صورة إحساس وليس في صورة موقف وحسب - فتعرب عن ذات التناقض إعراباً أقوى : في صورة إرادة تقاومها إرادة مضادة. وإحساس الحركة المكفوفة يمثل إذن صراعاً في الإرادة. [أنظر ص ٢٦٣ .] ذلك أننا سوف نعلم [ص ٥٥٦] أن ما يصحب النوم من شلل الحركة هو على التحقيق أحد الشروط الأساسية للعمليات النفسية الحادثة في أثناء الحلم . وإن انتقال دافع من الدوافع إلى المسارات الحركية ليس شيئاً آخر سوى الإرادة وبقيننا بكوننا لن نحس هذا الدافع في خلال النوم إلا مكفوفاً هو الذي يجعل العملية في جملتها صالحة كل هذه الصلاحية الفائقة لتصوير فعل الإرادة وتصوير « كلا » التي تناهضه . ومن السهل أيضاً أن نرى في ضوء تفسيري للهيلة لم كان الإحساس بكف الإرادة يقرب كل هذا القرب من الهيلة ولم غلب اقترانه بها في الأحلام ، فإن الهيلة دافع إيبدي أصله في اللاشعور وكفه ما قبل الشعور^(١) . وعلى ذلك ، حيناً ارتبط الكف بالهيلة في الحلم فلا بد أن الأمر يتعلق بإرادة كانت قادرة في زمن ما على توليد الليبدو ، أى بهائج جنسى . وسأتعرض في موضع آخر (أنظر ما بعد [ص ٤٨٥]) لهذا الحكم الذي كثيراً ما يظهر أثناء الحلم في تلك العبارة : « ما هذا إلا حلم » ، وسأناقش عندئذ معنى هذا الحكم والقيمة النفسية التي يجب أن نعزوها إليه . ولكنني أستبق الأمور فأقول : إن هذا الحكم يهدف إلى التهوين من قيمة ما نحلم به . وقد أمكن شتيكل بتحليل بعض الأمثلة المقنعة أن يجد سلا سبباً بذلك لمشكلة أخرى ، ممتعة ، قريبة من مشكلة هذا الحكم ، وأعني بها : ما الذي نعرب عنه حين نصف محتوى الحلم بأنه « قد حلمنا به » في غضون الحلم نفسه ؟ أى مشكلة « الحلم في الحلم » . فالمقصود مرة ثانية هو حط قيمة هذا الذي « نحلم به » ، سلبه حقيقة ؛ فما نتابع الحلم به بعد أن نستيقظ من « الحلم المندرج في الحلم » هو ما تهدف رغبة الحلم إلى استبداله بحقيقة محموة ، ولذلك جاز لنا أن نفترض أن « المحلوم به » في الحلم هو الذي يصور الحقيقة ، هو الذكرى الصادقة ، وأما الحلم المحيط به فلا يصور على العكس سوى رغبة الحلم وحدها . فأن تدرج محتوى ما في « حلم في حلم » يعدل رغبتك في لو أن الجزء الموصوف بأنه حلم لم يقع قط . وبعبارة أخرى : إذا أورد عمل الحلم حدثاً بعينه على أنه حلم في حلم ، كان ذلك أقطع الأدلة على كون هذا الحدث قد وقع حقيقة وأقوى لإثبات لذلك . فعمل الحلم يتخذ الحلم كصورة من صور التنصل وهو بذلك يؤيد ما قد حددناه من أن الحلم تحقيق رغبة .

اعتبار قابلية التصوير

لقد شغلنا حتى الآن ببحث الطريقة التي يصورها الحلم العلاقات القائمة بين أفكار الحلم ، ولكننا في هذه الأثناء قد لمسنا أكثر من مرة تلك المشكلة الأخرى : ما هو التغير الذي يصيب مادة الحلم بوجه عام من أجل تكوين الحلم ؟ فنحن نعلم الآن أن ثمة ضغطاً يصيب مادة الحلم بعد أن تجرد من جزء كبير من علاقاتها ، على حين تجرى في الوقت عينه نقلات من حيث الشدة بين عناصر هذه المادة ، نقلات تحدث بالضرورة انقلاباً في قيمها النفسية . والنقلات التي نظرنا في أمرها حتى الآن قد اتضح أنها تتلخص في أن تستبدل بفكرة معينة فكرة أخرى تقرب منها في التداعي على نحو من الأنحاء ، ثم هي - أعني هذه النقلات - كانت تسخر في خدمة التكثيف ؛ فبوساطتها كان ينفذ إلى محتوى الحلم عنصر متوسط مشترك بين عنصرين بدل هذين العنصرين جميعاً . ولكننا لم نذكر بعد على الإطلاق نوعاً آخر من النقل مع أن التحليل يرينا أن هذا النوع الآخر موجود ، وأنه يبين عن نفسه في تبديل التعبير اللغوي عن الأفكار . ففي كانتا الحاليتين يتعلق الأمر بنقل يتم على طول سلسلة المستدعيات ، ولكن ذات العملية تقع في منطقتين نفسيتين مختلفتين ، فيكون حاصل هذا النقل - في حالة - أن يحل عنصر محل عنصر آخر ، على حين يقع - في الحالة الأخرى - أن يستبدل عنصر بمنطوقه اللفظي منطوقاً آخر .

هذا النوع الثاني من النقل الذي يقع عند تكوين الحلم لا يملك أهمية نظرية رفيعة وحسب ، بل هو - فوق ذلك - مؤهل تأهيلاً فريداً لأن يعلل ما يستخفى وراءه الحلم من مظهر اللامعقولة الخيالية . ذلك أن هذا النقل يؤدي في العادة إلى تلك النتيجة : أن تستبدل بعبارة تعرب عن إحدى أفكار الحلم إعراباً فاقد اللون مجرداً عبارة أخرى مشبهة عيانية^(١) . ومزية هذا الاستبدال - ومن ثم بغيته - واضحة كل الوضوح :

(١) [المراد بالعيانية ضد المجرد ، والعبارة المشبهة هي تلك التي تخلع على الفكرة شجهاً محساً ، ضد العبارة المجردة . وفي باب العبارة المشبهة تدخل معظم الاستعارات وضروب المجاز المرسل والكنائية] .

فما هو مشبه قادر على أن يُصوّر في الحلم ، قابل لأن يدرج في موقف من المواقف .
 بينما التعبير المجرد يواجه التصوير الحلمى بصعوبات تشبه ما يواجه الرسام عند تصوير
 المقال السياسى الافتتاحى بإحدى الصحف . ولكن قابلية التصوير لا تخرج وحدها غائمة
 من هذا الاستبدال ، بل يمكن التكثيف والرقابة أن يخرجنا منه كذلك بما يخدم مآربهما .
 ففكرة الحلم تظل غير قابلة للاستخدام ما بقيت في عبارة مجردة ، ولكنها ما أن تصاغ
 في لغة مشبهة حتى يتيسر عن ذى قبل أن تظهر بين التعبير الحديد وبين سائر مادة
 الحلم نقط التماس والعينيات ^(١) التى يقتضيها عمل الحلم ويخلقها خلقاً حين لا تكون موجودة
 من قبل ؛ وذلك لأن الحدود العيانية في كل لغة أثري مستدعيات بحكم تطورها من
 أسماء التصورات المجردة . وفى وسعنا أن نتصور أن جزءاً كبيراً من العمل الذى يتم أثناء
 تكوين الحلم — مستهدفاً رد أفكار الحلم المتفرقة إلى تعبير حلمى يكون على أكثر ما
 يمكن من الوحدة والاختزال — إنما يتأدى بإدخال تعديل لفظى ملائم في العبارة عن كل
 فكرة من أفكار الحلم . فإن اتفق في خلال ذلك أن كانت هناك فكرة ثبت منطوقها ورسخ
 لسبب من الأسباب ، كان لهذه الفكرة أثرها في اختيار صيغ الـ «بير» الممكنة عن سائر
 الأفكار وفي تحديدها ، وربما كان ذلك منذ البدء على نحو ما يقع في قرص الشعر ؛
 فإن القصيدة إذا التزمت القافية غل كل بيت فيها تاليه بقيدتين : أن يعبر عن معناه
 تعبيراً مناسباً وأن يحىء هذا التعبير متمشياً مع القافية ، وأحسن القصائد بالطبع .
 فيه العمد إلى القافية بل تجيء الفكرتان وقد اختارت كل انفسها منذ البدء — بتأثير
 متبادل — صورة لفظية لا يحتاج الاحتفاظ بالقافية بعدها إلا إلى القليل من الأعمال .

وهناك بضع حالات نرى فيها استبدال العبارة المشبهة بالمجردة يساند التكثيف الحلمى
 من طريق أكثر بعد مباشرة : وذلك حين يفضى هذا الاستبدال إلى صيغة لفظية تحمل
 من ازدواج المعنى ما يؤهلها للإعراب عن أكثر من فكرة واحدة من أفكار الحلم . وعلى
 هذا النحو يدخل عالم النكات اللفظية بأجمعه في متناول عمل الحلم ويسخر لأغراضه .

(٢) [نريد بالعينية العلاقة التى تكون بين حدين كل منهما هو الآخر . ولقد سمينا الفعل الذى يقيم
 هذه العلاقة « التعيين » identifizierung (أنظر الهامش الذى، في ص ١٧٢) ولهذا سمينا العلاقة نفسها
 « العينية Identitat » ولم نقل « الذاتية » كما جرت العادة في المنطق لتجنب الخلط أولاً ثم لأن الشائع فهمه من
 الذاتية هو كون الحد هو نفسه ؛ فالذاتية إن شئت عينية بين الحد وذاته لا يبينه وبين غيره ، أو هى عينية
 مجردة ، تكرر أجوف ، لا تتضمن الغيرية في ذاتها .]

وما لنا أن نعجب للنصيب الذى تشارك به الكلمة فى تكوين الحلم ؛ فالكلمة من حيث هى معقد أفكار كثيرة قد قدر عليها - إن جاز التعبير - الاشتراك^(١) ، وإن الأعصبة كالأفكار (القهرية والخاف المرضية) لتنهز هذه الزايا التى تهيئها الكلمة للتكثيف والتفنع انتهازا لا تقل فيه تبجحاً عن الأحلام . فأما أن التشويه الحلمى يربح بدوره من هذا النقل اللفظى فذلك ما يسهل تبينه : فإن من مجالب الخطأ أن تستخدم كلمة واحدة ذات معنيين بدل اثنتين لكل منهما معنى واحد ، ثم إن من شأن النزول عن طريقتنا المألوفة المترنة فى التعبير لقاء طريقة أخرى مشبهة أن يعطل فهمنا ، وبخاصة أن الحلم لا ينبئنا مطلقاً هل الواجب أن نفسر العناصر التى يأتى بها بمعنى حرفى أو مجازى ، تفسيراً مباشراً أو بوساطة تعبير من التعبيرات الدارجة . والحق بوجه عام هو أننا حين نفسر أى عنصر من عناصر الحلم نغدو فى شك لا ندرى معه :

- (أ) هل الواجب أخذ هذا العنصر بمعنى إيجابى أو سلبى (علاقة التضاد) ، أو
 (ب) هل ينبغى تفسيره تفسيراً تاريخياً (فيكون أثراً من الآثار الذكورية) ، أو
 (ج) تفسيراً رمزياً ، أو
 (د) هل يجب أن نخرج تفسيره من نطقه^(٢) .

ومع هذا فإن من العدل أن نقول رغم هذا اللبس كله : إن التصوير الذى ينتهى إليه عمل الحلم - ولا ننسى أنه تصوير لم يقصد منه إلى أن يكون مفهوماً - لا يواجه المترجم بصعوبات تفوق ما تطالع به الرسوم الهيروغليفية قراءها .

ولقد ذكرت من قبل أمثلة متكررة على تصاوير حلمية لم تتركب إلا لهذا الاشتراك فى التعبير اللفظى (مثل : « فتحت فيها بأوسعه »^(٣) فى حلم حقنة إرما ، و « أظل دون أن أستطيع الذهاب »^(٤) فى الحلم الذى ذكرته أخيراً فى ص ٣٤٥ إلخ .) وسأذكر الآن مثالا أخذ فيه صب الفكر المجرد فى عبارات مشبهة بنصيب كبير . وإن الفرق بين مثل هذا التفسير وبين تفسير الحلم بوساطة الرموز ليظل محددأ تحديداً قاطعاً : فى التفسير الرسمى

(١) [اللفظ المشترك هو الذى يحمل أكثر من معنى واحد .]
 (٢) [أى أن يبنى التفسير استناداً إلى أصوات الألفاظ المستخدمة فى رواية الحلم وما قد تتضمنه من تورية أو غيره .]
 (٣) [وكانت هذه الصورة تترجم فكرة : أن تفيض فى الحديث . أنظر ص ١٣٩ .]
 (٤) [وكانت هذه الصورة تعنى فى لغة مجردة : ما زال لى الحق فى الحياة .]

يترك اختيار مفتاح الرمز للمفسر ، وأما في حالات التفتح اللفظي التي نحن بصددتها فالمفاتيح معلومة للجميع وواضحة هو العرف اللغوي الثابت . فلو أن المرء أصاب الفكرة الصحيحة في المناسبة الصحيحة ، أمكنه أن يفسر الأحلام التي من هذا القبيل تفسيراً كاملاً أو جزئياً وإن لم يستعن بمستدعيات الحلم .

حلمت سيدة من معارف الحلم الآتي : إنها في دار الأوبرا . مشهد لفاجنر دام حتى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعين صباحاً . نصبت في القاعة موائد جلس إليها أناس يأكلون ويشربون . يجلس إلى مائدة من هذه الموائد قريب من أقربائها عاد حديثاً من رحلة شهر العسل مع عروسه وبجانبهما رجل من طبقة النبلاء . يقال إن الزوجة الشابة قد أحضرت هذا النبيل معها من رحلة شهر العسل في علانية تامة كأنما أحضرت قبة . في القاعة برج عال وضمت فوقه منصة أحيطت بسياج حديدي . يقف على هذه المنصة قائد الفرقة الموسيقية وكانت له ملامح هانس ريختر . إنه يجري في حلقة وراء سياجه هذا وقد تعسب منه المرق إلى درجة مروعة وهو يقود من موضعه ذلك الفرقة الموسيقية التي انتظم أفرادها حول قاعدة البرج . الحاملة - هي - قد قعدت في إحدى الشرفات مع صديقه لها (أعرفها) . تريد أختها أن تم إليها من القاعة قطعة كبيرة من الجمر قائلة : إنها ما كانت تعلم أن ذلك سيطول كل هذا الطول ، وإن البرد في الشرفات قد أصبح لا شك مثلباً . (كأنما كان ينبغي تسخين الشرفات أثناء هذا العرض الطويل .)

إن هذا الحلم قد حوى من اللمحات غير المعقولة ما فيه الكفاية ، وإن يكن فيما عدا ذلك قد التف التفافاً طيباً حول موقف واحد . فما معنى هذا البرج الذي ينتصب وسط القاعة والذي منه يدير القائد الموسيقى فرقته ، ثم بخاصة تلك الجمرة التي تمدّها إليها أختها ؟ لقد امتنعت عامداً عن طلب أي تحليل لهذا الحلم . ولكنني قد أمكنني بما أعرفه من علاقات الحاملة الشخصية أن أصل مستقلاً إلى تفسير أجزاء منه : كنت أعلم أن قلبها قد انعطف إلى موسيقى قضى مرض عقلي على مستقبله قبل الأوان . فرأيت أن آخذ البرج الذي في الحلم مأخذاً مجازياً ، فخرج أن الرجل الذي ودت لو رأيته في محل هانس ريختر قد علا البرج^(١) دون سائر أفراد الفرقة . والبرج يصح وصفه بكونه صورة مزيجية ركبت بعطف بيان^(٢) ؛ فقاعدته تمثل عظمة الرجل وأما السياج

(١) [مجاز دارج في الألمانية بمعنى علام أو فاقهم .]

(٢) [Apposition ويترجمه النحاة أيضاً بكلمة " البدل " . فالفكرة التي تعرب عنها صورة البرج

في الحلم هي : الرجل الذي كان موسيقياً عظيماً ، هذا الذي جن في أواخر حياته . وقولنا : " هذا الذي . . . إلخ " بدل أو عطف بيان .]

الحديدى الذى يعدو الرجل خلفه مثل أسير أو مثل حيوان فى قفصه (وهو ما يشير إلى اسم الرجل المنكود)^(١) فيمثل مستأنف قدره . وربما كان « برج المجانين »^(٢) هو اللفظ الذى استطاعت هاتان الفكرتان أن تلتقيا فيه .

ويحق لنا بعد أن اكتشفنا منهج الحلم فى التصوير أن نحاول تطبيق المفتاح ذاته على البدوة الثانية غير المعقولة فى هذا الحلم ، وأعنى بها جمرة الفحم التى تمد بها أخت الحاملة يدها . إن « الجمرة » لا بد كانت تعنى « الحب المستسر » :

ما من نار ولا من جمر

يتقد ويستعر

مثل حب مستسر

لا يعلمه أحد^(٣) .

ونحن نراها فى الحلم هى وصديقتها وقد ظلنا قاعدتين^(٤) ، وأختها الصغيرة التى كانت لا تزال تأمل فى الزواج تسلمها جمرأ لأنها لم تكن تعلم أن ذلك سيطول كل هذا الطول . ما هذا الذى قد طال ؟ إن الحلم يلوذ هنا بالصمت . ولو أن الأمر كان يتعلق بقصة لقلنا : إن المعنى هو المشهد . أما والأمر يتعلق بحلم فلنا أن نضع الجملة فى ذاتها نصب أعيننا ، وأن نقرر أنها ذات معنيين فنضيف : « حتى تتزوج » . ويؤيد بعد ذلك تفسير « الحب المستسر » ذكرها قريبها الجالس فى القاعة مع زوجه وما ينسب إلى هذه الأخيرة من الحب المكشوف . فالمقابلة بين الحب المستسر والمكشوف ، بين نارها وبرودة الزوجة الشابة تسيطر على الحلم . وفى كلتا الحالتين نجد رجلا « على المكانة » هو حد مشترك بين الرجل الذى من طبقة النبلاء وبين الموسيقى الذى كان معقداته الآمال الكبيرة . إننا بالمناقشة السابقة نكون قد كشفنا فى النهاية عن عامل ثالث لا تنبغى الاستهانة بنصبيه فى تحويل أفكار الحلم إلى محتوى الحلم ، هذا العامل هو : اعتبار قابلية التصور فى المادة النفسية التى يستخدمها الحلم استخداماً خاصاً - أى فى صور مرئية

(١) Hugo Wolf .

(٢) [Narrenturm تمير ألماني قديم يقال للمارستان .]

(٣) [من أغنية ألمانية شعبية .]

(٤) [تمير ألماني دارج بمعنى : لم تتزوجا .]

على الأغلب . ولهذا كانت تُفَضَّل - بين الأفكار الثانوية المقترنة بأفكار الحلم الجوهرية - تلك التي تقبل التصوير المرئي ، وكان عمل الحلم لا يتردد في أن يتكلف صوغ الأفكار الرئيسة في صيغة لفظية جديدة ، ولو كانت أقل ألفة ، إذا كان في ذلك ما يؤدي إلى تيسير التصوير وما يؤدي - من ثم - إلى إنهاء التوتر السيكلوجي الذي ينجم عن التفكير المحبوك . وهذا الصب للمحتوى الفكري في قالب آخر قد يسخر في الوقت عينه في خدمة العمل التكتيفي ويخلق علاقات جديدة - ما كان لتكون لولا ذلك - بفكرة أخرى . هذا بينما يصح أن تكون هذه الفكرة الأخرى قد غيرت هي نفسها منظوقها الأصلي لكي تلاقى الأولى في منتصف الطريق .

ولقد دل سيلبرير (١٩٠٩) على طريقة تمكنتنا من أن نلاحظ استحالة الأفكار إلى صور في أثناء تكوين الحلم ملاحظة مباشرة ، وتمكنتنا بذلك من أن ندرس هذا الوجه من أوجه عمل الحلم بمعزل عن غيره . فهو كان إذا حمل نفسه على عمل فكري وهو مكدود يغالب النوم - رأى الفكرة تغلت منه وتظهر في محلها صورة كان يسهه عندئذ أن يرى فيها بديل الفكرة . وهو يصف هذا البديل وصفاً غير موفق كل التوفيق بقوله : إنه : « ذو رمزية ذاتية » (١) ، وأسوق هنا بضعة أمثلة من مقال سيلبرير ، كما أنني سأضطر إلى العود إلى هذه الأمثلة في موضع آخر [ص ٤٩٩] لخصائص معينة في الظواهر الملاحظة .

« المثال الأول : أفكر في أن على أن أراجع فقرة ناشرة في إحدى مقالاتي :

« الرمز : أراني أسوى قطعة من الخشب . »

« المثال الخامس : أحاول أن أثبت الهدف من دراسات ميتافيزيقية معينة كنت انتويت القيام بها . هذا الهدف - كما حدثت نفسي به - هو أن يشق المرء طريقه في بحثه عن الوجود إلى صور أسمى من الشعور أو إلى طبقات أعلى من طبقات الوجود .

« الرمز : أدفع سكيناً طويلة تحت فطير كبير ، كما لو كنت أريد أن آخذ قطعة

منه .

« التفسير : إن حركة يدي بالسكين تعني (شق الطريق) الذي تحدثت عنه . . . وأما

(١) [كان غرض سيلبرير من هذه التسمية هو للدلالة على أن الصورة البديلة ترمز إلى العملية الفكرية من حيث هي فعل ذاتي بقدر ما ترمز إلى المحتوى الموضوعي للفكرة في ذاتها .]

مأخذ هذا الرمز فبيانه ما يأتي : يتفق بين الحين والحين ونحن إلى المائدة أن أقوم بقطع فطير كبير وتوزيعه . . . وهى مهمة أؤديها مستعينا بسكين طويلة مرنة يحتاج استعمالها إلى بعض العناية . ثم رفع الشرائح بعد قطعها رفعا نظيفا ، ذلك على الأخص ما يقترن ببعض الصعوبات : فلا بد هنا من أن تدفع السكين في ثؤدة تحت الشريحة المقطوعة (شق الطريق ، ببطء حتى الوصول إلى الأسس) . بيد أن الصورة قد حوت من الرمز ما يزيد على ذلك : فالفطير الذى تراه لى فى الصورة الرمزية كان من النوع الذى يصنع طبقات يجتاها السكين عند القطع (طبقات الشعور والتفكير) .

« المثال التاسع : ينقطع خيط تفكيرى وأحاول استئنافه ، ولكننى أضطر إلى التسليم بأن نقطة الاتصال قد غابت عني تماما .

« الرمز : صفحة من مؤلف ما ، سقطت سطورها الأخيرة .

وإذا كانت النكات والاستشهادات والأغاني والأمثال تشارك بنصيب كبير فى الحياة العقلية للمثقفين ، كان مما يتفق وتوقعنا كل الاتفاق أن نرى هذا النوع من الأقتعة يكثر استخدامه إلى أقصى مدى فى تصوير أفكار الحلم . ما الذى يعنيه — مثلا — أن تظهر فى الحلم عربات تحمل نوعاً واحداً من الخضر يختلف مما تحمله الأخرى ؟ إن ذلك هو الضد المرغوب فيه لقولنا : « كرب وجزر » ، أى [— فهذا هو معنى ذلك التعبير فى اللغة الألمانية —] « شذر مذر » ، وهو — إذن — يعنى « القوضى » . ولقد عجبت لأن هذا الحلم لم يروى سوى مرة واحدة^(١) . ولم تظهر رموز حلمية تصدق صدقاً شاملاً إلا بالنسبة إلى عدد قليل من الموضوعات وكانت تستند إلى التلميحات المألوفة للجميع وإلى التبديلات اللفظية . ثم إن الحلم يشارك الأعصاب والأساطير والعادات الشعبية فى مقدار لا بأس به من هذه الرموز .

ولا غرو فى أن تكون الأمور كذلك ؛ فإننا إذا أنعمنا النظر لم نجد مناصاً من التسليم بأن عمل الحلم لا يأتي على الإطلاق بشيء مبتكر حين يجرى هذا النوع من التبديل ، بل هو لكى يصل إلى هدفه — وهدفه فى هذه الحالة هو قابلية التصوير المتحرر من الرقابة — إنما يتبع الطريق التى يجدها ممهدة أمامه من قبل فى اللاشعور ويؤثر تلك التحويلات فى المادة المكبوتة التى يمكن أن تظهر للشعور كذلك فى صورة النكات والتلميحات ،

(١) والواقع أننى لم أصادف هذا التصوير بعد ذلك قط ؛ ولهذا صرت أتشكك فى صحة هذا التفسير .

والتي تزدحم بها كل تخيلات العصابيين . وهنا يتكشف أمامنا فجأة سبيل إلى فهم تفاسير شرزر التي دافعت عن صحتها الجوهرية في غير هذا الموضع [ص ١١٥ و ص ٢٤٥ .] فاشتغال الإنسان بجسمه ليس بحال من الأحوال خاصة من خواص الحلم وحده ولا ميزة تميزه ، بل قد أرثني تحليلاتي أننا نجد هذا الاشتغال دائماً بين الأفكار اللاشعورية للعصابيين ، وأنه راجع إلى التطلع الجنسي الذي يتجه في سن المراهقة إلى الأعضاء التناسلية للجنس الآخر ولذات الجنس أيضاً . ولكن المنزل — كما ألح عليه بحق شرزر و فولكلت ليس الدائرة الفكرية الوحيدة التي تستقى منها رموز الجسد — لا في الأحلام ولا في التخيلات اللاشعورية للعصاب . صحيح أنني أعرف مرضى ظلوا مبقيين على الرموز المعمارية للجسم ولأعضاء التناسل (والاهتمام الجنسي يعدو أعضاء التناسل الخارجة بكثير) : فالأعمدة والعمدان المتوجة تعني عندهم السيقان (كما في نشيد الإنشاد)^(١) ، وكل باب يدل على فتحة من فتحات الجسم (« ثقب ») ، وكل أنبوبة تذكر بالجهاز البولي ، الخ . ، إلا أن الأفكار المتصلة بحياة النبات أو بالطبخ قد تستخدم هي الأخرى بمثل هذه الكثرة عنها — لكي تستر الصور الجنسية . وإنا لنجد فيما يتعلق بدائرة الأفكار النباتية أن الطريق قد مهده العرف الجاري الذي هو خزانة الأخيصة الاستعارية منذ أقدم العصور (أنظر « كرم » الرب و « البنور » و « حديقة » المحبوبة في نشيد الإنشاد) . كما أن التفكير في أقبح تفاصيل الحياة الجنسية وأبطنها — أو الحلم بها — قد يتأدى في إشارات ظاهرها البراءة إلى أعمال المطبخ ، وإن الأعراض المستترة لتستغرق إلى الأبد على كل تفسير إذا نسينا أن الرهزية الجنسية تجد أحسن مخبأ لها وراء المألوف وما لا يستلفت الأعين . فمن الأمور المنطوية على معنى جنسي صحيح أن يأبى الطفل العصبي رؤية أي دم أو لحم نبي ، وأن يشمثر من البيض و « المكرونة » وأن يزيد الخوف الطبعي من الثعابين تلك الزيادة المفرطة عند العصابيين . وعلى الحملة فالعصاب حينما التجأ إلى مثل هذه الأقنعة فلمنا يسلك طرقاً مرت بها الإنسانية جمعاء في أقدم مراحل العمران ولا تزال يشهد على وجودها إلى يومنا هذا وراء حجب شفاف العرف اللغوي والمعتقدات والعادات .

وهنا ألحق بما تقدم الحلم المزدهر الذي أتى إحدى مريضاتي ووعدت من قبل بسرده [ص ٣٢٥] ، وفيه أعلم بالأحرف المكبرة كل ما ينبغي تفسيره من عناصره تفسيراً

(١) [« وساقاه عمودا رخام مؤستان على قاعدتين من إبريز . » الإصحاح الخامس ، ١٥ .]

جنسيا . هذا وقد فقد ذلك الحلم الجميل رواده في عين الحاملة بعد أن وقفت على تفسيره
 أ) الحلم التمهيدى : تنهب إلى المطبخ حيث تجده خادميا وتؤنجهما لأنهما لما تجهزا لها وقصة « تؤكل .
 وفى أثناء ذلك تلمح عدداً كبيراً جداً من أوعية مطبخ من طراز عاى وقد قلبت على الأرض حتى يسقط ما علق بها من
 قطرات الماء . تضيف فى رواية ثانية : تنهب الخادمان طلباً لبعض الماء وتضطران حينئذ إلى الخوض فى نهر علا
 ماؤه حتى يبلغ المنزل أو فناءه (١) .

ب) الحلم الرئيس (٢) : تهبط من مرتفع عظيم (٣) فوق حواجز أو سياج غريبة الهيئة شد بعضها إلى
 بعض فى مربعات كبيرة وصنعت من خيزران مضفر فى مربعات صغيرة (٤) . لم تكن هذه الحواجز مجمولة لكى يتسلق
 الإنسان فوقها ، ولهذا كانت تلاقى عناء دائماً فى إيجاد موضع تضع فيه قدميها ، وتبنيء نفسها لأن ردامها لم يشتبك
 بأى منها ، بحيث ظلت مبقية على مظهرها اللاتق (٥) وهى ماضية . كانت فى أثناء ذلك تحمل غصناً كبيراً
 فى يدها (٦) ، والحق أنه كان يشبه شجيرة غطتها زهور حمراء تفرعت عن الشجيرة وانتشرت (٧) . كانت هناك
 فكرة فحواها أن هذه أزهار كريس ، ولكنها كانت تلوح فى الوقت نفسه مثل الكاميليا المفتحة - وإن كانت
 هذه لا تنمو بالطبع على الشجر . كان بيدها وهى تهبط غصن واحد فى أول الأمر ، صار فجأة اثنين ، ثم رجع
 واحداً من جديد (٨) . حين تبلغ أسفل المنحدر تكون الأزهار التى بأسفل النصن قد أصابها ذبول عظيم .
 ترى عندئذ - بعد أن نزلت - خادماً من خدم المنزل ، وكان - كما تحب أن تقول - يمشط شجيرة مماثلة أى أنه
 كان يستخدم خشبة لكى ينزع بها خصلة سميكة من الشعر علق بالشجرة مثل الأشنه . كان هناك
 عامل آخر قطع أغصاناً مماثلة من حديقة من الحدائق التى أتى بها فى الطريق حيث ظلت مطروحة
 بحيث أخذ أناس كثيرون بعضها . ولكنها تسأل نفسها هل ذلك عمل مشروع ، هل تستطيع أن تأخذ واحداً (٩)
 هى الأخرى . يقف فى الحديقة رجل فى مقتبل العمر (وهو شخص تعرفه ، غريب عن العائلة) ، تنهب إليه لكى

(١) أنظر ص ٣٢٥ فى تفسير هذا الحلم التمهيدى من حيث يعرب عن علاقة " عليه " .

(٢) وهو حلم يصف سيرة حياتها .

(٣) أى أنها تنحدر من أصل رفيع - وهو الضد المرغوب فيه للحلم التمهيدى .

(٤) صورة مزيجة تجمع بين محلين : أولها هو ما كان يسمى فى منزل أبيها حجرة السطوح ، حيث كانت

تلمب مع أخيها الذى صار موضوع تخييلاتها اللاحقة ، وثانيها مزرعة يملكها عم رذل كان لا ينقطع عن
 معاكستها .

(٥) ضد مرغوب فيه لإحدى ذكرياتها الحقيقية المتصلة بمزرعة عمها ، حيث كان من عادتها أن تتمرد

وهى نائمة .

(٦) كما يحمل الملاك عود الزنبق فى صور البشارة إلى مريم .

(٧) أنظر ص ٣٢٩ فى تفسير هذه الصورة المركبة : الطهارة ، الطمئ ، عادة الكاميليا .

(٨) إشارة إلى تعدد الأشخاص الذين كانت تنصب عليهم تخييلاتها .

(٩) أى هل يجوز لها أن تنتزع واحداً [وهو تعبير ألماني عاى بمعنى :] أن تستنى .

تسأله كيف يمكنها أن تنقل هذه الأغصان إلى حديقتها الخاصة^(١). يحتضنها الرجل فتدفعه وتسأله : فيم تفكر ؟ أيلظن أن الناس يستطيعون احتضانها على هذا النحو ؟ يجيبها قائلاً : إنه لا ضرر في ذلك وإن ذلك أمر مباح^(٢). يخبرها أنه على استعداد للذهاب معها إلى الحديقة الأخرى لكي يريها الزرع ثم يضيف شيئاً لا تفهم مراده منه تمام الفهم : غير أنني أحتاج إلى ثلاثة أمتار (وفي رواية أخرى : أمتار مربعة) أو ثلاث قصبات من الأرض . كأنه كان يطلب شيئاً ما لقاء استعداده ، أن يعوض نفسه من حديقته ، أو كأنه كان يريد أن يحتال على قانون من القوانين لكي يظفر منها بمغرم دون أن يصيبها الأذى . هل أراها بالفعل شيئاً ما بعدئذ ؟ لا تدري .

إن هذا الحلم الذي أوردته لما اشتمل عليه من العناصر الرمزية خليق أن يوصف بأنه حلم « يؤرخ حياة » حالمه ، وأمثال هذه الأحلام تعرض كثيراً في خلال التحليل النفسي ، ولكن أغلب الظن أنها لا ترد خارجة إلا نادراً^(٣).

إن في جمعتي بالطبع الشيء الكثير من مثل هذه المادة ، ولكن سردها يجعلنا نوغل في بحث شروط العصاب ، ثم هي تذهب جميعها إلى نتيجة واحدة ، وأعني بها : أنه لا حاجة بنا إلى أن نفترض أن عمل الحلم يتضمن نشاطاً رمزياً خاصاً به من جانب الذهن ، وإنما يستخدم الحلم الرموز الموجودة من قبل في التفكير اللاشعوري ، وهو يستخدمها لأنها أكثر اتفاقاً ومقتضيات تكوين الحلم من حيث قابليتها للتصوير ، ولأنها أيضاً تفلت عادة من الرقابة .

(١) لقد ناب الغصن عن عضو التناسل عند الذكر منذ زمن طويل ، وهو - بعد - ينطوي على تلميح إلى اسم عائلة المريضة .

(٢) يشير ذلك وما يتبعه إلى احتياطات منع النسل .

(٣) يجد القارئ حلماً آخر مماثلاً من نوع هذه الأحلام « المؤرخة » بين الأمثلة التي سأعرضها على الرمزية . في الحلم ، المثال الثالث . وهناك مثال ثان سرده رافك سرداً مفصلاً : " حلم يفسر نفسه بنفسه " [١٩١٠] . ثم مثال آخر تجب قراءته « مقلوباً » أوردته سنيكل (١٩٠٩ ، ٤٨٦) .

التصوير بوساطة الرموز في الأحلام

أحلام نمطية أخرى ^(١)

إن تحليل الحلم الذى سبق - الحلم المؤرّخ - شاهد على أننى قد عرفت الرمزية في الحلم منذ البداية . ولكننى لم أنته إلى تقدير كامل لمدى انتشارها وأهميتها إلا على نحو متدرج ساير تزايد خبرتى ، وبتأثير من مؤلفات فيلهم شتيكل ^(٢) الذى قد يكون من المناسب فى هذا الموضع أن اتحدث بكلمة عنه .

إن هذا الكاتب الذى ربما كان ضرره بالتحليل النفسى يعدل نفعه قد قدم عدداً ضخماً من تراجم رمزية لم يفتن إليها أحد من قبل ، تراجم لم تلق فى مبدأ الأمر تصديقا ولكن الشواهد لم تلبث أن جاءت بما يؤيد معظمها ، بحيث لم يعد مفر من قبولها . ولست أهون من قيمة الخدمات التى أسداها شتيكل فى هذا الباب إذا أضفت أن التحفظ المشوب بالشك الذى قوبلت به آراؤه فى أول الأمر لم يكن يخلو كل الخلو من المبررات . فالأمثلة التى سند بها شتكل تفسيراته كانت غير مقنعة فى كثير من الأحيان ، ثم هو قد استخدم منهجاً يتحتم نبذه ؛ لأنه غير حرى بالثقة من وجهة النظر العلمية . ذلك أن شتيكل قد اكتشف تفسيراته الرمزية من طريق الحدس ، بقوة هبة خاصة فى فهم الرموز فهما مباشراً . ولكن مثل هذا الفن شئ لا يعتمد عليه بوجه عام ، لأنه يخاو من كل إعمال للنقد ، ولهذا تجردت نتائجه من كل حق على التصديق . فاستنادك إليه كالتماسك أن تؤسس تشخيص الأمراض المعدية على ما يوصلك من إحساسات الشم وأنت إلى سرير المريض - وإن كان من المقطوع به أن ثمت أطباء حققوا ما لم يحققه

(١) [لم يظهر هذا القسم هـ من الفصل السادس فى الطبعة الأولى من " تفسير الأحلام " . والكثير من مادته قد أضافه فرويد فى طبعى عام ١٩٠٩ و ١٩١١ ولكنه أدرج المادة المضافة فى الفصل الخامس فى القسم الخاص بالأحلام النمطية . وأما القسم هـ بصورته الحاضرة المستقلة فلم يظهر للمرة الأولى إلا فى طبعة ١٩١٤ مكوفا من المادة المضافة فى الطبعتين السابقتين وأخرى جديدة .]

(٢) ف . شتكل ، لغة الأحلام ، ١٩١١ .

غيرهم مستعينين بحاسة الشم هذه (وهي حاسة مبتسرة عند معظم الناس) ، أطباء كان يسعهم أن يشخصوا تيفوساً موعياً بوساطة الشم .

ولقد جذب تقدم الخبرة التحليلية انتباهنا إلى مرضى يبدون مثل هذا الفهم المباشر لرموز الحلم على نحو يبعث على الدهش . هؤلاء المرضى كانوا في العادة يعانون جنون المراهقة ، بحيث غلب فترة الميل إلى أن تظن هذه العلة بكل حالم يبدى مثل هذا الفهم الرمزي . ولكن الحقيقة على خلاف ذلك ، فالمسألة هبة أو خاصة شخصية بدون دلالة مرضية ظاهرة .

وإن المرء إذا ألف الاستخدام الواسع الذي تلقاه الرموز في تصوير المادة الجنسية في الحلم لم يجد مناصاً من أن يسأل إذا كان الكثير من هذه الرموز يحىء على حسب دلالات ثابتة مثل « علامات » الاختزال ، ولقد يغرى عندئذ بتسطير كتاب جديد من كتب الأحلام وفق منهج الشفرة . والذي تمكن ملاحظته في صدد هذه المسألة هو هذا : أن الرمزية ليست خاصة من خواص الأحلام ، بل من خواص التفكير اللاشعوري ، وتفكير الشعب بنوع خاص ، وإنا لنجدها في أغاني الشعب وأساطيره وروايته المتوارثة وفي التعابير الدارجة والحكم المأثورة والنكات الجارية أكثر مما نجدها في الحلم . ولهذا لم يكن مفر من أن نشط بعيداً عن مشكلة تفسير الحلم إذا أردنا أن نوفي معنى الرمز حقه وأن نناقش ما يتصل بفكرة الرمز من مشكلات متعددة لا يزال القسط الأعظم منها بغير حل .^(١) وعلى ذلك نقصر ههنا على القول بأن التصوير بوساطة الرمز يدخل في عداد مناهج التصوير غير المباشر ، ولكن هناك دلائل من كل نوع تحذرنا من أن نرج بالتصوير الرمزي بين سائر أنواع التصوير غير المباشر قبل أن يكون في استطاعتنا أن نتمثل خواصه التي تفرق بينه وبينها في تعريف جلي . والجامع المشترك بين الرمز والمرموز إليه يكون واضحاً في طائفة من الحالات ، خفياً في طائفة أخرى ، حتى ليبدو اختيار الرمز شيئاً محيراً . وإن هذه الحالات الأخيرة على التحديد هي التي لا بد قادرة على أن تلقى الضوء على المعنى الأخير الذي لعلاقة الرمزية ، وإنها لتدل على أن هذه العلاقة ذات طبيعة نشئية : فالأشياء التي ترتبط اليوم برباط رمزي كانت على الأرجح تتحد في الأزمنة

(١) [١٩١١ :] أنظر مؤلفات بلويلر وتلاميذه من مدرسة زيوريخ : مادير وأبراهام وغيرهما - في

مسألة الرمزية ، وانظر من يشير إليه هؤلاء من المؤلفين غير الأطباء (مثل كلاينبول وغيره) . [١٩١٤ :]

قبل التاريخه في عينية تصويرية ولغوية^(١) ، فالعلاقة الرمزية تبدو أثراً من عينية غابرة وعلامة عليها . ونستطيع أن نلاحظ في هذا الصدد كيف يقع في بعض الحالات أن يمتد الاتفاق في استخدام رمز من الرموز إلى ما وراء الجماعة اللغوية ، على ما نبه إليه شوبرت من قبل (١٨١٤)^(٢) ، كما أن بعض الرموز قديم قدم الكلام نفسه بينما بعضها الآخر لا يتقطع صكه على مر العصور إلى يومنا هذا (مثال : المنطاد ، « زبلين ») .

والحلم يستخدم الرموز من أجل تصوير أفكاره الكامنة تصويراً مقنعاً . ومن الرموز المستخدمة على هذا الوجه عدد كبير يعنى دائماً – أو يكاد يعنى دائماً – ذات الشيء . ومع هذا ينبغي علينا أن نتذكر دائماً ما تتميز به المادة النفسية من مرونة خاصة . فقد يكون الواجب في أحيان جد كثيرة ألا يفسر الرمز الظاهر في محتوى الحلم بالمعنى الرمزي بل الحرفي ، ويجوز في أحيان أخرى أن يستمد الحلم من مادة ذكرياته الخاصة الحق في أن يستخدم كرموز أشياء من كل صنف لا تستخدم عادة هذا الاستخدام . ثم إن الحلم إذا أمكنه الاختيار بين رموز متعددة من أجل تصوير محتوى بعينه ، انتخب هذا الرمز الذي يرتبط من حيث محتواه الموضوعي بسائر أفكار الحلم ، أى الذى تدفع إلى قبوله أسباب فردية إلى جانب الأسباب النمطية .

وإذا كانت الأبحاث الجديدة في الحلم منذ زمن شرر قد جعلت من وجود الرموز الحلم أمراً لا يقبل المنازعة – فحتى هافلوك إليس يسلم بأن من الحال التشكك في ازدخار أحلامنا بالرموز – فإن من الواجب أن نقر مع ذلك بأن حضور الرموز في الحلم لا يسهل مهمة التفسير وحسب ، بل يزيدها أيضاً صعوبة . ذلك أن طريقتنا

ويجد القارئ أصوب ما كتب عن هذا الموضوع في كتاب رانك وهانس ساكس (١٩١٣ ، الفصل الأول) .
[١٩٢٥ :] وانظر أيضاً إرنست جونز (١٩١٦) .

(١) إن هذه النظرة تحظى بعضد قوى إذا أخذنا بنظرية اقترحها الدكتور هانس شپيربر (في تأثير العامل الجنسي في نشأة اللغة وتطورها ، إيماجو ١٩٢٢) . فهو يرى أن جميع الكلمات البدائية كانت تطلق على أشياء جنسية ثم أخذت تفقد بعد ذلك معانيها الجنسية هذه بإطلاقها على أشياء وأوجه من النشاط مختلفة كانت تقارن بما هو جنسى .

(٢) مثال ذلك أن المركب البخارية على الماء ترد في أحلام التبول عند الحالمين المتفارين مع أنهم لا يستخدمون كلمة Schiffen [أبجر] بمعنى " تبول " [كما هو الشأن في الألمانية] (أنظر فروتسى وكذلك المثال ٦ من هذا القسم) . والناطقون بالفرنسية ويسائر اللغات الرومانية يستخدمون العرفة في التصوير الرمزي للمرأة مع أن هذه الشعوب لا تملك شيئاً يشبه التعبير الألماني : " Frauenzimmer " (أنظر ص ٢٣٤) .

المألوفة في التفسير وفقاً لمستدعيات الحلم تركنا في حيرة حين نجىء إلى العناصر الرمزية في محتوى الحلم . فاحترام النقد العلمى بمنعنا من الاحتكام إلى مشيئة المفسر كما هو المنهج المتبع في الأزمنة القديمة والذي يبدو كأنما قد بعثته من جديد تفسيرات شتيكل الهمجيه . ونحن لذلك مضطرون حيال عناصر الحلم التي نرى أنها عناصر رمزية إلى أن نصطنع منهجاً مزيجاً يستند من ناحية إلى مستدعيات الحلم ويكمل الثغرات من ناحية أخرى بمعرفة المفسر للرموز . ومن واجبنا — إذ أردنا أن نتجنب كل اتهام بمتابعة الهوى في التفسير — أن نجتمع بين الحذر النقدي في حل الرموز وبين دراستها دراسة ملؤها العناية تستند إلى أمثلة قوية الدلالة بنوع خاص . والعجز عن الاستيقان الذي لايزال يعلق بعملنا في تفسير الأحلام ناشئ إلى حد عن نقص معارفنا — وهو نقص يمكن سده شيئاً فشيئاً مع التعمق في الاستقصاء — ولكنه ناشئ إلى حد آخر عن خصائص معينة في رموز الحلم . فهذه الرموز تملك في كثير من الأحيان أكثر من معنى واحد — إن لم تملك العدد الكبير من المعاني — بحيث لا يمكن فهمها في كل مرة فهماً صحيحاً إلا من السياق وحده ، كما هو الشأن في الكتابة الصينية . ثم إن هذا التكرار في معنى الرموز لا يلبث أن يلتقي بما يتميز به الحلم من قبول تفسيرات متعددة ، أى من القدرة على أن يصور في بعض محتواه أفكاراً ورغبات كثيراً ما تختلف اختلافاً واسعاً في طبيعتها .

وبعد هذه القيود والتحفظات أتابع الكلام فأقول : إن الإمبراطور والإمبراطورة (أو الملك والملكة) يصوران حقيقة والذي الحلم في معظم الأحيان . وأما الأمير أو الأميرة فيصور الحلم أو الحاملة . غير أن هذه السلطة العالية التي تعزى إلى الإمبراطور قد تعزى أيضاً إلى عظماء الرجال ، وهكذا كان جوته — مثلاً — يبدو رمزاً إلى الأب في كثير من الأحلام (هيتشمان) . — وتصور القضيبي عند الرجال كل الموضوعات المستطيلة مثل العصي وجذوع الشجر والمظلات (لأن انفتاحها يقارن بالانتصاب !) ، كما تصوره كل الأسلحة المستطيلة الحادة مثل السكاكين والخناجر والمعاول . ورمز آخر يكثر استعماله وإن لم يكن مفهوماً كل الفهم ، هو مبرد الأظافر (أجامع الاحتكاك ؟) — وأما العلب والصناديق والأدراج والدواليب والمواقد فتصور الرحم وكذلك الموضوعات المحوفة والسفن وسائر صنوف الجوارى . — والغرف في الحلم ترمز في معظم الأحيان إلى النساء،

فإن صورت أيضاً مداخلها المختلفة ومخارجها لم يبق في هذا التفسير شك^(١). وأما الاهتمام بما إذا كانت الحجرة «مفتوحة» أم «مغلقة» فأمر يسهل فهمه في هذا السياق. (أنظر حلم دورا | الأول | في «طرف من تحليل حاله هستريا» [فرويد ١٩٠٥ هـ]). ولسنا نحتاج إلى أن نسمى صراحة المفتاح الذى يفتح الغرفة، ولقد استعان أولاند برمزى القفل والمفتاح في تأليف قطعة طريفة من الأدب المكشوف، في أغنية «الكونت ايرشتاين». — والحلم الذى يعبر فيه الحلم سلسلة من الحجرات المتتالية هو حلم بمنزل بغاء أو حريم. ولكنه — كما بين هانس ساكس في مثال بليغ — قد يستخدم أيضاً (من قبيل التضاد) في تمثيل الزواج. وأما أن يحلم الحلم بحجرتين كانتا من قبل حجرة واحدة أو أن يرى حجرة واحدة يألفها قد انقسمت حجرتين، فيمن عن ارتباط بتطلع الطفل الجنسي خليف أن ننتبه إليه. ذلك أن الطفل يعد عضو التناسل عند المرأة منطقة واحدة وفتحة الشرج (النظرية الاستية عند الطفل) ولا يفتن إلا فيما بعد إلى أن هذه المنطقة تضم فجوتين وفتحتين مستقلتين. — وأما المرتفعات والدرجات والسلام والمسير عليها — سواء أكان صعوداً أم كان هبوطاً — فصور ترمز إلى الجماع^(٢). — وأما

(١) «حلم أحد مرضى — وكان يقيم في «بنسيون» — أنه قابل إحدى الخادومات على السلم، فسألها ما رقمها، فأجابته لدهشه: ١٤، والواقع أنه كان قد اتصل بهذه الخادم وزارها زيارات متعددة في غرفتها، وكانت الخادم تخطى طبيعاً أن تتشكك سيدها في أمرها فاقترحت على الحلم في اليوم الذى سبق الحلم أن يتلاقيا في حجرة غير مشغولة. وكانت هذه الحجرة حقيقة هي الحجرة رقم ١٤، بينما حملت هذا الرقم في الحلم المرأة نفسها. ولا يكاد المرء يتخيل مثالا أوضح من ذلك دلالة على تعيين المرأة بالحجرة.» (جونز ١٩١٤ أ). وانظر أيضاً أرتيميدوروس «رموز الأحلام» (ترجمة ف. س. كراوس فيينا ١٨٨١، ص ١١٠): مثال ذلك أن غرفة النوم تعنى الزوجة، إذا كانت بالمنزل زوجة.

(٢) أكرر هنا ما قلته عن هذا الموضوع في موضع آخر (فرويد ١٩١٠ د): علمت منذ زمن غير بعيد أن سيكولوجيا بعيدا عن مجال عملنا قال لأحدنا: إننا نبالغ من غير شك في تقدير المعنى الجنسي المكنون للأحلام؛ فهو — مثلا — يحلم أكثر ما يحلم بالصعود، ومن المؤكد أن ذلك ما لا ينطوي على شيء جنسى. وأثار هذا الاعتراض اهتمامنا، فوجهنا اهتمامنا إلى ظهور المرتفعات والدرجات والسلام في الأحلام وسرعان ما أمكننا أن نثبت أن السلام (وما مائلها من الموضوعات) ترمز من غير أقل شك إلى الجماع الجنسي. وليس من الصعب أن نكتشف أساس هذه المقارنة. فنحن نبلغ القمة في حركات متعاقبة موقعة وفي لهث متزايد، ثم إذا نحن نستطيع النزول إلى حيث كنا في قفزات قليلة مسرعة. وهكذا يعيد الصعود النمط التوقيعي للجماع. ثم لا ننسى شهادة العرف اللغوي؛ فهو يرينا أن «صعد» تستخدم بغير مزيد من التخصيص [في اللغة الألمانية] للدلالة على الفعل الجنسي، ونحن نقول عن رجل: إنه «صعد» [أي ذو ولع بالنساء]، ونقول: «صعد وراء» [أي طارد، والمقدر هو المرأة]. ودرجات السلم تسمى في اللغة الفرنسية «marches» ومنه: «un vieux marcheur» [أي «دراج قديم»]، وهو ما يعدل تعبيرنا الألماني «صعد قديم» [أي زير نساء].

الحوائط الملساء التي يتسلقها المرء والواجهات التي يتزلق عليها - في هيلة شديدة عادة - فتمثل الأجسام الإنسانية الواقعة ، وهي على الأرجح تعيد في الحلم ذكريات عن تعلق الطفل بوالديه أو بالمرضع . والحوائط « الملساء » رجال . ولا يندر أن يتشبث المرء بـ « نتوءات » المنزل في أحلام الهيلة . - ويشبه للنساء بالموائد والموائد المعدة للطعام وبالألواح أيضاً - ولعل ذلك من قبيل التضاد إذ ترتفع هنا الدوائر البارزة في جسم المرأة . وأما « الخشب » على الجملة فيبدو من علاقاته اللغوية أنه ينوب عن المادة الأنثوية (Materie) وجزيرة ماديرا^(١) يعنى اسمها الخشب في اللغة البرتغالية . وإذا كان « الفراش والحوان » يؤلفان الزواج فقد كثر أن ينوب ثانيهما عن أولهما وأن يترجم مركب الأفكار الجنسية إلى مركب الاعتداء . - وأما الملابس فيسعدنا في كثير من الأحيان أن نترجم قبعة المرأة بعضو التناسل ، وبعضو الرجل على التحديد . والأمر كذلك فيما يتصل بالمعطف ، وإن كنا لا نعلم إلى أي حد يرجع استخدام هذا الرمز إلى الجناس اللفظي^(٢) . ويكثر في أحلام الرجال أن تنوب ربطة العنق عن القضيبي ، وليس ذلك لمجرد كون ربطة العنق مستطيلة الشكل ، مدلاة ، مميزة للرجال ، بل لأن المرء أيضاً يختارها وفق هواه - وهي حرية منعت الطبيعة إياها فيما يتصل بالموضوع الرموز إليه^(٣) . ويغلب أن يكون الأشخاص الذين يستخدمون هذا الرمز شديدي الاحتفال بربطات عنقهم في حياتهم الواقعة وأن يملكو مجموعات مستوفاة منها . - ومن المرجح أكبر الترجيح أن جميع الآلات والأجهزة المعقدة تقوم في الحلم مقام الأعضاء التناسلية - وأعضاء الرجل عادة - تلك الأعضاء التي لا يكمل الحلم من وصفها ، شأنه في ذلك شأن النكتة . ولا شك أيضاً في أن جميع الأسلحة والعدد تستخدم رموزاً إلى عضو الرجل : المحاريث والمطارق والبنادق والمسدسات والخناجر والصوارم ، الخ . - ومن السهل أن نتبين كذلك أن المناظر الطبيعية

(١) [Madeira من اللاتينية Mater ومعناه الأم ، لاحظ الجناس مع Materci .]

(٢) [رجل = Mann في الألمانية ، ومعطف = Mantel .]

(٣) أنظر رسماً منشوراً في Zbl. Psychoana¹ ، ٢ ، ٦٧٥ [رورشاخ ، ١٩١٢] رسمة مريض بالهوس في التاسعة عشرة من عمره : رجل ربطة عنقه أفغوان يمد رأسه إلى فتاة . وانظر أيضاً قصة « الرجل الخجول » (Anthropophyteia ، ٦ ، ٣٣٤) : دخلت سيدة في حجرة استحمام فصادفت رجلاً لم يكده يفرغ من ارتداء قميصه ، ويخجل الرجل خجلاً شديداً ولكنه يسارع إلى تغطية عنقه بمقدم قميصه قائلاً : معذرة إذا كنت بغير ربطة عنق .

المتجلية في الحلم - وبخاصة إذا احتوت جسوراً أو قمماً تعلوها الأشجار - هي أوصاف للأعضاء التناسلية . ولقد جمع مارسينوفسكى طائفة من رسوم يوضح بها الحلمون ما ورد في أحلامهم من مناظر الطبيعة والمحال . هذه الرسوم ترينا رؤية العين الفرق الذى بين معنى الحلم الظاهر والكامن ؛ فبينما يلوح للعين غير المحققة أن هذه الرسوم تخطيطات أو خرائط أو ما شاكله ، إذا الباحث الثاقب يتبين أنها تصور الجسد الإنسانى وتصور أعضاء التناسل ، الخ . ، وحينئذ يتيسر فهم الحلم للمرة الأولى . (أنظر فى هذا الصدد مقالات فستر عن الكتابة بالرسوم والألغاز المصورة .) ولنا أيضاً أن نتساءل تجاه المركبات اللفظية غير المفهومة إذا لم تكن هذه المركبات قد تكونت من عناصر ذات معانٍ جنسية . - ثم الأطفال ، هم أيضاً كثيراً ما يعنون فى الحلم أعضاء التناسل ، والحق أن من عادة كلا الرجل والمرأة أن يسمى عضوه [فى الألمانية] على سبيل الإعزاز : « صغيره » أو « صغيرها » . ولا يجانب شتيكل الصواب حين يعرف فى « الأخ الصغير » القضيبي ، كما أن اللعب مع طفل صغير أو ضربه ، الخ . ، تصوير كثيراً ما يصور به الحلم الاستمنا . - فأما تصوير الخضاء تصويراً رمزياً فهذا ما يتوسل إليه الحلم بصور الصلع وقص الشعر وسقوط الأسنان وقطع الرأس . فإن جاء أحد الرموز المألوفة إلى القضيبي مضجعاً أو متكرراً ، عُدّ ذلك استعادة من الخضاء . ومجىء العظاما فى الحلم - وهى حيوانات تنمو أذيالها من جديد بعد قطعها - له كذلك هذا المعنى عينه . (أنظر حلم العظاما فى ص ٩١ .) - والحيوانات التى تتخذ رموزاً إلى أعضاء التناسل فى الأساطير والقصص الشعبي يلتقى الكثير منها ذات الاستخدام فى الحلم : السمك والقواقع والقطط والفئران (شعر العانة) ، ثم بنوع خاص ذلك الحيوان الذى هو أهم الرموز إلى قضيبي الرجل : الثعبان . وتمثل الحيوانات الصغيرة والديدان صغار الأطفال مثل الإخوة والأخوات غير المرغوب فيهم ، كما أن التدود يمثل الحمل فى كثير من الأحيان . - ومن الحري بالذكر رمز إلى عضو التناسل عند الرجل حديث العهد جداً ، هو المنطاد . وتبرر هذا الاستخدام علاقة المنطاد بالطيران ثم شكله أحياناً . - وهناك طائفة أخرى من الرموز ساقها شتيكل مدعماً إياها بالشواهد ولكنها مع ذلك لم تثبت ثبوتاً كافياً . فؤلفات شتيكل - وبخاصة « لغة الأحلام » - تحوى أوفى مجموعة من التراجيم الرمزية ، وبعض هذه التراجيم ينم عن بصيرة نافذة كما أن التمهيص قد أیده من بعد ، مثال ذلك فصله عن رموز الموت ، ولكن افتقار هذا المؤلف إلى ملكة النقد مع نزوعه إلى التعميم مهما كان الثمن يبعثان على التشكك فى

تفسيراته الأخرى أو يقفان حائلاً دون استخدامها ، بحيث ينبغي الأخذ بالخطر الجرم عند الرجوع إلى مؤلفاته . ولهذا كنت أقصر على ذكر أمثلة قليلة من تراجمه .

فى رأى شتيكل أن اليمين واليسار يحملان فى الحلم معنى خلقياً : « فطريق اليمين تعنى دائماً طريق الاستقامة ، فأما طريق اليسار فتعنى الجريمة . وهكذا قد يصور اليسار الجنسية المثلية أو الزنا بالمحارم أو الانحراف ، بينما يصور اليمين الزواج أو الاجتماع ببغى ، الخ . - كل هذا من وجهة النظر الخلقية للفرد الحالم دائماً . » (شتيكل ١٩٠٩ ، ٤٦٦) . ويقوم الأقارب فى الحلم مقام أعضاء التناسل فى غالب الأحيان (ص ٤٧٣) ، بيد أننى لا أستطيع أن أؤيد ذلك إلا فيما يتصل بالأبناء والبنات وصغار الإخوة والأخوات أى فيما يتصل بالأقارب الذين يدخلون تحت مقولة الصغير . كما أننى وجدت من جهة أخرى أمثلة مؤكدة ترمز فيها الأخوات إلى الصدر بينما يرمز الإخوة إلى الردين . ويفسر شتيكل عدم اللحاق بعربة بفرق فى السن لا سبيل إلى محوه (ص ٤٧٩) . فأما المتاع الذى يحمله المرء فى سفر فحمل من الخطيئة يثقل كاهله (ذات الموضوع) . بيد أن متاع السفر على التحقيق كثيراً ما يتبين أنه رمز لا يخطئ إلى عضو الحالم التناسلى . وحدد شتيكل - فوق ذلك - معانى رمزية للأرقام التى يكثر ورودها فى الأحلام ، ولكن هذه التراجم لا تبدو مؤكدة التأكيد الكافى ولا صحيحة صحة شاملة - وإن كان تفسير شتيكل يبدو عادة مقنعاً فى الحالات الجزئية . ولكن ثبت مع ذلك - من جوانب متعددة - أن الرقم ٣ يرمز إلى عضو الرجل التناسلى . وبين القضايا المعقدة التى ساقها شتيكل قضية تتعلق بالمعنى المزدوج الذى تنطوى عليه الرموز الجنسية ، فهو يقول : « أين هو هذا الرمز الذى لا يمكن استعماله فى آن واحد فى كلا المعنيين : المذكر والمؤنث ، بشرط أن تقبل الخيلة هذا الاستعمال ولو أقل قبول ؟ » إن هذا الشرط لا شك يزيل الشك الكثير من اليقين الذى أطلقت به القضية ؛ إذ الواقع أن الخيلة لا تقبل هذا الاستعمال دائماً . ومع هذا أعتقد أنه لن يكون من نافلة القول إذا أضفت أن تجربتى تدل على أن قضية شتيكل تقصر عن مكافأة واقع يزيدنا تعقداً . فهناك إلى جانب الرموز التى تنوب عن أعضاء التناسل المذكرة والمؤنثة على السواء ، رموز أخرى تدل على أحد الجنسين دلالة غالبية أو تكاد تكون مانعة ، ثم أخرى لا نعرف لها إلا معنى مذكراً أو مؤنثاً : فأن تتخذ الأسلحة والموضوعات المستطيلة الصلبة رموزاً إلى الرحم أو أن تتخذ

الموضوعات المخوفة (مثل الأدراج والصناديق والعلب وغيرها) رموزاً إلى القضيبي - ذلك ما تأباه الخيلة على التحقيق .

وإنه لمن الصحيح أن نزوع الأحلام ونزوع الخيلة اللاشعورية إلى استعمال الرموز الجنسية استعمالاً مزدوجاً ينم عن سمة أثرية ؛ لأن الطفل يجهل الفرق بين الأعضاء التناسلية وينسب ذات الأعضاء إلى كلا الجنسين . ولكن من السهل كذلك أن نناق إلى القول خطأ بوجود رمز جنسي مزدوج إذا نسبنا أن هناك عكساً جنسياً عاماً يقع في كثير من الأحلام ، بحيث يصور المذكر بالأنثى ، والعكس . وأمثلة هذه الأحلام قد تعرب - مثلاً - عن رغبة المرأة في أن تكون رجلاً .

ومن الممكن كذلك أن تصور الأعضاء التناسلية بوساطة أجزاء أخرى من الجسم ، فتمثل عضو الذكر يد أو قدم ويمثل فتحة الفرج الفم أو الأذن أو حتى العين . وإفرازات الجسم البشري - المخاط والدموع والبول والمني ، الخ . - قد يحل بعضها محل البعض الآخر في الحلم . وقد قيد رايتار (١٩١٣ ب) قضية شتيكل هذه - وهي صحيحة في جملتها - بقييداً نقدياً صائباً إذ لاحظ أن الأمر يتعلق في جوهره بإحلال إفرازات لادلالة لها محل آخر له دلالته كالمنى .

هذه الإشارات على قصورها قد تكون كافية في الحث على دراسة أخرى جامعة أشد عناية ^(١) . وقد حاولت من جانبي أن أتناول رمزية الحلم بمزيد من التفصيل في « محاضرات تمهيدية في التحليل النفسي » (١٩١٦ / ١٩١٧) ^(٢) .

وأضرب الآن بضعة أمثلة على استخدام أمثلة هذه الرموز في الحلم ، أمثلة تبين كيف يستحيل الوصول إلى تفسير الحلم إذا استبعد المرء رمزية الحلم ، وكيف يضطر المرء في حالات كثيرة إلى التسليم بهذه الرمزية تسليماً لا منازعة فيه . غير أنني أود في الوقت عينه أن أحذر من المغالاة في تقدير أهمية الرموز في الحلم حتى تقصر ترجمة الحلم على ترجمة الرموز تاركين منهج الاستناد إلى مستدعيات الحلم . فالواجب هو أن

(١) إنه مهما كان الفرق بين رأى شرر في رمزية الحلم وبين الرأى الذى أجريه على هذه الصفحات فن الواجب أن أنه إلى أن شرر يجب أن يعد المكتشف الحقيقى للرمزية في الحلم ، وأن الأبحاث التحليلية قد استرجعت لكتابه مكانته بعد أن ظل هذا الكتاب الذى نشر منذ عهد طويل (١٨٦١) يعد أثراً من آثار مخيلة جاحجة .

(٢) [نقله إلى العربية الدكتور عزت راجح .]

تكمل كلتا الطريقتين الأخرى ، ولكن المحل الأول يظل دائماً - سواء من حيث العمل أو النظر - للطريقة التي بدأت بوصفها ، بينما تظل ترجمة الرموز في متناولنا من حيث هي منهج مساعد .

١ - القبعة من حيث هي رمز إلى الرجل

(أو إلى أعضاء الرجل التناسلية)^(١)

(نبذة من حلم امرأة في مقتبل العمر تشكو مخافة الأماكن الطلقة نتيجة الخوف من الغواية)

« أسير في شارع والفصل فصل الصيف حاملة قبعة من القش كان لها شكل غريب ، فقد مال جزؤها الأوسط متجهاً إلى أعلى بينما تدلت حافتها إلى أسفل (تتلصق في الوصف هنا) ، وتدلتنا بحيث صار أحد الجانبين منخفضاً عن غيره . وكنت في مزاج ملؤه المرح والشفة ، فلما مررت بجماعة من الضباط الشبان ، حدثت نفسى قائلة : ليس بينكم أحد يستطيع إيذاؤى . »

لما رأيت القبعة لا تستدعى شيئاً في ذهن الحاملة ، قلت لها : « لا شك في أن القبعة ترمز إلى عضو الرجل بجزئها الأوسط المتجه إلى أعلى وبجافتيها المتدليتين . قد يبدو عجباً أن تكون القبعة رجلاً ولكنك تعلمين كيف تقول : وَقَعْتُ تحت القبعة [وهو تعبير ألماني بمعنى تَزَوَّجْتُ] . » وامتنعت عامداً عن أن أفسر لها تدلى حافتي القبعة تدلياً غير متساو ، مع أن أمثال هذه التفاصيل هي التي يجب أن تحدد اتجاه التفسير . ولكنني مضيت أقول : إنها وقد أصبح لها بذلك زوج له هذه الأعضاء الفاخرة لم تعد بحاجة إلى أن تخشى شيئاً من هؤلاء الضباط ، أي لم تعد بحاجة إلى أن ترغب في شيء منهم ؛ فقد كان ما تتخيله من إمكانية إغوائها هو السبب الجوهرى الذى يحول بينها وبين الخروج من غير حام أو صلبة . وكنت قد استطعت مراراً من قبل أن أفسر هيلتها هذا التفسير الأخير استناداً إلى مادة أخرى .

وكان مسلك الحاملة عقب هذا التفسير مسلكاً ملحوظاً إلى أبعد مدى : ذلك أنها استردت وصفها للقبعة وأصررت على أنها لم تقل قط : إن حافتيها كانتا تتدليان . ولكنني كنت موقناً مما سمعت يقينا يستحيل معه التوضيل ، فثبت على موقفي . وظلت هي صامته برهة ثم وجدت الشجاعة الكافية لكي تسأل : ما معنى أن تتدلى إحدى الخصيتين عند

(١) من " إضافات إلى تفسير الأحلام " فرويد ١٩١١ أ .

زوجها دون الأخرى ، وهل الأمر كذلك عند جميع الرجال ؟ وبهذا اتضحت تلك الخاصة العجيبة في القبة ولقي التفسير كله قبول الحاملة .
لقد كنت أعرف رمز القبة منذ زمن طويل حين روت لى الحاملة هذا الحلم . وكانت هناك حالات أخرى ، لكنها أقل شفافية ، جعلتني أعتقد أن القبة قد تنوب كذلك عن عضو المرأة التناسلي^(١) .

٢ - الطفل الصغير رمز إلى عضو التناسل

السقوط تحت العربة رمز إلى الجماع

(حلم آخر للمريضة السابقة)

أرسلت أمها ابنتها الصغيرة خارج المنزل بحيث اضطرت إلى أن تذهب وحدها . تركب بعد ذلك قطاراً مع أمها وتلمح صغيرتها وهي تسير على سكة الحديد بحيث لا يصبح مفر من وقوعها تحت عجلات القطار . تسمع قعقة عظامها (ويحدث ذلك في نفسها شعوراً غير مريح ولكنه لا يبلغ مبلغ الارتياح الحق) . تدبر نظرها خارج نافذة العربة لترى هل تستطيع رؤية الأجزاء من الخلف ثم تنحى على أمها باللائمة لأنها تركت صغيرتها تخرج وحدها .

التحليل : ليس من السهل أن نورد التفسير الكامل لهذا الحلم ؛ فهو قد جاء بين أحلام تتابعت حلقاتها ولا يمكن فهمه إلا موصلاً بسائره ؛ وإن لمن الصعب أن نعزل المادة اللازمة لإثبات رموزه عزلاً كافياً . - رأيت الحاملة أولاً أن رحلة القطار ينبغي تفسيرها تفسيراً تاريخياً ؛ فهي تشير إلى رحلة قامت بها حين غادرت مصحة للأمراض العصبية لانتحاج إلى أن نقول : إنها قد أغرمت بمديرها . وكانت أمها قد ذهبت إليها لتصطحبها وجاء الطبيب إلى المحطة وأسلمها باقة من الزهور ، هدية فراق ، وكان يخرجها كل الحرج أن تشهد أمها هذه المقدمة . وأمها - إذن - تظهر في هذا الموضع في صورة شخص يعكس صفو جهودها من أجل أن تحب ، وهو دور لعبته هذه السيدة الصارمة حقيقة والمريضة لا تزال فتاة . - وتدور مستدعياتها بعد ذلك حول هذه الجملة : تدبر نظرها لترى هل تستطيع رؤية الأجزاء من الخلف . إن مظهر الحلم يحملنا بالطبع على أن نظن أن المعنى هو أجزاء فتاتها الصغيرة التي جرى القطار فوقها وطحنها . ولكن مستدعياتها تذهب

(١) أنظر مثلاً من هذا النوع رواه كرشجراير (١٩١٢) . وروى شتيكل (١٩٠٩ ، ٤٧٥) حلماً ترمز فيه قبة ثبتت في وسطها ريشة مقوسة إلى رجل (عاجز عجزاً جنسياً) .

بها في اتجاه آخر : فهي تذكر أنها رأت والدها عارياً في غرفة الاستحمام مرة ، ورأته من الخلف . وتغضى المريضة فتحدث عن الفروق بين الجنسين ، وتلح على كون الأعضاء التناسلية للرجل تمكن رؤيتها من الخلف بينما الحال مع المرأة خلاف . وفي هذا السياق تفسر المريضة بنفسها « الصغيرة » بكونها تعني أعضاء التناسل و « صغيرتها » بمعنى أعضائها هي - وكانت لها طفلة في الرابعة . وهي تنحى باللائمة على أمها لأنها أرادت لها أن تحيا كما لو لم تكن لها أعضاء تناسل ، وتنبه إلى أن هذا اللوم متضمن في جملة الحلم الأولى : ترسل أمها ابنتها الصغيرة خارج المنزل بحيث تضطر إلى أن تذهب وحدها . فأن تذهب وحدها في الطريق يعنى في تخيلها أن تكون بغير رجل ، أى بغير حياة جنسية (Coire = سار مع)^(١) ، ولأنها لتكره ذلك . ويخلص من كل رواياتها أنها - وهي فتاة - قد عانت الأمرين حقيقة من جراء غيرة أمها منها ، غيرة مبعثها إثارة أبيها لها .

فأما التفسير الأعمق لهذا الحلم فيتضح من حلم آخر أتاها في الليلة عينها ، وهو حلم عينت فيه ذاتها بأخيها . والحق أنها كانت فتاة كالولد ، ولكم سمعت أنه كان أولى بها أن تكون صبيا . هذا التعيين بالأخ قد أضفى وضوحا خاصا على ماتشير إليه « الصغيرة » من معنى عضو التناسل ؛ فالأم كانت تهدد الأخ (أى تهددها) بالخصاء ، وهو ما لا يمكن أن يكون إلا عقاباً على اللعب بأعضاء التناسل ، وتعيينها ذاتها بأخيها يدل بذلك على أنها قد مارست هي نفسها الاستمناء - وهو أمر لم تعد تذكره اليوم إلا عن أخيها وحده . ويخلص من معطيات هذا الحلم الثاني أن المريضة لابد قد حصلت على بعض المعرفة بأعضاء الذكر التناسلية في ذلك الوقت المبكر ، معرفة آلت بعد ذلك إلى النسيان . أضف أن هذا الحلم يشير إلى النظرية الجنسية التي يعتقد الأطفال بمقتضاها أن الفتيات صبيان مخضون . وإني حين أشرت إلى هذا الاعتقاد الطفلي أيدته على الفور بقصة تحكى عن ولد صغير يسأل فتاة صغيرة : مقطوع ؟ فتجيبه الفتاة : كلا ، كان كذلك دائماً .

وعلى ذلك فإرسال الصغيرة (عضو التناسل) إلى الشارع يتعلق في الحلم الأول أيضاً بوعيد الخصاء ، وهي في النهاية حائقة على أمها لأنها لم تلدها ولداً .

فأما أن « السقوط تحت العرية » يرمز إلى الجماع فلا يتضح من هذا الحلم ، وإن كان قد تأيد من مصادر أخرى متعددة .

(١) [coire فعل لاتيني بمعنى جامع ، وترجمته الحرفية سار مع أو ساير .]

٣ - تصوير أعضاء التناسل بوساطة

المباني والسلام والمغاور

(حلم شاب كَفَّه مركب الأب)

يتمشى مع والده في مكان لا شك في أنه منتزه راتر^(١) ؛ لأنه - أعنى الحلم - يرى مبنى الروتولدا وقد تقدمه بناء صغير شد إليه منطاد بحبال ، غير أن المنطاد بدا متراجحاً بعض الشيء . يسأله والده لم كل هذا ؟ ويمجب الحلم لسؤال أبيه غير أنه يشرح الأمر له . يجيبان بعد ذلك إلى فناء طرح على أرضه لوح من الصفيح . يريد والده أن ينتزع جزءاً منه ، ولكنه يدير البصر حوله قبل الإقدام على هذا الفعل لكي يرى هل هناك عين ترقبه . يقول لأبيه : إنه لا يحتاج سوى إلى مصارحة الحارس وله بعد ذلك أن يأخذ ما أراد وهو خالي البال . ينحدر من الفناء درج إلى مغارة في جوف الأرض نجت حوائطها تنجيذاً وثيراً كما يكون للمقاعد الجلدية ، وفي نهاية المغارة دهليز طويل تبدأ بعده مغارة ثافية . . .

إن هذا المريض ينتسب إلى طائفة من المرضى لا يبشر العلاج معهم بخير كثير ؛ فهم يماشون التحليل مسافة معينة دون أن تظهر منهم مقاومة ما ثم بعد ذلك ينقلبون فلا يكاد يكون ثمت مجاز إليهم . ولقد استقل المريض بتفسير حلمه هذا استقلالاً كاد أن يكون تاماً ، فقال : « إن الروتولدا هي أعضاء التناسل عندي والمنطاد المشدود قدامها قضبي الذي أرى في ارتخائه مدعاة إلى شكائي . » ولنا إذن أن نزيد كلامه تفصيلاً فنترجم الروتولدا بالردفين - اللذين يدخلهما الطفل بين أعضاء التناسل عادة - ونترجم المبنى الصغير الذي يتقدم الروتولدا بكيس الخصيتين . ويسأله أبوه في الحلم ما معنى هذا كله ، أي ما الغرض من أعضاء التناسل وما عملها ، ولكن لا يخفى أن العكس هو الصحيح بحيث يكون المسئول سائلاً . ولما كانت الحقيقة هي أنه لم يسأل والده مثل هذا السؤال قط فعلياً أن نقدر أن فكرة الحلم رغبة أو شيء أشبه بجملة شرطية : « لو أذنني سألت والدي بعض الإيضاح الجنسي . . . » وستكشف لنا بقية الجملة عاجلاً .

وأما الفناء الذي طرح لوح الصفيح على أرضه فلا ينبغي أن نبدأ بأخذه مأخذاً رمزياً ، بل هو مستمد من محل عمل والده . ولقد اقتضى داعي الأمانة على السر أن استبدل الصفيح بالمادة الأخرى التي يتجر فيها والد الحلم دون أن أغير شيئاً من نص الحلم فيما خلا ذلك . وكان الحلم قد التحق بمؤسسة أبيه واحتج احتجاجاً عنيفاً على ما

(١) [منتزه معروف في ضواحي فيينا ، ورد ذكره من قبل في ص ٢١٣ .]

رآه من تصرفات مشبوهة بعض الشيء كانت تعتمد عليها أرباح المؤسسة إلى حد ، ومن هنا جاز أن نكمل فكرة الحلم المذكور في الفقرة السابقة على هذا النحو : « (لو أننى سألتها) لغشنى مثلما يصنع بعملائه . » فأما الانتزاع الذى أفاد فى تصوير غش الأب فيورد الحلم من تلقاء نفسه تفسيره الثانى : إنه يعنى الاستمناء - وهو تفسير عرفناه منذ زمن طويل (أنظر ص ٣٥٦) . ولكن يؤيده هنا أتم التأييد أن يُعرب عن السر الذى يحوط الاستمناء عادة بضده (من الممكن أن يؤتى ذلك علانية) . ويتفق وتوقعنا بعد ذلك كل الاتفاق أن ينقل الاستمناء إلى الأب مثل السؤال فى المشهد الأول من الحلم . وأما المغارة فيبادر الحلم - وهو يفكر فى حشو حوائطها الوثير - إلى تفسيرها بالمهبل . وأضيف مستنداً إلى ما تعلمته من تحليلات أخرى أن التزول - مثل الصعود فى بعض الحالات - يصف الاتصال الجنسى فى المهبل (أنظر ملاحظاتى فى ١٩١٠ د ، وانظر الهامش الذى فى ص ٣٦١ من هذا الكتاب) .

وأما أن يتبع المغارة الأولى دهليز طويل ثم مغارة ثانية فيفسره الحلم أيضاً تفسيراً مستمداً من تاريخ حياته : فهو قد عرف الجماع حيناً ثم انقطع نتيجة للكف ويرجو اليوم أن يعينه العلاج على استرجاع قدرته . بيد أن الحلم يغمض مع ذلك قرب النهاية ، ولا شك فى أن كل عارف سوف يرجح أن موضوعاً آخر قد أخذ يتطرق إلى المشهد الثانى من الحلم ويؤثر فيه تأثيره ، وهو موضوع يشير إليه عمل الوالد وتصرفاته المحتالة والمهبل الأول المصور فى صورة المغارة ، وهكذا يستطيع المرء أن يفترض أن لهذا الموضوع صلة بالأم .

٤ - الرمز إلى أعضاء التناسل عند الرجل
بوساطة الأشخاص وعند المرأة بمنظر طبيعى
(حلم امرأة من عامة الشعب كان زوجها من رجال الشرطة)
(رواه ب . داتنر)

. . . وعندئذ اقتحم البعض الشقة فصاحت - وقد امتلأت رعباً - تستنجد رجلاً من رجال الشرطة ولكن رجل الشرطة هذا يدخل فى هدوء كنيسة [Kirche] ^(١) كانت تسلم إليها عدة من الدرجات ^(٢) ، وكان يصحبه أفاقان .

(١) أو كنيسة صغيرة [Kapelle] = مهبل .

(٢) رمز إلى الاتصال الجنسى .

كان يشمخ من وراء الكنيسة جبل (١) تملوه غابة كثيفة (٢) . وكان رجل الشرطة يرتدى خوذة وصداراً معدنياً وعباءة (٣) وكانت له لحية سمراء ، وأما الأفاقان اللذان كأذا يصحبه فقد شد كل منهما إلى حقوه إزاراً أشبه بالفراة (٤) . كان هناك طريق يسلم من الكنيسة إلى قمة الجبل وعلى جانبي هذا الطريق نبتت حشائش وشجيرات كانت تزيد على طول الطريق كثافة حتى صارت فوق قمة الجبل غابة حقيقية .

٥ - أحلام الخصاء عند الأطفال

(أ) استيقظ طفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات وخمسة أشهر - وكان من الجلى أنه لا يرتاج إلى فكرة رجوع والده من جهة القتال - استيقظ ذات صباح مترعجاً ، سائلاً ، ملحاً في السؤال : لم كان بابا يحمل رأسه على طبق ؟ كان بابا يحمل رأسه على طبق في الليلة الماضية .
(ب) ويذكر طالب يعاني اليوم عصباً قهرياً شديداً أن الحلم الآتى قد عاده مرات متكررة وهو في السادسة من عمره : ينهب إلى الحلاق لكي يقص شعره . تسخل عندئذ امرأة ضخمة صارمة الملامح وتقطع رأسه . يعرف أن المرأة أمه .

٦ - رموز البول

إن الرسوم التي يراها القارئ هنا قد اكتشفها فرنسي في صحيفة هزلية هنتارية (هي صحيفة « فيديبوس ») فلم يفته أن يرى كيف يمكن استخدامها في تصوير نظرية الحلم ، ولقد سبق أوتو رانك إلى نقلها في مقال له (١٩١٢ أ) .

كانت هذه الصور تحمل العنوان الآتى : « حلم مربية فرنسية » ولكن الصورة الأخيرة التي ترينا المربية وهي تستيقظ على صراخ الطفل هي وحدها التي تجعلنا ندرك أن الصور السبع السابقة إنما تصور مراحل في حلم واحد . فالصورة الأولى تبين المنبه الذي كان ينبغي أن يؤدي إلى اليقظة : فالطفل يستشعر حاجة ويطلب معاونته على قضائها . ولكن الحلم يخيل إلى الحاملة أنها تصطحب الطفل في نزهة وليست نائمة في غرفته . وهي في الصورة الثانية قد أخذته إلى جانب الطريق حيث نراه يتبول - ولها إذن أن تمضي في نومها . ولكن المنبه يستمر ، بل يزداد ؛ فالطفل إذ لا يجد أحداً يسارع

(١) Mons veneris [جبل الزهراء .]

(٢) Grines pubis [شعر العانة .]

(٣) في رأى خير أن الشياطين المكسية بعبآت وطراير ذات طبيعة قضيبية .

(٤) نصفاً كيس الخصيتين .

إليه يرفع صوته بالصرخ . وكلما ألح في إيقاظ مربيته وفي طلب عونها أكد لها الحلم أن كل شيء على ما يرام وأنه لا داعي يدعوها إلى الاستيقاظ . وفي هذا الوقت عينه يصور الحلم الزيادة في المنبه بالزيادة في أبعاد الرموز الرامزة إليه : فحجرى الماء الذى يحدثه التبول يزيد عنفوانا ، فما أن تأتى الصورة الرابعة حتى تصير منه الكفاية لقارب ذى مجداف ، ثم لجندل ، فركب ذى شراع ، وفي النهاية باخرة . وهكذا استطاع رسام ماهر أن يصور الصراع بين حاجة عنيدة إلى النوم ومنبه لحوح يدفع إلى اليقظة تصويراً حاداً .

٧ - حلم سلم

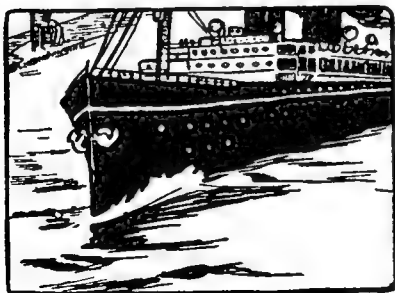
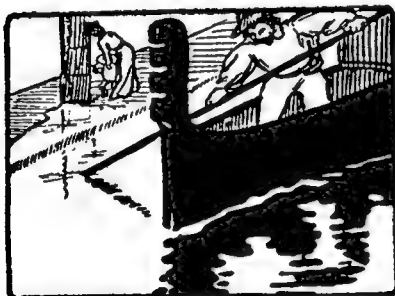
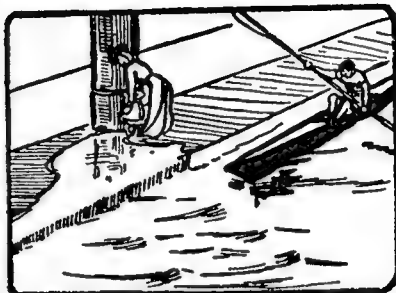
(رواه أوتو رانك وفسره)

« وأشكر أيضاً هذا الزميل الذى أدين له بحلم المنبه السنى (وهو حلم مذكور هنا في ص ٣٩٢ وما بعدها) على حلم آخر من أحلام الإيماء لا يقل عنه شفافية :

« أنهب السلم ملاحقاً فتاة صغيرة ارتكبت فى حق شيئاً ما أريد عقابها عليه . يوقفها لى عند نهاية السلم شخص ما (أهو امرأة راشدة ؟) أمسك بالفتاة ، ولا أعلم هل ضربتها ، لأننى وجدتني فجأة على منتصف الدرج أجامع الطفلة (كما لو كان ذلك فى الهواء) . لم يكن ذلك جاعاً حقيقياً ، بل كنت أحك بعفوى أعضائها الخارجية التى كنت أراها فى هذه الأثناء متميزة غاية التميز كما كنت أرى رأسها الذى ارتد إلى الوراء بميل إلى أحد الجانبين . وبينما كنت آخذاً فى الفعل الجنسي رأيت صورتين معلقتين فوق عن يسارى (كما لو كان ذلك أيضاً فى الفضاء) ، وكانت كلتاهما تصور منزلاً تحيط به الأشجار وكان اسمى مكتوباً بأصغر الصورتين فى موضع توقيع الرسام ، كأنما أريد بالصورة أن تكون هدية عيد ميلاد لى . وعلقت أيضاً أمام الصورتين لافتة كتب عليها : الصور الأرخص يمكن الحصول عليها أيضاً) وعندئذ أراى كما لو كنت دائماً فى سرير على فسحة السلم رؤية مبهمة إلى أبعد حد) ثم يوقظنى شعور بالبلبل الذى أحدثه الإيماء .

« التفسير : ذهب الحالم فى مساء يوم الحلم إلى إحدى المكاتب وبينما كان ينتظر تلبية طلبه أجال بصره فى صورة كانت تعرض هناك وكانت تصور موضوعات أشبه بما رآه فى الحلم . وراقته بنوع خاص لوحة صغيرة فاقترب منها ليتبين اسم الرسام ، فكان اسماً لا يعرفه على الإطلاق .

« وحدث بعد ذلك فى هذه الأهمية عينها أنه كان فى رفقة جماعة من الأصدقاء ، فسمع قصة تحكى عن خادم بوهيمية كانت تفاخر بأن ابنها غير الشرعى قد صنع على السلم . واستفسر الحالم عن تفاصيل هذه القصة غير المألوفة فعلم أن الخادم اصططبت عاشقها يوماً إلى منزل والديها فلم يجدا هناك فرصة للاجتماع وغلب الشبق الرجل فأتى فعله



معها على السلم . وعندئذ لمح الحالم تلميحاً مازحاً إلى تعبير خبيث يطلق في وصف الأنثى المخلوطة : إن هذا الطفل قد جاء حقيقة ' من كرمه زرع في بئر سلم ' .

« تلك هي وشائج الحلم باليوم السابق ، وهي وشائج ظهرت في محتوى الحلم بشيء من الإلحاح وسردها الحالم دون أن يلاقى في سردها صعوبة ما . ولكنه ذكر أيضاً بمثل هذه السهولة طرفاً من إحدى ذكريات طفولته ، ذكرى لقيت هي الأخرى في الحلم وجه استخدامها : فالسلم قد أخذ من المتزل الذي قضى فيه الحالم معظم طفولته وفيه - على الأخص - حصل أول معرفته الشعورية بالمسائل الجنسية . وكان الحالم كثيراً ما يلعب على هذا السلم ، ومن صنائعه في هذا المضمار امتطاء الجُلُوق والتزحلق عليه وهو فعل كان يطلق عنده أحاسيس ذات طابع جنسى . وإنه في الحلم كذلك يندفع على الدرج في سرعة خارقة حتى أن قلميه - على حسب تعبيره - لم تكونا - والحق يقال - تلمسان السلم درجة فدرجة ، بل كانتا « تطيران » طيراناً - كما نقول . فإذا حسبنا لهذه الخبرة الطفلية حسابها ، بدا أن بداية الحلم تصور عامل الهياج الجنسي . - غير أن الحالم قد عبث أيضاً مع أبناء الجيران عبثاً جنسياً فوق هذا السلم وسلم البيت المجاور وكثيراً ما أشبع رغباته الجنسية في خلال هذا العبث على نحو يماثل نحو إشباعها في الحلم كل المماثلة .

« فإذا تذكرنا أن أبحاث فرويد (أنظر ١٩١٠ أ [وانظر ص ٣٦٣ فيما سبق]) قد بينت أن السلام وصعودها تقوم في الحلم مقام الجماع قياماً لا يكاد يكون له استثناء ، غدا الحلم شفافاً كل الشفافية . فالدافع إليه - كما يظهر في الحقيقة من خاتمته ؛ وهي الإنزال - كان دافعاً لبيدياً محضاً . فقد استيقظ الهياج الجنسي للحالم أثناء نومه - وهو ما تصور في الحلم باندفاعه على السلم - وكان في هذا الهياج عنصر سادى يرجع تكونه إلى عبث الطفولة ودلت عليه مطاردة الحالم للطفلة وسبقه إياها . وزاد الهياج الليبيدي شدة حتى حث على الفعل الجنسي - وهو ما تصور في إطباق الحالم على الطفلة وحمله إياها إلى منتصف السلم . وإلى هنا لم يكن الحلم جنسياً إلا على نحو رمزي ، ولعل الحلم كان يستغل كل الاستغلاق على من لا مراس له بتفسير الأحلام . بيد أن مثل هذا الإشباع الرمزي لم يكف لأن يكفل للحالم رقوداً هادئاً ؛ لشدة التهييج الليبيدي . فكان أن أدى التهييج إلى الإنزال ، وبذا انكشف أن رمزية الحلم بمخاديفها كانت تصور الجماع . - وإذا كان

فرويد يذهب إلى أن أحد الأسباب الداعية إلى استخدام صعود السلم رمزاً جنسياً هو الطابع التوقيعي الذي لكلا الفعلين ، فهذا الحلم شاهد يؤيد كلامه في وضوح خاص ؛ لأن الحلم قد ذكر صراحة أن أبرز عناصر حلمه جميعاً كان توقيع الفعل الجنسي وحده صعوداً وهبوطاً .

« تبقى ملاحظة خاصة بالصورتين اللتين ظهرتنا في الحلم بمعنى رمزي ، بمعنى 'صور نساء' (١) إلى جانب المعنى الموضوعي : إن ذلك ما يشهد به وجود صورة كبيرة وأخرى صغيرة مثلما جاءت في الحلم من قبل امرأة كبيرة (أو راشدة) وطفلة صغيرة . كما أن إمكانية الحصول على الصور الأرخص تؤدي إلى مركب البغايا . هذا بينما يلمح إلى المركب الوالدي ظهور اسم الحلم في الصورة الصغرى ثم تفكيره في أن هذه الصورة يراد إهداؤها إليه يوم عيد مولده (ولد على السلم = جاء نتيجة الجماع) .

« فأما المشهد الأخير غير المتميز — حين يرى الحلم نفسه راقداً في سريريه على فسحة السلم مع إحساس بالبلل — فيبدو أنه يشير إلى عهد من عهود الطفولة يسبق عهد الاستمنااء الطفلي أيضاً . وأغلب الظن أنه مشهد يستمد مثاله المحتذى من مشاهد مشبعة أيضاً باللذة تتعلق ببلل القراش . »

٨ — حلم سلم معدل

كان بين مرضاي مريض ينفر من الحياة الجنسية نفوراً أملاًه عصاب شديد وكانت تخيلاته مثبتة على أمه وكان يحلم مراراً بأنه يصعد السلم في صحبتها . واتفق أني ذكرت له أن الاستمنااء مع شيء من القصد لن يضره في أغلب الظن ضرر امتناعه القهري هذا ، فكان من أثر هذه الملاحظة أنه حلم الحلم الآتي :

« يؤخذ معلم البيانو على إهماله العزف ولأنه لم يجد دراسات ، موشليس ولا 'مراق البارناس' لكلينى . »

ويعقب المريض على هذا الحلم فيلاحظ أن المراق أيضاً درجات وأن المعزف نفسه درج لأنه يحتوي على سلام .

(١) ["Weißbilder" تعبير ألماني دارج بمعنى : نساء .]

إن المرء لا يجانب الحق إذا قال : إنه ما من طائفة من الأفكار إلا أمكن استخدامها في تصوير حقائق الحياة الجنسية ورغباتها .

٩ - الشعور بأن ما يرى في الحلم حقيقة وتصوير التكرار

قص رجل يبلغ اليوم الخامسة والثلاثين من عمره حلماً يتذكره تذكراً واضحاً ويدعى أن هذا الحلم قد أتاه وهو في الرابعة من عمره : أحضر مسجل العقود المكلف بإنفاذ وصية والده - وكان والده قد مات وهو طفل في الثالثة - كثيرين كبيرتين ، أعطى إحداها لياكلها ووضعت الثانية على عارضة النافذة التي في حجرة الجلوس . واستيقظ الحالم وهو مقتنع بحقيقة ما رأى حتى أنه ألح على أمه في طلب الكمثرى الثانية مؤكداً أنها ما زالت بعارضة النافذة مما أثار ضحك أمه .

التحليل : كان مسجل العقود سيداً متقدماً في السن مرح الطبع ، واتفق ذات مرة أنه أحضر حقيقة بعض الكمثرى - كما يعتقد الحالم تذكراً . وأما عارضة النافذة فكانت كما رآها في الحلم ، ولم يخطر بباله خاطر آخر بصدها - سوى أن أمه كانت قد روت له حلماً منذ زمن قريب : رأت طائرین يقبعان فوق رأسها ، فسألت نفسها ، متى يطيران بعيداً عنها ؟ ولكنهما لم يطيرا بعيداً ، بل طارا أحدهما إلى فيها وأخذ يحسو منه .

وكان وقوف مستدعيات الحالم يخول لنا الحق في أن نحاول تفسير حلمه بترجمته الترجمة الرمزية : إن الكمثرين - تفاح وكمثرى^(١) - هما ثديا الأم اللذان غذياه ، وأما عارضة النافذة فهي بروز صدرها ، مثل الشرفات في أحلام المنازل [أنظر ص ٣٦٢] . وهو حق في شعوره بعد اليقظة بحقيقة ما رأى ؛ فقد أرضعته أمه حقيقة ، بل تبادت في ذلك إلى ما يعدو الحد المألوف كثيراً وكان صدرها إذ ذاك لا يزال مباحاً له . فالحلم تنبئ ترجمته : يا أماه ، اعطني (أو أريني) مرة ثانية صدرك الذي نهلت منه مرة من قبل . . و « المرة التي من قبل » قد ترجمت في الحلم بالكمثرى التي أكلت ، وترجمت « المرة الثانية » بسؤاله عن الأخرى . فالتكرار الزمني للفعل ينقلب في الحلم بانتظام إلى تكثير عددي للموضوع .

(١) [pommes et poires - رموز دارجة إلى الأنداء في اللغة الفرنسية .]

ولأن تأخذ الرمزية بنصيب في حلم طفل ما زال في الرابعة أمر بالطبع من أشد الأمور جذبا للنظر . ولكن ذلك ليس استثناء بل هو القاعدة . وما بجانب الصواب إذا قلنا : إن الحلم يجد لغة الرموز في متناوله منذ البدء .

وها هي ذى ذكرى خالية من كل تأثير غريب تقصها سيدة تبلغ اليوم السابعة والعشرين من عمرها ، وإنها لترينا بأى سن مبكرة يصطنع الإنسان لغة الرموز خارج الحياة الحاملة كما في داخلها : كانت سنها بين الثالثة والرابعة حين أخذتها مربيتها إلى مرفق المياه مع أخيها الذى يصغرها بأحد عشر شهراً وفتاة قريبة تتوسطهما في العمر ، لكى يقضى الجميع حاجاتهم قبل أن يخرجوا للنزعة . وكانت هى أكبر الثلاثة فجلست على مرحاض الكبار في حين جلس الطفلان الآخران على الأصص المخصصة للأطفال . وهنا سألت الراوية قريبتها : أنت أيضاً تملكين كيساً ؟ إن قالتر يملك صيحاً صغيراً ، وأما أنا فكيس . فأجابت القريبة : نعم ، أنا أيضاً أملك كيساً . وسمعت المربية حديثها ضاحكة ثم نقلته إلى سيدتها ، فكان جوابها تقر يماً محدداً .

وأسرد في هذا الموضع حلماً مكتنتا رموزه البديعة المتقاة من تفسيره بغير كبير استعانة بمستدعيات الحاملة :

١٠ - « مسألة الرمزية في أحلام الأصحاء » (١)

« هناك اعتراض يكثر منه خصوم التحليل النفسى - وردده هافلوك إليس أخيراً (٢) وهو يتلخص في أن رمزية الحلم قد تكون نتاجاً للنفس العصابية ولكنها تفقد كل صدق فيما يتصل بالأشخاص السويين . وإن البحث التحليلي النفسى إذا كان لا يرى فارقاً أساسياً بين الحياتين السوية والعصابية ، بل كل الفرق عنده في الكم ، فإن تحليل الأحلام التى تعمل فيها المركبات المكبوتة عند المرضى والأصحاء على السواء يرينا عينية تامة بين الأحلام هنا وهناك ، سواء أمن حيث الميكانيكيات أم من حيث الرموز ، بل إن أحلام الأصحاء الساذجة كثيراً ما تحوى رموزاً أقل تعقيداً وأكثر شفافية ودلالة مما يرد

(١) عن ألفريد روبيتسك ، ١٩١٢ ، ص ٣٤٠ .

(٢) « عالم الأحلام » لندن ١٩١١ ، ص ١٦٨ .

في أحلام العصابيين ؛ فهذه قد تستغلق على التفسير وتتعذر نتيجة لفعل الرقابة الأشد وما ينجم عنه من تشويه أوسع نطاقاً . والحلم الذى أرويه ينفع في تصوير هذه الحقيقة . إنه حلم فتاة لا تشكو عصاباً ، يغلب على طبعها الحفر والتحفظ ، علمت وأنا أتحدث معها أنها قد خطبت ولكن تحول دون زواجها عقبات ربما أبحاث إلى إرجائه . ولقد روت لى الحلم الآتى من تلقاء نفسها :

« أمي^(١) وسط إحدى الموائد بأزهار استمداداً لميلاد^(١) . وتقول الفتاة إجابة عن سؤال سألتها لياها : إنها بدت في الحلم كأنما كانت في بيتها (وهي لا تعيش فيه في الوقت الحاضر) . وأن شعوراً بالسعادة كان يخالجهـا .

« إن الرموز ' الشعبية ' تمكنني من ترجمة هذا الحلم وحدي . فهو يعرب عن رغبتها في العرس : فالمائدة المزودة بالأزهار في وسطها ترمز إليها هي وإلى أعضاء التناسل عندها . وهي تصور رغبة المستقبل محققة : فهي هي ذى تشغل بالتفكير في عيد ميلاد الطفل كأنما الزواج وراءها بينه وبينها أمد بعيد .

« وأقول لها : إن وسط إحدى الموائد^(٢) تعبير غريب بعض الغرابة (وهو أمر توافقي عليه) ولكنني بطبيعة الحال أحجم عن أن أوجه إليها سؤالاً مباشراً في هذا الصدد ؛ فقد كنت حريصاً على ألا أوحى إليها تفسير الرمز ، واكتفيت بسؤالها عما يدور بخلدتها فيما يتصل بأجزاء الحلم المتفرقة . ولم يلبث تحفظها أن انحسر في سياق التحليل ليحل محله اهتمام بالتفسير ومصارحة مكن لها ما اتسم به الحديث من طابع الجد . — سألتها أى الأزهار كانت ، فأجابت على الفور : أزهار غالية لا ينالها المرء إلا إذا دفع^(٣) ، ثم أردفت : زنايق الوادى وبنفسج وقرنفل^(٤) ، وتراءى لى أن كلمة الزنبق قد وردت في هذا الحلم بمعناها الشعبي من حيث هي رمز للطهارة ، فأيدت الفتاة كلامي لأن الزنبق يستدعى في ذهنها الطهارة . ولكن الوادى رمز أنثوى يشيع في الأحلام ، فكان رمزية

[I arrange the centre of a table with flowers for a birthday.] (١)

[the centre of a table.] (٢)

['Expensive flowers; one has to pay for them'] (٣)

['Lilies of the valley, violets and pinks or carnations' ?] (٤)

الحلم قد استغلت التقاء كلا الرمزين التقاء عارضاً في الكلمة الإنجليزية الدالة على هذه الزهرة^(١) من أجل توكيد نقاسة عذرها — أزهار غالية ، لا ينالها المرء إلا إذا دفع — ومن أجل الإعراب عن أملها في أن يعرف رجلها كيف يقدر قيمتها حق قدرها ولن نلبث دون أن نرى أن هذه الملاحظة : أزهار غالية . . . إلخ . كان لها معنى يختلف باختلاف الأزهار الثلاث الرامزة .

« وخطر لي — وهو خاطر بدا لي غاية في الحرارة — أن أفسر 'violets' [بنفسج] الظاهرة الخلو من كل وجه جنسى بصلة بينها وبين الفرنسية 'viol' [اغتصاب] ، فشد ما كان دهشى إذ رأيت الحاملة تستدعي 'violate' وهي الكلمة الإنجليزية الدالة على : اغتصب . فكأن الحلم قد استغل هذا الجناس العارض الكبير بين كلمتي 'violet' و 'violate' — والحق أنهما لا يختلفان في النطق الإنجليزي إلا من حيث نبرة المقطع الأخير — في الإعراب بـ 'لغة الأزهار' عن أفكار الحاملة حول القسوة التي في فقس زهرة العفاف (وهو تعبير آخر يستخدم لغة الرموز) ، ولعله استغله في الإعراب كذلك عن سمة ماسوشية من سمات طبعها — وهو مثال جميل على الجسور اللفظية التي يمر بها الطريق إلى اللاشعور . وأما قولها : لا ينالها المرء إلا إذا دفع فيعني — في هذا الموضع — حياتها التي يجب أن تدفعها لكي تصير زوجاً وأما .

« وأما كلمة 'pinks' [قرنفل] التي ألحقت بها مرادفها 'carnations' فقد ذهبت بخاطري إلى الصلة بينها وبين الكلمة الإنجليزية التي بمعنى " لحمى " ^(٢) ولكن الحاملة فكرت في كلمة 'colour' (لون) ، ثم أضافت أن الـ 'carnations' [القرنفل] أزهار كان خطيبها يهديها إليها في مناسبات كثيرة وبمقادير كبيرة . غير أنها بعد أن فرغت من كلامها صرحت فجأة من تلقاء نفسها بأنها لم تقل الصدق : فالكلمة التي خطرت لها لم تكن 'colour' بل 'incarnation' (التجسد) [وبالحرف : الحلول في لحم] — وهي الكلمة التي كنت توقعها . ونلاحظ بعد ذلك أن كلمة 'colour' ذاتها لم تكن جاءت عفواً ، بل ساقها معنى كلمة 'carnation' (لون اللحم) ^(٣) ، وهي إذن كانت محتمة بالمركب .

(١) [قلنا : زنايق الوادي ، بترجمة حرفية لاسم هذه الزهرة في اللغة الإنجليزية تسهيلاً لمتابعة النص والمقصود نوع من الزنبق أو السوسن .]

(٢) [المقصود كلمة carnal ويراد بها : حسي أو جنسي .]

(٣) [ويراد به الأحمر القرمزي .]

« وترينا هذه المواربة أن المقاومة قد بلغت في هذا الموضع أقصى مداها وهو ما يتفق وكون الرمز كان ههنا أكثر ما يكون وضوحاً ، وأن الصراع بين الليبيدو والكبت قد بلغ أشده فيما يتصل بهذا الموضوع القضيبى . وملاحظة الحاملة أن خطيبها كان يهدى إليها هذه الأزهار كثيراً لم تكن تشير - إذن - إلى المعنى المزدوج الذى لكلمة 'carnation' وحسب [" قرنفل " و " فى لون اللحم "] ، بل كانت تشير كذلك إلى مضمونها القضيبى فى الحلم . وهدية الأزهار - وكانت هى الحدث اليوى الذى بعث على الحلم - قد استخدمت فى التعبير عن أفكار تدور حول تبادل العطايا الجنسية : إنها تهدى بكارتها وتنتظر فى مقابلها حياة من الحب الوفور . وههنا كان أيضاً لقولها : أزهار غالية ، لا ينالها المرء إلا إذا دفع - كان له معناه - ومعنى مالى ، حرفى ، من غير شك . - وهكذا اشتملت رمزية الزهور فى هذا الحلم على عذر الأنوثة ، ثم على الذكورة ، ثم على إشارة إلى قفص البكارة عنوة . وإنه مما تنبغى الإشارة إليه فى هذا المجال أن الرمزية الجنسية للأزهار - وهى رمزية يكثر استخدامها من غير شك فى غير هذا المثال - ترمز إلى الأعضاء الجنسية للإنسان بالأزهار التى هى الأعضاء الجنسية للبنات . وربما كانت هدايا الزهور بين العاشقين تحمل بوجه عام هذا المعنى اللاشعورى .

« ثم إن يوم الميلاد الذى كانت الحاملة تعد له عدته يعنى ولا شك مولد طفل . فالحاملة تعين ذاتها بخطيبها وتصوره كما لو كان يهبها للميلاد ، أى يجامعها . والفكرة الكامنة يمكن إذن صوغها على هذا النحو : لو كنت إياه ما انتظرت ، بل كنت أفص زهرة خطيبتى دون أن أسألها ، معملا العنف - وهى فكرة ألمعت إليها كلمة 'violate' - وهكذا يبلغ المقوم السادى فى الليبيدو إلى الإفصاح عن نفسه .

« وربما كان لقولها : أهيبى . . . الخ . ، ربما كان له - فى طبقة أعمق من الحلم - مدلول العشق الذاتى ، أى مدلول طفلى .

« والحاملة حاصلة أيضاً على معرفة لا تتسنى إلا فى الحلم بنقصها الجسمى ؛ فهى ترى نفسها مسواة مسطحة مثل المائدة ، وهى لذلك تعلق من نفاسة الـ 'centre' [الوسط أو المركز] (وتسميه فى موضع آخر : جزءاً أوسط من الزهور) ^(١) ، أى عذرتها .

وهكذا شاركت أفقية المائلة بعنصر من عناصر الرمز . — وإنه لأمر حرى بالملاحظة هذا التركيز في الحلم ، فما فيه من نافلة وكل كلمة رمز .

« وقد أتت الحاملة من بعد بملحق لحلمها : 'أزين الأزهار بورق أخضر متجدد' ،^(١) ثم أضافت أنه كان 'ورق زينة' ،^(٢) من النوع الذى يستخدم فى تغطية أصوص الزهور المألوفة . ثم مضت تقول : 'لإخفاء الأشياء القذرة ، كل ما قد تقع عليه العين ولا يلوح لها حساً ؛ هناك فجوة أو فضاء صغير بين الأزهار' ،^(٣) . ثم : 'يبدو الورق مثل القطيفة أو الطلح' ،^(٤) . ويذهب بها التداعى من كلمة 'decorate' (زين) إلى كلمة 'decorum' (اللباقة) — مثلما توقعت . واللون الغالب هو اللون الأخضر وهو يستدعى 'hope' (الأمل) — وهى إشارة أخرى إلى الحمل . إن السمة الغالبة فى هذا الجزء من الحلم ليست تعين ذاتها برجل ، بل الصدارة هنا لأفكار خجل ومصارحة : فهى تتجمل له وتسلم بما فى جسمها من معائب تثير خجلها وتحاول هى إصلاحها . ولقد كانت مستدعياتها فى صدد القطيفة والطلح شاهداً واضحاً على أن الأمر يتعلق بشعر العانة .

« هذا الحلم يعرب إذن عن أفكار كانت الفتاة لا تكاد تعرفها فى حياتها المستيقظة أفكار تدور حول الحب الحسى وأعضائه : فهى كانت 'تهباً للميلاد' أى تواصل بوصال جنسى . والخشية من أن تفض عذرتها تلتى هى الأخرى ما يفصح عنها ، وربما كان ثم ما يعرب كذلك عن ألم مشرب باللذة . والفتاة تصارح نفسها بمعايبها الجنسية وتعوض نفسها عنها بالمغالاة فى تقدير بكارتها . وحياءها يتلمس لها العذر على هذه النزعات الحسية ، وعذره أنها تهدف إلى الخلف . ثم بالإضافة إلى ذلك تدخل اعتبارات مادية ، غريبة عن ذهن المحب . كما أن الحالة الوجدانية المقترنة بهذا الحلم الساذج — وأعنى بها إحساس السعادة — تدل على أن مركبات عاطفية قوية قد وجدت فى هذا الحلم كفايتها . »

وما جانب فرنسى الصواب — إذن — حين لاحظ (١٩١٧) أى سهولة نم بها

['I decorate the flowers with green crinkled paper.'] (١)

['fancy paper'] (٢)

['to hide untidy things, whatever was to be seen which was not pretty to the eye; there is a gap, a little space in the flowers.'] (٣)

['The paper looks like velvet or moss'.] (٤)

« أحلام الغافلين »^(١) بوجه التحديد عن معنى الرموز وعن تفسير الأحلام .

وفي هذا الموضع أدرج حلماً لشخصية تاريخية معاصرة ؛ لأننا نرى فيه موضوعاً من الموضوعات التي تصلح بوجه عام لتمثيل عضو الذكر وقد أضيف إليه محمول يرينا في وضوح ما بعده وضوح أن هذا الموضوع رمز قضيبى : فأن يطول سوط الفارس طولا لا نهاية له — ذلك ما لا يسهل تفسيره بسوى كونه يعنى الانتصاب . يضاف إلى ذلك أن هذا الحلم يزودنا بمثال جميل يبين كيف يمكن أن تصور أفكار جديدة ، بعيدة كل البعد عن كل ما هو جنسى بوساطة مادة طفلية جنسية .

١١ — حلم لبسارك

(عن الدكتور هانس ساكس)

« يروى بسارك فى كتابه 'خواطر وذكريات' (الجزء الثانى من الطبعة الشعبية [١٨٩٨] ص ٢٢٢) خطاباً قصيراً كتبه إلى القيصر فيلهلم فى ١٨ من ديسمبر عام ١٨٨١ . وكان الخطاب يتضمن تلك الفقرة : إن ما أفضت به جلالتكم إلىّ يشجعنى على أن أروى حلماً أتانى ربيع عام ١٨٦٣ ، فى أشد أيام ذلك الصراع الذى لم تكن تستطيع عين إنسان أن ترى منه مخرجاً : حلمت — وطلع الصباح فما لبثت حتى قصصت الحلم على زوجى وشهود آخرين — أننى أركب فى طريق ضيق بين جبال الألب ، الهاوية عن يمينى والصخور عن يسارى والطريق تزيد ضيقاً بعد ضيق حتى أبى الحصان مواصلة المسير واستحال على أن أنزل أو أستدير ؛ لقلّة المتسع . عندئذ رفعت سوطى بيسارى وهويت به على الصخرة الملساء وأنا أدعو الله ، فإذا السوط يطول إلى غير نهاية ، وإذا الصخرة تسقط مثل مشهد من مشاهد المسرح ، ويظهر طريق فسيح يشرف على تلال وغابات من قبيل ما نرى فى بوهيميا ، ولاحت الفرق البروسية حاملة راياتها ، فأفكر — وأنا ما أزال بحلمى — فى أن أنبئ جلالتكم بالأمر من غير إهمال . ولقد صار هذا الحلم حقيقة واستيقظت منه مثلج الصدر ، مشدداً .

(١) [المراد بالغافلين من لا يعلمون شيئاً عن التحليل النفسى ومكتشفاته .]

« إن حركة هذا الحلم تنقسم قسمين : فى الأول تضيق بالحالم السبيل ، ثم يخرج منها بأعجوبة فى الثانى . وحلى أن الموقف الوعر الذى يقف فيه كلا الجواد وراكبه تصوير حلمى يصور الموقف الحرج الذى كان يلم برجل الدولة ، ولعله قد ذاق مرارة هذا الموقف بصفة خاصة وهو يفكر فى مشكلات سياسته فى ذلك المساء الذى سبق الحلم . ألا نرى بسمارك — فى الفقرة التى أوردناها — يستعيد بنفسه تلك الصورة عينها فى وصف ضائقته إذ ذاك ؟ وهى إذن صورة مألوفة له كل الألفة ، قريبة من ذهنه كل القرب . ونحن — إلى جانب ذلك — نواجه مثالا بديعاً على ما يسميه سيلبرير ' الظاهرة الوظيفية ' ؛ فالعمليات التى تلور فى ذهن الحالم — يلتبس الحلول فلماذا عقبة كأداء تقف دون كل حل وهو مع ذلك لا يملك أن يحرر نفسه من هذه المشاغل ولا يُحِل لها هذه الحرية — هذه العمليات تتمثل أوفق تمثل فى الراكب الذى لم يعد يستطيع إقداما ولا رجوعاً . وكبرياؤه التى تمنعه التفكير فى أن يسلم أو أن يستغنى تتجلى فى هذه الكلمات : استحال على أن أنزل أو أن أستدير . ولا بد أن بسمارك — وهو رجل العمل الذى لا يتقطع عن الكد ويرهق نفسه من أجل الغير — لم يكن بعيداً عن أن يشبه نفسه بالجواد . والحق أن بسمارك قد أتى بذلك التشبيه فى مناسبات شتى ، مثال ذلك قوله المعروف : الحصاد الجيد ينفق وهو فى زُنَاقَة . وعلى ذلك فقله : أبى الحصان مواصلة السير ، لا يعنى إلا أن رجل الدولة المهلك قد شعر بالحاجة إلى أن يتحول عن هموم الحاضر ، أو هو — إن شئت تعبيراً آخر — كان آخذاً فى تحرير نفسه من قيود مبدأ الواقع بوساطة النوم والحلم . ولقد حوى الحلم من قبل — فى قوله : طريق بين جبال الألب — بعض الإشارة إلى تحقيق الرغبة الذى يشتد فى الجزء الثانى من الحلم كل هذا الاشتداد . فلا شك فى أن بسمارك كان يعلم فى ذلك الحين أنه سيمضى إجازته المقبلة فى جبال الألب ، فى جاشتاین ، والحلم إذ ينقله إلى هذه الجبال يحله فى دفعة واحدة من جميع أعباء الدولة .

« وأما الجزء الثانى من الحلم فيصور رغبات الحالم محققة ، ويصورها كذلك على نحوين : الأول سافر مفهوم ، والآخر رمزى . فأما التحقيق الرمزى فى اختفاء الصخرة الكثود وظهور الطريق القسيحة — أى ' المخرج ' الذى كان يلتمس — فى أحسن صورها . وأما التحقيق السافر فى تقدم الكتابات البروسية رافعة راياتها . ونحن لكى نفسر هذه الرؤيا

المتنبئة لا نحتاج إلى تشييد الفروض الصوفية ؛ ففي نظرية فرويد عن تحقيق الرغبة الكفائية كل الكفائية : لقد كان بسمارك إبان ذلك الحلم يرغب حقيقة في شن حرب ظافرة على النمسا تكون أحسن مهرب من المنازعات المتقدة في داخل بروسيا ، وهكذا يصور الحلم تحقق هذه الرغبة — متفقاً وفرض فرويد — حين يرى الحلم الكائنات البروسية رافعة راياتها في بوهيميا ، أى في أرض العدو . وكل القيمة الفردية في هذه الحالة هي أن الحلم الذى يشغلنا حلمه لم يكفه أن يحقق رغبته في حلم ، بل عرف كيف يفرضها حقيقة واقعة . وهناك لمحة لا يمكن إلا أن يلتفت إليها كل من له ألفة بالطريقة التحليلية النفسية في التفسير ، هي السوط الذى يطول إلى غير نهاية . إن السياط والعصى والرماح وما شابهها موضوعات نعرفها رموزاً قضيبية ، ولكن أن يملك سوط — فوق ذلك — أكبر الصفات التى تميز القضيب — قابلية الاستطالة — ذلك ما لا يكاد يترك مجالاً لشك . ويبدو أن المبالغة في الظاهرة ، من حيث الاستطالة ' إلى غير نهاية ' ، تدل على استثمار لبيدى مفرط ، الطفولة مبدأه . وأن يمسك الحلم السوط بيده إشارة جلية إلى الاستمناء — وإن تكن الإشارة لا تتجه بالطبع إلى ملايسات الحلم المعاصرة بل إلى رغباته الطفلية المتتمية إلى الماضى السحيق . ومن الكشوف الثمينة القيمة ههنا كشف شتيكل أن اليسار يعنى في الحلم الخطأ والمنوع والأثيم — وهو ما ينطبق كل الانطباق على الاستمناء الذى يزاوله الطفل رغم تحريره . وفي وسعنا أن نجد بين هذه الطبقة الطفلية العميقة والطبقة السطحية التى تخص مشاغل رجل الدولة الحاضرة طبقة وسطى كانت موصولة بكل منهما . ذلك أن جميع هذا الجزء المتعلق بخلاص من الحاجة يتم — فيما يشبه المعجزة — بسوط يضرب الصخر مع الدعاء إلى الله مؤيداً ونصيراً — يحمل شها ملحوظاً بمشهد من التوراة : حين يفجر موسى الماء من الصخر لأبناء إسرائيل الظماء . ولنا أن نفترض في غير تردد أن بسمارك كان يعرف هذه الفقرة وكل تفاصيلها ، وهو المنحدر من أسرة بروتستانتية حافظة للتوراة . ولا هو بالشئ المستبعد أن يكون بسمارك — بين أيام هذا الصراع — قد قارن نفسه بموسى ، موسى القائد الذى كافأه الشعب بالتمرد والبغضاء والجحود على ما أراد له من الخلاص . ومن هنا — إذن — كانت الصلة برغبات الحلم المعاصرة . ولكن فقرة التوراة قد حوت من التفاصيل ما ينطبق أيضاً على تخيل استمنائى . فموسى يمسك العصا خارجاً على أمر الله ، ويعاقبه الرب فيعلنه أنه لا محالة مائت قبل أن يدخل أرض الميعاد . فالإمساك المحرم بالعصا — وهو ما يحمل في الحلم معنى قضيبيا لا لبس فيه — ثم

حدوث السائل من ضربتها ووعيد الموت ، كل أولئك يزودنا باللحظات الرئيسة في الاستمناء الطفلى مجتمعة . ومن الطريف أن نلاحظ كيف لحمت — بوساطة فقرة التوراة هذه — هاتان الصورتان المتغايرتان الصادرة إحداهما عن ذهن رجل الدولة العبرى والنابعة أخراهما من نوازع النفس الطفلية لحماً أخurst في أثناائه كل العناصر الأليمة : فكون الإمساك بالعصا عملاً ممنوعاً عاصياً — ذلك ما لا يشار إليه إلا بإشارة رمزية ، باليد اليسرى التى أنقذته . والله يدعى فى محتوى الحلم الظاهر كأنما أريد بذلك أن تستبعد استبعاداً ظاهراً كل فكرة فى محرم أو مستور . ولقد أعلن الله موسى بأمرين : أنه سوف يرى الأرض الموعودة وأنه لن يدخلها ، فإذا الحلم يصور تحقق النبوة تصويراً واضحاً (الإشراف على التلال والغابات) ويسكت عن الثانية البالغة نهاية مبالغ الألم . وأما الماء فلا يظهر ، وأغلب الظن أنه قد ضحى به من أجل المراجعة الثانوية التى جهدت جهداً موفقاً أن تلمج هذا المشهد وسابقه فى كل واحد ، وبدل الماء تسقط الصخرة نفسها .

« ولنا أن نتوقع عند انتهاء الاستمناء الطفلى — وهو الذى ينطوى على فكرة المحظور — أن يرغب الطفل فى ألا يعلم أولو الأمر فى محيطه شيئاً مما صنع . وهذه الرغبة تصور فى الحلم بضدها ، بالرغبة فى أن يخطر الملك على الفور بما حدث . وهذا العكس يتسق اتساقاً حسناً طبعياً مع تخييل الانتصار المتضمن فى طبقة أفكار الحلم السطحية وفى جزء من محتوى الحلم الظاهر . وكثيراً ما يكون الحلم بالانتصار والغزو — كما هو الشأن فى هذا الحلم — غطاء يخفى الرغبة فى النجاح فى غزو عشق . وربما كان فى بعض ملامح الحلم ما يشير إلى ذلك الاتجاه — كأن تعترض عقبة تقدم الحالم ثم تخلى مكانها لطريق فسيح بعد أن يعمل الحالم سوطه — ولكنها لا توفر أساساً كافياً نستطيع أن نستدل منه على أن الحلم قد ضم أفكاراً ورغبات تتجه فى هذه الوجهة المحددة . إننا نرى هنا مثلاً تاماً على تشويه حلمى نجح كل النجاح . فكل محرجة قد صيغت صياغة جديدة بحيث لا تنبثق على الإطلاق من خلال الطبقة السطحية التى فرشت على الحلم كغطاء حام . وبذلك أمكن تجنب كل انطلاق للهيلة . والحلم حالة مثالية لرغبة حققت تحقيقاً ناجحاً دون مخالفة الرقابة ، بحيث نفهم أن الحالم قد خرج من مثل هذا الحلم مثلج الصدر ، مشدداً . »

وأختم بهذا المثال :

١٢- حلم كيميائي

صاحب هذا الحلم شاب كان يبذل طاقته من أجل الإقلاع عن عادة الاستمناء لكي تكون له صلات بالنساء .

تمهيد : كان الحالم في اليوم الذي سبق الحلم قد شرح لأحد الطلبة تفاعل جرينيارد — وهو ذوبان المغنيسيوم في الأثير المطلق النقاء بفعل اليود كعامل حافز . وقبل ذلك بيومين كان هذا التفاعل قد أدى إلى انفجار كان من نتيجته أن احترقت يد أحد الطلبة .

الحلم : (١) عليه أن يحضر مركباً من البرومين والفانيل والمغنسيوم . إنه يرى الجهاز في وضوح شديد ولكنه قد استبدل بالمغنسيوم شخصه هو . إنه يجد نفسه الآن في حالة عجيبة لا تستقر ، ولا ينقطع عن التحدث إلى نفسه قائلاً : « كل هذا على ما يرام ، إن الأمور تسير سيراً حسناً ، قسماً قد أخذنا بالفعل في الانحلال وركبتنا تلينان . » يمد يده بعدنّه ويتحسس قلبه ، وفي هذه الأثناء يشد ساقيه من البوتقة (دون أن يدري كيف) ويحدث نفسه من جديد قائلاً : « إن ذلك مستحيل ، ومع هذا فالعمل يسير سيراً صحيحاً . » يستيقظ عندئذ استيقاظاً جزئياً ويعيد الحلم لنفسه لأنه يريد أن يقصه على . إنه يشعر بخوف من حل هذا الحلم ويشعر باحتياج شديد في أثناء غفوته هذه ولا يني يكرر : الفانيل ، الفانيل .

(٢) كان في ضاحية —ينج مع جميع أسرته، وكان عليه أن يكون في الساعة الحادية عشرة ونصف الساعة في شونتور (١) ليقابل سيبة معينة . ولكنه لا يستيقظ إلا في الساعة الحادية عشرة ونصف الساعة ، فيحدث نفسه قائلاً : « لقد فات الوقت ، لست تستطيع أن تكون هناك قبل الثانية عشرة ونصف الساعة . » وعلى أثر ذلك يرى الأمرة جميعها وقد جلست حول المائدة ، ويرى في وضوح خاص أمه والخادم إلى تحمل وعاء الحساء . يحدث نفسه قائلاً : « لقد بدأنا نأكل ، فلست أستطيع الخروج بعد ذلك . »

التحليل : إن الحالم لا يشك في أن الجزء الأول من الحلم له أيضاً بعض الصلة بالسيدة التي كان يريد لقاءها (لقد أتاه الحلم في الليلة التي سبقت مواعده المنتظر) . إنه يعتقد أن الطالب الذي شرح له استجابة جرينيارد شخص ثقيل إلى أبعد حد . وهو يذكر أنه قد قال لهذا الطالب : « لقد أخطأت ، فليست هناك دلائل تدل على أن المغنسيوم قد تأثر . » فأجاب الطالب كأن الأمر لا يعنيه في شيء : « حقاً ، إنه خطأ . » لا بد أن

(١) [« شونتور » مكان قريب من وسط فيينا . وأما « بينج » فالمراد بها ضاحية من ضواحي فيينا التي ينتهي اسمها بهذا المقطع . أنظر ص ٣١١]

هذا الطالب يمثله هو لأنه يستخف بالتحليل مثلما يستخف الطالب بالتركيب (الكيميائي) . والا « هو » الذى يجرى العملية فى الحلم ليس إلا إياى . لا بد أنى أستثقله لقلة مبالاته بالنتيجة .

والمريض من جهة أخرى هو المادة المستخدمة فى التحليل (التركيب فى الحلم) والأمر إذن يتعلق بنجاح العلاج . وإن الإشارة إلى ساقبه لتذكره بحدث من الليلة السابقة : ذلك أنه كان يتلقى درساً فى الرقص والتقى بسيدة كان يحرص على غزوها . لقد ضمها إليه ضمّاً شديداً حتى أنها صرخت مرة . فلما أرخى ضغطه أحس منها ضغطاً مقابلاً شديداً على أسفل فخذيه إلى ما فوق الركبتين ، فى الموضع المذكور فى الحلم . وفى هذا الموقف تكون المرأة التى تجرى الأمور معها أخيراً على ما يرام هى أيضاً المغنسيوم الذى فى البوتقة . إنه مؤنث بالنسبة إلى كما هو مذكر بالنسبة إلى المرأة . والأمر تسير سيراً طبيباً مع السيدة ، وهى إذن تسير سيراً طبيباً فى العلاج . وأما تحسسه نفسه والأحاسيس التى شعر بها فى ركبته فتشير إلى الاستمناء ، ثم هى تتفق وتعبه المتخلف من اليوم السابق . وقد كان موعده مع السيدة فى الحادية عشرة ونصف الساعة حقيقة . وإن رغبته فى النوم والمكوث مع موضوعاته الجنسية المتزلية (أى فى المدوامة على الاستمناء) لتتفق ومقاومته .

أما فيما يتعلق بتريده كلمة « الفانيل » فهو يروى أنه كان دائم الولع بأصول الكلمات المنتبىة بالمقطع « يل » لأنها يسيرة الاستخدام غاية اليسر : بنزىل ، ، أستيل . . . إلخ . وكل هذا لا يفسر شيئاً . ولكنى أقترح عليه كلمة شليميل ^(١) فإذا هو يغرب فى الضحك ويقص على أنه قد قرأ كتاباً للمارسيل بريفو جاء فيه فصل عن : « المبعدين عن الحب » ^(٢) حوى بعض الملاحظات عن « الخائنين » ^(٣) . فلما قرأه حدث نفسه قائلاً : تلك حالتى . — ولو أنه تخلف عن موعده ، لكان ذلك مثلاً آخر على « خييته » . ويبدو أن ورود الرموز الجنسية فى الأحلام قد لقي تأييداً تجريبياً مباشراً . ذلك أن

(١) [Schlemihl كلمة من أصل عبرى شاع استخدامها فى الألمانية للدلالة على شخص عاثر لا كفاءة فيه ، أو كما نقول : خايب .]

(٢) [“Les exclus de l'amour”]

(٣) [يستخدم المريض هنا كلمة « شليميل » مصرفة تصريفاً فرنسياً : “les schlemiliés” .]

الدكتور شرور قد أخذ في عام ١٩١٢ - استناداً إلى فكرة أوحاها هـ . سقوبودا - يوم بعض الأشخاص تنوياً مغناطيسياً عميقاً ، وكان في مقدوره أن يملأ عليهم جزءاً كبيراً من أحلامهم بإيحاءات كان يوحى بها إليهم وهم في نومهم . فكان إذا أوحى إلى النائم أن يحلم بجماع سوى أو غير سوى أنفذ المنوم هذا الإيحاء مستخدماً الرموز التي عرفناها بالتحليل النفسي بدل المادة الجنسية الصريحة . مثال ذلك أنه أوحى إلى فتاة أن تحلم بجماع جنسى مثلى مع صديقة لها ، فظهرت الصديقة في الحلم تحمل حقيبة بالية كتب عليها : « للسيدات فقط . » ويقال إن الحاملة كانت لا تملك أقل معرفة برموز الأحلام وتفسيرها . وما يؤسف عليه أننا لن نتمكن من تقدير قيمة هذه الأبحاث الهامة تقديراً صحيحاً نتيجة لذلك الحادث الحزن ، وأعني به انتحار الدكتور شرور بعد القيام بها بزمان قليل . ولسنا نملك عن هذه الأبحاث سوى دراسة تمهيدية (شرور ، ١٩١٢) . وقد نشر ج . روفنشتاين كشوفاً مماثلة عام ١٩٢٣ . بيد أن التجارب التي أتاها بتلهايم وهارتمان (١٩٢٤) تحظى بأهمية خاصة ؛ لأن هذين الباحثين لم يلجأ إلى التنويم المغناطيسي . وإنما كان هذان المؤلفان يقصان قصصاً جنسية مكشوفة على المرضى المصابين بجنون كورساكوف وهم في حالة الهذيان ، ثم يلحظون ما يطرأ على هذه القصص من التشويه حين يعيد المرضى روايتها . فوجدوا أن الرموز التي عرفناها من تفسير الأحلام كانت تظهر في رواياتهم (صعود السلم والطعن وإطلاق النار رموزاً إلى الجماع ، والسكاكين ولفائف التبغ رموزاً إلى القضيب) . ويعلق المؤلفان قيمة خاصة على رمز السلم لأنه « ما من رغبة شعورية في التشويه كانت تستطيع أن تبتدع مثل هذا الرمز » كما يلحظان بحق .

والآن بعد أن وزنا قيمة الرمزية في الأحلام ، نستطيع أن نعود إلى موضوع الأحلام النطية الذي تركناه في ص ٢٩١ . إنى أعتقد أننا محقون حين نقسم أمثال هذه الأحلام قسمة إجمالية إلى طبقتين : أحلام تملك دائماً ذات المعنى ، وأحلام يجب تفسيرها على أنحاء تتباين غاية التباين وإن كان لها محتوى واحد أو متشابه . وقد سبق أن تناولت في شيء من التفصيل أحلام الامتحان بين أحلام الطبقة الأولى .

وتستحق أحلام فوت القطار أن تدرج في صف أحلام الامتحان . لما بينها وبين

هذه من التشابه في الحالة الوجدانية ، وإن تفسيرها ليرينا أننا لا نجانب الصواب حين نفعل ذلك . فهي أحلام عزاء تطمئننا عن نوع آخر من الهيلة يتخالفنا في أثناء النوم ، هو هيلة الموت ؛ فإن « الرحيل » هو أكثر رموز الموت شيوعاً وأحسنها ثبوتاً . فهذه الأحلام تقول مرفهة : « لا تخف ، فأنت لن تموت (ترحل) » ، مثلما يقول حلم الامتحان مهوناً : « لا تخف سوف تسلم من الضر هذه المرة أيضاً . » ومرجع الصعوبة في فهم هذين النوعين من الأحلام هو أن شعور الهيلة يرتبط على التحديد بالعبارة عن العزاء .

ولقد خفي على حقبة من الزمن المعنى الذي للأحلام « ذات المنبه السنّي » - وهي أحلام كثيراً ما كان يجب على تحليلها عند المرضى - لأن مقاومة بالغة الشدة كانت تحول دائماً - لدهشى - دون تفسيرها .

وأخيراً أثبتت الدلائل في وضوح لا يترك مجالاً للشك أن القوة الدافعة إلى هذه الأحلام عند الذكور لا ترجع إلا إلى النزعات الاستمنائية في زمن المراهقة . وسأحلل حلمين من هذه الأحلام ، أحدهما هو في الوقت نفسه حلم طيران . وقد أتى كلا هذين الحلمين ذات الشخص ، وهو شاب ذو نزعات جنسية مثلية مشتدة ، ولكنها مكفوفة في الحياة الواقعية :

يشهد عرضاً لأوبرا « فيدليو » وهو جالس في قاعة الأوبرا وبجانبه شخص يستظرفه ويود لو كسب صداقته . يطير فجأة في القاعة حتى نهايتها ، ثم يضع يده في فمه ويجذب منه سنيّن .

إن الحلم يصف طيرانه قائلاً : إنه كان كمن « رعى » في الهواء . وإذا كان المشهد أوبرا « فيدليو » فالبيت الآتي يطوف بالذهن :

« من ظفر بامرأة رشيقة . . . »

ولكن الظفر بامرأة - ولو كانت أرشقي النساء - لم يكن بين رغبات الحلم . وإنما الأنسب وهذه الرغبات هو البيتان الآتيان :

« من وفق إلى تلك الرمية الكبرى :

أن يكون صديقاً لصديق . . . »^(١)

ولقد اشتمل الحلم حقاً على هذه « الرمية الكبرى » ، غير أن ذلك لم يكن يحقق رغبة وحسب ، بل كان يخفى كذلك تأملات أليمة للحالم : كم كان عاثر الحظ في مساعيه من أجل الصداقة ، كم من مرة « رى » فيها ، إنه ليخشى تكرار هذا المصير مع الشاب الذى يستمتع بمشاهدة « فيدليو » إلى جواره . يتبع ذلك اعتراف يخجل منه الحالم وهو على ما هو عليه من رفاة الحس : ذلك أنه بعد أن نبذه أحد أصدقائه قد استمنى مرتين متعاقبتين مدفوعاً بشوقه .

وها هو ذا الحلم الآخر : يعالجه بدل أستاذان جامعيان يعرفهما . يصنع أحدهما شيئاً بقضيبه . إنه يخشى أن تجرى له عملية . يقرع الآخر فـه بقضيب من الحديد بحيث تسقط منه سن أو أستان ، إنه مقيد بأربعة مناديل من الحرير .

إن الشك فى أن يكون لهذا الحلم معنى جنسى مثلى يكاد أن يكون ممتنعاً . فنناديل الحرير تعين الحالم بشخص ذى جنسية مثلية يعرفه . والحالم لم يعرف الجماع قط ، ولم يعمل قط فى الحياة الواقعة على أن تكون له صلة برجل ، وكان يتمثل الرابطة الجنسية على غرار استمناء المراهقة الذى كان يألفه يوماً ما .

وأعتقد أن التعديلات المتعددة التى تطرأ على الحلم النطى ذى المنبه السنى (كأن ينتزع سن الحالم شخص آخر ، الخ — يمكن أيضاً فهمها فى ضوء التفسير الذى قدمناه^(٢)) . قد ندهش إذ نرى « المنبه السنى » وقد صار له هذا المعنى ، ولكنى أتبه هنا إلى هذا النقل الشائع من أسفل الجسم إلى أعلاه ، هذا النقل الذى يسخر لخدمة الكبت والذى يمكن لشتى الأفكار والمقاصد المستترة التى كان يجب — لولا الكبت — أن تدور حول أعضاء التناسل سبل التحقق فى أجزاء أخرى من الجسم على الأقل ، أجزاء لا اعتراض

(١) [هذان البيتان يعقبهما البيت الذى ذكر أولاً يأتيان فى قصيدة شيلر التى لحنها بيتهوفن فى السمفونيا التاسعة . ولكن البيت الذى ذكر أولاً : " من ظفر . . . إلخ . " قد جاء أيضاً وحده فى أوبرا فيدليو ، وهى لبيتهوفن لذلك .]

(٢) أن ينزع سن الحالم شخص آخر ، ذلك ما ينبغى تفسيره عادة بالخضاء (مثل قص الشعر عند الحلاق فى رأى شتيكل) . ولا بد من أن نفرق بوجه عام بين الأحلام ذات المنبه السنى وبين أحلام أطبة الأسنان كالتى يرونها كوريات (١٩١٣) .

عليها . ومن الأمثلة على هذا النقل أن يستبدل الوجه بأعضاء التناسل في رمزية التفكير اللاشعورى . والعرف اللغوى يخلو هذا الخلو حين يماثل بين الـ Hinterbacken ^(١) وبين الخدين ، وحين يوازن بين شفرى العورة عند المرأة وبين الشفتين اللتين تضمان فتحة الفم . والمقارنات بين الأنف والقضيب أمر شائع ، ويزيد الشبه اكتمالا وجود الشعر في كل منهما . والعضو الوحيد الذى يخرج تركيبة عن كل مقارنة ممكنة هو السن ، ولكن هذا الالتقاء على التحديد بين التشابه والاختلاف هو الذى يؤهل الأسنان لخدمة المقاصد التصويرية حين تشتد وطأة الكبت الجنسى .

ولست أدعى أننا حين نفسر أحلام المنبه السنى بكونها أحلام استمناء — وهو أمر لا أستطيع التشكك في صحته — نأتى بتفسير يخلو كل الخلو من الغموض ^(٢) ، وإنما أعطى القدر الذى أستطيع من الإيضاح ، فأما الباقي فلا مناص من تركه على علته . بيد أننى لا أجد غنى عن الإشارة إلى مقارنة أخرى يتضمنها العرف اللغوى ؛ ففي بلدنا يشيع تعبير غير مهذب يطلق على فعل الاستمناء هو : « شد [أو انتزع] واحداً إلى خارج » أو « شد واحداً إلى أسفل » ^(٣) . ولست أدري شيئاً عن منشأ هذين التعبيرين أو عن التخيل الذى أقما عليه ، ولكن الأول منهما قد يناسب الحديث عن « السن » كل المناسبة .

وإذ كان الحلم بانتزاع السن أو سقوطه يعنى موت أحد الأقرباء في زعم الاعتقاد الشعبى ، وكان التحليل النفسى لا يقر مثل هذا التفسير اللهم إلا بالمعنى المازح الذى أومأت إليه من قبل على أكثر تقدير ، فلأن أسوق هنا « حلماً ذا منبه سنى » مدنى به أوتو رانك :

« بعث إلى زميل بدأ يهتم منذ عهد قريب بمشكلات تفسير الأحلام بالذاكرة الآتية في موضوع الأحلام ذات المنبه السنى :

« حلمت منذ زمن قريب بأننى في عيادة طبيب الأسنان الذى كان يحفر سناً خلفية في الفك الأسفل . وأعمل

(١) [ويعنى الردين ، وترجمته الحرفية هي : الخدين الخلفيين .]

(٢) تحمل الأحلام ذات المنبه السنى عند النساء المعنى الذى لأحلام الوضع ، على حسب إفادة من يوضح . والعنصر المشترك بين هذا التفسير والتفسير المقترح فيما فوق هو أن الأمر يتعلق في كلتا الحالتين (الخشاء والولادة) بانفصال جزء من الجسم عن الكل .

(٣) أنظر ٥٢ الحلم « المؤرخ » في ص ٣٥٦ .

الطبيب الحفر بقوة حتى لم تمتد في السن جدوى ثم أمسكها بمقبض وأنتزعها في سهولة خلت من الجهد إلى حد أدهشني .
 يخبرني الطبيب ألا أكثرث لذلك ؛ فهذه في الحق ليست السن التي يعالجها . ثم وضع السن على مائدة حيث انقسمت
 (وقد بدا لي الآن أنها ذاب علوى) طبقات متعددة . نهضت من المقعد واقتربت من المائدة مستطعاً ، ثم سألت
 الطبيب سؤالاً طيباً يهمني . فجعل الطبيب - بينما كان يفصل أجزاء السن التي لاحظت لي باللغة مبلغاً عجيباً من البياض
 ويلقها بعمدة من عدده (يحيلها إلى رماد) - جعل يشرح لي أن السن علاقة بالمراقة وأن الأسنان لا تخرج بمثل
 هذه السهولة إلا قبل المراقة وأن العامل الحاسم في حالة النساء هو أن يولد طفل .

وعندئذ لاحظت (وأنا نصف نائم فيما أعتقد) أن الحلم قد اصطحب بإنزال ،
 ولكنني لم أعرف بأى جزء من أجزاء الحلم ارتبط هذا الإنزال - وإن لاح لي أن الأرجح
 هو أن يكون حدوثه قد سبق خلع السن .

ثم بعد ذلك حلمت من جديد بمحادثة لم أعد أذكرها ولكنها انتهت على هذا النحو :
 أترك سترى وقبعتي في مكان ما (ربما كان حجرة نزع الثياب بعيادة الطبيب) آملاً أن يتبعني البمض بهما وأسرع
 ولست أرتدى غير معطى إلى اللحاق بالقطار الذي كان آخذاً في الرحيل . أفلح في اللحظة الأخيرة في القفز إلى عربة
 خلوية حيث أجد أحد الناس واقفاً . ولكنني لا أتمكن من شق طريقى إلى داخل العربة بل أراى مضطراً إلى السفر في
 موقف غير مريح أحاول التخلص منه وأفلح في ذلك آخر الأمر . ندخل في نفق كبير ويأتى قطاران في الاتجاه
 المقابل لنا ثم ينفذان من خلال قطارنا - كما لو كان قطارنا هو النفق . أتى النظر إلى داخل إحدى العربات كما
 لو كنت ألقيه من خارجها .

إن المادة اللازمة لتفسير هذا الحلم تمدنا بها الخبرات والأفكار الآتية المستمدة من
 اليوم السابق :

(١) كنت حقيقة آخذاً في علاج أسناني منذ زمن قريب وكنت حين جاء هذا الحلم
 أعانى ألماً مستمراً في سن بالفك الأسفل هي التي كانت تحفر في الحلم ، وكان الطبيب
 قد حفرها كذلك في الواقع وقضى في حفرها زمناً أطول مما أحبيت . وكنت قد ذهبت في
 صبيحة اليوم الذي سبق الحلم إلى طبيب الأسنان من جراء هذا الألم ، فأوحى لي أن
 من الضروري أن تخلع سن أخرى في ذات الفك قائلاً : إنها قد تكون السبب في هذا
 الألم . وكانت هذه السن الأخرى ' ضرس عقل ' كان ينبت في ذلك الحين . ولقد أثرت
 بهذه المناسبة سؤالاً يتعلق بالضمير المهني للطبيب .

(٢) اضطرت إلى أن أعذر في عصر ذلك اليوم إلى إحدى السيدات عما كنت

عليه من سوء المزاج من جراء هذا الألم. فأخبرتني السيدة عندئذ أنها تخشى أن تضطر إلى أن تخلع ضمراً لها كان طربوشه يتفتت كل التفتت. إنها تظن أن خلع الأسنان يزيد ألماً وخطراً في أسنان العين^(١) بخاصة ، وإن يكن بعض معارفها قد أكد لها من جهة أخرى أن أسنان الفك الأعلى — مثل سنها — أسهل خلعاً . وروى لها هذا الشخص أيضاً كيف كان الخطأ مرة سبباً في أن تخلع له سن سليمة بعد التخدير ، فزاد ذلك ارتباها من العملية المحتومة . ثم بعد ذلك سألتني هل أسنان العين ضرورية أو أنياب ، فأشرت إلى ما تحويه هذه المعتقدات جميعها من عنصر خرافي ، وإن أكدت لها في الوقت عينه نواة الصديق المحتواة في بعض الآراء الشعبية . وعندئذ استطاعت أن تروى لي ما تظنه معتقداً شعبياً قديماً جداً واسع الانتشار : إذا أصاب حاملاً ألم في أسنانها جاء المولود ولداً .

(٣) وأثار جوابها هذا اهتمامي نظراً لما يقوله فرويد في 'تفسير الأحلام' ، عن الأحلام النمطية ذات المنبه السنّي باعتبارها بدائل من الاستمنااء الطفلي ؛ إذ أن هذا المعتقد الشعبي يقيم أيضاً علاقة بين السن وبين أعضاء التناسل المذكورة (الولد) . وعلى ذلك أخذت في مساء ذات اليوم أقرأ الفقرة المتعلقة بهذا الموضوع من 'تفسير الأحلام' ، فوجدت القضايا الآتية التي يسهل علينا أن نرى تأثيرها في حلمي مثل الخبرتين السابقتين : يتحدث فرويد عن الأحلام ذات المنبه السنّي قائلاً : إن القوة الدافعة إلى هذه الأحلام عند الذكور لا ترجع إلا إلى النزعات الاستمنائية في زمن المراهقة [ص ٣٩٠] . ثم يقول : وأعتقد أن التعديلات المتعددة التي تطرأ على الحلم النمطي ذي المنبه السنّي — كأن ينتزع سن الحلم شخص آخر ، الخ. — يمكن أيضاً فهمها في ضوء التفسير الذي قدمناه. وقد ندهش إذ نرى المنبه السنّي وقد صار له هذا المعنى ، ولكنني أتبه هنا إلى هذا النقل الشائع من أسفل الجسم إلى أعلاه (في هذا الحلم من الفك الأسفل إلى الأعلى) ، هذا النقل الذي يسخر لحلمة الكبت والذي يمكن لشتي الأفكار والمقاصد المستترة التي كان يجب — لولا الكبت — أن تدور حول أعضاء التناسل سبل التحقق في أجزاء أخرى من الجسم على الأقل — أجزاء لا اعتراض عليها [ص ٣٩١] . ثم يقول : بيد أنني لا أجد غنى عن

الإشارة إلى مقارنة أخرى يتضمنها العرف اللغوي ؛ ففي بلدنا يشيع تعبير لغوي غير مهذب يطلق على فعل الاستمناء، هو : شد واحد إلى خارج أو شد واحداً إلى أسفل [ص ٣٩٢ .] ولقد كنت أعرف هذا التعبير في صباى وأعرف دلالة على الاستمناء ، ومن هنا لن يصعب على الخبير بتفسير الأحلام أن يجد طريقه إلى المادة الطفلية التي تكمن وراء هذا الحلم . ولست أضيف إلا أن السهولة التي خرج بها السن التي تبين بعد خلوعها أنها من القواطع قد ذكرتني بمناسبة من طفولتي فيها شدت بنفسى — دون عناء أو ألم — سنا علوية واهية في مقدم الفم . ولقد وقع هذا الحدث الذي ما زلت أذكره بحذافيره أوضح الذكر في ذات الفترة التي ترجع إليها محاولاتى الأولى في الاستمناء (ذكرى ستارية) .

وإن إشارة فرويد إلى رأى يونج في أن الأحلام ذات المنبه السنى تحمل عند النساء المعنى الذى لأحلام الوضع (تفسير الأحلام ، ص ٣٩٢ ، في الهامش) ، مع الاعتقاد الشعبى بمغزى ألم الأسنان عند الحامل — قد بعثا على المقابلة في الحلم بين المعنى المؤنث [الوضع] والمعنى المذكر (المراهقة) . وأذكر في هذا الصدد حلاً سبق ذلك ، جاءنى عقب زيارة إلى طبيب الأسنان ، وفيه حلمت بسقوط الطرايش الذهبية التي لم يكدها يفرغ تثبيتها ، وأزعجنى ذلك في الحلم إزعاجاً كبيراً ؛ فقد كنت تورطت في نفقات كثيرة لم أكن تغلبت عليها بعد إذ ذاك . وإني لأفهم هذا الحلم الآن (بالإشارة إلى خبرة معينة مرتت بها) من حيث هو مفاضلة بين المزايا المادية للاستمناء وبين الحب المتجه إلى موضوع ، فهذا الحب أشد ضرراً من الوجهة الاقتصادية في كل صورة من صور (الطرايش الذهبية)^(١) . وأعتقد أن ملاحظة السيدة على معنى ألم الأسنان عند الحوامل قد أيقظت عندى هذه الحواطر من جديد .

ذلك تفسير زميلى ، وهو تفسير واضح بذاته ولا أظن أننا نعترض عليه . ولست أجد ما أضيفه إليه سوى إشارة إلى المعنى المحتمل للجزء الثانى من الحلم . ذلك أنى أعتقد أن هذا الجزء يصور انتقال الحالم من الاستمناء إلى الجماع الجنسى انتقالا يبلو محفوفاً بالصعوبات (النفق الذى تدخل فيه القطارات وتخرج منه في اتجاهات مختلفة) . كما

(١) [ويقال في الألمانية Goldkronen أى الكرونات الذهبية . والكرونات أيضاً عملة .]

يصور مخاطر هذا الجماع (الحلم والمعطف [أنظر ص ٢٠٧]). وأما واسطة الانتقال إلى هذا الجزء الثاني من الحلم فكانت الجسر اللغوى الآتى : Zahn-ziehen (Zug) و Zahn-reissen (reisen) ^(١)

ومن ناحية أخرى يلوح لى هذا المثال ذا أهمية نظرية من وجهتين : فهو أولاً يشهد بصحة ما اكتشفه فرويد من أن الإنزال فى الحلم يصحب انتزاع السن . ونحن مضطرون — مهما كانت الصورة التى يظهر فيها الإماء — إلى أن نعهده إشباعاً استمنائياً يتم بغير تنبيه ميكانيكى . أضف إلى ذلك أن الإشباع الإيمائى لم يتحقق فى هذه الحالة — كما هو الشأن عادة — بإزاء موضوع من الموضوعات ، ولو كان موضوعاً متخيلاً ، بل كان — إن جاز التعبير — إشباعاً لا موضوع له ، كان يحمل طابع العشق الذاتى صرفاً ، أو هو على الأكثر كان يبدى أثراً لا يعتد به من الجنسية المثلية (طبيب الأسنان) .

وأما النقطة الثانية التى تبدو لى خليقة بأن نلح عليها فهى الآتية : قد نقول : إنه لا حاجة بنا إلى أن نرى فى هذا الحلم تأكيداً لوجهة نظر فرويد ؛ لأن أحداث اليوم السابق تكفى وحدها فى جعل محتوى الحلم مفهوماً ، فزيارة الحالم إلى طبيب الأسنان وحديثه مع السيدة ثم قراءته 'تفسير الأحلام' تفسر كيف انتهى به الأمر إلى إحداث هذا الحلم تفسيراً كافياً ، وبخاصة أن نومه فى تلك الليلة كان نوهاً مضطرباً لألم أسنانه ، بل إن هذه الأحداث تفسر — إذا أردنا — كيف وضع الحلم حداً للألم الذى كان يزعج النوم بفكرة التخلص من السن الموحجة مع إغراق إحساس الألم الذى يخشاه الحالم بالليبدو . ولكن مهما كان تسليمنا بكل أولئك فمحال أن نذهب جادين إلى أن قراءة شروح فرويد كانت تكفى وحدها فى أن تربط عند الحالم بين خلع السن وبين الاستمئاء ، بل هى ما كانت تكفى فى تحريك هذا الرباط إلى العمل لو لم يكن ذلك الرباط قد سبق له الرسوخ منذ زمن طويل ، كما يسلم به الحالم نفسه (فى جملة : انتزع واحداً إلى الخارج). ولعل الذى حرك هذا الارتباط لم يكن حديث الحالم مع السيدة وحسب ، بل ملابسة ثانوية ذكرها الحالم من بعد : ذلك أن الحالم حين قرأ 'تفسير الأحلام' قد وجد

(١) [الترجمة الحرفية للتعبير الأول هى : جر السن أو شدها ، وهو يذكر بالقطار لأن اسم القطار (Zug) فى الألمانية مشتق من فعل ziehen (جر أو شد) . والتعبير الثانى ترجمته : انتزع السن أو اقتلمها وهو يذكر بالسفر لأن فعل انتزع (reissen) لا يكاد يختلف فى الألمانية من الفعل الذى يعنى سافر (reisen) .]

— لأسباب مفهومة — بعض الغضاضة في تصديق هذا المعنى النمطي للأحلام ذات المنبه السنّي . وشعر بالحاجة إلى أن يعرف هل يصدق هذا المعنى على جميع الأحلام التي من هذا الطراز . فكان أن جاءه هذا الحلم يؤيد له أن الأمر كذلك — فيما يتعلق به على الأقل — ويريه بهذا عينه لماذا كان تشككه أمراً محتوماً . فالحلم من هذه الناحية أيضاً يحقق رغبة ، هي الرغبة في أن يقتنع بمدى انطباق رأى فرويد وبصحته . »

وأما المجموعة الثانية من الأحلام النمطية فتشمل الأحلام التي يطير فيها الحالم أو يموج في الهواء أو يسقط أو يعوم ، إلخ . فما معنى هذه الأحلام ؟ إن من المستحيل أن نجيب عن هذا السؤال بجواب عام ؛ فهذه الأحلام — كما سنرى — تعني شيئاً مختلفاً في كل حالة ، ومادة الإحساسات المحتواة فيها هي وحدها التي تنشأ دائماً من ذات المصادر .

والدروس التي يتلقاها المرء من التحليلات النفسية تلجئه إلى تلك النتيجة .. أن هذه الأحلام كذلك تعيد انطباعات من الطفولة ، أو هي تتعلق على التحديد بألعاب حركية تجتذب الأطفال اجتذاباً فائقاً . فن هو هذا العم الذي لم يعن طفلاً على الطيران بأن يهرول به بأسط الذراعين عبر الغرفة ، أو لم يتخذ من السقوط مادة للملاعبة ، فيجلسه على ركبته ثم يمد ساقه فجأة أو فيرفعه عالياً ثم يهين إليه بحركة مفاجئة أنه يتخلى عنه . والأطفال حينئذ يصيحون طرباً ولا يكلون من استعادة هذه الألعاب ، وبخاصة إن احتوت على ما يحدث بعض الخوف أو الدوار . وإنهم ليستعيدونها في أحلامهم بعد أن تمضي بهم السنون ، سوى أنهم يحذفون من الحلم اليد التي تمسك بهم بحيث يبدون اليوم كمن يطفرون أو يسقطون أحراراً . وولع الأطفال بأمثال هذه الألعاب — كولعهم بالأراجيح بأنواعها — أمر معروف . فإذا رأوا في « السيرك » بعض الأفانين البهلوانية جدد ذلك عندهم ذكرى هذه الألعاب . وقد لا تخرج التوبات المسترية عند الصبية عن أن تكون استحضاراً يتأدى في مهارة بالغة لأمثال هذه الأفانين . وليس من النادر أن تنبه هذه الألعاب الحركية — وإن كانت بريئة في ذاتها — مشاعر جنسية . وإذا جاز لي أن أستخدم تعبيراً دارجاً اعتدنا أن نطلقه على هذا النشاط بكافته قلت : إن « هيجان » الأطفال هو ما يستعاد في أحلام الطيران والسقوط والتأرجح وما شاكلها ، استعادة تنقلب في خلالها اللذة إلى هيلة . ولكن هياج الأطفال كثيراً ما ينتهي في الواقع كذلك بالشجار وبالعويل كما تعرفه كل أم .

وأنا إذن أملك أسباباً طيبة أستبعد على أساسها النظرية القائلة : إن أحاسيسنا اللسية في أثناء النوم وكذلك الإحساس بحركة الرثتين وما أشبهه ، هي التي تبعث على أحلام الطيران والسقوط . بل في رأي أن هذه الأحاسيس ذاتها تستحضر باعتبارها جزءاً من مقومات الذكرى التي يرتد الحلم إليها ، أى أن هذه الأحاسيس جزء من محتوى الحلم وليست مصادر له ^(١) .

هذه المادة من الإحساسات المركبة المتماثلة نوعاً المتفقة مصدراً تستخدم الآن في تصوير أفكار حلمية من كل ضرب ممكن . فأحلام الطيران والطواف في الهواء — وهي أحلام يغلب عليها عادة طابع اللذة — تقتضى تفسيرات متنوعة غاية التنوع ، خاصة كل الخصوص عند بعض الناس ، ثم ذات طابع نمطى عند البعض الآخر . فهكذا يتفق أن تحلم إحدى مريضاتى بأنها تسير على ارتفاع معين فوق الطريق دون أن تمس قدماها الأرض ، وكانت هذه المريضة قصيرة جداً ، وكانت تخشى العدوى من كل صلة بالناس ، فحلمها هذا يحقق لها رغبتين إذ يرفع قدمها دون الأرض وإذا يُصَعَّد رأسها إلى طبقة أعلى من الهواء — هذا بينما تعرب أحلام الطيران عند بعض الحلمات عن ودهن : « لو كنت طائراً صغيراً ! » وبينما تصير أخريات ملائكة في الليل لأنهن قد حرمن من أن يدعون كذلك بالنهار . وإن الصلة الوثيقة بين الطيران وبين فكرة الطير تجعلنا نفهم كيف صار لأحلام الطيران عند الرجال معنى حسي غليظ في غالب الأحيان ^(٢) . ولن يدهشنا أن نسمع أن هذا الحلم أو ذاك كان شديد الفخر بقدرته على الطيران .

ولقد أعرب الدكتور پول فيدرن (من فيينا) عن رأى جذاب مؤداه أن جزءاً كبيراً من أحلام الطيران هو أحلام انتصاب ؛ لأن ظاهرة الانتصاب — تلك الظاهرة العجيبة التي شغل بها الخيال الإنساني من غير انقطاع — لا يمكن إلا أن تسترعى الانتباه لما يبدو فيها من إبطال لقوة الجاذبية (أنظر بهذه المناسبة القضيب المخرج عند الأقدمين) . ولأنه لأمر خليق بالانتباه أن نجد باحثاً تجريبياً ، مترناً ، صدوقاً عن كل ما هو تفسير ، مثل موري فولد ، يؤيد التفسير العشقي لأحلام الطيران أو التآرجح (فولد ،

(١) قد كررنا ههنا هاتين الفقرتين الخاصتين بأحلام الحركة لمقتضيات السياق .

(٢) [ههنا إشارة إلى كلمة عامية ألمانية بمعنى "جامع" (vogeln) اشتقت من الكلمة الدالة على

الطير (Vogel) .]

١٩١٠ - ١٩١٢ ، جزء ٢ ، ص ٧٩١) . فهو يصف الدافع العشى بقوله : « إنه أقوى الدوافع إلى أحلام الطواف في الهواء » ويجذب الانتباه إلى إحساس الذبذبة الجنسية الشديدة التي تصحب أمثال هذه الأحلام ويشير إلى كثرة اقترانها بالانتصاب أو الإنزال .

فأما أحلام السقوط فيغلب أن تتسم بطابع الهيلة . ولنا نجد صعوبة في تفسيرها عند النساء ؛ فهؤلاء يكدن يسلمن دائماً بأن الاستخدام الرمزي للسقوط يصف الاستسلام لدافع عشى . ونحن لم نحصر بعد المصادر الطفلية لأحلام السقوط ؛ فلا يكاد يكون ثمت طفل إلا وقع في مناسبة أو أخرى ثم أقبل من عثرته ودلل ، فإن كان وقوعه من مهد في أثناء الليل حملته المعنية بأمره إلى سريرها .

وأما الأشخاص الذين يحملون كثيراً بالسباحة ويشقون الموج في انشراح عظيم فهم في العادة ممن كانوا يبللون فراشهم . وهم اليوم يعيدون في أحلامهم لذة تعلموا الإقلاع عنها منذ زمن طويل . وسنعلم قريباً من أكثر من مثال أى شىء يسهل استخدام أحلام السباحة في تصويره [ص ٤٠٣ .]

وأما أحلام الحريق فيؤيد تفسيرها هذا القانون التربوى الذى يحرم على الأطفال « أن يلعبوا بالنار » لكيلا يبللوا فراشهم في الليل . ذلك أن هذه الأحلام أيضاً يكمن وراءها أثر ذكروى عن بلل الفراش في فترة الطفولة . ولقد عرضت في مقال « طرف من من تحليل هستريا » (١٩٠٥) ^(١) تحليلاً وتركيباً كاملياً لحلم حريق من هذا القبيل وذلك من حيث صلة هذا الحلم بتاريخ الحاملة ، كما بينت أى دوافع سن الرشد يمكن استخدام هذه المادة الطفلية في تصويرها .

وفي مقدورنا أن نذكر عدداً وفيراً من الأحلام « النمطية » إذا كنا نغنى بهذا الحد أن ذات المحتوى الظاهر يكثر وروده عند حاملين مختلفين . نستطيع أن نذكر مثلاً الأحلام التي يسير فيها المرء في أزقة ضيقة أو يمشى عبر حجرات متعاقبة ، أو أحلام سراق الليل الذين يختاط منهم الأشخاص العصبيون حتى قبل أن يذهبوا إلى الفراش ،

ثم هناك الأحلام التى يطاردك فيها وحش كاسر (أو ثور أو حصان) وتلك التى يهدد فيها الحلم بسكين أو خنجر أو رمح - والنوعان الأخيران من الأحلام يميزان المحتوى الظاهر فى أحلام المصابين بعصاب الهيلة - وكثير غيرها . ولا شك فى أن بحثاً يندب لهذه المادة خاصة سوف يكون بحثاً مجزياً إلى أبعد مدى ، ولكننى - بدل ذلك - أدلى بملاحظتين وإن كانتا لا تنطبقان على الأحلام النمطية انطباقاً مانعاً .

كلما زاد المرء اشتغالا بحل مشكلة الأحلام زاد استعدادة للتسليم بأن غالبية أحلام الراشدين تعالج مادة جنسية وتعرب عن رغبات عشقية . وأولئك الذى يحللون الأحلام فعلاً - أى يذهبون من محتواها الظاهر إلى أفكارها الكامنة - هم وحدهم الذين يستطيعون أن يقطعوا برأى فى هذا الصدد ، ويعجز عن ذلك أبداً كل من قنع بتدوين المحتوى الظاهر (مثلنا فى كتاباته عن الأحلام الجنسية) . ولنقل دون إهمال : إن هذه الحقيقة ليست بالأمر الذى يدهشنا ، بل هى تتسق والمبادئ التى يستند إليها تعليلنا للأحلام أكمل اتساقاً ؛ فما من غريزة لاقت منذ الطفولة مثل الكبت الذى لاقتة الغريزة الجنسية فى مقوماتها المتعددة ، وما من غريزة غيرها خلفت وراءها رغبات على هذا المدار من الكثرة والقوة تعمل اليوم على إحداث الحلم فى حالة النوم . فواجبنا عند تفسير الحلم هو ألا ننسى أبداً هذه القيمة التى للمركبات الجنسية ، وإن وجب كذلك بالطبع أن نتجنب المغالاة إلى الحد الذى يمنع غيرها .

ونستطيع أن نقول عن أحلام كثيرة - إذا عينا بتفسيرها - : إنها أحلام تتسم بطابع الجنسية الثنائية ؛ لأنها تسلم من غير جدال إلى تفسير مضاعف تتحقق فيه للحالم رغبات جنسية مثلية ، أى رغبات تخالف نشاطه الجنسى السوى . ولكن أن نذهب إلى أن جميع الأحلام يجب تفسيرها على هذا النحو - مثلما يصنع شتيكل (١٩١١) وآدلر (١٩١٠) - ذلك ما يبدو لى تعميماً مجرداً من البرهان ومن الرجوع على السواء ، تعميماً لا أراى مستعداً لأن أنتصر له . ولست أدرى بخاصة كيف أنكر تلك الحقيقة الواقعة ، وأعنى بها أن هناك أحلاماً تلبى حاجات غير الحاجات العشقية - وإن أخذنا الكلمة بأوسع معانيها - : أحلام جوع وعطش ، أحلام سهولة ، الخ . ثم القضايا التى من قبيل : « يكمن طيف الموت وراء كل حلم » (شتيكل) أو أن فى كل حلم « انتقالاً من

المؤنث إلى المذكر» (آدler) - تلك أيضاً أقوال تبدو لى بعيدة كل البعد عما يجوز لنا تفسير الحلم الأخذ به أخذاً مشروعاً . - وإن القول بأن جميع الأحلام تستلزم تفسيراً جنسياً - وهو القول الذى ثارت عليه حاجة لا تكل - لقضية غريبة عن « تفسير الأحلام » ؛ فأنت لا تجده فى طبقات الكتاب السبع ، ثم إنه يتناقض وسائر محتواه تناقضاً ظاهراً .

وقد سبق أن بينا أن بعض الأحلام التى ظاهرها السذاجة قد تضم رغبات غليظة ، وكان يسعنا أن نزيد ذلك بأمثلة جديدة كثيرة . ولكن هناك كذلك أحلاماً ظاهرها اللامبالاة ، لا يستريك منها اتجاه ما أو شىء بعينه ، ثم إذا هى ترد عند التحليل إلى رغبات جنسية لا شك فيها ، تكون فى أحيان كثيرة من نوع غير متوقع . من ذا الذى كان يستطيع - مثلاً - أن يحذر وجود نزعة جنسية فى الحلم الآتى قبل تفسيره ؟ لقد رواه حاله على هذا النحو : قصران عظيمان قام بينهما - إلى الخلف بمض الشئ - منزل صغير مغلق الباب . تقودنى زوجى فى جزء من الطريق يؤدى إلى المنزل الصغير ثم تدفع الباب فأدلف فى سرعة ويسر داخل فناء يميل بزاوية صاعدة .

ومع هذا فإن من له ولو قليل دراية بتفسير الأحلام سوف يذكر على الفور أن النفاذ فى أماكن ضيقة وفتح الأبواب المغلقة بين أكثر الرموز الجنسية شيوعاً ، وسوف يدرك فى غير عناء أن هذا الحلم يصور محاولة فى الجماع من الخلف (بين الردين العظمين فى جسم المرأة) . والممر الضيق الصاعد بزاوية هو المهبل بالطبع . وأما المساعدة التى ينسبها الحالم إلى زوجه فلا تفسير لها سوى أن مراعاة الزوجة هى المانع الأوحد الذى يحول بين الحالم وبين الإقدام على مثل هذه المحاولات فى الحياة الواقعة . وها نحن أولاء نعلم أن خادماً صغيرة السن قد جاءت يوم الحلم منزل الحالم وأنها حسنت فى عينيه كثيراً ، وأنه قد خيل إليه أنها لن تمنع محاولة من هذا القبيل إلا قليلاً . والمنزل الصغير بين القصرين العظمين أثر ذكروى من [قلعة] هارد شين فى پراج ، وهو بذلك يلمح إلى ذات الفتاة ؛ لأن پراج مدينتها .

وإذا أكدت لأحد مرضاى كثرة وقوع الأحلام الأوديبية التى يتصل فيها الحالم بأمه بصلة جنسية ، غلب أن يكون جوابه : لا أذكر أنى رأيت مثل هذا الحلم قط .
(٢٦)

ولكن تنبعث على أثر ذلك ذكرى حلم محو، لا يستلفت نظراً، جاء الحلم مراراً، وعندئذ يبين التحليل أن ذلك في الحقيقة حلم له ذات المحتوى، أى حلم أوديبى. وأستطيع أن أؤكد أن الأحلام المقنعة التى تدور حول الصلة بالألم تفوق السافرة فى كثرتها مرات ومرات^(١). وهناك أحلام بمشاهد من الطبيعة أو بمحال يكون أظهر ما فيها يقين الحلم – وهو ما زال بحلمه – بأنه قد كان بذلك المكان من قبل. ولكن هذه «الرؤية السابقة»^(٢)

(١) لقد نشرت فى موضع آخر (فرويد ١٩١٠ ل) مثالا نموذجيا على حلم أوديبى مقنع من هذا القبيل (تجدد فى آخر هذا الهامش)، كما نشر أوتورانك (١٩١١ أ) مثالا آخر قرنه بتحليل مفصل. وانظر كذلك مقالة رانك (١٩١٣) فيما يتصل بأحلام أوديبية مقنعة تتجلى فيها رزية الدين. وإن القارئ ليجد فى ذات الموضوع الذى نشر فيه مقال رانك مقالات أخرى عن «أحلام العين» ورمزية العين كتبها ايدير وفرنتسى ورايتار. وإن فقهاء العينين فى أسطورة أوديب – كما فى غيرها – لم يبدل من الخصاص. هذا ولم يكن القدماء مجهلون التفسير الرمزي للأحلام الأوديبية المقنعة، وأقرأ فى ذلك رانك (١٩٠، ٥٣٤) حيث يقول: «وهكذا قيل: إن يوليوس قيصر قد حلم حلماً رأى فيه أنه يجامع أمه، فأوله مفسرو الأحلام قائلين: إنه يبشر بأن قيصر سوف يمتلك الأرض (الأرض الأم). ومن الأمور المعلومة كذلك النبوة المعطاة إلى التاركوينيين والتي أعلنت أن السيادة على روما سوف تكون من حظ أول من يقبل أمه (osculum matri tulit) – وهو ما يفسره بروتوس بمعنى الأرض الأم (قبل الأرض قائلاً: إنها الأم المشتركة لجميع المائتين. تيت ليف ١، ٥٦ [باللاتينية فى الأصل]).» وانظر بهذه المناسبة حلم هيبياس الذى يرويه هيرودوت (٦، ١٠٧) إذ يقول: «أما الفرس فقد كان هيبياس يرشدهم إلى ماراثون. وكان هيبياس قد زاره فى الليلة الماضية منام رأى فيه أنه يضاجع أمه، ففهم من الرؤيا أنه سيهزم إلى أثينا ويسترجع سيطرته وأنه – فى شيخوخته – سيموت فى أرض وطنه.» هذه الأساطير والتفسير تكشف عن بصيرة سيكولوجية صادقة؛ فقد رأيت أن الناس الذين يعلمون أنهم مفضلون أو معززون لدى أمهاتهم يبدون فى حياتهم هذه الثقة الفريدة بالنفس وهذا التفاؤل الوطيد اللذين لا يندر أن يكون لهما مظهر البطولة وأن يطعوا النجاح لأصحابهما فعلاً.

مثال نمطى على حلم أوديبى مقنع: حلم رجل أن له علاقة مستترة بسيده يريد شخص آخر زواجها، والحالم يخشى أن يعلم الآخر بهذه الصلة وألا ينتهى الزواج المقترح إلى نتيجة، وهو لذلك يسلك تجاه هذا الرجل مسلماً ملؤه التودد، يمانقه ويقبله. إن واقع حياة هذا الحالم لا يتفق وحلمه إلا فى نقطة واحدة: فقد كانت له علاقة بسيده متزوجة حتى زواجها يوماً – وكان صديقاً للحالم – بملاحظة ذات معنيين جعلته يشك فى أن يكون الزوج قد لحظ أمراً. ولكن الحقيقة كانت تتضمن شيئاً آخر لم يذكره الحالم مطلقاً، وهو مع ذلك الشئ، الذى يعطينا المفتاح إلى فهم الحالم: ذلك أن الزوج كان مهدداً بمرض عضوى، وكادت الزوجة معدة لإمكانية موته فجأة، وكان الحالم مشغولاً بالتفكير العمورى فى الزوج من الأرملة الشابة بعد موت زوجها. وهذا الموقف الخارجى يضع الحالم فى جو الحلم الأوديبى: فرغبة الحالم قادرة على قتل الرجل من أجل الظفر بامرأته، والحلم يعرب عن هذه الرغبة فى صورة مشوهة ملؤها النفاق؛ فبدل أن تظهر المرأة متزوجة بالفعل نرى شخصاً غير الحالم يتقدم لزواجها – وهو ما يتفق وما للحالم نفسه من ذيات مستترة – هذا بينما تختبئ رغباته العدائية نحو الزوج وراء مظاهر من الود مستمدة من ذكرى الحالم عن علاقته بوالده فى أيام الطفولة.

لها في الحلم معناها الخاص : فهذا المكان يعنى دائماً أعضاء التناسل عند الأم ، والواقع أنه ليس ثمت مكان آخر يستطيع المرء أن يقول عنه بمثل هذه الثقة : لقد كنت فيه من قبل . ومرة واحدة هي التي حيرني فيها مريض بعصاب قهري إذ قال : إنه حلم حلماً رأى فيه أنه يزور منزلاً كان قد وجد فيه مرتين من قبل . ولكن هذا المريض على التحديد كان قد ذكر لي منذ زمن بعيد قصة ترجع إلى سنته السادسة ، حاصليها أنه شارك أمه سريرها مرة ، فأساء انتهاز الفرصة بأن دس إصبعه في عضوها وهي نائمة .

وهناك طائفة كبيرة من الأحلام يغلب أن تصطبغ بالهيلة وأن يكون محتواها المرور بأماكن ضيقة أو المكوث في الماء ، تقوم على تخيلات تدور حول الحياة الجنسية والإقامة في رحم الأم والولادة . والحلم الذي يلي كان حلماً لشاب انتهز في تخيلته فرصة الحياة الجنسية لمشاهدة جماع بين والديه .

« إنه في حفرة عميقة بها شباك كما في نفق سمرينج (١) . يرى أول الأمر من النافذة مشهداً مقفراً ، ولكنه يتخيل صورة تناسب المكان ، ولا تلبث الصورة أن تتحقق دفعة واحدة وأن تملأ الفضاء . إن الصورة تمثل حقلاً حرث حرثاً عميقاً بآلة من الآلات ، وكان الهواء الليل مع فكرة العمل الشاق التي تصحب المنظر ومع المدر الأزرق الأسود ، كان كل أولئك مما يحدث في النفس تأثيراً جميلاً . يستمر بعد ذلك فيرى كتاباً في الرابية مفتوحة أمامه . . . ويدهش لكل هذه الأهمية التي تعلق على المشاعر الجنسية (للأطفال) ويذهب به ذلك إلى التفكير في . »

وها هو ذا حلم بديع لإحدى المريضات كان يخدم هدفاً بعينه في العلاج : إنها في مصيفها على شاطئ بحيرة . تقفز إلى الماء في ذات البقعة التي كان ضوء القمر الشاحب قد انمكس فيها على صفحة الماء .

إن الأحلام التي من هذا القبيل أحلام ولادة . ونصل إلى تفسيرها بقلب الحدث الذي يرد في الحلم الظاهر ، وهكذا يكون لنا « خروج من الماء » - أي ولادة - بدل « القفز فيه » (٢) . ونستطيع أن نعرف المكان الذي يخرج منه الإنسان إذا نحن فكرنا في الاستخدام الفكه لكلمة " la lune " [القمر] في اللغة الفرنسية [بمعنى مؤخر الجسم] فالقمر الشاحب هو - إذن - المؤخر الأبيض الذي يبادر الطفل فيخمن أنه قد خرج منه . ولكن ما معنى أن ترغب الحاملة في « أن تولد » في مصيفها ؟ أسألها ذلك فتجيب من غير تردد : ألم أكن بالعلاج كمن ولدت من جديد ؟ وعلى ذلك فالحلم دعوة إلى متابعة

(١) [نفق يبعد نحو السبعين ميلاً من فيينا على سكة الحديد الجنوبية .]

(٢) أنظر رانك (١٩٠٩) فيما يتصل بالمغزى الأسطوري الذي للولادة من الماء .

علاجها في ذلك المصيف ، أى إلى عيادتها هناك . وربما كان الحلم يحوى كذلك إشارة حية إلى رغبة المريضة فى أن تكون هى نفسها أما ^(١) .

ونأقل من مقال لجونز (١٩١٠ ب) حلماً آخر من أحلام الولادة مع تفسيره :

« كانت تقف على شاطئ البحر وهى ترقب طفلاً هياً إليها أنه ولدها بينما كان يلعب فى الماء . وظل الولد يلعب حتى غمره الماء ، فلم تعد ترى إلا رأسه وهو يقب ويغطس قريباً من سطح الماء . وعندئذ تغير المنظر إلى قاعة مزدحمة فى فندق . يتركها زوجها فتطرق حديثاً مع شخص غريب .

« يتبين عند التحليل أن الجزء الثانى من هذا الحلم إنما يصور رغبة الحاملة فى الفرار من زوجها والأخذ فى علاقة وثيقة بشخص ثالث . . . وأما الجزء الأول فتخييل ولادة مكشوف ؛ فن المألوف فى الأحلام كما فى الأساطير أن يصور الخروج من مياه الرحم من طريق القلب — فى صورة الدخول فى الماء ، ومولد أدونيس وأوزوريس وموسى وباكوس ، كل هذه — والكثير غيرها — أمثلة معروفة على ذلك . وتذكرها حركة الطفل وهو يطفو فوق الماء ويغطس تحته بما عهدته من حركات الجنين فى بطنها أثناء حملها الوحيد . ويذهب بها تفكيرها فى الطفل وهو ينزل فى الماء إلى حلم يقظة ترى فيه نفسها وهى تشل الطفل من الماء وتحمله إلى محضنة حيث تغسله وتكسوه ثم تأخذه إلى دارها .

« وهكذا كان النصف الثانى من الحلم يصور أفكاراً خاصة بالفرار تتصل بالنصف الأول من أفكار الحلم الكامنة ، ويوافق النصف الأول من الحلم المحتوى الكامن لنصفه الثانى : تخيل الولادة . ثم كل نصف من نصفي الحلم ينطوى على قلب آخر فى الترتيب الزمنى إلى جانب القلب الذى ذكرناه : ففي النصف الأول من الحلم ينزل الطفل فى الماء ثم تطفو رأسه وتغطس ، وأما فى أفكار الحلم الكامنة فيتحرك الطفل أولاً ثم يغادر الماء (قلب مزدوج) ، وفى النصف الثانى من الحلم يتركها زوجها ، بينما فى أفكار الحلم الكامنة تترك هى زوجها . » (عن ترجمة ألمانية بقلم أوتو رانك .)

ويروى أبراهام حلم ولادة آخر ، أتى امرأة شابة كانت تنتظر وضعها الأول . فى

(١) لقد ظلت زمناً طويلاً دون أن أقدر قيمة التخيلات والأفكار اللاشعورية التى قد تدور حول الحياة فى الرحم ؛ ففيها تفسير هذه الهيلة العجيبة عند الكثيرين من كونهم قد يدفنون أحياء ، وفيها أعمق أساس لاشعورى يرتكز عليه الاعتقاد بحياة مستقبلية بعد الموت وهو اعتقاد لا يعدو أن يصور إسقاطاً فى المستقبل لهذه الحياة الغامضة التى تسبق الولادة . والولادة بالإضافة إلى ذلك — هى أول خبرة بالهيلة ، وهى بذلك منهل هذه الحالة الوجدانية ونموذجها .

هذا الحلم نرى مجرى يمر تحت الأرض من أرض حجرتها إلى الماء مباشرة (القناة الرحمية - السائل النخلى) ، ثم ترفع الحاملة غطاء في أرض الحجرية فيبرز على الفور مخلوق مغطى بفراء أسمر اللون ، أشبه بسبع البحر ، ثم يتبين أن هذا المخلوق الصغير هو أخو الحاملة الأصغر الذى كانت الحاملة تقف منه دائماً موقف الأم .

وقد بين رانك (١٩١٢ أ) بطائفة من الأحلام أن أحلام الولادة تستخدم ذات الرموز التى تستخدمها أحلام المنبه البول ؛ ففيها يصور المنبه العشى كما لو كان منبهاً بولياً ، وإن وجود طبقات من المعنى فى هذه الأحلام ليوافق تحويلاً دخل على معنى الرمز من عهد الطفولة .

ومن المناسب - وقد بلغنا هذا الموضوع - أن نعود ثانية إلى موضوع تركناه (فى ص ٢٥٨) وهو نصيب المنبهات العضوية المزعجة للنوم فى تكوين الأحلام . فالأحلام التى تقع تحت تأثير هذا المنبهات لا يقف شأنها عند كونها تكشف علانية عن الميل إلى تحقيق الرغبة وعن طابع الأخذ بالأسهل وحسب ، بل هى - فى أحيان كثيرة جداً - قد تكشف أيضاً عن رمزية شفافه كل الشفافية ؛ إذ ليس من النادر أن يوقظ منبه حالمًا بعد أن يكون الحالم قد حاول سدى إرضاء هذا المنبه فى الحلم تحت ستار رمزى . وينطبق ذلك على أحلام الإيماء كما ينطبق على الأحلام التى تحرك إليها حاجة إلى التبول أو التبرز . ولكن الطابع الخاص لأحلام الإيماء لا يمكننا فقط من أن نميط اللثام بطريقة مباشرة عن رموز بعينها كنا نعلم من قبل أنها رموز نمطية ولكنها كانت تلاقى مع ذلك إنكاراً عنيفاً ، بل هو يعيننا - فوق ذلك - على الاقتناع بأن بعض مواقف الأحلام الظاهرة البراءة لا تعدو أن تكون فاتحة رمزية لمناظر جنسية فظة - مناظر لا تلقى فى العادة تصويراً صريحاً إلا فى أحلام الإيماء النادرة ندرة نسبية ، على حين يكثر ، إنقلابها إلى حلم هيلة يدفع كذلك إلى اليقظة .

وأما رموز الأحلام ذات المنبه البول فتتسم بشفافية خاصة ، كما أنها قد عرفت منذ أقدم الأزمنة ؛ فقد سبق هيبوقراط إلى القول بأن الينابيع والنوافير تدل على خلل فى المثانة (هافلوك إليس) . ودرس شرزر رموز المنبهات البولية الكثيرة ثم أكد أن « كل منبه بولى شديد بعض الشدة يستحيل من غير استثناء إلى تنبيه فى المنطقة الجنسية وإلى صور ترمز إليها . . . وكثيراً ما يكون الحلم ذو المنبه البولى ممثلاً فى الوقت نفسه للحلم الجنسى . »

وإن أوتو رانك - الذى أتابع ههنا مقاله عن « التراص الطبقي للرموز فى الأحلام المؤدية إل الاستيقاظ » (١٩١٢ أ) - قد جعل من الراجح كل رجوح أن يكون عدد كبير من الأحلام ذات المنبه البولى ناجماً فى الحقيقة عن منبه جنسى بدأ بالتماس الإشباع من طريق النكوصى إلى صورة طفلية من العشق هى صورة العشق البولى . وإنا لنعلم الشئ الكثير بخاصة من تلك الحالات التى يؤدى فيها المنبه البولى - وقد استثير على هذا النحو - إلى اليقظة وإفراغ المثانة ، ومع هذا يتابع الحلم بعد ذلك إلى أن يتم الإعراب عن الحاجة فى صور عشقية صريحة ^(١) .

وأما الأحلام ذات المنبه المعوى فتلقى الضوء بطريقة مماثلة على الرمزية المتضمنة فيها ، ثم هى - فى الوقت ذاته - تؤيد العلاقة بين الذهب والبراز - وهى علاقة تدعمها كذلك شواهد وفيرة من علم المجتمعات الإنسانية ^(٢) . « فهكذا تحلم امرأة كانت تعالج لمرض فى أعضائها برجل يدفن كترّاً على مقربة من كوخ أشبه بمرفق مياه رينى معزول عن الدار ، ثم يتبع جزء ثان ترى فيه أنها تمسح است بنتها الصغيرة التى وسخت نفسها . »

وتتبع أحلام الإنقاذ أحلام الولادة : فالإنقاذ - وبخاصة الإنقاذ من الماء - له عند النساء معنى الولادة ، ولكن هذا المعنى يدخله التعديل إذا كان الحلم رجلاً ^(٣) .

فأما اللصوص وسراق الليل والأشباح الذين يوجس منهم البعض خيفة قبل أن يتوجهوا إلى فراشهم والذين يتبعون أحياناً ضحاياهم هؤلاء حتى بعد نومهم فيخرجون جميعاً من طبقة واحدة من الآثار الذكورية لا تتغير : إنهم زوّار يعودون الأطفال فى جنح الليل ويوقظونهم ويحملونهم لكيلا يبللوا فراشهم ، أو يرفعون عنهم الغطاء ليروا بأعينهم بأى موضع وضعوا أيادهم وهم نيام . ولقد مكنتى تحليل بعض أحلام الهيلة هذه من أن

(١) " إن ذات الصور الرمزية التى تجمّع بمعناها الطفل فى الأحلام البولية تظهر بمعناها الحديث فى أحلام جنسية لا مرية فيها : ماء = بول = السائل النخلى ، schiff [سفينة] = schiffen [شخ] = رحم (صندوق) ، البلبل = بلبل الفراش أثناء النوم = الجماع = الحمل ، العوم = امتلاء مجرى البول = مقر من لم يولد ، المطر = البول = الرمز إلى الإخصاب ، السفر (الرحيل أو الخروج من العربة) = النهوض من الفراش = الجماع الجنسى (رحلة شهر العسل) ، تبول = أنزل " . (رانك ذات المرجع .)

(٢) أنظر فرويد ١٩٠٨ ب و رانك ١٩١٢ أ وداتنر ١٩١٣ و رانك ١٩١٥ .

(٣) لقد أورد فيستر حلماً من هذا النوع (١٩١٩ ح) . أنظر أيضاً رانك ١٩١١ ب و رايك ١٩١١ . ثم أيضاً رانك ١٩١٤ .

أمضى إلى أبعد من ذلك في إخراج شخص الزائر الليلي من مجهوليته: ففي كل حالة كان السارق يقوم مقام الأب بينما تنوب الأشباح عن الأشخاص الأنثوية فيما يرتدينه ليلاً من الغلل البيضاء.

و

أمثلة - عمليات الحساب والأقوال

في الحلم

قبل أن أحدد للعامل الرابع الذى يحكم تكوين الحلم موضعه الصحيح [القسم ط] ، أقترح أن أسرد بعض الأمثلة من مجموعتى . هذه الأمثلة سوف تفيد - من جهة - في تصوير التفاعل بين العوامل الثلاثة التى عرفناها ، وسوف تفيد - من جهة أخرى - في تزويدنا بدليل يؤيد بعض القضايا التى ظلت حتى الآن بغير سند أو في بيان نتائج تازم منها ضرورة . فقد كنت وأنا أشرح عمل الحلم أجد صعوبة بالغة في مساندة اكتشافاتى بالأمثلة ؛ فالأمثلة التى يراد بها تدعيم هذه القضية أو تلك لا تحمل على الاقتناع إلا إذا سيقى وسط تفسير كامل لحلم من الأحلام ، فإن انتزعت من محيطها فقدت أثرها - هذا بينما نجد من ناحية أخرى أن التفسير إذا عمق ولو قليلاً لا يلبث أن يبلغ من الجسامة حداً نفقد معه حبل القضية التى كان يراد تصويرها . ولعل هذه الصعوبة الفنية تعذرني إذا أنا حركت الآن أشياء من كل صنف لا يربط بينها رابط مشترك سوى اتصالها بما ورد في الأقسام السابقة من هذا الفصل .

سأبدأ بأمثلة على طرائق في التصوير غريبة أو غير مألوفة . حلمت سيدة الحلم الآتى : تقف خادم على سلم كما بما كانت تسمح الشباك ، وكانت تحمل قرداً وقطاً من نوع الغوريلا (وتستدرك السيدة بعدئذ قائلة : من نوع الأنجورا) . ترى الخادم الحاملة بالحيوانين ، ويلصق القرد بها - وهو ما يثير في نفسها اشتزازاً كبيراً . - لقد حقق هذا الحلم هدفه بطريقة غاية في البساطة : فهو قد استعار مجازاً من مجازات الكلام ثم أجراه على حرفه ، « فالقرد » وأسماء الحيوان بوجه عام تستخدم على سبيل السباب ، ولا يعنى الموقف الذى عرض في الحلم شيئاً آخر سوى قولنا :

رماء بالسباب . ولن تلبث مجموعتي دون أن تأتي بأمثلة جديدة على استخدام هذه الحيلة البسيطة في عمل الحلم .

ونهج حلم آخر نهجاً يماثل السابق كل مماثلة : سيدة معها طفل شاه شكل جمجمته شوها ملحوظا ، تسمع الحاملة أن ذلك راجع إلى وضع الطفل في الرحم . يقول الطبيب : إن من الممكن تحسين شكل الجمجمة بضغطها ، إلا أن ذلك قد يؤدي مخ الطفل . تفكر في أن الطفل صبي فلن يضره ذلك كثيراً . — إن هذا الحلم يحوى تعبيراً مصوراً عن فكرة مجردة : « انطباعات الطفولة » ، وهي فكرة كانت الحاملة قد سمعتها في أثناء التوضيحات التي اقتضاها العلاج .

ولكن عمل الحلم قد سلك طريقاً مخالفاً بعض المخالفة في المثال الآتي ، وكان ينطوي على ذكرى رحلة إلى هيلماتيش^(١) بالقرب من جراتس : في الخارج عاصفة مروعة ، نزل حقير ، يقطر الماء من الجدران ، الأسرة مبللة (هذا الجزء الأخير من الحلم قد روى في صورة أقل صراحة مما ذكرت) . إن هذا الحلم يعنى « نافلة » ؛ فهذه الفكرة المجردة المتضمنة في أفكار الحلم قد لاقت أول الأمر علاجاً متكلفاً صيرها إلى شيء من قبيل « فائض » أو « طانح » ، ثم تمثلت بعد ذلك في عدة من الصور المشابهة : ماء في الخارج ، ماء في الداخل على الحوائط ، ماء في أغذية السرير المنداة ، كل شيء يقطر أو « يطفح » . ولن يدهشنا أن نرى أن أصوات الكلمات تفوق تهجها بكثير من حيث أهميتها بالنسبة إلى التصوير الحلمى ، وبخاصة حين نذكر أن الشعر المقفى يستبيح لنفسه حرية مماثلة . فقد روى رانك (١٩١٠ ، ٤٨٢) في كثير من التفصيل حلماً أنه فتاة وحلله تحليلًا وافيًا إلى مدى بعيد ، وفي هذا الحلم نسمع أن الفتاة قد سارت وسط الحقول وهي تقطع سنابل [Ahren] مثقلة بالقمح والشعير ، ثم أقبل عليها صديق في سنها ، فحاولت أن تتجنب لقاءه . وبين التحليل أن الأمر يتعلق بقبلة ، « قبلة في شرف » [Kuss in Ehren]^(٢) . فالسنابل [Ahren] التي كان يجب اقتطافها لا اقتطاعها

(١) [شعبة ماء .]

(٢) [Ahren (سنابل) = Ehren (شرف) في النطق ، فكأن معنى التعبير منطوقاً هو : قبلة في شرف أو قبلة بين السنابل . ومن المهم أن نلاحظ مع ستراشي أن هذا التعبير يشير إلى مثل ألماني ترجمته الحرفية هي : ما من أحد يرفض قبلة في شرف ، كما أن الفتاة كانت في الحقيقة قد تلقت أول قبلاتها وهي سائرة في حقل قمح ، فكانت قبلة " بين السنابل " .]

قد أفادت من حيث هي كذلك ومن حيث تكثيفها بكلمة Ehren [شرف] في تصوير طائفة كاملة من أفكار أخرى .

وفي حالات أخرى نجد أن اللغة قد يسرت الأمور على الحلم تيسيراً كبيراً ؛ فاللغة تملك طوع يدها طائفة بأسرها من المفردات التي كانت تملك في الأصل معاني عيانية مصورة ثم صارت اليوم تستخدم استخداماً مجرداً لا لون فيه ، وكل ما يحتاج إليه الحلم هو أن يسترجع لهذه الكلمات معانيها السابقة المليئة وأن يرجع بعض المسافة إلى مرحلة متقدمة في تطور الكلمة . ومثال ذلك أن يحلم حالم بأن أخاه في صندوق ، ثم تذهب خواطر الحالم في أثناء التفسير من صندوق إلى « دولاب » [Schrank ويعني أيضاً الحد بالمعنى المجرد] ، فتكون فكرة الحلم الكامنة هي : أن على أخيه أن يلزم حده – أى أن يلزمه هو . وها هو ذا حالم آخر يعتلى جبلاً يشرف منه على منظر « قصي الأطراف » ، وهو بذلك يعين ذاته بأخيه الذي كان يشرف على تحرير باب عنوانه « نظرة على الشرق الأقصى » .

وفي حلم يرد في « هاينريخ البانغ » [رواية ذائعة لجوتفريد كيلر] نرى فرساً جموحاً وهو يتقلب في حقل جميل من الحرطل كل حبة منه « لوزة حلوة وزببية ودرهم جديد . الكل ملفوف في حرير قان ، معقود بسبائب الخنزير » . ولا يلبث الكاتب (أو الحالم) أن يفسر هذه الصورة الحلمية ؛ إذ يشعر الحصان بدغدغة تطيب له ، ويهتف قائلاً : الحرطل ينغزني . [وهو من مثل ألماني بمعنى : أفسده الرغد .]

وفي رأي هنتسن أن الأحلام المشتعلة على توريات وجمل لفظية تكثر كثرة خاصة في الأساطير الشمالية القديمة ، فلا تكاد تخلو أسطورة منها من حلم ينطوى على بعض الاشتراك أو اللعب بالألفاظ .

وإنه ليكون عملاً قائماً بذاته أن يجمع المرء أساليب التصوير وأن يقسمها بحسب المبادئ التي تقوم عليها ، وإن منها لأساليب تكاد أن تكون خليقة بأن تسمى نكات ، أساليب يحس المرء إزاءها أنه ما كان ليحذر قط معناها لو لم يفض به الحالم إليه :

(١) حلم رجل بأن البعض يسأله عن اسم ما ولكنه لا يستطيع تذكره . إنه يقول : إن هذا يعنى أن ذلك لا يخطرلى ولو فى الحلم .

(٢) أخبرتنى مريضة بحلم بدا الناس فيه طوالا إلى حد يتجاوز المألوف ، ثم مضت تقول : إن هذا يعنى أن الحلم يتناول أحداثاً وقعت فى طفولتى ؛ فى هذا الوقت كان جميع الراشدين يبدون لى بالطبع طوالا ضخماً . هذا ولم يظهر شخصها هى فى ذلك الحلم .

ومن الممكن أن نعرب عن كون الحلم يشير إلى الطفولة بطريقة أخرى ، هى ترجمة الزمان إلى المكان ، فتبدو الأشخاص والمشاهد كما لو كانت على بعد عظيم ، فى نهاية الطريق ، أو كما لو كان ينظر إليها من منظر أوبرا معكوس الوضع .

(٣) حلم مرة رجل كان يتزع فى حياته إلى العبارات المجردة غير المحددة وإن كان — فيما خلا ذاك — قد وهب نكتة بارعة بأنه قد وصل إلى إحدى محطات السكة الحديدية وقت دخول القطار ، وإذا الرصيف يتحرك جهة القطار بينما القطار واقف بلا حراك — وهو عكس غير معقول لما يحدث فى الواقع . ولم يكن هذا القلب إلا إشارة تشير إلى أن الحلم لا بد مشتمل على قلب آخر فى محتواه [أنظر ص ٣٣٦] . فلما حللناه انتهى الحلم إلى أن تذكر كتاباً مصوراً حوى صور رجال وقفوا على رؤوسهم ومشوا على أيديهم .

(٤) وفى مرة أخرى روى هذا الحلم نفسه حلماً يذكر بطريقة الألفاظ المصورة ؛ فقد رأى أن عمه كان يقبله فى السيارة [Automobil] . وبادر الحلم إلى تفسير الحلم تفسيراً ما كنت لأحذره قط : إن ذلك كان يعنى العشق الذاتى [Autoerotismus] . وقد كان من الممكن أن يخرج محتوى هذا الحلم فى الحياة المستيقظة على صورة نكتة .

(٥) حلم رجل بأنه يجذب [hervorziehen] امرأة من وراء السرير ، وكان معنى ذلك أنه يؤثرها [vorziehen] .

(٦) حلم رجل أنه يجلس إلى إحدى الموائد فى مواجهة الإمبراطور . وكان معناه أنه يعارض أباه .

(٧) حلم رجل بأنه يعالج شخصاً ما أصيب بكسر فى أحد أطرافه . وأظهر التحليل أن

العظمة المكسورة [Knochenbruch] كانت تنوب عن الزواج المكسور [Ehebruch] ويقال بمعنى الزنا . [

٨) ومن الشائع في الأحلام أن يمثل الوقت عمر الحالم في فترة معينة من فترات الطفولة . مثال ذلك أن « الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة عشرة » كانت تعنى في أحد الأحلام « خمس سنوات وثلاثة أشهر » . وكان لذلك التاريخ أهمية ؛ إذ تلك كانت سن الحالم حين ولد أخوه الأصغر .

٩) وها هو ذا تصوير آخر للسن في الحلم : فقد حلمت امرأة بأنها تسير مع فتاتين صغيرتين فرق السن بينهما خمسة عشر شهراً . ولا تعرف الحاملة أحداً من أسرتهما يصدق عليه ذلك . ولكنها قد أتت بالتفسير حين قالت : إن كلتا الطفلتين تمثلها وإن الحلم إنما يذكرها بالصدامين اللذين عرفتهما في طفولتها ؛ فقد كانت تفصل بينهما هذه الفترة على التحديد ، وقع أحدهما حين كانت تبلغ من العمر السنة الثالثة ونصف السنة ووقع الآخر حين كانت في الرابعة والتسعة الأشهر .

١٠) ولسنا نعجب إذا رأينا أن الشخص الذى يتبع علاجاً تحليلياً نفسياً يحلم كثيراً بعلاجه هذا ويعرب عن أفكار وتوقعات متعددة يبعث العلاج عليها . والصورة التى يغلب اختيارها في تصوير العلاج هى صورة الرحيل ، والرحيل بالسيارة بنوع خاص ؛ لكونها عربة حديثة معقدة . وفى هذه الحالة تجد تهكمات المريض متنفساً بالإشارة إلى سرعة السيارة . وإذا أريد تصوير « اللاشعور » من حيث هو عنصر ورد بين أفكار اليقظة استبدلت به — استبدالاً جدملائماً — أماكن تقع « تحت الأرض » — وهى أماكن تنوب عن جسم المرأة أو عن الرحم حين تجيء من غير علاقة بالعلاج التحليلي . ويكثر أن تشير « أسفل » إلى أعضاء التناسل ، بينما تشير « أعلى » — على العكس — إلى الوجه أو الفم أو الصدر . ويرمز عمل الحلم عادة بالحيوانات الوحشية إلى الانفعالات الاندفاعية التى يخشاها الحالم من نفسه أو من غيره على السواء ، وهكذا يستطيع — بنقل جد طفيف — أن يرمز بهذه الحيوانات إلى الأشخاص الذين تغلب عليهم هذه الانفعالات . والمسافة هنا قريبة بين ما نحن فيه وبين الحالات التى يصور فيها الأب المخوف بوساطة

وحش كاسر أو كلب أو حصان وحشى ، على نحو يذكر بالطوطمية . وفي مقدورنا أن نقول : إن الحيوانات الوحشية تستخدم في تصوير الليبدو - والليبدو قوة يفزع منها الأنا ويغالبها بالكبت . ومن الشائع أيضاً أن يُفصل العصاب في ذاته - « الشخص المريض » - من الحلم وأن يتمثل في الحلم في صورة شخص مستقل .

(١١) (عن هانس ساكس) « إننا نعلم من ' تفسير الأحلام ' أن عمل الحلم يسلك طرقاً مختلفة من أجل الوصول إلى تصوير الكلمات أو الحمل في صورة حسية مرئية . فإذا اتفق - مثلاً - أن كان لتعبير معنيان استطاع الحلم أن يستغل هذا الاشتراك باعتباره منعطفاً يترك عنده أول المعنيين - وهو المعنى في أفكار الحلم - ليدرج الثاني بدلاً منه في محتوى الحلم الظاهر .

« ذلك ما قد وقع في الحلم القصير الآتي ، ووقع بعد استغلال ماهر لانطباعات ملائمة من اليوم السابق باعتبارها مادة تصويرية :

« ذلك أني كنت يوم الحلم قد عانيت بعض البرد ، فعزمت في المساء على ألا أغادر الفراش في الليل بقدر المستطاع . وجاء حلم لا يبدو منه إلا أنه يجعلني أتابع في الليل عملاً من أعمال النهار : فقد كنت شغلت في أثناء النهار بلصق قصاصات من الصحف في دفتر لدى ، وكنت أحرص في خلال ذلك على أن توضع كل قصاصة في موضعها الملائم ، وكان أن جاء الحلم هكذا :

أجهد في لصق إحدى قصاصات الصحف في الدفتر ، فلا يتمشى ذلك مع الصفحة (١) ، وهو ما يثير في نفسي ألماً كبيراً .

« وأستيقظ فأجد أن ألم الحلم لا يزال مستمراً في صورة ألم جسمي حقيقي ؛ فقد أراد الحلم - من حيث هو حارس النوم - أن يهيئ إلى أن رغبت في المكث بالفراش قد تحققت متوسلاً إلى ذلك بتصوير عياني للجملة [الألمانية] المردوجة المعنى . » [وتعني ولكنه لا يمشي الصفحة ، وأيضاً : ولكنه لا يمشي إلى المرحاض أو لا يذهب إليه .]

إننا لنستطيع أن نذهب إلى حد القول : إن عمل الحلم يتوسل إلى التصوير المرئي لأفكار الحلم بكل وسيلة في متناوله ، سواء أمقبولة لاحت لعين النقد المستيقظة أم

مرفوضة، وذلك هو ما يجعل عمل الحلم عرضة للتشكك والسخرية عند كل من لم يعد أن يسمع عن تفسير الحلم دون أن يزاوله . وكتاب شتيكل « لغة الأحلام » (١٩١١) ثرى بالأمثلة التي من هذا القبيل ، غير أنني قد تجنبت مع ذلك الاستشهاد به ؛ لأن افتقار المؤلف إلى الحكم النقدي مع اتسام منهجه بطابع التعسف يحملان الذهن على التشكك حتى ولو خلا من كل فكرة سابقة .

(١٢) فأما الأمثلة الآتية فمقتبسة من مقال كتبه تاوسك (١٩١٤) عن استخدام الثياب والألوان في التصوير الحلمى :

١ — حلم أ . حلماء رأى فيه مربيته القديمة وقد ارتدت رداء ذا بريق [Lüster] أسود، والتصق برديها التصاقاً شديداً — وكان معنى ذلك أن تلك المربية كانت في رأيه امرأة شهوانية [Lustern] .

ب — حلم ج . أنه يرى فتاة تسير في طريق س . وقد غمرها ضوء أبيض وارتدت صداراً أبيض . كان الحلم قد بدأ في ذلك الطريق أول علاقاته الوثيقة بأنسة لقبها : أبيض .

ج — حلمت السيدة د . بأنها ترى Basel المعجوز (وهو ممثل من فيينا بلغ الثمانين من العمر) وقد رقد على ديوان وهو شاكى السلاح [in voller Rüstung] ثم أخذ هذا الممثل يشب فوق الموائد والمقاعد، ثم استل خنجراً ونظر إلى نفسه في المرأة ملوحاً بالخنجر في الهواء كأنما يحارب عدواً موهوماً .

التفسير : كانت الحاملة تعاني ألماً مزمناً في المثانة [Blase] ، ثم هى كانت تستلقى على ديوان في أثناء التحليل ، وكانت إذا نظرت إلى نفسها في المرأة أسرت إلى نفسها أنها على رغم سنّها ومرضها — لا تزال صحيحة معافاة [rüstig] .

(١٣) « عمل عظيم » في الحلم .

حلم رجل فرأى نفسه راقداً في السرير مثل امرأة حبلى ويثير هذا الموقف في نفسه مضضاً شديداً . يصبح قائلاً : لقد كنت أفضل . . . (في أثناء التحليل أكمل الرجل عبارته — بعد أن تذكر شخص امرأة ممرضة — بتلك الكلمات . . . أن أكسر الأحجار .) كانت تعلق سريريه خريطة ثبت شريط من الخشب بحافتيها السفلى لكي يقيها منشورة . ينتزع الحلم الشريط الخشبي بأن يقبض على طرفيه كليهما ، ولكن الشريط لا ينكسر عرضاً بل ينشق طولاً . يحس الحلم عندئذ أنه قد تخفف كثيراً وأن هذا الفعل قد أعاناه على الوضع .

يفسر الحلم من تلقاء نفسه انتزاع الشريط [Leiste] الخشبي بأنه يعنى إتيان

« عمل » [„Leistung“] عظيم . ذلك أنه يريد التخلص من موقفه غير السار (في العلاج) بأن ينتزع نفسه من وضعه المؤنث . . وأما تلك اللمحة غير المعقولة : ألا ينكسر شريط الخشب بل ينفلق شقين ، فتفسيرها ما يتذكره الحالم من أن هذا التضعيف مضافاً إلى التمزيق ينطوى على إشارة إلى الخصاء . ومن الأمور الشائعة غاية الشيوع أن يصور الحالم الخصاء بوساطة رمزين قضيين تصويراً صادراً عن رغبة مضادة فيها التحدى . أضف إلى ذلك أن Leiste [الشريط ، ويعنى أيضاً « الحالب »] منطقة من الجسم قريبة من أعضاء التناسل . ويحمل الحالم تفسير حلمه بما معناه أنه – أعنى الحالم – يغالب وعيد الخصاء الذى أحوجه إلى اتخاذ هذا الموقف المؤنث ^(١).

(١٤) وعرض مرة للتفسير – أثناء تحليل أجريته باللغة الفرنسية – حلم ظهرت فيه في صورة القيل . ودعاني ذلك بالطبع إلى أن أسأل الحالم لم صورت هذا التصوير ، فكان جوابه „Vous me trompez“ ، [أى « أنت تخدعنى »] (trompe = زلومة) .

وفي وسع عمل الحالم أن يصور مواد عَصِيَّة إلى أبعد حد – مثل أسماء الأعلام – باستخدام متكلف لروابط جد مستبعدة . فقد جاء في أحد أحلامي أن بروكيه الشيخ كلفنى القيام بعملية من عمليات التشريح وأننى فرغت من تحضير أحد المركبات ثم التقطت شيئاً لاح مثل روق الفضة المجد (وهو حلم سأعود إليه فيما بعد [ص ٤٥١]) . وكان المستدعى الذى ورد على ذهنى بعد شئ من الصعوبة هو : « ستانيول » ^(٢) . وعندئذ عرفت أننى كنت أفكر فى اسم « ستانيوس » – وهو مؤلف كتب مقالا عن الجهاز العصبي لنوع من السمك أعجبت به إعجاباً شديداً فى شبابى . والحق أن أول عمل علمى كلفنى به أستاذى (بروكيه) كان يتعلق بالجهاز العصبي لنوع من السمك اسمه : « Ammocoetes » [فرويد ١٨٧٧ أ] . ومن الواضح أن ذلك الاسم كان يستحيل استخدامه فى لغز مصور .

ولست أستطيع أن أمنع نفسى من أن أسرد فى هذا الموضوع حلماً عجيباً فى محتواه ، ثم هو حلم جدير بأن يعار التفاتاً لأنه حلم طفلة ، كما أنه يسهل استجلاؤه بالتحليل :

(١) أنظر فرويد ١٩١٤ .

(٢) [روق الفضة (واسمه عندنا ورق القصدير) عبارة عن شرائح مفضضة من الصفيح ، و « ستانيول »

مشتق من « ستانيوم وهو » الصفيح .]

قالت سيدة : إننى لا أزال أذكر حليماً عاودنى مراراً فى طفولتى ، وكان فحواه أن الله يحمل قبعة مدببة فوق رأسه . ولقد كان من عادى وأنا طفلة أن أرى هذه القبعة توضع كثيراً على رأسى حين أجلس إلى المائدة ؛ حتى لا أتمكن من التطلع إلى أطباق الأطفال الآخرين لأرى مقدار ما أخذوا . وإذا كنت سمعت من قبل أن الله عليم بكل شئ ، فعنى الحلم أننى على علم بكل شئ رغم القبعة المدببة .

يبد أن طبيعة عمل الحلم والطريقة التى يتصرف بها فى مادته - وأعنى أفكار الحلم - تظهر على نحو حافل بالفائدة النظرية حين نجيء إلى بحث ما يعرض فى الحلم من الأعداد وعمليات الحساب . أضف إلى ذلك أن للأعداد فى الحلم - على حسب معتقد خرافى - دلالة خاصة على الغيب . ولهذا أنتى من مجموعتى بضعة أمثلة من هذا الطراز .

(١) من حلم أنه سيدة قبل أن ينتهى علاجها بزم قصير : تريد أن تدفع ثمن شئ ما ، تأخذ ابنتها ٣ فلورين و ٦٥ كرويتسر من كيسها . تقول الحاملة : ماذا تفعلين ؟ إن هذا لا يكلف سوى ٢١ كرويتسر . لقد بدا لى هذا الطرف من الحلم واضحاً مفهوماً دون معاونة ما من جانب الحاملة ، وذلك لما أعرفه من ملابسات حياتها . فالحاملة سيدة أجنبية أدخلت فقاتها فى أحد المعاهد التربوية بفيينا ، ولم تكن تستطيع مواصلة علاجها إلا إذا بقيت ابنتها فى فيينا . ولم يكن باقياً غير ثلاثة أسابيع تنتهى بعدها السنة الدراسية وينتهى معها العلاج . واتفق يوم الحلم أن ناظرة المعهد سألتها : هل تستطيع أن تقرر بقاء ابنتها عاماً آخر ؟ ولا شك فى أن خاطرها قد ذهب بها عندئذ إلى أنها سوف تتمكن فى هذه الحالة من الاستمرار فى علاجها سنة أخرى . وذلك هو محور الحلم : فى السنة ٣٦٥ يوماً، والأسابيع الثلاثة الباقية من السنة الدراسية تعدل ٢١ يوماً (وإن يكن عدد ساعات العلاج أقل من ذلك) . فالأرقام التى كانت تشير فى أفكار الحلم إلى فترات زمنية قد ترجمت فى الحلم إلى مبالغ من النقود - دون أن يخلو ذلك من معنى أعمق؛ فإن « الوقت من ذهب »^(١) . ولا تعدل ٣٦٥ كرويتسر سوى ٣ فلورين و ٦٥ كرويتسر . وإن ضالة المبالغ المذكورة فى الحلم لتحقيق رغبة مكشوف ؛ فرغبة الحاملة

قد خفضت تكاليف العلاج وأقساط المدرسة على السواء .

(٢) وتسوقنا الأرقام المتضمنة في حلم آخر إلى علاقات أشد تعقداً . فقد سمعت سيدة في مستقبل العمر — وإن تكن تزوجت منذ سنوات متعددة — أن صاحبة من صواحبها تكاد تكون في مثل سنها — هي إليز ل . — قد خطبت حديثاً ، فحلمت على أثر ذلك الحلم الآتي : إنها في المسرح مع زوجها وقد خلا أحد جوانب القاعة خلواً تاماً . يقول لها زوجها : إن إليز ل . وخطيبها كانا يريدان الهوى أيضاً ، ولكنهما لم يجدا سوى مقاعد رديئة — ثلاثة مقاعد قيمتها فلورين ١ و ٥٠ كرويتسر — فلم يرضا بها بطبيعة الحال . فتحدث نفسها قائلة : وما هناك ضرر لو قد فعلا .

ما منشأ هذا الرقم : ١ فلورين و ٥٠ كرويتسر ؟ منشؤه حدث من أحداث اليوم السابق كان في الحقيقة خالياً من كل وزن : ذلك أن أخت زوجها قد أهدي إليها زوجها ١٥٠ فلورين ، فسارعت إلى تبديدها بأن اشترت بها حلية . ولا يفوتنا أن نلاحظ أن ١٥٠ فلورين تعادل ١ فلورين و ٥٠ كرويتسر ١٠٠ مرة . والرقم ٣ — وهو عدد تذاكر المسرح — من أين أتى ؟ الرباط الوحيد الذي نجده هنا هو أن صديقها المخطوبة تقل عنها في السن بمثل هذا العدد من الشهور — ٣ .

وقادنا بعد ذلك إلى حل الحلم أن نكتشف لإلام كانت تلمح المقاعد الشاغرة : فذلك كانت تشير إلى واقعة صغيرة هيأت لزوجها فرصة طيبة لمعاكستها ؛ ذلك أنها كانت قد عقدت العزم على أن ترى مسرحية أعلن أنها ستمثل في أسبوع مقبل ، وتكلفت الذهاب لا بتياع التذاكر قبل الموعد بأيام متعددة — مع دفع ما يجره ذلك من فرق الحجز . فلما دخل المسرح ألقيا أحد جوانب القاعة وقد كاد أن يكون شاغراً : لم تكن هناك حاجة إلى أن تتعجل كل هذا التعجل .

والآن أبدل بالحلم أفكاره الكامنة : « لقد كان جنونا مني أن أتزوج في مثل هذه السن المبكرة ، وما كانت بي حاجة إلى كل هذه العجلة . وها هو ذا مثال إليز ل . يريني أنني كنت مستطبعة دائماً أن أجدر زوجاً ، بل لقد كنت أجدر زوجاً أحسن مائة مرة (زوج ، كتر) لو أنني انتظرت بعض الشيء (على خلاف عجلة أخت زوجها) ، وبنفودي (الدوطة) كان يسعني أن أشتري ثلاثة رجال على هذه الشاكلة ! » إننا نلاحظ أن معنى الأعداد والسياق الذي سبقت فيه قد نالهما في هذا الحلم تحريف يفوق كثيراً

نظيره في الحلم السابق . فعمليات التعديل والتشويه قد ضربت هنا بسهم أوفر ، ومعنى ذلك أن أفكار هذا الحلم كانت مكرهة على أن تتخطى مقداراً ذا شدة خاصة من المقاومة النفسية الداخلية قبل أن تبلغ إلى تصويرها في الحلم . ولا نحن ننسى أن هذا الحلم قد تضمن عنصراً غير معقول ، وأعني به أن يستأجر شخصان اثنان ثلاثة مقاعد . وهنا أستبق مبحث اللامعقولة في الحلم فأشير إلى أن هذه اللمحة غير المعقولة كانت تهدف إلى تصوير الفكرة التي كان يلح الحالم عليها أشد الإلحاح : لقد كان جنوناً مني أن أتزوج في مثل هذه السن المبكرة . والثلاثة المحتواة في علاقة جد ثانوية بين الشخصين اللذين تتعقد بينهما المقارنة (ثلاثة الشهور فرق السن بين الحاملة وإليز ل.) قد استغلت استغلالاً حاذقاً في إحداث اللمحة غير المعقولة التي كان يتطأها الحلم . ثم خفض المائة وخمسين فلورين إلى فلورين وخمسين كرويتسر يوافق القيمة المنخفضة التي تضيفها الحاملة في أفكارها الكامنة إلى زوجها (أو الكثر) .

٣) وأما المثال الآتي فيسوقنا إلى طرق الحلم في الحساب ، تلك الطرق التي كان لها أكبر الأثر في الاستهانة بالحلم : حلم رجل فرأى أنه كان يجلس في مقعد لدى آل ب . (وهي أسرة سبقت له معرفتها) وأنه يتحدث قائلاً : لقد كان خطأ كبيراً منكم ألا تعطوني مالي . ثم يواصل كلامه فيسأل الخادم : إذن ما عمرك ؟ فتجيبه قائلة : لقد ولدت في ١٨٨٢ . وأنت إذن في الثامنة والعشرين .

وإذ كان الحلم قد وقع عام ١٨٩٨ فمن الواضح أن ذلك كان حساباً خاطئاً ، وإن ضعف الحالم في الحساب لخرى بأن يُقَرَّبَ من ضعف المريض بعته الشلل إذا لم نجد له له تعليلاً آخر . لقد كان مريضاً ينتمى إلى هذه الطبقة من الرجال الذين لا يريحون من تفكيرهم امرأة وقع عليها ناظرهم . وكانت تاليته المنتظمة في الدخول إلى حجرة استشارتي خلال بضعة شهور سيدة في مقتبل العمر ، فكان يقابلها في خروجه ويدأب

على الاستعلام عنها ويتكلف التأدب معها . وكانت هي من يقدر عمرها بثمان وعشرين عاماً — وفي هذا الكفاية في تحليل نتيجة الحساب المزعوم . وأما ١٨٨٢ فكانت السنة التي تزوج فيها هذا الحالم . وأذكر بعد أنه كان من بين الأمور التي لا يطيقها هذا الحالم ألا يفيض في الحديث مع الشخصين المؤنثين الآخرين اللذين كان يلتقي بهما في منزلي ، وأعني بهما خادمين — كلتاهما على أبعد ما يكون من الصبا — كانتا تتناوبان

فتح الباب له ، فلما لم يجد منهما استرسالا كبيراً علل ذلك لنفسه بأنهما تحسبانه سيئاً تقدم في السن و « استقر » .

وها هو ذا حلم آخر يتميز بوضوح حتمه أو - بالأحرى - حتمه المضاعف ، وهو حلم أدين به وبتفسيره للدكتور ب . داتنر .

« حلم صاحب المنزل الذى أسكن فيه - وهو من رجال الشرطة - بأنه يقوم بالخدمة فى أحد الشوارع - وهو ما يحقق له رغبة . ويمر به مفتش حملت بنيقته الرقم ٢٢ يتبعه الرقم ٦٢ أو ٢٦ ، وعلى أية حال كان الرقم يحوى العدد ٢ مكرراً .

« إن كون الحالم قد قسم الرقم ٢٢٦٢ قسمين فى أثناء رواية الحلم ظاهرة تجعلنا بذاتها ندرك أن لكل من شطريه معناه المستقل . ولقد خطر للحالم أن الحديث قد دار بالأمس فى مقر الشرطة حول طول مدة الخدمة ، وكانت مناسبة الحديث أن مفتشاً قد أحيل على المعاش بعد أن بلغ من العمر ٦٢ عاماً . والحالم قد قضى ٢٢ عاماً فى الخدمة ويلزمه الاستمرار فيها عامين وشهرين لكى يكون له الحق فى معاش قدره ٩٠ ٪ . فالحلم يحقق أولاً رغبة داعبت فكره زمناً طويلاً وهى الرغبة فى أن يرقى إلى درجة المفتش ؛ لأن الرئيس الذى يحتل الرقم ٢٢٦٢ على بنيقته ليس إلا الحالم نفسه . وإنه ليقوم بالخدمة فى الشارع - وهى رغبة أخرى أثيرة عنده . ثم هو قد استمر فى الخدمة المدة المتبقية : ٢ سنة و ٢ شهر مثل المفتش القديم ذى ال ٦٢ عاماً ، وصار فى وسعه الآن أن يحصل على معاش كامل . » (١)

إذا ألقينا نظرة شاملة على هذه الأمثلة وأخرى تشبهها (أرويهما فيما بعد [ص ٤٤٧]) ، صرنا فى حل من أن نقول : إن عمل الحلم لا يعرف الحساب على الإطلاق سواء أكان صحيحاً أم كان غير صحيح . كل الأمر أنه يلتقط أعداداً ماثلة فى أفكار الحلم ويتخذ منها إشارات يلمع بها إلى مادة لا يمكن تصويرها بغير ذلك ، واضعاً إياها - هذه الأعداد - فى صورة العملية الحسابية . وهو فى ذلك يعامل الأعداد كما لو كانت مادة يتوصل بها إلى الإعراب عن مقاصده ، على نحو يطابق كل المطابقة أسلوب معالجته لكل فكرة أخرى بما فى ذلك أسماء الأعلام والأقوال الواردة صراحة فى هيئة صور لفظية .

(١) أنظر عند يونج (١٩١١) ومارسينوفسكى (١٩١٢ ب) وغيرهما تحليلات لأحلام أخرى كانت تشمل على أرقام ، وكانت هذه الأحلام تتضمن فى أحيان كثيرة عمليات معقدة جداً أجراها الحالم فى دقة مذهلة . وانظر أيضاً جونز (١٩١٢) .

ذلك أن عمل الحلم عاجز في الحقيقة عن أن يخلق الكلام خلقاً . فهما ورد في الحلم من الأقوال والردود — سواء كانت معقولة في ذاتها أم كانت هراء — فالتحليل يثبت في كل حالة أن الحلم لم يعد أن يلتقط من أفكار الحلم نبذاً من أقوال قيلت بالفعل من قبل أو سمعت ، وأنه قد عالج هذه الأقوال معالجة طابعها التعسف إلى أقصى الحدود : فهو لم يقف عند انتزاعها من محيطها وتمزيق أوصالها ، يأخذ أجزاء ويترك أخرى ، بل هو في أحيان كثيرة ينظمها في نسق جديد ، حتى ل ترى الكلام يبدو في الحلم كلا مترابطاً فإذا التحليل يبين أنه قد تركز من ثلاث نبذ متفرقة أو أكثر . والحلم في خلال هذا الصوغ الجديد يترك في أحيان كثيرة المعنى الأول الذي كان للكلمات في أفكار الحلم ويضيف إليها معنى جديداً كل الجدة ^(١) . وإذا أمعنا النظر في الكلام الذي يشتمل عليه

(١) إن الأعصاب تسلك من هذه الناحية مسلكاً لا يختلف مطلقاً من مسلك الحلم . فأعرف مريضة كانت شكاتها أنها تسمع (أى تهلوس) أغنيات أو فقرات من أغنيات بدون إرادتها وعلى رغم هذه الإرادة ، وذلك دون أن تستطيع أن تدرك معنى هذه الأغنيات بالنسبة إلى حياتها النفسية — هذا ولم تكن حالتها قطعاً بالبارانويا . لقد بين التحليل أنها كانت تستخدم نص هذه الأغنيات في غير ما وضعت له بأن تستبجح لنفسها إدخال بعض التعديل عليها . مثال ذلك هذا السطر [من لحن أجاتا في أوبرا فيبير " فرايشوتس "]

"Leise, Leise, fromme Weise"

[رفقا ، رفقا ، أيها النعمة الخاشعة]

إنه كان يعنى بالنسبة إلى لاشعورها : "Leise, leise fromme Waise" [ولا تختلف "Waise" من "Weise" في النطق ، ولكن المعنى يختلف ، فيصبح السطر : " رفقا ، رفقا ، أيها اليتيمة الخاشعة "] — وما اليتيمة بالطبع إلا إياها . أو هذا السطر :

"O du selige, O du frohlich"

[أيها الليلة المباركة ، أيها الليلة السعيدة]

إنه مطلع أنشودة من أناشيد الاحتفال بليلة مولد اليسوع ، ولكن المريضة إذ تسكت عن بقية السطر : " يا ليلة ولد فيها يسوع " تحيل الأنشودة إلى أغنية عرس ، إلخ . . . ومن الممكن كذلك أن يعمل هذا التشويه عمله في أفكار لا تعدو أن تكون أفكاراً ، غير مصحوبة بهلوس . لم كانت تلاحق أحد مرضاى ذكرى قصيدة حفظها في صباه :

"Nachtlich am Busento lipseln..."

[في الليل على همس البوزنتو ؟]

لأن محيسته كانت تقنع بهذا القدر من البيت :

"Nachtlich am Busen"

[أى : في الليل على الثدي . والبيت من قصيدة ذاعت أوسع ذيوع للشاعر الرومانسى بلاتن فون هالرمونده =

الحلم ، أمكننا أن نفرق بين أجزاء واضحة مركزة نسبياً ، وأخرى كل نفعها أنها أداة وصل ، وأرجح الظن أنها قد أضيفت من بعد على سبيل التكملة ، كما يحدث حين نكمل عند القراءة حروفاً أو مقاطع اتفق سقوطها عند الطباعة . وهكذا يكون للأقوال في الحلم التركيب الذى لبنان مرصوص تألف من كتل ضخمة من أحجار مختلفة النوع شد بعضها إلى بعض بمادة مقواة .

وإذا أردنا الدقة فالوصف الذى قدمناه لا ينطبق إلا على الأقوال التى تحمل شيئاً من الطابع المحسوس للكلام والتى يصفها الحلم نفسه بأنها كانت « كلاماً » . فأما سائر الأقوال التى لا يشعر الحلم — كما يقع أحياناً — بأنها قيلت أو سمعت (أى التى لا تقترن فى الحلم بمصاحبات سمعية أو حركية) فهذه لا تعدو أن تكون أفكاراً من بين ما يدور بخلدنا فى أثناء نشاطنا الفكرى المستيقظ ، وهى فى العادة تنقل إلى الحلم كما هى . ويبدو أن القراءة مصدر آخر غزير ترد منه الأقوال غير المتميزة التى من هذا القبيل ، وإن تكن مصدراً يصعب تأثره . وعلى أية حال ، فكل ما يخطر فى الحلم متخذاً صورة الكلام على نحو ملحوظ من الأنحاء يقبل رده إلى أقوال حقيقية فاه بها الحلم أو سمعها . وقد رأينا من قبل أمثلة تشهد بأن ذلك هو مصدر الأقوال فى الحلم ، رأيناها بينما كنت أحلل أحلاماً سردها لمقاصد أخرى . مثال ذلك الحلم « البرىء » الذى ذكرته فى ص ٢٠٤ حيث كانت جملة « لم يعد الحصول على ذلك فى حيز الإمكان » تفيد فى

= (١٧٩٦ - ١٨٣٥) وأما البوزنتو فنهى فى إيطاليا . [

ومن المعروف أن الكتاب المازلين لا يحجبون عن الالتجاء إلى هذه الحيلة الفنية . فقد نشرت "الصحائف الطائرة" [الصحيفة المازلية المعروفة] فى بابها المعنون " عيون الأدب الألمانى مصورة "، نشرت رسماً يصور قصيدة شيللر "Sieges fest" [عيد الظفر] ، وألحقت بالرسم هذين البيتين :

"Und des frisch erkampften Weib
Freut sich der Atrid und strickt..."

[« وبأثناه الغضة المنتصبة

يفرح ابن أتروس ويعقد . . . »]

ثم سكتت عن البقية ، والبقية هى :

"Um den Reiz des schonen Leibes
Seine Arme hochbeglückt".

[« حول سحر جسمها المبدع

ساعده الشديد المؤيد . »]

تعيينى بشخص الجزار ، بينما أفادت تلك النبذة المقتبسة من سياق آخر : « لست أعرف ذلك ، لا آخذه » - أفادت على التحديد فى جعل الحلم حلماً بريئاً . فنحن نذكر أن الحاملة كانت فى اليوم الذى سبق الحلم قد ردت على مطلب لطاهاها بالعبارة الآتية : « لست أعرف ذلك ، الزم حدودك ! » والجزء الأول من هذا القول - الجزء الذى يلوح بغير شائبة - هو الذى انتقل إلى الحلم لكى يتحقق به التلميح إلى الجزء الثانى - وهو الجزء الذى كان يلائم نوع التخيل الكامن من وراء الحلم أكبر الملائمة ، ولكنه كان أيضاً كفيلاً أن يفصحه .

وها هو ذا مثال يغنى عن أمثلة أخرى كثيرة تفضى جميعها إلى ذات النتيجة :

الحالم فى فناء كبير أحرقت فيه بعض الجثث . يقول : إني ماض ، لست أطيع منظرها (لم يكن ذلك كلاماً متميزاً .) يقابل الحالم بعدئذ صيى جزار فيسألها : حسناً . هل كان مذاقها لذيقاً ؟ فيجيبه أحدهما : كلا ، كلا على الإطلاق . كأنما كان اللحم لحم آدمياً ..

إن المناسبة البريئة للحلم هى الآتية : ذهب الحالم وزوجه ذات مساء فى زيارة بعض الجيران ، وكانوا من طيبة الناس ولكنهم لم يكونوا بحال من الأحوال من النوع الذى « يفتح النفس » . وكانت ربة البيت العجوز المضيفة لا تزال تتناول عشاءها فحاولت أن ترغمه على أن ينوق بعض طعامها (هناك كلمة أخرى يستخدمها الرجال فيما بينهم على سبيل المزاح للإعراب عن فكرة الإرغام^(١)) . فاعتذر متعللاً بنقص شهيته ، ولكنها أجابته قائلة : « امض ، امض ، إن هذه الكسرة لن تعجزك » أو شيئاً من هذا القبيل . فكان أن اضطر إلى تنوقها ثم أطرى السيدة قائلاً : « إن طعامها لذيق جداً . » فلما خلا إلى زوجه من جديد تدمر من إلحاح الجارة ومن مذاق طعامها كذلك . وأما فكرة « لا أطيع منظرها » - وهى الفكرة التى لا تخطر حتى فى الحلم فى صورة الكلام بالمعنى الصحيح - فتلمح إلى الفن البدنية للسيدة الداعية ، ولا ترجمة لها سوى أن الحالم لا يطبق النظر إليها .

غير أننا نجنى المزيد من الفائدة النظرية من حلم آخر أرويه فى هذا الموضع لما اشتمل عليه من كلمات جد متميزة كانت تكون نقطته الرئيسة ، وإن كان هذا الحلم

(١) [أرغم = "notigen" ، والكلمة المكونة إليها "notzuchtigen" وتعنى الإرغام بالمعنى الجنسى أو الاغتصاب .]

لن يتضح إلا حين نعرض للحديث عن الحالات الوجدانية في الحلم . حلمت الحلم الآتى في وضوح تام : ذهبت ليلا إلى معمل بروكه . وقرع الباب قرعاً رقيقاً ففتحتهُ للأستاذ (المتوفى) فلايشل الذى جاء يصحبه بعض الغريباء ثم جلس إلى مائدته بعد كلمات قليلة . وأعقب ذلك حلم ثان : جاء صديق ف . (فليس) إلى قيينا في شهر يوليه على غير توقع . أقابله في الطريق وهو يتحدث إلى صديق (المتوفى) ب . ثم أذهب معهما إلى مكان ما حيث يجلسان الواحد قبالة الآخر كأنما يجلسان إلى مائدة صغيرة ، وأجلس في الصدر عند جانب المائدة الضيق . يتحدث ف . عن أخته ويقول : إنها ماتت في خمس وأربعين دقيقة ، ثم يضيف بضع كلمات من قبيل : تلك كانت العتبة . ولا يفهم ب . مراده ، فيتحول ف . إلى ويسألنى : إلى أى حد أطلعت ب . على أخباره ؟ حينئذ تتولانى افعلالات غريبة وأحاول أن أشرح لصديق ف . أن ب . ما كان بالطبع ليستطيع أن يفهم شيئاً على الإطلاق ؛ لأنه ليس حياً . ولكن التعبير الذى أستخدمة بالفعل - وأنا ألحظ خطئى - كان Non Vixit (لم يعش) ثم بعد ذلك أصوب نظرة ثاقبة إلى ب . فإذا هو يمتقع أمام نظرى ، وتختلط صورته ، وتحول عيناه إلى زرقة مريضة ، وفي النهاية يذوب ويختفى . أطرب لذلك طرباً لا حد له وأدرك الآن أن إرنست فلايشل لم يكن هو الآخر إلا طيفاً ، شبحاً عائداً ، وأرى أنه من الممكن غاية الإمكان أن يكون أمثال هؤلاء الأشخاص إنما يوجدون بمقدار ما يريد لهم المرء أن يوجدوا وأن فى الوسع أن يتبددوا لو شاء الغير ذلك .

إن هذا الحلم البديع قد حوى عدة من الخصائص المحيرة لحتوى الحلم [الظاهر] : كأن أمارس ملكة النقد فى أثناء الحلم نفسه فألاحظ خطئى حين أقول : Non vixit [لم يعش] بدل : Non vivit [ليس حياً] ، ثم هذه الصلة الحالية من كل كلفة بموتى أعرف فى الحلم أيضاً أنهم كذلك ، ثم فساد استنتاجى الأخير وما أثاره هذا الاستنتاج من الطرب فى نفسى ! إني « لأبذل حياتى طواعية » لو قد استطعت بذلك أن أورد حل هذه الألغاز كاملاً . ولكن الحقيقة أنى لا أستطيعه : إنى لأعجز عن أن آتى ههنا ما آتية فى الحلم من التضحية بأشخاص أكن لهم أكبر التقدير فى سبيل مطامحى . بيد أن كل استخفاء سوف يهدم مع هذا ما أعلم حق العلم أنه معنى الحلم . وعلى ذلك أقنع هنا ثم فى الموضع الآخر [ص ٤٧٨] بأن أنتنى قلة من عناصره لأفسرها .

لقد كان محور الحلم مشهداً أعدم فيه ب . بنظرة ، وتحول عيناه فى أثناءه إلى أزرق غريب يفارق كل مألوف ، ثم يذوب هو ويختفى . وما من خطأ فى أن هذا المشهد إنما ينسخ آخر قد عشته حقيقة . فقد عملت ممزناً فى المعهد الفيزيولوجى وكان الواجب يقتضى أن أبدأ العمل فى الصباح الباكر . ونمى إلى سمع بروكه أنى كنت أصل متأخراً

إلى معمل الطالبة في بعض الأحيان ، فتوجه إلى المعمل ذات صباح ساعة البدء في العمل وانتظرنى : كانت كلماته موجزة وكانت في الصميم . ولكن الذى هنى لم يكن كلماته وإنما اكتسحتنى عيناه الزرقاوان الرهيبتان اللتان سددهما إلى فأحالتانى إلى عدم — شأن ب . في الحلم ، حيث انعكس الدوران بما يخفف عنى . وإن من يذكر عيني الأستاذ الجليل — هاتين العينين اللتين ظل لهما جمالهما العجيب وهو بعد شيخ طاعن — ويذكر أنه رآه في سورة من الغضب ليستطيع في غير عناء أن يتخيل ما ولى إذ ذاك الفتى الآثم من الانفعالات .

بيد أننى لبثت وقتاً طويلاً لا أفلح في العثور على مأتى جملة "Non vixit" . التى صغت فيها ذلك الحكم على ب ، . إلى أن خطر لى أن هاتين الكلمتين لم تحظيا في الحلم بتلك الدرجة الشديدة من الوضوح لأننى سمعتهما من قبل أو فهت بهما ، بل لأننى رأيتهما . وحيث علمت على الفور من أين أتتا : فعلى قاعدة التمثال المقام للقيصر جوزيف في القصر الإمبراطورى بشيئا نقرأ تلك الكلمات الجميلة :

Saluti patriae vixit
non diu sed totus^(١)

لقد أخذت من هذه الكلمات ما يلائم الخواطر للعداية التى كانت تتضمنها أفكار الحلم ، وما كان معناه : «ليس لهذا الشخص رأى يعتد به ؛ إنه ليس حياً على الإطلاق» . وإنى أذكر الآن أنى رأيت هذا الحلم أياماً قليلة قبل أن يرفع الستار عن نصب تذكارى أقيم لفلايشل في ساحة الجامعة . وكنت آنذاك قد رأيت نصب بروكه مرة ثانية ، ولا بد أنى فكرت أسفاً (تفكيراً لا شعورياً) كيف كان الموت المبكر سبباً في أن يفقد صديقى ب . الذى ندب حياته لخدمة العلم حقه المشروع المستحق في نصب يقام له في هاته الحرمات . وهكذا كان أن أقمت له في الحلم هذا النصب — وأذكر بعد أن صديقى ب . كان اسمه الأول جوزيف^(٢) .

(١) [لخير الوطن عاش بكل نفسه وإن لم يمش طويلاً .] الكلمات الصحيحة هى :

Saluti Publicae vixit
non diu sed totus.

وأكبر الظن أن فيتلز قد خن السبب الصحيح للخطأ الذى جعلنى أضع patriae بدل publicae [أى " لخير الوطن " بدل " للخير العام "] .
(٢) وأضيف — كدال على الحتم المضاعف ، أن مغزى عن الوصول إلى المعمل متأخراً كانت أفى =

بيد أن قواعد تفسير الحلم لا تبرر حتى الآن كونى بدأت بـ "non vivit" التى
 أحتاج إليها "non vixit" المستمدة من ذكرى نصب القيصر جوزيف . لا بد أن
 أفكار الحلم قد حوت عنصراً كان له أثره فى جعل هذا التبديل أمراً ممكناً . وهأنذا أنتبه
 الآن إلى أن هذا المشهد من الحلم قد حوى مجريين من المشاعر نحو صديقى ب . : الأول
 عدائى ، طاف على السطح والثانى ملؤه الود ، مستر ، ولكنهما يبلغان جميعاً إلى التمثل فى
 تلك الجملة الواحدة : « non vixit » . لقد استحق ب . أطيب الجزاء من العلم ،
 فله أشيد نصباً ، ولكنه تذبذب على برغبة شريرة (أعرب عنها فى نهاية الحلم) ، ولهذا
 أعدته . إني ألحظ أن هذه الجملة الأخيرة قد أجريت على وتيرة خاصة ، ولا بد أنى
 كنت متأثراً فيها بنموذج احتذيته . أين نجد مثل هذا التقابل ، مثل هذا التجاور جنباً
 إلى جنب بين استجابتين متضادتين تجاه شخص بعينه ، استجابتين تدعى كل منهما
 أن لهما ما يبررها كمال التبرير دون أن تعمل مع ذلك على أن تغير شيئاً من الأخرى ؟ نجده
 فى فقرة واحدة ولكنها فقرة تترك فى النفس أثراً عميقاً ، فى الخطاب الذى يلقيه بروتوس
 لكى يبرر فعله فى « يوليوس قيصر » لشكسبير : « أحبنى قيصر ، فعليه أبكى ، وكان
 مجدوداً ، فله أسر ، وكان مقداماً ، فإياه أبجل ، لكنه كان طموحاً ، لهذا قتلته . »
 أليست بنية العبارة هنا وأليس التقابل فى المعنى هما هما اللذان رأيناها فى فكرة الحلم
 التى كشفت عنها . وإذن كنت ألعب بروتوس فى الحلم . لو استعطت أن أجد فى محتوى
 الحلم أثراً آخر يؤيد هذه الرابطة الجانبية المدهشة ! إني أفكر فى أن ما يأتى ربما كان
 شاهداً ممكناً : « جاء صديقى ف . إلى فيينا فى شهر يولييه . » إن هذه النبذة من الحلم
 لا أساس لها فى الحقيقة الواقعة ؛ فصديقى ف . — بقدر ما أعلم — لم يأت قط إلى فيينا
 فى شهر يولييه . ولكن يولييه شهر سُمى باسم يوليوس قيصر ، وهو إذن قد يمثل حقيقة
 هذه الإشارة التى أبحث عنها إلى تلك الفكرة المتوسطة ، فكرة القيام بدور بروتوس^(١)
 والشئ العجيب هو أنى قد لعبت بروتوس حقيقة يوماً ما : فقد مثلت مرة أمام
 جمهور من الأطفال مشهداً من شيللر يلور بين بروتوس وقيصر . كنت أبلغ من العمر

كنت مضطراً — بعد العمل حتى ساعة متأخرة من الليل — إلى أن أقطع فى الصباح المسافة الطويلة بين شارع القيصر
 جوزيف وشارع فارينجر .

(١) ثم أيضاً هذه الرابطة : قيصر [يوليوس] — قيصر [جوزيف] .

إذ ذاك أربعة عشر ربيعاً وكان يشاركنى المشهد ابن أخ يكبرنى بعام واحد ، وكان قد وفد حديثاً من إنجلترا ؛ فكان هو الآخر عائداً ! إنه كان رفيق السنوات الأولى من طفولتى يُبعث بمجيئه إلى الوجود من جديد . فقد كنا حتى نهاية السنة الثالثة من حياتى صنوين لا يفترقان ، أحب كلانا الآخر وناصبه العداء ، وكان لهاته العلاقة الطفلية — كما ألمعت إليه من قبل — أثر حاسم فى جميع علاقاتى التالية بمن كانوا فى مثل سنى . ومنذ ذلك الحين وابن أخى — جون — يجد له متمصين عديدين يبعثون — على حسب الأطوار — هذا الجانب أو ذاك من شخصية المثلث فى ذاكرتى اللاشعورية تثبيتاً لا يتزعزع . ولا بد أنه — بين الحين والحين — قد أذاقتى شر المعاملة ، ولا بد أنى أظهرت شجاعة جمة فى وجه طاغيتى ؛ فكثيراً ما سمعت فى مستأنف السنين عن خطاب قصير ألقته دفاعاً عن نفسى إذ سألتى والدى — وهو جد غريمى — الحساب : سألتى : لم تضرب جون ؟ فأجبت فى لغة الطفل لما يبلغ العامين : ض (ل) بته ؛ لأنه ض (ل) بنى .

ولا بد أن هذا المشهد الطفلى هو الذى حرف non vivit إلى non vixit ؛ فالضرب فى لغة سنوات الطفولة اللاحقة يسمى wichen [فيكسن] ، وما يترفع عمل الحلم عن التوسل بأمثال هذه الروابط . والحق أن عدائى تجاه صديقى ب . لم يكن له من الحقيقة الواقعة إلا أقل المبررات ، وكان إذن يرجع يقينا إلى علاقتى الطفلية المعقدة بجون ؛ لقد كان صديقى ب . يفضلنى أضعافاً ، وهو — لهذا — كان مهيباً لأن يبدو لى مثل نسخة جديدة من رفيقى فى اللعب .

وقد قلت : إن لى عوداً إلى هذا الحلم .

ز

الأحلام اللامعقولة — النشاط العقلى

فى الأحلام

لقد صادفنا عنصر اللامعقولة مراراً من قبل بينا كنا نفسر الأحلام التى سبقت ولسنا نستطيع بعد الآن أن نرجى البحث فى منشأ هذا العنصر وفى المغزى الذى قد يكون

له ؛ فما زلنا نذكر أن لا معقولية الأحلام قد زودت أولئك الذين ينفون قيمة الحلم
بمحتمهم الرئيسة في أن الأحلام يجب أن تعد نتاجاً لا معنى له تولد عن نشاط عقلى منقوص
متقطع .

وأبدأ بتقديم أمثلة قليلة ليست اللامعقولية فيها إلا شيئاً ظاهرياً ، ولكنها لا تلبث
أن تختفى حين تقرب النظر إلى الحلم . وها هى ذى بضعة أمثلة تتصل بالأب الميت
(وهى صلة قد تلبو للوهلة الأولى وليدة الصدفة) .

حلم مريض كان قد فقد والده قبل الحلم بستة أعوام الحلم الآتى :

نزلت بوالده نكبة بالغة : ذلك أنه كان يسافر ليلاً فخرج القطار عن السكة وانطبقت المقاعد بعضها
فوق بعض وانضغط رأس والده حتى انطبق جانباً على جنب . رآه الحالم بعد ذلك راقداً فى سريره وفوق حاجبه
الأيسر جرح ذو اتجاه رأسى . يعجب الحالم من أن ينزل بوالده مكروه (ويزيد فيقول وهو يروى : لأنه
كان قد مات) . ما كان أفتح لون عينيه !

لو اتبعنا النظرية السائدة عن الأحلام لفسرنا محتوى هذا الحلم على ذلك الوجه :
إن الحالم وهو يتخيل هذه الحادثة التى ألت بأبيه قد نسى أول الأمر أن أباه هذا راقداً
فى قبره منذ سنوات متعددة ، فلما استمر فى حلمه استيقظت الذكري وكانت النتيجة
أنه عجب لحلمه وهو ما زال بنومه . بيد أن التحليل يعلمنا أن التماس أمثال هذه التعليلات
لا يجدى شيئاً . لقد كان الحالم أوصى أحد الفنانين بصنع تمثال نصفى لأبيه ، ولم يكن
رأى التمثال للمرة الأولى إلا قبل الحلم بيومين . وإن تكن من نكبة ، فالنكبة إنما حلت
بهذا التمثال ؛ ذلك أن التمثال لم يكن رأى والد الحالم قط وكان يعمل غير مستعين إلا
إلا بالصور الشمسية وحدها . وحدث فى اليوم الذى سبق الحلم أن الحالم — مدفوعاً بتقواه
البنوية — أرسل خادماً من خدام الأسرة القدماء ليرى بعينه هل كان الحالم محقاً فى حكمه
على الرأس المرمية — وكانت تلبو له شديدة الضيق فيما بين الجانبيين عند الصدغين . ثم
يمضى الحالم فيأخذ فى تذكر المادة التى شاركت فى تكوين هذا الحلم : لقد كان من عادة
الوالد حين تعذبه هموم العمل أو متاعب الأسرة أن يضغط جانبى الجبهة بكلتا يديه
كأنما كان يحس انبساطاً مفرطاً فى رأسه ويود لو ضمها . — وحدث مرة أن المريض —
— وهو فى الرابعة من عمرة — كان حاضراً حين انطلق مسدس اتفق أنه كان مليئاً

بالرصاص فاسودت عينا والده (ما كان أفتح لون عينيه !) - وأما تلك البقعة فوق الجبهة حيث مكان الجرح في الحلم فكانت - ووالده على قيد الحياة - تحمل خطا غائراً يظهر كلما ولى الوالد فكر أو حزن . فأما أن يرتفع هذا الخط ويحل جرح في موضعه فهذا ما يشير إلى المناسبة الثانية للحلم : ذلك أن الحلم التقط صورة شمسية لابنته الصغيرة وانزلت اللوحة بين أصابعه ، فلما التقطها رأى بها شرحاً جرى فوق جبهة الفتاة الصغيرة في اتجاه رأسى حتى حاجبها . ولم يملك الحلم إلا أن يتطير ؛ لأنه قبل أن تموت أمه بأيام قلائل قد كسر لوحة شمسية كانت تحمل صورتها .

وهكذا لا تخرج اللامعقولية في هذا الحلم عن أن تكون نتاجاً لما في التعبير اللغوى من إهمال يقعده عن التفرقة بين التمثال أو الصورة وبين الشخص الحقيقي ؛ فكلنا قد نقول [ونحن نتحدث عن صورة] « ألا ترى أن الوالد غير مضبوط ؟ » وقد كان من السهل تجنب ظهور اللامعقولية في هذا الحلم ؛ فلو جاز للمرء أن يحكم مستنداً إلى مثال واحد لأغرينا بالقول : إن مظهر اللامعقولية هذا مظهر لاقى موافقة - إن لم يكن جاء عمداً .

(٢)

وها هو ذا مثال ثان يشبه السابق غاية الشبه ، أنتخبه من أحلامى (تقدمت والدى عام ١٨٩٦) :

قام والدى بعد موته بدور سياسى كبير بين المجريين ، ووجد بينهم سياسياً . وهنا أرى صورة صغيرة غير واضحة : حشد من الناس كأنهم في الراحشتاج ، يقف شخص على مقعد أو مقعدين وقد أحاط به آخرون . أذكر عندئذ كيف كان والدى - وهو على فراش الموت - شديد الشبه بفاريبالدى ، وأسر لأن هذا الوجد قد صار حقيقة .

لنى هذا من اللامعقولية الكفافية ! إن هذا الحلم قد جاعنى في وقت آل فيه الهنغاريون إلى حال انعدم فيها القانون من جراء العرقلة البرلمانية ، وكانوا يجتازون هذه الأزمة التى

خلصهم منها كولومان^(١) . ولم تكن تلك الملابس التافهة : أن المشهد المرئي في الحلم قد تكون من صور صغيرة كل الصغر - خالية من الأهمية فيما يتعلق باستجلاء هذا العنصر من الحلم . ذلك أن الحلم يصور أفكارنا عادة في صورة تقارب الحجم الطبيعي ، ولكن الصورة التي رأيتها في حلمي إنما كانت تردد صورة محفورة من الخشب رأيتها منقولة في كتاب مصور عن تاريخ النمسا ، وكانت هذه الصورة تمثل ماريا تيريزا في رايششتاج برسبورج إبان المشهد المعروف [حين هتف نبلاء المجر بمبايعتهم] : « موت فداء مليكنا »^(٢) . وقد وقف والدي محاطاً بالجموع مثل ماريا تيريزا ، ولكنه وقف على مقعد [Stuhl] أو مقعدين ، أى أنه كان قاضياً [Stuhlrichter] وترجمته الحرفية هي : قاضى الكرسي بمعنى القاضى المترس [. ثم هو قد وحدهم : إن الرابطة هنا هي هذا التعبير [الألمانى] الدارج : لن نكون بحاجة إلى قاض [أى سنكون متحدين لا متنازعين] . فأما أن والدي وهو على فراش موته قد لاح شيئاً بغاريبالدى كل الشبه فذلك أمر لاحظناه جميعاً نحن الذين اجتمعنا من حوله في هاته الساعة ؛ فقد ارتفعت درجة حرارته عقب الوفاة واحمرت وجنتاه حمرة زادت عمقاً بعد عمق . إن الخاطر لينساق هنا طواعية إلى تلك الكلمات : « ومن ورائه يجثم - في مظهر خلو من كل حقيقة - هذا القيد الذى يغلنا جميعاً : الأمور المشتركة [أو المشاعة المبتذلة] . »^(٣)

إن هذا العلاء في أفكارنا يجعلنا نتوقع أننا لا بد آتون إلى هذا « المبتذل » على التحقيق فارترفاع درجة حرارة والدي « عقب الوفاة » هو المضمون الذى يقابل قول الحلم : « بعد موته » ، وقد كان أفسى ما لاقاه والدي من العذاب شلل الأعماء شللاً تاماً (العرقلة) في خلال الأسابيع الأخيرة . وترتبط بذلك أفكار لا توقير فيها من كل صنف . من ذلك

(١) [رئيس الحكومة الائتلافية التى تألفت عام ١٨٩٨ فأنقذت المجر من أزمة سياسية عنيفة .]

(٢) ["moriamur pro rege nostro"] - لست أدري أين قرأت عن حلم ازدحم بصور صغيرة على خلاف المألوف ثم تبين أن مصدرها كان صوراً بماء الفضة من صنع چاك كالرو ، رآها الحالم في خلال النهار . ولوحات كالرو هذه تحتوى فعلاً على عدد كبير من صور صغيرة جداً ، وتمثل طائفة منها أهوال حرب الثلاثين .

(٣) [من قصيدة جوته المعنونة "Epilog zu Schiller's Glocke" .]

أن أحد أقراني - وكان قد فقد والده ونحن لا نزال بالمدرسة الثانوية وكنت قد تأثرت له كثيراً إذ ذاك وبذلت له من صداقتي - قد قص على مستهزئاً أى ألم أصاب إحدى قريباته إذ سقط والدها ميتاً في الطريق ، وأحضر إلى المنزل محمولاً ، فلما نرعت الثياب عن جسده تبين أن عمود البراز [Stuhl] قد نرح منه في لحظة الوفاة أو عقب الوفاة . وكانت الابنة تشعر بتمس عميق إذ ترى هذه اللمحة الكريمة تنقص ذكرها لأبيها . ههنا نلمس الرغبة التي تجسست في هذا الحلم : أن يقف الأب بعد مماته طاهراً عظيماً في أعين أبنائه - ومن ذا الذي لا تجول بصدوره هذه الرغبة ؟ ولكن ماذا عن لا معقولة الحلم ؟ إن مظهرها إنما يرجع إلى أن تعبيراً جارياً يستسيغه الجميع كل استساغة وألفنا أن نغض النظر عن اللامعقولة المتضمنة في التناقض الذي بين مقوماته قد صور في الحلم بجذافه . وهنا أيضاً لا نستطيع أن نتجنب الشعور بأن مظهر اللامعقولة في الحلم مظهر مقصود ، مستثار عمدًا .

إن الكثرة التي يخطر بها الموتى في أحلامنا ويعملون ويتصلون بنا كما لو كانوا أحياء كانت مثاراً لعجب لا داعي إليه وسبباً في نظريات غريبة تبرز سوء فهمنا للأحلام إبرازاً قوياً . وتعليل هذه الأحلام قريب مع ذلك منا كل القرب . فكم من مرة نرانا في موقف نتساءل معه : « ترى ماذا كان يقول الوالد لو كان حياً ؟ » ولا يستطيع الحلم أن يصور « لو » هذه بغير الحضور الفعلي في موقف بعينه . مثال ذلك شاب ترك له جده ميراثاً كبيراً ، فلما أخذ يؤنب نفسه لأنه أضاع قلداً لا يستهان به من المال حلم بأن جده يناقشه الحساب . وإن ما نعتقد أنه نقد موجه إلى الحلم إذ نحتاج استناداً إلى معرفتنا الوثقى بأن الرجل ميت مطمور بعد كل شيء ، ليس في الحقيقة إلا عزاء يقول لك : إن الميت قد أغناه الموت عن أن يرى هذا كله ، أو ارتياح إلى ما آل إليه من العجز عن أن يتدخل بخير أو بشر .

وهناك نوع آخر من اللامعقولة يظهر في أحلام الأقارب المتوفين ولكن دون أن يعرب عن سخرية أو زراية^(١) ، وإنما عن استنكار بلغ منتهاه ، وبذلك يفيد في تصوير فكرة مكبوتة يؤثر المرء أن ينظر إليها نظرته إلى أمر يستحيل مجرد التفكير

(١) [يفهم من هذه الجملة أن اللامعقولة في الحلم تعرب عن سخرية أو زراية متضمنة في أفكار الحلم وهي النتيجة التي يخلص إليها فرويد فيما بعد .]

فيه . وتبدو الأحلام التي من هذا النوع مستعصية على كل حل ما لم ننتبه إلى أن الحلم لا يفرق أقل تفرقة بين ما هو حقيقى وما هو موضوع رغبة . مثال ذلك رجل غنى بأبيه فى أثناء مرضه وألم لموته ألماً بالغاً ثم بعد أن انقضى زمن على موته حلم هذا الحلم غير المعقول : كان أبوه حياً من جديد وكان يتحدث إليه كسابق عهده ولكنه (وهذا هو الشئ العجيب) كان مع ذلك ميتاً ، سوى أنه لم يكن يعلم أنه كذلك . لإننا نفهم هذا الحلم حين نضيف إلى « كان مع ذلك ميتاً » : « نتيجة لرغبة الحالم » ، وحين نكمل « دون أن يعلم » : « أن تلك رغبة الحالم » . ذلك أن الحالم قد اشتهى الموت لوالده مراراً بينما كان يقوم بتمريضه ، وهذا يعنى أنه قد ساورته تلك الفكرة التي كانت فى الحقيقة مشربة بالرحمة : أن يضع الموت حدا لعذاب أبيه . فلما جاء الحداد فى أعقاب الموت أصبحت هذه الفكرة عينها مثاراً لتأنيب لا شعورى ، كأنما كان من أثرها أن قصرت بالفعل حياة المريض . ولقد أمكن الإفصاح عن هذا التأنيب فى صورة حلم ، لأن أقدم الدوافع الطفلية العدائية نحو الأب قد أثرت تأثيرتها ، إلا أن الفرق الساحق بين الحافز إلى الحلم وبين أفكار اليقظة — هذا الفرق على التحديد — هو الذى حتم خروج الحلم على تلك الصورة اللامعقولة . (أنظر فرويد ١٩١١ ب .)

والحق أن الأحلام المتعلقة بمن ماتوا من أحباء الحالم تثير فى وجه التفسير مشكلات صعبة ليس من المستطاع فى كل حالة الوصول إلى حلها حلاً مرضياً . والسر فى ذلك ينبغى التماسه فيما يسيطر على علاقة الحالم بالشخص الميت من ازدواج عاطفى ذى شدة خاصة ملحوظة . ومن الشائع فى الأحلام التى من هذا القبيل أن يعامل الشخص الميت فى المبدأ كما لو كان حياً ، ثم ينقلب فإذا هو ميت ، ثم يعود إلى الحياة فى جزء تال من الحلم . وكل هذا سبب فى أن تختلط الأمور علينا . ولقد خطر لى فى النهاية أن هذا التداول بين الموت والحياة قد يكون القصد منه استواء الطرفين عند الحالم (« سواء عندى أن يكون حياً أو ميتاً ») . وهذا الاستواء بالطبع ليس حقيقة بل موضع رغبة وحسب ، والقصد منه هو مساندة الحالم على أن ينبذ مواقفه العاطفية ذات الشدة المفرطة والتي يكثر تناقضها ، وهو لهذا يصير وسيلة يصور بها الحلم الازدواج الذى فى عاطفة الحالم . وهناك أحلام يتواصل فيها الحالم والميت ، وهنا تعيننا القاعدة الآتية على أن نجد طريقنا : إذا لم يذكر فى الحلم أن الميت ميت ، فالحالم يساوى نفسه بالميت ، أى أنه يحلم بموته نفسه ،

فإن صاح فجاءة في دهش : « ولكنه قد مات يقينا منذ زمن طويل ! » فالحلم يطرح هذه المساواة وينبذ ما يحمله الحلم من معنى موته . بيد أنني أعترف بشعوري بأن تفسير الأحلام ما زال بعيداً عن أن يفض جميع الأسرار التي تنطوي عليها الأحلام التي لها هذا المحتوى .

(٣)

ولقد أمكنني في المثال الذي سأرويهِ الآن أن أفاجئ عمل الحلم وهو يعمل عن عمد على خلق مظهر من مظاهر اللامعقولية دون أن تكون في مادة الحلم أقل مناسبة لذلك . والمثال مأخوذ من الحلم الذي أثاره التقائي بالكونت تون وأنا أهم بالإجازة [ص ٢٢٨] : « أركب عربة وأمر السائق بالتوجه إلى المحطة . أقول له بعد أن أثار اعتراضاً ما - كأن أكون أرهقته : إنني بالطبع لا أستطيع أن أركب معك مسافة السكة الحديدية نفسها : وهنا يبدو الأمر كما كنت قد ركبت معه بالفعل المسافة التي يقطعها المرء عادة بالقطار . » إن التحليل يزودنا بما يلي في توضيح هذه القصة المشوشة غير المعقولة : أجرت في اليوم السابق عربة لكي تحملني إلى شارع ناء في دورنباخ [من ضواحي فيينا] ، ولم يكن الحوذي يعلم مكان الشارع ، ولكنه مع ذلك أخذ يسوق ويوغل على ما نعلم من عادة هؤلاء القوم الأماجد ، إلى أن انتهت أخيراً فأعلمته أين الطريق الصحيح دون أن أبخل عليه ببعض الملاحظات الساخرة . وكانت هناك رابطة فكرية - سألتني بها مرة أخرى فيما بعد - تقود من الحوذي إلى النبلاء . وأما الآن فلم تكن إلا تلك الفكرة العابرة ، وهي أن أشد ما يدهشنا نحن عامة البورجوازيين من النبلاء هو غرامهم بالجلوس في مقعد السائق ؛ فقد كانت الكونت تون في الحقيقة يقود عربة الدولة النمساوية . بيد أن أن الحملة التالية كانت تشير إلى أخى الذي عينته - إذن - في الحلم بسائق العربة ؛ فقد حدث في هذا العام أنني عدلت عن رحلة كنا عزمنا على القيام بها سوياً إلى إيطاليا (« إنني لا أستطيع أن أركب معك مسافة السكة الحديدية نفسها ») ، ولقد كان هذا العدول نوعاً من العقاب على ما كنت أسمعه من شكائاته : فأنا في أمثال هذه الرحلات لا أكف عن إرهاقه (وهو ما ورد في الحلم من غير تحريف) بالإصرار على الانتقال العاجل من مكان إلى آخر وعلى مشاهدة عدد لا يحصى من الأشياء الجميلة في اليوم

الواحد . وكان أخى قد صحبنى ذلك المساء إلى المحطة ، ولكنه قفز قبلها بمسافة قصيرة عند محطة خطوط الضواحي الملحقة بمحطة الخطوط الرئيسة لكي يركب الخط الذاهب إلى پوركسدورف [على سبعة أو ثمانية أميال من فيينا] . وكنت فى حديثى إليه قد لاحظت أنه كان يستطيع أن يمكث معى فترة أطول أو أنه سافر إلى پوركسدورف بالخط الرئيس بدل السفر بخط الضواحي . ومن هنا جاء فى الحلم أنى ركبت بالعربة جزءاً من المسافة التى يقطعها المرء عادة بالسكة الحديدية . ولقد كان ذلك عكس ما وقع فى الحقيقة (و « الركوب المعكوس هو أيضاً ركوب »)^(١) ؛ فقد كنت قلت لأخى : تستطيع أن تركب معى على الخط الرئيس تلك المسافة التى تريد أن تقطعها فى خط الضواحي . وكنت أنا مبعث كل الخلط فى الحلم بأن وضعت « العربة » بدل « خط الضواحي » - وهو ما أفاد على أية حال فائدة طيبة فى الربط بين الحوذى وأخى . وهكذا أخلق فى الحلم شيئاً لا معنى له ، يبلو مختلطاً اختلاطاً يكاد يتعذر معه كل حل ، ثم هو يكاد يناقض ملاحظتى السابقة فى الحلم (« إننى لا أستطيع أن أركب معك مسافة السكة الحديدية نفسها ») كل المناقضة . وإذا لم تكن هناك أية ضرورة تدعونى إلى أن أخلط بين سكة حديد الضواحي والعربة ، فلا مناص من التسليم بأن كل هذه الأشغولة الملغزة إنما جاءت لغرض فى نفسى .

ولكن أى غرض؟ إن علينا الآن أن نكتشف معنى اللامعقولة فى الحلم والدوافع التى تدفع إلى قبولها أو خلقها خلقاً . وحل اللغز فى الحالة التى نحن فيها هو ما يأتى : إننى كنت محتاجاً إلى أن أحيك مظهرًا من مظاهر اللامعقولة ، شيئاً غير مفهوم مرتبطاً بكلمة "fahren"^(٢) لأننى كنت أضمر بين أفكار الحلم معنى لم يكن بد من تصويره . وبيان ذلك أنه حدث ذات مساء أنى كنت فى منزل سيدة كريمة عالية الذكاء - هى التى ظهرت فى صورة « مديرة المنزل » فى أحد مشاهد هذا الحلم عينه - وهناك سمعت أحجيتين طلب منى أن أجد

(١) ["Umgekehrt ist auch Gefahren"] (أى أن الركوب أو السوق الذى ينعكس اتجاهه فيصير إلى الخلف هو أيضاً ركوب أو سوق) . تعبير تمسوى لطيف بمعنى : والعكس أيضاً يصدق . والمراد هنا هو : لم يركب أخى تلك المسافة فى الحقيقة ، إذن أركبها أنا فى الحلم ، وكله ركوب برغم العكس .

(٢) [إن كلمة "fahren" التى ترجمناها حتى الآن ترجمة منتظمة بكلمة "ركب" تعنى فى الحقيقة : ركب العربة أو ساقها أو ركب القطار أو سافر .]

حلهما . وكانت بقية الجماعة تعرف هاتين الأحجيتين ، فكان منظري وأنا أحاول سدى العنور على الإجابة باعثاً على الضحك . وكانت الأحجيتان تقومان على تورية في معنى كلمتي "Nachkommen" و "Vorfahren" ، وكان نصهما — فيما أعتقد — هو الآتي :

Der Herr befiehlt's,
Der Kutscher tut's.
Ein jeder hat's,
Im Grab ruht's.

[السيد يطلبه]

الحوذي ينفذه .

الجميع يملكه

في القبر مرقده .]

الجواب : "Vorfahren" [وهو فعل بمعنى « تقدم بعربته » واسم بمعنى « السلف » أو « المتقدمون » .]

وكان مما يبعث على الارتباك أن النصف الأول من الأحجية الثانية كان مشتركاً بينها وبين الأولى :

Der Herr befiehlt's
Der Kutscher tut's.
Nicht Jeder hat's
Im der Wiege ruht's

[السيد يطلبه]

الحوذي ينفذه .

ليس الكل يملكه

في المهد مرقده .]

الجواب : "Nachkommen" [ويعني « تبع » ، وأيضاً « الخلف » ، أو « الذرية » أو « اللاحقون » .]

فلما رأيت الكونت تون تتقدم عربته على هذا النحو الفخم وتولاني عندئذ مزاج فيجارو بملاحظته عن طيبة السادة الذين كلفوا أنفسهم عناء المحيء إلى الحياة (أن يكونوا خلفاً) ، اقتبس عمل الحلم هاتين الأحجيتين متخذاً منهما فكرتين متوسطتين^(١) .

(١) [للتأدية من فكرتي التبلد والحوذية من ناحية إلى فكرتي السلف والخلف من ناحية أخرى .]

وإذ كان من السهل أن نخلط بين النبلاء والحوذية [أو السائقين] وكان هناك زمان في بلدنا كنا نسمى فيه الحوذى : "Herr Schwager" ["Schwager"] يعنى « صهر » أو على الأدق « أخ بالمصاهرة » ، فقد وسع التكثيف أن يدرج أخى في ذات الصورة . وكانت فكرة الحلم التى تعمل عملها وراء هذا كله هى الفكرة الآتية : إن من الخرق أن يتيه المرء بسلفه ، إلى أوثر أن أكون أنا نفسى سلفاً ورأس سلالة .

ومن أجل هذا الحكم : « إن كذا خرق » ظهر الخرق في الحلم . وهكذا يحل آخر لغز في تلك الفقرة المعتمدة من الحلم : أنى تقدمت مع الحوزى [على تلك المسافة] ، أنى كنت متقدماً [أو سابقاً ، أى سلفاً] .

الحلم – إذن – يُجعل لا معقولاً أو فاسداً إذا كان بين العناصر المتضمنة في أفكار الحلم حكم فحواه : إن ذلك خرق ، أى إذا كان بين أفكار الحلم اللاشعورية فكرة دافعها النقد أو الزراية . واللامعقولة على ذلك أحد المناهج التى يتوسل بها عمل الحلم إلى تصوير التناقض بجانب المناهج الأخرى : كأن تقلب علاقة بين المواد عند الانتقال من أفكار الحلم إلى محتوى الحلم [ص ٣٣٦] أو مثل استخدام إحساس الحركة المكفوفة [ص ٣٤٦] . غير أن اللامعقولة في الحلم لا تنبغى ترجمتها بـ « كلا » وحسب ، بل المراد من ورائها هو استعادة ما يصحب أفكار الحلم من حالة مزاجية تجمع النقد أو الزراية إلى جانب المناقضة . فإن جاء عمل الحلم بما يجلب الضحك فلهذا الغرض وحده ، أى أنه – هنا أيضاً – إنما يضفى صورة ظاهرة على محتوى الحلم الكامن^(١) .

والحق أننا مررنا من قبل بمثال مقنع من حلم غير معقول كان له مثل هذا المعنى : الحلم الذى فسرته من غير حاجة إلى تحليل ، حلم أوبرا فاجنر التى طالت حتى الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والأربعين ، وكانت الفرقة الموسيقية تقاد فيه من برج ، إلخ .

(١) وهكذا يصفه عمل الحلم الفكرة المعطاة له على أنها فكرة مضحكة بأن يخلق هو شيئاً مضحكاً في صدها . ولقد نهج هينه نهجاً شبيهاً بذلك حين أراد أن يسخر من الأشعار الغثة التى كان ينظمها ملك بافاريا ، فقد صاغ بخبرته في شعر أغث منها وأردأ :

السيد لودفيج شاعر فعل ، من الفحول
ما أن ينشد حتى يختر أبوللو على ركبيه
ساجداً أمامه ، راجياً ، متضرعاً إليه :
« كنى ، وإلا أصابنى مس من الجنون »

(أنظر ص ٣٥١) . فقد كان واضحاً أن هذا الحلم كان يعنى : « إنه لعالم مخبول ومجتمع مجنون ؛ فن استحق شيئاً لم ينله ، ويناله من كان فى غنى عنه » - وكانت الحالة إذ ذاك تقارن بين حظها وحظ قريبها . وما كان على الإطلاق بالاتفاق المحض أن جاءت أمثلتنا الأولى على اللامعقولية فى الحلم متعلقة بأب ميت ؛ ففى أمثال هذه الحالات تجتمع الشروط الضرورية لخلق الأحلام اللامعقولية على نحو مثالى . فالسلطة التى خص بها الأب تثير نقد الأبناء منذ سن مبكرة ، ووطأة المطالب التى يقتضيتها منهم تجعلهم يعبرون كل ضعف يبدو منه انتباهاً ؛ لكى يتخففوا . غير أن الخشوع النبوى الذى يغمر به الأب نفوسنا - وخاصة بعد مماته - يشحذ الرقابة التى تقف دون كل إفصاح شعورى عن مثل هذا النقد .

(٤)

وها هو ذا حلم آخر غير معقول يدور حول أب ميت :

تلقيت من مجلس البلدة التى ولدت فيها رسالة تتعلق بمبلغ يجب سداه ؛ فى سنة ١٨٥١ احتجرت المستشفى رجلاً لنوبة كانت قد حلت به وهو فى منزلى . ويثير ذلك ضحكى : فأولاً لم أكن ولدت سنة ١٨٥١ ، وثانياً فإن والدى الذى ربما كانت هذه الرسالة تتعلق به قد صار فى عداد الأموات . أذهب إلى والدى فى الحجرة المجاورة حيث كان يرقد فى سريره وأسأله الخبر ، ولشد ما يكون دهشى حين يتذكر أنه قد سكر مرة فى سنة ١٨٥١ وأن الأمر قد أدى إلى حبسه أو احتجازه ، وكان ذلك فى الوقت الذى كان يعمل فيه لحساب شركة ت . أسأله : « إذن السكر أيضاً كان من عاداتك ؟ هل تزوجت عقب ذلك ؟ » أجرى الحسبة فأذكر أننى ولدت فى سنة ١٨٥٦ ويلوح لى أن تلك هى السنة التى أعقبت سنة ١٨٥١ مباشرة .

إننا إذ نرى إمعان هذا الحلم فى نشر مظاهر لا معقوليته سوف نخلص فى ضوء المناقشة السابقة إلى أن هذا الإمعان لا يمكن إلا أن يكون دليلاً على أن أفكار الحلم قد انطوت على مجادلة بلغت مبلغاً خاصاً من المارة وشدة الانفعال . ونحن إذن لن نزيد إلا دهشاً حين نلاحظ أن المجادلة قد دارت فى هذا الحلم علانية وأن والدى كان الهدف الصريح للسخرية ؛ فمثل هذه العلانية تبدو شيئاً يتناقض وفروضنا المتعلقة بأثر الرقابة فى عمل الحلم . ولكن هذا الغموض لا يلبث أن ينجلي حين نعلم أن الأب فى هذا المثال لم يكن يعدو أن يكون حجاباً وأن رضى المنازعة إنما تدور مع شخص آخر لا يظهر أثره فى الحلم إلا فى إشارة

مفردة . فبينما المألوف هو أن يدور الحلم حول التردد في وجه شخص آخر يستتر الأب من ورائه ، إذا العكس هو الصحيح هنا : فالأب رجل من قش قصد من ورائه إلى تغطية البعض ، وللحلم أن يتعرض على هذا النحو المكشوف لشخص يلقي منه في العادة تنزيهاً لأنني أعلم علم اليقين أن والدي ليس الشخص المعنى حقيقة . وتبين لنا مناسبة الحلم أن الأمر كذلك ؛ فقد جاءني هذا الحلم بعد أن سمعت أن زميلاً يكبرني ، كان حكمه يوضع فوق كل نقد ، قد أعرب عن استيائه ودهشه لأن أحد مرضاى قد شارف علاجه التحليلي السنة الخامسة^(١) . والجمل الأولى من الحلم تشير من خلال قناع شفاف إلى تلك الحقيقة : وهي أن هذا الزميل كان قد أخذ على عاتقه بعض الزمن التبعات التي لم يعد والدي يستطيع القيام بها (المبلغ الواجب السداد ، دخول المستشفى) ، وأني حين أخذت آصرة الصداقة بيننا في الوهن صرت أراني فريسة هذا الصراع العاطفي الذي ينشأ حقاً حين تسوء العلاقة بين الأب والأبن ؛ للموضع الذي يشغله الأب ولسالف مآثره . وإن أفكار الحلم لتحتج احتجاجاً مرا على ما ألام عليه من التلكؤ - وهو لوم يجرى أول الأمر في صدد علاج هذا المريض ولكنه يمتد بعد ذلك إلى أمور أخرى : أيعرف شخصاً آخر يستطيع أن يسرع عني ؟ ألا يعلم أن أمثال هذه الحالات - إذا تركنا علاجى - لا تجد لها برأً وأنها تدوم أبد الحياة ؟ وما أربع سنوات أو خمس بالقياس إلى العمر بأجمعه ، خاصة أن عبء الحياة قد يسر على المريض في خلال العلاج يسراً كبيراً ؟ وقد كان جزء كبير من طابع اللامعقولية في هذا الحلم يرجع إلى أن جملاً مستعارة من أنحاء شتى في أفكار الحلم قد أجريت معاً من غير وصل أو واسطة . مثال ذلك جملة : « أذهب إليه في الحجرة المجاورة . . . إلخ . » إنها تترك الموضوع الذي كانت تدور من حوله جمل الحلم السابقة لتستعيد الملابس التي أعلمت فيها والدي نبأ خطبتي دون سابق استشارته استعادة أمنية . وهذه الجملة ترى - إذن - إلى تذكيري نا أظهره الرجل الشيخ إذ ذاك من إثارة رفيع وتقارن مسلكه هذا بمسلك شخص آخر ، شخص جديد . وإني لألاحظ هنا أن الحلم قد استباح لنفسه هذه السخرية بالأب لأنني

(١) [ذلك هو المريض الذي يشير إليه فرويد في رسائله إلى فليس (فرويد ١٩٥٠ أ) بحرف B ولقد وردت في إحدى هذه الرسائل (الخطاب ١٢٦) إشارة إلى هذا الحلم . وفي الرسالة ١٣٣ أعلن فرويد انتهاء علاج هذا المريض بخاتمة مرضية .]

فى اعتراف كامل بسموه قد نصبته قلدوة للآخرين ؛ فن طبع الرقابة — كل رقابة — أن تُحل لك كذب الكلام فى المحظورات مؤثرة إياه على الحق صراحاً . فأما الجملة التالية — عن كونه تذكر أنه قد سكر مرة واحتجز من جرائها — فقد انقطع فيها كل ما يمت فى الحقيقة بسبب إلى والدى . وإنما المستر وراءه فى هذا الموضع ما ينيرت العظيم لأقل — ما ينيرت الذى قفوت أثره فى إجلال يعلو على الوصف والذى انقلب مسلكه لإزائى — بعد فترة قصيرة من الرضى — إلى عداوة لا تقنع فيها . والحلم هنا يذكرنى بأن ما ينيرت — بنفسه — قد أخبرنى يوماً أن شبابه لم يخل من فترة اعتاد فيها أن يدمن على تخدير نفسه بالكولوروفورم ، وأنه اضطر من جراء ذلك إلى النزول بإحدى المصححات .

ويذكرنى الحلم أيضاً بمحادثة أخرى تتصل بما ينيرت سبقت وفاته بزمان قصير : فقد كانت دارت بيتنا فى الصحف العلمية مناقشة حامية الوطيس حول موضوع الهستريا عند الرجال (وهو الأمر الذى كان هو ينكر وجوده) ، فلما زرته فى خلال العلة التى مات فيها واستفسرته عن صمته أفاض بعض الإفاضة فى الحديث عن حاله ثم اختتم حديثه بتلك الكلمات : « أتعلم ؟ لقد كنت دائماً حالة من أجمل حالات الهستريا عند الرجال . » وهكذا سلم ما ينيرت — تسليماً أرضائياً وأدهشنى — بما أضمر على إنكاره كل هذا الزمن الطويل . ولكن السبب الذى مكنتنى من أن أتخذ من أبى حجاباً يحجب ما ينيرت فى هذا المشهد من الحلم لم يكن يرجع إلى شبه اكتشفته بين كلا الشخصين ، بل إلى كون المشهد كان تصويراً موجزاً — ولكنه تصوير واف — لجملة شرطية تضمنتها أفكار الحلم ، هذا هو نصها الكامل : طبعاً ، لو كنت خليفة أستاذ أو عميد ، ابنا لهذا أو لذاك ، لكنت يقيناً قد أسرعرت عن ذلك . وهكذا جعلت من والدى فى الحلم عميداً وأستاذاً .

ولكن أنكر ما اشتمل عليه هذا الحلم من وجوه اللامعقولية وأشده إزعاجاً يقوم فى معالجة تاريخ سنة ١٨٥١ الذى بدا لى لا يفرق من عام ١٨٥٦ كما لو كان فرق سنوات خمس أمراً لا يعتد به على الإطلاق . ولكن تلك على التحديد كانت لإحدى أفكار الحلم التى كان يراد الإفصاح عنها ؛ فأربع سنوات أو خمس تلك هى مدة الزمن الذى حظيت فيه بتأييد الزميل الذى أشرت إليه من قبل ، وهى أيضاً مدة الزمن الذى تركت فيه خطيبتى تنتظر زواجنا ، ثم هى كانت بعد ذلك — بصدفة عارضة حرصت أفكار الحلم على استغلالها — مدة الزمن الذى جعلت فيه أطول مرضاى تحليلاً ينتظر كامل شفائه .

فأفكار الحلم تسأل : « وما خمس سنوات ؟ إنها بقدر ما يعينني الأمر ليست زمناً على الإطلاق ولا يحسب لها حساب . وإني لأملك وقتاً كافياً أمامي ، وسأنجح أخيراً في هذا كما نجحت من قبل في ذلك - وإن لم تصدقوا . » هذا ، ثم إن الرقم ٥١ في ذاته ، مستقلاً عن رقم القرن ، قد حتمه معنى آخر يتجه يقيناً في وجهة مخالفة ، ومن هنا كان مجيئه في الحلم مرات متكررة : ذلك أن الحادية والخمسين - فيما يبدو - سن مفعمة بالخطر في حياة الرجل ، هي السن التي رأيت فيها كثيراً من الزملاء يقضون نحبهم ، وكان منهم زميل رقي بعد طول انتظار إلى منصب الأستاذية قبل موته بأيام معدودات ^(١) .

(٥)

وها هو ذا حلم آخر فاسد يتلاعب بالأرقام :

هجوم أحد معارفي - وهو السيد م . - في مقال ما مهاجمة كان من رأينا جميعاً أنها بلغت حداً من العنف لا مبرر له . وكان المهاجم جوته نفسه - لا أقل . ومن الطبيعي أن السيد م . قد يحقه هذا الهجوم . إنه يشتكي منه مر الاشتكاء إلى صحة في إحدى الولائم ، بيد أن هذه المحنة الشخصية لم تنل شيئاً من إجلاله لجوته . أحاول أن ألقى بعض الضوء على المعطيات الزمنية التي بدت لي بعيدة عن الرجوع : لقد مات جوته عام ١٨٣٢ ، وطبعي أن هجومه هذا على السيد م . قد سبق هذا التاريخ ، ولا بد إذن أن السيد م . كان في ذلك الوقت شاباً في مقتبل الشباب . يلوح لي أن من الراجح أنه كان إذ ذاك في الثامنة عشرة من عمره . غير أنني لم أكن واثقاً من السنة التي نحن فيها ، بحيث تتبخر حسبي وتستهم . هذا وقد وردت تلك المهاجمة في مقال جوته المعروف عن الطبيعة .

إننا لن نلبث طويلاً دون أن نجد السبيل إلى تبرير ما في هذا الحلم من البله . فالسيد م . الذي اتفقت لي معرفته بين صحبة في إحدى الولائم كان قد سألني منذ زمن غير بعيد أن أفحص أخاه لما بدا عليه من علامات الاضطراب العقلي الشللي . وكان السيد م . مصيباً فيما ختمه . وقد وقعت في خلال هذه الزيارة واقعة مؤسفة : ذلك أن المريض - لغير سبب مفهوم - قد أخرج أخاه في خلال الحديث بإشارة إلى حماقات شبابه . هذا وقد كنت سألت المريض عن السنة التي ولد فيها ، كما جعلته يقوم - عدة مرات - بجمع أعداد صغيرة لكي أمتحن ضعف ذاكرته . وأذكر بعد

(١) [تلك من غير شك - على حسب ملاحظة ستراشي - إشارة إلى نظرية فليس عن الدورات البيولوجية .

فالرقم ٥١ = ٢٨ + ٢٣ وهما زمنا للدورتين المذكورة والمؤنثة .]

أنه كان لا يزال قادراً على القيام بها خير قيام . وهأنذا ألحظ أنني قد سلكت في الحلم كما يسلك مشلول (لم أكن واثقاً من السنة التي نحن فيها) . وهناك جزء آخر من مادة الحلم اشتق من مصدر آخر حديث العهد : ذلك أن ناشراً لإحدى الصحف الطبية ، كانت تربطني به علاقات المودة ، قد نشر نقداً جارحاً إلى أبعد الحدود ، نقداً « ساحقاً » ، لكتاب صديقي ف . [فليس] الأخير ، وكان صاحب هذا النقد معلقاً في مقببل الشباب ، ضعيف القدرة على الحكم ، وارتأت أن لي حقاً في التدخل ، فناقشت الناشر الحساب . فأعرب لي إعراباً حاراً عن أسفه لنشر هذا النقد ، ولكنه لم يشأ الوعد بعلاج المسألة ، فقطعت صلتى بالصحيفة ، ولكنني أعربت في خطاب استقالي عن أملتي في ألا تنال هذه الحادثة من علاقاتنا الشخصية . فأما المصدر الثالث للحلم فرواية كانت لا تزال حية في ذهني سمعتها من مريضة وهي تصف مرضاً عقلياً أصاب أخاها ، وكيف أخذته الآخذة وهو يصرخ : « أيتها الطبيعة ! أيتها الطبيعة ! » . ولقد اعتقد الأطباء أن النداء كان وليد قراءته مقالة جوته الرائعة ، وأنه — هذا النداء — كان يبين إلى أي حد أنهكت المريض قراآته في الفلسفة الطبيعية . ولكنني — من ناحيتي — كنت أفضل التفكير في المعنى الجنسي الذي تستخدم فيه كلمة « الطبيعة » عندنا حتى على السنة من هم أقل ثقافة . وكان أن فكرت في هذه لم تجد على الأقل ما يكذبها حين قطع الشاب العائر أعضائه التناسلية . وكان عمر المريض ثمانية عشر ربيعاً حين وليته تلك النوبة .

فإذا أضفت أن كتاب صديقي الذي لقي كل هذا النقد القاسي (لقد قال عنه معلق آخر : « إن المرء ليعجب أهو المجنون أم المؤلف ») كان يعالج موضوع المعطيات الزمنية للحياة ويبين أن عمر جوته رقم مضاعف لعدد [من الأيام] له قيمته البيولوجية ، سهل أن نفهم أنني كنت في هذا الحلم أضع نفسي في موضع صديقي . (أحاول أن أتلى بعض الضوء على المعطيات الزمنية) . بيد أنني سلكت كما يسلك مشلول فجاء الحلم ركاماً من الأباطيل ، وهذا يعني أن أفكار الحلم تقول على سبيل التهكم : « طبعاً ، إن صديقي هو المجنون ، هو المثلث ؛ وأنتم العباقرة الأحسن علماً . وكيف يكون العكس ؟ » وهذا العكس يتمثل بعد ذلك بإسهاب في محتوى الحلم : فجوته يهاجم شاباً في مقببل العمر — وهو شيء غير معقول — في حين يستطيع اليوم يافع أن يقدح في جوته — وهو الخالد —

وأنا أجرى الحساب ابتداء من سنة موت جوتيه ، في حين أنني جعلت المشلول بحسب عمره ابتداء من سنة ميلاده .

غير أنني كنت قد أخذت من قبل في تبيان أن الحلم إنما تحركه دوافع الأثرة دون غيرها [ص ٢٨٢] ، وعلى ذلك فلا مفر من أن أبين كيف اتفق في هذا الحلم أنني جعلت قضية صديقي قضيتي ووضعت نفسي في موضعه . إن اقتناعي النقدي [بآراء صديقي] في حياة اليقظة ليس سيئاً كافياً . ولكن ها هي ذى قصة المريض ذى الثمانية عشر ربيعاً والتفسيرات المختلفة في أمر ندائه « أيتها الطبيعة ! » ؛ فهذه إشارات إلى التعارض الذى أراى فيه تجاه معظم الأطباء لما اعتقده من أن للأعصبة عللاً جنسية . ولئلا إذن أن أحدث نفسي قائلاً : هذا النوع من النقد الموجه إلى صديقك سوف تدور عليك دائرته يوماً ما ، لا بل أنت قد ذقت بال فعل إلى حد . وعلى ذلك يسعنا أن نضع « نحن » في أفكار الحلم بدل « هو » : « نعم ، أنتم العقلاء ونحن المجانين » . وفي الحلم أثر يذكرني في وضوح كبير بأننى « ما أهاجتنى سوى أشجاني »^(١) ، هذا الأثر المذكور هو تلك الإشارة إلى مقالة جوتيه الجميلة جمالاً لا يعدله جمال^(٢) : ذلك أنني سمعت هذه المقالة تقرأ بصوت عال في محاضرة عامة وكنت قد فرغت من الدراسة الثانوية حائراً لا أدري ماذا أكون ، فكان هذا السماع دافعى إلى دراسة العلوم الطبيعية .

(٦)

وهناك حلم آخر كنت قد شرعت أبين في صفحات سابقة من هذا الكتاب أنه كان حلماً أناانياً وإن لم يظهر فيه أناى . فقد رويت في ص ٢٨٤ حلماً قصيراً كان مؤداه أن الأستاذ م . يقول : « يا بنى ، قصير النظر . . . » ثم قلت إن هذا الحلم لم يكن إلا مقدمة لحلم آخر كان لى فيه نصيب . وها هو ذا الحلم الرئيس الباقي الذى يطالعنا بصيغة لفظية غير معقولة ولا مفهومة ، يحتاج أمرها إلى بعض الإيضاح :

(١) [“mea res agitur”]

(٢) [هذا المقال يتألف من مجموعة من الخواطر الشعرية الفلسفية كتبها جوتيه حوالى عام ١٧٨٠ ثم بعث بها إلى اللوحة آناً آماليا . فلما ماتت هذه بعد ذلك بثلاثين عاماً وقعت بين يدى جوتيه رسالته استطاع أن يعرف فيها أثراً من آثار شبابه .]

وقعت في مدينة روما أحداث اقتضت نقل الأطفال إلى مكان أمين - وهو عمل تم. يجري المشبه أمام أحد مداخل المدينة ، مدخل ذى باين على الطراز القديم (هو «الباب الروماني» الذى فى مدينة سينا - كما وعيته فى الحلم نفسه) . أجلس على حافة إحدى النوافير وأنا شديد الاكتئاب أكاد أبكى . يقبل شخص مؤث - وصيفة أو راهبة - وتحضر معها طفلين وتسلمهما إلى أبيهما - وكان شخصاً آخر عداى . الولد الأكبر هو من غير شك ابنى الأكبر ، لست أدري وجه الآخر . تسأل المرأة التى أحضرت الطفل قبله وداع منه . إن لها أنفأ أحمر يلفت النظر . يأبى الولد أن يقبلها ، ولكنه يقول لها وهو يمسك يدها مودعاً : Auf Geseres ، ثم يقول لنا كلينا (أو لأحدنا) : Auf Ungeseres . يدور بذهنى أن هذه العبارة الأخيرة تعيد التفضيل .

لقد بنى هذا الحلم على حزمة مختلطة من الأفكار أثارها مسرحية شهدتها ، كان عنوانها : «الجيتو الحديد» . ومن السهل أن نرى أن للمشكلة اليهودية مكانها بين أفكار هذا الحلم : قلق المرء على أبنائه الذين لا يستطيع أن يوفر لهم وطناً يكون وطنهم ، القلق من أجل تعليمهم التعليم الذى يمكنهم من أن يتقلوا عبر الحدود أحراراً .

«على أنهار بابل ، هناك جلسنا وبكىنا»^(١) . - إن سينا - مثل روما - قد عرفت بنافوراتها الجميلة ولم يكن بد من أن أورد مكاناً أعرفه يحل فى الحلم محل روما [التى لم أكن رأيها بعد] (أنظر ص ٢١٣) . ولقد كنا رأينا بالقرب من الباب الروماني فى سينا بناء ضخماً علمنا أنه المارستان . وكنت قد سمعت قبل هذا الحلم بوقت قصير أن رجلاً من ديانتى قد اضطر إلى التخلي عن المنصب الذى بلغه بعد عناء كبير فى مارستان حكوى .

وتثير اهتمامنا عبارة : Auf Geseres التى تجيء فى موقف من الحلم كان المرء يتوقع فيه : Auf Wiedersehen [إلى اللقاء] ، كما يثيره ضدها الخالى من كل معنى : Auf Ungeseres .

إن Geseres - على ما علمته من بعض اللغويين - كلمة عبرية خالصة ، مشتقة من فعل goiser ، وأحسن ترجمة لها هى : «الألم المحتوم» أو «القضاء» . ويحلونا استخدامها فى اللغة العامية إلى أن نطن أنها تعنى «البكاء والعويل» . فأما Ungeseres فصطلح جديد من عندى ، وقد كانت هى أسبق الكلمتين إلى جذب

(١) [«على أنهار بابل ، هناك جلسنا وبكىنا ، عندما تذكرنا صهيون» . مطلع المزمارة ١٣٩ ، وهو من مرأى اليهود المسيبيين فى بابل ، والترجمة الموردة هنا موضوعة عن النص اللاتينى مباشرة ؛ لأن الترجمة البروتستانتية المعروفة تختلف اختلافاً لا تصلح معه للاقتباس فى هذا الموضع .]

انتباهى ، ولكننى وقد بدأت بها لم أستطع الخروج منها بشئ . غير أن الملاحظة القصيرة التى جاءت فى ختام الحلم بما معناه أن Ungeseres تفيد التفضيل قد فتحت الطريق إلى المستدعيات ، ومن ثم إلى فهم الكلمة . إننا نجد علاقة مماثلة فيما يتصل بالكافيار : فالكافيار غير المملح [ungesalzen] يفضل على الكافيار المملح [gesalzene] . كافيار للشعب ، « المشاعر النبيلة » : ههنا تكمن إشارة مازحة إلى عضو من أعضاء أسرتى آمل منها - وهى التى تصغرنى سنأ - أن تغنى بأبنائى فى مستقبل الأيام . ويتفق وذلك أن عضواً آخر من أعضاء أسرتى - وهو مربيتنا العظيمة - قد صورت فى الحلم تصويراً لا يخطئ فى شخص الوصيصة (أو الراهبة) . ولكن هذا كله لا يرينا بعد أى فكرة توسطت بين الزوجين : « gesalzen - ungesalzen » و « Geseres - Ungeseres » . إن الوساطة هى « gesäuret - ungesäuret » [مختمر - غير مختمر] ؛ فأبناء إسرائيل إذ فروا من مصر معجلين لم يجدوا متسعاً من الوقت لكى يخمر عجيتهم ، وإنهم إلى يومنا هذا لياكلون الخبز فى عيد الفصح غير مختمر ؛ تذكراً . وهأنذا أذكر الآن فجأة كيف كنا - صديق الذى من برلين وأنا - نسير فى عيد الفصح فى برسلاو - وهى مدينة كنا فيها غرباء - وإذا فتاة تسألنى الطريق إلى أحد الشوارع ، فلم أجدها إلا أن أعترف لها بجهلى ، ثم عقببت أحدث صديقى : « أرجو لهذه الفتاة حين تتقدم بها السن أن تبدى مزيداً من التمييز فى اختيار الناس الذين تكل إليهم إرشادها . » ثم لحت عقب ذلك لافتة كتب عليها : الدكتور هيرودوس مواعيد الزيارة . . . فعقببت قائلاً : « أرجو ألا يكون زميلنا بالصدفة طبيب أطفال . » ^(١) وكان صديقى يحدثنى فى هذه الأثناء عن ظاهرة التوازن بين الجانيين ، وكان قد بدأ إحدى جملة بهذه العبارة : « لو أننا لم نكن نملك إلا عيناً واحدة فى وسط الجبهة مثل السيكلوب [Zyklop] . . » وهذا يؤدى بى إلى قول الأستاذ فى الحلم التمهيدى : « يا بنى ، قصير النظر [Myop] . » والآن أتوصل إلى المصدر الرئيس لكلمة « Geseres » : ذلك أنه حدث منذ سنوات متعددة حين كان ابن الأستاذ م . - وهو اليوم مفكر مستقل - لا يزال بمقعد الدراسة ، أنه أصيب

(١) [إشارة إلى ما هو معروف من أن هيرودوس الملك كان قد اعترى أن يهلك الطفل يسوع ، فلما لم يجده غضب " و قتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون " . إنجيل متى ، الإصحاح الثانى .]

بمرض في عينيه قال الطبيب : إنه يدعو إلى التخوف ، وأوضح أن الأمر يظل خالياً من الأهمية ما دام المرض مقصوراً على جانب واحد ، ولكنه يصبح خطراً إذا امتد إلى العين الأخرى . وحدث أن العين برأت برءاً تاماً ، ولكن ظهرت أعراض تدل على أن العين الأخرى قد أصيبت . وهلعت الأم فأرسلت على الفور في طلب الطبيب إلى مقامهم النائي في الريف . ولكن الطبيب أخذ الآن جانباً آخر ، وصاح في وجه الأم : « ولم كل هذا العويل [Geseres] ؟ ما دام أحد الجانبيين قد برئ فسيبرأ الآخر كذلك . » وهكذا كان .

ولا بد الآن من أن نبحث صلة هذا كله بي وبأسرتي : إن المقعد الدراسي الذي تلقى عليه ابن الأستاذ م . أول حظه من المعرفة قد انتقلت ملكيته فيما بعد إلى ابني الأكبر الذي وضعت على لسانه كلمات الوداع في الحلم ؛ فقد أهدت المقعد إليه أم الغلام . ومن السهل أن نخطر إحدى الرغبات التي أثارها ذلك الانتقال . بيد أن هذا المقعد كان أيضاً قد صنع بحيث يقي الطفل من أن يصبح ضعيف النظر أو مبصراً بعين واحدة . ومن هنا كان ظهور "Myop" (ومن ورائها « Zyklus ») في الحلم ، وكانت الإشارة إلى التوازن بين الجانبيين . ولقد كانت خيفتي من وحدانية الجانب تحمل أكثر من معنى : فهي لم تكن تشير إلى وحدانية الجانب بالمعنى البدني وحسب ، بل كانت تشير كذلك إلى النظر في الأمور من جانب واحد فيما يتصل بالتطور العقلي . أفلا يمكن أن يكون هذا التخوف على التحديد هو ما أراد الحلم دفعه بطريقته غير المعقولة ؟ فبعد أن استدار الغلام إلى أحد الجانبيين ليلقي كلمات الوداع ، استدار إلى الجانب الآخر ليقول الضد ، كأنما كان يريد إعادة التوازن : إنه يسلك كما لو كان يولي التوازن بين الجانبيين العناية التي ينبغي .

وهكذا تكون الأحلام في كثير من الأحيان أعمق ما تكون حتى لا يبدو منها غير الجنون . وفي كل عصر من عصور التاريخ كان أولئك الذين يملكون شيئاً يقولونه دون أن يملكوا قوله آمنين يرتدون مسوح المجانين ؛ فالتسامح يهون على السامع الذي يتجه إليه مقامه المحرم إن هو مكن من الضحك ومن أن يتملق نفسه ظناً منه أن هذه الكلمات غير المستحبة ليست إلا هراء جلياً . وما يسلك الحلم في الحقيقة إلا كما يسلك في الرواية

الأمير وهو يلجأ إلى التفتع بثوب من الجنون ، حتى ليسعنا أن نقول عن الحلم ما يقوله هاملت عن نفسه وهو يحق حقيقة حاله تحت رداء من التنكيت والاستعجام : « ولست بالجنون إلا والريح مشملة ، شمالا بغرب ، فإن أجنبت عرفت الباز من البلشون »^(١).

وهكذا أكون قد انتهيت إلى حل مشكلة اللامعقولة في الحلم على هذا النحو : إن أفكار الحلم لا تكون أبداً أباطيل — أو لا تكون كذلك في أحلام الأصحاء على الأقل — وإن عمل الحلم إنما تحدث عنه أحلام لا معقولة أو أحلام مشتملة على عناصر لامعقولة إذا كان بين أفكار الحلم نقد أو سخرية أو استخفاف تدعو الضرورة إلى تصويرها . ومهمتي الآتية هي أن أبين أن عمل الحلم إنما يقوم في فعل العوامل الثلاثة التي ذكرتها مجتمعة — مع عامل رابع لما أذكره — وأنه لا يفعل شيئاً آخر سوى ترجمة أفكار الحلم وفقاً لهذه الشروط الأربعة ، وأن السؤال هل تعمل النفس في أثناء الحلم بكل قواها العقلية أو يجزء منها سؤال خاطئ الصياغة ، يغفل الوقائع . بيد أن هناك أحلاماً كثيرة يعرض فيها الحكم والنقد والمعرفة ، أحلاماً يعجب فيها المرء لعنصر من عناصر الحلم ويحاول التعليل ويشعر في الحاجة . لهذا لا أجد مفرأ من مواجهة الاعتراضات المبنية على أمثال هذه الوقائع ، وذلك بإيراد بعض الأمثلة المختارة .

وسيكون الجواب الذي أخلص إليه هو هذا : إن كل ما يخطر في الحلم في صورة نشاط ظاهره أنه صادر عن وظيفة الحكم يجب ألا يعد نتاجاً عقلياً حققه عمل الحلم ، بل الواجب أن نعتبره منتمياً إلى مادة أفكار الحلم ، ومنها انتقل إلى محتوى الحلم الظاهر كشيء جاهز الصنع من قبل . بل إن في وسعي أن أمد هذه القضية إلى أبعد من ذلك : فالأحكام التي يصدرها المرء عقب اليقظة في صدد حلم تذكره ، والمشاعر التي تنبعث في

(١) [هاملت : المشهد الثاني من الفصل الثاني . بيت من الأبيات الشكسبيرية التي تتمتع ترجمتها لشدة ما فيها من "التكثيف" . ويمكن أن تشير إلى أن التمييز بين هذين الطائرين يصبح صعباً كل العمر — فيما يقال — إذا أخذت الريح هذا الاتجاه ؛ فالمعنى المراد من البيت والذي من أجله كان الاستشهاد به هو : إن كنت مجنوناً فلفرض ، فإن جد الجد لم يكن مثل تمييزنا .] إن هذا الحلم يزودنا أيضاً بمثال جيد على قضية أخرى شاملة الصدق : إن جميع الأحلام التي تقع في خلال الليلة الواحدة تنبئ من تربة فكرية واحدة ، ولو تذكرناها متفرقة . وأذكر بعد أن الموقف الذي ورد في الحلم عن الفرار بأبنائي من مدينة روما قد شوه بربطه بمحدث مماثل وقع في طفولتي . والمعنى هو : أنني أحسد بعض أقاربي ممن منحت لهم الفرصة بأن ينقلوا أبنائهم منذ سنوات متعددة إلى بلد آخر .

نفسه عند استحضار هذا الحلم ، كل هذه أيضاً تكون إلى حد كبير جزءاً من المحتوى الكامن للحلم ، ومن الواجب إدراجها في تفسيره .

(١) لقد ذكرت من قبل مثالا على ذلك يستلقت النظر : امرأة تأتى أن تذكر حلمها لأنه « لم يكن واضحاً الوضوح الكافي » ؛ فهي قد رأت البعض في الحلم ولكنها لا تعلم أزواجها هو أم أبوها . ثم أعقبت ذلك فقرة ثانية من الحلم ورد فيها ذكر مزبلة ، وهو ما يسوقها إلى تلك الذكرى : حدث ذات مرة وهي زوجة حديثة العهد بأعمال ربة المنزل أنها قالت مازحة في محضر قريبة شابة من قريباتها : إن أول ما ستعنى به سيكون شراء « مزبلة » جديدة ، فلما جاء اليوم التالى إذا واحدة تُهدى إليها ، ولكنها كانت مليئة بالسوسن . وقد كان هذا الجزء من الحلم يفيد في تصوير ذلك التعبير [الألماني] الدارج : « ما نما ذلك من زبلى ^(١) » . ولما تم تحليل الحلم تبين أن أفكار الحلم كانت تدور حول الأثر البعدى الذى كان لقصة سمعتها الحاملة في حداثتها عن فتاة ولدت ولداً لم يتضح من هو أبوه . ومن هذا نرى أن تصوير الحلم قد امتد في ذلك المثال إلى أفكار البقطة تاركاً أحد عناصر أفكار الحلم يتمثل في صورة حكم مستيقظ أطلق على الحلم في مجموعة .

(٢) وها هي ذى حالة ثانية مماثلة : حلم أحد مرضاى حلماً لاح له ذا أهمية ؛ لأنه لم يكده يستيقظ حتى حدث نفسه قائلاً : ^(٢) لا بد من أن أتحدث إلى الطبيب بذلك . وحلل الحلم فانبعثت إشارات من أوضح ما يكون إلى صلة جنسية بدأها الحلم في خلال علاجه وعقد العزم على ألا يحدثنى بها .

(٣) ثم ها هو ذا مثال ثالث أنتخبه من بين أحلامي : كنت ذاهباً إلى المستشفى برفقة صديق ب . مارين بمنطقة انشرت فيها المنازل والبساتين . وفي هذه الأثناء كانت تدور بخلى فكرة مؤداها أنني قد رأيت تلك المنطقة مراراً من قبل في الأحلام . لم أكن أعرف الطريق معرفة طيبة . أراقى ب . شارعاً ينتهى بمطعم على ناصيته (وكانت قاعة الطعام في الداخل لا في حديقته) . أسأل هناك عن السيدة دوفى ، فيقال لى :

(١) [" الزبل " هو ما تصلح به الأرض أو " السباخ " ، والمراد بالمزبلة - عدا معناها الشائع - هو ما يوضع فيه الزبل . والتعبير الألماني المشار إليه معناه : " لست مستولاً عن ذلك " أو " لست أعرف بهذا الولد " .]

(٢) إذا جاء في خلال العلاج التحليل حلم يحدث فيه الحلم نفسه قائلاً : " لا بد من أن أخبر الطبيب بذلك " فمضى هذا أن هناك مقاومة شديدة في وجه الإقضاء بهذا الحلم ولا يتندر عندئذ أن يؤدي ذلك إلى نسيانه .

إنها تسكن مع ثلاثة أطفال في حجرة صغيرة خلفية . أسير إلى تلك الحجرة ، ولكنني - قبل أن أصل إليها - أتقي بشخص غير متميز تصحبه ابنتاي الصغيرتان . أخذهما معي بعد أن أمكث معهما برهة قصيرة . يدور بخاطري شيء يشبه اللوم أوجهه إلى زوجتي لكونها تركت الفتاتين هناك .

فلما استيقظت شعرت برضا كبير علته بأنني كنت وشيكاً أن أعلم من تحليل هذا الحلم معنى : قد حلمت بذلك من قبل .^(١) ولكن الواقع أن التحليل لم يعلمني شيئاً من هذا القبيل . وإنما الذي تبين لي منه حقيقة هو أن الشعور بالرضا كان يرجع إلى أفكار الحلم الكامنة ولم يكن يرجع بحال من الأحوال إلى حكم من الأحكام عليه : إنه كان الرضى لأن زواجي قد أعقب . ذلك أن ب . شخص سايرت حياته حياتي زمناً ثم بعد ذلك سبقني مسافات من الناحيتين الاجتماعية والمادية ، ولكنه ظل لا ينجب من زواجه خلفاً . وإن مناسبي الحلم لكافيتين في الدلالة على معناه دون حاجة إلى أن نسوق تحليله كاملاً . فقد حدث في اليوم الذي سبق الحلم أنني قرأت في إحدى الصحف نبأ وفاة السيدة دونا أ . . . ي (وهو الاسم الذي حرفته في الحلم إلى دوني) ، وكانت وفاتها في أثناء الوضع . وسمعت من زوجي أن القابلة التي كانت تعني بالمتوفا هي هي التي عنيت بزوي عند ولادة طفلينا الأصغرين . وكان اسم دونا قد استوقفني لأنني كنت - منذ قريب - قد صادفته للمرة الأولى في رواية إنجليزية . فأما المناسبة الثانية للحلم فكانت تاريخ وقوعه : فقد وقع الحلم في الليلة التي سبقت عيد ميلاد ابني الأكبر الذي يبلو على بعض الموهبة الشعرية .

(٤) ولقد تركني وأنا أستشعر هذا الرضا عينه ذلك الحلم غير المعقول الذي دار حول أبي وما كان له من مشاركة سياسية في حياة المجريين ، وعللت لنفسي هذا الشعور بأنه كان امتداداً للشعور الذي صحب الجزء الأخير من الحلم [أنظر ص ٤٢٧] : (تذكرت كيف كان والدي وهو على فراش موته شديد الشبه بجاريي الذي وشعت بالسرور لأن ذلك قد تحقق ... (يعقب ذلك جزء منسى) . لقد مكنتني التحليل من أن أملأ تلك الثغرة في الحلم . فقد ورد فيها ذكر ابني الثاني الذي أطلقت عليه اسم شخصية من عظماء التاريخ [كرومويل] اجتذبتني اجتذاباً شديداً في صباي وبخاصة منذ أن

(١) لقد كان هذا الموضوع مثار مناقشة مستفيضة دارت في السنوات الأخيرة على صفحات " المجلة الفلسفية " تحت عنوان : " التذكر المشوه في الأحلام " .

زرت إنجلترا ، وكنت قد انتويت في خلال السنة التي سبقت مولد الطفل أن أطلق عليه هذا الاسم إن جاء المولود ذكراً ، وكان أن جاء كذلك فخلعت عليه الاسم وأنا أشعر برضا عظيم . ومن السهل أن نلاحظ كيف ينتقل جنون العظمة عند الآباء إلى تفكيرهم في أبنائهم ، وتلك في أغلب الظن إحدى الطرق التي يتم بها قمع هذا الشعور — وهو قمع تجعل منه الحياة الواقعة ضرورة لا مفر منها . فأما الحق الذي خول لابني الصغير أن يظهر في محيط هذا الحلم ، فكان مستمداً من كونه قد وقع إذ ذاك في تلك العثرة التي تسهل مغفرتها للطفل وللرجل على سرير الموت ، وأعني بها توسيع الفراش — قارن هنا بين "Stuhlrichter" وبين الرغبة التي يعرب عنها الحلم في أن يقف المرء عظيماً طاهراً في أعين أبنائه . [ارجع إلى ص ٤٢٩ .]

(٥) وأتحول الآن إلى النظر في الأحكام التي تطلق في أثناء الحلم نفسه ولكنها لا تتابع حتى حياة اليقظة أو تنقل إليها . وتسهل مهمة البحث عن الأمثلة على ذلك إلى درجة كبيرة إذا التجأت إلى الأحلام التي سقتها من قبل لغايات أخرى . خذ حلم « حوته يهاجم السيد م . » إنه يبدو مشتملاً على طائفة من أفعال الحكم ، مثل : « أحاول أن ألقى بعض الضوء على المعطيات الزمنية التي تبدو بعيدة عن الرجوح » . ألا يبدو ذلك نقداً موجهاً إلى تلك الفكرة الفاسدة ، وأعني بها أن جوته قد شن هجوماً أدبياً على شاب من معارقي ؟ ثم تلك الجملة : « يلوح لي أن من الراجح أنه كان إذ ذاك في الثامنة عشرة من عمره » ، إنها تبدو وليدة عملية حسابية وإن يكن الحساب — والحق يقال — حساب أبله . وأخيراً فإن قول الحلم : « لم أكن واثقاً من السنة التي نحن فيها » قد يبدو مثالا على التردد أو الشك يعرض في الحلم .

ومع هذا فإننا نعلم من التحليل أن تلك القضايا التي تبدو في صورة أفعال حكم تطلق في الحلم للمرة الأولى يمكن أن يفهم منطوقها فهماً آخر تغدو في في ضوءه لازمة كل اللزوم من أجل تفسير الحلم في حين يرتفع عنها في الوقت نفسه كل أثر من اللامعقولة . فجملة : « أحاول أن ألقى بعض الضوء على المعطيات الزمنية » كانت تضعني في مكان صديق [فليس] الذي كان يسعى في الحقيقة إلى إلقاء الضوء على المعطيات الزمنية للحياة . وهكذا تفقد الجملة معنى الحكم يحتج على فساد القضايا السابقة . فأما جملة الصلة : « التي تبدو بعيدة عن الرجوح » فتربط بتاليها : « يالوح لي أن من الراجح » ؛

فتلك على التقريب هي الكلمات التي كنت استخدمتها في حديثي إلى السيدة التي قصت على كيف جن أخوها ، قلت لها : « إنه ليلدو لي أمراً بعيداً عن الرجوح أن يكون لندائه أيتها الطبيعة ! أيتها الطبيعة ! ، أدنى علاقة بجوته ، وإنما الذي يلوح لي أرجح من ذلك كثيراً هو أن يكون لتلك الكلمات معنى جنسى تعرفينه . » و صحيح أنني قد أطلقت هنا حكماً ، ولكنني لم أطلقه في الحلم بل في الواقع ، وفي مناسبة رجعت إليها أفكار الحلم بالذكري واستغللتها . ثم جاء محتوى الحلم فاستحوذ على هذا الحكم كما يستحوذ على أية نبذة أخرى من فكر الحلم .

وكذلك الرقم ١٨ الذي ارتبط به الحكم الذي أطلق في الحلم دون أن يكون لذلك معنى ما ، إنه ليحتفظ بأثر من السياق الحقيقي الذي انتزع منه الحكم . فأما جملة : « لم أكن واثقاً من السنة التي نحن فيها » فلم تكن — أخيراً — تعرب عن شيء سوى تعييني بالمرضى المشلول الذي أثرت تلك النقطة بالفعل في خلال فحصه .

إن حل أفعال الحكم الظاهرة في الحلم قد يذكر المرء بالقواعد الأساسية التي نص عليها في مبتدأ هذا الكتاب فيما يتصل بالقيام بعملية التفسير . فقد قلنا : إن من الواجب أن نترك الاتساق الظاهر بين مقومات الحلم كما نترك وهما لا حقيقة له وأن نتأثر مصدر كل عنصر من عناصر الحلم في ذاته . فإلى الحلم إلا حزمة يقتضي البحث تفكيكها أجزاء من جديد . غير أننا قد نلاحظ من جهة أخرى أن هناك قوة نفسية تعمل عملها في الحلم ، هي التي تخلق هذا الترابط الظاهر ، قوة تخضع المادة الناجمة عن عمل الحلم لمراجعة ثانوية . وههنا نرانا نواجه تلك القوة الرابعة التي سوف نزن فيما بعد أهميتها باعتبارها رابعة العوامل المشتركة في تكوين الحلم .

(٦) وها هو ذا مثال آخر على عملية من عمليات الحكم حوت في حلم ذكرته من قبل : ففي الحلم غير المعقول الذي جاء فيه أنني تلقيت رسالة من المجلس البلدي [ص ٤٣٥] أراني أسأل أبي : « وهل تزوجت عقب ذلك مباشرة ؟ » أجرى الحسبة فأذكر أنني ولدت في سنة ١٨٥٦ ويلوح لي أن تلك هي السنة التي أعقبت سنة ١٨٥١ مباشرة . وكل هذا قد ألبس صورة الاستدلال : تزوج أبي سنة ١٨٥١ بعد النوبة المشار إليها ، وأنا — يقينا — أكبر أبناء الأسرة ، مولود سنة ١٨٥٦ ، ويلزم — إذن — أن سنة ١٨٥٦ هي السنة التي أعقبت سنة ١٨٥١ مباشرة . وهذه النتيجة الكاذبة قد استخلصت — كما نعلم —

وفقاً لمقاصد تحقيق الرغبة ؛ فقد كانت الفكرة المسيطرة على الحلم هي الآتية : إن أربع سنوات أو خمس ليست زمناً على الإطلاق ، ولا يحسب لها حساب . بيد أن كل خطوة من خطوات هذا الاستدلال كانت محتومة أيضاً بأفكار الحلم من حيث المحتوى ومن حيث الصورة على السواء ، فالمریض الذى ضاق زميل بطول عالجة هو الذى كان قد عقد العزم على الزواج عقب الفراغ من العلاج . ثم إن الطريقة التى تحدثت بها إلى والدى كانت تذكر باستجواب أو بامتحان وإنما لتذكرنى بأستاذ فى الجامعة كان من عادته أن يدون معلومات مستفيضة عن كل طالب يسجل اسمه للاستماع فى محاضراته : « تاريخ الميلاد ؟ » - « ١٨٥٦ » - « اسم الأب ؟ » - وهنا كان على الطالب أن يجيب بذكر اسم أبيه منتهاً بنهاية لاتينية ، وكنا نحن معشر الطلبة نقدر أن الأستاذ كان يستنتج من اسم الأب نتائج لا يتسنى دائماً استنتاجها من اسم الطالب نفسه . وهكذا لم يكن الاستنتاج فى الحلم إلا ترديداً للاستنتاج الذى يظهر بين أفكار الحلم كجزء من مادتها . وفى هذا ما يطالعنا بجديد : إذا وردت فى محتوى الحلم نتيجة ، فلا جدال فى أن تلك النتيجة مستمدة من أفكار الحلم . غير أن هذه النتيجة قد تكون داخلية فى هذه الأفكار كجزء من مادتها المتذكرة أو هى قد تصل ما بين سلسلة من أفكار الحلم باعتبارها رابطة منطقية . وفى كلتا الحالتين تمثل النتيجة فى الحلم نتيجة فى أفكار الحلم ^(١) .

ونعود فنستأنف تفسير هذا الحلم : إن استجواب الأستاذ يسوقنى إلى تذكر سجل الطلبة بالجامعة - وكان فى أيامى يملأ باللغة اللاتينية - ثم إلى ذكرى دراستى الجامعية : إن السنوات الخمس المقررة لدراسة الطب كانت هى الأخرى تقل عما يلزمنى ؛ فقد سرت فى العمل وثيداً وأبطأت بعد السنوات الخمس سنوات . وعندنى معارفى شخصاً متعطلاً وتشككوا فى أن أفرغ يوماً مما أخذت فيه . وعندئذ قررت على عجل أن أتقدم للامتحان وأن أجتازه رغم التأخير . وفى هذا معزز جديد لأفكار الحلم التى كنت أواجه بها نقادى متحدياً ليأهم : « سأفرغ مما بدأت ، وإلى نتيجة سأنهى ، وإن لم تصدقوا لما ترونه من تمهلى . وكم انقلبت الأمور من قبل هذا المنقلب . »

(١) إن هذه الاكتشافات تصحح من بعض النواحي ما ذكرته من قبل (ص ٣٢٣) عن تصوير العلاقات المنطقية فى الحلم . فكلما هناك يصف مسلك عمل الحلم بوجه عام ، دون أن يحسب حساباً لبعض مظاهر نشاطه التى تفوق غيرها دقة واعتناء .

ولقد حوى هذا الحلم فى مطلعہ جملة من القضايا لا يكاد يستطيع المرء أن يأتى عليها اسم الحجة . بل هى لم تكن بالحجة المجافية للمعقول ، بل قد كان يمكن أن تصدر عن الفكر المستيقظ : أضحك فى الحلم لتلك الرسالة التى يرسلها إلى المجلس البلدى ؛ فأولاً لم أكن حثت إلى الدنيا بعد فى سنة ١٨٥١ ، وثانياً فإن والدى الذى ربما كانت هذه الرسالة متعلقة به قد صار فى عداد الموتى . إن كلا من هاتين القضيتين لم تكن صحيحة وحسب ، بل هى تتفق كل الاتفاق والحجج التى ما كنت أتردد فى إطلاقها لو قد تلقيت مثل هذه الرسالة حقيقة . ولقد تبين من التحليل الذى سبق (ص ٤٣٥) أن هذا الحلم قد صدر عن أفكار حلمية شديدة المرارة ، مشربة بالزراية . فإذا فرضنا بعد ذلك أن دوافع الرقابة كانت بالغة الشدة ، أمكن أن نفهم أن عمل الحلم قد دعت كل الدواعى إلى أن يخلق نقضاً لا خلل فيه لفكرة غير معقولة على المتوال المتضمن فى أفكار الحلم .

غير أن التحليل يرينا أن عمل الحلم — هنا أيضاً — لم يكن مطلق الخيار فى أن يخلق خلقه كيفما شاء ، بل كان مضطراً — لبلوغ غرضه — إلى أن يستخدم مادة مستمدة من أفكار الحلم . فالأمر أشبه بمعادلة جبرية حوت — بالإضافة إلى الأعداد — علامات على الزائد والناقص وعلى الأسس والحدور ، ثم جاء البعض يريد نسخ المعادلة وهو لا يفهمها ، فنقل علامات العمليات ونقل الأرقام ، لم يترك شيئاً ، لكنه خلطها خطأ .

فالحجتان المشار إليهما يمكن تأثرهما إلى المادة الآتية : إنه لأمر يعضنى أن أرى أن من شأن بعض المسلمات التى تنبنى عليها حلول السيكولوجية لمشكلة الأعصبة أن تثير الشك والضحك حين تعرف للمرة الأولى . مثال ذلك أننى لا أجد مهرباً من القول بأن انطباعات ترجع إلى السنة الثانية — بل إلى السنة الأولى أحياناً — قد تركت أثراً لا يمحي فى الحياة الانفعالية لمن قدر لهم المرض فيما بعد ، وبأن هذه الانطباعات — وإن شوحتها الذاكرة وحسبتها على أكثر من نحو — قد تكون أول أسس الأمراض المستترة وأعماقها . وكان من عادة المرضى الذين أشرح لهم ذلك فى موضعه المناسب أن يطلقوا العنان لسخريتهم من المعرفة الجديدة ، معلنين استعدادهم لأن يبحثوا عن ذكريات ترجع إلى زمن ما قبل الولادة . وكان اكتشافى لما يؤديه الأب من دور لا يطرأ على البال فى بواكير الدفعات الجنسية عند النساء المريضات يُقَابِل — كما كنت أتوقع — بترحيب مماثل . (أنظر المناقشة التى فى ص ٢٧٣ .) ومع هذا فافتناعى المؤسس على أسس طيبة هو أن

كلتا القضيتين صحيحة . وإنى لأفكر - على سبيل التأييد - فى أمثلة نرى فيها الأب يموت والطفل ما زال بسن مبكرة جداً ، ثم تجيء بعد ذلك أحداث - لا يمكن تفسيرها بغير ذلك - تثبت أن الطفل قد حفظ مع ذلك ذكريات لا شعورية عن الشخص الذى اختفى فى هذا الزمن المبكر . وكنت أعلم أن قضايا هذه تقوم على استنتاجات قد تنازع صحتها . وعلى ذلك فعمل الحلم يحقق رغبة حين يستخدم على التحديد مادة تلك النتائج التى كنت أخشى معارضتها لكى يستخلص منها نتائج لا يمكن الاعتراض عليها .

(٧) وهناك حلم تركته إلى الآن دون أن أكاد ألمسه [أنظر ص ٤١٤] ظهر فى مطلعه تعبير واضح عن عجب أحسسته لفكرة انبعثت فى الحلم :

يكلفنى بروكه الشيخ مهمة ما ، والشئ العجيب أنها كانت تتعلق بتشريح الجزء الأسفل من جسمى ، بتشريح الحوض والساقين التى أراها أمامى كما لو كان ذلك فى حجرة التشريح ولكن دون ألحظ غيابها عنى ودون أن يساورنى أثر من الشعور بالفظاعة . كانت لوريز ن . تقف إلى جاذبى وتؤدى معى عملاً ما . أفرغ الحوض من الأحشاء وصار مرئياً ، طوراً من أعلى وطوراً من أسفل وقد اختلط المسقطان . تظهر زوائد لها لون كلون اللحم (تذكرنى فى الحلم نفسه بالبواسير) . علا هذه شئ أشبه بورق الفضة المتجمد^(١) كان من الضرورى التقاطه فى حذر . صرت بعد ذلك حائزاً على ساق من جديد وأخذت أشق طريق وسط المدينة ، ولكننى (لتعجب) أركب عربة . شقت العربة طريقها - لدهشى - خلال باب منزل انفتح تاركاً العربة تمر وسط ممر انعطفت عند نهايته ليؤدى إلى الهواء الطلق مرة أخرى^(٢) . وأخيراً أراى أقوم برحلة وسط مناظر طبيعية متقلبة مع مرشد من مرشدى جبال الألب كان يحمل متاعى . حملنى المرشد جزءاً من الطريق مراعاة منه لساقى المتعبتين . كانت الأرض موحلة . سرنا حول الحافة ، وكان هناك قوم جلسوا على الأرض مثل الهنود الحمر أو النجر ، حول الحافة . كنت قبل ذلك أشق طريقى قدماً وسط الأرض الزلقة وقد ساورنى شعور بالدهش لما كنت أبديه فى ذلك من المهارة بعد التشريح . وصلنا أخيراً إلى منزل صغير من الخشب فى نهايته شباك مفتوح . هناك وضعنى المرشد على الأرض ثم أتى بلوحيين من الخشب كانا معدين هناك من قبل وأسندهما إلى عارضة النافذة كأنه كان يقيم بذلك جسراً فوق الهاوية التى لم يكن بد من عبورها للخروج من المنزل . حينئذ شعرت فعلاً بالخوف على ساقى ولكننى بدل أن أعبر الهاوية - كما كان متوقماً - رأيت رجلين راشدين وقد رقا على دكتين من الخشب كانتا تحاذيان جدران المنزل الخشبي ، ورأيت أيضاً ما لاح لى أنه طفلان ذائمان بجوارهما . كأن وسيلتنا فى عبور الهاوية لن تكون لوى الخشب بل الطفلين . أستيقظ فى حالة من الرعب العقل .

(١) ستانويل ، إشارة إلى كتاب ستانويس عن الجهاز العصبى للأشماك (أنظر ص ٤١٤) .

(٢) هذه صورة تستحضر فناء العمارة التى كنت أقطنها ، حيث كان المستأجرون يتركون عربات أطفالهم .

ولكن الصورة كانت - فيما عدا ذلك - متعددة الحلم من وجوه كثيرة .

إن من كون ولو أقل فكرة عن مدى التكثيف الذى يقع فى الأحلام يتخيل من غير عناء أى عدد من الصفحات يستغرقه تحليل هذا الحلم تحليلاً كاملاً . ولكنى لحسن الحظ لا أحتاج فيما نحن فيه سوى إلى أن أبحث نقطة واحدة : تلك التى تزودنا بمثال على الدهش فى الحلم كما يتبين فى كلمة « والشئ العجيب » . وأبدأ بذكر مناسبة الحلم : لأنها زيارة من لويز ن . - السيدة التى وقفت إلى جانبي وأنا أؤدى عملي فى الحلم . فقد سألتنى : « أعرنى شيئاً أقرأه » فاقترحت عليها « هى » لرايدار هاجارد ، ثم انطلقت فى الشرح قائلاً : « إنه كتاب عجيب ، ولكنه ملئ بالمعاني الدفينة ، الأنوثة الخالدة ، أبدية مشاعرنا ... » وهنا قاطعتنى لويز ن . قائلة : « أعرفه ، أليس عندك شئ من تأليفك ؟ » - « كلا . فإن كتبى الخالدة لم تظهر بعد . » - فسألتنى ساخرة بعض الشئ : « متى إذن تظهر شروحك المسماة بالنهاية التى وعدت بأن تكون مقروءة ولو كان القارئ نحن ؟ » وهنا لاحظت أن شخصاً آخر هو الذى يتحدث بلسانها ، وسكت . أخذت أفكر فيما يكلفنى إياه من مغالبة باهظة للنفس أن أنشر على الملأ كتابى عن الأحلام حيث لا أجد محيذاً عن الإفضاء بالشئ الكثير من دخيلة طبعى : « وخير ما تستطيع علمه قد لا تملك قوله للصبيان . » ^(١) وهكذا نرى أن ما يفرض على فى الحلم من تشريح جسمى إنما يعنى تحليل أنا الذى لا بد من اقترانه برواية أحلامى . وإن بروكه الشيخ ليجد هنا بحق موضعه المناسب ؛ فقد حدث من قبل وأنا ما أزال بالسنوات الأولى من اشتغالى بالبحث العلمى أننى اكتشفت اكتشافاً ثم تركته معطلاً إلى أن حملنى بروكه على نشره حملاً بأمر شديد . وأما سائر الخواطر التى أثارها حديثى مع لويز ن . فكانت أعمق غوراً من أن تصير إلى الشعور . لقد عرجت هذه الخواطر ناحية المادة التى اتفق أن أثارها فى نفسى ذكر « هى » لرايدار هاجارد . فإلى هذا الكتاب وإلى كتاب آخر لذات المؤلف « قلب العالم » ^(٢) يرجع الحكم المتمثل فى قولى : « والشئ العجيب » . ومن هاتين الروايتين الحافلتين بالخيال استقيت الكثير من عناصر الحلم : فالطريق الموحلة التى يحمل المنتقلون عليها والجسر الذى لا يجدون بدا من عبوره بألواح يحضرونها معهم - كل أولئك مأخوذ من « هى » ، فأما الهنود الحمر والفتاة والمنزل الخشبى فمن « قلب العالم » .

(١) [أنظر ص ١٦٦ ، فى الهامش .]

(٢) ["The heart of the World"]

والرائد في كلتا الروايتين امرأة ، وكلتا الروايتين تصف تجوالاً يحفل بالمخاطر ، بينما تصف « هي » طريقاً كله مغامرة يمتد إلى المجهول ، لم تكد تظوه قدم من قبل . فأما التعب الذي بساقى فإحساس حقيقى كنت قد عانيتة في النهار — بحسب ملاحظة أجدها مدونة حين سجلت الحلم . وأكبر الظن أن هذا التعب قد كان له صداه في مزاج من الكلل وفي سؤال موسوم بالشك : « ترى إلى متى ستحملنى قدماى بعد ذلك ؟ » وإن المغامرة المروية في « هي » لتختتم بالمرأة الرائدة وهى تهلك في النار المجهولة المستعرة في جوف الأرض بدل أن تجد الخلود لنفسها ولن معها . وما من خطأ في أن خوفاً من هذا القبيل كان ناشطاً بين أفكار الحلم . ومن المؤكد أن المنزل الخشبي كان يعنى النش ، إذن القبر . بيد أن الحلم قد بلغ أوج مهارته حين صور تلك الفكرة التى لا ينفر المرء من شيء قدر نفوره منها بأن حقق رغبة . ذلك أننى كنت قد رأيتنى في الحقيقة مرة بجوف أحد القبور ، إلا أنه كان قبراً إتروريا كشف عنه بالقرب من مدينة أورفيتو ، وكان القبر حجرة ضيقة بداخلها دكتان امتدتا بجذاء الجدران وامتد عليهما هيكلان رحلين راشدين . وقد كان داخل المنزل الخشبي في الحلم شبيهاً بهذا القبر أتم الشبه ؛ فكأنما كان الحلم يقول : « إذا لم يكن من القبر بد ، فليكن القبر الإترورى . » ، وبهذا الاستبدال يقلب الحلم أظلم الممكنات إلى شيء أرغب فيه رغبة صادقة . غير أن الحلم لسوء الحظ — كما ستراه قريباً [ص ٤٥٩] — قد لا يغير سوى الفكرة التى تصحب حالة وجدانية معنية دون أن يغير هذه الحالة ذاتها . ولهذا استيقظت في فزع على رغم النجاح في تصوير تلك الفكرة : أن الأبناء قد يفلحون فيما أخفق فيه آباؤهم — وهى إشارة جديدة إلى الرواية العجيبة التى نرى أحد أشخاصها يظل هو هو خلال أجيال متعاقبة بلغت العشرين قرناً .

(٨) وهناك حلم آخر من أحلامى يظهر فيه أيضاً التعبير عن الدهش لأمر وقع في الحلم . . . ولكن الدهش قد اصطحب بمحاولة في تعليله بلغت حداً من الغرابة والبعد — وأكاد أقول : من الألمعية — حتى أنها تكفى وحدها في حثى على تحليل هذا الحلم كله ، بغض النظر عن اشتماله على مسألتين أخريين جديرتين بأن تجذبا اهتمامنا . ذلك أننى كنت أسافر على سكة حديد الجنوب في الليلة من ١٨ إلى ١٩ من شهر يولييه حين سمعت

وأنا نائم ، صوتاً يصبح : « هولتورن [Hollthurn] ^(١) ، وقوف عشر دقائق . » فاتجه خاطري على الفور إلى Holothurien - فإلى متحف للتاريخ الطبيعى - فإلى أن تلك هى البقعة التى ثار فيها رجال شجمان فى وجه حاكم بلدهم فشنوا على قواته المتفوقة حرباً لم يخرجوا منها بظائل - نعم . إنها الحركة المناهضة للإصلاح فى النمسا ! - كأنما كانت تلك البقعة مكاناً فى شتيريا أو التيرول . أرى بعد ذلك متحفاً صغيراً حفظت فيه بقايا هؤلاء الرجال أو متعلقاتهم ، وكانت الرؤية غير متميزة . أود لو استطعت مغادرة القطار ، ولكننى أتردد فى ذلك . على الرصيف نساء يحملن ثماراً ، إنهن يجلسن القرفصاء على الأرض وقد أمسكن بالسلاسل على نحو جد مشوق . إننى أتردد لأدنى لست واثقاً من أنى أملك متسعاً من الوقت ، ولكن القطار يظل دون أن يتحرك . أراهم فجأة فى مقصورة أخرى ضاقت فيها الأرائك والمقاعد حتى أن ظهر المرء كان يستند مباشرة إلى مؤخر العربة ^(٢) . أدهش لذلك ، ولكنى ربما كنت انتقلت من عربة إلى أخرى فى خلال حالة النوم . وهنا أناس كثيرون بينهم إنجليزيون ، أخ وأخت . على أحد الرفوف صف من الكتب يراها المرء رؤية متميزة . ألحظ بينها « ثروة الشعوب » و « المادة والحركة » ^(٣) (لكلاك ماكسويل) ، إنه مجلد سميك مغلف فى قماش دى لون بنى . يسأل الرجل أخته عن كتاب لشيالر : هل نسيته ؟ كأنما كانت الكتب كتبهم طوراً ، وطوراً كئيب . أشعر هنا برغبة فى التدخل فى الحديث مؤيداً أو مؤكداً . . . أستيقظ وأنا أنصب عرقاً ، فقد كانت كل النوافذ مغلقة . كان القطار واقفاً فى ماربورج [فى شتيريا] .

وبينما كنت أدون هذا الحلم خطرت لى نبذة جديدة منه كانت ذاكرتى قد حاولت إغفالها : قلت (باللغة الإنجليزية) للأخ والأخت وأنا أشير إلى كتاب ما : "It is from..." ثم أصبح قائلاً : "It is by..." ، فيعقب الرجل على كلامى قائلاً لأخته : « لقد قال ذلك دون أن ينطق . »

إن هذا الحلم قد بدأ باسم المحطة ، ولا شك فى أن مناداة هذا الاسم كانت قد أبقتنى إيقاظاً جزئياً ، إلا أننى غيرت الاسم فجاء هولتورن بدل ماربورج والشاهد على أننى سمعت ماربورج عندما نودى اسمها للمرة الأولى - أو ربما بعد نداء تال - هو ما

(١) [اسم لا يصدق على أى مكان حقيقى .]

(٢) حتى أنا لا أفهم هذا الوصف : ولكننى أتبع هنا تلك القاعدة الأساسية ، وهى أن أروى الحلم بالكلمات التى تختر لى عند تدوينه ؛ فإن الصيغة اللفظية هى نفسها جزء من التصوير الحلقى [أنظر ص ٥٠٨ .]

(٣) ["Wealth of Nations", "Matter and Motion"]

جاء في الحلم من ذكر شيللر الذى ولد في ماربورج - وإن لم تكن ماربورج التى في شتيريا^(١). وقد صحبت سفرى في هاته الليلة ملابس متعبة إلى آخر مدى ، مع أننى كنت أسافر في الدرجة الأولى . ذلك أن القطار لم يكن فيه موضع لقدم ، ثم إننى وجدت في مقصورتى سيدة وسيداً بدت عليهما كل مظاهر الغطرسة وتجردا من الأدب ، أو هما لم يتكلفا أن يخفيا عنى شعورهما بالضيق لدخولى عليهما ، فظلت تحينى المؤدبة لا تلقى منهما ردا . ومع أن الرجل وزوجته كانا جالسين جنباً إلى جنب (وظهراهما إلى القاطرة) ، فإن المرأة سارعت إلى احتلال المقعد الذى كان يواجهها بجوار النافذة ، فوضعت عليه مظلته . وأغلق الباب على الفور وتبدلت ملاحظات في موضوع النوافذ وفتحها . وأكبر الظن أنهما قد أدركا على الفور أننى كنت ظامئاً إلى بعض الهواء الطلق ؛ فقد كانت ليلة حارة ، ولم يلبث الجو أن صار خانقاً في المقصورة المغلقة إغلاقاً محكماً . وقد كانت تجاربنى في السفر علمتنى أن مثل هذا المسلك المجرد من الأدب ومراعاة ما للغير شئء مما يتميز به أولئك الذين يسافرون بالحجان أو بنصف أجر . فلما جاء جامع التذاكر وأريته تذكرتى التى كلفتنى ما كلفتنى خرجت من فم السيدة كلمات ألقها في نبرات متعالية كادت أن تكون متوعدة : إن زوجى يحمل ترخيصاً مجانياً . لقد كانت سيدة ذات هيئة مسيطرة وملامح غضوبة ، في سن لا تبعد كثيراً عن تلك التى يأخذ فيها جمال المرأة في الذبول ، فأما الرجل فما نبس بحرف وظل حيث هو لا يريم . وكان أنى تحاليت على النوم ، وهأنذا أثار في الحلم من رفيقى غير المستحبين ثأراً مخيفاً ؛ فما من أحد يستطيع أن يحذر أى صنوف من السباب ومن الإذلال تستقر وراء الأجزاء المتقطعة التى تكون منها الشطر الأول من الحلم . فلما اكتفت هذه الحاجة انبعثت أخرى ، هى الحاجة إلى تغيير المقصورة . ومن الأمور الشائعة أن يتغير المشهد في الحلم دون أن يلقى ذلك اعتراضاً ما ، فإذا كنت بادرت فاستبدلت برفيقي في السفر آخرين من ذاكرتى أكثر منهما لطفاً ، فما كان ذلك ليكون بالشئء العجيب أو الملحوظ . ولكننا نجد هنا حالة دعا فيها أحد

(١) إن البلد الذى ولد فيه شيللر لم يكن أى ماربورج ، بل مارباخ ، كما يعلمه كل تلميذ ألماني وكما كنت أعلمه أنا أيضاً وتلك إذن هفوة أخرى (أنظر ص ٢١٧ هـ) من الهفوات التى تتسرب لى تعوض عن تزييف متعمد في موضع آخر - وهى هفوة حاولت تفسيرها في كتابي "سيكوباتولوجية الحياة اليومية" . [١٩٠١ ب ، الفصل العاشر ، المقال الأول .]

الدواعى إلى أن يلتقى تغيير المشهد اعتراضاً وإلى أن يعد أمراً يتطلب تعليلاً : كيف صرت فجأة في حجرة أخرى ؟ إننى لم أكن أذكر أننى انتقلت وليس إلا تعليل واحد لا ثانى له : لا بد أنى تركت العربى وأنا نائم — إنه حادث نادر الوقوع ولكننا نرى أمثلة منه في خبرة طبيب الأمراض العصبية ؛ فنحن نعرف أناساً سافروا بالسكة الحديدية وهم في حالة شفقية^(١) دون أن تبدر منهم بادرة تم عن وضعهم الشاذ ، إلى أن يبلغوا حداً من رحلتهم فإذا هم راجعون إلى أنفسهم ، يدهشون للثغرة التى في ذاكرتهم . وهكذا أعلن وأنا ما زلت في الحلم أن حالتى من حالات « الأوتوماتية الثقيلة »^(٢).

ولكن التحليل يمكننا من حل آخر . فهذه المحاولة التعليلية التى تبدو لى على هذا المبلغ من العجب لو كنت مضطراً إلى أن أعزوها إلى عمل الحلم — ليست في الحقيقة محاولة مبتكرة من عندى ، بل هى قد نسخت من عصاب أحد مرضاى . فقد سبق أن تحدثت في موضع آخر [ص ٢٧٦] عن شاب على الثقافة ، حم العطف في حياته الواقعة ، كيف أخذ بعد موت والديه بزمن قصير يتهم نفسه بنوازع قتالة ، ثم بعد ذلك سقط فريسة للحيلة التى لم يكن يرى مفراً من التزامها حماية لنفسه من هذه النوازع . كانت حالته حالة أفكار قهرية مع قدرة على إدراك حاله ظلت غير منقوصة . ففي أول الأمر صار السير في الطرقات عبثاً أليماً عليه ؛ إذ كان به دافع قهرى يدفعه إلى ألا يترك ماراً به دون أن يسجل غدره ورواحه ودون أن يرى أين اختفى . فإن أفلت أحدهم من عينه المتتعبة تخلف عنده شعور أليم واحتمال لا مسرح له غير فكره ، مؤداه أنه ربما كان قد أجهز على هذا الشخص . والذي يستتر وراء هذا كله كان — ضمن أشياء أخرى — [تخيلاً تجوز تسميته] تخيل قايين ؛ أفليس « كل الناس إخوة » ؟ وإذا كانت مهمة المتابعة تلك شيئاً محالاً ، فقد ترك المريض كل نزعة وقضى حياته حبس جدران الأربعة . ولكن أخبار الجرائم المرتكبة في الخارج كانت تنفذ والصحف إلى غرفته . وأمره ضميره في صورة الشك بأنه قد يكون هو القاتل المطلوب . بيد أن يقينه من أنه قد لبث أسابيع دون أن يبارح منزله ظل يحميه زمناً من هذه الهمات ، إلى أن طاف بخلدّه يوماً احتمال أن

(١) [أى حالة يقظة لكن دون وعى كامل ، فكان الشعور فيها كالضوء ساعة الشفق .]

(٢) ["automatisme ambulatoire"]

يكون قد ترك المنزل وهو في حالة لاشعورية ، فاستطاع بذلك أن يرتكب الجريمة دون أن يعلم من أمرها شيئاً . ومنذ تلك اللحظة فصاعداً أوصد باب منزله وسلم المفتاح إلى خادمه العجوز آمراً إياها أمراً مشدداً ألا تترك أبداً هذا المفتاح يقع بين يديه ولو طلبه .

وهذا إذن هو منشأ محاولتي التعليلية حين قلت : إنني ربما كنت غيرت العربية وأنا في حالة لا شعورية . لقد نقل هذا التعليق جاهزاً من مادة أفكار الحلم إلى الحلم — ومن البين أن القصد منه هو أن يفيد في تعييني بشخص هذا المريض . وأما تذكرى للمريض فقد أثاره استدعاء قريب من الذهن : ذلك أن هذا الرجل عينه كان يصحبنى في آخر مرة سافرت فيها ليلاً ، قبل ذلك ببضعة أسابيع . كان قد شفى وكان يسافر معى إلى الأقاليم ليزور أقارب له ، كانوا أرسلوا في طلبى . وكانت لنا مقصورة خاصة بنا وتركنا كل النوافذ مفتوحة طيلة الليل وقبل النوم قضينا وقتاً من أطيب ما يكون . وكنت أعلم أن الأصل في مرضه دفعات عدائية نحو الأب ترجع إلى زمن الطفولة ولها ارتباطها بمواقف جنسية . وأنا إذن من حيث أعين نفسى به إنما أنشد الاعتراف بشيء مماثل . والحق أن المشهد الثانى في الحلم قد انتهى بتخييل مغرب بعض الإغراب حاصله أن رفيقى المسنين في السفر قد سلكاً نحوى ذلك المسلك النافر لأن مقدمى قد أفسد عليهما ما كانا يزعمانه من تبادل الود في ليلهما . بيد أن هذا التخييل يرجع بدوره إلى مشهد من مشاهد الطفولة المبكرة ، حين يزج الطفل بنفسه — مدفوعاً في أكبر الظن بتطلعه الجنسي — إلى حجرة نوم والديه ثم يخرج منها بأمر من الوالد لا مرد له .

لا طائل — على ما أعتقد — في حشد أمثلة أخرى . فهى إنما تذهب جميعاً إلى تأييد ما تحصل من الأمثلة السابقة : أن فعل الحكم في الحلم ليس إلا ترديداً لنموذج موجود في أفكار الحلم ترديداً يتسم في معظم الأحيان بسوء التصرف ويجيء وسط محيط غير مناسب ، ولكنه قد يساق أحياناً — كما في مثالنا الأخير — سوقاً ماهراً حتى ينجل إلينا للوهلة الأولى أن ثمت نشاطاً عقلياً مستقلاً يتم في الحلم . ولنا وقد بلغنا هذا الموضع أن ندير انتباهنا إلى هذه القوة النفسية التى تبدو ولا شك بعيدة عن أن تشارك دائماً في تكوين الأحلام ، إلا أنها حين تفعل توجه همها إلى إدماج عناصر الحلم المتفرقة الأصول في كل خال من التناقض ، ذى معنى . ولكننا — قبل أن نظرق هذا الموضوع نشعر

بحاجة ملحة إلى أن ننظر أولاً فياورد في الأحلام من التعبيرات الوجدانية ، وإلى أن نقارن بينها وبين الحالات الوجدانية التي يكشف عنها التحليل في أفكار الحلم .

ج

الحالات الوجدانية في الحلم

لقد نهتينا ملاحظة حصيفة لاحظها شريكى إلى أن التعبيرات الوجدانية في الحلم لا يمكن أن تقابل بهذا النوع من الاستخفاف الذى اعتدنا أن نعرف به محتوى الحلم : « حين يخاف المرء في الحلم غائلة اللصوص ، فاللصوص يقيناً من صنع خياله ، لكن الخوف حقيقى » . والأمر كذلك إذا أحسنا في الحلم مرحا . فشعورنا يحدثنا بأن الحالة الوجدانية التي يخبرها المرء في الحلم لا تقل بأى وجه من الوجوه عن حالة نخبرها في اليقظة معادلة في الشدة ، وإن حق الحلم في أن يدرج ضمن خبراتنا النفسية الحقيقية لأقوى بمحتواه الوجدانى منه بمحتواه الفكرى . غير أننا نعجز في اليقظة عن هذا الإدراج ؛ لأننا لا نستطيع أن نزن القيمة النفسية لإحدى الحالات الوجدانية إلا مرتبطة بمحتوى فكرى ما ، فإن انعدم التناسب بين الحالة الوجدانية والفكرة من حيث النوع والشدة وقف حكمنا المستيقظ ولم يحرج جواباً .

وإن من سمات الأحلام لسمة حدث إلى العجب منها في كل وقت ، تلك هى : أن محتواها الفكرى لا يحمل معه الأثر الوجدانى الذى ما كنا في فكرنا المستيقظ إلا لتوقعه كما نتوقع أمراً ضرورياً ، حتى أعلن شترومبل أن الأفكار تجرد في الحلم من قيمها النفسية . غير أن الأحلام لا تعوزها أمثلة على الضد ، أمثلة يخطر فيها تعبير وجدانى شديد مقترناً بمحتوى لا يبدو فيه أقل مبرر يبرر انطلاق مثل هذا الوجدان : فقد أراى في الحلم في موقف بشع ، خطر ، باعث على الاشتزاز ، ولا أحس خوفاً أو نفوراً ، وعلى العكس : قد أروع أحياناً وليس ما يروع ، أو أفيض حبوراً وما يحبرنى سوى موضوع طفلى .

هذا اللغز هو - في الغالب - أسرع ألباز الحلم إلى الاختفاء وأتمها تبدداً حين تنتقل من محتوى الحلم الظاهر إلى محتواه الكامن . ولن تكون بنا حاجة إلى أن نشغل بفضه ؛ فقد فُض من قبل . فالتحليل يعلمنا أن المحتوى الفكرى قد مسه الشيء الكثير من النقل والتبديل ، على حين ظلت الحالات الوجدانية من غير تحريف ، ولا غرو بعد ذلك إذا فقد المحتوى الفكرى المغير بفعل التشويه الحلمى كل تناسب يقرب بينه وبين الحالة الوجدانية المحفوظة كما هي ، ولا نحن نجد مدعاة للعجب حين يعيد التحليل المحتوى الصحيح إلى نصابه .^(١)

وحين يخضع مركب نفسى لتأثير الرقابة التى تفرضها المقاومة فالحالات الوجدانية هي أقل مقوماته تأثراً ، وهى وحدها التى تهدينا الطريق إلى التكملة الصحيحة . وإن هذا الوضع لأظهر فى الأعصبة منه فى الأحلام . فالحالة الوجدانية فى العصاب لها دائماً سببها الذى يبررها ، من حيث الكف على الأقل - وإن جاز بالطبع أن تكون قد زادت شدة لما يصيب الانتباه العصابى من التقلات . فإذا كان المسترى يعجب لكل هذا الخوف يركبه تجاه تفاهة من التفاهات ، أو إذا استعجب رجل يعانى أفكاراً قهرية لما يوجهه إلى نفسه من هذا اللوم المنبعث من لا شيء ، فكلاهما ضال عن سبيل الفهم من حيث يتوهم أن المحتوى الفكرى - أن تلك التفاهة أو ذلك « اللاشيء » - هو الشيء الجوهرى ، وإنه ليدافع عن نفسه بغير طائل من حيث يتخذ من هذا المحتوى نقطة البدء فى تفكيره . ولكن التحليل النفسى يريهما بعد ذلك الطريق الصحيح إذ يسلم - على العكس - بأن للحالة الوجدانية ما يبررها ، ثم يبحث عن الفكرة المتصلة بها والتى

(١) إذا لم أكن أخطأت كثيراً ، فأول حلم استطعت أن أستشفه عند حفيدى الأكبر البالغ من العمر عشرين شهراً يدل على أن الحلم قد نجح فى تحويل مادة أفكار الحلم إلى رغبة محققة ، على حين بقيت الحالة الوجدانية المرتبطة بها دون أن تتغير أثناء حالة النوم . فهو فى الليلة التى سبقت رحيل والده إلى الجبهة قد استيقظ وهو يشج نشيحاً حاراً : « بابا ، بابا - بيبي » . والترجمة الوحيدة لذلك هى : « بابا وبيبي باقيان معا » ، بينما البكاء تسليم بالرحيل المرتقب . ولقد كان الطفل فى ذلك الوقت قادراً تمام القدرة على الإعراب عن فكرة الفراق ؛ إذ كان بين أوائل ما نطق به هذا الطفل كلمة "Fort" [" بعيداً "] (وكان الطفل يفهم حرف o تفخيماً خاصاً ويمطه مطاً طويلاً : o - o - o) ، ثم هو - قبل هذا الحلم الأول بشهور - كان يطوح بكل ما يقع تحت يديه من لعبة وهو يصيح : " بعيداً " - وهى لعبة كانت ترجع إلى نجاح مبكر فى السيطرة على النفس وغزوها بترك الأم تذهب بعيداً . [أنظر ما ورد عن ذلك فى " ما وراء مبدأ اللذة " (فرويد ١٩٢٠ ز) .]

نالها الكبت وحل محلها بديل . وكل هذا يتضمن مسلمة ، هي أن الاستجابة الوجدانية والمحتوى الفكرى لا يكونان تلك الوحدة العضوية التى لا تنفصم عراها ، بل قد يكون كل من هذين الجزأين ملفوقاً بالآخر بحيث يمكن الفصل بينهما بالتحليل . وتفسير الأحلام يرينا أن الأمر كذلك فى الحقيقة .

وأبدأ بمثال يفسر لنا فيه التحليل ما ظهر من تخلف الحالة الوجدانية دون المحتوى الفكرى ، مع أن هذا المحتوى كان يستلزم انطلاقها .

(١)

ترى فى صحراء ثلاثة أسود يضحك أحدهما ولكنها لم تكن خائفة منها . لاشك فى أنها قد ولت فراراً منها بهذا ذلك لأنها كانت تحاول أن تتسلق شجرة ، غير أنها وجدت أن إحدى قريباتها - وهى مدرسة للغة الفرنسية - قد سبقتها إلى هناك .

لقد جاء التحليل بالمادة الآتية : إن مناسبة الحلم التافهة جملة وردت فى موضوع الإنشاء الإنجليزى : العرف زينة الأسد . إن والدها كان يحمل لحية تحف بوجهه مثل العرف . وكانت مدرستها للغة الإنجليزية تسمى الآنسة Lyons (= أسود) وكانت إحدى معارفها قد أرسلت إليها أشعاراً من نظم Loewe [وهو « الأسد » فى الألمانية] . تلك إذن أسودها الثلاثة ؛ فلم الخوف منها ؟ - إنها قد قرأت قصة تروى كيف حث زنجى رفاقه على الثورة فطورد وأرسلت فى أثره كلاب الصيد فتسلق شجرة لكى ينقذ نفسه . تعقب ذلك ذكريات شتى تروىها الحاملة فى مرح شديد ، مثل تلك النصحية فى صيد الأسد - عن مجلة « الصحائف الطائرة » - : ضع صحراء على المصفاة ، ينساب الرمل وتبقى الأسود . ثم قصة جملة الطرافة وإن لم تكن بالنظيفة كل النظافة عن موظف سؤل لم لا يتكلف بعض العناية ليظفر بخطوة رئيسه الأعلى ، فأجاب بأنه قد حاول بالفعل أن يشق طريقه من الباب الخلفى ولكن الموظف المتقدم عليه كان قد سبقه إلى هناك . وتغلو كل هذه المادة شيئاً مفهوماً حين يتبين أن السيدة كانت فى اليوم الذى سبق الحلم قد تلقت زيارة من رئيس زوجها فى العمل . وكان الرجل جم الأدب وقبل يدها ولم تشعر هى بأقل خوف منه مع أنه كان « وحشاً كبيراً » وكان « مستأسداً » فى

مجتمع عاصمة البلد الذى أتت منه . وعلى ذلك فهذا الأسد أشبه بالأسد الذى فى « حلم ليلة من منتصف الصيف » والذى افترض أمره فلم يكن يخفى ورائه سوى سنّج النجار ^(١) ، والأمر كذلك فى كل أسود الحلم التى لا يستشعر منها المرء رهبة .

(٢)

وأسوق كمثال ثان حلم الفتاة التى رأت الابن الأصغر لأختها مبتاً فى نعشه [ص ١٥٥ وص ٢٦٥] ولكنها — كما تسعنى الآن إضافته — لم تستشعر لذلك ألماً ولا حزناً . إننا نعلم من التحليل لم كان ذلك كذلك : فالحلم إنما كان يخفى رغبته فى أن ترى الرجل الذى أحبته مرة أخرى ولم يكن بد من أن تعجى حالتها الوجدانية مجانسة لرغبته تلك وليس لما تقنعت به هذه الرغبة . وعلى ذلك لم تكن تمت مدعاة إلى الحزن .

وهناك أحلام تظل فيها الحالة الوجدانية مرتبطة على الأقل بالاحتوى الفكرى الذى حل محل ذلك الذى كانت تلك الحالة مقترنة به فى الأصل . ولكن هناك أحلاماً أخرى يذهب فيها تفكيك المركب [الفكرى الوجدانى] إلى أبعد من ذلك ؛ فتظهر الحالة الوجدانية منفصلة كل الانفصال من الفكرة المتصلة بها وتدرج فى موضع آخر حيث تتسق والترتيب الجديد لعناصر الحلم . والموقف حينئذ أشبه بما قد رأيناه فى حالة أفعال الحكم فى الأحلام [ص ٤٤٤] : إذا تضمنت أفكار الحلم نتيجة هامة اشتمل الحلم كذلك على نتيجة ، ولكن النتيجة التى فى الحلم قد تنقل فتجىء فى صدد مادة متخلفة كل الاختلاف . ولا يندر أن يتم هذا النقل وفقاً لمبدأ التضاد .

هذه الإمكانيات الأخيرة تتمثل فى الحلم التالى الذى أخضعته لتحليل بلغ غاية الاستيفاء :

(١) [سنّج النجار أحد أصحاب الحرف الممثلين الذين اجتمعوا لى يمثلوا رواية ما احتفالاً بمرس دوق أثينا ، فى مسرحية " حلم ليلة من منتصف الصيف " لشكسبير . وقد وكل إلى سنّج أن يمثل الأسد ، ولم يكن أحد يبعد عن الأسد بعد سنّج هذا وبعد الأسد الذى لعبه .]

(٣)

حصن على شاطئ البحر ، ثم لا يعود الحصن على شاطئ البحر مباشرة بل على قناة ضيقة مؤدية إلى البحر . الحاكم رجل يدعى السيد ب . كنت واقفاً معه في قاعة استقبال كبيرة ذات ثلاث نوافذ تواجهها شرفات مقفلة تشبه مكان إطلاق النار في الحصون . كنت ملحقا بالحامية على أننى ضابط بحرى متطوع أو شيء من هذا القبيل . إننا نخشى وصول سفن الأعداء ؛ فقد كنا في حالة حرب . السيد ب . ينتوى الرحيل ويعطينى تعليمات فيما يجب عمله إذا وقع ما نخشاه . كانت زوجه المريضة في الحصن المهدهد مع أطفالها . إذا بدأ ضرب القنابل فالواجب إخلاء القاعة الكبيرة على الفور . إنه يتنفس تنفساً ثقيلاً ويستدير لينصرف . أمسك به وأسأله : كيف أتصل به عند الضرورة ؟ يقول شيئاً ما على سبيل الجواب ولكنه لا يلبث أن يسقط ميتاً على الفور . لا شك في أننى قد حملته بأسلتي ما لا يطيق . أسألت نفسى بعد موته - موتاً لا يترك في نفسى أى أثر آخر - هل كان ينبغي أن تبقى أرملة الحصن وهلا ينبغي أن أنقل نبأ موته إلى القيادة العليا وأن أتولى قيادة الحصن بعده باعتبارى تاليه في المرتبة . كنت واقفاً بالنافذة أراقب السفن وهى تمر . كانت سفناً تجارية تندفع بسرعة عبر الماء الداكن وكان لبعضها مداخن كبيرة وبعضها الآخر أسطح محدبة (تشبه كل الشبه مباني المحطة في الحلم التمهيدى - غير المذكور) . بعد ذلك يقف أخى بجانبى وينظر كلانا من النافذة إلى القناة . نرتاح لمراى إحدى السفن ونصيح : ها هى ذى السفينة الحربية ! ولكن يتضح أنه لم يكن هناك سوى السفن التى أعرفها من قبل في طريقها إلى العودة . تقبل الآن سفينة صغيرة انقطرت عند الوسط فلم يبق سوى نصفها على نحو يثير الضحك ، نرى على سطحها أشياء غريبة تشبه الفناجين أو اللعب في شكلها . نصيح في صوت واحد : تلك سفينة الإفطار .

إن حركة السفن المسرعة مع لون المياه الأزرق الداكن واللحان الأسمر المتصاعد من المداخل - كل أولئك قد ائتلف ليحدث في النفس شعوراً شديداً التوتر ، قائماً .

ولقد نقلت الأماكن التى ظهرت في الحلم عن رحلات متعددة قمت بها في البحر الأديرياتي (إلى ميرامار - ودونيو والبندقية وآكيليا) . وكانت لا تزال حية في ذاكرتى رحلة ممتعة قمت بها مع أخى إلى آكيليا ، قبل الحلم ببضعة أسابيع . ويحتوى الحلم كذلك على إشارات إلى الحرب البحرية بين أمريكا وأسبانيا وإلى ما أثارته إذ ذاك من القلق على مصير بعض أقاربى ممن يقيمون في أمريكا . وقد ورد ذكر الحالات الوجدانية في موضعين من هذا الحلم : ففي موضع تغيب حالة وجدانية متوقعة ، إذ نص صراحة على

أن موت الحاكم لم يترك أثراً في نفسى ، كما أننى فى موضع آخر - حين أقبلت السفينة الحربية - قد ارتعت لمرآها وشعرت بكل أحاسيس الفرع فى نوى . ووزعت الحالات الوجدانية فى هذا الحلم الحسن التركيب توزيعاً كان من شأنه أن اجتنب كل تناقض يلفت النظر ؛ فلم يكن ثمة سبب يدعونى إلى الفرع من موت الحاكم وكان من المعقول كل المعقولة - وأنا قائد الحصن - أن أفزع لمرأى السفينة الحربية . بيد أن تحليل الحلم بين أن السيد ب . لم يكن إلا بديلاً منى (فى الحلم كنت بديله) ؛ فأنا الحاكم الذى سقط ميتاً ، وأفكار الحلم تلور حول مصير أسمى إذا مت قبل الأوان . تلك كانت بين أفكار الحلم الفكرة الوحيدة الأثيمة ، ولا بد أن الفرع قد فصل منها ثم وصل فى الحلم بمرأى السفينة الحربية . ويبين التحليل من جهة أخرى - أن منطقة أفكار الحلم التى استقيت منها السفينة الحربية كانت تحفل على العكس بأشد الذكريات مرحاً : كان ذلك منذ عام مضى فى البندقية ، وكنا فى صبيحة يوم ساحر جميل ، وقوفاً إلى نوافذ حجرتنا المظلة على الريفأ سكيافونى ننظر عبر البحيرة الزرقاء حيث كانت الحركة فى ذلك اليوم أكثر منها فى كل يوم ؛ فقد كان القوم يتوقعون مقدم بعض السفن الإنجليزية ويتهيأون للاحتفال بها . ثم إذا زوجتى تهتف مريحة كالطفل : « ها هى ذى السفينة الحربية الإنجليزية ! » وإنى أفزع فى الحلم لهذه الكلمات بالذات (وهو مثال آخر على أن أقوال الحلم إنما تستقى من أقوال قيلت فى الحياة [أنظر ص ٤١٩] ، كما أنى لن ألبث دون أن أبين أن العنصر « إنجليزية » لم يفلت هو الآخر من فعل عمل الحلم) . وأنا إذن فى عملية تصوير أفكار الحلم إلى محتوى الحلم الظاهر قد قلبت المرح هنا إلى خوف ، ولست أحتاج إلى غير الإلماع إلى أن هذا القلب نفسه كان يعرب عن جزء من محتوى الحلم الكامن . وأيا كان الأمر ، فهذا المثال دليل على أن عمل الحلم حر فى أن يفصل الحالة الوجدانية من روابطها بأفكار الحلم وفى أن يدرجها بأى موضع يشاء من محتوى الحلم الظاهر .

وأنتهز هذه الفرصة لكى أسوق تحليلاً مفصلاً بعض التفصيل لـ « سفينة الإفطار » التى ظهرت فى الحلم فكان ظهورها خاتمة لا معنى لها لموقف ظل يدار حتى ذلك الحين فى مستوى معقول . لأننى حين أستحضر سفينة الحلم استحضاراً أدق يفجأنى منها أنها كانت سوداء اللون وأنها - نتيجة لكونها قد فطرت فى منتصفها حيث أوسع عرضها - كانت

جمعة الشبه — عند هذا الطرف — بطائفة من أشياء جذبت انتباهنا في متاحف المدن الإترورية : تلك كانت صينيّات من الخرف الأسود ذات مقبضين ، وضعت عليها أشياء تشبه فناجيل القهوة أو الشاي ولا تخلو من كل شبه بأواني الإفطار في مدينتنا الحديثة . فلما استفسرنا علمنا أن تلك كانت عدد « التواليت » لسيدة إترورية بما تحويه من أوعية للدهون والمساحيق ، فقلنا مازحين : إنها تكون فكرة طيبة لو أنا حملنا معنا أحدها لربة المنزل . وعلى ذلك فالسفينة التي تظهر في الحلم كانت تعني « تواليت أسود » ، أي ثوب حداد ، وكانت تشير بإشارة مباشرة إلى الموت . وأما الطرف الآخر لسفينة الحلم فيذكرني بالقوارب الجنازيرية^(١) التي كانت توضع عليها أجسام الموتى ويترك للبحر دفنها . وهذا يؤدي إلى عودة السفينة في الحلم :

« وفي سكون يحمل الماء الشيخ إلى المرسى ، سالماً على قاربه . »^(٢)

إنها عودة من سفينة غارقة ["Schiffbruch" وبالخرف : سفينة مكسورة] ، ولقد كانت سفينة الإفطار مكسورة في منتصفها . ولكن ما منشأ ذلك الاسم : سفينة « الإفطار » ؟ ههنا قد استغل لفظ « الإنجليزية » الذي تركناه عند الحديث عن السفن الحربية . ذلك أن الكلمة الإنجليزية الدالة على « الإفطار » ("breakfast") تعني « كسر الصيام » ، وإن الكسر ليرجع من جديد إلى السفينة الغارقة [وبالخرف : المكسورة] ، بينما يتصل الصيام بالرداء [التواليت] الأسود .

غير أن الحلم لم يتبدع جديداً سوى اسم مركب الإفطار ، فأما الشيء نفسه فقد وجد ، وإنه ليذكرني بجزء من أمتع أجزاء رحلتى الأخيرة . فقد ساورنا الشك في جودة الطعام الذي قد يقدم لنا في آكيليا ، فأحضرنا معنا زاداً من جوريزيا واشترينا في آكيليا زجاجة من نبيذ إيستريا الممتاز . وبينما كانت باخرة البريد الصغيرة تشق طريقها وثيدة في قناة دل مي عبر البحيرة المهجورة إلى جرادو كنا نحن ، الركبان الوحيدان ، نتناول طعام الإفطار على السطح ونحن أشد ما نكون حبوراً ، وكان إفطاراً ندر أن ذقنا مثله من قبل . تلك إذن « سفينة الإفطار » ، ووراء هذه الذكرى من ذكريات الاستمتاع

(١) إن كلمة "Nachen" (القوارب الجنازيرية) قد اشتقت — على ما علمت من صديق فيلولوجي — من الأصل اليوناني nekus (جثة) .

(٢) [Schiller, Nachtrage zu den Xenien]

بالحياة في أنها صورة - وراءها دون غيرها - يخفى الحلم أظلم الأفكار عن غيب مجهول مفارق للمألوف .

إن فصل الحالات الوجدانية المتولدة من أفكار الحلم هو أعجب ما يقع لها في أثناء تكوين الحلم ، ولكنه ليس بالشئ الوحيد الذى يقع لها ، ولا هو أهم ما يعتمدها من التغيير في طريقها من أفكار الحلم إلى الحلم الظاهر . فلو أننا قارنا الحالات الوجدانية التى تصحب أفكار الحلم وبين تلك الظاهرة فيه ، لاتضح أمر على الفور : كلما عرضت في الحلم حالة وجدانية وجدت هذه الحالة في أفكار الحلم ، ولكن العكس غير صحيح . فالحلم بوجه عام أفقر وجداناً من المادة النفسية التى نجم الحلم عن معالجتها ، فأنا في العادة إذ أركب أفكار الحلم من جديد أرى بينها أشد الدوافع النفسية وهى تجهد لى تبلغ الحس وأراها في معظم الأحيان وهى تصارع دوافع غيرها تخالفها مخالفة بينة . فإن رجعت بعد ذلك إلى الحلم ، لم يندر أن أجده حائل اللون ، خالياً من كل نغمة انفعالية ذات شدة يعتد بها . فعلم الحلم لا يهبط إلى مرتبة التساوى بمحتوى أفكارى وحده ، بل إن نغمتها الانفعالية تلقى كذلك ذات المصير في كثير من الأحيان . ولقد يصح القول بأن عمل الحلم يجلب معه قمعاً للحالات الوجدانية . دعنا نأخذ - مثلاً - حلم البحث النبأى : إن الأفكار التى كان يعرب عنها هذا الحلم كانت تقوم في دفاع حار مهتاج عن حريتي في أن أسلك كيفما أختار وفي أن أوجه حياتي على النحو الذى يبدو لى - ولى وحدى - صواباً ، ولكن خرج من ذلك حلم سياه التساوى : كتبت مبحثاً ، المبحث أسمى ، إنه يشتمل على لوحات ملونة ، أرفقت بكل نسخة نباتات مجففة . لى ذلك ما يذكر بالسلام الذى يخيم فوق ساحة قتال انتثرت الجثث في رحابها ؛ فكل أثر ينم عن الصراع الذى دارت رحاه فوق أرضها قد انمحي .

غير أن الأمور قد تختلف : قد تنفذ إلى الحلم نفسه تعبيرات وجدانية مشتدة . سوى أننى أقف في الوقت الحاضر عند تلك الحقيقة التى لا منازعة فيها : أن عدداً كبيراً من الأحلام يبدو متساوياً ، على حين يستحيل أن يلج المرء أفكار الحلم دون أن يتولاه انفعال عميق .

وليس هنا مقام الإتيان بالتعليل النظرى الكامل لما يقع في خلال عمل الحلم من هذا القمع للحالات الوجدانية ؛ فذلك ما يستلزم التمهيد له ببحث من أشق ما يكون في نظرية الحالات الوجدانية وفي ميكانيكيه الكبت [أنظر ص ٥٨٨ وما بعدها] ، وإنما أريد الإدلاء

هنا بفكرتين : إننى مضطر - لأسباب أخرى - إلى أن أتصور انطلاق الحالات الوجدانية فى صورة عملية نازحة عن المركز متجهة إلى داخل الجسم مثل عمليات التعصيب^(١) الحركى والغددى . وكما أن إرسال الدفعات الحركية إلى العالم الخارجى يبدو معطلا فى أثناء حالة النوم ، فإن إثارة الحالات الوجدانية بوساطة التفكير اللاشعورى قد تزيد كذلك صعوبة فى خلال النوم . وفى هذه الحالات تكون الخلجات الوجدانية التى تخطر فى ثنايا أفكار الحلم ضعيفة فى ذاتها وبذاتها ، ومن ثم لا يكون ما ينفذ منها إلى الحلم بأقل ضعفاً . ويلزم من هذه النظرة أن "قمع الحالات الوجدانية" ليس نتيجة لعمل الحلم على الإطلاق ، بل ينجم عن حالة النوم . وقد يكون ذلك صحيحاً ، ولكنه لا يمكن أن يكون كل الحقيقة . فلا بد أن نذكر أن كل حلم - مهما قل حظه من التعقيد - يتبين فى النهاية أنه وليد تصالح بين قوى نفسية متعارضة . فالأفكار التى تبنى بها الرغبة لا تجد مفراً من مكافحة المعارضة المنبعثة من العامل القائم بالرقابة - هذا من جهة . ثم نحن - من جهة أخرى - قد رأينا فى أحيان كثيرة أن التفكير اللاشعورى لا يحوى فكرة إلا كانت مشدودة إلى ضدها الذى ينقضها . وإذا كانت هذه الأفكار جميعاً قادرة على إثارة الحالات الوجدانية فنحن ولا ريب بمأمن من مجانبة الصواب حين نقدر أن قمع الحالات الوجدانية هو نتيجة للكف الذى تعمله هذه الأضداد بعضها فى بعض وتعمله الرقابة فى النوازع المقموعة بوساطتها . وعلى ذلك يكون كف الحالات الوجدانية هو النتيجة الثانية لرقابة الحلم كما كان التشويه الحلمى نتيجة الأولى .

وأسرد هنا مثالا من حلم يسعنا فيه أن نعلل ما يطبع محتوى الحلم من تساوى النغمة الانفعالية بما بين أفكار الحلم من التضاد . إنه حلم قصير يملأ كل قارئ اشمئزازا .

(٤)

تل علاه شيء أشبه بمرحاض فى الهواء الطلق : مقعد طويل جداً فى نهايته ثقب كبير ، غطيت حافته الخلفية بغطاء سميك من أكوام صغيرة من الغائط ، من جميع الأحجام ودرجات الطراجة . وراء المقعد شجيرات .

(١) [فى بيان استخدام فرويد لهذه الكلمة انظر الهامش النى فى ص ٥٢٩ .]

أنبول على المقعد ، يغسل مسيل طويل من البول كل شيء ، فأكوام الغائط تنزاح في يسر وتسقط في الفتحة .
كأنما ظل بعضها متبقياً في النهاية .

لم انتنى عندي كل شعور بالاشمئزاز في خلال هذا الحلم ؟

لأن هذا الحلم — كما يبينه التحليل — قد اشتركت في تكوينه أشد الأفكار مجلبة للسرور وأكثرها بعثاً على الرضى . فما يخطر لى على الفور عند تحليل هذا الحلم هو حظائر أوجياس ^(١) التى نظفها هرقل . وهرقل هذا كان إياى . فأما التل والشجيرات فتأتى من آوسى حيث كان يقيم أطفالى فى ذلك الوقت . وإنى قد اكتشفت أن للعصاب علا تراجع إلى الطفولة وبذلك جنبت أطفالى المرض . وأما المقعد فكان (إذا استثنينا الثقب بالطبع) صورة طبق الأصل من قطعة من الأثاث أهدتها إلى مريضة عارفة للجميل ، وهو — إذن — يذكرنى بمدى التكريم الذى ألقاه من مرضاى . لا ، بل إن متحف البراز الإنسانى نفسه ليجد تفسيراً من شأنه أن يثير سرورى ؛ فإنه — مهما بلغ اشمئزائى منه فى الحياة الواقعة — كان فى الحلم أثراً ذكرورياً من أرض إيطاليا الجميلة حيث تهب المراحيض فى المدن الصغيرة — كما نعلم جميعاً — على هذا النحو عينه . وأما سيل البول الذى يغسل كل شيء فعلامه لا تخطئ على العظمة . فهكذا أطفالاً جاليفر الحريق الكبير الذى شب فى ليليت — وإن يكن هذا العمل قد جر عليه يقيناً غضب الملكة الرقيقة . ولكن جارجتوا — رجل رابليه الفائق — قد أخذ هو الآخر بثأره من أهل باريس بأن امتطى من كنيسة نوتردام وصب سيل بوله على المدينة ^(٢) ولقد اتفق يوم أمس على التحقيق أننى — قبل التوجه إلى الفراش — تصفحت رسوم جارنييه لكتاب رابليه . ومن العجب أن ههنا شاهداً جديداً على أننى الإنسان الفائق : فرصيف نوتردام كان كنى المفضل فى باريس ، كلما فرغت فى عصر يوم جملت هنا وهناك على أبراج الكنيسة بين المسوخ والشياطين . فأما اختفاء كل الغائط بتلك السرعة تحت سيل البول فيذكر بشعار ” نفخ فتبعثروا ” الذى كنت انتويت أن أتخذه عنواناً لفصل فى علاج الهستيريا .
[أنظر ص ٢٣٤ .]

وعلينا الآن بالمناسبة الحافزة على الحلم . كان ذلك فى عصر يوم قانظ من أيام

(١) [ملك أغرت الأساطير فى وصف ثروته حتى قيل : إن البراز المتراكم فى حظائره قد بلغ عنان السماء لكثرة مواشيه . ولم يستطع تنظيفها إلا هرقل .]

(٢) [أنظر الهامش ٤ فى ص ٢٣٥ .]

الصيف ، وكنت — بعد الظهر — قد ألقيت محاضرتي في الصلة بين المستريا والانحرافات الجنسية . وكان كل ما قلته يبعث الاستياء في نفسي ويبدو لي مجرداً من القيمة كل التجرد . كنت متعباً لا أستشعر أثراً من السرور بعملى المضنى ، تواقاً إلى البعد عن هذا التنبيش في القاذورات الإنسانية إلى حيث يقيم أبنائى ثم — بعد ذلك — إلى روائع إيطاليا . وفى هذا المزاج مضيت من قاعة المحاضرة إلى أحد المقاهى حيث تناولت لقمة متواضعة ؛ فلم تكن بى شهية إلى الطعام . بيد أن واحداً من مستمعى جاء معى ورجا منى أن أدعه يجلس إلى جانبي ريثما أحتسى قهوتي وأتبلغ كسرتى ، ثم أخذ يتملقنى : كم من أشياء تعلمها منى ، وكيف أصبح ينظر إلى الأشياء بعين جديدة ، كيف نظفت حظائر أوجياس من الأخطاء ومن الآراء السابقة بنظرتي عن الأعصبة ، وبالاختصار قال قال لى : إننى رجل عظيم جداً . ولم أكن فى مزاج يتفق وهذا التقريظ ، فغالبت شعورى بالاشمئزاز ثم ذهبت إلى المنزل مبكراً لكى أفلت منه . وكان أن تصفحت رابليه قبل الذهاب إلى الفراش وقرأت قصة قصيرة من قصص ك. ن . ماير بعنوان ” أحزان صبي ” .

تلك هى المادة التى خرج منها الحلم . أضف أن قصة ماير القصيرة قد أثارت فى نفسى ذكريات عن مشاهد من الطفولة (أنظر الجزء الأخير من حلم الكونت تون [ص ٢٣٥]) . ولقد استمر فى الحلم مزاج النفور والاشمئزاز الذى عرفته فى خلال النهار ، حتى أنه زود الحلم بكل مادة محتواه الظاهر تقريباً . سوى أن مزاجاً مضاداً من تأكيد الذات تأكيداً قوياً بل مغالياً قد استيقظ فى أثناء الليل ونحى الأول دون أن يبطله . ولم يكن لمحتوى الحلم بد من أن يجد صورة تمكنه من الإعراب عن هجاس الشعور بالضالة وعن جنون العظمة فى آن واحد . وكان من نتيجة هذا التلاقى محتوى حلمى طابعه الاشتراك ، ولكن نجمت كذلك نغمة انفعالية متساوية نتيجة للكف المتبادل بين الأضداد .

ولو أخذنا بنظرية تحقيق الرغبة لزم أن هذا الحلم ما كان يتيسر لولا أن الأفكار المضادة الصادرة عن جنون العظمة (وهى أفكار كانت تقع تحت وطأة القمع من غير شك سوى أنها كانت ذات طابع لاذ) قد انبعثت إلى جانب الشعور بالاشمئزاز . فها هو أليم يجب ألا يصور فى الحلم ، وكل ما يؤلم من أفكارنا الحلمية لا ينفذ إلى الحلم إلا إذا هو أسلم فى الوقت نفسه قناعاً يتقنع به تحقيق رغبة ما .

وهناك بعد ذلك طريقة أخرى يستطيع بها عمل الحلم معالجة الحالات الوجدانية المتضمنة بين أفكار الحلم — إلى جانب تركها تشق طريقها أو سلبها كل حِدَّة، تلك هي : قلبها إلى ضدها .

فقد عرفنا من قبل [ص ٣٤٩] تلك القاعدة التفسيرية : أن كل عنصر — من حيث تفسيره — قد يعرب عن ضده كما يعرب عن نفسه . ولسنا نستطيع أن نعلم مقدماً بأى الطرفين نأخذ ، وإنما الفصل للسياق ، ومن الواضح أن الشعور الشعبي قد أحس هذه الحقيقة ؛ فكتب الأحلام تنهج في تفاسيرها وفق مبدأ الأضداد في كثير من الأحيان . والذي يجعل هذا القلب إلى الضد شيئاً ممكناً هو هذه الرابطة الاستدعائية الباطنة التي تربط في فكرنا بين فكرتنا عن شيء وبين ضدها . وهذا القلب — شأنه شأن أى نوع آخر من أنواع النقل — قد يخدم أغراض الرقابة ، ولكنه قد يكون أيضاً — في أحيان كثيرة — وليد تحقيق الرغبة ؛ فما تحقيق الرغبة إلا أن تستبدل بشيء مستكره ضده . وإذا كانت أفكارنا المعربة عن الأشياء قد تظهر في الحلم مقلوبة إلى ضدها ، فكذلك الحالات الوجدانية المرتبطة بأفكار الحلم ، والراجع — فيما يبدو — هو أن هذا القلب للحالة الوجدانية يحمي نتيجة لرقابة الحلم ، أو تلك هي القاعدة . ونحن في الحياة الاجتماعية — تلك الحياة التي تزودنا بتشبيها المألوف لرقابة الحلم — نلجأ كذلك إلى قمع حالاتنا الوجدانية كما نلجأ إلى قلبها ، مستهدفين في ذلك الاستخفاء أولاً . فإذا كنت أحدث شخصاً تحملني الضرورة على مداراته بينما رغبتي هي أن أرميه بكلمة عداء ، فإن إخفاء كل تعبير عن حالتي الوجدانية أمر يكاد يفوق في أهميته وفي لزومه تخفيف العبارة اللغوية عن أفكارى ؛ فإني إذا خاطبته بكلمات لا تجانب الأدب ولكنها تصطحب بنظرة أو بإشارة من الكراهية والاحتقار ، لم يختلف التأثير الذي أحدثه في نفسه منه لو أنني رميته باحتقارى مجاهرة . وعلى ذلك كانت الرقابة تأمرني أن أقمع حالاتي الوجدانية قبل كل شيء . فإن كنت معلماً في فن الاستخفاء تلبست بالحالة المضادة : أبسم وأنا غاضب ، وأظهر الود ورغبتي الدمار .

ولقد مر بنا من قبل مثال ملحوظ على مثل هذا القلب للحالة الوجدانية يقع في الحلم نتيجة للرقابة . ففي حلم "عمى ذى اللحية الصفراء" [ص ١٦٢] أحسست أكبر الود نحو

صديق ر . ، بينما كنت أدعوه في أفكار الحلم مغفلاً ، ولأننى كنت أدعوه كذلك . وقد كان من هذا المثال على قلب الحالة الوجدانية أننا خرجنا بأول إشارة إلى وجود رقابة الحلم . وهنا أيضاً ما من ضرورة تدعونا إلى أن نفترض أن عمل الحلم يخلق مثل هذه الحالة الوجدانية من عدم ، بل القاعدة هى أنه يراها في متناول يده بين أفكار الحلم ، كل الأمر أنه يزيدها شدة على شدة بالقوة النفسية التى للدافع الدفاع ، حتى تصير لها الغلبة في تكوين الحلم . فالراجع في حلم عمى الذى ذكرته هو أن الحالة الوجدانية المضادة — الحنان — قد انبعثت من مصدر طفلى (كما أوحاه الجزء الأخير من الحلم) ؛ لأن علاقة العم وابن الأخ قد صارت المنهل الذى ترد منه كل صداقاتى وعداواتى ، نتيجة للطابع الخاص الذى كان لأوائل خبراتى في عهد الطفولة . [أنظر التحليل المساق في ص ٢٤ وما بعدها .]

ونجد مثالا ملحوظاً على مثل هذا القلب للحالة الوجدانية في حلم رواه فروتسى (١٩١٦) ، قال : « استيقظ سيد متقدماً في السن ذات ليلة ، أيقظته زوجته المذعورة ؛ لأنه كان يضحك في نومه ضحكاً صاخباً مطلقاً . وقد ذكر الرجل بعد ذلك أنه كان يحلم الحلم الآتى : كنت راقد في سريرى ثم دخل الغرفة سيد أعرفه ، حاولت أن أدير النور ولكننى لم أستطع . كررت المحاولة فلم تجد . عندئذ نهضت زوجتى لمعاونتى ، ولكنها عجزت هى الأخرى . تنزل في النهاية عن محاولتها وتعود إلى فراشها لأنها كانت تشعر بالخجل أمام السيد لتجردها من الرداء بعض التجرد . وكان هذا كله شيئاً مضحكاً حتى لم أملك إلا أن أضحك ضحكاً مدوياً . وسألتنى زوجى : ولم تضحك ؟ لم تضحك ؟ ، ولكن ذلك لم يزدنى إلا ضحكاً حتى استيقظت . — وفي غداة هذا الحلم كان السيد يشعر باكتئاب وصداق ؛ فكل هذا الضحك قد كربه — أو هكذا ظن .

« إن هذا الحلم ليس بالحلم السار إلى المدى الذى يبدو ، لو بحثناه بحثاً تحليلياً ؛ نفسياً ؛ لأن ' السيد المعروف ' الذى دخل الحجرة كان في أفكار الحلم صورة للموت باعتباره ' المجهول الأكبر ' — وهى صورة طافت بخلدته في اليوم الذى سبق الحلم ؛ فقد وقع لهذا السيد المسن — وهو يشكو تصلب الشرايين — ما دعاه في اليوم السابق إلى التفكير في الموت . ولقد حل الضحك المطلق محل النحيب والبكاء لفكرة موته المخوم ، ونور الحياة هو هذا الذى لم يعد يستطيع إدارته . ولعل هذه الفكرة المظلمة قد ارتبطت بمحاولات في الجماع بنذها قبيل نومه دون أن يصيب توفيقاً وإن عاونه زوجته وهى متجردة ، فلحظ أنه قد أخذ في الأفل . بيد أن الحلم أفلح في تحويل هذه الفكرة المظلمة عن العنة

والموت إلى مشهد هزلى ، والنحيب حال إلى ضحك . »

وهناك طبقة من الأحلام تستحق بنوع خاص أن توصف بكونها أحلاماً " منافقة " ، ثم هى محك صعب لنظرية تحقيق الرغبة . ولقد اتجه انتباهى إلى هذه الأحلام حين أتت السيدة الطيبية م. هيلفردينج بالحلم الآتى من أحلام روزجر^(١) لمناقشته فى " جمعية فيينا للتحليل النفسى " .

يقول روزجر فى قصته " مطرود " ^(٢) : « إني أنعم عادة بنوم عميق ، ومع هذا ما أكثر الليلالى التى لم أذق فيها راحة ! — لأننى ، إلى جانب بدايتى المتواضعة طالباً وأديباً ظللت أجز معى سنوات طويلاً ظل حياتى وأنا طرزى ، مثل شبح لا أستطيع الخلاص منه .

« ولا يعنى ذلك أننى فى خلال النهار ، كنت أشغل بأيامى الماضية انشغالا كثيراً أو كبيراً ؛ فمن نزع عن نفسه جلد الفلستينى^(٣) وراح يغزو الأرض والسماء يتجه بهيمته إلى أمور أخرى . ولا كنت أكاد — وأنا فى مرح مقدم — أفكر لحظة فيما يزورنى فى جنح الليل من الأحلام . ولكننى بعد ذلك ، حين اعتدت أن أفكر فى كل شيء ، أو حين أخذ الفلستينى الكامن فى يخلج قليلاً ، حينئذ فقط ساءلت نفسى : لم كنت ، إذا حلمت على الإطلاق ، رأيتنى طرزياً أجيراً ورأيتنى — وأنا كذلك — أقضى الساعات الطوال إلى جانب معلمى أعمل فى دكانه من غير أجر ؟ كنت أعلم حق العلم ، وأنا جالس إلى جانبه أخيط وأكوى ، أن مكافئ الصحيح لم يعد هناك ، وأن أمامى — وأنا الحضرى — أمور أخرى أشغل بها . بيد أننى كنت دائماً فى إجازة ، وكان الوقت دائماً وقت إجازة الصيف . ولهذا كنت هناك بجانب معلمى أعاونه . وكان هذا الوقت المضيع الذى كان يسعنى أن أصنع فى أثنائه أموراً أخرى أكرم وأنفع ، كان يمضى وكنت أتحرر عليه . وكنت بين الحين والحين ، إذا لم تجر الأمور على ما يرام ، أصغر كارهاً للملامة من معلمى ، وأما الأجر فما من كلمة عنه . ولكم عزمت وأنا جالس محنى

(١) [هو پيتر روزجر (١٨٤٣ - ١٩١٨) كاتب نمسوى معروف بلغ ذرى الشهرة بعد نشأة ريفية

متواضعة .]

(٢) ["Fremd gemacht"] "Waldheimat" ، الجزء الثانى ، ص ٣٠٣ .

(٣) [Der Philister — لفظ كان الطلبة الألمان يطلقونه فى شيء من التحقير على كل من خرج عن

الدوائر الجامعية وعلى التجار بنوع خاص ، على نحو ما يقول الفرنسيون أحياناً : " بورجوا " .]

الظهر في الدكان المظلم على أن أترك العمل وأغادر المكان . لا ، بل إنى أقدمت على ذلك مرة . ولكن المعلم أخذ الأمر كأه لم يكن ولم ألبث أن رأيتني جالساً من جديد إلى جواره وأخيط .

« وكـم كانت اليقظة حلوة بعد هذه الساعات الثقـال . كنت أعقد العزم بعدها إذا عادنى هذا الحلم اللجوج إلا أن أطرحه طرح النواة وأن أصبح بأعلى صوتى : إن هذه إلا أضغاث أحلام ، إنى راقـد فى سريرى أبتغى النوم . . ولكن تأتى الليلة التالية ، فإذا أنا جالس فى دكان الطرزي مرة أخرى .

« وهكذا دام الأمر سنوات فى اطراد يشيع العجب . ثم حدث مرة أننا كنا — معلمى وأنا — نعمل فى بيت أبلهوفر (وهو الفلاح الذى اشتغلت فى داره حين عملت أجيراً للمرة الأولى) ، وأبـدى معلمى استياء من عملى فوق استياءه المألوف ، فقال لى : أريد أن أعلم أين رأسك ! ، ثم نظر إلى نظرة مغبرة . وفكرت فى أن أصوب ما أستطيع صنعه هو أن أنهض واقفاً وأن أعلنه أننى لا أمكث معه إلا توخياً لمرضاته ثم أبرح . ولكننى لم أصنع شيئاً من ذلك . ولا أنا أبديت أقل اعتراض حين أخذ معلمى أجيراً آخر وأمرنى أن أترك له مقعدى ، بل انزويت فى الركن وأخذت أخيط . وفى هذا اليوم عينه ألحقى المعلم بالعمل أجيراً آخر ، رجلاً ذا ورع زائف ، هو الغجرى الذى عمل فى محلنا منذ تسعة عشرة عاماً ثم وقع مرة فى النهر وهو راجع من المنزل . فلما أجال الأجير الحديد بصره يلتمس مقعداً لم يكن فى المكان محل . ونظرت إلى معلمى أسأل فقال لى : إنك لا تصلح للخياطة ، لك أن ترحل ، أنت مطرود . — وعندئذ أحسبت ذعراً طاغياً حتى أننى هـيبت مستيقظاً .

« كان ضوء المصباح الرمادى يلمع من خلال الستائر المسدلة نافذاً إلى غرفتى الأليفة ، وكانت روائع الفن تحف بى : ها هم أولاء فى صوان كتبى الأنيق هومير الخالد ودانته العملاق وشكسبير المنقطع النظر وجوته الماجد ، الخالدون العظام جميعهم . وفى الحجرة المجاورة ترن أصوات جليلة طرية ، أصوات أبنائى الصغار وهم يستيقظون ويمازحون أمهم . لكأنى اكتشفت من جديد هذه الحياة الحلوة كعيش الرعاة ، الوداعة ، الشاعرة ، الروحية ، التى عرفت فيها السعادة الإنسانية التأملية وذقتها ذوقاً عميقاً . ومع هذا ، كان يغضبـنى أننى لم أسبق معلمى فأتركه مختاراً ، بل شيعت مطروداً .

« ثم كم كان دهشى بعد ذلك : ففند الليلة التى طردنى فيها معلمى وأنا أنعم بالسلام ، لم أعد أحلم بأيام الطرزى المستكنة من ورائى فى الماضى السحيق ، تلك الأيام التى كانت - والحق يقال - أياماً هائلة فى خلوها من كل اقتضاء ولكنها ظلت تنشر فوق مستأنف سنوائى كل هذا الظل القائم الممدود . »

إن من الصعب أن نتبين أين تحقيق الرغبة فى هذه السلسلة من الأحلام التى أتاها مؤلف كان فى صباه طرزيًا أجيراً . فكل سعادة الحالم كائنة فى حياته التى يحياها بالنهار فى حين يصير الحلم على ملاحقته بشبح حياته الشقية التى لم يخرج منها إلا بشق النفس . ولكن أحلاماً لى تماثل هذه فى النوع قد مكنتنى من ألقى بعض الضوء على هذا الموضوع . ذلك أننى عملت زمناً طويلاً - وأنا طبيب شاب - فى معهد كيميائى دون أن أبرز يوماً بموهبة من الموهبات التى يقتضيها هذا العلم . ولهذا كنت دائماً فى حياتى المستيقظة أصدف عن التفكير فى هذه الفترة العقيمة والمذلة بحق فى تاريخ تعلمى . بيد أننى - من جهة أخرى - كنت أحلم مراراً بأننى أعمل فى المعمل وأقوم بالتحليلات وأجرى مختلف التجارب . هذه الأحلام أحلام مستكرهة على نحو ما كانت أحلام الامتحان ثم هى لا تجيء متميزة أبداً . وكنت أفسر أحدها حين جذبت انتباهى كلمة " تحليل " التى أعطتنى المفتاح إلى فهمها . ففند هاته الأيام صرت « محللاً » وإنى لأقوم اليوم بتحليلات تلقى تقديراً رفيعاً وإن تكن يقيناً تحليلات نفسية . وهكذا فهمت السر : إذا كنت أستشعر الفخر فى حياتى النهارية لأننى أنوم بتحليلات من هذا القبيل وأحس نزوعاً إلى أن أباهى نفسى بمدى ما صرت إليه من النجاح ، فإن أحلامى تذكرنى فى أثناء الليل بهاته التحليلات الأخرى المخففة ، الخالية من كل وجه يدعو إلى الافتخار ؛ إنها أحلام عقاب تنزل بحديث النعمة مثل أحلام الطرزى الأجير الذى صار مؤلفاً ذائع الصيب . ولكن كيف يتسنى لحلم وسط هذا الصراع بين غرور حديث النعمة وبين نقده لنفسه أن ينحاز إلى جانب هذا النقد وأن يختار محتواه تحذيراً معقولاً بدل التحقيق غير المشروع لرغبة من الرغبات ؟ لقد ذكرت من قبل أن الإجابة عن هذا السؤال تثير صعوبات شتى ولكننا نستطيع أن نستنتج أن أساس الحلم كان فى أول الأمر تخيلاً طامحاً ، مغرقاً فى الطموح ، ثم نفذت إلى الحلم بدل ذلك أفكار مذلة جاءت فألقت ماء بارداً على هذا التخييل . فلا ننسى أن بالنفس دوافع ماسوشية قد تكون هى السبب فى مثل هذا القلب . ولست

أرى ما يمنع دون تمييز هذه الأحلام من أحلام "تحقيق الرغبة" تحت عنوان "أحلام العقاب" ، فما كنت لأرتأى في هذه التفرقة قيداً يحد نظرية الحلم التي لم أزل أعرضها ، بل هي تنازل لفظي محض تجاه وجهة النظر التي ترى في اجتماع الأضداد شيئاً عجيباً^(١) . ثم إن إمعان النظر في بعض الأحلام التي من هذه الطبقة يلقي الضوء على شيء آخر . فقد جاء في هامش أحد أحلامي عن المعمل جزء غير متميز بلوت فيه وأنا في هاته السن التي عرفت فيها على التحقيق أظلم سنوات حياتي الطبية وأقلها حظاً من النجاح : كنت لا أزال بغير وظيفة ، لا أعرف كيف أرزق . ولكن تكشف لي فجأة أنني كنت إذ ذاك لا أزال أملك الخيار بين أكثر من امرأة أستطيع الزواج بها ! أي أنني كنت شاباً من جديد ثم - قبل كل شيء - كانت أيضاً شابة من جديد الزوجة التي شاركتني كل هاته السنوات الصعاب . وهكذا تجلى أن الباعث اللاشعوري على الحلم كان رغبة من هذه الرغبات التي لا ينى عن أن يتلظى بها قلب الرجل الذي تتقدم به السن . فالصراع الناشب في طبقات أخرى من النفس بين غرور الإنسان ونقده نفسه هو الذي حدد محتوى الحلم ، هذا صحيح . ولكن الرغبة في الشباب - هذه الرغبة الأعمق جذوراً - هي وحدها التي مكنت لهذا الصراع سبل الظهور في صورة الحلم . ولإنا - بين الحين والحين - لنحدث أنفسنا قائلين : " كل شيء اليوم على أحسن ما يكون ، وزمان الصعاب قد انقضى ، ومع هذا كم كانت جميلة تلك الأيام ، كنت لم تزل شاباً فتياً . " ووقعت لي طائفة أخرى من الأحلام عرفت فيها طابع النفاق^(٢) ، يدور محتواها حول مصالحة أناس انقطعت أسباب الصداقة بين الحالم وبينهم منذ زمن بعيد : في مثل هذه الحالات يكشف التحليل عادة عن دافع يحث المرء على أن يطرح البقية الباقية مما يكنه من الرعاية لهؤلاء الأصدقاء القدماء وعلى معاملتهم معاملة الغرباء والأعداء . ولكن الحلم يؤثر إلا أن يصور العلاقة المضادة .

ومن الحكمة حين نكون رأياً يتصل بأحلام رواها كاتب مبدع أن نفترض أنه

(١) منذ قسم التحليل النفسي الشخصية إلى أنا وأنا أعلى (فرويد ١٩١٢ ج [وأيضاً ١٩٢٣ ب]) صار من السهل أن نعرف أن أحلام العقاب هذه تحقق رغبات الأنا الأعلى .

(١) [أضيفت هذه الفقرة عام ١٩١٩ ، والظاهر أنها أضيفت في غير موضعها ؛ وربما كان موضعها الصحيح بعد الفقرتين التاليتين . ومن المؤكد أن فرويد يشير هنا إلى حلم يتصل بفائس بعد أن انقطعت أسباب الصداقة بينهما .]

قد حذف في خلال روايته تفاصيل من محتوى الحلم لاحت له غير جوهرية أوقد تبدد الانتباه ، وفي هذه الحالة تثير أحلامه مشكلات قد كان يسهل حلها لو أنه أورد محتواها كاملا .

وقد نهى أوتورانك إلى أن قصة جريم عن الطرزي الصغير الجسور أو "سبعة في ضربة واحدة" قد حوت حلماً مماثلاً كل الماثلة يأتيه حديث نعمة : ففيها نرى الطرزي الذي أصبح بطلاً وصهراً للملك يحلم ذات ليلة بحرفته القديمة وزوجه الأميرة راقدة إلى جواره . وترتاب هذه في الأمر فتأتى بحراس مدججين توقفهم لكي يسترقوا السمع في الليلة التالية ويلقوا القبض عليه . ولكن الطرزي الصغير يجد من يحذره فيعرف بعد ذلك كيف يصحح حلمه .

إن العمليات المعقدة التي تحول بواسطتها الحالات الوجدانية المتضمنة في أفكار الحلم إلى تلك الظاهرة فيه — عمليات الاستبعاد والانتقاص والقلب — يمكن تأثرها على نحو مرض في مؤلفات حلمية مناسبة سبق تحليلها تحليلًا وافيًا . وسأنتخب الآن بضعة أمثلة أخرى على الحالات الوجدانية في الحلم ، أمثلة نرى فيها الإمكانات التي أحصيتها وقد تحققت .

(٥)

إذا عدنا إلى حلم المهمة العجيبة التي كلفني إياها بروكيه الشيخ — أن أُشَرِّحَ حوضي [ص ٤٥١] — رأينا أنني قد افترقت في الحلم نفسه ما كان يتلائم ومثل هذه المهمة من الشعور بالفضاعة . وأضيف الآن أن ذلك كان يحقق رغبة بأكثر من معنى . فالتشريح كان يعنى تحليل النفسى الذى أقوم به كأنما كان ذلك من أجل نشر هذا الكتاب — وهو أمر كان يؤلمنى في الحقيقة حتى أنني أجلت طبع المخطوط سنة أخرى بعد الفراغ منه . وهنا انبعثت الرغبة في أن أتغلب على هذه الكراهية ؛ فلم أشعر في الحلم بفضاعة ما . ولكننى أود كذلك لو أفلت من هذه الفضاعة ["Grauen"] بالمعنى الآخر للكلمة [وهو الشيب] ؛ فقد أخذ شعرى يضرب إلى المشيب ، وهذا الشيب يذكرنى كذلك بأن أكف عن الإرجاء . ونحن نعلم أن هذا الخاطر : أنني قد أضطر إلى أن أترك لأبنائى تحقيق الهدف الذى لم أبلغه من رحلتى الصعبة — قد نفذ إلى التصور عند خاتمة الحلم .

دعنا الآن نبحث الحلمين اللذين نقلنا تعبير الرضا إلى اللحظة التي أعقبت
 اليقظة مباشرة . لقد نسب الرضا في حالة إلى ما توقعته من كشف وشيك عن
 معنى « قد حلمت بذلك من قبل » بينما كان هذا الرضا يشير في حقيقة الأمر إلى
 مولد أولادى الأوائل [ص ٤٤٥] ، ونسب الرضا في الحالة الثانية إلى أن « وعدا »
 قد تحقق بينما كانت الإشارة الصحيحة في هذا الحلم أشبه بها في سابقه ، فلم يكن الرضا
 إلا هذا الذى هلت به لمولد ابني الثانى [ص ٤٤٦] . وهكذا نجد هنا أن الحالات الوجدانية
 المسيطرة في أفكار الحلم قد بقيت في الحلمين ، ولكن أكبر الظن أنه ما من حلم تجرى
 فيه الأمور على هذا النحو من البساطة . فلو أننا تعمقنا تحليل هذين الحلمين قليلا لعلمنا
 أن هذا الرضا الذى يفلت من الرقابة قد لقي تعزيزاً من مصدر آخر كان من شأنه
 أن يخشى الرقابة وما كانت الحالة الوجدانية المنبعثة منه لتلقى من غير شك سوى المعارضة ،
 لولا أنها استترت وراء حالة الرضا المماثلة ، المشروعة ، المستقاة من مصدر لا اعتراض
 عليه ، وبذا تسلت — إن جاز التعبير — تحت جناحها . ولست أستطيع لسوء الحظ
 أن أوضح ذلك في صدد هذين الحلمين بالذات ، ولكن ها هوذا مثال مستمد من
 مجال آخر يوضح معنای : دعنا نفترض الموقف الآتى : هب بين معارفى شخصاً
 أضمر له الكراهية بحيث أحس نزوعاً قوياً إلى الاغتياب كلما خالفت الأمور مشتهاه ،
 ولكن الجانب الخلقى في طبيعتى لا يفسح الطريق لمثل هذا الشعور فلا أجرؤ على أن
 أعرب عن رغبة في أن يعثر حظه ، وإن أصابه مكروه غير مستحق تكلفت مظاهر
 الأسف وأفكاره — كل إنسان قد رأى نفسه في هذا الموقف يوماً ما . والآن هب أن هذا
 الشخص المكروه قد جر على نفسه ضرراً مستحقاً لعرة من جانبه : إن الذى يحدث عندئذ
 هو أننى أطلق العنان لرضائى عن كونه قد لقي عقاباً عادلاً ، وإنى لأرانى متفقاً في ذلك مع
 أناس غيرى كثيرين ، لا شبهة في إنصافهم . بيد أننى قد ألحظ أن رضائى هذا يبدو
 أكثر شدة من رضا هؤلاء الآخرين ؛ فهو قد لقي تعزيزاً من مصدر الكراهية الذى ظل
 حتى ذلك الحين لا يجد سبيلا إلى إحداث أثره الوجدانى لضغط الرقابة الداخلية ، ولكنه
 — وقد تغيرت الملابسات — لم يعد يصادف مثل هذا الحائل . وذلك هو ما يحدث في
 الحياة الاجتماعية عامة كلما جانب الحق أناس مستقلون أو أفراد متممون إلى أقلية
 مبغضة . فعقابهم لا يقابل في العادة جرمهم ، بل جرمهم مضافاً إليه هذا القسط من

الضغن المكنون نحوهم والذي ظل من قبل لا يحدث أثراً . ولا شك في أن من يوقعون عليهم القصاص يرتكبون في ذلك جوراً ، ولكن يحول بينهم وبين إدراك جورهم هذا الرضا الناجم عن إزاحة القمع الذي ظلوا يتكلفونه زمناً طويلاً . والحالة الوجدانية في مثل هذه الأحوال حالة لها ما يبررها من حيث الكيف ولكنها ليست كذلك من حيث مقدارها . سوى أن نقد الإنسان نفسه إذ يهدأ من ناحية لا يستشعر كبير ميل إلى مراجعة الأخرى . وما أن تفتح باباً حتى يتسع اقتحامه لعدد من الناس أكبر ممن كنت تتوى في البدء تركهم يدخلون .

وعلى هذا النحو يجب أن نعلل سمة عجيبة في طبع العصائين — وذلك بقدر ما تسمح هذه السمة بأى تعليل نفسى على الإطلاق — وأعنى بها أن العلل القادرة على إطلاق حالة وجدانية معينة تحدث عندهم نتيجة لها مبررها من حيث الكيف ولكنها مفرطة من حيث الكم . ذلك أن الإفراط ينجم هنا عن منابع لا شعورية ، بقيت مقموعة حتى ذلك الحين ، ولكنها أفلحت في أن تجد روابط استدعائية تصل ما بينها وبين المناسبة المدركة في الواقع ، وبذلك فتح هذا المصدر الأخير المشروع الذى لا غبار عليه سبيل الانطلاق أمام الحالات الوجدانية المرتبطة بهاته المنابع . وفى ذلك ما ينبها إلى أننا حين ندرس العلاقة بين العاملين القامع والمقموع يجب ألا ننظر إلى هذه العلاقة كما لو كانت علاقة كف متبادل وحسب ، بل يجب أن نوجه قسماً مساوياً من انتباهنا إلى الحالات التى يجتمع فيها كلا العاملين على إحداث نتيجة مَرَضِيَّة بأن يعملوا جنباً إلى جنب وبأن يعزز كل منهما الآخر . ولنستخدم الآن هذه الملاحظات العابرة حول ميكانيكيات الحياة النفسية في فهم التعبيرات الوجدانية في الحلم : إذا عرضت في الحلم حالة من الرضا وأمكن بالطبع أن نكشف على الفور عن مكانها بين أفكار الحلم ، فهذا الكشف وحده لا يغنى دائماً في تعليل هذه الحالة تعليلاً تاماً ، بل القاعدة هى أن يستلزم تعليلها التام البحث عن مصدر آخر لها ، واقع تحت ضغط الرقابة — مصدر كان من شأنه وهو تحت هذا الضغط ألا يجلب الرضا بل ضده ، لولا أن مجيء المصدر الحلقى الأول قد أتاح له الإفلات بالحالة الوجدانية الناجمة عن إرضائه من وطأة الكبت وأتاح له تركها تنطلق باعتبارها معزراً لحالة الرضا المنبعثة من المصدر الأول . وبذا يتبين أن الحالات الوجدانية في الحلم ترد من عدة من المنابع المتلاقية وأنها كثيرة الحتم من حيث علاقتها بمادة أفكار

الحلم : فى خلال عمل الحلم تجتمع على إحداث حالة وجدانية معينة جميع المصادر القادرة على توليد هذه الحالة ^(١).

إننا نستطيع أن ننفذ ببصرنا قليلا فى هذه العلاقات المعقدة ، إذا حللنا هذا النموذج الحلمى البديع الذى كونت كلمتا "Non vixit" منطقته الرئيسة [ص ٤٢١ وما بعدها] . فقد اجتمعت فى موضعين من المحتوى الظاهر لهذا الحلم تعبيرات وجدانية مختلفة الكيف . فى الموضع الذى أعدمت فيه صديقى وخصمى بهاتين الكلمتين تراكت فى نفسى مشاعر من العداء والألم جميعاً (" وليتنى انفعالات غريبة " - تلك كانت كلمات الحلم) . ثم عند نهاية الحلم يتولانى فرح عظيم وأذهب إلى تأييد تلك الإمكانية التى أعلم فى الحياة المستيقظة بطلانها : أن يكون ثمت عائدون يسهل محوهم برغبة ليس غير .

غير أننى لم أرو بعد مناسبة الحلم . وهى مع ذلك ذات أهمية جوهرية وتذهب بنا شوطاً بعيداً فى فهم الحلم : فقد كنت سمعت أن صديقى الذى يقطن برلين (والذى أشرت إليه بحرف ف . [أى فليس] كان مقبلاً على عملية جراحية وأن أحد أقاربه القاطنين بقيينا سوف يحمل إلى ما يجد من أنباء حالته الصحية . وكانت الأنباء الأولى بعد العملية غير مطمئنة ، فثار قلقي . وكنت أفضل لو أمكننى الذهاب إليه بنفسى ، ولكننى كنت فى ذلك الوقت بالذات فريسة لشكاة موجعة صارت معها كل حركة تصدر عني عذاباً على . وإنى أعلم الآن من أفكار الحلم أنى كنت خائفاً على حياة صديقى ! فقد ماتت أخته التى لم أعرفها قط وهى - على ما علمت - فى باكورة الشباب ، بعد مرض قصير جداً (فى الحلم : يتحدث ف . عن أخته ويقول : إنها ماتت فى خمس وأربعين دقيقة) ولا بد أننى تخيلت أن بنية صديقى لا تزيد كثيراً من حيث قدرة الاحتمال على بنية أخته وأن الأنباء قد تسوء كثيراً فأضطر فى النهاية إلى السفر وأصل متأخراً ويكون ذلك شيئاً لا أكف مدى الحياة عن مؤاخذه نفسى عليه ^(٢) . ولقد صارت هذه المؤاخذه على التأخر فى الوصول هى النقطة الرئيسة فى الحلم ، إلا أنها صورت بوساطة المشهد الذى

(١) وعلى هذا النحو عللت الأثر اللاذخ الحارق القوة الذى تحدثه النكات المغرضة [فرويد ١٩٠٥ ج ، فى نهاية الفصل الرابع .]

(٢) إن هذا التخيل الذى كان يكون جزءاً من أفكار الحلم اللاشعورية هو الذى كان يتطلب وضع "non vivit" بدل "non vixit" [" غير حى " بدل " لم يحيى "] : " لقد جئت متأخراً ، إنه الآن غير حى . " وسبق أن وضحت فى صفحة ٤٢٤ أن محتوى الظاهر كان يتطلب أيضاً "non vivit" .

رأيتني فيه طالباً ورأيت أستاذي المبجل بروكه يصوب إلى اللوم بنظرة مروعة من عينيه الزرقاوين - ولن نلبث طويلاً دون أن نرى ما الذي عرج بالموقف [المتخيل بإزاء فليس] هذا التعرّيج . ولم يكن من المستطاع أن يستحضر الحلم المشهد [الذي وقع مع بروكه] على الصورة التي عشته فيها ، فكان أن تركت العينين الزرقاوين للوجه الآخر [ب . ا] ولكن الإعدام وكل إلى - وهو قلب لا يخفى أنه قد جاء بفعل تحقيق الرغبة . فقلقي على صحة صديقي ومؤاخذتي نفسي على كوني لا أذهب إليه وخجلي من جراء ذلك - جاء إلى فيينا (ليراني) خلصة - ثم الحاجة إلى أن ينفع مرضى في عذري ، كل أولئك قد اجتمع على إحداث الزوبعة الانفعالية التي استشرعتها بجلاء في خلال النوم والتي كانت تعصف في هذه المنطقة من أفكار الحلم .

ولكن مناسبة الحلم قد تضمنت شيئاً آخر كان له في نفسي أثر مخالف كل المخالفة . فالأخبار غير المطمئنة التي تلقيتها في الأيام القليلة الأولى بعد العملية قد جاءت يصحبها تحذير من أن أحدث أحداً بشيء من هذا كله . ولقد ساورني هذا التحذير لأنه كان ينم عن ارتياب في أمانتي على السر لا داعي إليه . صحيح أنني كنت أعلم أن هذه التوصية لم تصدر عن صديقي بل مرجعها خلو الشخص الوسيط من اللبابة أو زيادة في قلقه ، ومع هذا فقد آلمني هذا اللوم المقتنع ؛ لأنه لم يكن يخلو كل الخلو من المبررات ، فلا تأثير نائرة المرء - على ما نعلم جميعاً - إلا الملامة التي تصيب منه " مطعناً " . وأنا إذ أقول ذلك لا ألمح - والحق يقال - إلى واقعة جرت مع هذا الصديق ، بل إلى بادرة بدرت مني وأنا أصغر كثيراً في السن : فقد كان لي إذ ذاك صديقان ، كان كلاهما قد شرفني بهذا الاسم ، فأخبرت أحدهما من غير داع بما قاله الآخر عنه . وكان اللوم الذي سمعته إذ ذاك لم يزل عالقاً كذلك بذاكرتي . وكان أحد هذين الصديقين هو أستاذي فلايشل ، وأستطيع أن أدعو الآخر باسمه الأول يوسف - وهو أيضاً الاسم الأول لصديقي وغريمي في الحلم : ب .

هذه المؤاخذه على عجزى عن أن أكتم شيئاً في نفسي يشهد عليها في الحلم العنصر خلصة وسؤال ف . عن مدى ما أفضيت به من شؤونه إلى ب . وإن تدخل هذه الذكرى هو الذي عرج باللوم على التأخر في الوصول من الوقت الحاضر إلى ذاك الوقت الذي

كنت أعمل أثناءه في معمل بروكه^(١) ، كما أنني إذ أحول الشخص الثاني في مشهد الإعدام إلى يوسف لا أجعل هذا المشهد يصور مؤاخذتي على التأخر في الوصول وحسب ، بل أجعله يصور كذلك ذاك اللوم المنكبت بكبت أشد كثيراً على أنني لا أكم سرّاً . وهنا يبرز للعيان ما يقوم به الحلم من عمل التكثيف والنقل ، كما تبرز دوافعهما .

ثم إن غضبي الحاضر - وهو طفيف - لما حدثت به من ألا أفضى بشيء [عن مرض صديقي فليس] يلقي أمداداً تجيئه من أعماق النفس ، وبذا يتضخم حتى يصير تياراً من المشاعر العدائية نحو أشخاص أكن لهم في الواقع كل حب . والمنبع الذي ترد منه هذه الأمداد هو الطفولة . فقد ذكرت من قبل [ص ٤٢٤ و ٤٢٥] كيف ترجع كل مشاعري المحتومة نحو معاصري ، بالصدقة وبالعداوة ، إلى علاقتي في زمن الطفولة بابن أخ كان يكبرني بعام واحد ، كيف كان هذا القريب يفوقني وكيف تعلمت الذود عن نفسي تجاهه منذ زمن مبكر ، كيف كنا صديقين لا نفترق وكنا - وإنا لذلك - نشاجر ويشكو كلانا الآخر ، على ما يرويه الأكبرون . إن جميع أصدقائي هم بمعنى من المعاني تقمصات لهذا الوجه الذي " تكشف منذ باكورة الزمن لنظرني المضطربة " ^(٢) ، إنهم جميعاً عائدون [Revenants] . وقربي نفسه قد عاد إلى الظهور في صباي ، فلما عاد لعبنا سوياً قيصر وبروتوس ، وظل مطلباً لا تستغنى عنه حياتي الانفعالية أن يكون لي صديق حميم وعدو مقيت . وكان يسعني دائماً أن أزود نفسي بكلهما المرة بعد المرة . ولم يكن من النادر أن يتكرر النموذج الطفلي بمخاديفه حتى ليجتمع في الشخص الواحد العدو والصديق - وإن لم يجتمعا بالطبع في آن معاً أو في ذبذبة دائمة كما كان العهد في الطفولة الأولى .

(١) [لا بد للقارئ - لكي يتمكن من متابعة فرويد هنا وفي الصفحات القادمة - من الإلمام ببعض حقائق حياته : كان فرويد بين عامي ١٨٧٦ و ١٨٨٢ يعمل في المعهد الفيزيولوجي . وكان يرأس المعهد بروكه (١٨١٩ - ١٨٩٢) يعاونه إرنست فلايشل فون ماركسوف (١٨٤٦ - ١٨٩١) وسيجموند إكستر (١٨٤٦ - ١٩٢٥) وكلاهما يكبر فرويد بمشر سنوات . ولقد مات فلايشل بعد مرض شديد نزل به في السنوات الأخيرة من حياته . وفي هذا المعهد أيضاً التقى فرويد بيوسف بروير (١٨٤٢ - ١٨٢٥) . وكان بروير يكبر فرويد كثيراً في السن وفي الجاه ، كما كان له أثر معروف في نشأة التحليل النفسي عند فرويد ، فقد تحدث به فرويد في كثير من المواضع . وهو ثاني اليوسفين في هذا التحليل ، هذا الذي أوقع فرويد بينه وبين فلايشل . فأما يوسف الأول الذي يظهر في الحلم " صديق وغريمي پ . " فهو يوسف پانيت (١٨٥٧ - ١٨٩٠) الذي خلف فرويد في منصبه بالمعهد .]

(٢) [جوته ، فاوست ، الإهداء ، السطر الثاني .]

ولست أرى أن أبحث في هذا الموضوع كيف يقع في مثل هذه الملابس أن ترتد مناسبة حديثة لإحدى الحالات الوجدانية إلى موقف قديم ثم يحل هذا الموقف القديم محلها فيما يتعلق بإحداث هذا الوجدان . فهذه المسألة جزء من سيكولوجية اللاشعور ، ولقد كانت تجد مكانها المناسب بين إيضاح سيكولوجي للأعصاب . دعنا نفترض — لأجل ما نستهدفه من تفسير الحلم — أن إحدى ذكريات الطفولة قد انبعثت أو أن الخيلة قد ركبها ، وأن محتواها كان شيئاً شبيهاً بما يأتي : يتنازع الطفلان شيئاً ما (ونستطيع أن نترك جانباً السؤال عما هو هذا الشيء وإن كانت الذكرى أو الذكرى المكذوبة تلمح إلى شيء محدد تمام التحديد) ويدعى كلا الطفلين أنه كان الأسبق وأنه بناء على ذلك صاحب الحق الأول ، ثم تجيء اللكمات وتغطي القوة على الحق — وإذا صدقت إشارات الحلم فقد كنت أعلم حق العلم أنى كنت على خطأ (ألحظ خطأى) بيد أننى أقوى الطرفين فى هذه المرة ، فأظل سيداً على الميدان ، ويسرع الجانب المهزوم إلى جده — وهو والدى — ويشكو إلى ، فأدافع عن نفسى بالكلمات التى أعلمها من رواية أبى : ضربته ؛ لأنه ضربنى . إن هذه الذكرى أو — على الأرجح — هذا التخيل الذى يرد على خاطرى وأنا أحلل الحلم — دون مزيد من الإيضاح ، لا أدرى أنا نفسى كيف — هو الذى يكون الجزء الرئيس بين أفكار الحلم ، الجزء الذى يجمع ما يشتعل بين هذه الأفكار من الانفعالات ، كما تجمع البر الماء الذى يصب فيها . ومن هذه النقطة تنساب أفكار الحلم على النهج الذى يلى : لا تلومن إلا نفسك إذا اضطرت إلى أن تخلى الطريق أمامى ، ما الذى دفعك إلى أن تحاول إزاحتى من الطريق ؟ إني لست بحاجة إليك وإنه لأمر هين أن أجده شخصاً آخر سواك يلعب معى بدلاً منك ، إلخ . ثم بعد ذلك تسير هذه الأفكار فى المسارات التى تؤدى بها إلى التصور فى الحلم . فقد دعتنى الأسباب فى يوم من الأيام إلى أن ألوم صديق يوسف [ب .] على مثل هذا المسلك ، مسلك : ” قم وأنا أقعد مكانك ^(١) ” . فهو قد جاء عقيباً مدرباً فى معمل بروكه . وكانت الترقية هناك بطيئة عسيرة ، فما كانت بمعاونى بروكه كليهما أقل رغبة فى أن يتزحزا من مكانيهما ، بينما صبر الشباب نافد . فكان صديقى الذى لم يكن يحفل أن أيامه معدودات ولم تكن تربط بينه وبين رئيسه

المباشر أو أصر وثيقة — كان يعرب أحياناً عن نفاد صبره إعراباً صريحاً . وإذ كان رئيسه هذا [فلا يشل] مصاباً بمرض خطير فقد أمكن رغبة ب . أن تحتل معنى أقبح من مجرد الأمل في الترقية . وقد كان أمراً طبعياً أننى — قبل ذلك بسنوات — كنت قد أضمرت رغبة كانت أكثر بعد احتداماً في ملء مكان شاغر ؛ فأينما وجدت الدرجة والترقية في هذه الدنيا ، انفتحت الطريق أمام رغبات تتطلب القمع : أما عجز الأمير الشاكسبيرى هال عن أن يقاوم ما أغرته به النفس — وهو ما زال بجوار أبيه الراقد على فراش مرضه — من أن يجرب التاج لكى يرى بعينه كيف يلوح فوق رأسه ؟ ^(١) ولكن الحلم — كما نتوقع — لا يعاقبنى أنا على هذه الرغبة الخبيثة ، بل يعاقب صديقى ^(٢) .

” كان طموحاً ، فقتلته “ . لم يستطع أن يتمهل حتى يخلى الآخر مكانه ، فأزيع هو نفسه . تلك كانت الخواطر التى دارت بخلقى بعد أن حضرت رفع الستار عن النصب التذكارى المقام فى الجامعة — لشخص آخر وليس له . وعلى ذلك كان بعض الرضا الذى استشعرته فى الحلم يعنى : جزاء عادل ، لا تلومن إلا نفسك .

ولقد حدث فى جنازة صديقى [ب.] أن أحد الشبان أتى بملاحظة لم تكن تناسب المقام ، كان مؤداها أن الطبيب الذى ألقى كلمة الرثاء قد تحدث كما لو كانت الدنيا مقبلة على نهايتها بعد أن فقدت هذا الرجل الفرد . نعم ، إن هذه الملاحظة كانت تعرب عن الرفض الذى يعتل فى صدر رجل صادق أزعجت المبالغة حزنه ، إلا أنها اجتذبت إليها أفكار الحلم الآتية : نعم ، إن لمن الحق أنه ما من أحد لا يعوض ؛ فما أكثر من شيعت إلى القبر ، ومع هذا لم أزل حياً ، لقد عشت دونهم جميعاً وبقيت سيداً على الميدان . وإن فكرة من هذا القبيل فى اللحظة التى كنت أخشى فيها ألا أجد صديقى بين الأحياء حين أسافر إليه لا يمكن أن تقبل تفسيراً آخر سوى أننى كنت مسروراً لأننى سأثبت على البقاء مرة أخرى بعد شخص سواى ، لأنه هو الميث وليس إياى ، لأننى سيد الميدان من جديد — كما كنته فى المشهد المتخيل عن طفولتى . هذا الرضا الطفلى فى مصدره لبقائى سيداً على الميدان هو الذى يكون الجزء الأكبر من الحالة الوجدانية التى ظهرت فى الحلم : إنى أستشعر السرور لأننى باق حين يولى غيرى ، وأعرب عن هذا

(١) [هنرى الرابع ، الفصل الرابع ، المشهد الخامس .]

(٢) يلاحظ القارئ أن اسم يوسف يقوم بنصيب كبير فى أحلامى . ذلك أن من السهل على أنانى أن

يختبئ وراء هذا الاسم ؛ لأن يوسف كان أيضاً اسم مفسر الأحلام المعروف فى التوراة .

السرور بكل الأنانية الساذجة التي تتكشف في قصة الزوجين اللذين يقول أحدهما للآخر :
إذا مات أحدنا فسأذهب إلى باريس . إلى هذا المدى كان يبدو لي أمراً بديهاً أن
المئات لن يكون إياي .

إننا لا نستطيع أن ننكر أن تفسير الأحلام وروايتها عمل يتطلب ضبطاً شاقاً
للنفس ؛ فالمرء لا يجد مناصاً من أن يتكشف في صورة الوغد الأوحده وسط
موكب الطبايع النيلية ممن يشاطرونه الحياة . وهكذا بدا لي أمراً طبعياً جداً أن
العائدين إنما يوجدون بقدر ما يود لهم المرء البقاء ، فإن شاء انحوا . ولقد رأينا علام
كان عقاب صديقي يوسف . غير أن العائدين هم التجسيدات المتعاقبة لصديق طفولتي .
وأنا إذن أستشعر الرضا . كذلك لأنني استعطت دائماً أن أجده بدائل لهذا الوجه ولأنني لن
أبث طويلاً قبل أن أعثر على بديل لهذا الصديق [فليس] الذي كنت أوشك على
فقدته : ما من أحد لا يعوض

ولكن ماذا عن الرقابة ؟ لماذا لم تثر أقوى المعارضة في وجه خواطر تتسم بمثل هذه
الأثرة الوحشية فتقلب الرضا المرتبط بهذه الأفكار إلى ألم شديد ؟ السر فيما أعتقد هو أن
أفكاراً أخرى لا اعتراض عليها ، متعلقة بهؤلاء الأشخاص أنفسهم ، قد لقيت في ذات
الوقت ما يرضيها ، فكان أن خجبت الحالة الوجدانية المقترنة بها تلك المنبعثة من المصدر
الطفلي . ذلك أنني عند الاحتفال برفع الستار عن النصب التذكاري قد حدثت نفسي
في طبقة أخرى من الفكر بتلك التأملات : لكم فقدت من الأصدقاء الأعزاء ، أفقدني
الموت البعض والبعض الآخر أفقدني إياه ما انقصم من عرى الصداقة ، لقد كان من
حسن الحظ أنني وجدت من يعوضني عنهم ، أنني اكتسبت صديقاً يعنى في نفسي
الشيء الكثير ، أكثر من كل ما استطاعه الآخرون ، وذلك في زمن لا يسهل فيه على
المرء أن يعقد صداقة جديدة ، لسوف أحتفظ بصداقته أبد الدهر . وهذا الرضى لكوني
وجدت صديقاً يعوضني عن الأصدقاء المضيعين لا يلاقي مانعاً يحول بينه وبين
النفاذ إلى الحلم غير محرف في شيء ، ولكن تسلفت من ورائه حالة الرضا العلواني المستمدة
من المصدر الطفلي . نعم ، إن من المستيقن أن الحنان الذي انطوت عليه علاقة الطفولة
قد أفاد في تعزيز نظيره المعاصر المشروع ، ولكن كره الطفولة أيضاً قد أفلح في أن
يشق طريقه إلى التصوير .

ثم إن الحلم قد اشتمل - فوق ما سبق - على خيط فكري آخر كان من شأنه أن يسلم إلى رضا مشروع : فقد حدث منذ زمن قريب أن صديق [فليس] أعقب بنتاً بعد طول انتظار . وكنت أعلم كيف كان حزنه على أخته المتوفاة في وقت مبكر ، فكتبت إليه أقول له : إنني واثق من أنه سوف ينقل الحب الذي يكنه لها إلى الطفلة الجديدة ، وأن الفتاة الصغيرة سوف تتيح له في النهاية نسيان فقيدته التي لا تعوض .

وهكذا ترتبط هذه الطائفة من الأفكار بدورها بالفكرة المتوسطة في محتوى الحلم الكامن [أنظر ص ٤٨١ و ٤٨٢] والتي تشعب منها طرق التداعي في اتجاهات متضاربة : " ما من أحد لا يعوض . أنظر ، ليس إلا عائدون ، كل الذين افتقدناهم يرجعون " . ثم بعد ذلك تأتي تلك الواقعة العارضة ، وأعني بها أن ابنة صديق قد حملت الاسم الذي كانت تحمله الفتاة الصغيرة التي اعتدت اللعب معها في طفولتي - وكانت في سني وأختاً لأول عدو وصديق - تأتي هذه الواقعة فتحكم الروابط الاستدعائية بين المقومات المتناقضة لأفكار الحلم . فقد كنت شعرت بالرضا حين سمعت أن المولودة سوف تدعى « بولين » ، وعلى سبيل الإشارة إلى هذا الاتفاق وضعت أحد اليوسفين محل الآخر في الحلم ، ووجدت استحالة في كتمان التماثل بين الحرفين الأولين من اسمي " فلا يشل " و " ف . " [فليس] . ومن هنا اتجهت خواطري إلى أسماء أطفالى . فقد أصرت على ألا تختار أسماءهم وفقاً لبدع اليوم الجارية ، بل تذكيراً بمن أحببت . فأسماء الأطفال قد جعلت منهم - إذن - « عائدين » . ثم في النهاية ، أليس لإنجاب الأولاد هو السبيل الذي لا نملك جميعاً غيره إلى الحلود ؟

وهنا لا أجد ما أضيفه إلى موضوع الحالات الوجدانية في الحلم سوى بضعة ملاحظات تصدر عن وجهة نظر مختلفة . ذلك أن نفس النائم قد تنطوى على نزوع وجداني (ما نسميه مزاجاً) يكون هو العنصر المسيطر عليها ويكون له عندئذ نصيبه في تحميم الحلم . وقد ينشأ هذا المزاج من خبرات اليوم السابق وأفكاره وقد تكون مصادره جسمية ، وفي كلتا الحالتين يصطحب بالأفكار الملائمة له . ويستوى بعد ذلك من وجهة نظر تكوين الحلم أن يكون هذا المحتوى الذهني لأفكار الحلم هو الأصل الأول الذي حتم ذلك المزاج ، كما يقع طوراً ، أو أن يكون هذا المحتوى ذاته قد نبه على نحو ثانوي بواسطة استعداد النائم الانفعالي الراجع في النهاية إلى شروط جسمية ، كما يقع طوراً آخر ؛ ففي كلتا الحالتين

يخضع تكوين الحلم لهذا الشرط : أنه لا يستطيع أن يصور إلا ما يحقق رغبة وأنه إنما يستمد دافعه النفسى من الرغبات . فالمزاج الحاضر الناشط يعامل كما يعامل إحساس نبيه وصار حاضراً ناشطاً فى أثناء النوم (ص ٢٥٣) ، أى أنه إما أن ينحى جانباً أو يلقى تفسيراً جديداً فى الاتجاه الذى يحقق رغبة . والحالات المزاجية المؤلفة تسمى قوة تدفع إلى الحلم ، وذلك من حيث تثير رغبات قوية يفترض فى الحلم العمل على تحقيقها . ولا تنقطع صياغة المادة المرتبطة بهذه الحالات حتى يمكن استخدامها فى الإعراب عن رغبة . وكلما اشتد نصيب المزاج المؤلم فى أفكار الحلم وسيطر ، زدنا يقينا من أن أشد الرغبات قمعاً سوف تنتهز الفرصة لكى يتحقق تصويرها به ؛ لأن الألم الذى ما كانت هذه الرغبات إلا لتحديثه ضرورة قد صار موجوداً فعلاً وهى بهذا تجد الجانب الأكبر من عملها على بلوغ التصور فى الحلم وقد صار ممهداً أمامها . وبهذه المناقشات نتطرق مرة أخرى إلى مشكلة أحلام الهيلة التى سوف يتبين أنها الحالة التى يبلغ عندها نشاط الحلم حافته .

ط

المراجعة الثانوية

وأخيراً نتجه إلى رابع العوامل المشتركة فى تكوين الحلم .
إذا تابعنا دراستنا لمحتوى الحلم على النحو الذى بدأنا به ، أى بالمقارنة بين الأحداث الظاهرة فى محتوى الحلم وبين مصادرها فى أفكار الحلم ، عثرنا على عناصر يتطلب تحليلها فرضاً جديداً كل الجدة . وأنا إذ أقول ذلك أفكر فى حالات يشعر فيها المرء وهو يحلم بالعجب أو الضيق أو الاستنكار ، وكل أولئك بإزاء جزء من محتوى الحلم نفسه . إن غالبية هذه المشاعر النقدية التى تعرض فى الحلم لا تتجه فى الحقيقة — كما بينت فى عدد من الأمثلة — إلى محتوى الحلم فى ذاته ، بل يتبين أنها أجزاء من أفكار الحلم ، منها أخذت ثم استخدمت لغاية مناسبة . ولكن بعض هذه المادة لا يخضع لهذا التعليل ؛ فنحن لا نجد له مقابلاً بين مادة أفكار الحلم . ما الذى تعنيه — مثلاً — تلك الملاحظة النقدية التى يشيع ورودها فى الحلم : ” ما هذا إلا حلم “ ؟ إننا نجد ههنا نقداً فعلياً للحلم من قبيل ما قد آتبه فى حياة اليقظة . وإن لمن الشائع ألا يكون هذا النقد سوى مقدمة إلى اليقظة ، وأشيع منه أن يجيء مسبوقاً بشعور أليم تهدئ منه تلك المعرفة : أن الحالة حالة

نوم . ذلك أن فكرة ” إن هذا إلا حلم “ إنما تعرض في الحلم لذات الغرض الذى من أجله ترد فوق خشبة المسرح على شفاه هيلينا الجميلة فى أوبرا أوفنباخ [الهزلية المعروفة بهذا الاسم ^(١)] : إنها ترمى إلى التهوين من شأن الحدث الذى لم يكد المرأ يفرغ من خبرته وتهينة السبيل إلى التسامح فيما قد يعقبه ، إنها تفيد فى تسكين عامل نفسى معين حتى يتمكن من متابعة نومه ، وما كان لولا ذلك إلا لينشط ثائراً ويحول دون استمرار الحلم — أو المشهد الذى فى الأوبرا . فالأهون — مهما يكن من أمر — هو المضى فى النوم والمغفرة للحلم ؛ لأنه — أولاً وآخرأ — ” حلم ليس إلا “ . فهذا الحكم النقدى المهون : ” إن هذا إلا حلم “ إنما يظهر فى الحلم — على حسب نظرتى — كلما أحست الرقابة التى لا تنام أبداً كل النوم أنها قد أخذت على غرة بحلم فتحت له أبواب الولوج فولج وفات أوان قمعه ولم يبق أمام الرقابة سوى اللجوء إلى هذه الكلمات لكى تواجه بها ما قد أثير من الهيلة . أى أن هذه الجملة شاهد على ” بطاء البديهة “ ^(٢) من جانب الرقابة النفسية .

هذا المثال يزودنا — إذن — بدليل مقنع على أن كل ما يحتويه الحلم ليس مستمداً من أفكار الحلم ، بل قد يكون بعض محتوى الحلم راجعاً إلى وظيفة نفسية لا تتميز من فكرنا المستيقظ . وسؤالنا الآن هو : هل يحدث ذلك فى حالات استثنائية وحسب أم أن القاعدة هى أن يأخذ هذا العامل النفسى الذى لا يعمل فيما عدا ذلك إلا من حيث هو رقابة بنصيب فى تكوين الحلم ؟

لا مجال للتردد فى القطع بصحة الاحتمال الثانى . ما من شك فى أن العامل المراقب الذى لم نعرف أئرد حتى الآن إلا فيما يدخله على الحلم من التقييد والحذف سبب كذلك فى حواش وإضافات . فأما الحواشى فميسورة معرفتها ؛ فروايتها تصطبغ بالتردد ، يقدم لها الراوى بقومه : ” كما لو “ ، ثم هى لا تتسم فى ذاتها بشدة حسية خاصة ، وتدخل دائماً فى الموضع التى تستطيع أن تعمل فيها عمل الروابط بين فقرتين فى محتوى الحلم أو فى وصل المسافة بين جزئين من الحلم . والذاكرة فى العادة أقل حفظاً لها منها للمشتقات الصادقة ، الصادرة عن مادة أفكار الحلم . فإن نسى الحلم كانت هى أول ما يحتنى من أجزائه ، وأغلب ظنى أن شكوانا المألوفة من كوننا نحلم بالشئ الكثير ثم نسى

(١) [الفصل الثانى ، فى مشهد المناجاة بين هيلينا وباريس عندما يفاجئها فى نهايته مينيلوس زوج

هيلينا .]

(٢) [“esprit d'escalier”]

معظمه ترجع إلى مسارعة هذه الأفكار الرابطة إلى الاختفاء . وإذا حللنا حلماً ما تحليلاً كاملاً ، نم عن هذه الحواشي أننا لا نجد مادة ما ترتبط بها في أفكار الحلم . ولكن البحث المستيقن يدعوني إلى الاعتقاد بأن تلك هي الحالة الأقل شيوعاً . فالقاعدة هي أن الأفكار الروابط ترجع بنا مع ذلك إلى مادة قائمة في أفكار الحلم ، ولكنها مادة لم تكن تستطيع وحدها أن تجد حقاً يؤهلها لأن تقبل في الحلم ؛ فلا هي بالهامة في ذاتها ولا هي بالكثيرة الحلم . ولا تخلق الوظيفة النفسية التي نحن الآن في صدها خلقاً جديداً إلا في حالات متطرفة — على ما يبدو . إنها — كلما أمكن ذلك — تستخدم كل ما تراه مناسباً بين مادة أفكار الحلم .

إن الشيء الذي يميز هذا الجزء من عمل الحلم وينم عنه في الوقت نفسه هو غايته . فهذه الوظيفة تسلك على النحو الذي ينسبه الشاعر الماكر إلى الفلاسفة : أي أنها تملأ ما في الحلم من الثغرات بنحرق وسمال^(١) ونتيجة جهودها هي أن الحلم يفقد مظهره اللامعقول ويفقد تفككه ويقارب نمط الخبرة المعقولة . ولكن جهودها لا تتوج دائماً بالنجاح . فهناك أحلام قد تبدو للنظرة السطحية خالية من كل مجافاة للمنطق ، معقولة ؛ فهي تبدأ من موقف ممكن تصوره ثم تمرر بسلسلة من التغيرات المتناسقة إلى أن تنتهي به — وإن ندر ذلك — إلى خاتمة ليس فيها ما يدعو إلى العجب . فأمثال هذه الأحلام قد خضعت لمراجعة بعيدة المدى من جانب هذه الوظيفة النفسية القريبة من فكرنا المستيقظ . إنها تبدو حاصلة على بعض المعنى ، ولكن هذا المعنى بعيد غاية البعد عن مغزاها الحقيقي . ولو أننا أخذنا في تحليلها لرأينا أن تلك على التحديد هي الأحلام التي استباحث فيها المراجعة الثانوية لنفسها حرية اللعب بمادة أفكار الحلم أعظم الاستباحة ولم تبقى على العلاقات القائمة في هذه المادة إلا بأقل نصيب . إنها أحلام نستطيع أن نقول عنها : إنها تجيء وقد فسرت بالفعل مرة قبل أن نأخذ نحن في إخضاعها لتفسيرنا المستيقظ . وهناك أحلام أخرى لم تصادف فيها هذه المراجعة المغرضة إلا نجاحاً جزئياً ؛ فالمعقولة تبدو غالبية عليها شوطاً ما ، ولكن الحلم ينقلب فإذا هو خال من المعنى ، مختلط ، ثم قد يعود في لاحق سياقه فيكتسى ثانية بمظهر المعقولة . وهناك بعد أحلام أخرى تخفق فيها

(١) [إشارة إلى أبيات لهاينه استشهد بها فرويد بعد ذلك في آخر محاضرة من " محاضرات تهميدية جديدة " (فرويد ١٩٢٣ أ) : بقلنسواته الليلية وبأطراف من عباءة الغرفة يسد ثقب البناء الكرفي .]

المراجعة إخفاقاً كاملاً ؛ فزارنا نواجه من غير حول ركاماً لا معنى له من مادة متقطعة .
ولست أريد أن أنكر إنكاراً قاطعاً أن هذه القوة الرابعة في تكوين الحلم التي سنرى
سريعاً أن لنا بها معرفة قديمة - فهي في الحقيقة ، بين القوى الأربع ، الوحيدة التي
لنا بها خبرة مألوفة في غير مجال الحلم - لست أريد أن أنكر أن هذه القوة تملك القدرة
على أن تخلق جديداً في الحلم . سوى أن من المؤكد أنها - كالأخرى - تمارس فعلها
أولاً من طريق التفضيل والاختيار بين المادة النفسية المتكونة من قبل في أفكار الحلم .
وإن ثمت حالة تُجَنَّبُ فيها هذه القوة إلى مدى بعيد عناء العمل على تكوين واجهة للحلم -
إن جاز التعبير . تلك هي الحالة التي نرى فيها بناء أو تركيباً من هذا النوع وقد وجد من
قبل بين مادة أفكار الحلم ، مهيناً للاستخدام . والبناء الذي أعنيه بقول هذا عنصر اعتدت
أن أسميه "تخيلاً" ^(١) ، ولعلّي أتجنب سوء الفهم إذا أشرت إلى حلم اليقظة ^(٢) من حيث
هو عدله في الحياة المستيقظة . إن النصيب الذي يرجع إلى هذا العنصر في حياتنا النفسية
أمر لم يعرفه بعد أطباء النفس تمام المعرفة ولم يكشفوا عنه ، وإن يكن م . بنديكت قد أتى
في هذا الاتجاه ببداءة يبدو لي أنها تعد بالشئ الكثير . بيد أن أهمية أحلام اليقظة لم
تخف على ما للفنانين من حدس لا يخيب ، وكلنا يعرف وصف دوديه لأحلام اليقظة
التي كانت تراود أحد الأشخاص الثانويين في رواية « الثاباب » . وتنتهى بنا دراسة
الأعصية إلى نتيجة تبعث على الدهش ، تلك هي : أن هذه التخييلات أو أحلام اليقظة
هي النذر التي تسبق الأعراض المستيرية - أو على الأقل عدداً كبيراً منها - سبقاً مباشراً ،
فالأعراض المستيرية لا ترتبط بذكريات حقيقية ، بل بتخييلات تشيد على أساس هذه
الذكريات . وشيوع تخييلات اليقظة الشعورية هو ما يقرب من معرفتنا هذه الأبنية
أو التراكيب ، ولكن إذا كانت ثمت تخييلات شعورية من هذا النوع ، فإن ثمت أيضاً
عدد وفير لا شعورى ، مرغم على البقاء كذلك بسبب محتواه ولانبعائه من مادة مكبوتة .

وإن التعمق في بحث خصائص هذه التراكيب يرينا كم نحن محقون حين نطلق عليها
ذات الاسم الذي نطلقه على مخلفات فكرنا الليلي ، اسم الأحلام . فهي تشارك أحلام

(١) ["Phantasie" كلمة كانت تستخدم قبل فرويد بمعنى "المخيلة" ، فلو أن فرويد تابع لغة
المصر لقال : "Phantasiebildung" أى "نتاجا للمخيلة" . ومن وجهة نظر علم الأمراض النفسية فإن "التخييل"
كان يقال بمعنى "حلم اليقظة" أى تفكير اجترأى لا موضوعية له أو لا يرمى الواقع . ولكن فرويد قد مده إلى
"فكرنا الليلي" كما هو واضح من هذه الققرة .]

الليل في عدد كبير من خصائصها ، ولعلنا لو كنا بدأنا ببحثها لكان ذلك أقصر طريق وأفضله إلى فهم أحلام الليل .

فهي كالأحلام تحقق رغبات ، وكالأحلام تنهض إلى مدى بعيد على انطباعات من خبرة الطفولة ، وكالأحلام تنتفع من تراخي الرقابة بعض التراخي . ولو فحصنا تركيبها لرأينا كيف يمزج الهدف المرغوب الناشط في إحداثها المادة التي تدخل في بنائها ويعيد ترتيبها ويصوغها في كل جديد . فبينها وبين ذكريات الطفولة التي منها اشتقاقها علاقة كالتى بين بعض القصور ذات الطراز الباروكى في روما وبين الانقراض القديمة التي من أروصفها وأعمدتها انتزعت المادة المستخدمة في تشييد هذه الصور المعمارية الأحدث عهداً .

فنحن في هذه " المراجعة الثانوية " التي عزوناها إلى رابع عواملنا المشتركة في تكوين الحلم نجد هذا النوع من النشاط الذى يتجلى في خلق أحلام اليقظة حراً من كل قيد يرجع إلى تأثير غريب . وقد كان يسعنا القول من غير مزيد من التعقيد : إن عاملنا الرابع هذا يسعى إلى تشكيل ما يعرض له من المواد تشكيلاً يخرج منها شيئاً شبيهاً بحلم من أحلام اليقظة . فإن كان مثل هذا الحلم قد تكون من قبل بين دائرة أفكار الحلم ، أثر هذا العامل الرابع من عوامل عمل الحلم أن يستولى على حلم اليقظة المتكون بالفعل وحاول إدخاله في محتوى الحلم . وهناك أحلام لا تعدو أن تكون تكراراً لتخيل طراً أثناء النهار ولعله كان تخيلاً لا شعورياً ، مثال ذلك حلم الصبي الذى رأى أنه يقود عربة من عربات الحرب مع أبطال طروادة [ص ١٥٦] . وحلم « أوتو ديداسكر » [ص ٣١١] قد كان جزءه الثانى على الأقل إعادة أمينة لتخيل نهارى ، برىء في ذاته ، حول محادثة أجريها مع الأستاذ ن . بيد أنه إذ كانت الشروط التي يجب على الحلم إرضاءها قبل أن يظهر إلى الوجود معقدة إلى المدى الذى نعرفه ، فالأكثر وقوعاً هو أن التخيل النهارى لا يكون سوى جزء من الحلم أو أن الحلم لا ينفذ إليه سوى جزء من التخيل ثم بعد ذلك يعامل التخيل بوجه عام كما يعامل أى جزء آخر من المادة الكامنة ، وإن بقى مع ذلك في أحيان كثيرة متميزاً ككل في الحلم . فكثيراً ما ترد في أحلامى أجزاء تبرز دون غيرها لما تحدثه من أثر مختلف : فهي تبدو لى أكثر سلاسة وترباطاً من سائر أجزاء الحلم ثم في الوقت عينه أسرع تقضياً . هذه أعلم أنها تخيلات لا شعورية اندست في نسيج الحلم ، ولكننى

لم أفلح في رصد تخيل من هذا القبيل . ثم إن هذا التخيلات — شأنها شأن أى مقوم آخر من مقومات الحلم — تضغط وتكثف ويطلع بعضها فوق بعض ، إلى غير ذلك . إلا أن هناك حالات متدرجة بين تلك التى تكون فيها هذه التخيلات — غير محرفة — محتوى الحلم أو على الأقل واجهته وبين الطرف النقيض حين لا تتمثل هذه التخيلات فى محتوى الحلم إلا بعنصر فرد من عناصرها أو بإشارة قصية . ومن الواضح أخيراً أن المصير الذى تنتهى إليه التخيلات المحتواة فى أفكار الحلم يتوقف كذلك على ما تشتمل عليه هذه التخيلات من مزايا توافق مقتضيات الرقابة ومقتضيات الحاجة القاهرة إلى التكثيف .

لقد كنت — وأنا أختار الأمثلة على تفسير الحلم — أتجنب حتى الساعة تلك الأحلام التى تأخذ فيها التخيلات اللاشعورية بأى نصيب يعتد به ؛ لأن إدخال هذا العنصر النفسى من شأنه أن يتطلب مناقشات طويلة فى سيكولوجية التفكير اللاشعورى . بيد أنى لا أستطيع فى هذا المقام أن أتجنب موضوع « التخيلات » كل التجنب ؛ فهى تنفذ إلى الحلم كاملة فى كثير من الأحيان ، وأكثر من ذلك أن تترك وراءها لمحات بينة نستطيع رؤيتها خلف الحلم . وعلى ذلك أضيف إلى ما سبق حلماً آخر يبدو متكوناً من تخيلين مختلفين ، متعارضين ، يتلاقيان فى قلة من المواضع ، أحدهما سطحي فى حين أن آخرهما بمثابة تفسير للأول^(١) .

كان هذا الحلم — وهو الحلم الوحيد الذى لم أبد كبير عناية فى تدوينه — كان يجرى بوجه الإجمال على هذا النحو : يجلس الحالم — وهو شاب أعزب — فى المطعم الذى اعتاد أن يتناول فيه طعامه والذى صور فى الحلم تصويراً واقعياً . يقبل أناس كثيرون يبتغون البحث عنه ويريد أحدهم أن يلتقى القبض عليه . يقول الحالم لأحد رفاقه الجالسين : سأدفع فيما بعد ، إنى راجع . ولكنهم يصيحون قائلين وبسمات السخرية تعلق شفاههم : نحن أدرى ، هذا ما يقوله كل واحد . يصيح من ورائه أحد الضيوف قائلاً : ها هو ذا

(١) فى " طرف من تحليل حالة هستريا " (فرويد ، ١٩٠٥ هـ [الجزء الثانى]) حلت نموذجاً بديعاً من حلم من هذا النوع تركب من تخيلات طبع بعضها فوق بعض . هذا ، وقد ظلت لا أقدر نصيب التخيلات فى تكوين الحلم حق قدره طالما كنت أشتغل بتحليل أحلامى أنا أولاً — وهى أحلام تنبؤ فى العادة على مناقشات وأسرعة فكرية ولا تضم أحلام يقظة إلا فيما ندر ، بالنسبة إلى غيرها . فاما الآخرون فكثيراً ما يكون من السهل أن نثبت عندهم التماثل التام بين أحلام الليل وأحلام النهار . ومن الممكن فى أحيان كثيرة عند المستريين أن يحلم حلم محل نوبة هسترية ، وعندئذ يستطيع المرء أن يقتنع فى غير عناء بأن النذير المباشر لكلا هذين التركيبين النفسين كان تخيلاً جاء فى صورة حلم يقظة .

واحد آخر يذهب . ويساق الحلم بعد ذلك إلى غرفة ضيقة يرى فيها شخص امرأة تحمل طفلاً ويقول أحد الذين يصحبونه : هذا هو الهر مولر . هناك مقتش من رجال الشرطة أو رجل له مثل هذه الوظيفة . إنه يقلب حزمة من البطاقات أو الأوراق وهو يردد في هذه الأثناء قوله : مولر ، مولر ، مولر . وأخيراً يسأل الرجل سؤالاً ما فيجيب الحلم بقوله : « قبلت » . ثم يستدير ليرى شخص المرأة ، فيلاحظ أن لحية كبيرة قد نبتت لها .

إن من السهل أن نفصل هنا بين التخييلين اللذين تكون منهما هذا الحلم . فعلى السطح تخييل مداره إلقاء القبض على الحلم ، يبدو أن الحلم قد استحدثه ، ولكن من وراء ذلك يظهر تخييل الزواج كمادة لم يغير عمل الحلم من شكلها إلا تغييراً طفيفاً ، كما برزت في وضوح خاص السمات المشتركة بين كلا التخييلين ، على نحو ما يقع في صورة من صور جالتون المركبة . فما يعد به الشاب (الذى كان إلى ذلك الحين أعزب) من العودة إلى رفاقه الجلوس والانضمام إليهم ، والشك الذى يستجيب به خلانه هؤلاء (الذين جعلتهم الخبرة أدرى) ، ثم صيحة أحدهم : ها هو ذا واحد آخر يذهب (لكى يتزوج) - كل أولئك سمات يسهل أيضاً فهمها في ضوء التفسير الآخر . والأمر كذلك في « قبلت » التى أjab بها الحلم سؤال الموظف . فأما تقليب حزمة الأوراق مع تكرار ذات الاسم تكراراً مستمراً فيقابل سمة ثانوية ولكنها بينة من سمات حفلات العرس ، وأعنى بها قراءة برقيات التهئة التى تصل كلها إلى ذات العنوان حاملة اسماً واحداً . ولا شك في أن تخييل الزواج قد أحرز نصراً صريحاً على تخييل إلقاء القبض حين ظهرت العروس بشخصها في الحلم . وقد أمكننى بعد استفسار - فهذا الحلم لم أحله - أن أكتشف لم نبتت للعروس لحية في آخر الحلم : ذلك أن الحلم في اليوم الذى سبق حلمه كان يسير في الطريق مع صديق من أصدقائه ، عدو للزواج مثله ، فلفت الحلم صديقه هذا إلى حسناء حالكة الشعر مرت بهما ، فأجابه الصديق : نعم ، أو أن هؤلاء النسوة لم تنبت لهن على مر الأيام لحي كآبائهن ! وطبعى ألا يفتقر هذا الحلم إلى عناصر يذهب فيها تشويه الحلم إلى أبعد من هذا المدى ؛ فن الجائز مثلاً أن يكون قوله : « سأدفع فيما بعد » منطوياً على إشارة توفى إلى ما كان يخشاه من موقف حميه المنتظر في مسألة المهر . كما أن من الجلى أن مخاوف من كل نوع كانت تقعد هذا الحلم عن أن يسلم نفسه في بشر لتخييل الزواج ، ولقد تجسمت

إحدى هذه المخاوف — وهى مخافة أن يفقده الزواج حرّيته — فى تحويل الأمر إلى مشهد قبض يلتقى عليه .

فإذا عدنا إلى ما كنا فيه من أن عمل الحلم يقبل طواعية على استخدام تخييل متكون من قبل بدل أن يبنى تخيلاً جديداً من مادة أفكار الحلم ، فقد يصبح فى مستطاعنا أن نخل لغزا من أكثر ألغاز الحلم إثارة للاهتمام . فقد ذكرت فى صفحة ٦٤ القصة الماثورة عن مورى : كيف سقطت قطعة من الخشب على قفاه وهو نائم ، فاستيقظ من حلم طويل كان شبيهاً بقصة مكتملة جرت أحداثها فى أيام الثورة الفرنسية . وإذ كان هذا الحلم متنسق الأجزاء — على حسب روايته — وكان كأنما جعل ليكون تفسيراً للمنبه الذى أيقظ النائم والذى لم يكن من المستطاع التنبؤ به ، فالفرض الوحيد الممكن — فيما يبدو — هو أن هذا الحلم المحكم قد أُلّف جميعه وانقضى فى الفترة القصيرة الواقعة بين سقوط العارض الخشبي على فقارات مورى العنقية وبين ما أعقب من استيقاظه . ولسنا نستطيع على الإطلاق أن ننسب مثل هذه السرعة إلى نشاطنا الفكرى فى الحياة المستيقظة ، وعلى ذلك لا يكون مفر من أن نخلص إلى أن عمل الحلم يملك ميزة إعجال عملياتنا الفكرية إلى درجة تدعو إلى العجب .

بيد أن هذه النظرية التى لم تلبث أن لاقت ذيوماً سريعاً قد وجهت إليها اعتراضات قوية من جانب بعض الكتاب الأحدث عهداً (لولوران وإيجير وغيرهما) . فهم — من جهة — يتشككون فى دقة رواية مورى لحلمه ، ومن جهة أخرى يحاولون أن يبينوا أن سرعة عمليات أفكارنا المستيقظة لا تقل عنها فى هذا الحلم إذا حذفنا منه المبالغات . ولقد أثارت المناقشة مسائل تتعلق بالمبدأ لا يبدو لى أننا نستطيع حلها حلاً مباشراً . بيد أننى أعترف بأن الحجج التى ساقها هؤلاء المؤلفون (مثل إيجير) على حلم المقصلة الذى رواه مورى بخاصة قد تركتني دون أن تقنعنى . وأفضل من جانبي أن أقترح التعليل الآتى : أهو فرض مستبعد كل الاستبعاد أن يكون حلم مورى قد صور تخيلاً اختزن منذ سنوات فى ذاكرته ثم نُبِه — وأحرى بى أن أقول : أشير إليه — فى اللحظة التى شعر فيها مورى بالمنبه الذى أيقظه ؟ إذا كان الأمر كذلك اختفت كل الصعوبة التى نواجهها حين نسأل كيف أُلّف مثل هذه القصة الطويلة فى الفترة الزمنية البالغة القصر التى كانت فى تناول الحلم ؟ ذلك أن القصة — على حسب الفرض — كانت مؤلفة من قبل . ولو أن العارض

أصاب عنق مورى وهو مستيقظ ، لكان هناك محل للمثل ذلك الخاطر : لكأنها المقصلة !
وأما والعارض يصيبه وهو نائم فإن عمل الحلم يبادر إلى استغلال هذا التنبيه غير المتوقع
بما يحقق رغبة ، كأنما قد خطرت له تلك الفكرة (ومن الواجب أن يأخذ قولى هذا مأخذاً
استعارياً محضاً) : « ها هي ذى فرصة طيبة لتحقيق تخيل مشبع بالرغبة كونه في هذا
الوقت أو ذاك ، أثناء مطالعته . » ولا منازعة — على ما أعتقد — في أن قصة الحلم من
النوع الذى ينزع إلى تخيله شاب تعمل في نفسه انطباعات شديدة الإثارة ، ومن ذا الذى
لم يخفق قلبه — ودع عنك رجلاً فرنسياً ودارساً لتاريخ الحضارة — وهو يسمع قصص عهد
الإرهاب أيام كان النبلاء رجالاً ونساء ، زهرة الشعب ، يظهرون للملأ كيف يستطيع
الإنسان أن يذهب إلى الموت بنفس مقبلة وحيث كانوا يستمسكون بتوقد قريحتهم وأناقته
مسلحهم حتى لحظة النداء الذى ينفذ بعده قضاءهم ؟ وأى إغراء فى أن يتصور المرء نفسه
وسط هذا كله ، شاباً بين أولئك الشبان الذين يودع كل منهم سيدته بقبلة يطبعها على
يدها ثم يصعد بعدها إلى المقصلة فى غير ما وجل ؟ فإن كان الطموح هو الدافع الرئيس
إلى التخيل ، فأى إغراء فى أن يضع المرء نفسه فى موضع أحد هؤلاء الأفراد الأفاذا الذين
كانوا بقوة أفكارهم وفصاحتهم الملتبة — ليس غير — يحكمون المدينة التى كان قلب العالم
يخفق فيها إذ ذاك خفقاً تشنجياً ، أولئك الذين قادتهم معتقداتهم إلى أن يرسلوا آلاف
الرجال إلى حتفهم والذين كانوا يمهدون الطريق لتغيير وجه أوروبا بينا كانت رؤوسهم
أنفسهم غير آمنة مقدراً لها أن تسقط يوماً تحت المقصلة ، كأنما التخيل أحد الحير ونديين
أو دانتون البطل ؟ والحق أن ذكرى مورى لحلمه قد تضمنت سمة تبدو شاهداً على أن
تخيله كان من النوع الطموح ، وأعنى بها ما جاء من كونه « يساق إلى المقصلة وقد
أحاط به حشد غفير » .

ثم إنه لا حاجة إلى أن يكون النائم قد مر فى خلال نومه بكل هذا التخيل المهيأ منذ
زمن طويل ؛ بل يكفي أن يقف الأمر عند حد « لسه » . والذى أعنيه هو هذا : إذا
عُرِفَت الأقدار الأولى من مقطوعة موسيقية ثم عقب البعض — كما فى « دون جوان » —
قائلاً : هذا النغم من « زواج فيجارو » لموزار ، كان ذلك كافياً لأن يحرك دفعة واحدة
عددا من الذكريات ما كانت تستطيع إحداها أن تلج الشعور منفردة فى اللحظة الأولى .
فالنغم المفتاح كان بمثابة منفذ ينفسح فإذا التنبيه يشمل الكل فى آن معاً . ويكفى أن

تكون الحال كذلك فيما يتصل بتفكيرنا اللاشعورى : يأتى المنبه فيثير المنفذ النفسى الذى منه يفسح الطريق لتخييل المقصلة كله ، ولكن النائم لا يذرع هذا التخيل جميعه فى خلال نومه وإنما فى ذاكرته بعد أن يستيقظ . فهو بعد أن يستيقظ يذكر كل تفاصيل هذا التخيل الذى أثير من حيث هو كل . وفى مقدورنا أن نطبق هذا التعليل ذاته - وأعنى به أن المسألة مسألة تخيل معد من قبل تم إثارته بوساطة المنبه - على غير ذلك من الأحلام التى تتبلور حول منبه مثير ، مثل حلم الموقعة الذى أناه نابليون قبيل انفجار اللغم [ص ٢٥١ و ص ٦٤] . وإن بين الأحلام التى جمعتها چوستين توبوفولسكا فى رسالتها عن الديمومة الظاهرة للزمن فى الأحلام - حلماً يبدو لى أشد أحلام المجموعة دلالة ، هو هذا الذى رواه ماكازيو (١٨٥٧) عن مؤلف مسرحى يدعى كازيمير بونجور^(١) فقد حدث ذات مساء أن رغب بونجور فى حضور العرض الأول لإحدى مسرحياته ، غير أنه كان مجهداً حتى أن النعاس أطبق جفنيه وهو جالس خلف المشاهد بينما كان يرفع الستار ، فإذا هو - فى خلال نومه - يرى فصول الرواية الخمس جميعاً ويلاحظ ما يبدية جمهور المتفرجين فى خلال المواقف المتتالية من مختلف أمارات الانفعال . وانتهى العرض وامتلات نفسه سروراً إذ سمع الجمهور يتصايح باسمه مصحوباً بأشد التصفيق . عندئذ استيقظ فجأة فلم يكذب يصدق من نفسه عيناً ولا أذناً ؛ فما جاوز العرض السطور الأولى من المشهد الأول ولا طال نومه بحال من الأحوال عن الدقيقتين . ومن المؤكد أننا لا نركب شططاً إذ نفترض فى حالة هذا الحلم أن مرور الحلم بالفصول الخمسة للرواية وملاحظته استجابة الجمهور لمختلف مواقفها لم يصدر بالضرورة عن خلق جديد لكل هذه المادة ، بل لعلهما إنما استعدا أثراً سبق أن أتمه النشاط التخيلى بالمعنى الذى بينت . وإن توبوفولسكا لتؤكد - شأن غيرها من الكتاب - أن الأحلام التى تنقضى فيها الأفكار انقضاء معجلاً تحمل تلك الخاصة المشتركة ، وهى أنها تبدو فريدة فى اتساقها ، مخالفة فى ذلك سائر الأحلام كل المخالفة ، وأن ذكرها تكون موجزة أكثر منها مفصلة . ولكن تلك على التحقيق هى الخاصة التى يجب أن تكون لأمثال هذه التخييلات المعدة من قبل والى لمسها عمل الحلم - وهى نتيجة قصر عن استنباطها سائر المؤلفين . غير أننى لا أؤكد مع ذلك أن كل حلم يحى عقب منبه موقظ يقبل هذا التعليل ، ولا أننا

نتخلص جملة بهذه الطريقة من مشكلة انقضاء الأفكار في الحلم انقضاء معجلاً .

وهنا يستحيل علينا أن نتجنب النظر في العلاقة بين هذه المراجعة الثانوية لمحتوى الحلم وبين سائر عوامل عمل الحلم . أفترض أن الذى يقع هو أن العوامل المشتركة في تكوين الحلم — وأغنى بها النزوع إلى التكثيف ثم ضرورة الإفلات من الرقابة ثم اعتبار قابلية التصوير بالوسائل النفسية الميسرة للحلم — تقوم في بادئ الأمر بتكوين محتوى حلمى موقوت من المادة المتوفرة ، ثم بعد ذلك يرتب هذا المحتوى ترتيباً جديداً بحيث يتفق بقدر الإمكان ومطالب عامل آخر (هو المراجعة الثانوية) ؟ ذلك فرض لا يكاد يلقى أقل حظ من الرجوح ، بل أخرى بنا أن نفترض أن مطالب هذا العامل الآخر هى منذ البدء إحدى الشرائط التى يتحتم على الحلم إرضاؤها وأن هذا الشرط — كغيره مما يقتضيه التكثيف والرقابة وليدة المقاومة وقابلية التصوير — يزاول في ذات الآن عمله في مجموع المادة الحاضرة في أفكار الحلم ، مختاراً بينها ، آخذاً هذا مانعاً ذاك . بيد أن العامل الذى جئنا إلى معرفته آخر هو — بين شرائط تكوين الحلم — هذا الذى تبدو مطالبه أقل الجميع إكراهاً للحلم . فأما أن هذه الوظيفة النفسية التى وصفناها باسم المراجعة الثانوية لمحتوى الحلم يجب أن تعد شيئاً واحداً ونشاط فكرنا المستيقظ ، فذلك ما يرجحه الاعتبار الآتى كل الترجيح : إن تفكيرنا المستيقظ (قبل الشعورى) يهيج إزاء أية مادة مدركة يصادفها على ذات النهج الذى تسلكه هذه الوظيفة التى نحن بصدد إزاء محتوى الحلم فمن طبيعة فكرنا المستيقظ أن يقر النظام في مثل هذه المادة وأن ينشئ العلاقات فيما بينها وأن يجعلها تطابق ما نتوقعه من كل معقول . والحق أننا نغلو بعض الغلو في هذا الاتجاه ؛ فإنما نخدعنا حيل المشعوذة لأنها تستغل عاداتنا العقلية هذه . فنحن في محاولتنا أن نسوى ما نلتقاه من الانطباعات الحسية على نمط معقول نرتكب في أحيان كثيرة أشد الأخطاء غرابة ولقد نزيف الحقيقة فيما يتصل بالمادة الماثلة أمامنا . والشواهد على ذلك من الأمور المعلومة للجميع — وهو ما يعفينا من الإلحاح عليها . فنحن حين نقرأ نغض الطرف عن الأخطاء المطبعية التى تبطل المعنى وننهم أن ما نقرأه صحيح . وقد قيل إن ناشراً لإحدى المجلات الفرنسية الذائعة قد راهن على أن يجعل الطابع يدس كلمتى « أماما » و « خلفا » في كل جملة من جمل مقال طويل دون أن ينتبه إلى ذلك قارئ واحد ، فكان أن كسب الرهان . وقرأت منذ سنوات في إحدى الصحف مثالا

مضحكاً من أمثلة الربط الزائف . ذلك أن أحد الفوضويين ألقى قبلة في مجلس النواب الفرنسي أثناء انعقاده وأحمد ديوي الذعر الذي أعقب بصيحته الشجاعة : الجلسة مستمرة^(١) . وطُلب إلى الزائرين ممن كانوا في الأروقة أن يصفوا مشاعرهم كشهود للاعتداء وكان بين هؤلاء رجالان من الريف ، فقال أحدهما : إنه قد سمع الطلق حقيقة لكنه ظنّها عادة برلمانية أن يرسل طلق كلما جلس خطيب وأما الثاني - وكان في الراجع قد استمع إلى خطب متعددة قبل ذلك - فقد خطرت له هذه الفكرة أيضاً ، سوى أنه ظن أن الطلق تكريم لا يعقب إلا الخطب التي تبرز غيرها في نجاحها .

وما من شك - إذن - في أن تفكيرنا السوى هو العامل النفسى الذى يتقدم إلى محتوى الحلم مطالباً إياه بأن يكون معقولا ، وهو الذى يخضعه لتفسير أول ، وبذا يسبب خطأ كاملا في فهمه . ولهذا كان من القواعد الجوهرية في تفسيرنا ألا نلتفت في أية حالة إلى الاتصال الظاهر في الحلم معتبرين إياه ذا أصل مشكوك فيه ، وأن نتأثر ذات الطريق راجعين إلى مادة أفكار الحلم ، سواء أواضحا كان الحلم أم مختلطاً .

غير أننا نلمح بذلك علام يتوقف ما تحدثنا عنه في ص ٣٤٠ من التدرج الكيفي للحلم بين الاختلاط والوضوح . فأجزاء الحلم الواضحة هي تلك التى استطاعت المراجعة الثانوية أن تحدث فيها أثرها ، فأما تلك التى لا تفلح فيها جهود هذه المراجعة فمختلطة . وإذا كانت أجزاء الحلم المختلطة في أحيان كثيرة هي في الوقت نفسه أقل أجزائه من حيث الشدة الحسية ، جاز أن نستج أن المراجعة الثانوية سبب كذلك في تفاوت هذه الشدة بين مختلف عناصر الحلم .

فإذا بحث الآن عن شيء أقارن به الصورة الأخيرة التى يتخذها الحلم بعد أن يلبي تفكيرنا السوى بدلوه ، لم أجد أحسن من هذه النقوش المعماة التى سلت بها « الصحائف الطائفة » قراءها زمناً طويلاً . لقد كان الهدف منها أن تدخل في روع القارئ أن هذه الجملة أو تلك - ويفضل من أجل المفارقة أن تكون الجملة عامية مضحكة قدر الإمكان - إنما هي نقش لا تبنى . ولهذا تنزع الحروف من تراكيبها المقطعية وترتب على نسق جديد ، فتظهر هنا وهناك كلمة لاتينية حقيقية ، وقد نتعاضد بعد ذلك في مواضع أخرى من النقش عن خلو الحروف المنعزلة من كل معنى فتتوهم أن في النقش أجزاء انمحت أو ثغرات .

فإذا كنا نريد ألا تغرر بنا الميزة ، وجب أن ندع جانباً كل ما من شأنه أن يجعل الحملة تبدو مثل النقش وأن نصوب إلى الأحرف نظرة ثابتة غير ملقين انتباهاً إلى ترتيبها الظاهر ، وبذلك نركبها في كلمات من لغتنا نحن .

وقد كانت المراجعة الثانوية — بين عوامل عمل الحلم — هي العامل الذى لحظته غالبية الكتاب فى الموضوع وقدرت له أهميته . ويأتى هافلوك إليس (١٠ ، ١٩١١) بوصف طريق لمسلكتها ، فيقول :

« ولنا أن نتصور أن الأمور تجرى بالفعل على هذا النحو : يحدث الشعور النائم نفسه قائلاً : ها هو ذا سيدنا مقبل ، ها هو ذا الشعور المستيقظ الذى يعلق كل هذه الأهمية الغالبة على العقل والمنطق وما إليهما . أسرع ! اجمع الأمور ونظمها — وأى نظام يكتفى — قبل أن يدخل هو لكى يضع يده . »

ولقد أكد دولاكروا العينية بين هذا المنهج فى العمل وبين منهج التفكير المستيقظ توكيداً فريداً فى وضوحه ، فقال (١٩٠٤ ، ٢٥٦) :

« هذه الوظيفة المفسرة ليست بالخاصة القاصرة على الحلم فهى لا تختلف من عمل الربط المنطقى الذى نجربه على إحساساتنا ونحن أيقاظ . »^(١)

ويرى جيمس سوللى هذا رأى أيضاً . وكذلك توبوفولسكا ، إذ تقول :

« هذه الهلاوس المتعاقبة فى غير اتساق يجهد ذهن لكن يجرى عليها ذات العمل الذى يؤديه فى اليقظة بإزاء إحساساتنا ، وأعنى به ربطها فيما بينها برباط منطقى ؛ فهو يصل كل هذه الصور المتقطعة برباط موهوم ويسد ما كان بينها من ثغرات مفرطة الاتساع . »^(٢) (ص ٩٣) .

وفى رأى بعض الكتاب أن هذه العملية ، عملية الترتيب والتفسير ، تبدأ فى خلال الحلم وتواصل عملها بعد اليقظة ، فهكذا يقول بولان (ص ٥٤٧) :

« ومع هذا فقد فكرت فى كثير من الأحيان فى أن صورة الحلم قد تلتقى فى ذاكرتنا

[(١) "Cette fonction d'interprétation n'est pas particulière au rêve; c'est le même travail de coordination logique que nous faisons sur nos sensations pendant la veille."]

(٢) "Sur ces successions incohérentes d'hallucinations, l'esprit s'efforce de faire le même travail de coordination logique qu'il fait pendant la veille sur les sensations. Il relie entre elles par un lien imaginaire toutes ces images décousues et bouche les écarts trop grands qui se trouvaient entre elles."]

تحريفاً أو بالأحرى تصاغ صوغاً جديداً . . . فنزوع مخيلتنا إلى التنسيق مستطيع ولا شك أن يتم في اليقظة ما قد بدأه أثناء النوم وهكذا تبدو السرعة الحقيقية لفكرنا وقد زادت زيادة مظهرية بفعل التنقيحات التي تدخلها الخيلة المستيقظة . »^(١)

ويقول لوروا وتوبوفولسكا (ص ٥٩٢) :

« فأما في حالة الحلم فالتفسير والربط لا يتم بالاستعانة بمعطيات الحلم وحدها، بل تعين عليهما معطيات اليقظة كذلك . . . »^(٢)

ولم يكن بعد ذلك محيد عن أن نرى هذا العامل الذي عرف وحده دون سائر عوامل تكوين الحلم وقد لاقى تقديراً لأهميته يتسم بالمبالاة حتى نسب إليه البعض كل وظيفة خلق الحلم . فنى رأى جوبلو - وفوكو بخاصة - أن هذا الخلق يتم في لحظة اليقظة ، أى أن هذين المؤلفين يضيفان إلى الفكر المستيقظ القدرة على تكوين الحلم من الأفكار المنبعثة في أثناء النوم .

ويقول لوروا وتوبوفولسكا في صدد هذه النظرية : « لقد ظن البعض أن من الممكن جعل مكان الحلم في لحظة اليقظة ، وأضافوا إلى الفكر المستيقظ وظيفة تكوين الحلم بالصور الحاضرة في فكر النائم . »^(٣)

وبهذه المناقشة في أمر المراجعة الثانوية أردف بحث عامل آخر في عمل الحلم ، ألفت عليه الضوء أخيراً ملاحظات دقيقة لهربرت سيلبرير . فقد ذكرت من قبل (ص ٣٥٣) أن سيلبرير قد اقتنع - إن جاز هذا التعبير - عملية تحويل الأفكار

(١) [“Cependant j’ai souvent pensé qu’il pouvait y avoir une certaine déformation, ou plutôt reformation du rêve dans le souvenir ... La tendance systématisante de l’imagination pourrait fort bien achever après le réveil ce qu’elle a ébauché pendant le sommeil. De la sorte la rapidité réelle de la pensée serait augmentée en apparence par ces perfectionnements dus à l’imagination éveillée.”]

(٢) [“Dans le rêve, au contraire, l’interprétation et la coordination se font non seulement à l’aide des données du rêve, mais encore à l’aide de celles de la veille ...”]

(٣) [“On a cru pouvoir placer le rêve au moment du réveil et ils ont attribués à la pensée de la veille la fonction de construire le rêve avec les images présentes dans la pensée du sommeil.”]

إلى صور ، واقتنصها على التحديد وهي آخذة في التمام . وكان ذلك بأن كان يتكلف ضرورياً من ضروب النشاط العقلي وهو في حالة من التعب أو النعاس . ففي مثل هذه اللحظات كانت تخفى الفكرة التي يعالجها وتحل محلها رؤية لا يلبث أن يتضح أنها بديل لما لم يكن في العادة سوى أفكار مجردة (أنظر الأمثلة على ذلك في الصفحة المذكورة). والذي يهمننا الآن هو أنه يحدث أحياناً أن الصورة المنبعثة — والتي تصح مقارنتها بعنصر من عناصر الحلم — كانت تمثل أحياناً شيئاً آخر غير الفكرة المعالجة ، ألا وهو التعب نفسه أو المشقة المتضمنة في العمل أو الضيق به ، أى أنها كانت تمثل الحالة الذاتية لمن يتكلف الجهد وتمثل وضعه وهو يمارس وظائفه بدل أن تمثل موضوع هذا الجهد . ولقد أطلق سيلبرير على أمثال هذه الصور التي كان يشيع ورودها عنده إلى مدى بعيد اسم « الظاهرة الوظيفية » تفريقاً بينها وبين « الظاهرة المادية » التي كنا نتوقعها .

« مثال : كنت في عصر يوم راقداً على أريكتي وأنا أشعر بنعاس شديد ، ومع هذا حملت نفسي على التفكير في مشكلة فلسفية ، كنت أريد المقارنة بين آراء كانت في الزمن وآراء شوبنهاور . غير أنني — وبني من النعاس ما بي — لم أكن قادراً على الإمساك بقضايا كلا الفيلسوفين في وقت واحد ، على ما تقتضيه المقارنة . وبعد عدد من المحاولات غير المجدية أشربت ذهني بالاستنباط الكائن مرة ثانية ، باذلاً في ذلك كل ما تملك لإرادتي من القوة ، حتى أتمكن من تطبيقه على قضية شوبنهاور في المشكلة . ثم بعد ذلك تحولت إلى هذه القضية ، ولكنني حين أردت العودة إلى كانت رأيت أن براهينه قد أفلتت مني مرة ثانية ، وعبتنا حاولت استرجاعها . هذا الجهد المضيع في فتح درج كانت الذي كان مختزناً في جهة ما من رأسي لم يلبث أن تمثل نصب عيني في رمز عياني متشكل ، كأنه صورة من حلم : أسأل موظفاً عبوساً جالساً محنياً على مكتبه بعض المعلومات ، ولكنه لا يلتقي بالآ إلى مطلبي الذي ألح فيه ثم يستقيم في جلسته نصف استقامة ويرسل إلى نظرة رفض غاضبة . » (سيلبرير ١٩٠٩ ، ٥١٣)

وهاهي ذى أمثلة أخرى تتعلق بالتردد بين حالي النوم واليقظة :

« مثال رقم ٢ — الملابس : في الصباح ، عند الاستيقاظ . يذهب خاطري وأنا نائم بعض النوم (أى وأنا في حالة شفقية) إلى حلم جاءني وأتابع الحلم به على نحو من

الأنحاء . وبينما أنا كذلك أحسست أنني أقرب من حالة اليقظة شيئاً فشيئاً ولكننى أريد البقاء فى الحالة الشفقية .

« المنظر : أقدم رجلاً لأعبر مجرى ماء ولكننى أعود فأؤخرها عازماً على البقاء حيث أنا . » (سيلبرير ١٩١١ ، ٦٢٥)

« مثال رقم ٦ — الملابسات : كما فى المثال رقم ٤ (حيث كان يريد المضى فى النعاس قليلاً دون أن يفوته الوقت .) أود لو واصلت النعاس برهة .
« المنظر : أودع البعض وأدبر معه (أو معها) لقاء قريباً . » [ذات المرجع ، ص ٦٢٧]

لقد لاحظ سيلبرير الظاهرة « الوظيفية » التى هى « تصوير لوضع ذاتى وليس لموضوع » فى خلال حالتى الشروع فى النوم والاستيقاظ منه ، قبل كل حالة أخرى . ومن الواضح أن تفسير الحلم إنما يعنى بالحالة الثانية . ومن هذه الناحية نجد أن سيلبرير قد أتى بأمثلة مقنعة تدل على أن الأجزاء الأخيرة من المحتوى الظاهر لكثير من الأحلام — وهى الأجزاء التى تأتى قبيل اليقظة مباشرة — لا تصور فى كثير من الأحيان سوى نية الاستيقاظ أو فعل الاستيقاظ نفسه . وقد يحى هذا التصوير فى صور من قبيل اجتياز إحدى العتبات (رمزية العتبة) أو مغادرة حجرة أو دخول أخرى أو الرحيل أو العودة إلى الوطن أو الافتراق عن رفيق أو الغطس فى الماء ، إلى آخره . بيد أننى لا أستطيع إلا أن ألاحظ أننى لم أصادف عناصر حلمية يمكن ردها إلى رمزية العتبة — سواء أكان ذلك فى أحلامى أم فى أحلام الآخرين — اللهم إلا فى حالات تقل كثيراً عما تهيئه لنا روايات سيلبرير . وليس من الممتنع على التصور ولا هو بالشئ المستبعد أن يكون فى « رمزية العتبة » هذه ما يلقى ضوءاً على بعض العناصر التى تجئ وسط سياق الحلم ، فى مواضع يتعلق فيها الأمر بذبذبة فى مستوى عمق النوم ونزوع إلى إنهاء الحلم مثلاً . ومع هذا فما أتى أحد بأمثلة مستيقنة على ذلك . وإنما الأكثر وقوعاً — فيما يبدو — هو حالات الحلم المضاعف التى نرى فيها إحدى فقرات الحلم المستمد محتواها من جعبة أفكار الحلم وقد استخدمت فوق ذلك فى تصوير إحدى حالات النشاط النفسى .

وقد كانت ظاهرة سيلبرير الوظيفية هذه — وهى ظاهرة جد خليقة بالاهتمام — سبباً فى الشئ الكثير من سوء الاستغلال ، دون أن تكون لصاحبها جريرة فى ذلك . ذلك أن البعض

قد رأى فيها سنداً يدعم النزوع القديم إلى أن نخلع على الأحلام تفسيرات مجردة، رمزية . ومن الناس من يذهبون شوطاً بعيداً في إثارة « المقولة الوظيفية » حتى أنهم ليتحدثون عن الظاهرة الوظيفية كلما عرضت في الحلم وجوه من النشاط العقلي أو من العمليات الانفعالية ، مع أن هذه المادة لا تملك من حق الدخول في الحلم — باعتبارها مخلفات من اليوم السابق — إلا ما يملكه سواها ، لا أكثر ولا أقل .

إننا نسلم طواعية بأن في ظاهرة سيلبرير مشاركة ثانية يشارك بها الفكر المستيقظ في تكوين الحلم ، وإن تكن تقل عن الأولى — تلك التي أدخلناها من قبل تحت اسم « المراجعة الثانوية » — من حيث اطراد الوقوع ومن حيث القيمة والخطر . فقد تبين لنا أن جزءاً من الانتباه الذي لا يني عن العمل أثناء النهار يستمر أيضاً في خلال حالة النوم متجهاً حيثئذ إلى الأحلام ، فيكبح جماحها وينقدها ويحتفظ لنفسه بالحق في أن يضع لها حداً . وكان من الطبعي أن نرى في هذا العامل النفسى الباقي على يقظته المراقب الذى عزونا إليه مثل هذا التأثير التقييدى الشديد في تشكيل الحلم . والذى تضيفه ملاحظات سيلبرير هو تلك الحقيقة : إن ضرباً من الملاحظة الذاتية يشترك عندئذ في العمل تحت ملابسات معينة ويكون له أثره في محتوى الحلم . فأما العلاقة المحتملة بين هذا العامل الذى يقوم بالملاحظة الذاتية والذى قد يبرز عند أصحاب العقول الفلسفية بنوع خاص وبين الإدراك الباطنى وهجاس الملاحظة والشعور ومراقبة الحلم ، فذلك ما ينبغي معالجته في موضع آخر^(١).

والآن أخلص هذا البحث المطول في عمل الحلم . لقد وجدنا أنفسنا نواجه ذلك السؤال : أستخدم النفس كل قواها في تكوين الحلم دون أن تدخر منها شيئاً ، أم تستخدم جزءاً منها مكفوف النشاط ليس غير ؟ وأدت بنا أبحاثنا إلى أن نطرح مثل هذه الصياغة للسؤال لأنها لا تكافئ الأوضاع . فإن حُتِمت علينا الإجابة مع البقاء في المجال الذى ترسمه حدود السؤال ، لم يكن مفر من الرد بالإيجاب على كلا الاحتمالين — وإن بدا أن كليهما يمنع الآخر منع الضد لل ضد . فالعمل النفسى الذى يبذل عند تكوين الحلم ينقسم قسمين : إحداث أفكار الحلم ثم تحويلها إلى محتوى الحلم . فأما أفكار الحلم فصحيحة كل الصحة وفي تكوينها تبذل كل الطاقة النفسية التى نحن مستطيعونها ،

(١) " في النرجسية " (فرويد ١٩١٤ ج) .

إنها ترجع إلى فكرنا الذى لم يصبح بعد فكراً شعورياً والذى منه تنشأ أفكارنا الشعورية أيضاً بعد تعديل خاص . ومهما ارتبط بها - أعنى بأفكار الحلم - من أسئلة جديدة بالاهتمام ، معماة ، فهذه الأسئلة لا تحمل صلة خاصة بالحلم ولا تقتضى علاجها بين مسائله^(١) . فأما الجزء الثانى من العمل وهو هذا الذى يحول الأفكار اللاشعورية إلى محتوى الحلم فقصر على الحياة الحاملة وخاصة تميزها . هذا الجزء هو عمل الحلم بالمعنى الصحيح للكلمة ، وهو يبعد عن مثال الفكر المستيقظ بعدا يزيد على ما كان يظنه حتى أ عند المنتقصين للنشاط النفسى فى تكوين الحلم : فهو - أعنى عمل الحلم - لا يختلف فقط من تفكير اليقظة فى كونه أكثر إهمالا وفسادا وأكثر نسياناً ونقصاً ، بل هو يختلف من هذا التفكير اختلافاً كيفياً مطلقاً ، ولهذا لم تجز المقارنة المباشرة بينهما . إنه لا يفكر على الإطلاق ولا يحسب أو يحكم ، بل يقصر نفسه على صب كل أولئك فى صورة جديدة ، ونحن نستغرق وصفه حتى نعدد الشروط التى يجب عليه إرضاؤها وهو يحدث نتاجه . هذا النتاج - وهو الحلم - يجب قبل كل شيء أن يفلت من الرقابة ، ومن أجل هذا الغرض يلجأ عمل الحلم إلى نقل الشدات النفسية حتى وليحدث تغييراً كاملاً فى جميع القيم النفسية . ثم إن الأفكار يجب أن تستحضر - على نحو مانع أو غالب - فى مادة من الآثار الذكورية البصرية والسمعية ، وهو اقتضاء يفرض على عمل الحلم اعتبارات تتعلق بقابلية التصوير يواجها عمل الحلم بأن يجرى نقلات جديدة . ولا بد (على الراجح) من إحداث شدات نفسية تفوق ما يكون لأفكار الحلم ليلاً ، وهو غرض يتم بوساطة التكثيف الواسع النطاق الذى يشمل مقومات الحلم . فأما العلاقات المنطقية بين الأفكار فلا تنال سوى القليل من الانتباه ، وهى فى نهاية الأمر تلقى تصويراً

(١) لقد كنت فى وقت من الأوقات أجد صعوبة قصوى فى جعل القراء يألّفون التفرقة بين المحتوى الظاهر للحلم وبين أفكاره الكامنة ، وكنت لا أفتأ أسمع اعتراضات وحججاً مستخرجة من حلم لم يفسر ، أخذ كما أبتقت عليه الذاكرة دون التفات إلى ضرورة تفسيره . وأما اليوم وقد رضى المحللون على الأقل بإحلال تفسير الحلم محل محتواه الظاهر ، فإن الكثيرين منهم يرتكبون نوعاً من الخطأ يصرون عليه لإصرار سابقهم على خطأهم : ذلك أنهم يبحثون عن جوهر الحلم فى محتواه الكامن ، وبذا يفضون الطرف عن التفرقة بين أفكار الحلم وعمل الحلم . إن الحلم فى جوهره ليس سوى صورة خاصة من صور التفكير صارت ممكنة بفعل شروط حالة النوم . وعمل الحلم هو الذى يخلق هذه الصورة ، وفيه وحده تقوم ماهية الحلم ، إنه هو الذى يفسر طبيعة الحلم الخاصة . وإنى أقول ذلك لكى نقدر تقديراً صحيحاً ما يتحدث به الكثيرون من " ميل الحلم إلى الاهتمام بالمستقبل " ؛ فلأن يشغل الحلم بالتماس حلول للمشكلات التى تواجه حياتنا النفسية ليس بأعجب من اشتغال حياتنا المستيقظة الشعورية بهذه المشكلات ، ولا يدل بعد ذلك إلا على أن هذا العمل يمكن وقوعه فى ما قبل الشعور كذلك - وهو أمر نعرفه من قبل .

مقنعاً في بعض الخصائص الصورية للحلم . وأما الحالات الوجدانية المتصلة بأفكار الحلم فيصحبها تغيير يقل عن الذى يتناول المحتوى الذهنى لهذه الأفكار، والقاعدة هى أن تقع أمثال هذه الحالات ، فإن أبقي عليها انتزعت مما ترتبط به من الأفكار وضم ما تجانس منها . جزء واحد من عمل الحلم – وأعنى به ما يأتية الفكر المستيقظ استيقاظاً جزئياً من مراجعة متفاوتة المدى – هو الذى يتفق بعض الاتفاق والنظرة التى أراد المؤلفون تطبيقها على فعل تكوين الحلم فى مجموعه .

الفصل السابع

سيكولوجية عمليات الحلم

إن بين الأحلام التي رواها لى أناس آخرون حلماً يستحق بنوع خاص أن نوليه في هذا الموضع انتباهنا . لقد ذكرته لى إحدى مريضاتي ، وكانت هي قد سمعته في محاضرة عن الأحلام ولا زلت أجهل مصدره الحقيقي . غير أن محتواه قد ترك في نفس السيدة أثراً عميقاً حتى أنها أخذت « تحلم على غراره » أي أخذت تكرر بعض عناصره في حلم من عندها لكي تعرب بهذا الاقتباس عن اتفاقها معه في ناحية معينة من نواحيه . كانت مقدمات هذا الحلم النموذجي هي الآتية : ظل أب يسهر على ابنه المريض أياماً وليالي متداولة . فلما مات الطفل ذهب إلى الغرفة المجاورة لكي يستلقي ولكنه ترك الباب مفتوحاً بحيث يستطيع النظر من غرفته إلى الغرفة التي يثوى فيها الجسد وقد التفت من حوله شموع طويلة . وكان الأب قد استأجر رجلاً معمرّاً لينوب عنه في السهر ، فجلس الرجل إلى جوار الولد الميت وهو يتمم بأدعية . ومضت ساعات قليلة من النوم حلم الأب بعدها أن ابنه واقف بجوار فراشه ، يمسك بساعده ويهمس في أذنه معاتباً : « أبي ألا ترى أنني أحترق ؟ » واستيقظ الأب فلمح وهجاً براقاً من الغرفة المجاورة ، فهرع إليها ، فرأى أن الرجل المعمر قد أخذته سنة من النوم وأن شيمعة موقدة قد سقطت فأشعلت الدناثر وساعداً من جثمان طفله الحبيب .

إنه ما من صعوبة تقف دون إيضاح هذا الحلم المثير . ولقد فسر المحاضر تفسيراً صحيحاً ، على حسب رواية السيدة : فوهج الضوء قد سطع من خلال الباب إلى عيني الرجل النائمين وكان أن ذهب الرجل إلى النتيجة التي قد كان يستخلصها لو أنه كان مستيقظاً : أن شمعة قد سقطت فأشعلت النار في شيء مما يحيط بجسد الابن — ولعل الأب قد ذهب ليضطجع وهو قلق ، يسأل نفسه عن مدى قدرة الرجل المعمر على القيام بمهمته .

وما كنت من جانبي لأغير من هذا التفسير في شيء ، اللهم إلا أن أضيف أن

محتوى الحلم لا بد كان مضاعف الحتم ، وأن الكلمات التى قالها الطفل فى الحلم لابد قد أخذت من كلمات صدرت عنه بالفعل فى حياته وكانت ترتبط فى ذهن الأب بأحداث ذات بال . ولعل قول الطفل : « إني أحترق » قد خرج من شفتيه وهو محموم فى مرضه الأخير ، ولعل « أنى ألا ترى ؟ » جملة مستمدة من موقف آخر ، حافل بانفعال شديد ، لا نعلم عنه شيئاً .

غير أننا وقد عرفنا أن الحلم عملية ذات معنى يمكن إدراجها فى سياق خبراتنا النفسية قد نتساءل : لم كان على الإطلاق أن جاء حلم فى ملابسات كهذه كانت تتطلب الاستيقاظ أسرع الاستيقاظ ؟ الجواب هو أن نلاحظ أن هذا الحلم أيضاً كان يشتمل على ما يحقق رغبة : ذلك أن الطفل الميت قد سلك فى الحلم مثل طفل حى ، ينادى أباه بنفسه ويذهب إليه فى فراشه ويمسك بساعده، مثلما صنع - فى أغلب الظن - إبان هاته المناسبة التى أخذت كلمات الطفل الأولى فى الحلم من ذكراها، ومن أجل تحقيق هذه الرغبة أطال الأب نومه هنية وآثر الحلم على تدبير اليقظان لأن الحلم كان يملك القدرة على أن يظهر الطفل حياً من جديد . ولو أن الأب بدأ فاستيقظ ثم استنتج النتيجة التى حملته إلى الغرفة المحاورة لكان بذلك كأنما اختصر عمر ابنه برهة من الزمان .

فيذا تساءلنا : « أية خاصة فى هذا الحلم القصير تثير اهتمامنا ؟ » ، لم يكن شك فى الجواب . لقد ظللنا حتى الساعة وشاغلنا الغالب هو ما للأحلام من معنى خبيء ومنهج الكشف عن هذا المعنى ووسائل عمل الحلم فى ستره ، فمشكلات تفسير الحلم هى التى كانت موضوعة نصب أعيننا حتى الآن . والآن يواجهنا حلم لا مشكلة فى تفسيره ولا خفاء فى معناه ، لكنه - كما نرى - قد احتفظ مع ذلك بكل الخصائص الجوهرية التى تفرق بين الحلم واليقظة تفرقة بينة وتشعرنا بالحاجة إلى التعليل . فنحن بعد أن نفرغ من كل ما يتعلق بفعل التفسير نستطيع أن نلاحظ للمرة الأولى مدى النقص فى سيكولوجيتنا عن الأحلام .

ولكن يجمل بنا قبل أن نضرب فى هذا الطريق الجديد أن نتمهل ونجمل النظر من حولنا لئلا نرى إن كان ثمت شئ ذو بال قد نسيناه فى خلال رحلتنا حتى بلغنا الموضع الذى نحن فيه . إذ يجب أن نعلم فى جلاء أن الجزء الهين السار من طريقنا قد تركناه الآن خلفنا . فإلى هنا كانت كل الطرق التى سرنا فيها ، كانت - إذا لم أكن على خطأ كبير -

تسلمنا إلى الضوء ، إلى التعليل وإلى فهم أتم . ولكننا ما أن نبتغى التعمق في العمليات النفسية التي يتضمنها فعل الحلم حتى تسلمنا كل الطرق إلى الظلمة . فإنا من قوة على تعليل الأحلام من حيث هي عملية سيكولوجية ؛ لأن تعليلك شيئاً يعنى رده إلى معلوم سابق ولسنا - في الوقت الحاضر - نملك معرفة سيكولوجية موطدة نستطيع أن ندرج تحتها ما نعلم بالفحص السيكولوجي للأحلام أنه أساس تعليلها . بل نحن على العكس مضطرون إلى أن نضع عدداً من الفروض الجديدة تمس من باب المحاولة تركيب الجهاز النفسى ولعب القوى العاملة فيه - وهى فروض يجب أن نراعى عدم الغلو في متابعتها إلى ما وراء مستخلصاتها المنطقية الأولى وإلا ضاعت قيمتها فيما لا علم لنا به . فنحن وإن لم نرتكب خطأ في استدالاتنا وأدخلنا جميع الإمكانات المنطقية في حسابنا فإن النقص الذى يرجح وجوده في مقدماتنا خطر يهدد حسابنا أجمعه بخسران مبین . ذلك أن من المحال أن نصل إلى نتائج في تكوين العدة النفسية وطرائقها المتبعة في العمل - أو يستحيل على الأقل البرهان على هذه النتائج برهاناً تاماً - ابتداء من دراسة الأحلام وحدها أو أية وظيفة نفسية أخرى على حدة ، مهما بذلنا في هذه الدراسة من العناية . بل لا بد لكى نصل إلى هذا الهدف من أن نربط بين جميع المتضمنات الثابتة المستخلصة من دراسة مقارنة لعدد بأكمله من أمثال هذه الوظائف . وهكذا فالفروض السيكولوجية التي ننتهى إليها من تحليل عمليات الحلم يجب أن تظل معلقة - إن جاز التعبير - إلى أن يتسنى وصلها بمكتشفات تكشف عنها بحوث أخرى تحاول النفاذ من زاوية مختلفة إلى لب المشكلة ذاتها .

أ

نسيان الأحلام

وعلى ذلك أقترح أن نعود إلى صعوبة لم ننظر فيها حتى الآن وهى مع ذلك كفيلة أن تقوض كل ما بذلناه من الجهود في تفسير الحلم . فقد سمعنا من أكثر من جانب اعتراضاً حاصله أننا - والحق يقال - لا نعرف الحلم الذى نتعرض لتفسيره ، أو - بعبارة أدق - لا نملك ضمناً يضمن أننا نعرفه كما وقع حقيقة (ص ٨١-٨٢) .

فما نذكره من الحلم ونزاول فنوننا التفسيرية في صددده قد نالت منه أولاً ذاكرة لا تؤتمن ، تبدو عاجزة عن الإبقاء على الحلم بنوع خاص وربما أضاعت من محتواه أهم أجزائه على التحديد . وإنه ليحدث في كثير من الأحيان حين ندير انتباهنا إلى حلم من أحلامنا أن نرانا نأسف لأننا وإن كنا قد حلمنا بالشئ الكثير لم نعد نستطيع أن نذكر سوى نبذ مفردة ، حتى هذه لا نذكرها إلا ذكراً خالياً من كل يقين . وثانياً فإن كل الشواهد تدعونا إلى التشكك في أن تكون ذكرانا عن الحلم مجترئة وحسب ، دون أن تكون فوق ذلك مجانبة للأمانة مكنوبة . فقد نشك من جهة في أن يكون الحلم في حقيقته مفكك الأوصال مبهما كما هو في ذاكرتنا ، وقد نشك من جهة أخرى في أن يكون الحلم مترابطاً حقيقة كما هو في روايتنا إياه ، في كوننا حين نحاول استرجاعه لا نملأ منه ما لم يكن موجوداً — أو كان موجوداً ثم نسي — بمادة جديدة مختارة من عندنا ، في كوننا لا نروقه ونسويه ونصححه بحيث لا يبقى مجال للقطع برأى في حقيقة محتواه . لا ، بل لقد رأينا [ص ٨٣] أحد المؤلفين (شبيتا) ^(١) يفترض أن كل ما يظهر في الحلم من قبيل الترتيب والاتساق إنما يدخله للمرة الأولى حين نحاول استعادته في أذهاننا . وهكذا نكون في خطر من أن يفلت من يدنا الموضوع الذي شرعنا في تقديره .

لقد كنا حتى الساعة — ونحن نفسر الأحلام — لا نلقى بالا إلى مثل هذه النذر . بل كان من رأينا — على العكس — أن أصغر مقومات الحلم وأقلها ظهوراً وبقينا تقتضي من التفسير مثل ما تقتضيه تلك التي بقيت واضحة مستيقنة . فقد جاء في حلم حقنة إرما أنني استدعيت الدكتور م. على الفور فافترضنا أنه حتى هذه اللمحة الصغيرة ما كانت لتشق طريقها إلى الحلم لو لم يكن لها أصل خاص ، وكان أننا انتهينا على هذا النحو إلى قصة المريضة التعسة التي استدعيت زميلي الأكبر إلى جوارها على الفور . ثم ذلك الحلم الفاسد المظهر الذي عومل فيه الفرق بين الرقم ٥١ والرقم ٥٦ كما لو كان « كما مهملاً » ^(٢) [ص ٤٣٥] : لقد تكرر مجئ الرقم ٥١ في هذا الحلم أكثر من مرة ، وبدل أن ننظر إلى ذلك نظرتنا إلى واقعة نسلم بها أو إلى أمر لا وزن له استدللنا منه على أن محتوى الحلم الكامن كان ينطوي على خيط فكري ثان يؤدي إلى الرقم ٥١ ،

(١) وكذلك فوكو وتانري .

(٢) [Quantité négligeable]

فلما قفونا هذا الأثر انتبهنا إلى تخوفى من أن تكون السنوات الواحدة والخمسون كل فسحة عمرى — على مخالفة بينة من الخيط الفكرى الآخر الذى كان غالباً على الحلم وكان يغرق فى المفاخرة بعمر مديد . ثم حلم « Non vixit » [ص ٤٢١] : إنه قد حوى قضية عابرة لم أعرها أول الأمر انتباها ، هى : « فلما لم يفهم بمراده سألتى ف ... الخ . » ولكنى عندما وقفت فى التفسير رجعت إلى هذه الكلمات فكانت هى التى قادتنى إلى ذكرى الطفولة التى لم يلبث أن تبين أنها كانت نقطة العقد المتوسطة بين أفكار الحلم [ص ٤٨١] . وقد كان ذلك من طريق الأبيات الآتية :

ندر أن فهمتنى ،
ندر أيضاً أن فهمتك ،
ليس إلا والطين يجمعنا ،
أن كان الفهم منى ومنك ^(١) .

ومن الممكن أن نجد فى كل تحليل أمثلة ترينا أن أنفه عناصر الحلم على التحديد أمر لا يستغنى عنه فى تفسير الحلم وأن عملنا لا يلبث أن يقف إذا أرجأنا الانتباه إلى هذه العناصر . وعلقنا مثل هذه الأهمية فى تفسير الحلم على كل ظل من ظلال العبارة اللغوية التى يأتينا الحلم فيها . بل لقد كنا إذا مثل أمامنا نص خال من المعنى غير واف — كأنما أخفق الراوى فيما أراد الالتزام به من ترجمة الحلم ترجمة صحيحة — حسبنا أيضاً لهذا القصور فى العبارة حسابه . وعلى الجملة . كنا نعالج مالم يكن فى زعم المؤلفين السابقين إلا قولاً مرتجلاً أملاه الهوى واقتضت الضرورة أن تلم أجزاؤه على عجل — كنا نعالجه كأنه نص مقدس . هذا التعارض يتطلب تعليلاً .

إن التعليل يبين أننا على حق دون أن يجر ذلك إلى تخطئة الكتاب الآخرين ؛ لأن من شأن فهمنا المكتسب حديثاً لأصل الأحلام أن يوفق بين المتناقضات . فمن الحق أننا نشوه الحلم حين نحاول استحضاره ، وههنا نلتقى مرة ثانية بالعملية التى سميناها مراجعة الحلم مراجعة ثانوية — يكثر أن تنطوى على خطأ فى الفهم — من جانب عامل الفكر السوى . ولكن هذا التشويه ذاته لا يعدو أن يكون جزءاً من المراجعة التى تخضع لها أفكار الحلم خضوعاً مطرداً نتيجة لرقابة الحلم . فالكتاب قد شعروا هنا بهذا الجزء من التشويه الحلمى الذى

يعمل عمله علانية أو هم لحظوه . ولكن هذا الجزء لا يعيننا أمره سوى قليلا ؛ لأننا نعلم أن تشويها أوسع مدى وأقل يسرا على الملاحظة قد استهدف الحلم من قبل ، ابتداء من الأفكار الكامنة . وإنما أخطأ هؤلاء الكتاب حين ظنوا أن التغيير الذى يصيب الحلم عند تذكره أو صوغه فى كالم تغيير تحكمى لا يمكن رده لم إلى شىء أبعد منه وأنه — من ثم — كفى أن يزيى معرفتنا بالحلم : لقد قدروا الحتمية فى المجال النفسى دون قدرها . والحقيقة أنه ما من تحكم هنا . وفى وسعنا أن نبين بوجه عام أنه إذا خلا عنصر ما من خيط فكرى يحتمه سارع خيط ثان إلى تحتيه على الفور . مثال ذلك أننى قد أحاول أن أستحضر عدداً استحضاراً تحكمياً محضاً ، ولكن ذلك محال ؛ فالعدد الذى يخطر لى قد حتمته أفكار من أفكارى — وإن تكن بعيدة عن مقصدى المباشر — تحتيماً ضرورياً لا شبهة فيه .^(١) والتغيرات التى تصيب الحلم عند تحريره فى البقطة لا يزيد التحكم فيها عليه فى غيرها : إنها تظل على رباط استدعائى يصل بينها وبين المحتوى الذى حلت هى محله وترشدنا إلى طريق هذا المحتوى الذى قد يتبين أنه كان بدوره بديلاً من شىء آخر .

ولقد اعتدت وأنا أحلل أحلام مرضاى أن أمتحن هذا الرأى امتحاناً لم يخلف ظنى قط : كنت إذا بدت رواية أحد الأحلام مستعصية على الفهم أول الأمر سألت المريض أن يعيدها ، وهو إذ يفعل ذلك قلما يعيد ذات الألفاظ ، ولكن المواضع التى يختلف تعبيره عنها . هذه أعلم عندئذ أنها مواطن الضعف فى قناع الحلم ، وإنها لتفيدنى مثلما أفادت هاجن العلامة المطرزة على عباءة سيجفريد^(٢) ، ومنها ينبغى الشروع فى تفسير الحلم . ذلك أن سؤال المريض أن يعيد الرواية قد جعلته يفتن إلى أننى عازم على أن أخصص بعض جهدى لتفسير حلمه ، وهو لهذا يسارع بحافز من الرقابة إلى تغطية مواطن الضعف فى قناع الحلم ، مستبدلاً بكل عبارة نماعة عبارة أخرى أبعد مائى ، وبذلك يجذب انتباهى إلى التعبير الذى أسقط . فالمشقة المبذولة من أجل الحيلولة دون حل الحلم

(١) أنظر فرويد ١٩٠١ ب الفصل السابع .

(٢) [سيجفريد بطل من أبطال الأساطير الجرمانية ، قيل : إنه لم يكن فى جسمه سوى موضع واحد يمكن أن ينفذ إليه منه الموت ، ولم يكن يعلم هذا الموضع سوى كرميله زوجة . ولكن هاجن — خصمه اللدود — استطاع أن يستدرج هذه حتى جعلها تعلم له ذلك الموضع بصليب صغير على عباءة سيجفريد ، وبذا أمكنه أن يطعمه الطعنة القاتلة .]

نزودنى كذلك بمقياس أقيس به مدى الحرص المصروف فى نسج رداثه .

وقد كان حظ المؤلفين السابقين من المبررات أقل حين علقوا أهمية كبرى على الشك الذى تتلقى به ملكة الحكم عندنا رواية الأحلام : فإن هذا الشك ليس مما يقوم على سند عقلية . صحيح أن ذاكرتنا لا تعرف على وجه العموم ضامنا يضمن صحتها ، ومع هذا فنحن مدفوعون بدافع قهرى إلى أن نصدق ذاكرتنا فى حالات تربو كثيراً جداً على تلك التى يجد فيها التصديق مبررات موضوعية . فإذا كنا نشكك فى أن يكون الحلم أو بعض تفاصيله قد روى رواية صحيحة ، فهذا الشك بدوره مستمد من رقابة الحلم ، من المقاومة التى تحول دون نفاذ أفكار الحلم إلى الشعور . فهذه المقاومة لم تستنفد بعد رغم كل ما جلبته من النقل ومن التبديل ، لأنها تستمر فى صورة شك موضوعه هذه المادة التى سمح لها بالعبور . ويزيد نزوعنا إلى الخطأ فى فهم حقيقة هذا الشك حرصه على ألا يهاجم أبداً أكثر عناصر الحلم شدة ، بل العناصر الضعيفة غير المتميزة وحسب . ولكننا نعلم من قبل أن قلباً شاملاً لجميع القيم النفسية قد وقع بين أفكار الحلم والحلم [ص ٣٣٩] ، ولا يتيسر التشويه إلا بسحب القيمة النفسية ، وهو بهذه الوسيلة يعرب عن نفسه عادة ، وقد يقنع بها أحياناً . فإن جاء أحد عناصر الحلم غير متميز ثم بعد ذلك أضيف الشك ، كان هذا علامة مؤكدة على أننا نواجه عنصراً مشتقاً من أفكار الحلم الممنوعة اشتقاقاً مباشراً . والحال هنا أشبه بها بعد ثورة كاسحة فى جمهورية من العصور القديمة أو من عصر النهضة : فقد كانت الأسر القديمة النبيلة صاحبة السيادة من قبل ترسل إلى المنفى بينما يملأ مقاعد الحكم وفود جدد ، ولم يكن يؤذن بالبقاء فى المدينة إلا لأشد أعضاء الأسر المدحورة فقراً وأقلهم حولاً أو لمن لم تكن له بهذه الأسر إلا تبعة بعيدة ، وحتى هؤلاء لم يكن يترك لهم الاستمتاع بكامل حقوقهم المدنية وكان ينظر إليهم بعين الحذر . والحذر فى هذا المثال هو عِدْلُ الشك فى حالتنا ، ولهذا كنت أقتضى عند تحليل الحلم أن نترك ميزان تقدير درجات اليقين برمته ، فإن كان هناك أقل احتمال لأن يكون مثل هذا الشيء أو ذاك قد عرض فى الحلم ، وجب أن يؤخذ هذا الاحتمال مأخذ الحقيقة الثابتة كل ثبوت . فإن لم نصمد على هذا الموقف ونحن نقفواً على عناصر الحلم لم يلبث التحليل أن يتوقف على الفور . وإن كل تشكك فى قيمة العنصر الذى نصادفه تكون نتيجته انقطاع الأفكار اللارادية المستترة وراء هذا العنصر عن الورد . ومن الحق

أن هذه النتيجة ليست واضحة بذاتها ؛ فلا شيء يمنع من أن يقول المرء : « لست أعلم علم اليقين إن كان هذا الشيء أو ذاك قد عرض في الحلم ، ولكن ها هو ذا ما يخطر لي في صدده على أية حال » ، ولكن الواقع هو أنه ما من أحد يقول ذلك أبداً . وهذا التأثير المعوق الذى ينجم عن الشك في التحليل ، هذا التأثير على التحديد ، هو ما يعلن أن الشك فرع من الرقابة النفسية وأداة من أدواتها . إن التحليل النفسى حذر وهو محق في حذره ، فإحدى قواعده هى الآتية : كل ما يعوق سير العمل مقاومة ^(١) .

وكذلك نسيان الأحلام ، فإنه يظل أيضاً من غير تعليل ما لم نحسب لقوة الرقابة النفسية حسابها . صحيح أن شعورنا بأننا قد حلمنا كثيراً دون أن نبقي إلا على القليل قد تكون له معان كثيرة : كأن يكون عمل الحلم قد استمر طيلة الليل كله على نحو ملموس دون أن يترك وراءه سوى حلم قصير . ولا شك أيضاً فى أننا نزيد نسياناً للأحلام كلما انقضى الوقت بعد الاستيقاظ وكثيراً ما ينساها المرء رغم جهوده المضنية من أجل الإمساك بها . إلا أنني أرى مع ذلك أننا كما نبالغ عادة فى تقدير مدى هذا النسيان نبالغ كذلك فى تقدير مدى التقييد الذى ينال معرفتنا بالحلم من جراء هذه الثغرات . فمن الممكن فى كثير من الأحيان أن نسترجع بوساطة التحليل كل ما أفقدنا إياه النسيان من محتوى الحلم ، وفى عدد لا بأس به من الحالات على الأقل يتسنى لنا ابتداء من نبذة مفردة بقيت من الحلم ، لا أقول : أن نركب الحلم من جديد — وهذا بعد ليس بالشيء الهام — بل أفكار الحلم جميعها . وهذا العمل يقتضى قدراً كبيراً من الانتباه وضبط النفس ، هذا هو كل شيء — ولكنه يبين أن نسيان الحلم لم يكن يخلو من غرض معاد ^(٢) [أى منطو على مقاومة] .

(١) إن من السهل أن نخطف فهم هذه القضية المصاغة هنا فى حدود جريئة : كل ما يعوق سير العمل مأمومة . إنها بالطبع لا تعدو أن تكون قاعدة فنية ، تحذيراً للمحللين ؛ فمن المستحيل أن ننكر أن أحداثنا مختلفة قد تقع فى خلال العلاج دون أن تكون المسئولية فيها راجعة إلى نيات المريض : فوالله قد يموت فجأة دون أن يكون هو الذى قضى عليه ، أو قد تشتمل الحرب فيكون اشتغالها نهاية العلاج . بيد أن القضية إلى جانب هذه المبالغة الظاهرة تتضمن مع ذلك شيئاً صحيحاً جديداً : فإنه حتى إذا كان الحدث الذى يعرقل العلاج حدثاً حقيقياً مستقلاً عن إرادة المريض فإن مدى الانقطاع الذى ينجم عن هذا الحدث أمر يتوقف فى كثير من الأحيان على المريض . ثم إن المقاومة تظهر من غير خطأ فى مدى مسارعة المريض إلى تقبل مثل هذه الفرصة وفى مغالاته فى استغلالها .

(٢) من محاضرات التمهيدية [فرويد ١٩١٦ - ١٩١٧ ، المحاضرة السابعة] أقتبس الحلم الآتى الذى تم تفسيره بعد وقوف دام فترة قصيرة ، مثالا على التردد والشك فى الحلم مع انكاش محتواه فى الوقت عينه إلى عنصر مفرد :

ويظفر المرء بشاهد مقنع على أن نسيان الأحلام نسيان مغرض يخدم مآرب الرقابة^(١) ، إذا أتيح له أن يتتبع في أثناء التحليلات مرحلة أولى من مراحل النسيان . فليس من النادر أن نكون في منتصف عملية التفسير فإذا جزء محذوف من الحلم ينبثق ، يقول متذكراً : إنه قد ظل حتى هذه اللحظة نسياً منسياً . ثم لا يلبث أن يتضح أن هذا الجزء المنتزع من النسيان هو في كل مرة أهم أجزاء الحلم : إنه يقع دائماً على أقصر الطرق المسلمة إلى حل الحلم ، وهو — لهذا السبب — قد عرض لمقاومة تفوق ما أصاب سواه . وبين الأحلام المنتثرة في هذا المجلد مثال أضيف جزء من محتواه على هذا النحو في صورة فكرة لاحقة ، هو حلم السفر الذي أثار فيه من رفيق المزعجين في السفر [ص ٤٥٤] والذي اضطرت إلى تركه ولما أكد أبداً تفسيره — هكذا كان مبلغه من مجافاة اللياقة . لقد كان الجزء المحذوف هو الآتي : « أقول وأنا أشير إلى كتاب لشيلا : "It is from..."

" حلمت مريضة شكاكة من مريضاتي حلماً طويلاً بعض الطول ، فيه تحدث إليها البعض عن كتابي في 'النكات' وأثنى عليه ثناء عاطراً . ثم بعد ذلك ورد في الحلم شيء عن 'قناة' ما ، لعله كتاب آخر عرض فيه ذكر قناة ، أو شيء آخر متعلق بقناة . . . لا تدري . . . كان كل ذلك منها .

" إنكم تتوقعون ولا شك أن يكون العنصر 'قناة' — وهو على هذا الخلو من التميز — ممتناً على التفسير . وأنتم محقون حين تتوقعون صعوبة ، ولكن الخلو من التميز ليس منشأها ، بل هذا الخلو وهذه الصعوبة يرجعان معا إلى مصدر آخر . إن المريضة لا يخطر ببالها شيء ما عن القناة ، ولست أدري بالطبع ماذا أقول . بيد أن المريضة تذكر لي بعد أن انقضى بعض الوقت — وكان ذلك في اليوم التالي على التحديد — تذكر أنها قد فكرت في شيء ربما كانت له صلة بالقناة ، وكان هذا الشيء نكتة كذلك ، نكتة سمعتها : كانت باخرة تمخر المخابر بين دوهر وكاليه حين دارت على سطحها محادثة بين مؤلف معروف ورجل إنجليزي . وجاء سياق الحديث بما دعا الرجل الإنجليزي إلى الاستشهاد بالعبارة الآتية : بين السام والمضحك إن هي إلا خطوة إلى [Du sublime au ridicule il y a qu'un pas] — يريده أن يقول بذلك : إن فرنسا في رأيه سامية وأما إنجلترا فضحكة . ولكن 'خطوة كاليه' [اسم يطلق بالفرنسية على] قناة ، هي قناة المانش . فهل أرى أن لذلك صلة بالحلم ؟ أراه يقيناً : إنها تأتينا بحل هذا العنصر الحلمى المسمى . أو هل تريدون الشك في أن هذه النكتة قد كانت موجودة قبل أن يقع الحلم كفكرة لاشعورية مستترة وراء العنصر 'قناة' ؟ أى وسعكم أن تفتروا أنها قد خلقت خلقاً من بعد ؟ إن المستدعى الذى خطر ببال المريضة قد نم عن الشك الذى كانت تقسمه وراء إعجابها الظاهر ، ولا ريب في أن مقاومتها قد كانت العلة المشتركة على السواء لإبطاء المستدعى في الهجي ونخلو هذا العنصر الحلمى من التميز . وانظروا هنا إلى العلاقة بين العنصر الحلمى وبين مضمونه اللاشعورى : إنها تعرض في هيئة نبذة من هذا المضمون أو تلميح إليه ، ولكن عرظاً قد جعلها تتمتع على الفهم . "

(١) أنظر فيما يتصل بالفرض من النسيان بوجه عام مقال الصغير عن « الميكانيكيات النفسية للنسيان » (فرويد ١٨٩٨) — وهو مقال صار بعد ذلك الفصل الأول من كتابي "سيكوباثولوجية الحياة اليومية" (فرويد ١٩٠١ ب) .

ولكنى أخط خطأى فأستدرك مصححاً : "It is by ..." عندئذ يعقب الرجل قائلاً لأخته : نعم ، لقد قال ذلك دون أن يخطئ. (١)

أن يصحح المرء نفسه في حلم — وهو ما يبدو لبعض المؤلفين عجباً عجائبا — أمر لا نحتاج يقينا إلى أن نشغل به . وإنما أميط اللثام بدل ذلك عن الذكرى التي اتخذتها نموذجاً صنعت على غرار هفوتى اللغوية في الحلم : كنت في التاسعة عشرة من عمري حين زرت إنجلترا للمرة الأولى وقضيت يوماً كاملاً على شاطئ البحر الإيرلندى . ولم أفوت بالطبع ما هيأته لى الفرصة من جمع الحيوانات البحرية التي تركها المد ، وكنت منصرفاً بانتباهي إلى سمكة من سمك النجمة (يبدأ الحلم بكلمتي Holothurn-Holothrien [حيوان بحرى بطنى الأرجل]) حين أقبلت فتاة صغيرة أخاذة وسألني : "Is it a starfish ? Is it alive ?" — فأجبتها "Yes, he is alive" ولكننى استدركت فصححت جملى على الفور وقد خجلت لهفوتى . ولقد استبدل الحلم بالهفوة التي أتيها في ذلك الحين هفوة أخرى يسهل الوقوع فيها كذلك على ناطق بالألمانية ؛ فقولنا : "Das Buch ist von Schiller" لا تصح ترجمته بحرف "from" ، بل بحرف "by" . فإذا علمنا بعد ذلك أن عمل الحلم قد أجرى هذا التبديل لأن الجنس بين الحرف الإنجليزي "from" وبين النعت الألماني "fromm" [تق] كان : يمكنه من تكثيف ضخم ، لم يدهشنا ذلك بعد أن سمعنا كل ما سمعنا عن أهداف عمل الحلم وعن اختياره سبل الوصول إليها غير مبال . ولكن ما الذى أقحم ذكرى الشاطئية البرينة في سياق هذا الحلم ؟ إنها قد أفادت من حيث كانت أكثر الأمثلة الممكنة براءة على استخدائى لكلمة ذات دلالة على الجنس في غير موضعها ، على إقحامى الجنس "h" حيث لا موضع له . ولقد كان ذلك أحد المفاتيح اللازمة لحل الحلم . ولا تصعب تكملة البقية على من علم فوق ذلك بمآتى عنوان "Matter and Motion" (٢) :

(١) أن يصحح المرء نفسه وهو يتحدث بلغة أجنبية أمر كثير الوقوع في الأحلام ، ولكن التصحيح يوضع في معظم الأحيان على لسان شخص آخر . مثال ذلك أن موري حلم مرة في وقت كان يتعلم فيه اللغة الإنجليزية بأنه يتحدث إلى شخص كان قد زاره في اليوم السابق قائلاً : "I called for you yesterday" فأجاب الآخر مصححاً : بل تقول : "I called on you yesterday" .

(٢) ["المادة والحركة" — وهو عنوان كتاب ماكسويل الذى ورد ذكره في هذا الحلم .]

(Molière — Le malade imaginaire : La matière est-elle laudable ? — a motioin of the bowels.)^(١)

وفي استطاعتي فوق ذلك أن أسوق برهاناً عياناً على أن نسيان الأحلام ناجم إلى مدى بعيد عن المقاومة . فقد يقول أحد مرضاي : إنه قد حلم لكنه نسي حلمه فلم يبق منه أثر ، والأمر إذن كأن الحلم لم يكن قط . ونبدأ عملنا فأجىء إلى مقاومة ، وعندئذ أوضح للمريض مسألة ما وأعاونته بالتشجيع والحث على أن يتراضى مع فكرة من الأفكار لا تسره ، ثم لا أكاد أفرغ من ذلك حتى أسمعه يهتف قائلاً : إني أتذكر الآن بماذا حلمت . فذات المقاومة التي تدخلت في عملنا ذلك اليوم هي التي جعلته كذلك ينسى الحلم ، وبالتغلب على هذه المقاومة أعدت الحلم إلى ذاكرته .

وعلى هذا النحو عينه نرى مريضاً يبلغ مرحلة معينة من العمل التحليلي فإذا هو يذكر حلماً أتاه من قبل بأيام ثلاثة أو أربعة أو أكثر ، وكان الحلم قد ظل حتى الآن نسياً منسياً^(٢) .

ولقد زدتنا الخبرة التحليلية ببرهان آخر على أن توقف نسيان الأحلام على المقاومة يفوق كثيراً توقفه على ما بين حالتي النوم واليقظة من الاختلاف — كما كان يظن الكتاب السابقون . فليس من النادر أن يقع لي — كما يقع لغيري من المحللين والمرضى تحت العلاج — أن نستيقظ من النوم على حلم — إن جاز التعبير — فنشرع على الفور في تفسيره وقد حضرت ملكاتنا العقلية حضوراً تاماً . وكنت في مثل هذه الحالات آتياً في أحيان كثيرة أن يقر لي قرار حتى أبلغ فهم الحلم فهماً تاماً . بيد أنه كان يتفق لي أحياناً ، حين أستيقظ أخيراً في الصباح ، أن أراي وقد نسيت عملي التفسيري كل النسيان كما نسيت ما هو محتوي الحلم ، وإن كنت أعلم أن حلماً قد أتاني وأنا في فسرتي . وإن الحالات التي تجر فيها المقاومة نتائج تفسيرية إلى النسيان لتفوق كثيراً تلك التي يفلح فيها نشاطي العقلي هذا في الإبقاء على الحلم ماثلاً في ذاكرتي . ومع هذا فنشاطي التفسيري لا تفرق بينه وبين أفكارى المستيقظة هوة نفسية كالتى يريد الكتاب افتراضها لكي يعلموا

(١) [موليير — المريض الواهم : هل المادة محمودة ؟] (وهو اصطلاح بين الأطباء في زمن موليير بمعنى :

هل البراز طيب ؟) — حركة في الأمعاء .]

(٢) يصف إرنست جونز [١٩١٢ ب] حالة مماثلة كثيرة الوقوع ، إذ يتذكر المريض — بينما نحلل

حلماً ما — حلماً آخر وقع له في الليلة ذاتها لكنه كان قد نسى حتى لم يعد يعرف شيئاً عن وجوده .

بها نسيان الأحلام . — وحين يعترض مورتون پرنس على تعليل نسيان الأحلام قائلاً : إن هذا النسيان ليس إلا مثالا جزئياً من أمثلة النساوة التي تصحب الحالات النفسية المنشقة وإن استحالة تعميم تعليل لهذه النساوة الجزئية على سائر أنواع النساوة تجعل هذا التعليل مجرداً من كل قيمة حتى فيما يتعلق بغرضه المباشر ، فإنه بذلك إنما يذكر القراء بأنه في جميع أوصافه لهذه الحالات المنشقة لم يحاول ولو مرة أن يجد تعليلاً دينامياً لهذه الظاهرة . ولو أنه فعل لرأى أن الكبت (أو — على الأدق — المقاومة الناجمة عنه) هو على السواء العلة في هذه الحالات المنشقة وفي النساوة التي تصحب محتواها النفسى .

ولقد سنحت لى وأنا أحرر مخطوط هذا الكتاب ملاحظة بينت لى أن نسيان الأحلام لا يزيد البتة على نسيان غيرها من الأفعال النفسية وأنها إذا قورنت بالوظائف النفسية الأخرى من حيث مدى لصوقها بالذاكرة لم تخرج من المقارنة غامرة . ذلك أننى كنت قد دونت عدداً كبيراً من أحلام أتيتها ولم أستطع لسبب من الأسباب تفسيرها تفسيراً وافياً حين وقوعها ، أو تركتها من غير تفسير على الإطلاق . والآن ، بعد أن انقضى ما بين العام والعامين ، أخذت أحاول تفسير بعضها من جديد آملاً الظفر بمادة أغنى أصور بها آرائى ، فكان أن كللت هذه المحاولات بالنجاح فى كل حالة من الحالات . لا ، بل أستطيع أن أقول : إن التفسير كان يتأدى بعد هذه الحقبة الطويلة على نحو أكثر يسراً منه حين كان الحلم خبرة حديثة ، والتعليل المرجح لذلك هو أننى تغلبت فى هذه الأثناء على بعض المقاومات الداخلية التى كانت تعوقى قبلاً . وكنت إذا أتيت هذه التفسيرات اللاحقة قارنت بين أفكار الحلم التى تكشف فى زمن الحلم وبين تلك المكتشفة حديثاً والتى كانت فى معظم الأحيان أوفر كثيراً ، فكنت دائماً أرى القديمة متضمنة بين الجديدة . ولم يلبث عجبى لهذه الظاهرة أن انقطع حين تذكرت أننى قد اعتدت منذ زمن طويل حين يقص على مرضاى أحلاماً أنهم منذ سنوات خلت — كما يفعلون أحياناً — اعتدت أن أخضع هذه الأحلام للتفسير كأنها وقعت فى الليلة السابقة ، متبعاً فى ذلك ذات المنهج ، منتهياً إلى ذات النجاح ، وسأذكر مثالين على هذه التفسيرات المرجأة حين أجيء إلى مناقشة أحلام الهيلة [ص ٥٧٠] . وكنت حين أتيت أولى محاولتى فى هذا الصدد يقودنى توقع له ما يبرره ، هو أن تسلك الأحلام فى هذا المجال مسلك

الأعراض العصابية . فلست أجد مفراً حين أعالج عصابياً - ولنقل هسترياً - بوساطة التحليل النفسى من أن أصل إلى تعليل لأول أعراض مرضه ، تلك التى اختفت منذ زمن بعيد ، كما أعلل أعراضه الحاضرة التى ساقته إلى ، وإلى لأجد حينئذ أن المشكلة الأقدم عهداً أيسر على الحل من المباشرة . ولقد وسعنى حتى فى كتاب « دراسات عن الهستريا »^(١) المنشور عام ١٨٩٥ أن أسوق تعليلاً لأول نوبة هسترية عرفتها امرأة تجاوزت سنها الأربعين حين كانت فى الخامسة عشرة من عمرها^(٢) .

وهنا أورد من غير تفيد برباط محكم بضع ملاحظات تعنى لى فى موضوع تفسير الأحلام ، قد تعين على توجيه القارئ إذا أراد أن يتحقق من قضاياى بالعمل على تفسير أحلامه فيما بعد .

ليس لأحد أن يتوقع رؤية تفسير أحلامه وقد ألتى بين راحته من غير عناء . فإدراك الظواهر المبصرة بالعين الباطنة وغيرها من الإحساسات التى نقبض عنها انتباهنا عادة يتطلب أيضاً مراناً . وتلك هى الحال حتى حين لا يكون هنالك دافع نفسى يحارب هذه المدركات ، ولكن المشقة أعظم على التأكيد فيما يتعلق « بالأفكار اللاإرادية » . فعلى طالب هذه أن يعى كل ما تدعو إلى توقعه هذه الصفحات ، وعليه - بحسب القواعد المنصوص عليها هنا - أن يمتنع فى أثناء العمل ما استطاع عن نقد كل فكرة سابقة وكل ميل عقلى أو وجدانى ، وعليه أن يذكر نصيحة كلود برنارد إلى المحرب فى المعمل الفيزيولوجى : « إعمل كما يعمل البهي »^(٣) ، أى أن عليه أن يعمل فى مثابة لا تقل عن مثابة الحيوان وبمثل انصرافه عن النتيجة . فإن اتبعت النصيحة هانت المشقة . ولا يتم تفسير الحلم دائماً فى جلسة واحدة ، إذ ليس من النادر أن يشعر المرء بأن قدرته قد غاض معينها بعد أن يكون قد تأثر عدداً من المستدعيات ، ويستحيل الخروج من الحلم بشئ فى هذا اليوم . وهنا يحسن المرء صنعاً إذا هو انقطع ثم استأنف العمل

(١) [بروير وفرويد ١٨٩٥ ، الحالة الخامسة .]

(٢) إن الأحلام التى تقع فى سنوات الطفولة الأولى وتثبت فى الذاكرة عشرات من السنين - وكثيراً ما يكون ذلك مع احتفاظها بشدها الحسية كاملة - تكاد تملك دائماً أهمية قصوى فى تمكيننا من فهم تاريخ التطور النفسى للمريض وتاريخ عصابه . وتحليل أمثال هذه الأحلام يصون الطبيب من الأخطاء والشكوك التى قد تقوده - ضمن غيرها - إلى الخلط النظرى .

(٣) ["Travailler Comme nue bête"]

في يوم تال ، فقد يستهوى انتباهه عندئذ جزء آخر من محتوى الحلم يفتح له الطريق إلى طبقة جديدة من أفكار الحلم . ولنا أن نسمى ذلك بالتفسير « المتكسر » للحلم .

والصعوبة العظمى هي أن تحمل مبتدئاً في تفسير الأحلام على التسليم بتلك الحقيقة ، وهي : أن مهمته لا تفرغ حين يصبح في يده تفسير واف للحلم ، تفسير معقول ، متناسق ، يلقي الضوء على جميع عناصر محتوى الحلم . فإن الحلم الواحد قد يكون له أيضاً تفسير آخر ، تفسير مضاعف ، غاب عن المفسر . والحق أنه ليس بالشئ الهين أن نتصور وفرة ما يعتمل في فكرنا من مستدعات لاشعورية تجهد في الإفصاح عن نفسها ، ولا أن نقدر مدى الخلق الذي يبديه عمل الحلم إذ يوفق دائماً إلى صور تعبيرية تحتل أكثر من معنى ، مثل الطرزي الذي تحكى القصة أنه يصيب سبع ذبابات بضربة واحدة . وسوف ينزع القارئ إلى اتهاى بالمغالاة في المهارة من غير داع ، ولكن التجربة كفيلة أن تعلمه خيراً .

ولست أستطيع — من ناحية أخرى — أن أؤيد الرأي الذي أعرب عنه سيلبرير للمرة الأولى : أن جميع الأحلام (أو عدداً منها أو طبقات معينة بينها) تتطلب تفسيرين يزعم المؤلف فوق ذلك أن ثمت علاقة ثابتة بينهما . فأما أحد هذين التفسيرين — وهو الذي يسميه سيلبرير التفسير التحليلي النفسي — فيقال : إنه يخلع على الحلم معنى جنسياً طفلياً في معظم الأحيان ، وأما التفسير الآخر — وهو المسمى تفسيراً روحياً — فيقال : إنه يميظ اللثام عن المادة التي اصطنعها عمل الحلم من أفكار أكثر جدية ، عميقة المضمون في كثير من الأحيان . ولم يثبت سيلبرير رأيه هذا بإيراد طائفة من الأحلام ثم تحليلها من كلتا الوجهتين . ولست أجد مفرأ من القول بأن الواقعة المزعومة ليس لها وجود . فغالبية الأحلام لا تقتضى تفسيراً مضاعفاً ثم هي — على الأخص — لا تقبل تفسيراً روحياً . فأما أن نظرية سيلبرير قد تأثرت بنازع يتزع بها إلى إخفاء الملابس التي تحيط بتكوين الأحلام وإلى صرف الانتباه عن جذورها الغريزية ، فهذا أمر واضح فيها وضوحه في نظريات أخرى متعددة تقدم بها أصحابها في السنوات الأخيرة . ولقد وسعني أن أثبت من قضايا سيلبرير في طائفة من الحالات ، فكان التحليل يبين عندئذ أن عمل الحلم قد واجه مشكلة القيام بتحويل طائفة من الأفكار المستمدة من حياة اليقظة ، الشديدة التجريد ، المتعذرة على كل تصوير مباشر ، إلى حلم من الأحلام .

وحاول الحلم أن يحل المشكلة بالاستيلاء على مادة فكرية أخرى تتصل بالأفكار المجردة بصلة واهية تجوز تسميتها صلة استعارية، وتقبل التصوير - من ثم - في صعوبة أقل . والتفسير المجرد للحلم نشأ على هذا النحو يعطيك الحلم إياه من غير صعوبة ما ، وأما التفسير الصحيح للمادة المستبدلة فيجب التماسه بالطرق الفنية التي نعلمها .

فأما السؤال : هل من الممكن أن نفسر كل حلم ؟ فلا مفر من الإجابة عنه بالنفي . إذ يجب ألا ننسى أننا حين نفسر حلماً تعارضنا القوة النفسية التي كانت سبباً في تشويبه . فأن تمكنا اهتماماتنا العقلية وقدرتنا على ضبط النفس ومعرفتنا السيكلوجية ومرانتنا على تفسير الأحلام من السيطرة على مقاومتنا الداخلية أو لا تمكنا - هذه إذن مسألة تناسب بين القوى . ولكن من الممكن دائماً أن يقطع المرء شوطاً ما ، وشوطاً يكفي على الأقل للاقتناع بأن الحلم بناء له معناه ويكفي غالباً في حدس هذا المعنى . ومن الشائع أن نجازف بتفسير لأحد الأحلام ثم يجيء حلم تال فيتيح لنا الاستيثاق من هذا التفسير ومتابعته . كما أن مجموعة بأسرها من الأحلام تتعاقب على فترة تبلغ الأسابيع بل الشهور قد تكون في كثير من الأحيان قائمة جميعها على أساس مشترك بحيث يجب تفسيرها متصلة بعضها ببعض . وإذا كان ثمت حلماً متعاقبان أمكننا في أحيان كثيرة أن نلاحظ كيف يدور أحدهما حول مسألة لا تعرض إلا على هامش الثاني والعكس بالعكس ، بحيث يغلو تفسير كل منهما مكملاً لتفسير الآخر . هذا وقد اخترت من قبل أمثلة تبين أن الأحلام المختلفة التي ترد في الليلة الواحدة يجب على وجه الإطلاق أن تعالج عند تفسيرها كما لو كانت كلا مفرداً [ص ٣٣١] .

والغالب أن يشتمل كل حلم - مهما أحكمنا تفسيره - على فقرة لا نرى مفراً من أن نتركها في الظلام لأننا نلاحظ في ثنايا التفسير أن هذه نقطة اشتبكت عندها عقدة من أفكار الحلم لا حل لها ، ولكنها - فوق ذلك - لم تضيف شيئاً جديداً إلى محتوى الحلم . هذه هي سرقة الحلم ، هي الموضع الذي يسلم منه الحلم إلى المجهول . والحق أن أفكار الحلم التي نكشف عنها ونحن نفسر لا يمكن أن تكون لها نهاية مرسومة ، ولا يمكن إلا أن تتشعب في المسالك المتشابكة لعالمنا الفكري ضاربة في كل اتجاه . وإنما تبرز رغبة الحلم في موضع من هذا النسيج يزيد سمكاً على غيره ، مثل نبات الفطر من زغيبه .

ولكن دعنا نعود إلى الوقائع المتصلة بنسيان الأحلام ؛ فقد فاتنا أن نستخلص منها نتيجة هامة . ذلك أنه إذا كانت حياتنا المستيقظة تبدى نزوعاً لا خطأ في أمره إلى نسيان الحلم الذى تكون أثناء الليل — سواء أ جاء نسيانه جملة عقب اليقظة أم جاء جزءاً فجزءاً على ممر النهار — وإذا كنا قد عرفنا أن العامل الرئيس على هذا النسيان هو هذه المقاومة النفسية للحلم التى عملت فى الليل كذلك على محاربته ما استطاعت ، فالسؤال لا شك منبعث : وكيف يتسنى على الإطلاق أن يتكون حلم فى وجه مثل هذه المقاومة ؟ دعنا نأخذ الحالة المتطرفة ، تلك التى تعود فيها الحياة المستيقظة فتتخلص من الحلم جملة كأنه لم يكن قط : إذا نحن نظرنا إلى الأمر من وجهة التوازن بين القوى ، لم يكن مفر من التسليم بأن الحلم ما كان قط ليم لو أن المقاومة كانت قوية فى الليل قوتها فى النهار . ونتيجتنا إذن هى أن المقاومة تفقد فى الليل بعض قوتها وإن لم تفقدها جميعها ؛ فقد رأينا نصيبها فى تكوين الحلم وهى تعمل على تشويبه . ولكن لا محيد. عن أن نفترض أن قوتها قد تنقص فى الليل وأن هذا التراخي فى المقاومة هو الذى يجعل تكوين الحلم شيئاً ممكناً . وهكذا نفهم من غير عناء كيف تبادر المقاومة وقد استردت مع اليقظة كل قوتها إلى التخلص مما اضطرت إلى قبوله فى حالة ضعفها . وإذا كان علم النفس الوصفى يحدثنا بأن الشرط الأول فى تكوين الحلم هو أن تكون النفس فى حالة النوم ، ففى مقدرونا الآن أن نضيف إلى ذلك القول تعليله : إن النوم يجعل تكوين الحلم أمر ممكناً لأنه ينقص قوة الرقابة النفسية الباطنة .

ولا شك فى أن من الأمور المغرية أن ننظر إلى هذه النتيجة كما لو كانت النتيجة الوحيدة التى يمكن استخلاصها من وقائع نسيان الأحلام وأن نتخذها أساساً نمضى منه إلى نتائج أكثر بعداً حول العلاقات بين القوى فى حالتى النوم واليقظة . ومع هذا سنقف حيث نحن فى الآونة الحاضرة . وسيتبين لنا — عندما ننفذ إلى مسافة أعمق بعض الشيء من سيكولوجية الأحلام — أن العوامل التى تتيح تكوين الأحلام يمكن النظر إليها من وجهة أخرى كذلك . فالمقاومة التى تحول دون صيرورة أفكار الحلم إلى الشعور قد يكون من الممكن الإفلات منها دون أن يكون قد أصابها أقل نقص فى قوتها . ومن الجائز فوق ذلك أن يكون كلا العاملين اللذين يتيحان تكوين الحلم — نقص الرقابة والإفلات منها — قد صارا ممكنين فى آن واحد بفعل حالة النوم . وهنا أقطع حبل الكلام

لكى ألتقطه بعد قريب [ص ٥٦١] .

ولا بد لنا الآن من أن نشغل بطائفة أخرى من الاعتراضات التى تواجه منهجنا فى تفسير الأحلام . ذلك أن منهجنا يقوم فى أن ندع جانباً كل الأفكار الغائية التى تحكم تدبرنا عادةً وفى توجيه كل انتباهنا إلى عنصر مفرد من عناصر الحلم فندون كل ما يعن لنا فى صدده من الأفكار اللاإرادية ، ثم بعد ذلك نتناول الجزء التالى من الحلم ونعيد ذات العمل . ونحن نسلم أنفسنا لخواطرنا أياً كانت وجهة هذه الخواطر ، جائلين على هذا النحو من هذا إلى ذاك . بيد أننا إذ نفعل ذلك نعتقد اعتقاد الواثق أننا سوف نصل فى نهاية الدرب — دون تدخل من جانبنا — إلى أفكار الحلم التى منها نشأ الحلم . وهنا قد يعترضنا النقاد بما معناه أنه ما من عجب فى أن يسلمنا عنصر مفرد من عناصر الحلم إلى جهة ما ؛ فإما من فكرة إلا أمكن أن يرتبط بها شىء من الأشياء . وإنما العجيب أن يقولك هذا التجوال التعسفى الذى يجرى اتفاقاً إلى أفكار هى أفكار الحلم بالضرورة . والراجع أننا إنما نخدع أنفسنا . فنحن نتبع خيطاً من المستدعيات ابتداء من عنصر واحد حتى يلوح لنا أن هذا الخيط قد انقطع لسبب أو لآخر . فلو أننا أخذنا بعد ذلك عنصراً ثانياً لكان من الطبيعى أن يضيق الآن مجال المستدعيات الذى كان يبدو غير محدود فى بادئ الأمر . ذلك لأن خيط الأفكار السابقة لا يزال عالقاً بالذاكرة ، ولهذا السبب كنا حين نحلل فكرة الحلم الثانية أكثر عرضة لأن نعثر على مستدعيات تحمل وجهاً مشتركاً بينها وبين المستدعيات الأولى . وحينئذ نهىء إلى أنفسنا أننا قد كشفنا عن فكرة كانت حلقة وصل بين عنصرين من عناصر الحلم . وإذا كنا نمنح أنفسنا مطلق الحرية فى أن نصل بين الأفكار كيف نشاء ، وكنا فى واقع الأمر لا نستبعد بين طرق التأدى من فكرة إلى أخرى إلا تلك التى تعمل عند التفكير السوى ، فما من صعوبة فى أن نخرج فى نهاية المطاف بمحصول من « الأفكار المتوسطة » ، بشىء ندعوه أفكار الحلم ونزعم أنه البديل النفسى للحلم دون أن يكون ثمت أقل ضمان يضمن صحة هذا الزعم ؛ فإلنا — فيما خلا زعمنا — من معرفة أخرى بهذه الأفكار . وإنما الأمر كله عسف فى عسف ، ولسنا نعدو أن نستغل الصدفة استغلالاً يظهر بمظهر البراعة ، وكل من تكلف هذه المشقة التى لا طائل من ورائها مستطيع بذلك أن يخرج من أى حلم يشاء بأى تفسير يشاء .

إنه لو أن مثل هذا الاعتراض قد وجه إلينا حقيقة لكان في مقدورنا أن نحتكم إلى الأثر الذي تحدثه تفسيراتنا وإلى الروابط المدهشة التي تنبعث حين نفقو فكرة مفردة بين هذه الفكر وغيرها من عناصر الحلم ، نوأن ننظر كم هو أمر بعيد عن الاحتمال أن يكون في المستطاع الوصول إلى نتيجة تفسر الحلم كل هذا التفسير الشامل دون أن نكون تتبعنا روابط نفسية مقامة من قبل . وفي مقدورنا كذلك أن ندافع عن أنفسنا بالتنبيه إلى أن منهجنا في تفسير الأحلام هو هو الذي نخل بوساطته الأعراض المستيرية حيث تجد طريقتنا ضمناً لصحتها فيما يقع من انبثاق الأعراض واختفائها ، أى — إذا أردت تشبيهاً — حيث تدعم القضايا المساقة في النصوص بالرسوم التي تصحبها . بيد أننا لا نحتاج إلى التهرب من المشكلة التي تواجهنا — وهى : كيف نوفق إلى بلوغ هدف موجود من قبل بمتابعة خيوط فكرية تسترسل استرسالاً تعسفياً ، لا غاية له ؟ — لأننا إذا كنا ، والحق يقال ، لا نستطيع أن نجد لهذه المشكلة حلاً إلا أننا نملك القدرة على تقويضها من أساسها . فإنه لمن الخطأ الذى يمكن البرهان عليه أن نقول : إننا نستسلم لتيار من الأفكار لا غاية له حين نتخلى أثناء التفسير عن تدبرنا ونترك للأفكار اللاإرادية أن تنبثق . وفي وسعنا أن نبين أن كل ما نستطيعه إنما هو التخلص من أفكار غائية معلومة لنا وأنها ما أن نصنع ذلك حتى تتولى السلطة أفكار غائية غير معلومة — أو كما نقول بعبارة غير دقيقة : لا شعورية — وهذه هى التى تعين بعد ذلك مجرى الأفكار اللاإرادية . ولسنا نملك من قدرة على أن نؤثر في أنفسنا أى تأثير يكون من شأنه أن ينبعث فيها فكر مجرد من الغائية ، ولا أننا أعلم حالة واحدة من حالات الخلط النفسى يكون من شأنها أن ينبعث مثل هذا الفكر^(١) . ولقد تعجل أطباء النفس الأمور كثيراً حين عدلوا هنا عن اعتقادهم

(١) إن انتباهي لم يوجه إلا فيما بعد إلى كون إدوارد فون هارتمان قد رأى هذا الرأى عينه فيما يتصل بهذه المشكلة السيكلولوجية الهامة . فقد جاء في مقال كتبه بهوريلس (١٩١٣) : " إن إدوارد فون هارتمان ، وهو يناقش نصيب اللاشعور في الخلق الفنى (١٨٩٠) ، الجزء الأول القسم الثانى ، الفصل الخامس) قد نص صراحة على القانون القائل : إن تداعى المعانى يخضع لأفكار لاشعورية غائية — وإن لم يفتن إلى مدى انطباق هذا القانون . فهو قد أراد أن يثبت أن التأليف بين الأخيلى الحسية — إذا لم يترك للصدفه المحضة بل قصد منه إلى غاية محدودة — يقتضى معاونة اللاشعور ، وأن النصيب الذى يقوم به الاهتمام الشعورى هو حث الشعور على اختيار أنسب الأفكار بين ما لا حصر له من الأفكار الممكنة . فاللاشعور هو الذى يقوم بالاختيار المناسب لهدف يتوخاه الاهتمام ، وهذا القول ' يصدق على تداعى المعانى فى التفكير ' المجرد كما فى التخيل الحسى والتأليف الفنى ' وابداع النكات . لهذا السبب كان حصر تداعى المعانى بين فكرة مثيرة وفكرة مثار — بالمعنى الذى تذهب إليه سيكلولوجية ترابطية خالصة — شيئاً لا يمكن الأخذ به . فمثل هذا التقييد لا يجد ما يبرره ' إلا إذا كانت الحياة الإنسانية تحتل ملايسات =

فما للبناء النفسى من الأحكام . وإنى لأعلم أن انسياب الخواطر انسياباً مجرداً من كل فكرة غائية تحكمه أمر لا وقوع له فى مجال المستريا والپارانويا أكثر من وقوعه فى تكوين الأحلام أو فى حلها . ومن المحتمل أنه لا يحدث فى أى من الاضطرابات النفسى الباطنة المنشأ . وإذا أخذنا بالفرض اللامع الذى أوحاه لوريه ، فحتى أهذية الحالات الخلطية تملك معنى ولا تستغل علينا إلا لما يتخللها من الثغرات . ولقد انتهت بنفسى إلى هذا رأى حين سنحت لى الفرصة بملاحظتها . فالأهذية من صنع رقابة لم تعد تتكلف إخفاء عملها ، فهى بدل أن تشارك فى خلق طبعة جديدة لا اعتراض عليها ، تمحو كل ما ينال موافقتها محو ، دون مراعاة أى اعتبار ، بحيث يصير المتبقى خالياً من كل رباط . فهذه الرقابة تتبع منهجاً يشبه من كل الوجوه المنهج الذى تصطنعه رقابة الصحف عند الحدود الروسية إذ لا تترك الصحف الأجنبية تذهب إلى أبهى القراء المراد حمايتهم إلا بعد أن تمحو بالسواد مقداراً من الفقرات .

إن لعب الخواطر لعباً حراً ، مسترسلة مع أى خيط من المستدعيات اتفق ربما وجد فى العمليات العضوية المحيية المدمرة ، وأما ما يعد كذلك فى الأعصبة النفسى فمن المستطاع دائماً تعليله بأنه نتيجة لتأثير الرقابة فى سلسلة من الخواطر دفعت إلى الصدارة بفعل أفكار غائية ظلت مستترة^(١) . نعم ، إن البعض قد ارتأى أن من العلامات التى لا تخطئ على وجود تداع خال من تأثير كل فكرة غائية أن تلوح المستدعيات (أو الصور) المنبعثة وقد ترابطت فيما بينها برباط التداعى المسمى تداعياً سطحياً ، مثل الجناس أو الاشتراك اللفظى أو الاتفاق الزمنى من غير ارتباط فى المضمون أو أى تداع

= لا يكون المرء فيها حراً من كل هدف شعورى فقط ، بل كذلك من سيطرة كل اهتمام لا شعورى وكل مزاج عابر أومن مشاركتها . ولكن ذلك شرط لا يكاد يتحقق أبداً ، لأن المرء - وإن أطلق عنان أفكاره فى الظاهر للصدفة المحضة أو أسلم نفسه بكلية لأحلام المخيلة اللاإرادية - لا يتخلص أبداً من اهتمامات أخرى موجبة وإحساسات وأمزجة مسيطرة ، تسود فى هذا الوقت ولا تسود فى ذلك ، وكل هذه تحدث دائماً أثرها فى تداعى الأفكار ، (المرجع عينه ، ٢٤٦) . ولا تعرض أبداً فى الأحلام نصف الشعورية سوى الأفكار التى توافق الاهتمام (اللاشعورى) الغالب فى الآونة الحاضرة . (الموضع عينه) . وإن الإلحاح على تأثير الإحساسات والأمزجة فى التماقب الحر للأفكار ليجعل من الممكن تبرير الطريقة المنهجية للتحليل النفسى تبريراً كاملاً من وجهة نظر سيكولوجية هارتمان - " - ويتخلص دوپرل (١٨٨٥ ، ١٠٧) من كوننا قد نحاول فى كثير من الأحيان أن نتذكر اسماً من الأسماء دون جدوى ثم إذا الاسم يخطر على بالنا بغتة من غير مقدمات إلى أن تفكيراً لاشعورياً - ولكنه مع ذلك تفكير غائى - قد وقع وأن ننتيجته ولجت الشعور فجأة .

(١) لقد أتى يونج فى تحليلاته لحالات الجنون المبكر بما أيدهذه القضية تأييداً اساطعياً . (أنظر يونج ١٩٠٧) .

آخر من قبيل ما نبيحه في النكات وفي اللعب بالألفاظ . وصحيح أن هذه الخاصة موجودة في خيوط الفكر التي تذهب من عناصر الحلم إلى الأفكار المتوسطة ثم من هذه إلى أفكار الحلم بالمعنى الصحيح - وقد رأينا في عدد كبير من الأحلام التي حللتها أمثلة كثيرة على ذلك أثارت ولاشك عجبنا ؛ فما من رابطة تركت مهما كان وهما ولا من نكتة مهما كانت رداءتها ، إذا هما أفادتنا في الوصل بين فكرتين . ولكن التفسير الصحيح لهذه الاستباحة السهلة ليس بعيداً ؛ إذ كلما ربط بين عنصرين تداع ممجوج أو سطحي ، فبين العنصرين أيضاً رابطة صحيحة ، أعمق غوراً ، تخضع لمقاومة الرقابة .

فالسبب الحقيقي لغلبة المستدعيات السطحية ليس التخلي عن الأفكار الغائية ، بل ضغط الرقابة . ولا تحل المستدعيات السطحية محل العميقة إلا إذا حالت الرقابة دون المسير في طرق الربط السوية . ولنا أن نتخيل على سبيل المماثلة منطقة جبلية انقطع فيها المرور انقطاعاً شاملاً - على أثر فيضان مثلاً - فسدت الطرق الرئيسة المتسعة ، ولكن المواصلات بقيت في المسالك الوعرة المنحدرة التي لا يطرقها عادة سوى الصيادين . ولنا هنا أن نفرق بين حالتين - وإن كانتا في جوهرهما حالة واحدة : في الحالة الأولى تنصب الرقابة على محض الصلة بين فكرتين لا تلتقي أى منهما اعتراضاً إذا أخذت منفصلة : وحينئذ تلج كلتا الفكرتين الشعور على التعاقب وتبقى الصلة بينهما مستترة ولكن يخطر لنا في محلها رابط سطحي ، ما كنا قط لنفكر فيه لولا ذلك ، يقوم في العادة على جزء آخر من المركب الفكري غير الذي تقوم عليه الصلة المقموعة الجوهرية . وأما الحالة الثانية فحين تكون الفكرتان في ذاتهما موضع الرقابة نتيجة لحتواهما : حينئذ لا تظهر أى منهما في شكلها الحقيقي بل في صورة محرفة تحل محلها ، وتختار الفكرتان المستبدلتان بحيث تكون بينهما رابطة سطحية تمثل الصلة الجوهرية بين الفكرتين الأصليتين . وفي كلتا هاتين الحالتين يكون ضغط الرقابة قد أدى إلى حدوث نقلة من المستدعى السوي الجدى إلى آخر سطحي غير معقول في مظهره .

وإذ كنا نعلم بأمر هذه النقلات ، لم نكن نتردد - حين نفسر الأحلام - في أن نستند إلى المستدعيات السطحية استنادنا إلى سواها^(١) .

(١) من الطبعي أن هذه الاعتبارات تصدق أيضاً على الحالات التي تظهر فيها المستدعيات السطحية في محتوى الحلم صراحة ، كما في حلمي موري المذكورين في ص ٩٤ :

(Pèlerinage - Pelletier - Pelle ; kilomètre - Kilogramme - Gilolo - Lobelia - Lopez - Lotto.)

والتحليل النفسى للأعصبة يستخدم هاتين القضيتين أوسع الاستخدام : أن الأفكار الغائية الشعورية إذا نحت جانباً تولت أفكار غائية مسترة توجيه مجرى الحواطر ، وأن المستدعيات السطحية ليست إلا بدائل حلت بوساطة النقل محل أخرى مكبوتة ، أعمق غوراً . بل الحق أن هاتين القضيتين قد صارتا ركنين أساسيين فى فن التحليل النفسى . فأننا حين أسأل مريضاً أن يدع جانباً كل تدبر وأن يخبرنى بما يطرأ بعد ذلك على خاطره أستند استناداً راسخاً إلى ذلك الفرض : أن المريض لا يستطيع أن يهجر الفكرة الغائية التى يتضمنها العلاج بما هو علاج ، وأشعر أنى محق حين أستنتج من ذلك أن كل ما يقوله لى لا بد أن يكون له ارتباطه بحالته المرضية مهما بدا قوله بريئاً اعتبارياً . وهناك فكرة غائية أخرى لا يظن إليها المريض ، تلك هى الفكرة المتعلقة بشخصى أنا . ولكن تقدير الأهمية التى لهاتين القضيتين تقديراً وافياً مع تعمق البحث فيهما أمر يدخل فى شرح فن التحليل النفسى من حيث هو منهج علاجى . فههنا أحد المواضع الفاصلة التى تتجاوز فيها موضوع تفسير الحلم وفق ما تقرر من قبل ^(١) .

غير أن هناك نتيجة واحدة يمكن تحصيلها من هذه الاعتراضات ، وهى : أننا لسنا بحاجة إلى افتراض أن كل مستدعى يخطر أثناء عمل التفسير لابد قد وقع من قبل خلال عمل الحلم فى الليل [أنظر ص ٢٩٠ وص ٣٠٨] . صحيح ، أننا حين نقوم بالتفسير نتبع طريقاً يعود بنا من عناصر الحلم إلى أفكار الحلم وأن عمل الحلم قد اتبع طريقاً يضرب فى اتجاه مضاد ، ولكن من المستبعد غاية الاستبعاد أن يكون أى من هذين الطريقتين قابلاً لأن يقطع فى كلا اتجاهيه على السواء . بل أغلب الظن - فيما يبدو - هو أننا ، فى خلال النهار ، نجس خيوطاً جديدة من الفكر وأننا فى أثناء ذلك نلتقى بالأفكار المتوسطة وبأفكار الحلم ، فى هذا الموضع طورا وطورا آخر فى ذلك . وفى وسعنا أن نرى كيف يتسنى بذلك أن تندس مادة النهار الجديد وسط طائفة الأفكار المفسرة ، والراجع أن هذه المادة

= ولقد تعلمت من العمل مع المرضى العصبيين ما هو نوع الذكريات التى تؤثر هذا الأسلوب فى تصويرها : إنها مناسبات قلب فيها المرء صفحات دوائر المعارف أو القواميس لى يروى حاجته إلى جواب عن ألغاز الحياة الجنسية - كما يفعل معظم الناس فى سن المراهقة بما تتميز به هذه السن من رغبة الاستطلاع .

(١) إن هاتين القضيتين اللتين كانتا تبدوان بعيدتين كل البعد عن الرجوع حين قيلتا للمرة الأولى قد طبقتا منذ ذلك الحين تطبيقاً تجريبياً أيدهما ، وكان ذلك على يد يونج وتلاميذه فى دراساتهم للتداعى اللفظى .

تضطر كذلك أمام ازدياد الرقابة منذ الليل إلى اتخاذ دورات جديدة أشد بعداً . ولكن عدد الأفكار الجانبية التي ننسجها على هذا النحو في خلال النهار أو نوعها أمر لا قيمة له على الإطلاق من الناحية السيكلوجية ، ما دامت هذه الأفكار تقودنا دائماً إلى أفكار الحلم التي نبحث عنها .

ب

النكوص

أما وقد دفعنا الاعتراضات التي أثبتت في وجهنا أو على الأقل بينا أين نجد الأسلحة التي ندافع بها عن أنفسنا ، فعلينا ألا نرجئ بعد الآن البدء في مباحثنا السيكلوجية التي ظللنا نتدرع من أجلها هذا الوقت الطويل . ولنبدأ بإجمال الكشف الرئيسة التي انتهى إليها بحثنا حتى الآن : إن الأحلام أفعال نفسية لها من المعنى مثل ما لغيرها . والقوة الدافعة إليها هي في كل حالة رغبة تسعى إلى التحقيق . وخفاؤها علينا من حيث هي رغبات راجع مع الكثير من خواصها ومظاهر فسادها إلى تأثير الرقابة التي يخضع لها الحلم في أثناء تكوينه . وهناك ، عدا ضرورة الإفلات من الرقابة ، عوامل أخرى تشارك في تكوينها ، هذه العوامل هي : حاجة إلى تكثيف مادتها النفسية ومراعاة لإمكانية تصويرها في صور محسوسة وحرص على أن تكون لبناء الحلم واجهة معقولة مفهومة — وإن لم يتحقق ذلك دائماً . ومن كل قضية من هذه القضايا تخرج طريق مؤدية إلى مسلمات وفروض سيكلوجية جديدة . فالعلاقة المتبادلة بين الرغبة التي هي القوة الدافعة إلى الحلم وبين الشروط الأربعة التي يخضع لها تكوين الحلم ، ثم علاقات هذه فيما بينها — كل أولئك يستلزم بحثاً . ومكان الحلم من سياق الحياة النفسية لا بد من تحديده .

ولقد بدأت هذا الفصل بأن سردت حلماً من الأحلام لكي أذكر بالمشكلات التي لا يزال علينا حلها . فهذا الحلم — عن الطفل المحترق — لم يكن بالحلم الذي يواجهنا تفسيره بصعوبة ما ، وإن كنا لم نسق تفسيره كاملاً بالمعنى الذي نفهمه . وقد أثرت إذ ذاك هذا السؤال : لماذا حلم الحالم بهذا الحلم على الإطلاق بدل أن يستيقظ ؟ وعرفنا

أن أحد دوافعه إلى ذلك كان الرغبة في تصوير ابنه كأنه ما زال حياً ، وسنعلم من مناقشاتنا الآتية [ص ٥٥٩] أن هناك رغبة أخرى كان لها أيضاً نصيبها . وعلى ذلك يكون تحقيق الرغبة هو السبب الأول الذى من أجله حولت العملية الفكرية التى وقعت فى خلال النوم إلى حلم .

فإذا تركنا تحقيق الرغبة لم يبق سوى سمة واحدة تميز بين هذين النوعين من الحدث النفسى ، ذلك أن أفكار الحلم تمكن صياغتها على هذا النحو : أرى وهجاً آتياً من الحجرة المجاورة حيث يثوى الجسد ، ربما كان أن شمعة سقطت وأن ولدى يحترق . فأما الحلم فيعيد هذه الأفكار غير محرفة ولكنه يصورها فى موقف حاضر بالفعل ، مدرك بالحس كما لو كان خبرة من خبرات اليقظة . وهذه هى أعم خواص فعل الحلم وأشدها عجباً : أن تتخذ فكرة - هى دائماً فكرة أمر مرغوب فيه - شكلاً موضوعياً فى الحلم ، أن تصور فى صورة مشهد أو أن تعاش - فيما يهيا إلينا .

كيف إذن نعلل هذه الخاصة المميزة لعمل الحلم أو - لكى نضع المسألة وضعاً أكثر تواضعاً - كيف نجد لها محلاً فى محيط العمليات النفسية ؟

إننا إذا قوينا النظر لاحظنا أن هناك خاصيتين تبرزان فى الصورة التى اتخذها ذلك الحلم ، خاصيتين تكاد كلتاهما أن تكون مستقلة عن الأخرى : الأولى أن الفكرة قد صورت فى صورة موقف حاضر بالفعل مع حذف "ربما" ، والثانية هى أن الفكرة قد حلت محلها صورة مرئية وأقوال .

فأما التغيير الذى أصاب الأفكار حين وضع ما تعرب عنه من التوقع فى صيغة المضارع فقد لا يبدو فى هذا الحلم بالذات أمراً يلفت النظر كثيراً ، وذلك راجع لما يقوم به تحقيق الرغبة فى هذا الحلم من دور ثانوى حقاً بخلاف المألوف . ولكن دعنا نأخذ حلاً آخر لا تنفصل فيه رغبة الحلم من أفكار اليقظة المتابعة فى النوم ، وليكن حلم حقنة إرما مثلاً [ص ١٣٤] : إن فكرة الحلم التى لقيت تصويرها هنا كانت موضوعة فى صيغة التمنى : ليت أوتو كان هو المسئول عن مرض إرما ! ولكن الحلم يكبت التمنى ويستبدل به الحاضر الصريح : إن أوتو هو المسئول عن مرض إرما . وهذا إذن هو أول تغيير يدخله الحلم على أفكار الحلم ، حتى ولو خلا الحلم بعد ذلك من التشويه . بيد أننا لن نقف طويلاً عند هذه الخاصة الأولى للأحلام . ففى وسعنا أن نفرغ من أمرها

بالإشارة إلى التخيلات الشعورية ، إلى أحلام اليقظة التى تعالج هى الأخرى محتواها على هذا النحو عينه . فمسيو چوايوز الذى يصوره دوديه [فى ” الناباب “] إذ كان يحول فى شوارع باريس متعطلا عن العمل بينما تعتقد بناته أن له عملا وأنه لا بد جالس إلى مكتبه ، مسيو چوايوز هذا كان – وإنه كذلك – يحلم بالحبآت التى ستحمل إليه حماية القوى فالوظيفة ، وكان أيضاً يحلم فى صيغة المضارع . وهكذا يستخدم الحلم صيغة المضارع مثلما تستخدمها أحلام اليقظة وبمثل حقها ؛ فالمضارع هو الصيغة التى تصور فيها الرغبات محققة .

ولكن الأحلام تختلف من أحلام اليقظة فى خاصتها الثانية ، وهى أن محتواها الفكرى يستحيل إلى صور حسية يضيف إليها المرء تصديقه ويعتقد أنه يعيشها . ويجب أن أضيف على الفور أن هذه الاستحالة من الفكرة إلى الصور الحسية لا تظهر فى جميع الأحلام ؛ فهناك أحلام تتكون من أفكار ليس غير ، دون أن نستطيع مع ذلك أن نأبى عليها حصولها على طبيعة الأحلام الجوهرية . وقد كان حلم ” أوتو ديداسكر “ المرتبط بتخييل نهارى عن محادثة مع الأستاذ ن. [ص ٣١١] – كان حلماً من هذا القبيل ؛ فهو لم يكن يتضمن من العناصر الحسية أكثر مما قد كان يتضمنه تفكيرى فى محتواها أثناء النهار . وما من حلم يطول بعض الطول إلا حوى عناصر لم تنل صورة حسية كغيرها بل يقف المرء عند محض التفكير فيها أو العلم بها على نحو ما اعتدنا أن نفكر فى الأشياء أو نعملها فى حياة اليقظة . ثم إن من الواجب ألا ننسى أن مثل هذا التحويل من الأفكار إلى الصور الحسية لا يقع فى الأحلام وحدها ، بل يقع أيضاً فى الهلاوس والرؤى التى قد تظهر ظهوراً أشبه بالمستقل فى حالة الصحة أو من حيث هى أعراض فى حالة الأعصاب النفسية . ويجمل القول هو أن العلاقة التى نحن الآن فى صدها ليست بحال من الأحوال بالعلاقة المانعة . ومع هذا يبقى من الحق أن هذه السمة من سمات الأحلام إذا حضرت كانت أبرز سماتها للملاحظة ، حتى أننا ربما عجزنا عن التفكير فى عالم الحلم بغيرها . بيد أننا إذا أردنا فهمها لم يكن بد من الخوض فى مناقشات تذهب بنا شوطاً بعيداً .

إن بين جميع الملاحظات التى قد نجدتها عند مختلف المؤلفين فى نظرية فعل الحلم ملاحظة أحب أن أبرزها متخذاً منها نقطة البدء فى بحثنا . فقد أعرب فخر العظيم (١٨٨٩ ، الجزء الثانى ، ٥٢٠) خلال مناقشة موجزة فى موضوع الحلم عن فكرة مؤاذاها أن مسرح

الحلم غير مسرح الحياة الفكرية المستيقظة [أنظر ص ٨٤] . وما هناك من فرض آخر يمكننا من أن نعقل الخصائص الفريدة التي للحياة الحاملة .

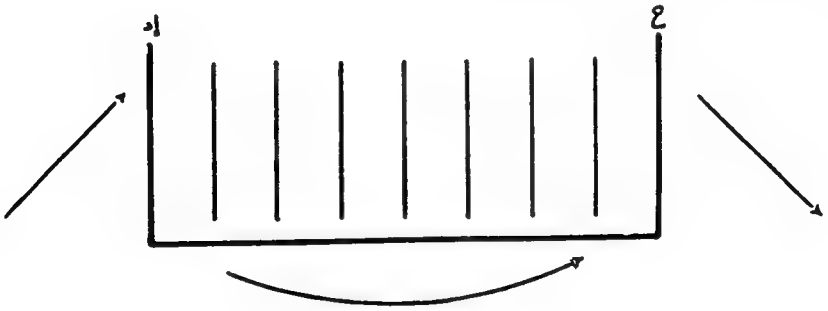
إن الفكرة التي تطالعنا من هذه الكلمات هي فكرة المحل النفسى . وههنا سنغضى النظر إطلاقاً عن كون الجهار النفسى الذى يشغلنا الآن أمره هو جهاز نعرفه كذلك فى صورة مستحضر تشريحي ، وسنحرص على تجنب كل إغراء قد ينحو بنا إلى تحديد المحل النفسى على نحو تشريحي . فنحن باقون على أسس سيكولوجية ، ولسنا نزمع سوى متابعة الفكرة الداعية إلى أن نتصور الأداة التى تقوم بوظائفنا النفسية كما لو كانت تشبه مجهراً مركباً أو جهازاً من أجهزة التصوير الشمسى أو شيئاً من هذا القبيل . وبناء على ذلك فالمحل النفسى يعادل نقطة فى داخل هذا الجهاز تظهر عندها إلى الوجود مرحلة من المراحل التمهيدية فى تكوين الصورة . ونعلم أن هذه النقاط - فى المجهر والمقرب - هى إلى حد نقاط مثالية ، مناطق لا يتحيز فيها أى جزء من الأجزاء المقومة للجهاز . ولست أرى ذاعياً إلى الاعتذار عما يتضمنه هذا التشبيه أو أى تشبيه آخر يماثله من مواطن القصور . فما المراد بأمثال هذه التشبيهات إلا أن تعييننا فيما نحاوله من تفهم تعقدات الوظيفة النفسية بتقسيم الوظيفة النفسية وبإسناد مقوماتها المختلفة إلى أجزاء مختلفة من الجهاز . وما من أحد حتى الآن - فيما أعلم - قد حاول هذه المحاولة فى تخمين مجمل تركيب العدة النفسية متبعاً مثل هذا التقسيم . ولست أرى فى المحاولة ضرراً . فنحن - فيما أعتقد - أن نطلق العنان لفروضنا ، ما دمنا نحفظ بهدوء حكمنا ولا نخلط بين الصقالة والبناء . وإذا كان كل ما نحتاج إليه لكى نقرب للمرة الأولى من شىء نجهلة هو التزود ببضعة فروض موقوتة ، فإننى سأؤثر فى أول الأمر أغلظ الفروض وأشدّها ظهوراً للعيان .

وعلى ذلك سنتصور الجهاز النفسى كما لو كان آلة مركبة نسمى مقوماتها المختلفة "جهات اختصاص" ^(١) أو - زيادة فى الإيضاح - "أنظمة" . ولنا بعد ذلك أن نتوقع وجود علاقة مكانية منتظمة بين هذه الأنظمة ، مثلما ترتب أنظمة العدسات المختلفة فى المقرب واحدة خلف الأخرى . وإذا أردنا التحديد ، فالحقيقة هى أننا لا نحتاج إلى أن

(١) [Instanz - لفظ استخدمه فرويد من قبل فى ص ١٦٨ وترجمناه هناك بكلمة « نظام » توخياً للباسطة ولأن اللفظين مترادفان كما هو بين هنا . ولكننا سنترجمه من الآن فصاعداً بكلمة « جهة الاختصاص » أو « دائرة الاختصاص » . واللفظ فى أصله مشتق من مجال المصطلحات القانونية ؛ فهو يطلق بالمعنى الذى نقول فيه عندنا : « محكمة درجة أول » .]

نفترض بين الأنظمة النفسية ترتيباً مكانياً قائماً بالفعل ، بل يكفيننا أن يكون الترتيب الثابت قائماً على كون التهييج في عملية نفسية ما ينتقل خلال الأنظمة المختلفة بحسب تعاقب زمني ثابت ، وقد يختلف نمط التعاقب في عمليات نفسية أخرى— هذه إمكانية نريد أن نترك بابها مفتوحاً . هذا ، وسنطلق من الآن فصاعداً اسم ” الأنظمة ن. ” [أى : النفسية] على مقومات الجهاز ؛ طلباً للاختصار .

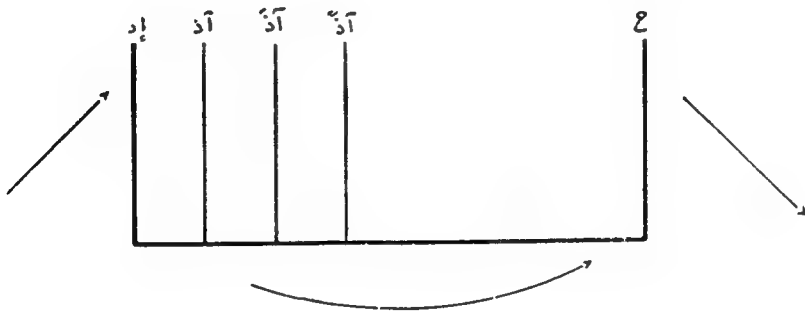
إن أول ما يجذب انتباهنا هو أن هذا الجهاز المكون من الأنظمة ن. حاصل على اتجاه . فكل نشاطنا النفسى يبدأ من المنبهات (داخلية كانت أم خارجية) وينتهى إلى التعصيبات ^(١) . وعلى ذلك ننسب إلى الجهاز طرفاً حسياً وآخر حركياً : عند الطرف الحسى يوجد نظام هو الذى يستقبل الإدراكات ، وعند الطرف الحركى نظام آخر هو الذى يفتح الباب أمام النشاط الحركى . وتسير العمليات النفسية بوجه عام من الطرفى الإدراكى إلى الطرف الحركى . وعلى ذلك يمكننا أن نضع أعم صورة تخطيطية للجهاز النفسى على هذا النحو (الشكل الأول) :



غير أن ذلك لا يعدو أن يحقق مطلباً ألفناه منذ زمن طويل ، وهو : أن الجهاز النفسى يجب أن يركب على غرار جهاز انعكاسى . فالفعل المنعكس يظل النموذج لكل نشاط نفسى . بعدئذ نجد أن لدينا سبباً يدعونا إلى أن ندخل عند الطرف الحسى تفرقة أول .

(١) [لا يستخدم فرويد كلمة ” تعصيب ” (Innervation) بمعنى توزيع الأعصاب . بل بمعنى آخر يغلب عنده حتى يكاد يكون مانعاً ، هو : انتقال التهييج في مجموعة من الأعصاب ، ومن الأعصاب المصدرة بنوع خاص : والتعصيب بهذا المعنى عملية تهدف إلى تفريغ التهييج أو الطاقة .]

فالإدراكات التي تطبع جهازنا النفسى تترك فيه أثراً نستطيع أن نسميه " أثراً ذكروياً " ،
وأما الوظيفة المتعلقة به فنسميها " ذاكرة " . فإذا كنا صادق الرغبة فيما اعتزمناه من إسناد
العمليات النفسية إلى أنظمة ، فالآثار الذكروية لا يمكن أن تقوم إلا فيما يعتور عناصر
الأنظمة من تغيرات دائمة . ولكن هناك صعوبات واضحة تنشأ — كما قد نبه إليه
البعض فى مكان آخر ^(١) — إذا فرضنا أن ذات النظام يستطيع أن يحفظ تغيرات عناصره
حفظاً أميناً مع بقاءه رغم ذلك مستعداً لاستقبال مناسبات التغير المستجدة [أى أن يقوم
بوظيفتى الذاكرة والإدراك معاً] . وعلى ذلك سنعزو هاتين الوظيفتين إلى نظامين مختلفين
— وفقاً للمبدأ الذى يقود محاولتنا . سنفترض أن فى صدر الجهاز نظاماً يستقبل المنبهات
الإدراكية ولكنه لا يحفظ أى أثر منها ، وهو بذلك خلو من الذاكرة ، بينما يقوم وراءه
نظام ثان يحول تهييجات النظام الأول الآتية إلى آثار باقية . وبذلك تتخذ الصورة التخطيطية
لجهازنا النفسى الشكل الآتى (شكل ٢) :



ومن المعلوم أننا نحفظ من المدركات التى تطبع النظام إد. ما يزيد على مجرد محتواها .
فإدراكاتنا يرتبط كذلك بعضها ببعض فى ذاكرتنا — ارتباطاً يتم أولاً وقبل كل شيء

(١) [فى هامش من الفصل الثالث انظروا الذى كتبه بروير فى " دراسات فى الهستريا " — وهو الكتاب
الذى وضعه بالاشتراك مع فرويد (١٨٩٥) — نجد بروير يتحدث عن " الجهاز الإدراكي " فيقول : إن هذا
الجهاز " يجب أن يختلف عن العضو الذى يحتفظ بالانطباعات الحسية ويستحضرها فى هيئة صور ذكروية .
ذلك أن الخاصة الرئيسة لوظيفة جهاز الإدراك تقوم فى رجوعه بأسرع ما يمكن إلى الوضع الموجود من قبل ،
ولولا ذلك لاستحال أن يكون هناك أى إدراك صحيح . وأما الشرط فى الذاكرة فيقوم على العكس فى اقتفاء مثل هذا
الرجوع ، بل كل إدراك يترك تغيرات باقية . ومن المستحيل أن يبق عضو واحد بهذين الشرطين المتناقضين ؛
فإذا المقارب العاكس لا يمكن أن يعمل فى الوقت نفسه عمل اللوحة الشمسية .]

بحسب تزامنها في الوقوع . وهذا هو ما نسميه ظاهرة " التداعى " . وواضح إذن أن النظام إد. [الإدراكى] — وهو المجرد من كل ذاكرة — عاجز كذلك عن أن يحتفظ بأى آثار استدعائية ؛ ولو قد كان للأثر المتبقى من ارتباط سابق أن يؤثر في المدرك المستجد أى تأثير ، لعينت العناصر المتفرقة إد. عن أداء وظيفتها عوقاً لا يحتمل . ولا بد لنا إذن من أن نفترض أن أساس التداعى يكمن في الأنظمة الذكورية . وتقوم ظاهرة التداعى تبعاً لذلك في أن التهييج ينتقل من عنصر آذ. ^(١) بعينه إلى عنصر آذ. آخر بأسرع مما ينتقل إلى غيره نتيجة لوهن المقاومات وتعبيد طرق الربط بينهما .

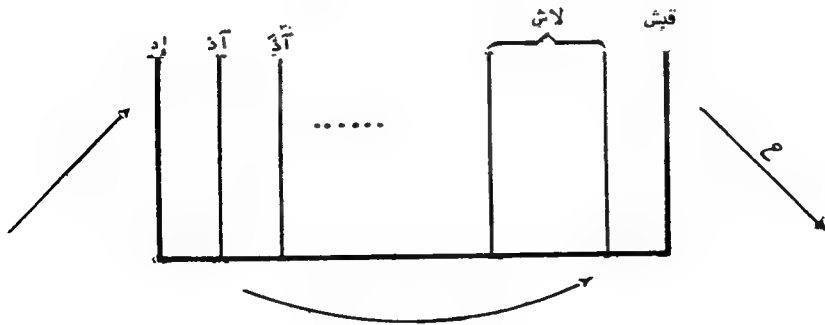
فإذا أمعنا النظر رأينا أن من الضروري ألا نفترض وجود عنصر واحد من أمثال هذه العناصر آذ. بل كثرة متعددة منها ، يترك فيها التهييج الواحد المنقول إليها بوساطة العناصر إد. أنواعاً متنوعة من التسجيلات الثابتة . ويحتوى أول هذه الأنظمة آذ. بالطبع على تسجيل التداعى من حيث الاتفاق الزمنى ، بينما ترتب ذات المادة المدركة في الأنظمة التالية على حسب سائر أنواع الاتفاق ، بحيث يسجل أحد هذه الأنظمة التالية علاقات التشابه مثلاً ، وهكذا في سائر الأنظمة . ومن مضیعة الوقت أن نحاول الإعراب عن الأهمية السيكولوجية التى لمثل هذا النظام . بيد أن طابعه المتميز سوف يقوم فى الدقائق الباطنة لما يكون بينه وبين عناصر المادة الذكورية الخام من العلاقات ، أى — إذا أردنا الإشارة إلى نظرية أعمق غوراً — فى مدى ما يصادفه فيه التهييج القادم من هذه العناصر من درجات المقاومة المتحكممة فى التوصيل .

وهنا أسرد ملاحظة ذات طابع عام ، قد تكون لها متضمناتها البعيدة : إن النظام إد. — وهو المجرد من كل قدرة على حفظ التغيرات ومن كل ذاكرة تبعاً لذلك — هو الذى يمد شعورنا بكل كثرة کیفیات الحسية وتنوعها . وأما ذكرياتنا فهى — على العكس — لاشعورية فى ذاتها ، لا تستثنى من ذلك أعمقها انطباعاتنا . ومن الممكن جعلها شعورية ، ولكن الذى لا شك فيه هو أنها تظل قادرة على أن تحدث كل آثارها وهى فى وضعها اللاشعورى . فما نسميه الطبع إنما يبنى على الآثار الذكورية لانطباعاتنا ، بل إن الانطباعات التى كان لها أكبر الأثر فى نفوسنا — تلك التى تلقيناها فى أول عهدنا — هى على التحديد تلك التى لا تصبح شعورية أبداً . ولكن الذكريات إذا رجعت إلى

الشعور من جديد لم تبد أى كيفية حسية — اللهم إلا أن يكون ذلك بمقدار طفيف جداً بالقياس إلى الإدراكات . فلو تأيد الآن أن الذاكرة والكيف المميز للشعور يمنع كلاهما الآخر فى الأنظمة ن. ، لكان فى ذلك ما يلحق ضوءاً يعد بالشئ الكثير مع الشروط التى تحكم تهيج العصبات ^(١) .

إن الفروض التى قدمناها حتى الآن فيما يتعلق بتركيب الجهاز النفسى قد أطلقت من غير التفات إلى الحلم وإلى التوضيحات السيكلوجية التى أمكننا أن نخرج بها منه . بيد أن شهادة الحلم ستكون مع ذلك مصدراً يعيننا على فهم قسم آخر من الجهاز . فقد رأينا [فى صفحة ١٦٨ وما بعدها] أننا لانستطيع أن نلقى الضوء على تكوين الحلم إلا إذا جازفنا فافترضنا أن هناك جهتي اختصاص نفسييتين تخضع إحداهما الأخرى لنقد يستتبع إقصاءها عن الشعور .

وقد كانت النتيجة التى انتهينا إليها هى أن الجهة المختصة بالنقد أوثق صلة بالشعور من الجهة المتقدمة ، فهى تقف كحجاب بين الأخيرة والشعور . ثم بعد ذلك وجدنا أسباباً تدعونا إلى القول بأن الجهة الناقدة لا تختلف من تلك التى توجه حياتنا المستيقظة وتقرر أفعالنا الإرادية الشعورية [ص ٤٨٦] . فإذا بدلنا الآن بجهات الاختصاص هذه أنظمة — على حسب فروضنا — لم يكن مفر بعد النتيجة المتقدمة من أن نضع النظام الناقد عند الطرف الحركى للجهاز . وعلى ذلك سندخل كلا النظامين فى تخطيطنا بعد أن نحاج عليهما أسماء تعرب عن علاقتهما بالشعور (شكل ٣) :



(١) لقد أدليت منذ ذلك الحين بفكرة مؤداها أن الشعور ينبعث بالفعل بدل الأثر الذكروى . انظر مقالى المعنون " ملحوظة حول المفكرة السحرية " (١٩٢٥ أ) . [وقد أدلى فرويد بهذه الفكرة للمرة الأولى فى " ما وراء مبدأ اللذة " (١٩٢٠ ز) .]

إننا نسمى آخر الأنظمة من ناحية الطرف الحركى "ما قبل الشعور" [قبش .]
 للدلالة على أن العمليات التهييجية التى تقع فيه تستطيع أن تلج الشعور دون عائق ما دامت
 تتوافر شروط أخرى معينة : كأن تبلغ هذه العمليات درجة معينة من الشدة ، وأن تكون
 الوظيفة التى لا نستطيع تسميتها بغير كلمة "الانتباه" موزعة على نحو خاص [أنظر ص ٥٧٩]
 إلى آخره . وهذا النظام هو الذى يملك فى الوقت عينه مقاليد الحركة . وأما النظام الذى
 يقع خلفه فنسميه "اللاشعور" [لاش .] ؛ لأنه لا يستطيع النفاذ إلى الشعور إلا إذا
 مر من طريق ما قبل الشعور مروراً تضطر فى أثناءه عملياته التهييجية إلى الوقوع تحت
 وطأة تعديلات معينة^(١) .

فى أى نظام من هذه الأنظمة نضع الآن الحافز إلى تكوين الحلم ؟ لنضعه - تجنباً
 للتعقيد - فى النظام لاش . صحيح أننا سنعلم فى خلام مناقشاتنا القادمة أن هذا الوضع
 ليس دقيقاً غاية الدقة وأن عملية تكوين الحلم لا تستطيع أن تفلت من الارتباط بأفكار
 الحلم التى ترجع إلى نظام ما قبل الشعور [ص ٥٥٢] ، ولكننا سنعلم كذلك فيما بعد
 - حين نجيء إلى الحديث عن رغبة الحلم - أن القوة الدافعة إلى تكوين الأحلام مستمدة
 من اللاشعور [ص ٥٥٠] . ولأجل هذا العامل الأخير سنفترض أن النظام لاش .
 هو نقطة البدء فى تكوين الحلم . وسيسعى هذا الحافز على الحلم - مثل جميع الأبنية
 الفكرية الأخرى - إلى التقدم صوب ما قبل الشعور ، ومنه إلى الظفر بمنفذ إلى الشعور .
 وترينا التجربة أن هذا الطريق الذى يؤدى من خلال ما قبل الشعور إلى الشعور
 يظل فى خلال النهار موصداً دون أفكار الحلم ، توصله الرقابة التى تملها المقاومة . وفى أثناء
 الليل تتمكن هذه الأفكار من بلوغ الشعور ، ولكن يظهر عندئذ هذا السؤال : كيف
 تفعل ذلك وبفضل أى تعديل ؟ فلو أن الذى يمكن أفكار الحلم من تحقيق هذا الغرض
 هو كون المقاومة التى تفصل الحدود بين اللاشعور وما قبل الشعور تنخفض أثناء الليل ،
 لأتتنا أحلام لا تختلف طبيعتها من طبيعة أفكارنا ، أحلام تخلو من الطابع الهلوسى الذى
 هو موضع اهتمامنا الآن .

(١) لو أردنا أن نتابع هذا الرسم التخطيطى الذى تصلف فيه الأنظمة متعاقبة على طول خط واحد ،
 لوجب أن نحسب حساباً لتلك الحقيقة ، وهى : أن النظام الذى يجيء عقب قبش . مباشرة هو النظام الذى تجب
 إضافة الشعور إليه ، أو - بعبارة أخرى - أن إد . = ش .

وهكذا لا يفسر انخفاض الرقابة بين النظامين قبش. ولاش. سوى الأحلام المكونة على غرار حلم "أوتو ديداسكر" ، ولكنه لا يفسر أحلاماً كحلم الطفل المحترق الذى اتخذناه نقطة بدء فى مطلع مباحثنا .

إن الطريقة الوحيدة التى نستطيع أن نصف بها ما يقع فى الأحلام الهلوسية هى أن نقول : إن التهييج يتحرك فى اتجاه خلفى . فهو بدل أن ينتقل صوب الطرف الحركى للجهاز يتحرك جهة الطرف الحسى واخيراً يبالغ النظام الإدراكى . فإذا أطلقنا على الاتجاه الذى تسير فيه عملياتنا النفسية المنبعثة من اللاشعور فى حياة اليقظة اسم الاتجاه التقدمى ، جاز أن نقول عن الأحلام : إنها ذات طابع نكوصى ^(١) .

هذا النكوص من غير شك أحد الخصائص السيكولوجية لعملية الحلم ، ولكن يجب ألا ننسى أنه لا يقع فى الأحلام وحدها . فالتذكر المتعمد وغيره من العمليات المقومة لتفكيرنا السوى يتضمن حركة نكوصية فى الجهاز النفسى من فعل فكرى مركب إلى ما يكمن وراءه من المادة الخام للآثار الذكروية . إلا أن هذه الحركة القهقرية لا تمتد أبداً إلى ما وراء الصور الذكروية ، إنها لا تفالج فى بعث الصور الإدراكية بعثاً هلوسياً . فلماذا يختلف الأمر فى الحلم ؟ لقد اضطررنا ونحن نبحث عمل الحلم إلى أن نفترض أن درجات الشدة المتصلة بالأفكار تنقل نقلاً تاماً من فكرة إلى أخرى بواسطة عمل الحلم [ص ٣٣٩] . والراجع أن هذا التغيير الذى يدخل على النهج السوى للنشاط النفسى هو الذى يتيح استثمار ^(٢) النظام إد . فى الاتجاه المعكوس ، ابتداء من الأفكار إلى أكمل الوضوح الحسى . إننى أرجو أن نكون بعيدين عن التغيرير بأنفسنا بالمبالغة فى تقدير أهمية هذه المناقشات ؛ فجاوزنا أن نخلع اسماً على الظاهرة المستغلقة . فنحن نسمى نكوصاً ما يقع فى الحلم حين

(١) إننا نجد أول إشارة إلى النكوص عند أثرت الأكبر [القرن الثالث عشر] . فهو يقول : إن الخيلة تبنى الأحلام من صور الموضوعات الحسية المنسخرة ، وتتم هذه العملية فى اتجاه هو عكسه فى اليقظة (نفلا عن ديبجن ١٩١٢ ، ١٤) - ويقول هوبز فى " اللويثان " (١٦٥١) : " وخلاصة القول أن أحلامنا هى عكس أخيلتنا المستيقظة ؛ فالحركة تبدأ - ونحن أيقاظ - من طرف ، وتبدأ - حين نعلم - من طرف آخر . " (عن هافلوك إليس ، ١٩١١ ، ١٠٩)

["In sum, our dreams are the reverse of our waking imaginations, the motion, when we are awake, beginning at one end, and when we dream at another."]

(٢) [أنظر ص ١٩٨ ٢٥ فى شرح هذا المصطلح .]

تتحول الفكرة من جديد إلى الصورة الحسية التي منها كان منشؤها . ولكن حتى هذه الخطوة تقتضى تبريراً : فعلام التسمية إذا كانت لا تعلمنا جديداً ؟ إنى أعتقد أن اسم ” النكوص ” يفيدنا بمقدار ما يفيد في ربط ظاهرة نعلمها من قبل بصورتنا التخطيطية التي جعلنا فيها للجهاز النفسى اتجاهاً . ولكن ههنا تعود علينا مثل هذه الصورة – للمرة الأولى – بما يعوضنا عن عناء رسمها ؛ لأن هناك خاصة أخرى من خصائص تكوين الحلم سوف تنجلي لنا بمجرد الرجوع إلى هذه الصورة دون مزيد من التأمل . ذلك أننا إذا اعتبرنا عملية الحلم نكوصاً في داخل جهازنا النفسى المفترض ، رأينا على الفور العلة في هذه الواقعة المثبتة بالاستقراء ، وأعنى بها : أن جميع العلاقات الفكرية القائمة بين أفكار الحلم تضيع أثناء عمل الحلم أو لا تجد العبارة عنها إلا بعد لأو ، فإن هذه العلاقات الفكرية ليست محتواة – بحسب صورتنا التخطيطية – في الأنظمة آذ. الأولى بل في الواقعة بعدها ، ولا بد لها عند حدوث النكوص من أن تفقد كل وسيلة للتعبير عنها باستثناء الصور الإدراكية : في حالة النكوص ينحل بناء أفكار الحلم إلى مادته الخام .

ولكن ما هو هذا التغير الذى يتيح نكوصاً لا يتسنى وقوعه في أثناء النهار ؟ إن علينا أن نقنع في هذا الباب ببعض الظنون . صحيح أن المسألة يقيناً لا بد مسألة تغييرات في استثمار الطاقة المنصرفة إلى الأنظمة المختلفة ، تغييرات يكون من جرائمها أن تصير هذه الأنظمة أكثر أو أقل قبولاً لمرور العمليات التهييجية فيها . ولكن من الممكن في كل جهاز من هذا القبيل أن تنجم ذات النتائج المتصلة بالطريق الذى يسلكه التهييج عن أكثر من نحو من أنحاء مثل هذه التغييرات . وههنا نتجه أفكارنا بالطبع أول ما تتجه إلى حالة النوم وإلى ما تجلبه هذه الحالة من تغييرات في الاستثمار عند الطرف الحسى للجهاز : ففي أثناء النهار يوجد تيار متصل يذهب من النظام إد. متجهاً إلى الحركة ، ولكن هذا التيار ينقطع في أثناء الليل ولا يعود قادراً على عوق التيار الذاهب في الاتجاه المعاكس ، وهذا هو – فيما يبدو – ” الانعزال عن العالم الخارجى ” الذى رأى فيه بعض المؤلفين التعليل النظرى الواجب للخواص السيكلولوجية للأحلام . غير أن من الواجب ، ونحن نعلل النكوص في الأحلام ، أن نذكر كذلك ما يقع من النكوص في الحالات المرضية المستيقظة . وههنا يتركنا التعليل الذى قدمناه حيارى ؛ لأن النكوص يقع في هذه الحالات على رغم التيار الحسى الضارب في الاتجاه التقدمى من غير انقطاع .

إن التعليل الذى أسوقه لما يقع من الهلاوس فى الهستريا والبارانويا ، ومن الرؤى عند السويين نفسياً ، هو أن هذه فى الحقيقة نكوصات ، أى أفكار تحولت إلى صور ، سوى أن الأفكار التى يصيها مثل هذا التحويل إنما هى تلك المرتبطة وثيق ارتباطاً بذكرىات كبتت أو بقيت لاشعورية . مثال ذلك مريض بين أصغر مرضى الهستريين ، صبي فى الثانية عشرة من عمره ، تؤرق نومه ” وجوه خضر ذوات عيون حمراء ” كانت تثير الروح فى نفسه . إن منبع هذه الظاهرة كان ذكرى مكبوتة — ولكنها كانت شعورية فى وقت من الأوقات — عن ولد كان مريض يراه كثيراً منذ أربع سنوات خلت ، ورأى فيه صورة تنذر بنتائج العادات السيئة عند الأطفال ، ومن بين هذه الاستمناء — وهو عادة صار مريض الآن يؤنب نفسه عليها من بعد . وكانت أم المريض قد لاحظت أن للولد السبى المسلك وجهاً أخضر وعينين حمراوين (أى تكتنفهما حالة حمراء) ومن هنا كان الشبح المروع — وهو شبح لم يكن الغرض منه سوى تذكير الطفل بنبوءة أخرى من نبوءات أمه : أن أمثال هؤلاء الأولاد يؤولون إلى البله ولا يتعلمون شيئاً من المدرسة ثم يموتون صغاراً . ولقد حقق مريضنا الصغير جزءاً من هذه النبوءة ، فلم يكن يبدى تقدماً فى المدرسة ، وظل فى خشية من أن يتحقق الجزء الباقى — على ما تبين من خواطره اللاإرادية . وأضيف أن علاجه قد أدى بعد زمن قصير إلى تمكينه من النوم واختفاء قلقه العصبى وفوزه بجائزة على تفوقه فى ختام العام الدراسى .

وأستطيع أن أورد فى هذا الصدد الحل الذى انتضح لرؤيا قصتها على مريضة هسترية فى الأربعين قائلة : إن هذه الرؤيا ترجع إلى أيام ما قبل مرضها . ذلك أنها فتحت عينها ذات صباح فرأت أخاها فى الغرفة مع أنه فى الحقيقة كان يقيم فى المارستان — على ما تعلم . وكان ابنها الصغير راقداً إلى جوارها فى السرير . فلكى تجنب الولد الارتياح والتشنج عند مرأى خاله ، سحبت الملاءة على وجهه ، وعندئذ اختفى الشبح . إن هذه الرؤيا كانت نسخة محرفة لإحدى ذكريات السيدة عن طفولتها ، وكانت هذه الذكرى على التأكيد شعورية ، بيد أنها كانت وثيقة الارتباط بكل المادة اللاشعورية . فقد أخبرتها مرضعتها يوماً أن أمها التى ماتت وهى صغيرة جداً ، لم تبلغ من العمر اثني عشر شهراً ، قد عانت تشنجات صرعية أو هسترية كانت ترجع إلى الارتياح الذى أثاره فى نفسها أخوها (خال مريضتى) حين ظهر لها متقنعاً فى هيئة شبح بملاءة فوق رأسه .

وهكذا نرى أن الرؤيا قد احتوت ذات العناصر المحتواة في الذكرى : ظهور الأخ ، الملاعة ، الارتياح وعواقبه . غير أن العناصر قد رتبت في سياق مختلف وحولت إلى أشخاص آخرين . وقد كان الدافع الواضح للرؤيا - أو للأفكار التي حلت هذه الرؤيا محلها - هو خشيتها من أن يسير الولد في أعقاب خاله ؛ فقد كان الشبه الجسمي بينهما كبيراً .

إن كلا المثلين اللذين أوردتهما لا يخلو كل الحلو من بعض الصلة بحالة النوم ، وهما لهذا السبب قد لا يكونان صالحين كل الصلاحية لما أردت إثباته بهما . ولهذا أحيل القارئ إلى تحليل امرأة كانت تعاني پارانويا هلوسية^(١) وكذلك إلى المكتشفات التي أودعتها دراسات لم تنشر بعد في سيكولوجية الأعصاب النفسية لكي يجد فيها الشاهد على أننا في مثل هذه الأمثلة على التحول النكوصي للأفكار لا ينبغي أن نغض الطرف عن الذكرى الطفلية في معظم الأحيان والتي أصابها القمع أو بقيت لا شعورية . فهذه الذكرى - إن جاز التعبير - تجذب معها إلى النكوص الأفكار المرتبطة بها والتي تحول الرقابة دون الإعراب عنها ، باعتبار أن النكوص هو هذه الصورة من صور التمثيل التي يتحقق فيها الحضور النفسي لهذه الذكرى ذاتها . ويحق لي هنا أن أذكر بأن إحدى النتائج التي كشفت عنها الـ "دراسات في الهستيريا" [بروير وفرويد ، ١٨٩٥] كانت : أن المشاهد الطفلية (ذكريات كانت أو تخيلات) إذا أمكن استحضارها إلى الشعور ظهرت في صورة هلاوس ، ولم تفقد هذا الطابع إلا عند الرواية . كما أن من الأمور المعلومة أن أقدم ذكريات الطفولة تبقى محتفظة بوضوحها الحسي إلى سن متقدمة في العمر ، حتى عند أولئك الأشخاص الذين لا يمتازون عادة بذاكرة بصرية .

فإذا تذكرنا الآن أي نصيب في أفكار الحلم تقوم به خبرات الطفولة أو التخيلات المقامة عليها ، كيف يكثر أن تنبعث في الحلم من جديد أجزاء من هذه الخبرات وكيف يكثر أن تكون رغبات الحلم ذاتها مستمدة منها ، إذا تذكرنا هذا كله لم نستطع أن نستبعد رجوح الاحتمال الآتي بالنسبة إلى الأحلام كذلك : أن تحول الأفكار إلى صور بصرية ربما كان راجعاً إلى الجذب الذي تزاوله الذكريات المتمثلة تمثلاً بصرياً والظائنة إلى الانبعاث بإزاء الأفكار المنقطعة عن الشعور والجاهدة من أجل الإفصاح عن نفسها .

(١) "ملاحظات أخرى حول الأعصاب النفسية الدفاعية . " (فرويد ١٨٩٦ ب .)

وإذا كان الأمر كذلك أمكن أن نصف الحلم بقولنا : إنه بديل من مشهد طفلى عدل بتحويله إلى خبرة حديثة . فالمشهد الطفلى عاجز عن أن يبعث نفسه بنفسه ؛ فلا بد له من أن يقنع بالعودة فى هيئة حلم .

إن بيان ما للمشاهد الطفلية (أو لاستعداداتها فى صورة تخيلات) من قيمة النماذج يحتذىها محتوى الحلم — يعنى عن الحاجة إلى أحد الفروض التى تقدم بها شرزرتابعوه فيما يتعلق بالمصادر الباطنية للتنبيه . ذلك أن شرزرت يفترض أن الأحلام إذا طالعنا بعناصر بصرية ممتازة فى شدتها الحسية أو فى ثرائها كان ذلك دليلاً على وجود حالة من « التنبيه البصرى » ، أى من التنبيه الباطنى لعضو الإبصار . وليس هناك ما يدعونا إلى منازعة هذا الفرض ، ولكن يكفيننا نحن أن نفترض أن هذه الحالة التهييجية لا تتناول سوى النظام الإدراكى النفسى لعضو الإبصار ، مع توكيدنا أن الذى أثار هذه الحالة التهييجية هو إحدى الذكريات ، أى أن هذه الحالة بعث جديد تهيج كان فى يوم من الأيام حاضراً مباشراً . ولست أستطيع أن أستقى من خبرتى الشخصية مثلاً قوياً على ذكرى طفلية كان لها مثل التأثير ، فأحلامى تقل فى العادة ، من حيث ثرائها بالعناصر الحسية ، عما أراى مسوقاً إلى افتراضه عند الآخرين . غير أننى استطعت فى حلم كان أوضح ما عرفت فى السنوات الأخيرة وأجمله أن أثار الوضوح الهلوسى لمحتوى الحلم إلى الكيفيات الحسية التى خلفتها انطباعات حديثة لم تسبق الحلم بزمان طويل . فقد ذكرت فى صفحة ٤٦١ حلماً تركت فيه زرقاء الماء الداكنة مع لون الدخان الأسمر المتصاعد من مداخن السفينة تم البنى الداكن والأحمر فى الأبنية المترتبة لعينى أثراً عميقاً فى نفسى . فإن يكن من حلم ينبغى تتبعه إلى منبه بصرى ، فهو هذا الحلم . فما الذى أوجد عضو الإبصار عندى فى هذه الحالة من التنبيه ؟ إنه انطباع حديث ارتبط بعدد من انطباعات أخرى سابقة . فالألوان التى رأيتها كانت أولاً لمكعبات مما يلعب به الأطفال ، شيد منها أولادى — فى اليوم السابق على الحلم — بناء فخماً ليُروا عيني المعجبة إياه : كان للقوالب الكبيرة ذات اللون الأحمر الداكن وللصغيرة ذات الأزرق والبني . وارتبط كل أولئك بانطباعات لونية خلفها رحلاتى الأخيرة إلى إيطاليا : الأزرق الجميل الممتد على الإيسونتسو والبحيرات ولون هضبة الكارسو البنى . ولم يكن جمال الألوان فى الحلم ألا تكراراً لما رأيته فى ذاكرتى .

فلنجمل الآن ما عرفناه عن هذه الخاصة من خواص الحلم ، وأعنى بها نزوعه إلى

أن يصب محتواه الفكرى فى صورة حسية : إننا لم نعلل هذه السمة من سمات عمل الحلم ، لم نردها إلى قانون سيكولوجى معلوم ، بل الأصدق أننا التقطناها إذ بدا لنا أنها توفى إلى علاقات مجهولة ثم خصصناها باسم الطابع ” النكوصى ” . وقدردنا أن من الراجح غاية الرجحان أن هذا النكوص حيثما وقع كان نتيجة لمقاومة تحول دون تقدم الفكرة إلى الشعور وفق الطريق السوى ونتيجة لجذب تمارسه إزاءها فى الوقت نفسه ذكريات حاضرة ، ذات قوة حسية كبيرة ^(١) . وربما كان مما يسهل النكوص فى حالة الحلم انقطاع التيار التقدى الذى ينسأل فى أثناء النهار من أعضاء الحواس ، وغياب هذا العامل المساعد فى صور النكوص الأخرى لا بد تعوض عنه زيادة فى شدة سائر دوافع النكوص . كذلك لا ننسى أن نلاحظ أن عملية تحويل الطاقة فى هذه الحالات المرضية من النكوص كما فى الأحلام لا بد تختلف منها فى النكوصات السوية ؛ إذ هى — فى الحالات الأولى — تتيح استثمار الأنظمة الإدراكية استثماراً هلوسياً كاملاً . فأما ما وصفناه — ونحن نحلل عمل الحلم — تحت عنوان ” اعتبار قابلية التصوير ” فقد يجوز الربط بينه وبين ما تزاوله المشاهد المتذكرة تذكراً بصرياً والتي قد لمسها أفكار الحلم من الجذب الانتقائى .

هذا ، ونلاحظ بعد ذلك أن للنكوص فى نظرية تكوين الأعراض العصابية نصيباً لا يقل أهمية عنه فى نظرية الحلم . ونحن نفرق بين ثلاثة أنواع من النكوص : أ) النكوص الطبوغرافى بالمعنى الذى يفهم من الصورة التخطيطية التى بينها فى هذه الصفحات ، ب) النكوص الزمنى من حيث أن الأمر يتعلق برجوع إلى أبنية سيكولوجية أقدم عهداً ، ج) النكوص الشكلى ، حين تحل أساليب بدائية من التعبير والتصوير محل الأساليب المألوفة . غير أن هذه الأنواع الثلاثة من النكوص واحدة فى صميمها وهى تقع مجتمعة فى الغالبية الغالبة من الحالات ؛ فالأقدم فى الزمن هو فى الوقت عينه البدائى فى شكله وهو الأقرب إلى الطرف الإدراكى من حيث الطبوغرافية النفسية .

وما كنا لنستطيع أن نترك موضوع النكوص فى الأحلام دون أن نعرب بكلمة عن فكرة أثارت دهشنا مراراً من قبل وسوف تعود إلينا مقواة بقوة جديدة بعد أن نتغلغل فى دراسة الأعصاب النفسية بعض التغلغل : أن فعل الحلم فى جملته مثال على نكوص يعود فيه

(١) إن شرح نظرية الكبت يقتضى أن نبين أن الكبت يصيب الفكرة لما يجتمع من تأثير عاملين فيها : فهى تدفع من ناحية (من رقابة قش.) وتجذب من أخرى (من لاش.) . على نحو ما يقع حين يعان الناس على صعود الهرم الأكبر . أنظر مقالى عن ” الكبت ” (فرويد ١٩١٥ د) .

الحلم إلى أقدم أوضاعه ، بعث جديد لطفولته ، للدفعات التي كانت تسيطر على هذه الطفولة ولوسائل التعبير التي كانت إذ ذاك في متناوله . ومن وراء هذه الطفولة الفردية وعد يعدنا بنظرة إلى طفولة النوع ، إلى تطور الجنس البشري الذي لا يخرج تطور الفرد في الحقيقة عن أن يكون ترجيعه المختصر المتأثر بملابس حياته العارضة . وفي وسعنا الآن أن نرى كم أصاب نيتشه في قوله : إن في الحلم ” بقية من الإنسانية الأولى لما تمت وما عدنا اليوم نملك بلوغها من طريق مباشر . “ ولنا أن نتوقع أن يقودنا تحليل الأحلام إلى معرفة التراث الأول للإنسان ، بما هو مفطور عليه من الوجهة النفسية ؛ فالأحلام والأعصاب – فيما يبدو – قد أبقت على مخلفات نفسية قديمة تفوق ما كنا نستطيع تقديره ، بحيث يحق للتحليل النفسى أن يطلب لنفسه مكانة عالية بين العلوم التي تشغل بتكوين صورة عن أقدم الفترات التي مر بها الجنس البشري في بدايته وأكثرها غموضاً .

إن لمن المحتمل أن هذا الشطر الأول من دراستنا السيكولوجية للحلم سوف يتركنا ونحن نستشعر شيئاً من عدم الرضا . غير أننا نستطيع أن نعزى أنفسنا فذكر أننا قد اضطررنا إلى أن نبني طريقنا في الظلام . وإذا لم نكن على خطأ مطلق ، فلا شك في أننا منتهون يوماً من وجهات نظر أخرى إلى منطقة أشبه بالتي نحن فيها ، وحينئذ قد لا نرانا دخلاء عليها .

ج

تحقيق الرغبة

إن حلم الطفل المحترق الذي أوردناه في مطلع هذا الفصل يهيئ لنا فرصة نرحب بها لبحث الصعوبات التي تواجه نظرية تحقيق الرغبة . فلا شك في أننا جميعاً قد دهشنا إذ سمعنا أن الحلم لا يخرج عن أن يكون تحقيق رغبة ، ودهشنا بدهشة ليس مأتاها الأوحاد ما تحمله أحلام الهيلة من نقد صريح لهذا الرأي . فنحن بعد أن كشف لنا التحليل للمرة الأولى أن وراء الحلم معنى وقيمة نفسية مخبأين لم نكن نتوقع بحال من الأحوال أن يحدد هذا المعنى على هذا النحو المطلق التنظيم . فالحلم على حسب تعريف صادق لأرسطو

— وإن كان تعريفاً لا يقول كثيراً — هو فكر المرء النائم بما هو نائم . فإذا كان فكرنا النهارى يولد أفعالا نفسية تتنوع هذا النوع كله : حكم واستدلال وإنكار وتوقع وقصد ، إلى آخره ، فلم يضطر في الليل إلى الاقتصار على أن يولد رغبات ليس غير ؟ أليست هناك على العكس أحلام متعددة ترينا أفعالا نفسية مختلفة النوع — كالقلق مثلا — وقد صيغت في هيئة الحلم ؟ وألم يكن الحلم الذى صدر به هذا الفصل — وهو حلم ندر مثله شفافية — ألم يكن هذا الحلم على التحديد من ذلك القبيل ؟ فعندما سقط بريق الضوء على عيني الأب النائمتين استنتج الأب وهو فى قلقه أن شمعة انقلبت وقد تكون أشعلت الجثة ، ثم كان أن أحال الرجل هذه النتيجة إلى حلم بأن ألبسها ثوب الموقف الحسى وصيغة المضارع . فما دور تحقيق الرغبة ههنا ؟ ثم أليس من المحال ألا نرى فى هذا الحلم غلبة الفكرة المتابعة من اليقظة أو المنبهة بفعل انطباع حسى جديد ؟

كل هذا صحيح . وإنه ليحملنا على أن نتمتع نصيب تحقيق الرغبة فى الحلم ومدى الأهمية التى لأفكار اليقظة المتابعة فى أثناء النوم .

لقد حدانا تحقيق الرغبة هذا من قبل إلى أن نقسم الأحلام قسمين : فقد رأينا أحلاماً يظهر منها صراحة أنها تحقق رغبات ، ورأينا أخرى يخفى فيها تحقيق الرغبة ويقنع بكل الوسائل الممكنة فى كثير من الأحيان . وفى هذه الطبقة الأخيرة عرفنا فعل رقابة الحلم . وأما أحلام الرغبة غير المشوهة فقد رأيناها عند الأطفال فى المحل الأول ، وإن كنا قد رأينا كذلك أحلاماً قصيرة بدا — وأقول : بدا — أنها تقع عند الراشدين .

وههنا كان يسعنا أن نسأل : من أين تنشأ هذه الرغبات التى تصير فى الحلم حقائق ؟ ولكننا نسأل أولاً : فى أى تضاد أو فى أى كثرة من الحدود تفكر حين نقول : ” من أين “ هذه ؟ نفكر — على ما أظن — فى التضاد القائم بين حياة النهار المدركة إدراكاً شعورياً ونشاط نفسى بقى لاشعورياً ولا نستطيع أن نعلم به إلا ليلاً . وإنى أرى أن مأتى الرغبة أحد ثلاث :

(١) فلعلها أثّرت فى النهار ولم تلق إشباعاً لعلل خارجية ، وفى هذه الحالة يكون النهار قد خلف ليل رغبة معترفاً بها غير مفروغ منها ، (٢) ولعلها أثّرت فى النهار ولكنها نبذت ، والمتخلف فى هذه الحالة رغبة غير مفروغ منها ولكنها مقموعة .

٣) ولقد تكون منقطعة الصلة بحياة النهار ، منتمية إلى تلك الرغبات التي لا تختلج في نفوسنا إلا ليلاً ، منبعثة من الجزء المقموع . فإذا عدنا إلى صورتنا التخطيطية للجهاز النفسى ، وضعنا رغبات النوع الأول في النظام قبش . ، وأما تلك التي من النوع الثانى فنقدر أنها قد ردت من النظام قبش . إلى لاش . ، حيث تبقى - إذا بقيت - ، وأما الاندفاعات الراغبة التي من النوع الثالث فنعتقد أنها عاجزة كل العجز عن أن تتخطى النظام لاش . وسؤالنا الآن هو : هل تملك الرغبة المنبعثة من هذه المصادر المختلفة قيمة متساوية بالنسبة إلى الحلم ، قدرة متساوية على إثارتة ؟

إن نظرة طائرة على الأحلام التي نراها في متناولنا ونحن نبتغى الإجابة على هذا السؤال تذكرنا - أولاً - بأن علينا أن نضيف مصدراً رابعاً لرغبات الحلم ، والذي أعنيه هو هذه الدفعات الراغبة التي تنشأ في خلال الليل . (كذلك التي ينهبها العطش أو الحاجة الجنسية) . وسيكون من رأينا - بعد ذلك - أن منشأ رغبة الحلم لا يغير في الراجح شيئاً من قدرتها على استثارة الحلم . فنحن نذكر الحلم الذى جاء الفتاة الصغيرة ليطلب رحلة على البحيرة قطعت في خلال النهار ونذكر سائر أحلام الأطفال المذكورة معه [في ص ١٥٣ وما بعدها] : كل هذه أحلام تفسر برغبات من اليوم السابق لم تتحقق ولكنها لم تقمع . فأما الرغبات التي تقمع نهاراً ثم تشق طريقها إلى الحلم ليلاً ، فالأمثلة عليها ليس أكثر منها . وألحق بها مثلاً بلغ الغاية في خلوه من التعقيد : سيدة نزاعة بعض الشيء إلى التهكم بالناس ، تزوجت صديقها التي تصغرها وظلت هي طيلة النهار تجيب عن سؤال المعارف إياها هل تعرف الخطيب وما رأيها فيه ، مقتصرة في إجاباتها على ثناء أخرجت به رأيها ، فقد كانت تود لو قالت الحقيقة : إنه ممن تقابل أمثالهم بالعشرات . وفي الليل حلمت

السيدة حلماً رأت فيه أنها تسأل هذا السؤال عينه وأنها تجيب عنه بالصيغة المعروفة : عند الطلبات التالية يكنى ذكر الرقم . وأخيراً ، فقد علمنا من تحليلات متعددة أن

جميع الأحلام التي يصيبها التشويه هي أحلام تنشأ فيها الرغبة من اللاشعور وكان محالاً إدراكها بالنهار . وهكذا يبدو أن لكل الرغبات قيمة متساوية وقوة متساوية بالنسبة إلى تكوين الحلم .

إننى لا أملك هنا أى برهان على أن الحقيقة مع هذا على خلاف ذلك ، بيد أننى أنزع نزوعاً قوياً إلى القول بنخسوع رغبة الحلم لاحتمية أكثر صرامة . صحيح أن أحلام

الأطفال تثبت بما لا شك بعده أن رغبة لم يفرغ منها في أثناء النهار قد تسمى الحافز إلى الحلم . ولكن لا ننسى أن هذه رغبة طفل ، اندفاع راغب له القوة التي له عند الأطفال بخاصة . وأشك في أن تكون لرغبة لم تتحقق في أثناء النهار عند الراشد قوة تكفي في أن تحدث حلماً ، بل يبدو لي على العكس أننا كلما تعلمنا كيف نسيطر على حياتنا الغريزية بواسطة نشاطنا الفكرى زهدنا في أن نكون لأنفسنا الرغبات المشتدة التي يعرفها الطفل ، أو زهدنا في الإبقاء عليها ، معتبرين إياها شيئاً لا غناء فيه . ولقد تكون ثمت فروق فردية في هذا الباب ، فيستبقى البعض نمطاً طفلياً من العمليات النفسية أطول مما يستبقيه البعض الآخر — كما أن هناك فروقاً مماثلة في مدى ضعف الخيلة البصرية الشديدة الوضوح في الأصل . ولكنى أعتقد بوجه عام أن رغبة تركها النهار عند الراشد دون أن تتحقق لا تكفي أن تحدث حلماً . نعم ، إنى أسلم طواعية بأن اندفاعاً راغباً نشأ عن الشعور قد تكون له مشاركته في استثارة الحلم ، ولكن تلك على الأرجح طاقته . وما كان الحلم ليكون لولا أن الرغبة قبل الشعورية عرفت كيف تستمد معززاً من جهة أخرى .

من اللاشعور ، على التحقيق . وأنا — إذن — أتصور أن الرغبة الشعورية لا تصير حافزاً حلمياً إلا إذا نجحت في إيقاظ رغبة لاشعورية تماثلها بعض المماثلة وفي كسب تعزيزها . وهذه الرغبات اللاشعورية أراها — استناداً إلى الدلائل المستمدة من التحليل النفسى للأعصاب — دائمة التوثب ، متأهبة في كل وقت لأن تشق طريقها إلى التعبير إذا هيأت لها الفرصة أن تتحالف مع اندفاع آت من الشعور وأن تحول شدتها هي العظيمة إلى الشدة الضئيلة لهذا الأخير ^(١) . وحينئذ تبدو الأمور كأنما الرغبة الشغورية هي المنتحقة وحدها في الحلم — لولا بدوة صغيرة في سبيل الحلم تهدينا إلى أثر الحليف القوى الوافد من اللاشعور . غير أن هذه الرغبات المماثلة في لاشعورنا متوثبة أبداً — وإن جاز التعبير : خالدة — والتي تذكر المرء بطيطان الأساطير وقد رزحوا تحت الركام الضخم

(١) وهي تشترك في طابع اللاتهم هذا مع جميع الأفعال النفسية الأخرى اللاشعورية حقيقة أى المنتمية إلى النظام لاشعور . فلهذه طرق ضربت ولا رجعة في أمرها ، طرق لا يبطل استخدامها أبداً وتظل دائما ، كلما عادت تهيج لاشعورى إلى استخدامها ، على استعداد لتوصيل العملية التهييجية إلى التفريغ . وإذا جاز أن نستخدم تشبيها قلنا : إنها لا تقبل الفناء إلا كما تقبله أشباح العالم السفلى في الأوديسا ، تلك الأشباح التي لا تلبث أن تبعث إلى حياة جديدة حين تلغ الدم . وأما العمليات التي تتوقف على النظام قبل الشعورى فتقبل الهدم بمعنى مختلف كل الاختلاف . وعلى هذه التفرقة يتوقف كل العلاج النفسى للأعصاب . [انظر ص ٥٦٦ .]

من الجبال التي رماهم بها الآلهة المنتصرون والتي لا تزال ترتج بين الحين والحين كلما ارتجفت أطرافهم ، أقول : بيد أن هذه الرغبات الراضية تحت وطأة الكبت هي ذاتها رغبات طفلية المنشأ كما نعلم بالبحث السيكولوجي للأعصبة . ولهذا أقترح أن نترك جانباً ما قلناه منذ هنية من أن منشأ رغبة الحلم شيء يستوى أمره ، لنستبدل به قولاً آخر ، هو : كل رغبة تصور في الحلم لا بد رغبة طفلية . وتنشأ هذه الرغبة من اللاشعور عند الراشدين ، وأما عند الأطفال — حيث لا نرى بعد قسمة أو رقابة بين الشعور واللاشعور أو حيث تكون هذه القسمة آخذة في النشوء على التدريج وحسب — فهي رغبة غير محققة وغير مكبوتة ، صادرة عن حياة اليقظة . وأعلم أن هذا الرأي لا يمكن إثبات صدقه صدقاً شاملاً ، لكننا نستطيع أن نثبت صدقه كثيراً ، بل أن نثبت حيث لم نكن نتوقعه ، ثم إن من المحال نقضه نقضاً شاملاً .

وهكذا أرد الاندفاعات الراغبة المتخلفة من حياة اليقظة إلى مرتبة ثانية من حيث خطرها في تكوين الحلم . ولست أستطيع أن أسلم لها بنصيب آخر غير الذي أسلم به — مثلاً — مادة الإحساسات التي تحضر وتنشط في أثناء النوم (أنظر ص ٢٤٦ — ٢٤٧) وسأتابع الخيط الذي ترسمه لي هذه الفكرة حين أستدير الآن إلى النظر في حوافز الحلم النفسية الأخرى التي تخلفها حياة اليقظة والتي ليست برغبات . فأقول : إننا قد نفلح حين نعترم النوم في أن نضع حداً مؤقتاً لاستثمار الطاقة المنصرفة إلى أفكارنا المستيقظة ، وكل من استطاع ذلك في يسر فهو رجل يجيد النوم ، ويبدو أن نابليون الأول كان المثل الأعلى لهذه الطبقة . بيد أننا لا ننجح في ذلك دائماً ولا ننجح دائماً كل النجاح . فالمشكلات غير المحلولة والمشاكل المعذبة والانطباعات الطاغية ، كل هذه تمد النشاط الفكري إلى ما بعد النوم مبقية على العمليات النفسية في النظام الذي سميناه ما قبل الشعور . فإذا أردنا أن نصنف هذه التهييجات الفكرية المستمرة في خلال النوم ، جازت قسمتها الأقسام الآتية : (١) تلك التي لم تنته بها إلى نتيجة في خلال النهار لعائق عرض من العوائق ، (٢) تلك التي لم نفرغ منها لقصور قوتنا العقلية ، أي المشكلات التي لم تحل ، (٣) ما نبذ وقمع في أثناء النهار . ويجب أن نضيف إلى ما سبق : (٤) فئة قوية تتكون من تلك التي هيجهها في لا شعورنا نهراً نشاط ما قبل الشعور ، ثم أخيراً (٥) فئة الانطباعات النهارية التي لم يكن لها وزن ولهذا بقيت بدون الفراغ منها .

ولا حاجة بنا إلى التهوين من أهمية الشدات النفسية التي تدخلها على حالة النوم هذه البقايا النهارية ، وبخاصة تلك التي تدرج في طائفة المشكلات غير المحلولة . فن المستيقن أن هذه التهييجات تداوم الكفاح من أجل الإفصاح عن نفسها في خلال الليل ، ولنا أن نفترض بمثل هذا اليقين أن حالة النوم تحول دون مواصلة العمليات التهييجية إلى ما قبل الشعور كما هو الشأن عادة ، وتحول دون صيرورتها شعورية ومن ثم دون انتهائها إلى خاتمة . وحين يكون في استطاعة عملياتنا الفكرية أن تصير في أثناء الليل عمليات شعورية على النحو المألوف فهذا يعنى أننا لسنا نياماً - لا أكثر ولا أقل .

ولست أستطيع أن أقول أى تغيير تدخله حالة النوم على النظام قبش^(١) ، ولكن لا مجال للشك في أن الخصائص السيكولوجية للنوم ينبغي التماسها قبل كل شيء في التغييرات التي تصيب استثمار هذا النظام بالذات - وهو النظام المسيطر كذلك على المرور إلى القدرة الحركية المشلولة في أثناء النوم . وعلى العكس من ذلك ، لا أرى سيكولوجية الحلم تمدنا بأقل سبب لكي نفرض أن النوم يحدث في الوضع السائد في النظام لاش^٢ . سوى تغيير ثانوى . ونتيجة ذلك هي أن التهييج الذى يقع ليلاً في قبش^٣ . لا يبقى أمامه أى طريق آخر سوى هذا الذى تسلكه التهييجات الراغبة المنبعثة من لاش^٤ . فهو مضطر إلى أن يلتمس التعزيز من لاش^٥ . وأن يصحب التهييجات اللاشعورية في دوراتها . ولكن ما هي العلاقة بين بقايا النهار قبل الشعور والحلم ؟ إنه لا شك في أن عدداً وفيراً من هذه البقايا يشق طريقه إلى الحلم وأنها تستغل محتوى الحلم لكي تنفذ إلى الشعور حتى في زمن الليل .

لا بل هي قد تسيطر على محتوى الحلم من حين إلى حين وتحمله على مواصلة نشاط النهار . ومن الثابت كذلك أن بقايا النهار قد يكون لها أى طابع آخر سوى الرغبة - ولكن ههنا يغدو من أفيد الأمور ، ثم هو أمر له قيمته الحاسمة بالنسبة إلى نظرية تحقيق الرغبة ، أن نلاحظ الشرط الذى يجب أن تخضع له بقايا النهار لكي يتسنى قبولها في الحلم .

دعنا نأخذ أحد الأحلام التي ذكرتها من قبل ، وليكن - مثلاً - الحلم الذى ظهر فيه صديق أوتو وهو يحمل أعراض مرض بازدوف (ص ٢٨٤) . لقد كنت شغلت في

(١) لقد حاولت أن أتعمق فهم الوضع السائد أثناء النوم وفهم الشروط الضرورية لظهور الهلاوس وذلك في مقال عنوانه : " ملحق ميتاسيكولوجي لنظرية الأحلام " (فرويد ١٩١٧ د) .

اليوم السابق لمظهر صديقي أوتو وحركني هذا القلق تحريكاً عميقاً ، شأن كل ما يمس هذا الشخص . ويحق لي أن أفترض أن هذا القلق لم يتركني في أثناء النوم . ولعلّي كنت أريد أن أعرف ماكنه علة أوتو . واستطاع هذا القلق أن يعرب عن نفسه ليلاً في الحلم الذي رويته والذي كان محتواه مجافياً للمعقول — أولاً — وخالياً من كل وجه من أوجه تحقيق الرغبة — ثانياً . وعندئذ أخذت أستقصى مبعث هذا التعبير غير الموفق عن القلق الذي استشعرته أثناء النهار فعثرت بوساطة التحليل على صلة : فقد كنت عينت أوتو ببارون يدعى ل. وعيتني أنا بالأستاذ ر . فأما السبب في كوني اخترت هذا البديل لأفكارى النهارية دون سواه فلم يكن له إلا تفسير واحد : فلا بد أنى كنت في اللاشعور على أهبة دائمة لأن أعينني بالأستاذ ر . ، فهذا التعيين تتحقق رغبة من طفولتي لا تموت ، هي الرغبة المخبونة في العظمة . وكانت هناك أفكار كريمة ، معادية لصديقي ، ماكانت لتلقى في النهار غير النبذ ، فانهزت الفرصة لتدلف مع الرغبة فتصور معها ، ولكن القلق المتخلف من النهار قد وجد كذلك ضرباً من التعبير عنه بوساطة بديل في محتوى الحلم . فالفكرة النهارية التي لم تكن في ذاتها رغبة ، بل كانت على العكس قلقاً ، قد اضطرت إلى أن تبحث عن صلة تصلها على نحو من الأنحاء برغبة طفلية ، هي اليوم لاشعورية مقموعة ، وعندئذ مكنتها هذه الرغبة من أن " تولد " في الشعور — وإن كان ذلك بعد أن ألبستها الزي الذي ينبغي . وعلى قدر استحكام القلق جاز أن تكون الصلة بعيدة متكلفة ، كما أنه لم تكن هناك أى حاجة إلى رباط يربط بين محتوى الرغبة ومحتوى القلق ولا قام مثل هذا الرباط في مثالنا .

وربما أفادنا أن نعالج هذه المسألة عينها في صورة جديدة^(١) ، أن ننظر كيف يسلك الحلم حين تواجهه أفكار الحلم بمادة بعيدة غاية البعد عن أن تكون تحقيق رغبة ، بل هي عكس ذلك على خط مستقيم ، مثل القلق الذي له ما يبرره ، والتأملات المضمة ، والمعارف الأليمة بالحقائق . إن الاحتمالات المتعددة يمكن تقسيمها عندئذ قسمين : (أ) فقد يفلح عمل الحلم في أن يستبدل بالأفكار الأليمة أخرى تخالفها وفي أن يكتب الحالات الوجدانية الأليمة المرتبطة بهاته الأفكار ، وتكون النتيجة في هذه الحالة حلم إشباع صريح ، " تحقيق رغبة " ملموس . لا يبدو لنا مجال للكلام بعده ، وقد (ب)

(١) [هذه الفقرة قد أضيفت مع الفقرتين التاليتين عام ١٩١٩ .]

تشق الأفكار الاليمية طريقها إلى محتوى الحلم الظاهر معدلة تعديلاً يزيد أو ينقص ، ولكنه يترك معرفتها ميسورة كل اليسر . وتلك هي الحالة التي تثير الشك في صحة نظرية الرغبة وتتطلب المزيد من الاستقصاء . ومثل هذه الأحلام ذات المحتوى الأليم قد يخبرها الحلم خبرة تخلو من اللذة والألم على السواء . أو تصطحب بكل الشعور الأليم الذي يبدو أن محتواها الفكرى يبرره ، ولقد تؤدي إلى تمخض الهيلة وإلى الاستيقاظ .

إن التحليل يستطيع أن يبرهن على أن هذه الأحلام غير اللاذعة هي أيضاً تحقيق رغبة لا تقل في ذلك عن غيرها . فهناك دائماً رغبة لاشعورية مكبوتة ، لا يمكن أن يحس الأنا تحقيقها إلا كما يحس شيئاً أليماً ، هذه الرغبة قد انتهزت الفرصة التي أتاحها لها استمرار استثمار البقايا النهارية الاليمية ، فأعادت هذه البقايا عونها ومكنها من أن تلج الحلم . ولكن بينما يقع في المجموعة « أ » أن تتفق الرغبة اللاشعورية مع الرغبة الشعورية ، تتكشف الهوة في المجموعة « ب » بين اللاشعور والشعور (بين المكبوت والأنا) ، ويتحقق الموقف الذي نسمع عنه في قصة الرغبات الثلاث التي أجابها الساحرة للرجل وزوجه (أنظر ص ٥٦٨ ، في الهامش) . والرضا لتحقيق الرغبة المكبوتة قد يكون عظيماً حتى ليوازن المشاعر الاليمية المتصلة ببقايا النهار [ص ٤٦٨] ، وحينئذ يكون الحلم ذا نغمة انفعالية متساوية مع أنه يحقق رغبة من جهة وخوفاً من أخرى ، وقد يقع أن يشارك الأنا النائم بنصيب أعظم مقداراً في تكوين الحلم وأن يرد على إشباع الرغبة المكبوتة باستنكار عنيف وبنفسه يضع حداً للحلم بطلقة من الهيلة . وهكذا نرى في غير عناء أن الأحلام غير اللاذعة وأحلام الهيلة . هي أيضاً تحقيق رغبة بالمعنى الذي تذهب إليه نظريتنا ، لا تقل في ذلك عن أحلام الإشباع الصريحة .

ومن الجائز كذلك أن تكون الأحلام غير اللاذعة « أحلام عقاب » [أنظر ص ٤٧١] . ولا بد من أن نسلم بأننا حين نعرف بهذه الطبقة نضيف إلى نظرية الحلم شيئاً جديداً بمعنى ما . فالذي يتحقق في هذه الأحلام هو أيضاً رغبة لاشعورية ، هي الرغبة في أن يعاقب الحلم لاندفاع راغب مكبوت ممنوع ، وإلى هذا المدى تستقيم هذه الأحلام والشرط المنصوص عليه هنا ، وهو : أن تكون القوة الدافعة إلى تكوين الحلم مستمدة بالضرورة من رغبة منتمية إلى اللاشعور . غير أن التحليل السيكلوجي الأدق يظهرنا على اختلاف هذه الأحلام من سائر أحلام الرغبة . ففي المجموعة « ب » تنتمي الرغبة اللاشعورية المكونة

للحلم إلى ما هو مكبوت ، على حين أنها في أحلام العقاب يجب أن تمتد منتمية إلى الأنا وليس إلى المكبوت - وإن تكن لاشعورية كذلك . وأحلام العقاب تشير إذن إلى إمكانية مشاركة الأنا في تكوين الحلم بنصيب أعظم مما قدر حتى الآن . وإن ميكانيكية الحلم بوجه عام لتزيد وضوحاً أكبر الزيادة ، لو أننا بدل التضاد بين " الشعور " و " اللاشعور " تحدثنا عن التضاد بين " الأنا " و " المكبوت " . غير أننا لا نستطيع أن نفعل ذلك دون الثفات إلى العمليات التي تحدث في الأعصاب النفسية ، ولهذا السبب لم تقم به في هذا الكتاب ، وإنما أضيف أن أحلام العقاب لا يشترط فيها دائماً أن تكون بقايا النهار من النوع الألم ، بل وقوعها على العكس أسهل ما يكون حين يكون الضد هو الحال ، أى حين تكون البقايا النهارية أفكاراً من نوع مرض ولكنها تعرب عن رضا ممنوع ، وعندئذ لا ينفذ إلى الحلم من هذه الأفكار سوى ضدها المباين لها كل المباشرة - كما كان الشأن في أحلام المجموعة «أ» . وهكذا يبقى أن الخاصة الجوهرية لأحلام العقاب هي كون الرغبة المكونة للحلم فيها ليست تلك الرغبة اللاشعورية المستمدة من المكبوت (أى من النظام لاشعوري) بل رغبة العقاب المحيية ضدها ، المنتسبة إلى الأنا - وإن تكن أيضاً لاشعورية (أى قبل شعورية)^(١) .

وهنا أذكر حلماً من أحلامي^(٢) ، لكى أصور به ما قلت ولأصور به على الأخص كيف يعالج عمل الحلم بقية نهارية من توقعات أليمة :

"بداية غير متميزة : أقول لزوجتي : إن عندي خبراً يسرها ، شيئاً خاصاً جداً . تجزع وترفض الاستماع إلى . أؤكد لها أنه على العكس شيء يسرها سماعه وأبدأ أروي لها أن كتيبة الضباط التي ينتسب إليها ولدنا قد أرسلت إلينا مبلغاً من المال (٥٠٠٠ كرون ؟) . . . شيء عن وسام تقدير . . . توزيع . . . أراي في هذه الأثناء قد ذهبت معها إلى حجرة صغيرة ، أشبه بالكرار ، بحثاً عن شيء ما . أشهد ابني يظهر فجأة ، إنه لا يرتدى ملابس العسكرية بل ملابس رياضية أحكت عليه (كسبح البحر ؟) مع قلنسوة صغيرة . إنه يتساق صندوقاً

(١) [هامش أضيف عام ١٩٣٠ :] وهذا هو الموضع المناسب للحديث عن أحد المكتشفات اللاحقة للتحليل النفسي : الأنا الأعلى .

(٢) [هذه الفقرة والفقرتان التاليتان لها قد أضيفت عام ١٩١٩ في صورة هامش ثم أدرجت في النص عام ١٩٣٠ .]

وضع بجانب الصوان كأنه يريد أن يضع شيئاً عليه . أناديه ، لا جواب . يبدو لي أن وجهه معصوب ، أو جبهته . إنه يوجه شيئاً إلى فـه ، يدس شيئاً في فـه . لقد ضربت في شعره خيوط رمادية . أحدث نفسي : أمن الممكن أن يكون مجهداً إلى هذا الحد ؟ هل صارت له أسنان صناعية ؟ وقبل أن أستطيع مناداته مرة ثانية استيقظت وأنا لا أستشر شيئاً من الهيلة ، ولكن قلبي كان يخفق خفقاً سريعاً . يريني المنبه أن الساعة الثانية ونصف الساعة .

محال على مرة أخرى أن أسوق تحليلاً كاملاً . وأقتصر على إبراز بعض النقاط الظاهرة . لقد كان الباعث على الحلم توقعات أليمة من اليوم السابق . فقد انقطعت عنا مرة أخرى منذ ما يزيد على الأسبوع أخبار ولدنا الذي كان في جبهة القتال . ومن السهل أن نرى أن محتوى الحلم كان يعرب عن اعتقاد فحواه أنه قد أصيب أو سقط سريعاً . ومن الواضح أن جهوداً قوية قد بذلت في بداية الحلم لكي تستبدل بهذه الأفكار الموحجة أفكار أخرى تخالفها . فعندى أفكار سارة جداً أروها : شيء عن نقود أرسلت ، وسام تقدير ، توزيع . (وأما مبلغ المال فصدره حادثة لطيفة وقعت أثناء عملى الطبي ، وأريد به إلى التنويه عن الموضوع توبيهاً تاماً .) ولكن هذه الجهود قد أخفقت . فالألم تحذر شيئاً مروعاً وترفض الإصغاء إلى . لقد كانت الأقنعة رقيقة جداً حتى نفذت في كل مكان منها إشارات إلى ما كان يراد بها إخفاؤه . فلو أن ولدى مات لأرسل رفاقه الضباط متاعه ولاضطرت إلى توزيعه بين إخوته وأخواته وغيرهم من الناس . وأما وسام التقدير فيمنحه الضابط عادة على " استشهاد " . وهكذا شرع الحلم يعرب إعراباً صريحاً عما كان يلتمس أول الأمر إنكاره — وإن بقى التزوع إلى تحقيق الرغبة ملحوظاً في التشويهاً . (وأما تغيير المحل في الحلم فأكبر الظن أنه ينبغى فهمه في ضوء ما سماه سيلبير " رمزية العتية " [أنظر ص ٥٠٠] .) غير أننا لا نهزى — والحق يقال — ما الذى زود الحلم بالقوة الدافعة إلى الإعراب من أفكارى الأليمة على هذا النحو . إن ابني لا يظهر في الحلم في صورة شخص " يسقط " بل في صورة من " يتسلق " . والحق أنه كان من متسلقي الجبال الأجرياء . وهو لا يرتدى ملابس عسكرية بل رياضية ، وهذا يعنى أن مكان الحادثة التى أخشى اليوم وقوعها قد استبدل به مكان آخر ، أقدم عهداً ، متخذ من مجال الرياضة ؛ فقد سقط ابني مرة في أثناء رحلة للترحلق على الثلج وكسرت ساقه . والطريقة التى ارتدى بها ملابسه والتى جعلته أشبه بسبع البحر تذكرنى ، من جهة أخرى ، بشخص آخر

أحدث سناً ، بحفيدنا الصغير الممتع ، هذا بينما تذكرنى خيوط الشعر الرمادية بوالد هذا الأخير ، بصهرنا الذى أصيب فى الحرب إصاباً بالغة . فماذا نفهم من هذا كله ؟ ... ولكننى قلت فى ذلك الكفاية . — إن الكرار والصوان الذى أراد ابنى أن يأخذ من فوقه شيئاً (والحلم يقول : يضع عليه) إشارتان تذكرانى من غير ما خطأ بحادثة جلبتها على نفسى حين كنت بين الثانية والثالثة من العمر . فقد تسلفت مقعداً فى الكرار لأتناول شيئاً حسناً وضع على صوان أو مائدة ، فانقلب المقعد وأصابتنى زاويته خلف فكى الأيسر ، وكان من الممكن أن تهشم أسنانى كلها . وبهذه الذكرى تمتزج فكرة معنفة ، هى : هذا هو جزائك الحق — كأنما كان ثمت اندفاع عدائى متجه إلى المحارب الشهم . ويمكننى التعمق فى التحليل بعد ذلك من أن أعرف ما هو هذا الاندفاع المستتر الذى كان مستطيعاً أن يجد إشباعه فى الحادثة المخوف وقوعها لولدى : إنه حسد الذين تقدم بهم العمر نحو من هم فى مطلقه ، ولكن يظنون أنهم قضوا عليه قضاء مبرماً . ولا جدال فى أن شدة العاطفة الأليمة التى كانت تنجم لو أن مثل هذا المصاب قد وقع حقيقة هى التى دفعت — طلباً للتخفيف — إلى التماس رغبة مكبوتة من هذا القبيل .

والآن أستطيع أن أبين ما هو نصيب الرغبة اللاشعورية من تكوين الحلم تبيناً محدداً دقيقاً : إنى أسلم طوعية بأن هناك طائفة كاملة من الأحلام ينشأ فيها الحافز إلى الحلم بصفة غالبية إن لم تكن مانعة من البقايا المتخلفة من حياة النهار ، وأعتقد أنه حتى رغبى فى أن أصير فى النهاية أستاذاً كان يمكن أن تتركبى أنام نوماً هادئاً لو لم يكن قلبنى على صحة صديقى قد بقى مستمراً بعد أن انقضى النهار . ولكن القلق وحده ما كان يستطيع أن يصنع حلماً ، بل كان من اللازم أن تقوم رغبة بتوفير القوة الدافعة التى يقتضيها الحلم ، كما كان على القلق أن يتصيد رغبة لتكون منها هذه القوة الدافعة . ولكى نوضح الموقف بتشبيه نقول : إن الفكرة النهارية تقوم بعمل صاحب المشروع بالنسبة إلى الحلم ، ولكن صاحب المشروع — وهو الذى ، كما نقول ، يملك الفكرة ويملك الحافز إلى تنفيذها — لا يستطيع شيئاً بغير رأس المال ؛ فهو محتاج إلى ممول قادر على أن يزوده بالخرج ، والممول الذى يوفر المخرج النفسى بالنسبة إلى الحلم هو — من غير استثناء ولا جدل وأياً كانت أفكار اليوم السابق — رغبة من اللاشعور .

ويحدث أحياناً أن يكون الممول أيضاً هو صاحب المشروع ، وتلك يقيناً هى الحالة

الأكثر شيوعاً فيما يتعلق بالحلم ، حيث نرى رغبة لاشعورية وقد استثارها نشاط نهاري فأخذت تنشئ الحلم . وكذلك سائر الاحتمالات الممكنة في الموقف الاقتصادي الذي ضربته مثالا ، فلكل منها نظيره بين عمليات الحلم : قد يشارك صاحب المشروع أيضاً بقسط ضئيل من رأس المال ، أو قد تتجه عدة من أصحاب المشاريع إلى تمويل بعينه ، أو يشترك ممولون متعددون في توفير ما يلزم صاحب المشروع . وعلى هذا الغرار تظهر أحلام يعين عليها أكثر من رغبة من رغبات الحلم ، وكذا في سائر الاحتمالات المتغيرة التي يسهل إحصاؤها دون أن يعود ذلك علينا بنفع جديد . ولن نستطيع إلا فيما بعد تكملة هذه المناقشة التي لم تزل ناقصة في صدد رغبة الحلم .

وأما الحد الثالث للمقارنة ^(١) في المماثلة التي لجأت إليها - الكم الذي يجب أن يوضع في متناول صاحب المشروع بمقدار مناسب ^(٢) - فمن الممكن تطبيقه في توضيح تركيب الحلم تطبيقاً أكثر بعد تفصيلاً . فنحن نلاحظ في معظم الأحلام - كما بينته في ص ٣١٧ [و ٣٣٨] - نقطة رئيسة تمتاز عن غيرها بشدة حسية خاصة . هذه النقطة هي في العادة تلك التي تصور تحقيق الرغبة تحقيقاً مباشراً ؛ لأننا إذا أزلنا النقلات التي أجراها عمل الحلم وأعدنا الوضع إلى نصابه ، رأينا أن الشدة النفسية للعناصر المتضمنة في أفكار الحلم قد حلت محلها شدة العناصر الحسية . وأما العناصر التي تقع على مقربة من تحقيق الرغبة فلا يكون لها في كثير من الأحيان شأن بمعناه ، بل يتبين أنها مشتقات تفرعت عن أفكار أئمة تجرى بعكس تحقيق الرغبة . بيد أنها وقد وقعت في منطقة الصلة - المتكلفة في الكثير من الأحيان - بالعنصر الرئيس ، قد اكتسبت شدة كافية لكي تصير قادرة على بلوغ التصوير . وهكذا تنتشر قدرة تحقيق الرغبة على جلب التصوير في منطقة محيطتها ، يصير كل ما في داخلها من العناصر - ومن بينها تلك المجردة من كل قوة في ذاتها - حاصلاً على قوة الظفر بالتصوير . ومن السهل في حالة الأحلام المدفوعة بعدة من الرغبات أن نحدد مناطق تحقق الرغبات المختلفة ، كما يجوز في كثير من الأحيان أن نفهم الفجوات التي تعرض في الحلم باعتبارها حدوداً فواصل بين هذه المناطق . إن الاعتبار السابقة وإن تكن خفضت أهمية النصيب الذي يرجع إلى البقايا

[Tertium comparationis] (١)

(٢) [وهو الطاقة النفسية في حالة الحلم .]

النهارية في تكوين الحلم — إلا أنه لا يزال أمراً خليقاً بالعناء أن نوجه إلى هذه البقايا القليل من اهتمامنا . فهي لا محالة مقومات ضرورية لتكوين الحلم ، ما دامت التجربة ترينا تلك الحقيقة المدهشة ، وأعني بها أنه ما من حلم إلا تبينا في محتواه صلة تصله بانطباع نهاري حديث — من أتفه نوع في الكثير من الأحيان . ولقد ظللنا حتى الساعة دون أن نستطيع تعليل وجه الضرورة في هذه الزائدة المضافة إلى الخليط الذي يتكون منه الحلم ، (أنظر ص ٢٠٢) . ولا نحن نستطيع هذا التعليل إلا إذا تذكرنا دائماً نصيب الرغبة اللاشعورية ثم بحثنا بعد ذلك عما نستطيع أن نعلمه من سيكولوجية الأعصاب . والذي نعلمه من هذه هو أن الفكرة اللاشعورية عاجزة كل العجز من حيث هي كذلك عن أن تلج ما قبل الشعور ، وأنها لا تستطيع أن تؤثر فيه أى تأثير إلا من حيث تنشئ نفسها صلة بفكرة منتمية من قبل إلى ما قبل الشعور ، فتحول إليها شدتها وتتخذ منها ستاراً . وتلك هي ظاهرة التحويل — وهي الظاهرة التي توضح لنا كل هذا العدد الكبير من الظواهر العجيبة في الحياة النفسية للعصابيين . والفكرة قبل الشعور التي تكتسب من هذا الطريق شدة غير مستحقة قد تظل كما هي دون أن يحرف منها التحويل ، وقد يفرض عليها تغيير آت من الفكرة التي تجري التحويل . وإني أرجو أن يغفر لي القارئ نزوعي إلى التشبيهات المستمدة من حياة كل يوم ، ولكني أرى ما يغرنى بالقول : إن موقف الفكرة المكبوتة يشبه موقف طبيب أسنان أمريكي في بلدنا هذا ؛ فهو لا يستطيع أن يزاول مهنته إلا إذا أمكنه أن يجد طبيباً مؤهلاً على حسب الأصول ، يتخذ منه درعاً وغطاء أمام القانون . وكما أن أكثر الأطباء نجاحاً في مهنتهم ليسوا هم على التحديد بأولئك الذين يقبلون مثل هذه الأحلاف مع طبيب الأسنان ، كذلك الأفكار قبل الشعور التي تكون قد اجتذبت بالفعل قدرأ كافياً من الانتباه العامل في الإرادة قبل الشعور ، فهذه ليست هي التي تختار ستائر للفكرة المكبوتة . فاللاشعور يؤثر أن ينسج روابطه حول انطباعات وأفكار قبل شعورية إما أن تكون خالية من الشأن في ذاتها فلم تجتذب إليها انتبهاً ، أو نحيت فأنحسر عنها الانتباه سريعاً . ثم إن من القضايا المعروفة في نظرية التداعي — وهي بعد قضية أيديتها التجريبية تأييداً تاماً — أن الفكرة التي يحكم رباطها إحكاماً وثيقاً في اتجاه ما تترع إلى صد جماعات بأكملها من الروابط الجديدة . ولقد حاولت مرة أن أقيم نظرية في الشلل المسترى على هذه القضية [فرويد ، ١٨٩٣ ج] .

فإذا افترضنا أن هذه الحاجة التي كشفنا عنها في تحليل الأعصاب ، حاجة الأفكار المكبوتة إلى التحويل تعمل هي هي في الأحلام كذلك ، حل دفعة واحدة لغزان من ألغاز الحلم ، وأعني بهما : أنه ما من حلم يحلل إلا أطلعنا تحليله على انطباع حديث مسرود في نسيجه ، وأن هذا العنصر الحديث يكون في العادة من نوع تافه غاية التفاهة . وأستطيع أن أضيف — كما سبق أن رأينا في موضع آخر [ص ١٩٩] — أن السبب الذي يجعل هذه العناصر الحديثة المجردة من الشأن تشق طريقها إلى الحلم على هذا النحو الشائع هو أن هذه العناصر لاتملك إلا أقل الأسباب الداعية إلى خشية الرقابة التي تفرضها المقاومة . ولكن بينما يعلل هذا التحرر من الرقابة إثثار العناصر التافهة وحسب ، فإن ورود العناصر الحديثة على هذا النحو المطرد يبرز للعيان وجود الحاجة إلى التحويل . وكلا النوعين من الانطباعات يجيب، حاجة المكبوت إلى مادة لا تزال حرة من المستدعيات : التافهة لأنهم لم تعمل ما يدعوا إلى تكوين روابط متعددة ، والحديثة لأنها لما تستغرق من الوقت ما يسمح بتكوين هذه الروابط .

وهكذا نرى أن البقايا النهارية التي يسعنا الآن أن ندرج بينها الانطباعات التافهة لا تقرض وحسب شيئاً من اللاشعور حين تنجح في المشاركة في تكوين الحلم — وأعني بهذا الشيء القوة الغريزية المتاحة للرجبة المكبوتة — بل هي أيضاً تقرضه ، وتقرضه شيئاً لا يستغنى عنه : وأعني به نقطة العقد اللازمة من أجل التحويل . ولو قد أردنا في هذا الموضع أن نزيد تعمقاً في عمليات النفس ، لما كان لنا مفر من أن نلقى المزيد من الضوء على لعب التهيجات بين ما قبل الشعور والشعور — وهو ما تدفعنا إليه دراسة الأعصاب النفسية دفعاً ولكن يتفق أن الأحلام بالذات لا تعيننا فيه أى عون .

وملاحظة أخيرة عن بقايا النهار : إنه لا مجال للشك في أن هذه البقايا هي مزعجات النوم الحقيقية وليست الأحلام ؛ فهذه تشغل على العكس بحراسته . وستكون لنا عودة إلى هذه المسألة [ص ٥٦٥] .

ولقد كنا حتى الساعة ندرس رغبة الحلم ، ففرعناها من منطقة اللاشعور وحللنا علاقاتها ببقايا النهار التي قد تكون بدورها رغبات أو اندفاعات نفسية من نوع آخر أو انطباعات حديثة ليس غير . وبهذا تركنا مجالاً لكل حق قد ندعيه لنشاط الفكر المستيقظ بمختلف أشكاله من حيث أهميته في تكوين الحلم . لا ، بل إن شرحنا ربما كان يمكننا من أن

نجد تعليلاً حتى لهذه الحالات المتطرفة التي يتوصل فيها الحلم وهو يتابع عمل النهار إلى حل موفق لمشكلة من مشكلات اليقظة بقيت من غير حل ، وليس يعوزنا إلا مثال من هذا القبيل لكي نكشف بتحليله عن مصدر الرغبات الطفلية أو المكبوتة التي استطاعت بمددها أن تعزز مجهود النشاط قبل الشعورى بمثل هذا التوفيق . ولكن هذا كله لا يقربنا خطوة من حل ذلك اللغز : لم كان اللاشعور لا يستطيع في أثناء النوم أن يقدم شيئاً آخر سوى القوة الدافعة إلى تحقيق رغبة من الرغبات ؟ إن الإجابة عن هذا السؤال لا بد ملقية بعض الضوء على الطبيعة النفسية لحالة الرغبة ، وأرى أن تكون هذه الإجابة بالإشارة إلى صورتنا التخطيطية للجهاز النفسى .

إننا لا نشك في أن هذا الجهاز إنما بلغ كماله الحاضر بعد فترة طويلة من النمو ، فدعنا نحاول الرجوع به إلى مرحلة سابقة من مراحل تطور قدرته الوظيفية . ههنا تحدثنا فروض ينبغي التماس مبرراتها من جهات أخرى بأن جهود هذا الجهاز كانت تتجه في أول أمره إلى حفظه نفسه حراً من المنهات بقدر الإمكان ، ومن ثم اتخذ تركيبه الأول تصميم الجهاز الانعكاسى ، بحيث يفرغ من طريق حركى أى تهيج حسى قد يصل إليه من الخارج . ولكن مطالب الحياة لا تلبث أن تتدخل في هذه الوظيفة البسيطة ، وإلى هذه المطالب أيضاً يدين الجهاز بالخافز إلى مستأنف نموه . إنها تعترضه أولاً في صورة الحاجات الجسمية الكبرى . وعن هذه الحاجات تنجم تهيجات تسعى إلى التفرغ في حركه يمكننا وصفها بأن نقول : إنها « تغيير باطنى » أو « تعبير عن انفعال » . فالرضيع الجائع يصرخ أو يرفس من غير حول . ولكن الموقف لا يتغير ؛ لأن التهيج الصادر عن حاجة باطنة ليس راجعاً إلى قوة عائق موقوت بل إلى قوة متصلة الفعل . وإنما يحدث تغيير إذا أمكن بطريقة من الطرق (بالعون الخارجى في حالة الطفل) أن تتحقق خبرة إشباع تضع حداً للمنبه الباطنى . ومن المقومات الجوهرية في خبرة الإشباع هذه إدراك حسى معين (إدراك الغذاء مثلاً) تظل صورته الذكروية من الآن فصاعداً مرتبطة بالأثر الذكروى المتخلف عن التهيج الذى أحدثته الحاجة . ويكون من نتيجة الارتباط الذى ينشأ على هذا النحو أنه كلما ثارت بعد ذلك تلك الحاجة يظهر على الفور اندفاع نفسى بغيته أن يعيد استثمار الصورة الذكروية للإدراك وأن يعيد بعث الإدراك عينه ، أى أن يسترجع موقف الإشباع الأول . ومثل هذا الاندفاع هو ما نسميه رغبة ، وأما

عودة الإدراك إلى الظهور فتحقيق رغبة ، وأقصر الطرق إلى تحقيق الرغبة طريق يذهب قدماً من التهييج الناجم عن الحاجة إلى الاستثمار الكامل للإدراك . ولا شيء يمنعنا من أن نفترض حالة بدائية للجهاز النفسى كان هذا الطريق يحتاز فيها فعلاً ، أى كانت الرغبة تنتهى فيها إلى الهلوسة . وهكذا كان هذا النشاط النفسى الأول يهدف إلى إحداث « عينية إدراكية » أى إلى تكرار عين الإدراك الذى ارتبط بإشباع الحاجة .

غير أن خبرة الحياة المرة لا بد قد غيرت هذا النشاط الفكرى البدائى إلى آخر ثانوى أوسع حيلة . فإنشاء عينية إدراكية من الطريق القصير ، طريق النكوص فى داخل الجهاز ، لا يحدث فى موضع آخر منه ذات النتيجة التى يحدثها استثمار هذا الإدراك عينه من الخارج ، فالإشباع لا يعقب والحاجة تستمر . ولكى يكون للاستثمار الداخلى من قيمة الإشباع مثل ما للخارجى ، فلا بد من المداومة عليه من غير انقطاع كما يحدث بالفعل فى حالات الجنون الهلوسى وفى تخيلات الجوع التى تستنفد كل قواها فى التشبث بموضوع رغبته . ولكى يتسنى الوصول إلى إنفاق للقوة النفسية يكون أفعال أثراً ، فمن الضرورى أن يوقف نكوصها عند حد قبل أن يصبح كاملاً ، بحيث لا تتعدى الصورة الذكروية وبحيث يصبح فى مستطاعها - ابتداء من هذه - التماس طرقات أخرى تؤدى فى نهاية الأمر إلى إقامة العينية الإدراكية المرغوب فيها من ناحية العالم الخارجى ^(١) . ويوكل هذا الكف للنكوص ، مع ما يعقبه من التعرّيج بالتهييج ، إلى نظام ثان تصبح له السيطرة على الحركة ، أى يستخدم الحركة - للمرة الأولى - فى أغراض متذكّرة من قبل . ولكن كل هذا النشاط الفكرى المعقد الذى ينتسج ابتداء من الصورة الذكروية إلى أن تتحقق العينية الإدراكية آتية من العالم الخارجى - لا يخرج عن أن يكون طريقاً دائرياً إلى تحقيق الرغبة أبحاث إليه التجربة ^(٢) . فما الفكر - بعد أن يحسب لكل شيء

حسابه - إلا بديل رغبة هلوسية . فإن قيل : إن الحلم تحقيق رغبة ، لم يكن ذلك على التأكيد إلا أمراً واضحاً بذاته ؛ فلا شيء سوى الرغبة يستطيع أن يحرك جهازنا النفسى

(١) أو بعبارة أخرى : إن ضرورة « امتحان الواقع » [أى امتحان الأشياء لكى يتبين أمى واقع أم لا] تنتهى بأن نفرض نفسها .

(٢) لقد أشاد لولوران مصيباً بقدرة الأحلام على تحقيق الرغبة ، فهى « لا تعرف التعب الجدى ولا شيء يحملها على الالتجاء إلى هذا الكفاح العنيد الطويل الذى يسّلك ما نسعى إليه من المتع ويفسده . »

["Sans fatigue serieuse, sans être obligé de recourir à cette lutte opiniâtre et longue qui use et corrode les jouissances poursuivies."]

إلى العمل . وما جاوز الحلم الذى يحقق رغباته من الطريق القصير - طريق النكوص - أن يستبقى ههنا أثراً من منهج العمل الأولى للجهاز النفسى - وهو منهج هجر لقلة فاعليته . فما كان يسيطر يوماً على الحياة المستيقظة حين كانت النفس لا تزال غضة غير كفوءة ، يبدو اليوم أنه قد طرد فلم يعد له غير الليل - مثلما تعاود الظهور فى غرف الأطفال تلك الأسلحة البدائية التى تركها الراشدون من أقواس وسهام : إن الحلم أثر من الحياة

النفسية الطفلية المتلاشية . كما أن هذه المناهج فى العمل من جانب الجهاز النفسى - وهى المناهج التى تكبت عادة فى ساعات اليقظة - تحضر وتنشط من جديد فى حالات الذهان ، وعندئذ يتكشف عجزها عن إشباع حاجتنا بالنسبة إلى العالم الخارجى ^(١) .

ومن الواضح أن الاندفاعات الراغبة اللاشعورية تسعى إلى النشاط فى أثناء النهار كذلك ، وإن ظاهرة التحويل - شأنها شأن حالات الذهان - لثرينا أن هذه الاندفاعات تبذل جهدها ما استطاعت من أجل النفاذ إلى الشعور مرة بالنظام قبل الشعورى ومن أجل الظفر بالسيطرة على القدرة الحركية . وهكذا تستحق الرقابة القائمة بين اللاشعور والشعور والتى لا تجعل لنا الأحلام مفراً من القول بوجودها ، هكذا تستحق الاعتراف بها واحترامها من حيث هى حارس صحتنا العقلية . فإذا كان هذا الحارس يرخى نشاطه أثناء الليل ويسمح للاندفاعات المكبوتة فى اللاشعور بالإفصاح عن نفسها ويسر للنكوص الهلوسى سبيل الوقوع مرة أخرى ، أفلا يجب أن نعد ذلك إهملاً من جانبنا ؟ لست أرى ذلك . لأن هذا الحارس النقاد وإن هدأ أحياناً - ولدينا من الدلائل ما يدل على أن غفواته ليست بالعميقة - فإنه لا ينسى كذلك أن يغلق الباب فى وجه القدرة على الحركة . فهما كانت الاندفاعات التى تصخب على المسرح آتية من اللاشعور المكبوت عادة ، فما نحن بحاجة إلى أن نشغل أنفسنا بها ؛ فهى تظل بغير قدرة على الضرر لعجزها عن أن تحرك الجهاز الحركى الذى لا تستطيع إلا به وحده أن تعدل من العالم الخارجى . ولكن الموقف يزيد خطورة إذا كانت النقلة فى القوى لا تجئ نتيجة لارتخاء ليل يصيب القوة التى يبذلها الحارس النقدى بل لنقص مرضى يصيب هذه القوة أو لزيادة مرضية فى شدة التهييجات اللاشعورية بينما يكون استثمار ما قبل الشعور لا يزال مستمراً وتكون الطريق فى

(١) [هامش أضيف سنة ١٩١٤ :] لقد أنميت هذه الفكرة فى موضع آخر ، فى مقال عن المبدئين اللذين يحكمان مسلك الوظائف النفسية واللذين اقترحت تسميتها مبدأ اللذة ومبدأ الواقع (فرويد ١٩١١ ب) .

وجه القدرة على الحركة لا تزال مفتوحة . حينئذ يغلب الحارس على أمره وتغزو التهييجات اللاشعورية ما قبل الشعور وتهيمن على كلامنا وأفعالنا ، أو تفرض النكوص الماوسى فرضاً وتعكس سير الجهاز (وهو الذى لم يجعل من أجلها) بفضل الجذب الذى تمارسه الإدراكات على توزيع طاقتنا النفسية . وهذا الوضع نسميه ذهانا .

وإننا نرانا الآن على أحسن طريق نستأنف منه بناء هيكلنا السيكلوجى الذى وقفنا به عند إدخال نظامى اللاشعور وما قبل الشعور . ولكن هناك أسباباً تدعونا إلى متابعة النظر فى الرغبات من حيث هى القوة الوحيدة الدافعة إلى تكوين الحلم . فلقد أخذنا بالتعليل القائل : إن الحلم فى جميع الحالات تحقيق رغبة ؛ لأنه ناتج عن النظام لاش. الذى لا يعرف نشاطه هدفاً آخر غير تحقيق الرغبة والذى لا يملك قوى أخرى سوى الاندفاعات الراجعة . فإذا أردنا بعد ذلك أن نتمسك - ولو لحظة - بمقنا فى أن نقيم أمثال هذه التعاليم السيكلوجية البعيدة على تفسير الأحلام ، كان لزاماً علينا أن نبرهن على أن هذه التعاليم قد مكنتنا من أن نجد للحلم محلاً فى سياق يشمل غيره من التراكيب النفسية . فإنه لو كان ثمت وجود لشيء مثل النظام لاش. (أو لشيء آخر يماثله بالنسبة إلى مقاصدنا فى هذه المناقشة) لاستحال أن يكون الحلم مظهره الأوحد . نعم ، إن كل حلم قد يكون تحقيق رغبة ، ولكن لا بد عندئذ من أن تكون هناك - بالإضافة إلى الحلم - صور أخرى من صور التحقيقات غير السوية للرغبات . والواقع أن النظرية التى تحكم جميع أعراض الأعصاب النفسية تبلغ ذروتها فى تلك القضية الواحدة ، وهى : أن هذه الأعراض كذلك يجب أن تعد تحقيقات لرغبات لاشعورية^(١) . وإنما يغدو الحلم بتعليلنا أول عضو فى طبقة لها أهميتها القصوى عند أطباء النفس ، يتضمن فهمها حل الجانب السيكلوجى المحض من مشكلة الطب النفسى^(٢) . غير أن سائر أعضاء طبقة تحقيق الرغبة هذه - كالأعراض المستيرية مثلاً - تملك خاصية جوهرية لا أزال أفتقدها فى الحلم . فقد علمت من الأبحاث التى أكثرت من الإشارة إليها فى خلال هذا المجلد أيما إكثار أن تكوين

(١) [هامش أضيف عام ١٩١٤ :] أو بعبارة أخرى : يرجع جزء من العرض إلى التحقيق اللاشعورى للرغبة ويرجع جزء آخر إلى البناء النفسى المستجاب به ضدها .

(٢) [هامش أضيف عام ١٩١٤ :] كما يقول هـ . جاكسون : اكتشف كل شيء عن الحلم تكتشف كل شيء عن الجنون . [Find all about dreams and you will have found all about insanity.]

العرض الهستري يستوجب التقاء كلا تيارى حياتنا النفسية . فالعرض ليس إعراباً عن رغبة محققة وحسب ، بل يجب أن تحضر كذلك رغبة آتية مما قبل الشعور تتحقق بوساطة هذا العرض عينه ، بحيث يكون للعرض شرطان يحتمانه على الأقل ، ينشأ كل منهما من أحد النظامين المشتبكين في النزاع - دون أن يكون هناك حد لتضاعف الحتم بعد ذلك ، كما هو الحال في الأحلام . والشرط الحتم الذى لا ينبعث من اللاشعور هو في كل حالة - بقدر ما أعلم - خيط فكري يستجاب به في وجه الرغبة اللاشعورية ، عقاب للذات مثلاً . وهكذا أستطيع أن أقول معممًا القول تعميماً كاملاً : لا ينشأ عرض هستري إلا حيث يتمكن من الالتقاء في تعبير واحد تحقيقاً لرغبتين متقابلتين صدرت كل منهما عن نظام نفسى مختلف . (قارن ذلك بآخر ما أدليت به في مقالى عن التخيلات الهسترية وعلاقتها بالثنائية الجنسية ، فرويد ١٩٠٨ أ^(١)) . ولا تثمر الأمثلة في هذا الصدد إلا قليلاً ، بل الإيضاح المفصل لما تتضمنه هذه الأمراض من التعقيدات هو وحده الذى يحمل الإقناع . ولهذا أترك قضيتى ولا سند لها غير ذاتها ولا أستشهد بمثال إلا لأجلو الأمر وليس طلباً للإقناع : كانت إحدى مريضاتى تعاني قيناً هسترياً تبين أنه يحقق من جهة تخيلاً لا شعورياً يرجع إلى عهد مراهقتها ، أى يحقق رغبة هى على التحديد الرغبة فى أن تكون حاملاً من غير انقطاع وفى أن يكون لها أطفال لا يعدون ، مع رغبة أخرى مضافة إلى هذه ، هى الرغبة فى أن تنجب هؤلاء الأطفال من رجال عديدين قدر الإمكان . ونهض اندفاع دفاعى قوى فى وجه هذه الرغبة التى لا يكبحها كايح . وإذا كان من شأن القيني أن يجعل المريضة تفقد قوامها وجمالها فلا تجذب إليها بعد ذلك رجالاً ، فقد حاز العرض كذلك قبول الاتجاه الفكرى العقابى ، وإذا حاز قبول الجانبين جميعاً أصبح واقعاً . فذلك فى معالجة تحقيق الرغبة أسلوب لا يختلف من أسلوب ملكة البارثين^(٢) إزاء كراسوس^(٣) ؛ فقد ظنت أنه ما طلب القتال إلا طمعاً فى الذهب ، فأمرت بجثته أن تجرع فى الحلق ذهباً مذاباً ، ثم قالت : لك الآن ما أردت . ولكن كل

(١) [أضيفت الجملة الموضوعة بين قوسين عام ١٩٠٩ .]

(٢) [نسبة إلى بارثيا ، فى شمال فارس ، فيما عرف بعد ذلك بإسم خراسان .]

(٣) [هو - مع يوليوس قيصر وبومبى - أحد رجال حكومة الثلاثة فى روما . عرف عنه أنه كان قليل الهمّة كثير المطامع غسبياً .]

الذى نعلمه حتى الآن عن الأحلام هو أنها تعرب عن تحقيق رغبة من اللاشعور ، ويبدو النظام المسيطر ، أى ما قبل الشعور ، كأنه يقبل هذا الوضع بعد أن يفرض عدداً من التشويهاً . فلنسا نستطيع بوجه مطرد أن نجد خيطاً فكرياً يضاد الرغبة ويتحقق مثلها في الحلم من حيث هو مقابلها . بل كل الأمر أننا — ونحن نحلل الحلم — نعر هنا وهناك على تكاوين لها طابع الاستجابة المضادة — كما كان الشأن مثلاً في مشاعرى الودية نحو صديق ر. في حلم العم (ص ١٦٥) . غير أننا نستطيع أن نجد في جهة أخرى الجزء المفتقد ههنا من جانب ما قبل الشعور . فالحلم تصير له القدرة على الخروج برغبة إلى حيز التعبير بعد تشويهاً من كل صنف حين يكون النظام المسيطر قد تراجع إلى الرغبة في النوم ، محققاً هذه الرغبة بإدخال ما يستطيعه من تعديلات الاستثمار في داخل الجهاز النفسى ، مداوماً عليها طيلة مدة النوم^(١) .

هذه الرغبة الثانية في النوم من جانب ما قبل الشعور تحدث تأثيراً يسهل تكوين الأحلام بوجه عام . ولنذكر حلم الرجل الذى استدل من نفاذ بريق الضوء من الحجرة المجاورة على أن جثمان طفله ربما كان أخذ يحترق : لقد أجرى الأب هذا الاستدلال في الحلم بدل أن يترك البريق يوقظه ، وأوحينا أن إحدى القوى النفسية المؤدية إلى ذلك كانت رغبة أطالت عمر الطفل المصور في الحلم هذه اللحظة الواحدة . وأكبر الظن أن هناك رغبات أخرى منبعثة من المكبوت تخفى علينا ؛ فلنسا نملك تحليل هذا الحلم . ولكننا نستطيع أن نفترض أن قوة ثانية في تكوين هذا الحلم كانت حاجة الأب إلى النوم ؛ فنومه — كعمر ابنه — قد طال أيضاً لحظة ، كأنما هذا الدافع يقول : دع الحلم يأخذ مجراه وإلا اضطرت إلى الاستيقاظ . وفي كل حلم آخر — كما في هذا الحلم — تناصر الرغبة في النوم الرغبة اللاشعورية . ولقد رويت في ص ١٥١ أحلاماً ظهرت صراحة على أنها أحلام سهولة . ولكن الحقيقة أنه ما من حلم إلا استطاع أن يدعى لنفسه الحق في هذا الوصف . ويتجلى فعل رغبة المضى في النوم أسهل إنما يتجلى في أحلام ساعة الاستيقاظ التى تعدل المنبهات الحسية الخارجية التعديل الذى يجعلها لا تتعارض مع مواصلة النوم : لأنها تنسج من هذه المنبهات حلماً لكى تسلبها كل ما تدعيه من حقوق التذكير بالعالم

(١) لقد استعرت هذه الفكرة من نظرية النوم التى ذهب إليها ليبيو (١٨٨٩) — وهو الذى يرجع إليه الفضل في إحياء البحوث الحديثة في التنويم المغناطيسى .

الخارجي . ولا بد أن لهذه الرغبة ذاتها نصيباً مماثلاً في التمكين لجميع الأحلام الأخرى ، وإن كانت المنبهات لا تهدد بانتزاع الشخص من نومه إلا من الداخل . وما يتحدث به ما قبل الشعور إلى الشعور في كثير من الحالات حين يغلو الحلم في تحقيق مراميه : امض في نومك غير آبه فما هذا إلا حلم ، ذلك أيضاً وصف يصدق بوجه عام على موقف نشاطنا النفسي الغالب تجاه الحلم وإن لم يلق إعراباً صريحاً . وأنا إذن مساق إلى تلك النتيجة : إننا في خلال حالة النوم جميعها نعلم أننا نحلم بمثل اليقين الذي نعلم

به أننا نيام . ويجب ألا نعتد كثيراً بما قد يحتاج به من أن الشعور لا يحصل له أبداً العلم بالنوم ولا يحصل له العلم بكوننا نحلم إلا في أحوال خاصة ، حين تحس الرغبة كأنها أخذت على غرة [أنظر ص ٤٨٦] . فهناك على العكس ^(١) أناس يعلمون في الليل علماً واضحاً أنهم نيام يحلمون ، وهم بذلك يبدون حاصلين على ملكة توجيه حياتهم الحاملة توجيهاً شعورياً . فإن رأى حالم من هؤلاء — مثلاً — أن الحلم قد اتخذ وجهة لا يرضى عنها ، كان في مستطاعه أن يقطعه دون أن يستيقظ من نومه وأن يبدأه من جديد متخذاً وجهة أخرى مثلاً يصنع مؤلف شعبي ناجح حين يدبر عند الطلب نهاية سعيدة لمسرحيته . أو قد يستطيع مثل هذا الحالم في مرة أخرى — إذا قاده حلمه إلى موقف مثير جنسياً — قد يستطيع أن يحدث نفسه في نومه بتلك الفكرة : لن أساير هذا الحلم خطوة بعد ذلك مستنفداً جهدي بالإنزال ، بل أدخره لموقف حقيقي .

ولقد كان الماركسي درفاي ^(٢) (فاشيد ، ص ١٣٩) يؤكد أنه قد اكتسب القدرة على تعجيل مجرى أحلامه كيفما أراد وعلى توجيهها في أي وجهة يشاء . ويبدو أن الرغبة في النوم قد أفسحت عنده محلاً لرغبة قبل شعورية أخرى ، هي الرغبة في ملاحظة أحلامه والاستمتاع بها . ويستقيم النوم مع مثل هذه الرغبة مثلاً يستقيم مع نية النائم على الاستيقاظ إذا تحقق شرط معين (كما في نوم المرضع) . ثم إن من الحقائق المعلومة أن كل من يوجه اهتمامه إلى الأحلام يزداد عدد ما يتذكره منها بعد اليقظة زيادة عظيمة .

ويقول فرننسي ^(٣) [١٩١١] وهو يتحدث عن ملاحظات أخرى في صدد توجيه الأحلام : « إن الحلم يتناول الفكرة التي يتفق أنها تشغل حياتنا النفسية ويقلبها من جميع

(١) [أضيفت السطور التالية إلى آخر الفقرة سنة ١٩٠٩ .]

(٢) [أضيفت هذه الفقرة سنة ١٩١٤ .]

(٣) [أضيفت هذه الفقرة في صورة هامش سنة ١٩١٤ ثم أدرجت في النص سنة ١٩٣٠ .]

وجوها ، بترك صورة حلمية إذا كان فيها ما يهدد بإخفاق تحقيق الرغبة ويجرب حلا جديداً إلى أن يوفق في النهاية إلى تكوين تحقيق رغبة يرضى كلا جهتي الاختصاص في حياتنا النفسية ويوفق بينهما .

د

اليقظة بسبب الحلم - وظيفة الحلم - حلم الهيلة

أما وقد علمنا أن ما قبل الشعور يبقى طيلة الليل كله متركزاً في رغبة النوم ، ففي مقدورنا أن نتابع فهم عملية الحلم مرحلة أبعد . ولكن يجمل بنا أولاً أن نلخص عملنا حتى الآن : إن الموقف هو هذا : إما أن بقايا من اليوم السابق قد تخلفت عن نشاط الحياة المستيقظة ولم يمكن حسر كل استثمار للطاقة عنها ، أو أن نشاط الحياة المستيقظة قد أدى في خلال النهار إلى إثارة رغبة لاشعورية ، أو أن هذين الحدثين قد اتفق وقوعهما معاً (وسبق أن ناقشنا الاحتمالات المختلفة في هذا الصدد) . وتصل الرغبة اللاشعورية نفسها ببقايا النهار وتجرى تحويلاً إليها ، وقد يحدث ذلك في أثناء النهار وقد لا يحدث إلا بعد أن تستتب حالة النوم . وحينئذ تنبعث رغبة قد تم تحويلها إلى مادة جديدة ، أو تكتسب رغبة حديثة - وقد لاقت الكبت - حياة جديدة بتعزيزها من اللاشعور . وتسعى هذه الرغبة إلى أن تشق طريقها وفق الطريق السوى الذى تسلكه عملياتنا الفكرية إلى الشعور مرة من خلال ما قبل الشعور الذى تنتمى إليه هذه الرغبة انتهاء جزئياً . ولكنها تصطدم بالرقابة التى لا تزال قائمة والتى تعمل فيها الآن تأثيرها . وهتا تلبس الرغبة ثوب التشويه الذى تمهد له الطريق من قبل بتحويل الرغبة إلى مادة حديثة . وإلى هذا المدى تكون الرغبة فى طريقها إلى أن تصبح فكرة قهرية أو هجاساً أو شيئاً من هذا القبيل ، أى فكرة زاد التحويل شدتها وشوهت الرقابة تعبيرها . غير أن حالة النوم التى يوجد عليها ما قبل الشعور توقف تقدمها بعد ذلك - والراجع أن هذا النظام قد حمى نفسه من الغزو بخفض تهيجاته نفسه . وعلى ذلك تسلك عملية الحلم طريق النكوص المفتوح أمامها بفضل طبيعة النوم على التحديد ، وتسير فى هذا الطريق مقادة بالجذب الذى تمارسه (٣٦)

إزاءها مجموعات من الذكريات لا يوجد بعضها إلا في صورة استثمارات بصرية وحسب ، وليس كترجمات إلى لغة الأنظمة اللاحقة [أنظر ص ٥٣٧-٥٣٨] . وفي أثناء هذا الطريق تكتسب عملية الحلم صفة قابلية التصور (وأتحدث بد عن مسألة الضغط [أو التكثيف] فيما بعد [ص ٥٨٠]) . وبهذا تكون لك العملية قد أكملت الجزء الثاني من رحلتها المتعرجة . لقد كان الجزء الأول ذا اتجاه تقدمي يذهب من المشاهد والتخيلات اللاشعورية إلى ما قبل الشعور ، وأما الجزء الثاني فيعود من حافة الرقابة إلى الإدراكات . ولكن ألا وقد صارت عملية الحلم إلى محتوى إدراكي فإنها بهذا عينه تكون كأنما داورت العائق الذي يعترضها على يد الرقابة وحالة النوم في قبش . ، إنها تفلح في جذب الانتباه إليها وفي الظفر بملاحظة الشعور . ذلك أن الشعور الذي ننظر إليه باعتباره عضواً حسياً مخصصاً لإدراك الكيفيات النفسية قادر في حياة اللحظة على تلقي التهييجات من جهتين : أولاً ، من الحافة المحيطة بسطح الجهاز كله ، من النظام الإدراكي ، ثم - بالإضافة إلى ذلك - من تهيجات اللذة والألم التي تدل الدلائل على أنها تكاد تكون الكيف الوحيد الذي يصحب تنقلات الطاقة في داخل الجهاز . فجميع العمليات الأخرى التي تقع في الأنظمة ن. - بما فيها قبش. - مجردة من كل كيفية نفسية ، وبذلك لا تستطيع أن تكون موضوعات للشعور إلا من حيث تسلم لذة أو ألماً . ونحن بذلك مساقون إلى أن نستخلص أن هذه التفریغات من اللذة والألم تنظم سير العمليات الاستثمارية تنظيماً أوتوماتياً [أى بدون تدخل الشعور] . ولكن لكي يصبح الإتيان بأفعال أدق تركيباً شيئاً ممكناً ، فقد صار من الضروري فيما بعد أن يجعل سير الأفكار غير متوقف على انتقاء الألم أو وجوده . ولهذا الغرض احتاج النظام قبش. إلى أن تكون له كيفيات خاصة به تستطيع أن تجتذب انتباه الشعور ، ومن الراجح هنا أكبر الرجوح أنه قد وجدها بربط العمليات قبل الشعور بالنظام الذكروي للرموز اللغوية - وهو نظام لا يخلو من الكيف [أنظر ص ٥٩٩] . وبفضل كيفيات هذا النظام صار الشعور كذلك عضواً حسياً يُعلم به جزء من عملياتنا الفكرية بعد أن كان حتى الساعة عضواً حسياً تعلم به الإدراكات وحدها . وبذا يصبح عندنا الآن - إن جاز التعبير - سطحان حاسان ، يتجه أحدهما جهة الإدراك ويتجه الآخر جهة العمليات الفكرية قبل الشعور^(١) .

(١) [يستخدم فرويد كلمة الإدراك (Wahrnehmung وبالإنجليزية Perception) بمعنى انطباع

ويجب على أن أفترض أن حالة النوم تجعل السطح الحاس للـشعور المتجه نحو قبش. يقل كثيراً عن السطح المتجه نحو الأنظمة إذ. من حيث قابلية التهييج . ومن المستيقن أن إبطال الاهتمام بالعمليات الفكرية في أثناء الليل لا يخلو أيضاً من الغرض : فمن الواجب أن يقف كل فكر لأن ما قبل الشعور يطلب النوم . ولكن الحلم – وقد صار إدراكاً – لا يلبث حتى تصير له القدرة على تهييج الشعور بفضل ما اكتسبه الآن من الكيفيات . وهذا التهييج الحسى لا يلبث أن يحقق ما هو وظيفته الجوهرية ؛ فيحول جزءاً من الطاقة الاستثمارية المتوافرة في قبش. إلى انتباه متجه إلى علة التنبيه . وعلى ذلك يجب التسليم بأن لكل حلم تأثيراً موقظاً ، أى أنه يحرك جزءاً من الطاقة الاستثمارية المستكنة في قبش. إلى العمل . وعندئذ تحدث هذه القوة ذلك التأثير الذى وصفناه بأنه مراجعة ثانوية تستهدف جعل الحلم متسق الأجزاء معقولاً . وهذا يعنى أن الحلم يعامل عندئذ كما يعامل أى محتوى إدراكى آخر ، أنه يلاقى – بقدر ما تحتمله مادته – بما يلاقى به غيره من التوقعات الفكرية [ارجع إلى ص ٤٩٥] . وبقدر ما يكون لهذا الجزء الثالث من عملية الحلم أى اتجاه ، فهو اتجاه تقدمى .

ولكى نتجنب كل خطأ فى الفهم فقد تناسب المقام هنا كلمة عن الترتيب الزمنى لهذه العمليات الحلمية : لقد اقترح جوبلو فكرة جد جذابة ، أوحاها من غير شك لغز حلم مورى عن المقصلة [ص ٦٤] . فهو – أعنى جوبلو – يريد أن يثبت أن الحلم لا يشغل من الزمن إلا فترة الانتقال من النوم إلى اليقظة . فعملية الاستيقاظ تستغرق مقداراً من الزمن وفى هذا الزمن يقع الحلم ، ونتخيل نحن أن الصورة الأخيرة للحلم كانت قوية حتى إنها أيقظتنا بينما الحقيقة أن هذه القوة لم تكن لها إلا لأننا كنا فى هاته اللحظة على وشك الاستيقاظ : «الحلم يقظة تبدأ» (١) .

ولقد سبق أن بين دوجا كيف يضطر جوبلو إلى أن يغض النظر عن الكثير من الحقائق قبل أن يستطيع إطلاق رأيه هذا على عمومه . فهناك أحلام

حافة الجهاز المستقبلية (فى مقابل المصدرة أو الحركية) بصورة بصرية أو سمعية ، إلى آخر الكيفيات المختلفة . وهذه الصورة (أو المحتوى الإدراكى) قد تكون ذات حقيقة موضوعية وقد تكون هلوسية وحسب – كما هو الشأن فى الأحلام . وهذا «الإدراك» يستتبع إدراكاً ثانياً (يسميه فرويد أحياناً) *Auffassung* وبالإنجليزية *apprehension*) بمعنى انجذاب الانتباه إلى المحتوى الإدراكى وحصول العلم به . وذلك هو الشعور ، أو الشعور هو عضو هذا الإدراك الثانى – على ما جاء فى هذه الفقرة (وانظر أيضاً ص ٥٩٧) . [

لا يستيقظ المرء منها : مثال ذلك بعض الأحلام التي يحلم فيها المرء أنه يحلم . وما كنا نحن - بعد الذى علمناه عن عمل الحلم - لنستطيع الموافقة على أن الحلم لا يشغل إلا فترة الاستيقاظ . بل الراجح عندنا - على العكس - هو أن الجزء الأول من عمل الحلم قد بدأ أثناء النهار نفسه تحت سيطرة ما قبل الشعور . وأما الجزء الثانى - التعديل الذى تفرضه الرقابة والجذب الذى يصدر عن المشاهد الطفلية وشق الطريق إلى الإدراك - فلا شك فى أنه يستغرق الليل كله . ونحن من هذه الناحية قد نكون على حق دائماً حين نعرب عن شعورنا بأننا كنا نحلم طيلة الليل وإن لم نستطع القول بم [أنظر ص ٥١١] . غير أننى لا أرى ضرورة إلى أن نفترض أن الحلم يلتزم فعلاً - حتى يصير شعورياً - هذا الترتيب الزمنى الذى وصفت : فيكون أول ما يقع هو الرغبة الحلمية المحولة ثم يعقب التشويه بوساطة الرقابة ثم التغيير النكوصى فى الاتجاه ، وهكذا . وإنما اضطررنا إلى الأخذ بهذا الترتيب التعاقبى عند الوصف ، ولكن الذى يحدث حقيقة هو ولا ريب استكشاف يضرب فى هذا الاتجاه وذلك فى آن واحد ، ذبذبة فى التهييج تأخذ هذه الوجهة ثم تلك ، إلى أن يتراكم هذا التهييج أخيراً فى أنسب اتجاه فيثبت تجمع من تجمعاته دون سائره . ويهبط إلى استناداً إلى بعض خبراتى الشخصية أن الحلم يقتضى فى كثير من الأحيان أكثر من نهار وليلة . وإذا كان الأمر كذلك لم نعد بحاجة إلى الدهش للمهارة الخارقة التى تتجلى فى تكوين الحلم . لا ، بل أعتقد أن الشرط الذى يقتضى أن يحىء الحلم معقولا من حيث هو حدث إدراكى قد يأخذ فى إحداث فعله والحلم لما يجتذب الشعور إليه . ولكن لا شك فى أن العملية تسارع ، ابتداء من تلك اللحظة ، إلى ختامها ؛ فالحلم يعامل الآن مثلما يعامل أى مدرك آخر . إن الأمر أشبه بالصواريخ يستغرق إعدادها الساعات ثم تنفق فى لحظة واحدة .

إن عملية الحلم إما أن تكون الآن قد اكتسبت بعمل الحلم شدة تكفى جذب الشعور إليها وإيقاظ ما قبل الشعور بغض النظر عن زمن النوم وعمقه ، وإما أن شدتها لا تكفى ذلك فيتعين عليها البقاء فى حالة من الاستعداد إلى أن يصبح الانتباه خفيف الحركة قبيل الاستيقاظ فتلقاه . ويبدو أن غالبية الأحلام تعمل بشدات نفسية منخفضة انخفاضاً نسبياً ؛ لأنها فى معظم الأحيان تبقى منتظرة إلى أن تحين لحظة اليقظة . ولكن ذلك يفسر أيضاً تلك الحقيقة ، وأعنى بها أننا إذا أو قطنا من نوم عميق فجأة أدركنا فى العادة شيئاً حلمنا به . وفى هذه الحالات يكون أول ما نراه هو المحتوى الإدراكى الذى

كونه عمل الحلم ثم عقب ذلك نرى المحتوى الإدراكي الذى يعرض من الخارج — مثلما يقع حين نستيقظ من تلقاء أنفسنا .

غير أن الأحلام التى تملك القدرة على إيقاظنا فى منتصف النوم تثير قسطاً أعظم من الاهتمام النظرى . ذلك أننا قد نفكر فى حسن التدبير الذى رأينا أنه القاعدة فى كل مكان ، فنتساءل : لم زود الحلم — أى الرغبة اللاشعورية — بالقدرة على إزعاج النوم — أى الرغبة قبل الشعورية ؟ إن ذلك يرجع من غير شك إلى علاقات خاصة بالطاقة لا نعلم من أمرها شيئاً . ولو كان لنا مثل هذا العلم لرأينا فى الراجح أن ترك الحلم يأخذ مجراه مع اتفاقنا عليه مقداراً محدوداً من الانتباه غير المشغول هو اقتصاد فى الطاقة إذا قورن بما يقتضيه إبحام اللاشعور لإحلاماً وثيقاً فى الليل مثله فى النهار . ثم إن التجربة ترينا أن الحلم لا يتعارض والنوم ، ولو قطع النوم مرات متعددة فى أثناء الليل . فالمرء إنما يستيقظ عندئذ لحظة يعود على فورها إلى نومه . إنه كمن يطرد ذبابة وهو نائم ؛ فاستيقاظه محدود بغرضه وحين يستأنف المرء نومه يكون قد قضى على الإزعاج . ولا يتنافى تحقيق الرغبة فى النوم أقل تناف مع المداومة على صرف قسط من الانتباه فى ناحية ما — كما يتبين من أمثلة مألوفة كنوم المريض .

وهنا ينهض اعتراض يقوم على معرفة أدق بالعمليات الشعورية . فقد قلت : إن الرغبات اللاشعورية لا تنقطع عن النشاط . ولكن هذه الرغبات لا تبدو مع ذلك قوية إلى المدى الذى يجعلنا نحس بها فى أثناء النهار . فإذا ما ضربت حالة النوم أطنانها وأبدت الرغبة اللاشعورية قوة تكفى تكوين الحلم وإيقاظ ما قبل الشعور ، فلماذا يغيب معين هذه القوة بعد أن يبلغ الحلم علمنا ؟ أما كان ينبغى أن يتردد الحلم من غير انقطاع كما تلح ذبابة سمجة على الرجوع كلما طردت ؟ بأى حق نزع أن الحلم يقضى على إزعاج النوم ؟

إن من الصحيح كل الصحة أن الرغبات اللاشعورية ناشطة دائماً؛ فهى بمثابة طرقات يمكن دائماً اجتيازها كلما التجأت إليها كمية من التهييجات [أنظر ص ٥٤٣ فى الهامش] . بل إن كون العمليات اللاشعورية لا تقبل الهدم سمة بارزة من سماتها ؛ فلا شئ فى الشعور يُنهى ولا شئ يزول أو ينسى . ويشعر المرء بذلك أشد ما يشعر به حين يدرس الأعصاب ، وبخاصة الهستيريا . فالطريق اللاشعورية للأفكار ، الطريق المؤدية إلى التفرغ

فى النبوة الهستريه ، تصبى على الفور مهية لاجتيازها من جديد إذا تراكم قدر كاف من التهييج . والمذلة التى وقعت منذ ثلاثين عاماً تظل تعمل مثل مذلة مستحدثة طيلة هذه الأعوام الثلاثين بعد أن تجد مجازاً إلى المنابع اللاشعورية للوجدان . فكلما مست ذكرها انبعت إلى الحياة من جديد واتضح أنها لا تزال مستثمرة بتهييج يجد تفرغه الحركى فى نوبة من النوبات . وذلك على التحديد هو الموضع الذى يجب على التحليل النفسى أن يتدخل عنده . فهمته هى أن ييسر للعمليات اللاشعورية إمكانية معالجتها معالجة نهائية ونسيانها . لأن اضمحلال الذكريات والوهن الوجدانى للانطباعات التى قدم بها العهد — هذا الاضمحلال وهذا الوهن اللذان نترع إلى اعتبارهما أمراً واضحاً بذاته ونتيجة أولية من نتائج فعل الزمن فى الآثار الذكورية النفسية — إنما هما فى الحقيقة تغييرات ثانوية لا تتم إلا بعمل شاق . والذى يقوم بهذا العمل هو ما قبل الشعور ، ولا يستطيع العلاج النفسى أن يتبع طريقاً آخر سوى وضع اللاشعور تحت سيطرة ما قبل الشعور^(١) .

وهكذا يكون لكل عملية تهييجية لاشعورية مخرجان ممكنان : إما أن تترك لشأنها ، وهى فى هذه الحالة قد تتمكن من شق طريقها فى موضع ما وفى هذه المناسبة المفردة تحصل على تفرغ تهييجها فى الحركة ، أو هى قد تقع تحت تأثير ما قبل الشعور ، وبذلك يقيد تهييجها بدل أن يفرغ ، وهذا الاحتمال الثانى هو الذى يتحقق فى عملية الحلم . فالاستثمار الذى يذهب إلى منتصف الطريق صادراً عن ما قبل الشعور ليلاقى الحلم بعد أن صار محتوى إدراكياً ، ويذهب إليه بفعل التهييج الذى يحدثه الحلم عندئذ فى الشعور ، هذا الاستثمار يقيد التهييج اللاشعورى للحلم ويسلبه القدرة على الإزعاج . وإذا كان من الحق أن الحلم يستيقظ طرفه عين ، إلا أنه يكون فى الواقع قد طرد بذلك الذبابة التى كانت تهدد بإزعاج نومه . ومن ثم فقد نخدس الآن أن السماح للرغبة اللاشعورية بأن تأخذ مجراها وتركها تسلك طريق النكوص لكى تكون حلاً ثم تقييد الحلم بعدئذ والتخلص منه ببذل قسط ضئيل من العمل قبل الشعور — هو فعلاً مسلك أحسن تدبيراً وأكثر اقتصاداً من المداومة على إلجام اللاشعور إلجاماً محكماً طيلة فترة النوم جميعها . والحق أنه كان أمراً متوقعاً أن يكون الحلم قد اكتسب لنفسه وظيفة ما وسط اللعب المتبادل بين القوى النفسية ، حتى لو كان فى مبدأ أمره عملية مجردة

(١) [أبرز المؤلف هذه الحملة ابتداء من ١٩١٩ . أنظر ص ٥٤٣ فى الهامش .]

من كل قصد نافع . وفي وسعنا الآن أن نرى ما هي هذه الوظيفة : فالحلم قد أخذ على عاتقه أن يعيد إلى سيطرة ما قبل الشعور التهييج الذى ترك حراً فى اللاشعور . وهو إذ يفعل ذلك يفرغ التهييج اللاشعورى ، يعمل له عمل صمام الأمان وفى الوقت عينه يصون نوم ما قبل الشعور لقاء بذل ضئيل للنشاط المستيقظ . وهكذا يكون الحلم حلاً وسطاً ، شأنه فى ذلك شأن سائر الأبنية النفسية التى من طبقته ؛ إنه يخدم كلا النظامين إذ يحقق كلتا الرغبتين — بقدر إمكان الاتفاق بينهما . فإذا ألقينا الآن نظرة إلى « النظرية الإفرازية » فى الحلم — وهى النظرية التى قال بها روبرت وشرحتها فى ص ١٩٩ — تبين أن من الواجب إقرار هذا المؤلف على ما يذهب إليه من حيث الجوهر ، من حيث يحدد للحلم وظيفة^(١) وإن كنا نختلف معه فى المقدمات وفى نظرتنا إلى عملية الحلم .

إن التحفظ الذى نصصنا عليه فى قولنا : « بقدر إمكان الاتفاق بين الرغبتين » ، يلمح إلى احتمال أن تكون هناك حالات تزول فيها وظيفة الحلم إلى الإخفاق . فقد أذن لعملية الحلم أن تبدأ من حيث هى تحقيق رغبة ، ولكن هذا التحقيق الملتبس إذا نافر ما قبل الشعور منافرة عنيفة حتى ليجعلنى عاجزاً عن المضى فى النوم كان معنى ذلك أن الحلم قد أخل بالحل الوسط وأخفق فى تحقيق النصف الثانى

(١) [هامش أضيف سنة ١٩١٤ :] أهذه هى الوظيفة الوحيدة التى تمكن إضافتها إلى الأحلام ؟ لست أعرف غيرها . صحيح أن مادير (١٩١٢) قد حاول أن يبين أن للأحلام وظائف أخرى « ثانوية » . فهو قد بدأ من تلك الملاحظة الصائبة : أن بعض الأحلام تتضمن محاولات فى حل المشكلات تنفذ بعد ذلك فى الواقع وبذلك تسلك كما لو كانت محاولات فى التدريب على أفعال البقطة ، ثم بعد ذلك وازن بين هذه الأحلام وبين لعب الحيوانات والأطفال الذى يمكن اعتباره تدريباً على نشاط الفرائز القظرية واستعداداً للنشاط الجلى المقبل ، ثم خلص من ذلك إلى فرض « وظيفة لاعبة » [“une fonction ludique”] للأحلام . ومن قبل مادير بزم قليل كان الفريد أدلر (١٩١١) قد ألح كذلك على أن للأحلام وظيفة « التفكير الاستباقى » . (وفى تحليل نشرته عام ١٩٠٥ [١٩٠٥ هـ] أخذ حلم لا يمكن إلا أن نعهده معرباً عن نية يتردد كل ليلة حتى نفذ .) ومع هذا فقليل من التأمل يقتنعنا بأنه لا حق لهذه الوظيفة « الثانوية » فى أن تعد موضوعاً من موضوعات تفسير الأحلام . فالتفكير المستبق وعقد النية ومحاولة حلول قد تحقق بعد ذلك فى حياة البقطة ، كل هذه وكثير غيرها يشهها إنما هى نتاج للنشاط اللاشعورى وقبل الشعور ، ومن الجائز أن تدوم فى حالة النوم باعتبارها « بقايا نهائية » وأن تتحد برغبة لاشعورية فى تكوين حلم من الأحلام (أنظر ص ٤٠٥ وما بعدها) . ومع هذا فوظيفة « التفكير المستبق » المنسوبة إلى الحلم هى على الأصح وظيفة للتفكير المستيقظ قبل الشعور الذى يمكن كشف نتائجه بتحليل الأحلام أو غيرها من الظواهر . لقد كان من المألوف زمناً طويلاً ألا نفرق بين الأحلام ومحتواها الظاهر ، ولكن من الواجب علينا اليوم أن نتجنب ذلك الخطأ الآخر ، وأعنى به الخلط بين الأحلام والأفكار الكامنة .

من مهمته ، وفي هذه الحالة يقطع حبل الحلم على الفور ويحل محله الاستيقاظ التام . وهنا أيضاً لا يرجع الذنب في الحقيقة إلى الحلم إذا أُلجئ إلى الظهور بمظهر مزعج النوم بدل أن يعمل عمله السوى حارساً له ، ولا داعى يدعونا إلى أن نأبى الاعتراف له بقصده النافع ؛ فذلك في الكائن العضوى ليس المثال الأوحى على وسيلة لها في السوى من الأحوال نفعا ولكنها لا تلبث أن تتجرد من هذا النفع وتغدو مزعجة إذا تغيرت الشروط التى تبعث عليها بعض التغيير . ثم إن هذا الإزعاج يخدم على الأقل ذلك الغرض الجديد ، ألا وهو : جذب الانتباه إلى التغيير وتحريك الأداة التى تنظم سير الكائن العضوى إلى العمل . والذى أفكر فيه بالطبع وأنا أقول هذا الكلام هو حالة أحلام الهيلة ، ولكى لا يظن بحق أننى أتجنب هذا الشاهد الذى ينقض نظرية تحقيق الرغبة كلما صادفته ، أدلى في تحليل هذه الأحلام ولو ببعض الإشارات .

لأن تكون عملية نفسية تتمخض عن الهيلة تحقيق رغبة في الوقت عينه ، هذه فكرة لم نعد منذ زمن طويل نرى فيها تناقضاً ما . فنحن نعلم أن من الممكن تحليلها بكون الرغبة تنتمى إلى نظام ، هو لاش . ، على حين أنها قد لاقت نبذاً وقمعاً من النظام قبش .^(١) ولا يكون خضوع اللاشعور لما قبل الشعور خضوعاً مطلقاً حتى حين تكون الصحة النفسية

(١) [هامش أخيف سنة ١٩١٩ :] « وعامل آخر أهم كثيراً وأعق غوراً - وإن كان غير المختص بهمل أيضاً أمره - هو هذا : إنه لاشك في أن تحقيق الرغبة يجب أن يجلب لذة . ولكننا نسأل عندئذ : لمن يجلبها ؟ لصاحب الرغبة بالطبع - ولكن علاقة الحلم برغباته - كما نعلم - علاقة لها طابعها الخاص كل الخصوص . فهو ينبذها ويراقبها ، أى أنه - في كلمة - غير راض عنها . ويكون من أثر ذلك أن تحقيقها لا يجلب له لذة ، وإنما يجلب الضد . وترينا الخبرة أن هذا الضد يظهر في صورة الهيلة - وهو الأمر الذى لا يزال علينا أن نأقى بتحليله . وهكذا إنما تجوز مقارنة الحلم - من حيث موقفه من تحقيق رغباته - بمجتمع تركب من شخصين منفصلين عقدت بينهما مع ذلك شركة قوية . ويفتقن عن الإطالة هنا أن أذكركم بدل ذلك بحكاية معروفة ترون فيها هذا الموقف عينه وقد تكرر من جديد : ذلك أن جنبة طيبة وعدت رجلاً وامرأته بتحقيق رغباتهما الثلاث الأولى من بين ما يشتهيان . وامتلا الرجل وأمرته سروراً وعقدا النية على ألا يختاراً رغباتهما الثلاث إلا بعد كثير من التروى . سوى أن راتحة سحق انبعثت من الكوخ المجاور ، فودت المرأة لو كان لها زوجين منه . وفي طرفة عين كان السحق أمامها وكان ذلك أول تحقيق رغبة . ولكن الرجل استشاط غضباً فتمنى وهو في غيظه لو قد علق السحقان بأنفهما . فعلقا وأبيا أن يتزحزا من مكانهما الجديد . وكان ذلك ثانياً تحقيق رغبة . وتعلمون كيف تمضى القصة بعد ذلك : فالرجل والمرأة إذ كانا - مهما كان الذى وقع بينهما - زوجين ، فقد وجب أن تكون الأمنية الثالثة زوال السحق من أفئ الزوجية . إن هذه القصة تنفع في تصوير أمور كثيرة . ولكنها إنما تفيدنا في تصوير ذلك الاحتمال : أن ما يحقق رغبة الواحد قد لا يجلب لذة للآخر إذا كان الطرفان على غير اتفاق . » (عن المحاضرات التمهيدية في التحليل النفسى ، فرويد ، ١٩١٦/١٩١٧ .)

مكتملة ، وإنما يُرِنّا مقياس القمع درجة السواء النفسى . وتدلنا الأعراض العصابية فى هذا الصدد على أن النظامين مشتبكان فى صراع كلا والآخر . فهى — هذه الأعراض — نتائج حل وسط ينهى الصراع إنهاءً موقوتاً : إنها — من جهة — تسمح للشعور بمخرج يفرغ منه تهيجته مزودة إياه بما يشبه أن يكون باباً جانبياً ، وهى — من جهة أخرى — تمكن ما قبل الشعور من السيطرة على اللاشعور إلى حد ما . ومن المفيد فى هذا الصدد أن ننظر مثلاً فى معنى مخافة هسترية أو فى معنى هيلة الأماكن الطلقة ، ولنفرض مريضاً لا يستطيع اجتياز الشارع وحده — وهو وضع نعهده بحق " عرضاً " : إننا إذا أزعجنا هذا العرض بحمل المريض على أن يأتى الفعل الذى يعتقد عجزه عنه ، كانت النتيجة أن تنطلق نوبة من الهيلة ، كما أن وقوع نوبة الهيلة يكون فى كثير من الأحيان السبب المعجل باستتباب المخافة . ومن هذا نرى أن العرض قد أقيم تجنباً لانطلاق الهيلة ، أو أن المخافة بمثابة حصن يحمى من الهيلة .

لقد أخذنا فى مناقشة استحيل مواصلتها إلا إذا بحثنا النصيب الذى تقوم به الحالات الوجدانية فى هذه العمليات — وهو مالا نستطيعه هنا إلا على نحو جد ناقص . فلنفترض إذن تلك القضية : وهى أن قمع اللاشعور أمر يلزم قبل كل شئ لأن مجرى الأفكار فى اللاشعور إذا ترك لنفسه تولدت عنه حالة وجدانية كانت فى الأصل ذات طابع لاذ ولكنّها صارت على عكس ذلك بعد وقوع عملية الكبت . والغرض من القمع ، وكذلك نتيجته ، هو الحيلولة دون هذا الانطلاق للألم . ويمتد القمع إلى المحتوى الفكرى لللاشعور لأن انطلاق الألم قد يبدأ من هذا المحتوى . وينطوى هذا الكلام على فرض محدد تمام التحديد فيما يتعلق بطبيعة توليد الحالة الوجدانية : فنحن نعد هذا التوليد وظيفة حركية أو إفرازية يكمن المفتاح إلى تعصيبها فى أفكار اللاشعور [أنظر ص ٤٦٥-٤٦٦] . ولكن السيطرة المفروضة من جانب ما قبل الشعور تخنق هذه الأفكار وتكفها عن إطلاق اندفاعاتها التى من شأنها توليد الحالة الوجدانية . فإذا انقطع الاستمرار من جانب ما قبل الشعور ، كان الخطر أن تطلق التهيجات اللاشعورية حالة وجدانية من نوع لا يمكن أن يحس إلا فى صورة ألم ، فى صورة هيلة — نتيجة للكبت الذى وقع من قبل .

هذا الخطر يتجسد إذا ترك لعملية الحلم أن تأخذ مجراها . وشرطاً تحققه هما : أن تكون عمليات كبت قد وقعت وأن تتمكن الاندفاعات الراغبة المقموعة من بلوغ قوة كافية وهما إذن شرطان يخرجان من نطاق سيكولوجية الحلم خروجاً تاماً ، ولولا

أن موضوعنا يرتبط بموضوع توليد الهيلة من نقطة واحدة - وأعني بها تحرر اللاشعور في أثناء النوم - لكان في مستطاعى أن أسقط كل مناقشة في صدد أحلام الهيلة وأن أتجنب الخوض على هذه الصفحات فيما يحيط بها من الظلمات .

إن نظرية أحلام الهيلة - كما أعلنته مراراً من قبل - جزء من سيكولوجية الأعصاب^(١) . ولا يعود لنا شأن بها بعد أن نبين موضع التماس بينها وبين موضوع عملية الحلم . وكل الذى أستطيعه بعد الآن شيء واحد : ذلك أننى - وقد قررت أن الهيلة العصابية تنبعث من مصادر جنسية - أرى أن أحلل بعض أحلام الهيلة لكى أبين المادة الجنسية الماثلة في أفكارها الكامنة .

وعندى أسباب وجهة تدعونى إلى أن أترك جانباً في خلال المناقشة الحاضرة الأمثلة الغزيرة التى يزودنى بها مرضاى العصائون وأن أستشهد بأحلام هيلة أتاها بعض الأحداث . لقد خلت عقود منذ أتاانى حلم هيلة بالمعنى الصحيح ، ولكننى أذكر حلماً من سنتى السابعة أو الثامنة ، حللته بعد ذلك بما يقرب من الثلاثين عاماً . كان حلماً شديداً الجلاء رأيت فيه أمى المحبوبة وقد ارتسم على ملامحها تعبير نائم وادع دعة غريبة يحملها شخصان (أو ثلاثة) لهم مناقير الطير ويرقدونها على الفراش . واستيقظت باكياً صارخاً

حتى قطعت على والدى نومهما . - إن الشخص الملقعة في هيئة غريبة ، ذوات الطول الخارق ومناقير الطير قد اشتقوا من توراة فيليبسون^(٢) . ولا إخال إلا أنهم كانوا آلهة برؤوس العقاب نقلت صورتهم من حفر جنازرى منحدر من مصر القديمة . وقد ذكرنى التحليل فوق ذلك بغلام سبى^٣ التنشئة ، ابن بواب اعتاد اللعب معنا على حشيش أمام المنزل ونحن صغار ، ويغلب على ظنى أنه كان يدعى فيليب . ويبدو لى أن هذا الولد كان أول من سمعت على لسانه اللفظ العامى لفعل الجماع - وهو اللفظ الذى يستخدم المثقفون دائماً في محله كلمة لاتينية ، ولكن دل عليه في الحلم اختيار رؤوس العقاب دلالة كافية الوضوح^(٣) . ولا بد أنى خمنت المفهوم الجنسي للكلمة من سبى معلمى الحنك

(١) [في هذا الموضع أضاف فرويد الجملة الآتية عام ١٩١٩ ثم حذفها ابتداء من سنة ١٩٢٥ : « وأحب أن ألح على أن مشكلة الهيلة في الأحلام هى مشكلة هيلة لا مشكلة حلم . »]

(٢) [Die israelitische Bibel ، طبعة من طبعات العهد القديم بالتين العبرية والألمانية ، ظهرت في ايزنيج بين سنتى ١٨٣٠ - ١٨٥٤ وظهرت طبعتهما الثانية سنة ١٨٥٨ . وقد احتوى هامش الإصحاح الرابع من سفر التنشئة على عدد من الرسوم تصور آلهة مصرية قديمة من بينها آلهة برؤوس طيور .]

(٣) [اللفظ الألماني العامى المشار إليه هو "Vogeln" من "Vogel" بمعنى طير .]

هذا . فأما التعبير الذى ارتسم على ملامح أمى فى الحلم فينقل مرأى جدى إذ شهدته قبل موته بأيام قلائل وهو يشخر فى غيبوبته . وعلى ذلك وجب أن تذهب المراجعة الثانوية فى تفسيرها الذى تقوم به فى الحلم إلى أن الأم قد ماتت ، ويلائم ذلك الحفر الجنائزى كذلك . واستيقظت فى هيلة لم تنقطع حتى أيقظت والدى . وأذكر أنى هدأت فجأة حين رأيت وجه أمى كأنما كانت بي حاجة إلى ما يطمئننى أنها لم تمت . سوى أن هذا التفسير الثانوى إنما أتى تحت تأثير هيلة قد أخذت من قبل فى التخص . فأنا لم أستشعر الهيلة لأن أمى قد ماتت ، بل فسرت الحلم هذا التفسير فى مراجعتى الثانوية إياه لأننى كنت فعلاً تحت تأثير الهيلة . فإن حسبنا للكبت حسابه أمكن تأثر الهيلة إلى رغبة مبهمة ، جنسية فى غير خفاء ، وجدت فى المحتوى البصرى للحلم ما يعرب عنها إعراباً موقفاً .

وحكى رجل فى السابعة والعشرين من عمره كان مريضاً بمرض خطير منذ عام أنه وهو بين الحادية عشرة والثالثة عشرة كان يحلم تكراراً (مع مصاحبة هيلة شديدة الوطأة) بأن رجلاً يطارده بفأس فيحاول الفرار منه ولكنه يبدو كأنما أصابه الشلل فلا يستطيع التحرك من موضعه . إن ذلك مثال طيب من نوع شائع غاية الشيوع ما كنا نظنه قط حلاًماً جنسياً . فلما أخذنا فى التحليل عثر الحالم بادئ ذى بدء على قصة ترجع إلى زمن متأخر عن الحلم ، رواها له عمه عن رجل مريب الطلعة هاجمه ليلة فى الطريق . واستخلص الحالم بنفسه من هذا الاستدعاء أنه ربما كان قد سمع بقصة تماثل هذه فى زمن الحلم . وأما فيما يتعلق بالفأس فيذكر الحالم أنه قرب هذا الزمن قد جرح يده بفأس وهو يقطع الخشب . ثم مضى على أثر ذلك إلى الحديث عن علاقاته بأخيه الأصغر ؛ لقد كان من عادته أن يسىء إلى هذا الأخ وأن يقرعه على الأرض ، وإنه ليذكر بنوع خاص مناسبة رفس فيها بجذائه الغليظ رأس أخيه فأدماه ، ويذكر كيف صاحت أمه حينئذ : أخشى أن يكون موت الصغير على يديه يوماً ما . وبينما بدا أنه ما زال مشغولاً بموضوع العنف طرأت على باله فجأة ذكرى ترجع إلى سته التاسعة : فقد عاد والداه إلى المنزل فى ساعة متأخرة وذهبا إلى الفراش بينما كان هو يتصنع النوم . وما لبث أن سمع لهناً وأصواتاً أخرى بدت له غريبة عن كل مألوف ، كما استطاع كذلك أن يحذر وضع الزوجين فى الفراش . وتبين من أفكاره بعد ذلك أنه قد عقد مماثلة بين علاقة والديه هذه وبين

علاقته هو بأخيه . فقد أدرج ما وقع بين والديه في تصور : العنف والشجار . وأيد هذا الظن عنده أنه كان كثيراً ما يرى دماً على فراش الأم .

إن كون الجماع الجنسي بين الراشدين يفجأ من يلحظونه من الأطفال كما لو كان شيئاً غريباً عن المألوف يثير الروع في نفوسهم ، أمر يجوز لي القول بأنه موضع خبرة يومية . ولقد عللت هذه الهيلة بالقول : إننا نرانا هنا إزاء تهيج جنسى لم يستطع الأطفال السيطرة عليه بأفهامهم كما أنهم يسارعون بلا ريب إلى نبذه لأنه يمس والديهم ، ومن ثم يتحول إلى هيلة . وهناك بعد مرحلة تسبق هذه من مراحل الحياة الجنسية نرى فيها التهيجات المتجهة إلى الوالد الذى من الجنس المقابل وهى لا تلى بعد كبتاً وتعرب عن نفسها لإعرابا حراً — كما سمعنا من قبل (ص ٢٧٢) .

ولست أتردد في تطبيق هذا التعليل ذاته على نوبات الهيلة الليلية المصحوبة بهلاوس (pavor nocturnus) والتي يشيع وقوعها عند الأطفال كل شيوع . فها يتعلق الأمر هنا أيضاً إلا بانطباعات جنسية لم تلق فهما ولاقت نبذا . ومن المرجح أن يطلعنا الاستقصاء في البحث على دورية نظيمة في وقوع هذه النوبات ؛ إذ أن زيادة الليبدو الجنسية لا تنجم عن الانطباعات المهيجة العارضة وحدها ، بل هى قد تكون متوقفة كذلك على موجات متعاقبة من العمليات التمهضية التلقائية .

وإني لتعوزنى المادة الكافية القائمة على الملاحظة حتى أتمكن من تأييد هذا التعليل ^(١) . وأما أطباء الأطفال فيبدو على العكس أنهم إنما تعوزهم وجهة النظر التي يستطيعون بها وحدها فهم جميع هذه الطبقة من الظواهر ، سواء من الناحية الجسمية أو النفسية . وأود أن أسوق في هذا الصدد مثالا مضحكا يرينا كيف تستطيع ميثا ^(٢) الأساطير الطبية أن تعمى المرء عن فهم أمثال هذه الحالات بعد أن صار من هذا الفهم قيد شعرة ، وهذا المثال قد وجدته في رسالة دوباكرو عن الرعب الليلي (١٨٨١ ، ص ٦٦) :

ولد ضعيف الصحة في الثالثة عشرة من عمره أخذ يغدو قلقاً حالماً ، وصار ينام نوماً مضطرباً تقطعه نوبات شديدة الوطأة من الهيلة المصطبجة بالهلاوس — وكانت تقع

(١) [هامش أضيف سنة ١٩١٩ :] منذ أن كتبت هذه السطور ظهر في المؤلفات التحليلية النفسية عدد وفير من هذه المادة .

(٢) [جمع « مثة » — وهو ما يوضع على عين الحصان لكي ينظر إلى الأمام . وفي لغة حوزيينا : النظارات .]

له بما كاد أن يعدل المرة في كل أسبوع . وكانت هذه الأحلام واضحة دائماً في ذاكرته كل الوضوح . وهكذا أمكنه أن يروى أن الشيطان قد صاح به : لقد أمسكنا بك ، لقد أمسكنا بك . وحيث كانت تتصاعد رائحة قار وكبريت وتحرق ألسنة النار جلده . وكان يستيقظ في رعب وهو لا يستطيع في مبدأ الأمر صراخاً ، فإذا استرجع صوته سمعته سمعاً واضحاً وهو يقول : « لا ، لا ، لا ، ليس أنا ، إني لم أرتكب شيئاً » أو : « صفحاً ، صفحاً ، لن أعود إلى ذلك ثانية . » وكان يقول في أحيان أخرى : « إن ألبير لم يرتكب ذلك قط . » وبعد ذلك صار الولد يرفض نزع ثيابه « لأن النار لا تمسك به إلا وهو عار . » وأرسل الولد وسط هذه الأحلام الشيطانية التي صارت خطراً يهدد صحته إلى مكان في الريف حيث استعاد صحته في خلال عام ونصف العام . فلما بلغ الخامسة عشرة من عمره اعترف مرة قائلا : « إني لم أكن أجرو على الاعتراف بذلك ، ولكنني كنت أحس طيلة الوقت نخسا في الأعضاء^(١) وتهيبجاً زائداً ، وأخيراً جعل ذلك يثير أعصابي حتى أنني فكرت كثيراً من المرات في إلقاء نفسي من نافذة عنبر النوم . »^(٢) الحق أنه لا يصعب علينا أن نخمن : (١) أن الولد كان يستمني حين كان أصغر سناً ، وأنه قد أنكر ذلك في الراجح ، وأنه هدد بعقاب شديد على عاداته السيئة (انظر تصريحه : « لن أعود إلى ذلك أبداً » ، ثم إنكاره : « إن ألبير لم يرتكب ذلك قط »)^(٣) ، (٢) أن دفعات المراهقة قد أحيت من جديد إغراء الاستمناء في صورة ذلك النخس المحس في أعضائه التناسلية ، غير أن (٣) صراعاً نشب في نفسه من أجل الكبت ، فقمع الليبيدو عنده وأحالتها إلى هيلة . وأخذت هذه الهيلة تزداد من بعد ما قد هدد به الولد في تلك المرة من صنوف العقاب .

فلنسمع الآن النتائج التي انتهى إليها مؤلفنا (ص ٦٩) : « يخلص من هذه الملاحظة ما يأتي : (١) أن تأثير المراهقة قد تنجم عنه عند طفل ضعيف الصحة حالة من الضعف الشديد وقد يؤدي إلى درجة شديدة من الأنيمية الحية . »^(٤)

(١) أنا الذي أبرزت هذه الكلمة ، والخطأ في فهمها محال على أية حال .

(٢) ["Je n'osais pas l'avouer, mais j'éprouvais continuellement des picotements et des surexcitations aux parties; à la fin, cela m'énervait tant que plusieurs fois j'ai pensé me jeter parla fenêtre du dortoir."] .

["Je ne le Ferai plus. Albert n'a jamais fait ça"]

(٣)

(٤) الإبراز من عندي .

(٢) تؤدي هذه الأنيمية إلى تغيير في الطبع وهلاوس مدارها الشيطان وإلى حالات من الهيلة شديدة العنف تقع في أثناء الليل ، وربما كانت تقع أيضاً في أثناء النهار .
(٣) يرجع هواس الشيطان وترجع مؤاخذه الولد نفسه إلى مؤثرات التربية الدينية التي أثرت فيه وهو طفل .

(٤) اختفت جميع هذه المظاهر في خلال إقامة مطولة في الريف ، نتيجته للتمرين البدني ولاسترجاع القوى بعد انقضاء المراهقة .
(٥) من الجائز أن نعزو إلى الوراثة وإلى إصابة الأب القديمة بالزهرى تأثيراً مهد لنشوء حالة الطفل المخية . »

ثم ها هي ذى كلمة الختام : « لقد أدرجنا ما لاحظناه في نطاق أهذية الإعياء غير الحمية ؛ وذلك لأننا نعزو هذه الحالة الخاصة إلى الأسكيمية المخية . » ^(١)

هـ

العمليات الأولية والعمليات الثانوية – الكبت

إني حين جازفت فحاولت أن أتعلم سيكولوجية عمليات الحلم قد تكلفت مهمة عسيرة ، ثم هي مهمة ليس عندي من القدرة على العرض ما يكافئها . فأن أنقل ما هو في الحقيقة كل معقد متزامن الأجزاء في وصف متعاقب اللحظات وأن أظهر في كل قضية أسوقها بمظهر من لا يعلم شيئاً عن مقدماتها ، ذلك ما تعجز عنه قواي . وكل هذا هو الحزاء الوفاق على أنني حين تعرضت لسيكولوجية الحلم لم أستطع اتباع التطور التاريخي لأفكارى . فقد جئت إلى موضوع الحلم مقادراً بأعمال السابقة في ميدان سيكولوجية الأعصاب التي أردت ألا أتخذ منها أساساً أرجع إليه في الكتاب الحاضر ، ومع هذا أراي مسافاً إلى ذلك في كل خطوة أخطوها بدل المنسى في الاتجاه المخالف متخذاً من الحلم وسيلة إلى الاقتراب من سيكولوجية الأعصاب كما كانت مشيتي . وإني لأعلم كل

(١) [“Nous avons fait entrer cette observation dans le cadre des délires apyrétique d'inanition, car c'est à l'ischémie cérébrale que nous rattachons cet état particulier.”]

الاضطراب الذى يجره ذلك على القارئ ، ولكنى لا أعرف وسيلة إلى تجنبه .

وبين هذا السخط على هذه الحال يسرنى أن أقف هنية عند اعتبار آخر أرى أنه يرفع من قيمة الجهود التى بذلت . فقد رأيتنى أواجه موضوعاً غلبت على آراء أهل الثقة فيه أقطع المتناقضات — على ما بيته فى الفصل الأول . ولكن معالجتنا لمشكلات الحلم قد تركت لغالية هذه الآراء المتناقضة محلاً . فليس إلا رأيان رأينا وجوب نفيهما نفيًا باتًا : أن الحلم عملية لا معنى لها وأنه عملية جسمية . وأما فيما خلا ذلك فقد كان فى استطاعتنا أن نجد مبرراً لجميع هذه الآراء المتناقضة فى موضع أو آخر من نظريتنا المعقدة ، وأن نبين أن كلامها قد لمس طرفاً من الحقيقة . فالرأى القائل : إن الأحلام تواصل مشاغل حياة اليقظة واهتماماتها قد أيد مطلق التأييد باكتشاف أفكار الحلم المختبئة . فهذه لا تشغل إلا بما يبدو لنا ذا خطر ويثير أعظم اهتمامنا ، ولا تشغل الأحلام أبداً بالصغائر ولكننا رأينا كذلك ما يدعو إلى قبول الرأى المخالف أن الحلم يلتقط الحثالة التافهة المتبقية من النهار ولا يستطيع الاستيلاء على أحد اهتماماتنا النهارية الكبرى إلا بعد أن يخرج هذا الاهتمام من نطاق نشاطنا المستيقظ بعض الخروج . فقد رأينا أن هذا الرأى يصدق على محتوى الحلم الذى يعرب عن أفكار الحلم فى صورة غيرها التشويه . وكان الذى قلناه هو أن الاستيلاء على مادة فكرية حديثة أو مجردة من الشأن ، لم تقع بعد تحت نير النشاط الفكرى المستيقظ ، أسهل على عملية الحلم لأسباب تتعلق بميكانيكية التداعى ، ولأسباب تتعلق بالرقابة كانت هذه العملية تحول الشدة النفسية عما هو هام لكنه غير مقبول إلى ما كان أمره يستوى . فأما أن الأحلام ذات ذاكرة مغرقة وأنها تنفذ إلى مادة من عهد الطفولة . فذلك ما صار ركناً رئيساً فيما نذهب إليه ؛ فنظريتنا فى الحلم ترى فى الرغبات الناشئة من الطفولة قوة دافعة لا يستغنى عنها فى تكوينه . ولا خطر لنا بالطبع أن نلقى ظلاً من الشك على ما أثبتته التجريب من أهمية المنبهات الحسية الخارجية فى أثناء النوم ، سوى أننا بينا أن علاقة مثل هذه المادة برغبة الحلم لا تختلف عن علاقة بقايا الفكر المتخلفة من النهار . كذلك لم نر مدعاة إلى منازعة الرأى القائل بأن الأحلام تأول المنبهات الموضوعية الحسية كما تفعل أوهام الحواس ، ولكننا بينا دافع هذا التأويل — وهو الدافع الذى تركه المؤلفون الآخرون من غير تحديد . ذلك أن هذا التأويل يؤتى بحيت يفقد الموضوع المدرك قدرته على إزعاج النوم ويصير فى الوقت عينه قابلاً لأن يستخدم طوع

تحقيق الرغبة . وما الحالات التهييجية الذاتية التي تطرأ على أعضاء الحواس في خلال النوم — هذه الحالات التي يبدو أن ترامبال لاد قد أثبت وقوعها — فصحيح أننا لم نسلم بها مصدراً خاصاً من مصادر الحلم ، ولكننا استطعنا تعليلها قائلين : إنها تنجم عن الإحياء النكوصي للذكريات التي تعمل عملها وراء الحلم . والإحساسات العضوية الباطنية التي كانت تعد طواعية حجر الزاوية في تعليل الأحلام ، هذه أيضاً قد احتفظت بمكان في نظريتنا — وإن يكن مكاناً أكثر تواضعاً . فهذه الإحساسات — كإحساس الوقوع أو الهوام في الفضاء أو الكف — توفر مادة يسهل تناولها في كل وقت ويستطيع عمل الحلم أن يلجأ إليها من أجل الإعراب عن أفكار الحلم كلما دعت إلى ذلك حاجة .

والقول بأن عملية الحلم عملية سريعة آتية قول صادق في نظرنا فيما يتعلق بإدراك الشعور للمحتوى الحلمى الذى تم تكوينه ، ولكن الراجح أن الأجزاء السابقة من عملية الحلم تجرى جرياً بطيئاً متقلباً . واستطعنا كذلك أن نشترك في حل لغز الأحلام التي تحتوى على مقدار ضخم من مادة ضغطت في أقصر برهة من الزمن حين أوحينا أن أن الحلم في أمثال هذه الحالات إنما يضع يده على مادة جاهزة الصنع كانت حاضرة في الحياة النفسية من قبل . وأما أن الذاكرة تشوه الأحلام وتجتزئ منها فهذا ما نسلم به ولكن دون أن نعهده عقبة ؛ فما ذلك إلا آخر جزء من أجزاء النشاط المشوه الذى تحرك إلى العمل منذ بدء تكوين الحلم وأظهرها . ثم هاته المعركة المرة والتي لا يبدو سبيل إلى الاتفاق فيها حول ما إذا كانت النفس تنام في الليل أو تمتلك جميع ملكاتها امتلاكها إياها في النهار ، لقد كان رأينا فيها أن كلا الجانبين صحيح دون أن تكون له الصحة كلها . فقد رأينا في أفكار الحلم شاهداً على وظيفة عقلية غاية في التعقيد تكاد تعمل بكل ما يملك الجهاز النفسى من الموارد ، ولكننا لا نستطيع أن ننكر مع ذلك أن هذه الأفكار الحلمية قد نشأت في خلال النهار كما أنه لا محيد عن أن نفترض أن الحياة النفسية تمر بحالة من النوم . وهكذا حتى نظرية النوم الحزنى قد ظهرت لها هي الأخرى أهميتها — وإن لم يكن من رأينا أن خاصة حالة النوم تقوم في تصدع الروابط النفسية ، بل في تركيز النظام النفسى المسيطر نهاراً في رغبة النوم . كذلك يحتفظ عامل الانفصال عن العالم الخارجى بأهميته في نطاق تصورنا ؛ فهو ييسر نكوص التصوير الحلمى — إن لم يكن العامل الوحيد في ذلك . ثم التخلّى عن توجيه الأفكار توجيهاً إرادياً ، تلك حقيقة لا سبيل إلى

الحدال فيها ، لكنها لا تفقد الحياة النفسية كل قصد ، فقد رأينا كيف تتولى مقاليد الحكم أفكار غائية لا إرادية بعد التزول عن الأفكار الإرادية . وأما تراخي روابط التداعي فلم نقف عند قبوله وحسب ، بل بينا أنه يمتد إلى أبعد مما كان يظن ، إلا أننا رأينا أن هذه الروابط المترخية إنما هي بدائل تحل محل أخرى صحيحة حافلة بالمعنى . وقد وصفنا الحلم يقينا باللامعقولة ، ولكن الأمثلة أرتنا أى حكمة يبلغها الحلم وراء مظهره الفاسد . فأما عن الوظائف التى ينبغى إسنادها إلى الحلم ، فهذا مالا نخالف فيه أحدا . فالقول بأن الحلم يخفف النفس مثل صمام أمان أو — على تعبير روبرت — بأن أشياء ضارة من كل نوع تفقد ضررها بتصويرها فى الحلم ، هذا القول لا يتفق وحسب مع نظريتنا فى تحقيق الرغبة ، بل إنه ل يبدو مفهوماً فى كلماتنا أكثر منه فى كلمات روبرت نفسه . وأما انطلاق قدرات النفس فى لعب حر فهذا ما يتمثل عندنا فى قولنا : إن النشاط قبل الشعور يترك الأحلام تأخذ مجراها . و « ارتداد الحياة النفسية فى الحلم إلى وجهة نظر جنينية » أو قول هافلوك إليس إذ يصف الحلم بأنه : « عالم أثرى من الانفعالات المبهمة والأفكار الناقصة » ^(١) ، كل أولئك يبدو لنا استباقاً موقفاً إلى ما ذهبنا إليه من أن أساليب النشاط البدائية المقموعة فى النهار يسمح لها بالاشتراك فى تكوين الحلم . وأما قول سوللى « إن الحلم يستعيد ما تعاقب نموه من سابق شخصياتنا ويستعيد أساليبنا القديمة فى النظر إلى الأشياء والإحساس بها كما يستعيد اندفاعات وأساليب فى الاستجابة كانت تسيطر علينا منذ زمن بعيد » ، فقد وسعنا قبوله رأياً من آرائنا كل القبول ، ولا نحن نتخلف وراء دولاج فى أن « المقموع » هو القوة الدافعة إلى فعل الحلم .

ولقد سلمنا تسليماً كاملاً بأهمية النصيب الذى يعزوه شرزر إلى « مخيلة الحلم » كما سلمنا بتفسيرات شرزر ذاتها ، سوى أننا اضطررنا إلى تغيير مكانها من المشكلة — إن عجز التعبير . فالمسألة ليست أن الحلم يخلق الصور المتخيلة بل الأصديق أن النشاط اللاشعورى للمخيلة يشارك فى تكوين أفكار الحلم بأعظم نصيب . فنحن نظل مدنين نلشرك بأكسفه عن مورد أفكار الحلم ، ولكن كل ما يعزوه إلى عمل الحلم — أو كله على التقريب — إنما ينبغى عزوه فى الحقيقة إلى نشاط اللاشعور خلال النهار — وهو النشاط الذى يؤثر بالحلم إلى الأحلام وإلى الأعراض العصابية على السواء . ولقد اضطررنا

«an archaic world of vast emotions and imperfect thoughts» (١)

أن نفرق بين هذا النشاط وعمل الحلم على اعتبار أن هذا الأخير شيء مختلف كل الاختلاف وأصيق مفهوماً بكثير . وأخيراً ، فنحن لم نترك العلاقة بين الحلم والاضطرابات النفسية محال ما ، بل أرسيناها على أرض جديدة لإرساء أشد رسوخاً .

وهكذا تجد أشد مكتشفات المؤلفين السابقين تنوعاً وتناقضاً — متسعاً في بنائنا بفضل ما في نظريتنا عن الحلم من جديد يؤلف بينها كأنما في وحدة أرفع . الكثير من هذه النظريات قد استخدمناه استخداماً مختلفاً ولكننا لم ننبد منها سوى القليل . ومع هذا لا يزال بناؤنا غير مكتمل ؛ إذ يبدو بغض النظر عن المشكلات العديدة المحيرة التي أخذنا في غمارها ونحن نشق طريقنا في دياجير علم النفس ، يبدو أن ثم تناقضاً جديداً يواجهنا . فقد رأينا — من جهة — أن أفكار الحلم تنبعث من خلال نشاط فكري سوى إلى أبعد المدى ، ولكننا — من جهة أخرى — قد اكتشفنا بين أفكار الحلم عدداً من عمليات فكرية تجانب السوى كل مجانبة ، عمليات تمتد إلى محتوى الحلم ، ثم نعيدها نحن بعدئذ في خلال التفسير . فكل ما وصفناه تحت عنوان « عمل الحلم » يبدو يفرق مما نعرف أنه العمليات الفكرية الصحيحة افتراقاً لا بد من أن تلوح معه أقصى الأحكام التي أصدرها المؤلفون السابقون حول انخفاض مستوى النشاط النفسي في الحلم محقة كل الحق .

ولعلنا لن نظفر بالإيضاح والعون بغير المضي في الاستقصاء . وعلى ذلك أتناول وضعاً من الأوضاع المؤدية إلى تكوين الحلم لكي أزيده بحثاً .

لقد رأينا أن الحلم يحل محل طائفة من الأفكار مستمدة من حياتنا اليومية ، مؤلفة تأليفاً منطقياً كاملاً . ولهذا كنا لا نملك الشك في أن هذه الأفكار قد نشأت عن حياتنا الفكرية السوية . فكل المحمولات التي نقدرها في عملياتنا الفكرية تقديرًا عالياً والتي تخلع على هذه العمليات طابع الأفعال المعقدة الصادرة عن نظام أرفع ، كل هذه تعود فنجدتها في أفكار الحلم . غير أننا لا نحتاج إلى افتراض أن هذا العمل يوقى في أثناء النوم — وهو فرض من شأنه أن يدخل ارتباكاً شنيعاً فيما استقرت عليه الآراء حتى اليوم في تصور حالة النوم . بل من الممكن أعلى العكس كل الإمكان أن تكون هذه الأفكار قد نشأت من اليوم السابق ثم استمرت دون أن يلحظها الشعور منذ البداية ، حتى إذا ما أقبل النوم كانت شيئاً مجهزاً . وغاية ما نستطيع استخلاصه من هذا الوضع هو أن أشد الأعمال الفكرية تعقيداً ممكنة بغير معاونة الشعور — وهي نتيجة ما كنا إلا لنخرج بها على أية

حال من أى تحليل تجريه لحالة من حالات المستريا أو لشخص يعانى أفكاراً قهرية . ومن المؤكد أن هذه الأفكار الحلدية ليست عاجزة بذاتها عن بلوغ الشعور ، فإن كانت لم تبلغه فعلا فى خلال النهار فلا بد من أن تكون لذلك أسبابه المختلفة . فالصيرورة إلى الشعور أمر مرتبط بإعمال وظيفة نفسية محددة هى الانتباه - وهى وظيفة لا تتيسر فيما يبدو إلا بقدر معين ، ولقد ينصرف هذا القدر عن العملية الفكرية التى نكون فى صدها إلى هدف آخر يجذبه . وهناك بالإضافة إلى ذلك طريقة أخرى قد تفصل بها أمثال هذه العمليات الفكرية من الشعور . ذلك أننا نعلم من تأملاتنا الشعورية أننا نتبع طريقاً محدداً حين نعمل انتباهنا . فإذا عثرنا ونحن نتبع هذا الطريق على فكرة لن تحتل النقد توقفنا عن المضى ، أى أننا نسقط استثمار الانتباه . والذي يبدو الآن هو أن من المستطاع للعملية الفكرية التى بدأت على هذا النحو ثم أسقطت أن تستمر فى نسج نفسها بنفسها دون أن يتجه إليها الانتباه مرة ثانية - اللهم إلا أن تبلغ درجة من الشدة عالية بنوع خاص تحمل الانتباه على الاتجاه إليها حملاً . وهكذا إذا نبذت عملية فكرية مند البداية نبذاً قد يكون شعورياً ، بحكم يقرر خطأها أو قلة غناها بالنسبة إلى الأغراض المتوخاة فى اللحظة الحاضرة ، فقد تكون النتيجة استمرار هذه العملية حتى مقدم النوم دون ملاحظة الشعور .

ولنجمل مقالنا : إننا نصف عملية فكرية هذا شأنها بأنها عملية قبل شعورية ، ونراها عملية معقولة كل معقولة ، ونعتقد أنها قد تكون أهملت وحسب وقد تكون قطعت قطعاً وقمعت . ولنقل بعد ذلك صراحة كيف نتصور سير أفكارنا : إننا نعتقد أن هناك مقداراً معيناً من التهييج - هو ما نسميه « طاقة استثمارية » - ينتقل ابتداءً من فكرة غائية ما ، وفق الطرق الاستدعائية التى تنتجها هذه الفكرة . والعملية الفكرية التى نقول : إنها « أهملت » هى عملية لم تلق مثل هذا الاستثمار ، فأما تلك التى « تقمع » أو « تنبذ » فعلمية قد « رد عنها » هذا الاستثمار . وفى كلتا الحالتين تترك العملية لتهييجاتها الخاصة . وبوسع العملية الفكرية المستثمرة استثماراً غائياً أن تجتذب إليها تحت شروط خاصة انتباه الشعور ، وعندئذ تلقى بوساطته « استثماراً مضاعفاً » . ولا بد من أن نشرح بعد قليل نظرتنا فى طبيعة الشعور ووظيفته [أنظر ص ٥٩٧] .

فإذا أطلقت عملية فكرية فى ما قبل الشعور على هذا النحو ، أمكن أن تنقطع

هذه العملية من تلقاء نفسها أو أن تستمر . ونصوّر في حالة المخرج الأول أن الطاقة المقترنة بالعملية الفكرية قد انبثت في جميع الاتجاهات الاستدعائية المشعة منها مدخلة على شبكة الأفكار جميعها حالة من التهييج تدوم زمناً ما ؛ ثم تنطفيء بعد ذلك إذ يتحول التهييج الساعى وراء التزيغ إلى استثمار راكم . فإن تحقق هذا المخرج الأول ، فقدت العملية كل أهمية مقبلة بالنسبة إلى تكوين الحلم . بيد أن ما قبل شعورنا ترتبص فيه أفكار غائية أخرى تنشعب من موارد في لاشعورنا ومن رغبات متحفزة في كل وقت . ولقد تملك هذه الأفكار الغائية الأخرى زمام التهييج المقترن بطائفة الأفكار التي تركت لشأنها ، فتنشئ رباطاً بينها وبين رغبة لاشعورية وتحوّل إليها الطاقة الخاصة بهذه الرغبة اللاشعورية ، ومن الآن فصاعداً يتسنى الدوام للفكرة المهمة أو المقموعة — وإن كان التعزيز الذي لقيته لا يكسبها حق الدخول إلى الشعور . ولنا أن نعرب عن ذلك بالقول : إن ما كان حتى الساعة عملية فكرية قبل شعورية قد جُرَّ إلى اللاشعور .

وبين الأوضاع الأخرى المؤدية إلى تكوين الحلم أن تكون العملية الفكرية قبل الشعور قد ارتبطت برغبة لاشعورية منذ البدء ، ولهذا قوبلت بالنبذ من جانب الاستثمار الغائى الغالب . أو قد تهيج رغبة لاشعورية لأسباب أخرى (جسمية مثلاً) وتحاول إحداث تحويل إلى البقايا النهارية غير المستثمرة من قبش . دون أن تذهب هذه البقايا إلى ملاقاتها . غير أن هذه الحالات الثلاث جميعها تؤدي في نهاية الأمر إلى نتيجة واحدة ، وهي : أن يظهر في ما قبل الشعور خيط من الأفكار بغير استثمار قبل شعورى ولكنه لقي استثماراً من رغبة لاشعورية .

وابتداء من تلك اللحظة تنتاب هذا الخيط من الأفكار طائفة من التغيرات لانستطيع بعد ذلك أن نعدّها عمليات نفسية سوية ، تغيرات تؤدي في النهاية إلى نتيجة تبعث على استغرابنا ، إلى بناء مرضى . فلنلخص هذه العمليات ونصنفها :

١ — تسمى الشدات الخاصة بالأفكار المتفرقة قادرة على التفرغ جملة واحدة وتنقل من فكرة إلى أخرى بحيث تتكون أفكار مزودة بشدة عظيمة . وإذا كانت هذه العملية تتكرر مرات متعددة ، فمن المحتمل أن تتجمع الشدة الخاصة بخيط من الأفكار بأجمعه في عنصر فكري مفرد . وهذه هي واقعة الضغط أو التكثيف التي ألفناها في عمل الحلم ، وهي المسئلة أولاً عما يطبعنا به الحلم من شعور بالغربة ؛ لأننا لا نعرف لها مثيلاً

على الإطلاق في الحياة النفسية السوية الواقعة في متناول الشعور . صحيح أننا نجد كذلك في الحياة النفسية السوية أفكاراً على قدر عظيم من الأهمية النفسية لأنها نقاط عقد أو نتائج أخيرة لخيط بأجمعها من خيوط الفكر ، ولكن أهميتها هذه لا تعرب عن نفسها في أية سمة تبين للإدراك الباطن على نحو حسي ، فالمحتوى الذى تتمثله في هذه الأفكار لا يزيد شدة تبعاً لأهميتها النفسية بأى وجه من الوجوه . وأما في عملية التكثيف فكل صلة للفكرة بغيرها تتحول إلى زيادة في شدة المحتوى المتمثل فيها . فالحال ههنا لا يختلف منه حين أعد كتاباً للطبع فأبرز منه بالأحرف الكبيرة أو الثقيلة كلمة لها من الأهمية في فهم النص ما ليس لغيرها ، فإن كنت أتحدث نطقت هذه الكلمة عينها بصوت عال بطيء مؤكداً إياها توكيداً خاصاً . وأول هذين التشبيهين يذكرنا على الفور بمثال زودنا به عمل الحلم : بكلمة تريمتيلامين في حلم حقنة إرما . ولقد جذب مؤرخو الفن انتباهنا إلى أن المثاليين في أقدم عصور التاريخ ينصاعون لمبدأ مائل ، فكانوا يعربون عن مكانة الأشخاص بأحجامهم . فالملك يصور وله من الحجم مثل مالا يتباعه أو أعدائه المهزومين ضعفاً أو ضعفين . فإذا جئنا إلى مثال روماني رأيناه يتوسل إلى إحداث ذات الأثر بوسائل أكثر لباقة ، فهو يقيم الإمبراطور في المنتصف ويوقفه منتصب القائمة ويبدل في صوغه من العناية مالا يبدل لسواه ، غير أن الأمبراطور لا يعود عملاقاً بين أقزام . والانحناءات التي يحجي بها الأدنون منا الأكبرين إلى يومنا هذا صدى يردد هذا المبدأ القديم في التصوير .

وأما الاتجاه الذى تتبعه التكثيفات في الحلم فتحده - من جهة - العلاقات المعقولة ، قبل الشعورية ، القائمة بين أفكار الحلم ، ويحدده - من جهة أخرى - جذب الذكريات البصرية القائمة في اللاشعور . ونتيجة النشاط التكثيفي هي بلوغ درجات الشدة اللازمة من أجل النفاذ إلى الأنظمة الإدراكية .

(٢) وينجم كذلك عن الحرية التي تمنحها الشدات قابلة للتحويل أن تتكون تحت سلطان التكثيف أفكار متوسطة ، أشبه بالحلول الوسطى (أنظر الأمثلة المتعددة على ذلك [في ص ٣٠٦ وما بعدها]) . وهذا أيضاً شيء لا نعهده في السير السوي للأفكار ، حيث يعلق معظم الأهمية على اختيار العنصر الفكري «الصائب» والاحتفاظ به . ونرى من ناحية أخرى أن وقوع التراكيب المزيجية والحلول الوسطى يشيع شيوعاً عجيباً حين نحاول الإعراب عن الأفكار قبل الشعورية في كالم . وهي تعد عندئذ ضرباً من «هفوات اللسان» .

(٣) والعلاقات المتبادلة بين الأفكار التي تحول شداتها بعضها إلى بعض علاقات متراخية غاية التراخي . فهي ترابط فيما بينها بمستدعيات من النوع الذي يأنف منه فكرنا السوى ولا يخلى استخدامه إلا للنكات . ونجد بنوع خاص أن المستدعيات القائمة على الجنس التام وغير التام تعامل كما لو كان لها من القيمة مثل ما لغيرها .

(٤) ولا تعمل الأفكار المتناقضة على إبطال بعضها بعضاً بل تبقى جنباً إلى جنب وفي كثير من الأحيان تجتمع في تكوين نتائج التكثيف كما لو لم يكن هناك تناقض بينها أو تنهى إلى حلول وسطى ما كنا نغفرها قط لفكرنا وإن استبحناها كثيراً في عملنا .

هذه بضعة من أعجب العمليات غير السوية التي تنتاب أفكار الحلم — بعد أن تم تكوينها على نهج معقولة — في خلال عمل الحلم . ونرى أن الطابع الرئيس لهذه العمليات هو أن كل الأهمية تنصب فيها على جعل الطاقة المستثمرة متحركة قادرة على التفرغ ، وأما محتوى العناصر النفسية التي ترتبط بها هذه الاستثمارات وما لها من معنى خاص فيعدان أمراً ثانوياً . وربما ظن البعض أن التكثيف وتكوين الحلول الوسطى إنما يؤتيان من أجل تيسير النكوص ، أي حين يتعلق الأمر بتحويل الأفكار إلى صور . ولكن يتبين من تحليل الأحلام التي لا تنطوى على مثل هذا النكوص إلى صور مثل حلم « أوتوديداسكر — محادثة مع الأستاذ ن. [ص ٣١١] » ويتبين على الأخص من تركيبها أنها تضم من عمليات النقل والتكثيف ما يضمه غيرها .

وهكذا نساق إلى هذه النتيجة ، وهي أن نوعين مختلفين من العمليات النفسية يشتركان في تكوين الحلم ، ينتج أحدهما أفكار حلم صحيحة كل الصحة ، تعدل التفكير السوى قيمة ، بينما يعالج الآخر هذه الأفكار علاجاً مغرباً ، مجافياً لمعايير الصحة إلى أبعد مدى . ولقد سبق في الفصل السادس أنا عزلنا هذه العملية الثانية على أنها عمل الحلم بالمعنى الصحيح . فإلى الذي نستطيع قوله الآن في منشأها ؟

إن من المحال أن نجيب عن هذا السؤال إذا لم نكن قطعنا شوطاً في دراسة سيكولوجية الأعصاب والهستيريا بنوع خاص . ولقد علمنا من هذه أن ذات العمليات النفسية غير المعقولة — وأخرى لم نتحدث عنها — تسيطر على إحداث الأعراض الهستيرية . ففي الهستيريا كذلك نصادف طائفة من الأفكار معقولة كل المعقولة ، ولكننا ما كنا نستطيع أول الأمر أن نعلم شيئاً عن وجودها في تلك الصورة ولا نصل إلى إعادة تكوينها إلا من بعد .

فإن هي فرضت نفسها على ملاحظتنا في موضع من المواضع ، اكتشفنا بتحليل العرض المتكون أن هذه الأفكار السوية قد عرّضت لعلاج غير سوى ، فهي قد حولت إلى أعراض بوساطة التكثيف وتكوين الحلول الوسطى ، من طريق المستدعيات السطحية ، وبغض النظر عن المتناقضات ، وربما وفقاً لطريق النكوص . وهذا التطابق التام في الخصائص بين عمل الحلم والنشاط النفسى الذى تنجم عنه الأعراض العصابية يجعلنا نشعر بأننا محقون حين ننقل النتائج التى توصلنا إليها من دراسة المستريا إلى الحلم . وعلى ذلك نستعير من نظرية المستريا القضية الآتية : لا يُعرّض خيط من خيوط الفكر السوية لمعالجة نفسية غير سوية من قبيل ما وصفنا إلا إذا حولت إليه رغبة لاشعورية ناشئة من الطفولة ، مكبوتة . ولقد كان أخذنا منا بهذه القضية أننا أقمنا نظريتنا في الحلم على افتراض أن الرغبة الدافعة إلى الحلم تنشأ في كل حالة من اللاشعور — وهو فرض أسلم أنا نفسى طواعية بأننا لا نستطيع البرهنة على صحته الشاملة ، وإن لم نستطع نقضه كذلك . ولكن لكى نبين ما نعنيه بكلمة « الكبت » التى استبحنا لأنفسنا كل هذه الحرية في استخدامها لا بد لنا من أن نمضى بهيكلنا السيكلوجى مسافة أخرى .

لقد بحثنا من قبل [ص ٥٥٤ وما بعدها] في وهم توهمناه عن جهاز نفسى بدائى ، قاعدة العمل فيه هى السعى إلى تجنب تراكم التهيج والبقاء خلوا منه بقدر الإمكان ، ولهذا بنى على غرار جهاز انعكاسى . وكانت القدرة الحركية التى هى في المحل الأول وسيلة لتغيير الجسم تغييراً باطنياً هى طريق التفرغ الموضوعية في تناول هذا الجهاز . ثم بعد ذلك ناقشنا النتائج النفسية التى تنجم عن خبرة إشباع ، ووسعنا — ونحن لما نزل بهذا الموضوع — أن نضيف فرضاً ثانياً مؤداه أن تراكم التهيج (تراكما يتم على أنحاء مختلفة لا يعيننا أمرها) يحس في صورة ألم وأنه يحرك عندئذ الجهاز إلى العمل بقصد استعادة خبرة الإشباع التى تضمنت إنقاص التهيج إنقاصاً أحس في صورة لذة . ومثل هذا التيار الذى يجرى في الجهاز متبدلاً من الألم متجهاً إلى اللذة قد سميناه رغبة ، وقلنا : إنه لا شئ سوى الرغبة يستطيع أن يحرك الجهاز إلى العمل وإن سير التهيج فيه سير تنظمه أحاسيس اللذة والألم تنظيماً أوتوماتياً . ومن الجائز أن أول اتجاه الرغبة كان إلى استثمار ذكرى الإشباع استثماراً هلوسياً . غير أن أمثال هذه الهلوس لم يلبث أن تبين قصورها عن التادية إلى إنهاء الحاجة ومن ثم إلى اللذة المصاحبة للإشباع — اللهم إلا أن يثبت الجهاز عليها إلى حد الاستنفاد .

ولهذا كان من الضروري أن يظهر إلى الوجود نشاط ثان - أو نشاط صادر عن نظام ثان إذا أردنا التحدث بلغتنا - نشاط لا يترك الاستثمار الذكروى مستمر حتى يبلغ الإدراك ويقيد القوى النفسية من هناك ، بل يعرج بالتهبيج الناشئ عن الحاجة في طريق دائرى مؤد في نهاية الأمر - بعد المرور بالحركة الإرادية - إلى تغيير العالم الخارجى تغييراً يتيح الإدراك الحقيقى لموضوع الإشباع . هذا هو ما انتهينا إليه في أمر صورتنا التخطيطية عن الجهاز النفسى ، والنظامان هما بكرة ما نسميه لاش . وقبش . في الجهاز المكتمل البناء .

ولكن لكى يتسنى تغيير العالم الخارجى تغييراً فعالاً بوساطة القدرة على الحركة ، كان من اللازم أن يدخرفى الأنظمة الذكروية عدد عظيم من الخبرات وتسجيل "تعدد الأوجه" لمتعدد العلاقات التى قد تستثيرها الأفكار الغائية المختلفة في هذه المادة الذكروية . وهنا نستطيع المضى في فروضنا خطوة أخرى . ذلك أن نشاط هذا النظام الثانى وهو يتحسس طريقه من غير انقطاع ويرسل الاستثمارات ثم يعود فيستردها يحتاج من جهة إلى أن يكون له مطلق التصرف في جميع المادة الذكروية ، ولكنه لو أرسل كميات استثمارية عظيمة تضرب في طرق الفكر المختلفة فتتسأل من غير قصد نافع وتنقص الكمية المتوافرة من أجل تغيير العالم الخارجى ، لكان ذلك من الجهة الأخرى إسرافاً في إنفاق الطاقة لا داعى إليه . وعلى ذلك أفترض أخذنا بالمبدأ الغائى أن النظام الثانى قد وفق إلى الاحتفاظ بالجزء الأعظم من طاقته الاستثمارية في حالة من الاستكانة ، ولا يستخدم في النقل إلا جزءاً ضئيلاً . ولست أعلم شيئاً عن ميكانيكية هذه العمليات ، وعلى من أراد أن يأخذ هذه الأفكار مأخذاً الجدل أن يبحث عن مائلاثها في مجال الفيزياء وأن يجد وسيلة نخرج منها بصورة عن الحركات التى تصحب التهبيج في العصبات . ولست أستمسك إلا بتلك الفكرة : أن نشاط أول النظامين . يتجه إلى تأمين التفريغ الحر لكميات التهبيج ، بينما يوفق الثانى بوساطة الاستثمار الصادر عنه إلى كف هذا التفريغ وإلى تحويل الاستثمار إلى استثمار مستكن ، رافعاً منسوبه في الوقت نفسه من غير شك . وعلى ذلك أقدر أن تفريغ التهبيج يخضع تحت سيطرة النظام الثانى لشرائط ميكانيكية تختلف كل الاختلاف منها تحت سيطرة النظام الأول . وما أن يفرغ النظام الثانى من نشاطه الفكرى الاستكشافى حتى يرفع الكف والسلود عن التهبيجات ويتركها تفرغ في الحركة .

فلذا نظرنا إلى العلاقات بين ما يعملها النظام الثانى من هذا الكف للتفريغ وبين مبدأ الألم^(١) ، استتبع ذلك عدة من التأملات الخليقة بالاهتمام . إذ دعنا نبحث عن الطرف النقيض لخبرة الإشباع الأول ، أى عن خبرة رعب خارجى ، لنفترض أن منبهاً إدراكياً قد أثار الجهاز البدائى وأن هذا المنبه كان مصدر تهيج أليم : ستتبع ذلك التهيج مظاهر حركية غير مترابطة تظل باقية إلى أن يجرأ أحدها الجهاز بعيداً عن الإدراك وعن الألم فى الوقت نفسه . فلذا عاد الإدراك إلى الظهور تكررت الحركة (ولتكن فراراً) على الفور ، إلى أن يخفى الإدراك مرة ثانية . وفى هذه الحالة ينعدم كل نزوع إلى استثمار إدراك مصدر الألم من جديد ، سواء أكان ذلك بالهلوسة أو بأية طريقة أخرى ، بلى سوف يتزع الجهاز البدائى على العكس إلى تنحية الصورة الذكورية الأليمة على الفور إذا انتفتت لإثارتها على نحو من الأنحاء ؛ والسبب فى ذلك يقينا هو أن فيضان تهيجها حتى الإدراك من شأنه أن يثير الألم (أو على الأدق : أن يبدأ فى إثارته) . وما يسهل بعد ذلك تجنب الذكرى — وهو تجنب لا يعدو أن يكون تكراراً للفرار السابق من الإدراك — أن الذكرى ، على خلاف الإدراك ، لا تملك كيفية تكفى تهيج الشعور واجتذاب استثمار جديد بهذه الطريقة . وهذا التحول السهل المطرد من جانب العملية النفسية التابعة للذاكرة عن كل ما آلم مرة يزودنا بالنموذج المحتذى للكبث النفسى وبالمثال الأول عليه . ومن الحقائق المعلومه أننا لا نفتأ نرى الشيء الكثير من هذا التحول عما يؤلنا ، أى من سياسة النعمة ، فى الحياة النفسية السوية للأفراد الراشدين .

ونتيجة لمبدأ الألم كان النظام ن. الأول عاجزاً كل العجز عن أن يدخل أى شيء مستكره فى محيط أفكاره ، إنه لا يستطيع شيئاً سوى أن يرغب . فلو قد ظلت الأمور على هذا النحو لعلق النشاط الفكرى للنظام الثانى : لأن هذا النشاط يقتضى أن تكون جميع الذكريات التى تركتها الخبرة فى متناول يده . وههنا يعرض احتمالان : إما أن يتحرر نشاط النظام الثانى من قبضة مبدأ الألم تحرراً تاماً ، فيواصل طريقه غير حافل بألم الذكريات ، أو قد يجد منهجاً فى استثمار الذكريات الأليمة يمكنه من تجنب إطلاق الألم . ولنا أن نسقط الاحتمال الأول ؛ فمن الواضح أن مبدأ الألم يحكم مجرى التهيج فى النظام الثانى بقدر ما يحكمه فى الأول . وعلى ذلك يبقى الاحتمال الآخر ، وهو أن

(١) [Unlustprinzip - ويقول فرويد فى كتاباته اللاحقة : مبدأ اللذة .]

النظام الثانى يستثمر الذكريات بطريقة تمكنه من كف تفريغها بما فى ذلك - إذن -
التفريغ المتجه إلى التمحض عن الألم والذى تمكن مقارنته بتفريغ تعصيب حركى . وبهذا
نكون قد تأدينا من جهتين إلى الفرض القائل بأن الاستثمار الصادر عن النظام الثانى يتضمن
كف تفريغ التهيج فى الوقت ذاته : تأدينا إليه بمراعاة مبدأ الألم ، ثم بالاستناد إلى مبدأ
إنفاق التعصيب بأقل قدر . ولنضع إذن ما يأتى نصب أعيننا لأنه المفتاح إلى نظرية الكبت
جميعها : لا يستطيع النظام الثانى أن يستثمر فكرة ما ، إلا إذا كان فى موقف يمكنه من
كف كل تمحض للألم قد يصدر عنها . وكل ما يستطيع الإفلات من هذا الكف سوف
يخرج عن متناول النظام الثانى خروجه عن متناول الأول ؛ لأنه سوف يهجر على الفور
وفاقاً لمبدأ الألم . إلا أنه ليس من الضرورى أن يكون كف الألم كفاً تاماً ، بل لا بد
على العكس من السماح ببداية منه ؛ لأن هذه البداية هى ما يخطر النظام الثانى بطبيعة
الذكرى التى يتعلق الأمر بها وبما قد يكون من منافرتها للهدف الذى تقصد إليه العملية
الفكرية .

وأسمى العملية النفسية التى لا يسمح بها إلا النظام الأول عملية أولية ، فأما تلك التى
تنجم عن الكف الذى يفرضه النظام الثانى فأسميها عملية ثانوية . وهناك بعد - كما
أستطيع تبيانها - هدف آخر يضطر النظام الثانى من أجله إلى تصحيح العملية الأولية :
ذلك أن العملية الأولية تجهد من أجل تفريغ التهيج لكى تتمكن بمعاونة كمية التهيج
المتراكم على هذا النحو من إقامة عينية إدراكية ، ولكن العملية الثانوية قد تركت هذا
الهدف واتخذت بدله هدفاً آخر ، هو أن تقيم عينية فكرية . فالفكر كله إنما هو
طريق دائرى يبدأ من ذكرى الإشباع التى استحالت إلى فكرة غائية مسهدفاً استثمار هذه
الذكرى عينا استثماراً لا يختلف من الأول ، يرجى بلوغه مرة ثانية من خلال مرحلة
وسطى من الخبرات الحركية . ومن الضرورى للتفكير أن يعنى بالروابط بين الأفكار دون
أن يضلله الانسياق وراء شدتها . ولكن من الواضح أن التكتيفات المصوبة على الأفكار
وكذلك التراكيب المتوسطة والمزيجية لا بد أن تعوق الوصول إلى هذه العينية المستهدفة .
فهى من حيث تضع فكرة فى موضع أخرى تكون سبباً فى الخروج عن الطريق التى
كان من شأنها أن تقود من الفكرة الأولى قدما . وعلى ذلك يتجنب التفكير الثانوى هذه
العمليات فى حرص . ثم إنه من السهل أن نرى أن مبدأ الألم يقيم الصعوبات فى طريق

العملية الفكرية وهى تسعى إلى تحقيق العينية الفكرية ، وإن كان — فيما خلا ذلك — يزودها بأهم سارياتها . ولهذا كان لزماً أن يتجه الفكر أكثر فأكثر إلى التحرر من تحكم مبدأ الألم فيه تحكماً مانعاً ، وإلى وقف الحالة الوجدانية خلال النشاط الفكرى عند الحد الأدنى الذى يتطلبه قيامها بوظيفة العلامة. وتُستهدفُ هذه الدقة الأعظم في أداء الوظائف بوساطة استثمار مضاعف جديد أداته الشعور . غير أننا نعلم أن هذا الهدف قلما تحقق تحققاً كاملاً ولو في الحياة النفسية السوية ، فتفكيرنا يظل دائماً عرضة للتزييف من جراء تدخل مبدأ الألم .

غير أن هذه ليست بالثغرة الوحيدة في الفاعلية الوظيفية لجهازنا النفسى والتي كان من جرائها أن أمكن وقوع الأفكار التي تتمثل لنا باعتبارها ناتجة عن النشاط الفكرى الثانوى تحت وطأة العملية النفسية الأولية — وهى الصيغة التي نستطيع الآن أن نصف بوساطتها النشاط المؤدى إلى الأحلام وإلى الأعراض المسترية على السواء . وإنما تنشأ قلة الكفاية من التقاء عاملين مستمدين من تاريخ نمونا : يرجع أحدهما برمته إلى الجهاز النفسى ثم هو عامل كان له أثره الحاسم في العلاقة بين النظامين ، وأما الآخر فيظهر أثره بدرجة متفاوتة ثم هو عامل يدخل في الحياة النفسية قوى غريزية ذات أصل عضوى . وكلاهما ينبعث من الطفولة ويعجل بالتغيرات التي يمر بها منذ الطفولة كياننا العضوى بشقيه : النفسى والجسمى .

وإني حين سميت إحدى العمليتين النفسيتين في جهازنا عملية أولية لم أراع في ذلك الأهمية النسبية ومدى الفاعلية وحسب ، بل كنت فوق ذلك أريد اسماً يعرب عن سبقها الزمى . نعم ، إن من الحق أنه لا وجود — بقدر ما نعلم — لجهاز نفسى لا يمتلك سوى العملية الأولية وأن مثل هذا الجهاز لا يخرج إلى هذا المدى عن أن يكون وهما نظرياً . ولكن تلك أيضاً حقيقة واقعة : أن العمليات الأولية تحضر منذ البدء في الجهاز النفسى على حين أن العمليات الثانوية لا تنسلخ ولا يتحقق لها كف الأولية والظهور عليها إلا في خلال الحياة ، وربما لم تحقق سيادتها الكاملة إلا في أوج الحياة . ونتيجة لهذا الظهور المتأخر للعمليات الثانوية كان لب وجودنا المتقوم باندفاعات رغبة لاشعورية يظل بعيداً عن أن يناله فهم ما قبل الشعور وكفه ، ويقتصر دور ما قبل الشعور اقتصاراً لا رجعة فيه على توجيه الاندفاعات الرغبة المنبعثة من اللاشعور في أنسب الطرقات ، وتصبح لهذه

الرغبات اللاشعورية قوة قاهرة على مستأنف النزعات النفسية جمعاء — قوة تضطر هذه النزعات إلى مهادنتها وقد تعمل على التعرّيج بها وتوجيهها نحو أهداف أسى . ونتيجة أخرى لهذا الظهور المتأخر للعمليات الثانوية هي : أن منطقة واسعة من المادة الذكورية تغدو بعيدة عن منال الاستثمار قبل الشعوري .

وبين هذه الاندفاعات الراغبة المستقاة من الطفولة والتي لا يمكن هدمها ولا كفها فريق يتناقض تحقيقه والأفكار الغائية التي للتفكير الثانوى . فتحقيق هذه الرغبات لن يولد بعد الآن حالة وجدانية من اللذة بل من الألم ، وهذا التغير للحالة الوجدانية على التحديد هو ماهية ما نسميه « كبتا » ، . وإن مشكلة الكبت لتقوم في السؤال عن كيفية وقوع هذا التحويل وما هي القوى الدافعة إليه . ولكن هذه مشكلة لا نحتاج هنا إلى أكثر من لمسها لمساً ، ويكفي أن نعلم دائماً أن تغييراً من هذا القبيل يخطر بالفعل في أثناء النمو (وحسب المرء أن يذكر كيف ينشأ الاشتزاز للمرة الأولى في الطفولة) وأنه مرتبط بنشاط النظام الثانى . وأقد كانت الذكريات التي على أساسها تثير الرغبة اللاشعورية انطلاق الحالة الوجدانية بعيدة المنال دائماً عن قبش . ؛ ولهذا امتنع كذلك كف انطلاق الحالة الوجدانية المرتبطة بهذه الذكريات . وهذا التولد للحالة الوجدانية هو على التحديد السبب الذى من أجله يستحيل اليوم التوصل إلى هاته الأفكار ولو من طريق الأفكار قبل الشعور التي حولت إليها هاته شداتها . بل — على العكس — يهيمن مبدأ الألم فيجعل قبش. ينصرف عن هذه الأفكار التحويلية : إنها تترك لأنفسها ، « تكبت » ، وبهذا يكون وجود ذخيرة من الذكريات الطفلية المفصولة منذ البدء عن قبش. هو الشرط الذى لا يكون بدونه الكبت .

وفى أحسن الأحوال ينقطع تولد الألم بسحب الاستثمار من الأفكار التحويلية التي فى قبش. وهذه النتيجة تعنى أن تدخل مبدأ الألم قد حقق غرضاً نافعاً . ولكن الموقف يختلف حين تلقى الرغبة المكبوتة تعزيزاً عضوياً تمرره إلى أفكارها التحويلية ؛ لأنها قد تتمكن بذلك من محاولة النفاذ بتبهيجهها — وإن تكن قد فقدت استثمارها من قبش. وعندئذ يعقب كفاح دفاعى ، إذ يعزز قبش. بدوره معارضته للأفكار المكبوتة (أى يولد استثمارات مضادة) ، ثم بعد ذلك تشق الأفكار التحويلية — وهى مراكب الرغبات اللاشعورية — طريقها إلى صورة من صور الحلول الوسطى يتم بلوغها بإحداث العرض .

ولكن العمليات الفكرية ، منذ اللحظة التي يشتد فيها استثمارها من جانب الاندفاع الراغب اللاشعورى ويتخلل عنها من الجهة الأخرى الاستثمار قبل الشعورى ، تقع تحت وطأة العمليات الأولية وينصب هدفها الأخير هو التفرغ الحركى أو بعث العينية الإدراكية بعثاً هلوسياً - إذا كان الطريق إلى ذلك مفتوحاً . ولقد رأينا من قبل بالرجوع إلى الخبرة أن العمليات اللامعقولة التي وصفناها لا تنطبق إلا على الأفكار الخاضعة للكبت ، وفي مقدرونا الآن أن نزيد بصراً بعض الشيء بالموقف في جملة : فالعمليات اللامعقولة في الجهاز النفسى هي العمليات الأولية وهي تظهر حينما تهجر الأفكار من جانب الاستثمار الشعورى وتترك لأنفسها وتصبح مشحونة بطاقة غير مكفوفة من اللاشعور تجهد من أجل الوصول إلى منفذ . وهناك ملاحظات أخرى تؤيد القول بأن هذه العمليات التي نصفها باللامعقولة ليست في الحقيقة تزييفاً يداخل العمليات السوية ، خطأ عقلياً ، بل أنماطاً من نشاط الجهاز النفسى ارتفع عنها الكف . وهكذا نجد أن انتقال التهييج قبل الشعورى إلى الحركة يخضع لهذه العمليات ذاتها وأن ربط الأفكار قبل الشعورية بالألفاظ قد يبدى بسهولة ذات الصور من النقل والخلط التي ننسبها بعد ذلك إلى انصراف الانتباه . وهناك أخيراً ، واقعة نستطيع أن نرى فيها شاهداً على ما يستلزمه كف هذه الطرائق الأولية في التصريف من جهد الاحتراس ، وأعني بها : أننا نحدث تأثيراً مضحكاً ، أى نفرغ فائضاً من الطاقة في الضحك ، حين نترك هذه الطرائق الأولية للتفكير تنفذ إلى الشعور .

إن نظرية الأعصاب تؤكد في يقين يمنع كل استثناء أن الاندفاعات الراغبة الجنسية المستمدة من الطفولة والتي أصابها الكبت (أى تغيير حالتها الوجدانية) في خلال النمو الطفلى هي وحدها القادرة على أن تبعث بعثاً جديداً في خلال فترات النمو اللاحقة (سواء أكان ذلك نتيجة لتكوين الشخص الجنى الذى يتفرع عن مرحلة ابتدائية من الثنائية الجنسية ، أم كان نتيجة لتأثيرات غير مواتية في مجرى حياته الجنسية) وبذلك توفر القوة الدافعة التي تلزم من أجل تكوين الأعراض العصابية بكل أنواعها . ولسنا نستطيع أن نسد أوجه النقص التي لا تزال تتجلى في نظرية الكبت إلا بإدخال هذه القوى الجنسية في حسابنا . ولكن هل تستلزم نظرية الأحلام كذلك هذه العوامل الجنسية الطفلية ؟ هذا سؤال أتركه معلقاً . سأترك النظرية ناقصة في هذا الموضع ، فقد تخطيت نطاق ما

تمكن البرهنة عليه مرة من قبل حين افترضت أن رغبات الحلم تنبعث في جميع الأحوال من اللاشعور^(١). ولا أنا أنتوى متابعة البحث في ماهية التفرقة بين لعب القوى النفسية في الأحلام ولعبها في الأعراض الهستيرية ، فلسنا نملك بعد معرفة دقيقة الدقة الكافية بأحد طرفي المقارنة . غير أن ثمت مسألة أخرى هي التي أعلق الأهمية عليها وأعترف بادئ ذي بدء بأنني ما خضت إلا من أجلها في جميع هذه المناقشات حول النظامين النفسيين وطرائقهما في العمل وحول الكبت . إن المسألة لا تتعلق الآن بما إذا كنت قد تصورت العوامل السيكلولوجية التي نحن في صدد الحديث عنها تصوراً يقارب الصواب أو - على العكس - مشوهاً غير مكتمل (وهو أمر محتمل جداً في مسائل هذا حظها من الصعوبة) ؛ فهما تغير تعبيرنا عن الرقابة النفسية وعما يصيب محتوى الحلم من المراجعات المعقولة والشاذة فإنه يظل من الحق أن هناك عمليات من هذا النوع تعمل عملها في تكوين الحلم وأنها - من حيث سماتها الجوهرية - تبدى أوثق التماثل مع العمليات الملحوظة في تكوين الأعراض الهستيرية . ولكن الحلم ليس ظاهرة مرضية ، إنه لا يفترض اختلالاً في التوازن النفسي قبله ولا يخلف نقصاناً في الفاعلية وراءه . فإن قلنا : إن أحلامى وأحلام مرضاي العصائين لا تبرر الذهاب إلى نتائج تمس أحلام الأسوياء ، فذلك يقينا اعتراض يحق لنا إغفاله

(١) لقد تعمدت أن أترك مناقشة هذا الموضوع ذاقصة في هذا الموضع كما في غيره ؛ لأن مد أوجه النقص كان يقتضى جهداً لا أطيقه من جهة ، ثم هو من الجهة الأخرى يقتضى الالتجاء إلى مادة غريبة عن موضوع الأحلام . ومثال ذلك أنني أغفلت أن أذكر ما إذا كنت أنسب معنى مختلفاً إلى كل من كلمتي « القمع » و « الكبت » - وإن كنا فهمنا من غير شك أن الكلمة الأخيرة تؤكد الارتباط باللاشعور أكثر مما تؤكد سابقتهما . ثم إنني لم أتعرض كذلك لتلك المشكلة الواضحة ، وأعني بها : لم تخضع أفكار الحلم لنشويه الرقابة وإن تكن تركت طريق التقدم نحو الشعور واختارت طريق النكوص ؟ وهناك نقاط كثيرة أخرى تماثل هذه حلقتها . ذلك أن همي كان يتجه قبل كل شيء إلى خلق شعور بالمشكلات التي لا مفر من أن يقودنا إليها تحليل أبعد غوراً لمشكلات الحلم والإيماء إلى سائر الموضوعات التي يفرزها هذا التحليل . ولم يكن من السهل على دائماً أن أقطع برأى في أين ينبغي الوقوف عن الاستقصاء . - فأما أنني لم أعالج النصب الذي يرجع إلى عالم الأفكار الجنسية في الأحلام علاجاً مستوفى وتجنبت تحليل الأحلام ذات المحتوى الجنسي الصريح ، فذلك ما يرجع إلى أسباب خاصة - قد لا تكون هي ما يتوقعه للقارئ ؛ فلا شيء يبعد عن نظرائي الخاصة أو عن آرائي النظرية في علم الأمراض العصبية مثل اعتبار الحياة الجنسية شيئاً مخجلاً ليس لطبيب ولا لباحث علمي أن يشغل به . وبالإضافة إلى ذلك فإن الاستنكاف الخلق الذي جعل مترجم كتاب *Oncirocritica* لأرتيميدوروس الأفسوسي يحجز الفصل الخاص بالأحلام الجنسية عن معرفة قرائه ، هذا الاستنكاف يبدو لي شيئاً مضحكاً . وإنما حملني على أن أصنع ما صنعت أنني رأيت أن إيضاح الأحلام الجنسية سوف يوغل بي في مناقشات عن الانحراف وعن الجنسية الثنائية لم تجد حلها بعد ، وعلى ذلك تركت هذه المادة لمناسبة أخرى .

من غير تعليق . وإن جاز - إذن - أن نستدل استدلالاً راجعاً من الظواهر إلى قواها الدافعة ، لزم التسليم بأن الميكانيكية المستخدمة في الأعصبة لم تخلق خلقاً تحت وطأة اضطراب ألم بالحياة النفسية فأمرضها ، بل هي شيء مهياً من قبل في تركيب الجهاز النفسى . فالنظامان النفسيان والرقابة المضروبة على الانتقال بينهما وكف أحدهما الآخر وظهوره عليه وعلاقات كليهما بالشعور ، كل هذه أو ما قد يحل محلها من أى تفسير آخر أكثر صواباً للظواهر الملحوظة تكون جزءاً من التركيب السوى لعدتنا النفسية ، وما تعدو الأحلام أن ترينا أحد الطرق المؤدية إلى فهم هذا التركيب . فلو أننا أردنا أن نكتفى بالقدر الأدنى من المعرفة الجديدة الموطدة تمام التوطيد ، لكان في مستطاعنا القول : إن الأحلام تثبت أن ما يجمع يظل باقياً عند أسوياء الناس وشواذهم على السواء ، ويظل قادراً على النشاط النفسى . والحلم نفسه مظهر من مظاهر هذه المادة المقموعة ، ذلك صحيح بحسب النظرية في كل حالة وصحيح بحسب الخبرة في عدد كبير من الحالات - على الأقل - وهى على التحقيق تلك الحالات التى تتجلى فيها السمات الملحوظة للحياة الحاملة أوضح ما تكون للعيان . وما هو مقموع يمنع من الإفصاح عن نفسه ويحال دونه والإدراك الباطنى في أثناء النهار ؛ لأن المتناقضات تبطل إذ ذاك فلا يؤخذ إلا بأحد الطرفين المتقابلين دون الآخر . فإذا جاءت حياة الليل وساد التزوع إلى تكوين الحلول الوسطى ، وجد المقموع العدة والسبيل إلى بلوغ الشعور :

ولئن لم أثن السماوات ، حركت الآخرين

إن تفسير الأحلام هو الطريق الملكية إلى معرفة ما هو لاشعورى في الحياة النفسية . وإننا إذ نقوم بتحليل الأحلام نتقدم خطوة في فهم تركيب هذه العدة التى هى أعجب العدد وأحفلها سرا - خطوة صغيرة من غير شك ، لكنها البداية . وهذه البداية يمكننا من متابعة تحليلها بالاستناد إلى تراكيب أخرى لا مفر من نعمها بالمرضية ؛ لأن الأمراض - أو على الأقل تلك نسميها بحق أمراضاً وظيفية - لا تفترض تفكك الجهاز أو حدوث انشقاقات جديدة في داخله ، وإنما ينبغى تفسيرها على أساس دينامى : بالقوة والضعف يصيبان مختلف المقومات في اللعب المتبادل بين القوى ، هذا اللعب الذى يخفى علينا الشيء الكثير من آثاره حين تكون الوظائف في حالتها السوية . ولعل أتمكن في

موضع آخر من أن أبين كيف أن تَقَوُّمَ الجهاز بجهتي اختصاص يتيح للنشاط السوى دقة أعظم ، ما كانت لتتسنى له لو كان تَقَوُّمُ الجهاز بواحدة^(١) .

و

اللاشعور والشعور

الواقع

إننا إذا أنعمنا النظر رأينا أن ما تدعونا مناقشاتنا في الأقسام السابقة إلى افتراضه ليس وجود نظامين على مقربة من الطرف الحركي للجهاز ، بل وجود نوعين من العمليات التهييجية أو من أنماط التفريغ . والأمر كله عندنا سيان ؛ فمن الواجب أن نكون معدين في كل وقت لأن نلقى بهيكلنا التصوري ، إذا أحسنا أننا قادرون على أن نستبدل به شيئاً آخر يزيد اقتراباً من الحقيقة المجهولة . وعلى ذلك دعنا نصصح بعض التصورات التي قد تكون ساقتنا إلى الخطأ طالما كنا ننظر إلى النظامين بالمعنى الحرفي الفج كما لو كانا محلين في الجهاز النفسي - وهي تصورات تركت آثارها في تعبيرات مثل « كَبَتَ » و « نَفَدَ » . فنحن إذ نتحدث على هذا النحو عن لاشعور يحاول الانتقال إلى ما قبل الشعور بحيث يتمكن بعد ذلك من النفاذ إلى الشعور ، لا نغنى بذلك أن فكرة ثانية قد تكونت في محل جديد مثل منسوخ يظل قائماً إلى جانب الأصل . وكذلك فكرة النفاذ إلى الشعور : إن من الواجب تجريبها من كل تغيير في المحل . ونحن نتحدث عن فكرة قبل شعورية كبنت أو دفعت فاستولى عليها الشعور ، فهذه الأخيصة المستعارة من تصورات مدارها الصراع حول قطعة من الأرض قد تغرينا لإغراء يجعلنا نفترض أن هناك حقيقة تجمعها من العناصر النفسية في مكان ما ، يتبدد ثم يحل محله تنظيم جديد في مكان آخر . ألا

(١) إن الحلم ليس الظاهرة الوحيدة التي تمكننا من أن نجد سائلاً لعلم النفس المرضى في نطاق علم النفس العام ؛ فقد حاولت في طائفة من المقالات لم تكمل بعد أن أفسر عدداً من ظواهر الحياة اليومية باعتبارها شادداً يؤيد ذات النتائج (١٨٩٨ ب ، ١٨٩٩ أ) - [هامش أضيف سنة ١٩٠٩ :] منذ كتابة هذه السطور جمعت هذه المقالات وأخرى تزيد عليها في النسيان وهفوات اللسان والأفعال العائرة ، إلخ . تحت عنوان « سيكوباتولوجية الحياة اليومية » (فرويد ١٩٠١ ب) .

فلنبدل هذه الاستعارات شيئاً آخر يبدو أكثر موافقة لواقع الأشياء ، ولنقل : إن تجمعاً ما من العناصر النفسية قد اقترنت به أو ردت عنه طاقة استثمارية ، بحيث يقع المركب النفسى الذى نعينه تحت سلطان جهة اختصاص معينة أو يفصل منها . والذى نحن صانعه ههنا هو من جديد أننا نستبدل بطريقة طوبوغرافية فى وصف الأشياء طريقة أخرى دينامية : فما يبدو لنا الآن حاصلًا على الحركة ليس المكوّن النفسى فى ذاته ، بل تعصبيه^(١).

غير أننى أرى مع ذلك أن الإمساك بصورتنا التشبيهية عن النظامين شىء نافع له ما يبرره . ومن الممكن أن نتجنب كل استخدام سيئ لهذا المنهج فى تصوير الأمور إذا تذكرنا أن الأفكار والتصورات والأبنية النفسية عامة يجب ألا ينظر إليها على الإطلاق كما لو كانت متحيزة فى عناصر عضوية للجهاز النفسى ، بل هى — إن جاز التعبير — قائمة بينها ، حيث توفر المقاومات والتدليلات المتضايقات المقابلة لهذه الأبنية . فكل ما يمكن أن يكون موضوعاً للإدراك الباطن إنما يوجد بالقوة ، مثل الصورة الحادثة فى المقراب عند مرور أشعة الضوء . ولكن يحق لنا أن نفترض وجود هذه الأنظمة (وهى ليست فى ذاتها بالشىء النفسى على الإطلاق ولا تنال أبداً بإدراكنا النفسى) مثل العدسات التى تعكس الصورة فى المقراب . وإذا جاز أن نتابع هذه المماثلة ، فلنا أن نقارن الرقابة بين النظامين بالانكسار الذى يصيب شعاع الضوء عند مروره فى وسط جديد .

ولقد ظللنا حتى الساعة نلئ بشروحنا السيكلوجية غير مستندين إلا إلى أنفسنا . والآن حان وقت النظر فى الآراء التى تهيم اليوم على علم النفس وبحث ما بينها وبين فروضنا من العلاقات : إن مشكلة اللاشعور — على حسب كلمات ليبس القوية — ليست مشكلة من مشكلات علم النفس قدر كونها مشكلة هذا العلم . وما دام علم النفس ينفض يده من هذه المشكلة بإيضاح لفظى حاصله أن « النفسى » يعنى « الشعورى » وأن الحديث عن « عمليات نفسية لاشعورية » تناقض ملموس ، فقد امتنع كل سبيل إلى تقدير الملاحظات التى يحصلها الطبيب فى صدد الحالات النفسية المرضية . ولا يستطيع الطبيب والفيلسوف أن يلتقيا إلا إذا سلما كلاهما بأن قولنا : « العمليات النفسية

(١) [هامش أصيف سنة ١٩٢٥ :] لقد صار من الضرورى إحكام صياغة هذه النظرية وتعديلها بعد أن تبين أن السمة الجوهرية للفكرة قبل الشعورية هى ارتباطها بآثار الصور اللفظية . (انظر مقال عن « اللاشعور » ١٩١٥ .)

اللاشعورية» هو «الحد الذى يعرب إعراباً ملائماً مشروعاً عن حقيقة موطدة توطيداً راسخاً». ولا يسع الطبيب إلا أن يهز كتفيه حين يسمع من يؤكد له أن «الشعور سمة لازمة لما هو نفسى»، وربما قدر - إذا كان احترامه لأقوال الفلاسفة لا يزال قوياً - أن هؤلاء لا يعالجون ذات الموضوع ولا يشتغلون بذات العلم. ذلك لأن ملاحظة واحدة ممتلئة بالفهم لأحد العصبيين، أو تحليلًا مفرداً لأحد الأحلام، لا بد أن يتركه وهو راسخ الاعتقاد بأن أشد العمليات الفكرية تعقداً ومعقولة، تلك التى لا نستطيع يقيناً أن نأبى عليها اسم العمليات النفسية، قد تحدث دون أن تستثير شعور المرء. صحيح أن الطبيب لا يستطيع أن يعلم شيئاً عن هذه العمليات اللاشعورية حتى تحدث أثراً فى الشعور يمكن نقله إلى الغير أو ملاحظته، ولكن هذا الأثر الشعورى قد يبدى خاصة نفسية تخالف العملية اللاشعورية كل المخالفة، بحيث يستحيل على الإدراك الباطن أن يعرف فى أحد الطرفين بديل الآخر^(١). ومن الواجب أن يشعر الطبيب بحقه فى اتباع طريق الاستدلال من الأثر الشعورى إلى العملية النفسية اللاشعورية، وإنه ليعلم عندئذ أن الأثر الشعورى ليس إلا نتيجة نفسية بعيدة للعملية اللاشعورية، وأن هذه العملية الأخيرة لم تصر شعورية كما هى، وأنها - فوق ذلك - كانت حاضرة وكانت تعمل عملها وإن لم تتم عن وجودها للشعور بأى وجه من الوجوه.

نعم، إن من الجوهري أن ننزل عن المغالاة فى تقدير خاصة الشعور قبل أن يصبح فى مستطاعنا أن نكون أى رأى صحيح فى منشأ ما هو نفسى. ومن الواجب - كما يقول ليس - أن نفترض أن اللاشعور هو الأساس العام للحياة النفسية. فاللاشعور هو المنطقة الأوسع التى تضم بين جوانبها منطقة الشعور الأضيق نطاقاً. فكل ما هو شعورى له مرحلة تمهيدية لاشعورية، بينما قد يظل اللاشعورى على هذه المرحلة ولا يفقد مع ذلك

(١) يسمنى أن أكون قادراً على الإشارة إلى مؤلف استخلص من دراسة الأحلام ذات النتائج التى استخرجتها فى صدد العلاقة بين النشاط الشعورى واللاشعورى.

يقول دوبرل (١٨٨٥، ٤٧): «من الواضح أن مشكلة طبيعة النفس تقتضى بحثاً مبدئياً فيما إذا كان الشعور والنفس شيئاً واحداً. وتجيب الأحلام عن هذا السؤال المبدأى بالنفى؛ فهى تريننا أن تصور النفس أوسع من تصور الشعور، على النحو الذى تمتد عليه قوة الجاذبية التى لجسم سماوى إلى ما وراء مجال انتشاره الضوئى.»

وفى موضع آخر (٣٠٦): «إن من الحقائق التى لا يستطيع المرء أبداً إعطاؤها حقها من التميز كون الشعور والنفس لا يتساويان فى المصدق.»

حقه في أن نسلم له بكل قيمة العملية النفسية . فاللاشعور هو الواقع النفسى الحقيقى وهو في طبيعته الباطنة مجهول منا ، نجهله قدر جهلنا بحقيقة العالم الخارجى ، كما أنه لا يمثل لنا بوساطة معطيات الشعور إلا مثولاً ناقصاً على نحو ما يمثل العالم الخارجى بوساطة رسائل أعضائنا الحسية .

فأما وقد انكمش التقابل القديم بين الحياة الشعورية وحياة الحلم إلى أبعاده الصحيحة بإثبات الوجود النفسى اللاشعورى . فإن عدداً من مشكلات الحلم التى كانت تستغرق من الكتاب السابقين اهتماماً عميقاً يفقد الآن كل قيمته . مثال ذلك بعض الأفعال التى كان النجاح فى أدائها فى الحلم مثارة للعجب : إننا لن نعزوها بعد الآن إلى الحلم ذاته بل إلى التفكير اللاشعورى الذى يعمل أيضاً فى النهار مثلما يعمل فى الليل . وإذا بدا - على حسب شرر - أن الحلم يلهو بتصوير الجسم تصويراً رمزياً ، فنحن نعلم الآن أن هذه التصويرات نتاج صدر عن تخيلات لا شعورية معينة تنفرع فى الراجع عن اندفاعات جنسية ولا تنفصح عن نفسها فى الأحلام وحدها بل فى المخاوف الهستيرية وغيرها من الأمراض كذلك . وإذا واصل الحلم أعمال النهار وأتمها ، لا بل إذا أتى إلى النور بأفكار مستحدثة قيمة ، فكل ما نحتاج إليه هو أن ننتزع هنا قناع الحلم الذى هو نتيجة عمل الحلم وأمانة على معاونة ما بأعماق النفس من غامض القوى (انظر الشيطان فى حلم سولانا تارتيني)^(١) ؛ فالنتاج العقلى إنما يرجع إلى ذات القوى النفسية التى تنتج فى النهار كل ما شاكلة . وأغلب الظن أننا نترع أيضاً نزوعاً كبيراً إلى المغالاة فى تقدير الطابع الشعورى للنتاج العقلى والفنى ، ولكن ما يروى عن بعض الرجال ممن تبلغ قدرتهم الخالقة الذروة من أمثال جوته وهلمهولتس يرينا أن الجوهرى والطريف فى خلقهم كان يأتهم غير مسبوق بالتدبير ، فى صورة كل كاد أن يتم تكويننا . والحق أنه لا غرابة إذا حدث فى حالات غير هذه ، حيث تتطلب الأمور تركيز كل ملكة عقلية يملكها المرء ، أن يدلى النشاط الشعورى كذلك بدلوه ، إلا أن لهذا النشاط الشعورى ميزة كثيراً ما ضللتنا : فهو حينما أدلى بدلوه أخفى علينا كل نشاط سواه .

(١) [تارتيني عازف كان ومؤلف موسيقى ولد عام ١٦٩٢ فى بيرانو ومات عام ١٧٧٠ فى بادو . وتؤثر عنه قصة خلاصتها أنه حلم حُلماً رأى فيه أنه باع نفسه للشيطان ، فأمسك الشيطان بكان وعزف له فى مهارة لا تقصارع « سولانا » فائقة الجمال . وعندئذ استيقظ الموسيقى فدون على الفور ما علق بذاكرته وهكذا خرجت إلى الناس المقطوعة التى عرفت باسم : "Trillo del Diavolo" .]

ولو أنا أردنا أن نندب بحثاً خاصاً لموضوع الأهمية التاريخية للأحلام ، ما كاد ذلك أن يثمر ما يعوض جهلنا . فربما صح أن حلماً قد حفز قائداً إلى الشروع في حملة جريئة غير نجاحها وجه التاريخ ، ولكن ذلك إنما يثير مشكلة جديدة ما دمنا نرى في الحلم قوة غريبة تغاير سائر القوى التي نحن أكثر ألفة بها ، ولا يعود للمشكلة وجود إذا عرفنا في الحلم صورة من صور التعبير عن اندفاعات تظل تحت ضغط المقاومة في خلال النهار ولكنها في أثناء الليل تستطيع أن تجد معزراً تستمده من موارد تهيجية عميقة الطبقة ^(١) . غير أن الاحترام الذي كانت تلقاه الأحلام بين الشعوب القديمة كان يقوم مع ذلك على بصر سيكولوجي صحيح : إنه التحية المرسلة إلى ما يعتمل في أعماق النفس الإنسانية من قوى لا حاكم لها ولا هادم ، إلى القوة « الشيطانية » التي تولد رغبة الحلم والتي نراها تعمل في لا شعورنا .

وإني إذ أقول : « في لا شعورنا » لا يخلو قولي من القصد ؛ لأن ما أسميه كذلك شيء يختلف من لا شعور الفلاسفة ، بل إنه يختلف من اللاشعور الذي يتحدث عنه ليبس . فهؤلاء إنما يستخدمون هذا الاسم للدلالة به على محض الاختلاف عن الشعور ؛ فالرأى الذي يثير منهم كل هذا الجدل المحتدم ويدافعون عنه بكل هذه الحمية هو أن ثمت عمليات نفسية لاشعورية بالإضافة إلى الشعور . ويمضى ليبس بالأمور مرحلة أبعد حين يؤكد أن النفس في جملته يوجد وجوداً لاشعورياً وأن جزءاً منه فقط هو الذي يوجد أيضاً وجوداً شعورياً . وأما نحن فما استعنا بظواهر الحلم وتكوين الأعراض المستيرية لنقيم هذا الرأي ؛ فقد كانت الحياة المستيقظة السوية تكن في إثباته إثباتاً لا يرق إليه ظل من الشك . وإنما يقوم كشفنا الجديد الذي تعلمناه من تحليل الأبنية المرضية وتحليل أولها (وأعني الحلم) في كوننا عرفنا أن اللاشعور (ومن ثم النفس) وظيفة خاصة بنظامين مستقلين وأن الأمر كذلك في الحياة السوية والمرضية على السواء . وهكذا يكون هناك ضربان من اللاشعور لم يفرق بينهما علماء النفس حتى الآن . وكلا هذين لاشعوري بالمعنى المألوف في علم النفس ، وأما عندنا نحن فأحد هذين النظامين (هذا الذي نسميه لاش .) يخصص فوق ذلك بكونه لا يقبل في الشعور ، بينما نسمى الآخر قبش . لأن تهيجاته قادرة على بلوغ الشعور —

(١) [هامش أضيف سنة ١٩١١ :] انظر هذه المناسبة حلم الإسكندر الأكبر في أثناء حصار

صور (سانيروس) . [ارجع إل ص ١٢٩ في الهامش .]

وإن كان من الحق أن ذلك لا يتم إلا بعد مراعاة قواعد معينة وربما كان لا يتم إلا بعد المرور برقابة جديدة ولكن دون التفات إلى لاش. مع ذلك . ولقد أعاننا على إنشاء المماثلة المكانية أن التهييجات لكي تصل إلى الشعور يتحتم عليها المرور بسلسلة أو مراتب ثابتة ينم عنها التعديل الذي يصيب هذه التهييجات على يد الرقابة . ووصفنا العلاقة بين النظامين كلا والآخر وبين كليهما والشعور بقولنا : إن النظام قبش . يقوم مثل ستار بين النظام لاش . والشعور . ولا يقتصر النظام قبش . على إيباص الطريق إلى الشعور ، بل يتحكم كذلك في المرور إلى قدرة الحركة الإرادية ، ثم هو حاصل على طاقة استثمارية متحركة موضوعة في متناوله لتوزيعها ، وجزء من هذه الطاقة هو المألوف لنا في صورة الانتباه [أنظر ص ٥٧٩] .

ومن الواجب فوق ذلك أن نتجنب التفرقة بين « ما فوق الشعور » و « ما تحت الشعور » وهي التفرقة التي صادفت هوى كبيراً في المؤلفات الحديثة عن الأعصاب النفسية ؛ لأن مثل هذه التفرقة تبدو كأنما قد جعلت خصيصاً لتركيذ التعادل بين ما هو نفسى وما هو شعورى .

ولكن أى عمل يبق - بحسب تصورنا - للشعور ، بعد أن كان مطلق القدرة يوماً وكان يحجب كل شيء عداه ؟ إنه عضو حسى مجعول لإدراك الكيفيات النفسية : هذا هو كل عمله . فنحن بحسب الأفكار التي توجه محاولتنا التخطيطية ، لا نستطيع أن نرى في الإدراك الشعورى لإلاوظيفة خاصة بنظام معين من الملائم أن ندل عليه اختصاراً بحرف ش . ونحن نقدر أن هذا النظام يشبه الأنظمة الإدراكية إد . من حيث خصائصه الميكانيكية ، أى أنه قابل لأن يتهيج بوساطة الكيفيات ، ولكنه عاجز عن أن يحتفظ بآثار التغيرات ، أى خال من الذاكرة . والجهاز النفسى المتجه بعضو الحس الخاص بالأنظمة إد . جهة العالم الخارجى هو هو العالم الخارجى مأخوذاً في علاقته بعضو الحس ش . الذى يقوم تبريره الغائى في هذه الملابس . وههنا نصادف من جديد مبدأ ترتب

(١) (هامش أضيف سنة ١٩١٤ :) انظر مقالتي « ملاحظات حول تصور اللاشعور في التحليل النفسى » (فرويد ١٩١٢ ز) - وهو مقال نشر للمرة الأولى باللغة الإنجليزية في محاضر الأبحاث النفسية ، ٢٦ ، فيه فرقت بين المعانى الوصفية والدينامية والنظامية لهذا اللفظ البالغ مبلغاً كبيراً من الاشتراك : لفظ « اللاشعور » .

جهات الاختصاص درجات - وهو المبدأ الذى يبدو مسيطراً على تركيب الجهاز .
وتنصب المادة التهييجية فى عضو الحسى ش. من جهتين : من النظام إد. الذى نرجح
أن تهيجة المحدد بالكيفيات يخضع لرقابة جديدة قبل أن يصير إحساساً شعورياً ،
ثم من باطن الجهاز النفسى الذى تُحَسُّ عملياته الكمية - حين تشق طريقها إلى الشعور
بعد تعديلات معينة - فى السلسلة الكيفية للذة والألم .

وقد لاقى أولئك الفلاسفة الذين فطنوا إلى أن الأبنية الفكرية المعقولة البالغة التعقيد
ممكنة دون أى مشاركة من جانب الشعور ، لاقوا صعوبة كبرى فى تحديد وظيفة ما لهذا
الأخير ، فبدأ لهم أنه لا يمكن أن يزيد على كونه صورة لا طائل منها تعكس العملية
النفسية المنهارة . وأما نحن فتخلصنا المماثلة بين نظامنا ش. وبين الأنظمة الإدراكية
من هذا الارتباك . فنحن نعلم أن من نتيجة الإدراك بوساطة أعضائنا الحسية توجيه قدر
من استثمار الانتباه فى الطرقات التى ينتشر فيها التهيج الحسى الوافد ، أى أن التهيج
الكيفى للنظام إد. يفيد الكمية المتحركة فى الجهاز من حيث يعمل عمل المؤثر والمنظم
بالنسبة إلى توزيعها . وفى وسعنا أن ننسب هذه الوظيفة عنها إلى العضو الحسى الأعلى
الخاص بالنظام ش. : فهو إذ يدرك كيفيات جديدة بأى مشاركة جديدة فى توجيه كميات
الاستثمار المتحركة وفى توزيعها على نحو ملائم مفيد ، كما أنه بوساطة إدراكه للذة والألم
يؤثر فى توزيع تفريغ الاستثمار فى داخل الجهاز النفسى الذى هو - فيما خلا ذلك - جهاز
لا شعورى يعمل بوساطة النقلة فى الكميات . والراجع ، على ما يبدو ، هو أن مبدأ
الألم ينظم نقلة الاستثمار تنظيمياً آلياً فى المحل الأول . ولكن من الممكن كل الإمكان أن
يضيف الشعور بهذه الكيفيات تنظيمياً ثانياً أكثر تمييزاً ، بل قادراً على معارضة التنظيم
الأول وأن يكمل فاعلية الجهاز بتمكينه - على عكس خطته الأولى - من استثمار ما قد
يصطحب بالألم ومواجهته . ونعلم من سيكولوجية الأعصاب أن هذه العمليات التنظيمية التى
تم بوساطة التهيج الكيفى لأعضاء الحس تؤدي دوراً كبيراً فى النشاط الوظيفى للجهاز .
فالسيطرة الأوتوماتية الأولى التى لمبدأ الألم - مع ما تستتبعه هذه السيطرة من حد فاعلية
الجهاز - تقف عند حد بفعل عمليات التنظيم الحسى التى هى بدورها عمليات أوتوماتية .
وإننا لنجد أن الكبت (وهو الذى يؤدي فى النهاية إلى فقدان ضار للكف والقدرة على
ضبط النفس وإن كان يخدم فى الأصل قصداً نافعاً) نجد أنه يصيب الذكريات أسهل

كثيراً مما يصيب الإدراكات ؛ لأن الذكريات لا تستطيع أن تتلقى استثماراً إضافياً من تهيج أعضاء الحس النفسية . فع أن من الحق أن فكرة وجب استبعادها لا تستطيع أن تصبح شعورية لأنها قد لاقت كبتاً ، إلا أنه قد يحدث في مرة أخرى أن تلاقى مثل هذه الفكرة كبتاً ، لا لشيء سوى أنها - لأسباب أخرى - قد فصلت من الإدراك الشعوري . وكل هذه إشارات ننتفع بها في فن العلاج من أجل إزالة ما قد تحقق من الكبت .

وأحسن دليل يبين من وجهة نظر غائية قيمة الاستثمار المضاعف الذي يدخله التأثير التنظيمي لعضو الحس ش . على الكميات المتحركة هو ظهور سلسلة جديدة من الكيفيات إلى الوجود ، ومن ثم ظهور تنظيم جديد هو الذي يكون تفوق الإنسان على الحيوان . فالعمليات الفكرية مجردة في ذاتها من الكيفيات ، إلا من حيث ما يصحبها من التهيجات اللاذعة وغير اللاذعة والتي يتحتم حصرها في نطاق محدود نظراً لما تدخله من أثر مزعج على التفكير . ولكي تكتسب العمليات الفكرية كيفاً ربطت لدى الكائنات الإنسانية بذكريات لفظية تكفي بقاهاها الكيفية في جذب انتباه الشعور إليها وفي إكساب عملية التفكير استثماراً جديداً متحركاً من جانب الشعور [انظر ص ٥٦٢ وص ٥٩٣ في الهامش] .

ولسنا نستطيع الإلمام بمشكلات الشعور في كل تعددها إلا بتحليل العمليات الفكرية في المستريا . فهذه تشعرنا بأن الانتقال من استثمار قبل شعوري إلى آخر شعوري يتسم برقابة تماثل تلك القائمة بين النظامين لاش . وقبش . ولا تأخذ هذه الرقابة أيضاً في العمل إلا بعد حد كمي معين ، بحيث تفلت منها العمليات الفكرية ذات الشدة المنخفضة . وفي مجال الظواهر العصابية النفسية أمثلة من كل نوع تبين كيف تنفصل فكرة من الشعور أو تنفذ إليه تحت قيود معينة ، وكل هذه الأمثلة تلمح إلى العلاقات الباطنة المتبادلة بين الرقابة والشعور . وأختم هذه التأملات السيكلولوجية بذكر مثالين من هذا القبيل .

دعيت في العام الماضي إلى زيارة فتاة كان مظهرها ينم عن الذكاء والبعث عن الكلفة . وكان ملبسها يبعث على الاستغراب . فبينما ينم هندام المرأة عادة عن غناية تتناول أدق التفاصيل ، كانت هذه تحمل جورباً متديلاً وصداراً انفك منه زراران . وشكت الفتاة ألماً في ساقها وعرت ركبتيها دون أن يطلب منها ذلك . ولكن شكاتها الأولى كانت شعوراً يخالجهما في جسمها كأن شيئاً ما « قد غرس فيه » شيئاً كان « يتحرك إلى الأمام وإلى الخلف » ، وكان هذا للشيء « يهزها » من قمة رأسها إلى أخمص قدمها ، وكان في

بعض الأحيان يجعلها تشعر بجسمها «متصلباً» . ونظر إلى زميلي الحاضر معي في أثناء الفحص ؛ فلم يفته أن يرى ما تعنيه هذه الشكاية . ولكن الذى لاح لكلينا أمراً عجباً هو أن أم المريضة لم تحدث نفسها بشيء ، مع أنها لا بد قد وجدت نفسها مراراً في الموقف الذى تصفه ابنتها . وأما الفتاة فلم تكن تفتن البتة إلى ما ترى إليه أقوالها ، وإلا ما فاهت قط بلفظ منها . فهذه حالة أمكنت فيها مداورة الرقابة بحيث نرى تخيلاً يبقى عادة طى ما قبل الشعور وقد أذن له بالانبعاث في الشعور تحت ستار برىء من التشكى .

وها هو ذا مثال آخر : ولد في الرابعة عشرة من عمره جاءني وهو يعاني رجفة تشنجية وقيئاً هسترياً وصداعاً ، إلخ . وبدأت علاجه التحليل النفسى بأن أكدت له أنه لو أغلق عينيه لرأى صوراً أو أخته خواطر عليه عندئذ أن ينقلها إلى ، فكان جوابه صوراً : انبعث في ذاكرته انبعاثاً بصرياً آخر انطباع تلقاه قبل الحجب إلى : كان يلعب الشطرنج مع عمه وإنه ليرى اللوح أمامه . وجعل يفكر في المواقع المختلفة الراجعة وغير الراجعة وفي الحركات التى يجب أن يتجنبها . ثم بعد ذلك رأى خنجراً يستقر على اللوح - وهو خنجر كان ملكاً لوالده ولكن خياله وضعه على اللوح . وأعقب ذلك محصد فنجل . ثم ظهرت الآن صورة فلاح عجوز يحش الحشيش بمنجل قدام منزل المريض النائى . وبعد أيام قليلة اكتشفت معنى هذه الحلقات المتتابعة من الصور : فقد كان الولد يهظه موقف عائلى تعس : فله أب كان رجلاً قاسياً ، تعتريه سورات من الغضب ، اقترن بأُم المريض اقتراناً غير موفق وكان منهجه التربوى ينحصر في الوعيد . ولقد طلق الأب أم الولد المريض ، وكانت امرأة عطوفاً حذوباً ، ثم تزوج غيرها . وفي ذات ليلة أقبل إلى المنزل بامرأة شابة كان على الولد أن يتخذها أمه الجديدة . وكان في خلال الأيام القلائل الأولى التى أعقبت هذا الحدث أن الولد جعل يمرض ، وكان غضبه المكبوت تجاه أبيه هو الذى ركب هذه السلسلة من الصور بتلميحاتها غير المفهومة . وأما مادتها فقد اشتقت من ذكرى إحدى الأساطير : فالحصد هو المحصد الذى به خصى زوس أباه ، وأما المنجل وصورة الرجل العجوز فيمثلان كرونوس الشيخ الباغى الذى التهم أبناءه والذى نأر منه زوس ذلك الثأر الجاحد . وكان زواج الأب هو الذى أتاح للولد أن يكيل لوالده كل التقريع والوعيد اللذين سمعهما هو منه قبل ذلك بزمن طويل إذ كان يلعب بأعضائه التناسلية (أنظر اللعب بالشطرنج والحركات المنوعة والخنجر الذى يستطيع المرء أن يقتل

(به) . ففي هذه الحالة ذكريات كبتت زمناً طويلاً ومشتقات منها بقيت طي اللاشعور تدلف جميعها إلى الشعور من طريق دائري في هيئة صور ظاھرھا الخلو من المعنى .

وهكذا أرى القيمة النظرية لدراسة الحلم فيما تضيفه هذه الدراسة من جديد إلى معرفتنا السيكلوجية ، وفي النور المبدئي الذي تلقّيه على مشكلات الأعصاب . ومن ذا الذي يستطيع أن يحذر أهمية النتائج التي قد نظفر بها من فهم مستوفى لتركيب الجهاز النفسى ، إذا كانت معرفتنا — وهى لم تزل بحالتها الراهنة — تمكّتنا من التأثير فيما يقبل الشفاء من صور الأعصاب النفسية تأثيراً علاجياً مطيباً؟ غير أننى أضع سؤالاً : وماذا عن القيمة العملية لهذه الدراسة من حيث هى وسيلة إلى فهم النفس وإلى الكشف عن الخصائص المختبئة للأفراد المختلفين ؟ أليس للاندفاعات اللاشعورية التي يفرغها الحلم قيمة القوى الحقيقية في الحياة النفسية ؟ هل لنا أن نستخف بالمغزى الخلقى للربغات المكبوتة — وهى ربغات تولد اليوم الحلم ولكنها قد تولد كذلك أشياء أخرى يوماً ما ؟

إنى لا أشعر بحق في الإجابة عن هذه الأسئلة : فما ذهبت خواطرى في صدد هذا الوجه من مشكلة الحلم إلى أبعد من هذا المدى . غير أننى أعتقد مع ذلك أن الإمبراطور الرومانى قد جانب الصواب إذ أمر بإعدام أحد رعاياه لأنه حلم باغتياه . فقد كان أولى به أن يحاول الكشف عن معنى الحلم ، وأغلب الظن أن معناه كان يختلف من ظاهره . ثم إنه لو كان ثم حلم مختلف المحتوى ولكنه تضمن هذا المعنى الآثم تجاه الذات الإمبراطورية ، ألفا كان ينبغى أن نذكر قول أفلاطون : إن الرجل الفاضل يكفيه الحلم حيث يقدم الشرير على الفعل ؟ وعلى ذلك أرى أن الأحسن هو أن نترك للأحلام حريتها . وأما السؤال : هل ينبغى أن نصيف إلى الربغات اللاشعورية صفة الواقع ؟ فهذا ما لا أستطيع أن أقطع فيه بحرف . إلا أن من الواجب بالطبع أن نأبى مثل هذه الصفة على كل فكرة عابرة أو متوسطة . وإذا نظرنا إلى الربغات اللاشعورية وقد ردت إلى أول أشكالها وأصدقها وجب ولا ريب القول : إن الواقع النفسى صورة من صور الوجود لا ينبغى الخلط بينها وبين الواقع المادى ^(١) . وهكذا يبدو ألا مبرر لنفور الناس من أن يتحملوا مسئولية

(١) [هذه الجملة قد ظهرت للمرة الأولى في طبعة سنة ١٩٠٩ في صورة مختلفة بعض الاختلاف ثم عدلت في طبعة سنة ١٩١٤ ، وأخيراً اتخذت شكلها الحاضر سنة ١٩١٩ ، وأما بقية الفقرة فقد أضيفت في سنة ١٩١٤ .]

انتفاء الأخلاق من أحلامهم . وإن الجزء الأعظم مما لا نرضى عنه من الوجهة الخلقية في حياتي الحلم والتخيل ليؤول إلى الاختفاء حين نقدر أسلوب الجهاز النفسى في النشاط تقديرأ صائباً وحين نفهم العلاقة بين الشعور واللاشعور . أو بعبارة هانس ساكس : « إنا إذا نظرنا في شعورنا عن أمر حدثنا به الحلم في صدد الحاضر (أو الواقع) ، لا يجب أن ندهش إذا رأينا المسخ الذى شهدناه تحت عدسة التحليل المكبرة ينقلب إلى حيوان نلقى . »

إن الأفعال والآراء التى يعرب عنها صاحبها إعراباً شعوريا تكفى عادة من حيث المقاصد العملية في الحكم على طبائع الناس . والأفعال هى الخليقة بأول اعتبار وأقطعه لأن كثيراً من الاندفاعات قد تنفذ إلى الشعور ثم إذا هى مع ذلك تنفق قبل أن تنمو حتى تصبح فعلا ؛ فقد لاقت القوى الحقيقية للحياة النفسية . والحق أن أمثال هذه الدوافع قد لا يلقى تقدمها حوائل نفسية في كثير من الأحيان ، والسبب في ذلك على التحديد هو ثقة اللاشعور من كونها لا محالة واقفة في مرحلة أخرى من المراحل . ومهما يكن من الأمر ، فإن من المفيد دائماً أن نتعرف هذه التربة التى كثر تقليبها والتى منها تنبعث فضائلنا في فخر ؛ إذ أنه يندر كل الندرة أن يخضع تعقد الطبع الإنسانى ، بما يضمه من قوى دينامية تحركه في كل اتجاه ، لاختيار يقطع بين احتمالين وكفى ، كما تريدنا مذهبنا الأخلاقية التى طال بها الدهر على تصديقه .

وماذا عن قيمة الحلم في إطلاعنا على الغيب ؟ هذه بالطبع مسألة ليست موضع تفكير وربما كان الأصدق أن نقول بدل ذلك : إن الأحلام تحيطننا علماً بالماضى . فالحلم فرع من الماضى بكل معنى من المعانى . ومع هذا فاعتقاد القدامى أن الأحلام تنبئ بالمستقبل لا يخلو كل الخلو من الصدق . فالحلم مهما يكن من أمر يسلك بنا جهة المستقبل إذ يصور رغباتنا محققة . إلا أن هذا المستقبل الذى يصوره الحالم في صورة الحاضر قد سوى برغبة لا تعرف الهدم على أكمل شبه بالماضى .

قائمتا المراجع^(١)

[وضعت عناوين المقالات بين شولتين مقلوبتين . وجرى استخدام حروف الاختصار وفقاً لقائمة الدوريات العلمية في العالم (أكسفورد ، ١٩٥٠) . ويدل حرفا G.S. على كتابات فرويد المجموعة (١٢ جزءاً ، فيينا ، ١٩٢٤ - ٣٤) وحرفا G.W. على مؤلفات فرويد المجموعة (١٨ جزءاً ، لندن ، ابتداء من ١٩٤٠) و C.P. على مقالات فرويد المجموعة باللغة الإنجليزية (٥ أجزاء ، لندن ، ١٩٢٤ - ٥٠) و Standard E. على الترجمة الإنجليزية الأخيرة لمؤلفات فرويد الكاملة (٢٤ جزءاً ، لندن ، ابتداء من ١٩٥٣]

أ

كتاب أشير إلى مؤلفاتهم في سياق النص

[فيما يتصل بفرويد يدل الحرف الذى يتبع تاريخ السنة على ترتيب المرجع المشار إليه بين سائر مؤلفات فرويد المنشورة فى تلك السنة ، ويدل فيما يتصل بغير فرويد من المؤلفين على ترتيبه بين سائر المؤلفات المذكورة لهم فى هذا الكتاب .]

Abraham, K. (1909) *Traum und Mythos*, Vienna.

Adler, A. (1910) 'Der psychische Hermaphroditismus im Leben und in der Neurose', *Fortschr. Med.*, 28, 486.

(1911) 'Beitrag zur Lehre vom Widerstand', *ZBL. Psychoanal.*, 1, 214.

Allison, A. (1868) 'Nocturnal Insanity', *Med. Times & Gaz.*, 947, 210.

Almoli, S. See Salomon Almoli.

Amram, N. (1901) *Sepher pithron chalomoth*, Jerusalem.

Aristotle, *De somniis and De divinatione per somnum*. [Trans. by W.S. Hett

(١) [نقل تبويب المراجع عن جيمس ستراشى (انظر كلمة المترجم ، ص ٢٧) . وقد رأينا أن نبقى على مؤلفات فرويد التى لم يرد ذكرها إلا فى هوامش الترجمة الإنجليزية حتى نضع بين يدى القارئ قائمة وافية قدر الإمكان بمؤلفات فرويد مرتبة ترتيباً زمنياً ، كما أبقينا ذكر التراجم الإنجليزية للمراجع لأنها ربما كانت أقرب مثالا من الأصول .]

- “in volume ‘On the Soul’, Loeb Classical Library”, London & New York, 1935.]
- Artemidorus of Daldis, *Oneirocritica*. [German trans.: *Symbolik der Traume* by F.S. Krauss, Vienna, 1881, and ‘*Erotische Traume und ihre Symbolik*’ *Anthropophyteia*, 9, 316, by Hans Licht. English trans. “abridged” : *The Interpretation of Dreams*, by R. Wood, London, 1644.]
- Artigues, R. (1884) *Essai sur la valeur semeiologique du reve*, (Thesis) Paris.
- Benini, V. (1898) ‘La memoria e la durata dei sogni’, *Riv. ital. Filos.*, 13a, 249.
- Bernard-Leroy and Tobowolska, J. (1901) ‘Mecanisme intellectuel du rêve’, *rev. phil.*, 51, 570.
- Bernfeld, S. (1944) ‘Freud’s Earliest Theories and the School of Helmholtz’, *Psychoanal. Quart.*, 13, 341.
- Bernstein, I., and Segel, B.W. (1908) *Judische Sprichwörter und Redensarten*, Warsaw.
- Betlheim, S., and Hartmann, H. (1924) ‘Über Fehlreaktionen des Gedächtnisses bei Korsakoffschen Psychose’, *Arch. Psychiat. Nervenkr.*, 72, 278.
- Bianchieri, F. (1912) ‘I sogni dei bambini di cinque anni’, *Riv. Psicol.*, 8, 325.
See also Doglia and Bianchieri.
- Binz, C. (1878) *Über den Traum*, Bonn.
- Bleuler, E. (1910) ‘Die Psychoanalyse Freuds’, *Fb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 2, 623.
- Bonatelli, F. (1880) ‘Del sogno’, *La filosofia delle scuole italiane*, Feb., 16.
- Borner, J. (1855) *Des Alpdrucken, seine Begründung und Verhütung*, Würzburg.
- Bottinger (1795) In C.P.J. Sprengel : *Beiträge zur Geschichte der Medizin*, 2.
- Bouché-Leclercq, A. (1879-82) *Histoire de la divination dans l’antiquité*, Paris.
- Breuer, J., and Freud, S. (1895) see Freud, S. (1895 d)
1940 [1892] see Freud, S. (1940 d)
- Büchsenschütz, B. (1868) *Traum und Traumdeutung im Altertum*, Berlin.
- Burdach, K.F. (1838) *Die Physiologie als Erfahrungswissenschaft*, Vol. 3 of 2nd ed., 1832-40. (1st ed. 1826-32).
- Busemann, A. (1909) ‘Traumleben der Schulkinder’, *Z. pad. Psychol.*, 10, 294.
(1910) ‘Psychologie der kindlichen Traumerlebnisse’, *Z. pad. Psychol.*, 11, 320.
- Cabanis, P.J.G. (1802) *Rapports du physique et du moral de l’homme*, Paris.
- Calkins, M.W. (1893) ‘Statistics of Dreams’, *Amer. F. Psychol.*, 5, 311.
- Carena, Caesar (1641) *Tractatus de Officio Sanctissimes Inquisitionis*, Cremons.

- Chabaneix, P. (1897) *Physiologie cérébrale; le subconscient chez les artistes, les savants, et les écrivains*, Paris.
- Cicero : *De divinatione*. (9,55)
[Trans. by W.A. Falconer 'Loeb Classical Library', London & New York, 1922]
- Claparède, H. (1905) 'Esquisse d'une theorie biologique du sommeil', *Arch. psychol.*, 4, 245.
- Clerk-Maxwell, J. (1876) *Matter and Motion*, London.
- Coriat, I.H. (1913) 'Zwei sexual-symbolische Beispiele von Zahnarzt-Traumen', *Zbl. Psychoanal. Psychother.*, 3, 440.
- Dattner, B. (1913) 'Gold und Kot', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 495.
- Davidson, Wolf (1799) *Versuch uber den Schlaf*, Berlin. 2nd ed., (1st ed., 1795)
- Debacker, F. (1881) *Des hallucinations et terreurs nocturnes chez les enfants*, (Thesis) Paris.
- Delacroix, H. (1904) 'Sur la structure logique du reve,' *Rev. Metaphys.*, 12, 921.
- Delage, Y. (1891) 'Essai sur la theorie du rêve', *Rev. industr.*, 2, 40.
- Delboeuf, I. (1885) *Le sommeil et les rêves*, Paris.
- Diepgen, P. (1912) *Traum und Traumdeutung als mediz. naturwissenschaftl. Problem im Mittelater*, Berlin.
- Doglia, S. and Blanchieri, F. (1910-11) 'I sogni dei bambini di tre anni', *Contrib. psicol.*, 1, 9.
- Dollinger, J. (1857) *Heidenthum und Judenthum*, Regensburg.
- Drexl, F.X. (1909) *Achmets Traumbuch : Einleitung und Probe eines kritischen Textes*, (Thesis) Munich.
- Dugas, L. (1897 a) 'Le sommeil et la cérébration inconsciente durant le sommeil', *Rev. phil.*, 43, 410.
(1897 b) 'Le souvenir du rêve', *Rev. phil.*, 44, 220.
- Du Prel, C. (1885) *Die Philosophie der Mystik*, Leipzig.
- Eder, M.D. (1913) 'Augentraume', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 157.
- Egger, V. (1895) 'La durée apparente des rêves', *Rev. phil.*, 40, 41.
(1898) 'Le souvenir dans le rêve', *Rev. phil.*, 46, 154.
- Ellis, Havelock (1899) 'The Stuff that Dreams are made of', *Popular Science Monthly*, 54, 721.
(1911) *The World of Dreams*, London.
- Erdmann, J.E. (1852) *Psychologische Briefe* (Brief VI), Leipzig.
- Fechner, G.T. (1860) *Elemente der Psychophysik*, Leipzig.
- Federn, P. (1914) 'Uber zwei typische Traumsensationen', *Jb. Psychoanal.*, 6, 89.

- Fere, C. (1886) 'Note sur un cas de paralysie hystérique consécutive à un rêve', Soc. biolog., 41 (Nov. 20).
 (1887) 'A Contribution to the Pathology of Dreams and of Hysterical Paralysis', Brain, 9, 488.
- Ferenczi, S. (1910) 'Die Psychoanalyse der Traume', Psychiat. - neurol Wachr. 12, Nos. 11-13.
 [Trans.: 'The Psychological Analysis of Dreams', Chap. III of Contributions to Psychoanalysis, Boston, 1916.]
 (1911) 'Über lenkbare Traume', Zbl. Psychoanal., 2, 31.
 (1912) 'Symbolische Darstellung des Lust-und Realitätsprinzips im Oedipus-Mythos', Imago, 1, 276.
 [Trans.: 'The Symbolic Representation of the Pleasure and Reality Principles in the Oedipus Myth', Chap. X, Part I of Contributions to Psycho-Analysis, Boston, 1916.]
 (1913) 'Zur Augensymbolik', Int. Z. Psychoanal., 1, 161.
 [Trans.: 'On Eye Symbolism', Chap. X, Pt. II of Contributions to Psycho-Analysis, Boston, 1916].
 (1916) 'Affektvertauschung im Traume', Int. Z. Psychoanal., 4, 112.
 [Trans.: 'Interchange of Affect in Dreams', No. LV in Further Contributions, London, 1926.]
 (1917) 'Traume der Ahnungslosen', Int. Z. Psychoanal., 4, 208.
 [Trans.: 'Dreams of the Unsuspecting', No. LVI of Further contributions, London, 1926.]
- Fichte, J.H. (1864) Psychologie : die Lehre vom bewussten Geiste des Menschen, (2 vols.), Leipzig.
- Fischer, K.P. (1850) Grundzuge des Systems der Anthropologie, Erlangen.
 (Pt. 1, Vol. 2, in Grundzuge des Systems der Philosophie.)
- Fliess, W. (1906) Der Ablauf des Lebens, Vienna.
- Forster, M. (1910) 'Das lateinisch-altenglische pseudo-Danielsche Traumbuch in Tiberius A. III', Archiv Stud. neueren Sprachen und Literaturen, 125, 39.
 (1911) 'Ein mittellenglisches Vers-Traumbuch des 13 Jahrhunderts', Archiv Stud. neueren Sprachen und Literaturen, 127, 31.
- Foucault, M. (1906) Le rêve : études et observations, Paris.
- Freud, S. (1877 a) 'Über den Ursprung der hinteren Nervenwurzeln im Rückenmark von Ammocostes (Petromysus Planeti)', Sitzungsber. k. Akad. Wiss., III Abt., Bd. 75, January.
 (1884 e) 'Über Coca', Centralbl. ges. Therap., 2, 289.
 [Trans.: (abbreviated) 'Coca', Saint Louis Med. Surg. J., 48 (1884), 502.]
 (1893 c) 'Quelques considérations pour une étude comparative des paralysies motrices organiques et hysteriques', G.S. 1, 30; G.W., 1, 37.

[Trans.: 'Some points for a Comparative Study of Organic and Hysterical Motor Paralysis', C.P., 1, 42; Standard Ed., 1.]

(1894 a) 'Die Abwehr-Neuropsychosen', G.S., 1, 290, 1, 290; G.W., 1, 57.

[Trans.: 'The Neuro-Psychoses of Defence', C.P., 1, 59; Standard Ed., 3.]

(1895 b) 'Über die Berechtigung, von der Neuresthenie einen bestimmten Symptomenkomplex als "Angstneurose" abzutrennen', G.S., 1, 306; G.W., 1, 313.

[Trans.: 'On the Grounds for Detaching a Particular Syndrome from Neurasthenia under the description "Anxiety Neurosis"', C.P., 1, 76; Standard Ed., 3.]

(1895 d) With Breuer, J., Studien über Hysterie, Vienna. (G.S., 1; G.W. 1, 75. Omitting Breuer's contributions.)

[Trans.: Studies on Hysteria, Standard Ed., 2.]

(1896 b) 'Weitere Bemerkungen über die Abwehr-Neuropsychosen', G.S., 1, 363; G.W., 1, 377.

[Trans.: 'Further Remarks on the Neuro-Psychoses of Defence', C.P., 1, 155; Standard Ed., 3.]

(1898 b) 'Zum psychischen Mechanismus der Vergesslichkeit', G.W., 1, 517.

[Trans.: 'The Psychological Mechanism of Forgetting', Standard Ed., 3.]

(1899 a) 'Über Deckerinnerungen', G.S., 1, 465; G.W., 1

[Trans.: 'Screen Memories', C.P., 5, 47; Standard Ed., 3.]

(1900 a) Die Traumdeutung, Vienna. (G.S., 2-3; G.W., 2-3.)

[Trans.: The Interpretation of Dreams, revised ed., London, 1932; Standard Ed., 4-5.]

(1901 a) Über den Traum, Wiesbaden. (G.S., 3, 189; G.W., 2-3, 643.)

[Trans.: On Dreams, London, 1951; Standard Ed., 5, 629.]

(1901 b) Sur Psychopathologie des Alltagslebens, Berlin. (G.S., 4; G.W., 4.)

[Trans.: The Psychopathology of Everyday Life, Standard Ed., 6.]

(1904 a) 'Die Freud'sche psychoanalytische Methode', G.S., 6, 3; G.W., 5, 3.

[Trans.: 'Freud's Psycho-Analytic Method', C.P., 1, 264; Standard Ed., 7.]

(1905 c) Der Witz und seine Beziehung zum unbewussten, Vienna (G.S., 9; G.W., 6.)

[Trans.: Jokes and their Relation to the Unconscious, Standard Ed., 8.]

(1905 d) drei Abhandlungen zur Sexualtheorie, Vienna. (G.S., 5, 3; G.W., 5, 29.)

[Trans.: Three Essays on the Theory of Sexuality, London, 1949; Standard ed., 7.]

(1905) 'Bruchstück einer Hysterie-Analyse', G.S., 8, 3; G.W., 5, 163.

[Trans.: 'Fragment of an Analysis of a Case of Hysteria', C.P., 3, 13; Standard Ed., 7.]

(1907 a) *Der Wahn und die Traume in W. Jenses 'Gradiva', Vienna. (G.S., 9, 273; G.W., 7, 31.)*

[Trans., *Delusion and Dreams in Jensen's 'Gradiva', Standard Ed., 9.]*

(1908 a) *'Hysterische Phantasien und ihre Beziehung zur Bisexualitat', G.S., 5, 246; G.W., 7, 191.*

[Trans., *'Hysterical Phantasies and their Relation to Bisexuality', C.P., 2, 51; Standard Ed., 9.]*

(1908 b) *'Charakter und Analerotik', G.S., 5, 261; G.W., 7, 203.*

[Trans.: *'Character and Anal Erotism', C.P., 2, 45; Standard Ed., 9.]*

(1908 c) *'Uber infantile Sexualtheorien', G.S., 5, 168; G.W., 7, 171.*

[Trans.: *'On the Sexual Theories of Children', C.P., 2, 59; Standard Ed., 9.]*

(1908 e) *'Der Lichter und des Phantasieren', G.S., 10, 229; G.W., 7, 213.*

[Trans.: *'Creative Writers and Day-Dreaming', C.P. 4, 173; Standard Ed., 9.]*

(1909 b) *'Analyse der Phobie eines funfjahrigen Knaben', G.S., 8, 129; G.W., 7, 243.*

[Trans.: *'Analysis of a Phobia in a Five-Year Old Boy', C.P. 3, 149; Standard Ed., 10.]*

(1909 d) *'Bemerkungen uber einen Fall von Zwangsneurose', G.S., 8, 269; G.W., 7, 381.*

[Trans.: *'Notes upon a Case of Obsessional Neurosis', C.P. 3, 293; Standard Ed., 10.]*

(1910 a) *Uber Psychoanalyse, Vienna. (G.S., 4, 349; G.W., 8, 3.)*

[Trans.: *Five Lectures on Psycho-Analysis, Standard Ed., 11.]*

(1910 d) *'Die Zukunftigen Chancen der psychoanalytischen Therapie', G.S.,*

(1910 e) *'"Uber den Gegensinn der Urworte"', G.S., 10, 221; G.W., 8, 214.*

[Trans.: *'"The Anithetical Sense of Primal Words"', G.P.; 4, 184, Standard Ed., 11.]*

(1910 f) *'Brief an Dr. Friedrich S. Krauss uber die Anthropophyteia', G.S., 11, 242, G.W., 8, 224.*

[Trans.: *'Letter to Dr. Friedrich S. Krauss on Anthropophyteia', Standard Ed., 11.]*

(1910 h) *'Uber einen besonderen Typus der Objektwahl beim Manne' ('Beitrage zur Psychologie des Liebeslebens' I), G.S., 5, 186, G.W., 8, 66.*

[Trans.: *'A Special Type of Choice of object made by Men' ('Contributions to the Psychology of Love' I), C.P., 4, 192; Standard Ed., 11.]*

(1910 i) *'Typisches Beispiel eines verkappten Odipustraumes', Zentralbl. Psychoanal., 1, 45; reprinted in Die Traumdeutung, G.S., 3, 118 n.; G.W., 2-3, 404 n.*

[Trans.: *'A Typical Example of a Disguised Oedipus Dream'; included in The Interpretation of Dreams, Standard Ed., 5, 398 n.]*

(1911 a) 'Nachtrage zur Traumdeutung', Zentraibl. Psychoanal. 7., 18, 1 (Partly reprinted G.S., 3, 77 ff. and 126 f.; G.W., 2-3, 365 ff. and 412 f.)

[Trans.: 'Additions to the Interpretation of Dreams', (wholly incorporated in the Interpretation of Dreams, Standard Ed., 5, 360 ff. and 408 f.)]

(1911 b) 'Formulierungen uber die zwei Prinzipien des psychischen Geschehens', G.S., 5, 409; G.W., 8, 230.

[Trans.: 'Formulations on the Two Principles of Mental Functioning', C.P., 4, 13; Standard Ed., 12.]

(1911 c) 'Die Handhabung der Traumdeutung in der Psychoanalyse', G.S., 6, 45; G.W., 8, 350.

[Trans.: 'The Handling of Dream-Interpretation in Psycho-Analysis', C.P., 2, 305; Standard Ed., 12.]

(1912 g) 'Einige Bemerkungen uber den Begriff des Unbewussten in der Psychoanalyse', G.W., 8, 360.

[Trans.: 'Some Remarks on the Concept of the Unconscious as used in Psycho-Analysis', C.P., 4, 22; Standard Ed., 12.]

(1912-13) Totem und Tabu, Vienna. (G.S., 10; G.W., 9.)

[Trans.: Totem and Taboo, London, 1950; Standard Ed., 13.]

(1913 a) 'Ein Traum als Beweismittel', G.S., 3, 267; G.W., 10, 12.

[Trans.: 'An Evidential Dream', C.P., 2, 133; Standard E., 13.]

(1913 d) 'Märchenstoffe in Traumen', G.S., 3, 259; G.W., 10, 2.

[Trans.: 'The Occurrence in Dreams of Material from Fairy Tales', C.P., 4, 236; Standard Ed., 13.]

(1913 f) 'Das Motiv der Kastenwahl', G.S., 10, 243-56; G.W., 10, 24-37.

[Trans.: 'The Theme of the Three Caskets', C.P., 4, 244-56; Standard Ed., 12.]

(1913 h) 'Erfahrungen und Beispiele aus der analytischen Praxis', Int. Z. Psychoanal., 1, 377. (Partly reprinted G.S., 11, 301; G.W., 10, 40. Partly included in Traumdeutung, G.S., 3, 41, 71 f., 127 and 135; G.W., 2-3, 238, 359 ff. 413 f. and 433)

[Trans.: 'Observations and Examples from Analytic Practice', Standard Ed., 13 (in full). Also partly incorporated in The Interpretation of Dreams, Standard Ed., 4, 232 and 5, 409 f.]

(1913 k) 'Gewohnheitsrecht der Volker', G.S., 11, 249; G.W., 10, 453.

[Trans.: 'Preface to Bourke, Scatalogic. Rites of all Nations', C.P., 5, 88; Standard Ed., 12.]

(1914 a) 'Über fausse reconnaissance ("déjà raconte") während der psychoanalytischen Arbeit', G.S., 6, 67; G.W., 10, 116.

[Trans.: "Fausse reconnaissance ("déjà raconté") in Psycho-Analytic Treatment', C.P., 2, 334; Standard Ed., 14.]

(1914 c) 'Zur Einführung des Narzissmus', G.S., 6, 155; G.W., 10, 138.

- [Trans.: 'On Narcissism : an Introduction', C.P., 4, 30; Standard Ed., 14.]
 (1914 d) 'Zur Geschichte der psychoanalytischen Bewegung', G.S., 4, 411; G.W., 10, 44.
 [Trans.: 'On the History of the Psycho-Analytic Movement', C.P., 1, 287; Standard Ed., 14.]
 (1914 e) 'Darstellungen der "grossen Leistung" im Traume', Int. Z. Psychoanal 2, 384; reprinted in Die Traumdeutung, G.S., 3, 130, G.W., 2-3, 416.
 [Trans.: 'The Representation in a Dream of a "Great Achievement";' included in the Interpretation of Dreams, Standard Ed., 5, 412.]
 (1915 a) 'Weitere Ratschläge zur Technik der Psychoanalyse III : Bemerkungen über die Übertragungsliebe', G.S., 6, 120; G.W., 10, 306.
 [Trans.: 'Observations on Transference-Love (Further Recommendations on the Technique of Psycho-Analysis, III)', C.P., 2, 377; Standard Ed., 12.]
 (1915 b) 'Zeitgemässes über Krieg und Tod', G.S., 10, 315-46; G.W., 10, 324-55.
 [Trans.: 'Thoughts for the Times on War and Death', C.P., 4, 288-317; Standard Ed., 14.]
 (1915 d) 'Die Verdrängung', G.S., 5, 466; G.W., 10, 248.
 [Trans.: 'Repression', C.P., 4, 84; Standard Ed., 14.]
 (1915 e) 'Das Unbewusste', G.S., 5, 480; G.W., 10, 264.
 [Trans.: 'The Unconscious', C.P., 4, 98; Standard Ed., 14.]
 (1916 c) 'Eine Beziehung zwischen einem Symbol und einem Symptom', G.S., 5, 310; G.W., 10, 394.
 [Trans.: 'A Connection between a Symbol and a Symptom', C.P., 2, 162; Standard Ed., 14.]
 (1916 d) 'Einige Charaktertypen aus der psychoanalytischen Arbeit', G.S., 10, 287; G.W., 10, 364.
 4, 318; Standard Ed., 14.)
 (1916-17) Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse, Vienna. (G.S., 7; G.W., 11.)
 [Trans.: Introductory Lectures on Psycho-Analysis, revised ed. London, 1929; Standard Ed., 15 and 16.]
 (1917 d) 'Metapsychologische Ergänzung zur Traumlehre', G.S., 5, 520; G.W., 10, 412.
 [Trans.: 'A Metapsychological Supplement to the Theory of Dreams', C.P., 4, 137; Standard Ed., 14.]
 (1918 b) 'Aus der Geschichte einer infantilen Neurose', G.S., 8, 439; G.W., 12, 29.
 [Trans.: 'From the History of an Infantile Neurosis', C.P., 3, 473; Standard Ed., 17.]
 (1919 h) 'Das Unheimliche', G.S., 10, 369; G.W., 12, 229.

[Trans.: "The Uncanny", C.P., 4, 368; Standard Ed., 17.]
 (1920 a) 'Über die Psychogenese eines Falles von weiblicher Homosexualität', G.S., 5, 312; G.W., 12, 271.

[Trans.: 'The Psychogenesis of a Case of Female Homosexuality', C.P., 2, 202; Standard Ed., 18.]

(1920 f) 'Ergänzungen zur Traumlehre' (Author's Abstract of Congress Address), Int. Z. Psychoanal., 6, 397.

[Trans.: 'Supplements to the Theory of Dreams', Int. J. Psycho-Anal., 1, 354; Standard Ed., 18.]

(1920 g) Jenseits des Lustprinzips, Vienna. (G.S., 6, 191; G.W., 13, 3.)

[Trans.: Beyond the Pleasure Principle, London, 1950; Standard Ed., 18.]

(1921 b) Introduction (in English) to Varendonck, The Psychology of Day-Dreams, London. (G.W., 13, 439; Standard Ed., 18.)

(1921 c) Massenpsychologie und Ich-Analyse, Vienna. (G.S., 6, 261; G.W., 13, 73.)

[Trans.: Group Psychology and the Analysis of the Ego, London, 1922; Standard Ed., 18.]

(1922 a) 'Traum und Telepathie', G.S., 3, 278; G.W., 13, 165.

[Trans.: 'Dreams and Telepathy', G.P., 4, 408, Standard Ed., 18.]

(1922 b) 'Über einige neurotische Mechanismen bei Eifersucht, Paranoia und Homosexualität', G.S., 5, 387; G.W., 13, 195.

[Trans.: 'Some Neurotic Mechanisms in Jealousy, Paranoia and Homosexuality' C.P., 2, 232; Standard Ed., 18.]

(1922 c) 'Nachschrift zur Analyse des kleinen Hans', G.S.G.W., 8, 264; 13, 431.

[Trans.: 'Postscript to the "Analysis of a Phobia in a Five-Year-Old-Boy"', C.P., 3, 288; Standard Ed., 10.]

(1923 a) (1922) "'Psychoanalyse" and "Libido Theorie"', G.S., 11, 201; 201; G.W., 13, 211.

[Trans.: 'Two Encyclopaedia Articles', C.P., 5, 107; Standard Ed., 18.]

(1923 b) Das Ich und das Es, Vienna. (G.S., 6, 353; G.W., 13, 237.)

[Trans.: The Ego and the Id, London, 1927; Standard Ed., 19.]

(1923 c) 'Bemerkungen zur Theorie und Praxis der Traumdeutung', G.S., 3, 305; G.W., 13, 301.

[Trans.: 'Remarks on the Theory and Practice of Dream Interpretation', C.P., 5, 130; Standard Ed., 19.]

(1923 d) 'Eine Teufelsneurose im siebzehnten Jahrhundert', G.S., 10, 409; G.W., 13, 317.

[Trans.: 'A Seventeenth Century Demonological Neurosis', C.P., 4, 436; Standard Ed., 19.]

(1923 f) 'Josef Popper-Lynkeus und die Theorie des Traumes,' G.S., 11, 295; G.W., 13, 357.

[Trans.: 'Josef Popper-Lynkeus and the Theory of Dream's, Standard Ed., 19.]
(1924-34) *Gesammelte Schriften*, Vienna.

(1924 c) 'Das cconomische Problem des Masochismus', G.S., 5, 374; G.W., 13, 371.

[Trans.: 'The Economic Problem of Masochism', C.P., 2, 255; Standard Ed., 19.]

(1925 a) 'Notiz uber den Wunderblock', G.S., 6, 415; G.W., 14, 3.

[Trans.: 'A Note on the "Mystic Writing-Pad"', C.P., 5, 175; Standard Ed., 20.]

(1925 d) 'Selbstdarstellung', G.S., 11, 119; G.W., 14, 33.

[Trans.: *An Autobiographical Study*, London, 1935; Standard Ed., 20.]

(1925 i) 'Einige Nachtrage zum Ganzen der Traumdeutung', G.S., 3, 172; G.W., 1, 559.

[Trans.: 'Some Additional Notes upon Dream-Interpretation as a Whole,' C.P., 5, 150; Standard Ed., 20.]

(1925 j) 'Einige psychische Folgen des anatomischen Geschlechtsunterschieds', G.S., 11, 8; G.W., 14, 19.

[Trans.: 'Some Psychological Consequences of the Anatomical Distinction between the Sexes', C.P., 5, 186; Standard Ed., 19.]

(1926 d) *Hemmung, Symptom und Angst*, Vienna. (G.S., 11, 23; G.W., 13, 113.)

[Trans.: *Inhibitions, Symptoms and Anxiety*, London, 1936; *The Problem of Anxiety*, New York, 1936; Standard Ed., 20.]

(1927 c) *Die Zukunft einer Illusion*, Vienna. (G.S., 11, 411; G.W., 14, 325.)

[Trans.: *The Future of an Illusion*, London 1928; Standard Ed., 21.]

(1929 b) 'Brief an Maxim Leroy uber einen Traum des Cartesius', G.S. 12, 403; G.W., 14, 558.

[Trans.: 'A Letter to Maxime Leroy on a Dream of Descartes', Standard Ed., 21.]

(1930 a) *Das Unbehagen in der Kultur*, Vienna. (G.S., 12, 29; G.W., 14, 421.)

[Trans.: *Civilization and its Discontents*, London, 1930; Standard Ed., 21.]

(1930 e) 'Goethe-Preis 1930', G.S., 12, 406; G.W., 14, 545.

[Trans.: 'The Goethe Prize for 1930', Standard Ed., 21.]

(1931 b) 'Uber die weibliche Sexualitat', G.S., 12, 120; G.W., 14, 751

[Trans.: 'Female Sexuality', C.P., 5, 252; Standard Ed., 21.]

(1932 c) 'Meine Beruhrung mit Josef Popper-Lynkeus', G.S., 12, 415; G.W., 16, 261.

- [Trans.: 'My Contact with Josef Popper-Lynkeus', C.P., 5, 295; Standard ed., 22.]
- (1933 a) Neue Folge der Vorlesungen zur Einführung in die Psychoanalyse, Vienna. (G.S., 12, G.W., 15.)
- [Trans.: New Introductory Lectures on Psycho-Analysis, London, 1933; Standard Ed., 22].
- (1940 a '1938) Abriss der Psychoanalyse, (G.W., 17, 67.)
- [Trans.: An Outline of Psycho-Analysis, London and New York, 1949; Standard Ed., 23.]
- (1940 c '1922') 'Das Medusenhaupt', G.W., 17, 47.
- [Trans.: 'Medusa's Head', C.P., 5, 105; Standard Ed., 18.]
- (1940 d '1892') With Breurer, J., 'Zur Theorie des hysterischen Anfalls', G.W., 17, 9.
- [Trans.: 'On the Theory of Hysterical Attacks', C.P., 5, 27; Standard Ed., 1.]
- (1941 a '1892') 'Brief an Josef Breuer', G.W., 17, 5.
- [Trans.: 'A Letter to Josef Breuer', C.P., 5, 25; Standard Ed., 1.]
- (1941 c '1899') 'Eine erfüllte Traumahnung', G.W., 17, 21.
- [Trans.: 'A Premonitory Dream Fulfilled', C.P., 5, 70; Standard Ed., 5, 623. (5 n., 65, n. 2, 623-5.)]
- (1950 a '1887-1902') Aus den Anfängen der Psychoanalyse, London. [In part in Standard Ed., 1.]
- Fuchs, E. (1909-12) Illustrierte Sittengeschichte (Ergänzungsbande), Munich.
- Galton, F. (1907) Inquiries into Human Faculty and its Development, 2nd ed., Everyman's Edition, London (1st ed., 1883.)
- Everyman's Edition, London (1st ed., 1883.)
- Garnier, A. (1872) Traité des facultés de l'âme, contenant l'histoire des principales théories psychologiques, (3 vols.), Paris. (1st ed., 1852.)
- Giessler, C.M. (1888) Beiträge zur Phanomenologie des Traumlebens, Halle.
- (1890) Aus den Tiefen des Traumlebens, Halle.
- (1896) Die physiologischen Beziehungen der Traumvorgänge, Halle.
- Girou De Bouzareinges, G. and Girou De Bouzareinges, L. (1848) Physiologie: essai sur le mécanisme des sensations, des idées et des sentiments, Paris.
- Goblot, E. (1896) 'Sur le souvenir des rêves', Rev. phil., 42, 288.
- Gomperz, I. (1866) Traumdeutung und Zauberei, Vienna.
- Gotthardt, O. (1912) Die Traumbücher des Mittelalters, Eisleben.
- Griesinger, W. (1845) Pathologie und Therapie der psychischen Krankheiten, Stuttgart.
- (1861) do., 2nd ed. (quoted by Radestock).

- Gruppe, O. (1906) *Griechische Mythologie und Religionsgeschichte*, Munich.
(In Muller, *Handbuch der klassischen Altertums-Wissenschaft*, 5, 2.)
- Guislain, J. (1833) *Leçons orales sur les phrenopathies* (3 vols.), Brussels.
(Quotation in text is from German trans.: *Abhandlungen über die Phrenopathien*, Nuremberg, 1838.)
- Haffner, P. (1887) 'Schlafen und Traumen', *Sammlung zeitgemässer Broschur* 226, Frankfurt.
- Hagen, F.W. (1846) 'Psychologie und Psychiatrie', *Wagner's Handwörterbuch der Psychologie*, 2, 692, Brunswick.
- Hallam, F. and Weed, S. (1896) 'A Study of Dream Consciousness', *Amer. J. Psychol.*, 7, 405.
- Hartmann, E. Von (1890) *Pilosophie des Unbewussten*, 10th ed., Leipzig.
(1st ed., 1869.)
(Trans.: *Philosophy of the Unconscious*, by W.C. Coupland, London, 1884.)
- Hartmann, H. See Betlheim and Hartmann.
- Hennings, J.C. (1784) *Von den Traumen und Nachtwandlern*, Weimar.
- Henzen, W. (1890) *Über die Traume in der altnordischen Sagaliteratur*, (Theiss) Leipzig.
- Herbart, J.F. (1892) *Psychologie als Wissenschaft neu gegründet auf Erfahrung, Metaphysik und Mathematik*. (Zweiter, analytischer Teil); Vol. 6 in *Herbart's Samtliche Werke* (ed. K. Kehrbach), Langensalza. (1st ed., Königsberg, Samtliche Werke (ed. K. Kehrbach), Langensalza. (1st ed., Königsberg, 1825.)
- Hermann, K.F. (1858) *Lehrbuch der gottesdienstlichen Alterthümer der Griechen*, 2nd ed., Heidelberg. (Pt. II of *Lehrbuch der griechischen Antiquitäten*.)
(1882) *Lehrbuch der griechischen Privatalterthümer*, 3rd ed., Freiburg. (Pt. IV of *Lehrbuch der griechischen Antiquitäten*.)
- Herodotus *History*.
[Trans. by A.D. Godley, Vol. III (Loeb Classical Library), London and New York, 1922.]
- Hervey De Saint-Denys, Marquis d', (1867) *Les rêves et les moyens de les diriger*, Paris. (Published anonymously.)
- Hilderbrandt, F.W. (1875) *Der Traum und seine Verwerthung für's Leben*, Leipzig.
- Hippocrates *Ancient Medicine and Regimen*.
[Trans.: by W.H.S. Jones, Vols. I and IV (Loeb Classical Library), London and New York, 1923 and 1931.]

- Hittschmann, E. (1913) 'Goethe als Vatersymbol', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 569.
- Hobbes, T. (1651) *Leviathan*, London.
- Hoffbauer, J.C. (1796) *Naturlehre der Seele*, Halle.
- Hohnbaum (1830) In C.F. Nasse : *Jb. Anthropol.*, 1.
- Hug-Hellmuth, H. Von (1911) 'Analyse eines Traumes eines 5 jährigen Knaben', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 122.
- (1913) 'Kinderträume', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 470.
- (1915) 'Ein Traum der sich selbst deutet', *Int. Z. Psychoanal.*, 3, 33.
- Ideler, K.W. (1862) 'Die Entstehung des Wahnsinns aus den Traumen', *Charité Annalen*, 3, Berlin.
- Iwaya, S. (1902) 'Traumdeutung in Japan', *Ostasien*, 302.
- Jekels, L. (1917) 'Shakespeares Macbeth', *Imago*, 5, 170.
- Jessen, P. (1855) *Versuch einer wissenschaftlichen Begründung der Psychologie*, Berlin.
- Jodl, F. (1896) *Lehrbuch der Psychologie*, Stuttgart.
- Jones, E. (1910 a) 'The Oedipus Complex as an Explanation of Hamlet's Mystery', *Amer. J. Psychol.*, 21, 72.
- (1910 b) 'Freud's Theory of Dreams', *Amer. J. Psychol.*, 21, 283.
- (1911) 'The Relationship Between Dreams and Psychoneurotic Symptoms', *Am. J. Insanity*, 68, 57.
- (1912 a) 'Unbewusste Zahlenbehandlung', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 241.
- (1912 b) 'A Forgotten Dream', *J. abnorm. Psychol.*, 7, 5.
- (1914 a) 'Frau und Zimmer', *Int. Z. Psychoanal.*, 2, 380.
- (1914 b) 'Zahnziehen und Gaburt', *Int. Z. Psychoanal.*, 2, 380.
- (1916) 'The Theory of Symbolism', *Brit. J. Psychol.*, 9, 181.
- (1949) *Hamlet and Oedipus*, London.
- (1953) *Sigmund Freud : Life and Work*, 1, London.
- Josephus, Flavius, *Antiquitates Judaicae*.
(Trans; *Ancient History of the Jews* by W. Whiston, London, 1874.)
- Jung, G.G. (ed.) (1906) *Diagnostische Assoziationsstudien* (2 vols.), Leipzig.
[Trans.: *Studies in Word-Association*, London.]
- (1907) *Über die Psychologie der Dementia praecox*, Halle.
[Trans.: *The Psychology of Dementia Praecox*, How York, 1909]
- (1910 a) 'Über Konflikte der kindlichen Seele', *Jb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 2, 33.
- (1910 b) 'Ein Beitrag zur Psychologie des Ceruchtes', *Zbl. Psychoanal.*, 1, 1.
- (1911) 'Ein Beitrag zur Kenntnis des Zahlentraumes', *Zbl. Psychoanal.*, 1, 567.
- Kant, I. (1764) *Versuch über die Krankheiten des Kopfes*.
(1798) *Anthropologie in pragmatischer Hinsicht*.

- Karpinska, L. Von (1914) 'Ein Beitrag zur Analyse "sinnloser" Worte in Traume', *Int. Z. Psychoanal.*, 2, 164.
- Kazousky, A.D. (1901) 'Zur Frage nach dem Zusammenhange von Traumen und Wahnvorstellungen', *Neurol. Zbl.*, 440 and 508.
- Kirchgraber, F. (1912) 'Der Hut als Symbol des Genitales', *Zbl. Psychoanal. Psychother.*, 3, 95.
- Kleinpaul, R. (1898) *Die Lebendigen und die Toten in Volksglauben, Religion und Sage*, Leipzig.
- Krauss, A. (1858-59) 'Der Sinnim Wahnsinn', *Allg. Z. Psychol.*, 15, 617 and 16, 222.
- Krauss, F.S. See Artemidorus.
- Ladd, G.T. (1892) 'Contribution to the Psychology of Visual Dreams', *Mind*, (New Series) 1, 299.
- Landauer, K. (1918) 'Handlungen des Schlafenden', *Z. ges. Neur. Psychiat.*, 39, 329.
- Lasegue, C. (1881) 'Le délire alcoolique n'est pas un délire, mais un rêve', *Arch. gén. Méd.*
- Lauer, C. (1913) 'Das Wesen des Traumes in der Beurteilung der talmudischen und rabbinischen Literatur', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 459.
- Lehmann, A. (1908) *Aberglaube und Zauberei von den ältesten Zeiten bis in die Gegenwart* (German trans. by Petersen), Stuttgart.
- Le Lorrain, J. (1894) 'La durée du temps dans les rêves', *Rev. phil.*, 38, 275. (1895) 'Le rêve', *Rev. phil.*, 40, 59.
- Lélut, (1852) 'Mémoire sur les sommeil, les songes et le sonnambulisme', *Ann. médpsychol.*, 4, 331.
- Lemoine, A. (1855) *Du sommeil au point de vue physiologique et psychologique*, Paris.
- Leroy, See Bernard-Leroy.
- Leuret, F. (1834) *Fragments psychologiques sur la folie*, Paris.
- Liébeault, A.A. (1889) *Le sommeil provoqué et les états analogues*, Paris.
- Lipps, T. (1883) *Grundtatsachen des Seelenlebens*, Bonn.
(1897) 'Der Begriff des Unbewussten in der Psychologie', *Records of the Third Internat. Congr. Psychol.*, Munich.
- Lloyd, W. (1877) *Magnetism and Mesmerism in Antiquity*, London.
- Lowinger. (1908) 'Der Traum in der jüdischen Literatur', *Mitt. jud. Volksk.*,
Lucretius, *De rerum natura*.
(Trans. by W.H.D. Rouse 'Loeb Classical Library', London and New York, 1924).

- 'Lynkeus' (J. Popper) (1899) *Phantasien eines Realisten*, Dresden.
- Maass, J.G.E. (1805) *Versuch über die Leidenschaften*, Halle.
- Macario, M.M.A. (1847) 'Des rêves, considérés sous le rapport physiologique et pathologique', Pt. II, *Ann. méd-psychol.*, 9, 27.
(1857) *Du sommeil, des rêves et du sonnambulisme dans l'état de santé et de maladie*, Paris-Lyons.
- Macnish, R. (1830) *Philosophy of Sleep*, Glasgow.
(German trans.: *Der Schlaf in allen seinen Gestalten*, Leipzig, 1835.)
- Maeder, A. (1908) 'Die Symbolik in den Legenden, Marchen, Gebräuchen, und Träumen', *Psychiat. - neurol. Wschr.*, 10, 55.
(1912) 'Über die Funktion des Traumes', *Jb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 4, 692.
- Maine de Biran, M.F.P. (1834) *Nouvelles considérations sur les rapports du physique et du moral de l'homme*, (ed. by V. Cousin), Paris.
- Marcinowski, J. (1911) 'Eine kleine Mitteilung', *Zbl. Psychoanal.*, 1, 575.
(1912 a) 'Gezeichnete Traume', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 490.
(1912 b) 'Drei Romane in Zahlen', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 619.
- Maudsley, H. (1868) *Psychology and Pathology of the Mind*, London. (1st ed., 1867.)
- Maury, L.F.A. (1853) 'Nouvelles observations sur les analogies des phénomènes du rêve et l'aliénation mentale', Pt. II, *Ann. méd-psychol.*, 5, 404.
(1878) *Le sommeil et les rêves* Paris. (1st ed., 1861.)
- Meier, G.F. (1758) *Versuch einer Erklärung des Nachtwandelns*, Halle.
- Meynert, T. (1892) *Sammlung von popularwissenschaftlichen Vorträgen über den Bau und die Leistungen des Gehirns*, Vienna.
- Miura K. (1906) 'Über japanische Traumdeuterei', *Mitt dtsch. Ges. Naturk. Ostasiens*, 10, 291.
- Moreau, J. (1855) 'De l'identité de l'état de reve et de folie', *Ann. méd-psychol.*, 1, 361.
- Muller, J. (1826) *Über die phantastischen Gedichterserscheinungen*, Coblenz.
- Myers, F.W.H. (1892) 'Hypermnesic Dreams', *Proc. Soc. Psych. Res.*, 8, 362.
- Nacke, p. (1903) 'Über sexuelle Traume', *Arch. Kriminalanthropol.*, 307.
(1905) 'Der Traum als feinstes Reagens f. d. Art d. sexuellen Empfindens', *Monatschr. f. Krim.-Psychol.*, 2, 500.
(1907) 'Kontrasttraume und spez. sexuelle Kontrasttraume', *Arch. Kriminalanthropol.*, 24, 1.
(1908) 'Beiträge zu den sexuellen Traummen', *Arch. Kriminalanthropol.*, 29, 363.

- (1911) 'Die diagnostische und prognostische Brauchbarkeit der sex. Traume',
Arztl. Sachv.-Ztg., 2.
- Negelein, J. Von (1912) 'Der Traumschlüssel des Jaggadeva,' Relig. Gesch. Vers.,
11, 4.
- Nelson, J. (1888) 'A Study of Dreams', Amer. J. Psychol., 1, 367.
- Nordenskjold, O. et al. (1904) Antarctic. Zwei Jahre in Schnee und Eis am
Sudpol, (2 vols.), Berlin.
[English trans. (abr.) : Antarctica, London. 1905].
- Pachantoni, D. (1909) 'Der Traum als Ursprung von Wahnideen bei Alkohol-
delirianten', Zbl. Nervenheilk., 32, 796.
- Paulhan, F. (1894) 'A propos de l'activité de l'esprit dans le reve',; under
'Correspondence' in Rrv. phil, 38, 546.
- Peisse, L. (1857) La médecine et les médecins, Paris.
- Pfaff, E.R. (1868) Das Traumleben und seine Deutung nach den Prinzipien der
Araber, Perser, Griechen, Inder und Agypter, Leipzig.
- Pfister, O. (1909) 'Ein Fall von psychoanalytischer Seelsorge und Seelenheilung',
Evangelische Freiheit, Tübingen.
(1911-12) 'Die psychologische Enträtselung der religiösen Glossolie und der
automatischen Kryptographie', Jb. psychoanal. psychopath. Forsch., 3, 427
and 730.
(1913) 'Kryptolaie, Kryptographie und unbewusstes Vexierbild bei Normalen',
Jb. psychoanal. und psychopath. Forsch., 5, 115.
- Pichon, A.E. (1896) Contribution a l'étude des délires oniriques ou délires de
rêve, Bordeaux.
- Pilcz, A. (1899) 'Über eine gewisse Gesetzmässigkeit in den Traumen', Author's
Abstract, Machr. Psychiat. Neurol., 5, 231, Berlin.
- Plato, Republic. (67 and n., 620).
[Trans. by B. Jowett (Dialogues, Vol. II), Oxford, 1871.]
- Pohorilles, N.E. (1913) 'Eduard von Hartmanns Gesetz der von unbewussten
Zielvorstellungen geleiteten Assoziationen', Int. Z. Psychoanal., 1, 605.
- Potzl, O. (1917) 'Experimentell erregte Traumbilder in ihren Beziehungen zum
indirekten Sehen,' Z. ges. Neurol. Psychiat., 37, 278.
- Prince, Morton (1910) 'The Mechanism and Interpretation of Dreams', J.
abnorm. Psychol., 5, 139.
- Purkinje, J.E. (1846) 'Wachen, Schlaf, Traum und verwandte Zustände', R.
Wagner's Handwörterbuch der Physiologie, 3, 412, Brunswick.
- Putnam, J.J. (1912) 'Ein charakteristischer Kindertraum', Zbl. Psychoanal.,

2, 328.

Raalte, F. Van (1912) 'Kinderdroomen', Het Kind, Jan.

Radestock, P. (1879) Schlaf und Traum, Leipzig.

Rank, O. (1909) Der Mythos von der Geburt des Helden, Leipzig and Vienna.

[Trans.: Myth of the Birth of the Hero, New York, 1913].

(1910) 'Ein Traum der sich selbst deutet', Jb. Psychoanal. psychopath. Forsch., 2, 465.

(1911 a) 'Beispiel eines verkappten Odipustraumes', Zbl. Psychoanal., 1, 16.

(1911 b) 'Belege zur Rettungsphantasie', Zbl. Psychoanal., 1, 331.

(1911 c) 'Zum Thema der Zahnreiztraume', Zbl. Psychoanal., 1, 408.

(1912 a) 'Die Symbolschichtung im Wecktraum und ihre Wiederkehr im mythischen Denken', Jb. psychoanal. psychopath. Forsch., 4, 51.

(1912 b) 'Aktuelle Sexualregungen als Traumanlasse', Zbl. Psychoanal., 2, 596.

(1912 c) Das Inzest-Motiv in Dichtung und Sage. Leipzig and Vienna.

(1913) 'Eine noch nicht beschriebene Form des Odipus-Traumes', Int. Z. Psychoanal., 1, 151.

(1914) 'Die "Geburts-Rettungsphantasie" in Traum und Dichtung', Int. Z. Psychoanal., 2, 43.

Rank, O., and Sachs, H. (1913) Die Bedeutung der Psychoanalyse für die Geisteswissenschaften, Wiesbaden.

[Trans.: The Significance of Psychoanalysis for the Mental Sciences, New York, 1915.]

Régis, E. (1894) 'Les hallucinations oniriques ou du sommeil des dégénérés mystiques', Compte rendu Congrès Méd. Alién., 260, Paris, 1895.

Reik, T. (1911) 'Zur Rettungssymbolik', Zbl. Psychoanal., 1, 499.

(1915) 'Gold und Kot', Int. Z. Psychoanal., 3, 183.

Reitler, R. (1913 a) 'Zur Augensymbolik', Int. Z. Psychoanal., 1, 159.

(1913 b) 'Zur Genital — und Sekret-Symbolik', Int. Z. Psychoanal., 1, 492.

Robert, W. (1886) Der Traum als Naturnotwendigkeit erklärt, Hamburg.

Robitsok, A. (1912) 'Zur Frage der Symbolik in dem Traumen Gesunder', Zbl. Psychoanal., 2, 340.

Roffenstein, G. (1923) 'Experimentelle Symboltraume', Z. ges. Neurol. Psychiat., 87, 362.

R (Orschach), H. (1912) 'Zur Symbolik der Schlange und der Kravatte', Zbl. Psychoanal., 2, 675.

Sachs, H. (1911) 'Zur Darstellungs-Technik des Traumes', Zbl. Psychoanal., 1, 413.

(1912) 'Traumdeutung und Menschenkenntnis', Jb. Psychoanal. psychopath. Forsch., 3, 568.

(1913) 'Ein Traum Bismarcks', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 80.

(1914) 'Des Zimmer als Traumdarstellung des Weibes', *Int. Z. Psychoanal.*, 2, 35.

See also Rank & Sachs.

Salomon Almoli Ben Jacob (1637) *Pithron Chalomoth*, Amsterdam.

Sanctis, Sante De (1896) *I sogni e il sonno nell' isterismo e nella epilepsia*, Rome.

(1897 a) 'Les maladies mentales et les rêves', *extrait des Ann. Soc. Méd. de Gand*, 76, 177.

(1897 b) 'Sui rapporti d'identita, di somiglianza, di analogia e di equivalenza fra sogno e pazzia', *Riv. quindicinale Psicol. Psichiat. Neuropatol.*, Nov. 15.

(1898 a) 'Psychoses et rêves', *Rapport au Congrès de neurol. et d'hypnologie de Bruxelles 1897; Comptes rendus*, 1, 137.

(1898 b) 'I sogni dei neuropatici e dei pazzi', *Arch. psichiat. antrop. crim.*, 19, 342.

(1899) *I sogni*, Turin.

(German transl. by O. Schmidt, Halle, 1901.)

Scherner, K.A. (1861) *Das Leben des Traumes*, Berlin.

Schiciermacher, F. (1862) *Psychologie*, (Vol. 6, Sec. 3 in *Collected Works*, ed. L. George), Berlin.

Scholz, F. (1887) *Schlaf und Traum*, Leipzig.

[Trans.: *Sleep and Dreams* by H.M. Jewett, New York, 1893.]

Schopenhauer, A. (1862) 'Versuch uber das Geistersehen und was damit zusammenhangt', *Paraga und Paralipomena (Essay V.)*, 1, 123, 2nd ed., Berlin. (1st ed. 1851).

Schrotter, K. (1912) 'Experimentelle Traume', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 638.

Schubert, G.H. von (1814) *Die Symbolik des Traumes*, Bamberg.

Schwarz, F. (1913) 'Traum und Traumdeutung nach "Abdalganlian-Nabulusi"', *Z. deutsch. morgenl. Ges.*, 67, 473.

Secker, F. (1909-10) 'Chinesische Ansichten uber den Traum', *Neue metaph. Rndschr.*, 17, 101.

Siebeck, H. (1877) 'Das Traumleben der Seele', *Sammlung gemeinverstandlicher Vortrage*, Berlin.

Silberer, H. (1909) 'Bericht uber eine Methode, gewisse symbolische Halluzinations-Erscheinungen hervorzurufen und zu beobachten,' *Jb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 1, 513.

(1910) 'Phantasie und Mythos', *Jb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 2, 541.

(1912) 'Symbolik des Erwachens und Schwellensymbolik uberhaupt', *Jb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 3, 621.

- (1914) *Problems der Mystik und ihrer Symbolik*, Vienna and Leipzig.
- Simon, P.M. (1888) *Le monde des rêves*, Paris.
- Sperber, H. (1912) 'Über den Einfluss sexueller Momente auf Entstehung und Entwicklung der Sprache', *Imago*, 1, 406.
- Spielrein, S. (1913) 'Traum von "Pater Freudenreich"', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 484.
- Spitta, H. (1882) *Die Schief- und Traumzustände der menschlichen Seele*, Tübingen. (1st ed., 1878.)
- Spitteler, C. (1914) *Meine frühesten Erlebnisse*, Jena.
- Stannius, H. (1849) *Das periphere Nervensystem der Fische, anatomisch und physiologisch untersucht*, Rostock.
- Starcke, A. (1911) 'Ein Traum der das Gegenteil einer Wunscherfüllung zu verwirklichen schien', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 86.
- Starcke, J. (1913) 'Neue Traumexperimente in Zusammenhang mit älteren und neueren Traumtheorien', *Jb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 5, 233.
- Stekel, W. (1909) 'Beiträge zur Traumdeutung', *Jb. psychoanal. psychopath. Forsch.*, 1, 458.
- (1911) *Die Sprache des Traumes*, Wiesbaden.
- Stricker, S. (1879) *Studien über das Bewusstsein*, Vienna.
- Strumpell, A. von (1883-34) *Lehrbuch der speciellen Pathologie und Therapie der inneren Krankheiten*, Leipzig.
- (Trans.: *Text-book of Medicine*, (2 vols.), 4th Amer. Ed., New York, 1912.)
- Strumpell, L. (1877) *Die Natur und Entstehung der Traume*, Leipzig.
- Stumpf, E.J.G. (1899) *Der Traum und seine Deutung*, Leipzig.
- Sully, J. (1893) 'The Dream as a Revelation', *Fortnightly Rev.*, 53, 354.
- Swoboda, H. (1904) *Die Perioden des Menschlichen Organismus*, Vienna.
- Tannery, M.P. (1898) 'Sur la mémoire dans le rêve', *Rev. phil.*, 45, 637.
- Tausk, V. (1913) 'Zur Psychologie der Kindersexualität', *Int. Z. Psychoanal.*, 1, 444.
- (1914) 'Kleider und Farben im Dienste der Traumdarstellung', *Int. Z. Psychoanal.*, 2, 464.
- Tfinkdji, J. (1913) 'Essai sur les songes et l'art de les interpréter (onirocritie) en Mésopotamie', *Anthropos*, 8, 505.
- Thomayer, S. and Simerka (1897) 'Sur la signification de quelques rêves', *Rev. neurol.*, 5, 98.
- Tissié, P. (1898) *Les rêves, physiologie et pathologie*, Paris. (1st ed., 1870.)
- Tobowolska, J. (1900) *Etude sur les illusions de temps dans les rêves du sommeil normal*, (Thesis) Paris.

See also Bernard-Leroy and Tobowolska.

Varendonck, J. (1912) *The Psychology of Day-Dreams*, London.

Vaschide, N. (1911) *Le sommeil et les rêves*, Paris.

Vespa, B. (1897) 'Il sonno e i sogni nei neuro- e psicopatici', *Boll. Soc. Lancisiana Osp.*, 17, 193.

Vold, J. Mourly (1896) 'Expériences sur les rêves et en particulier sur ceux d'origine musculaire et optique' (review), *Rev. phil.*, 42, 542.

(1910-12) *Über den Traum* (2 vols.) (German transl. by O. Klemm), Leipzig.

Volkelt, J. (1875) *Die Traum-Phantasie*, Stuttgart.

Weed, S. See Hallam and Weed.

Weygandt, W. (1893) *Entstehung der Traume*, Leipzig.

Whiton Calkins. See Calkins, Whiton.

Wiggam, A. (1909) 'A Contribution to the Data of Dream Psychology', *Ped. Sem. J. Genet. Psychol.*, 16, 250.

Winterstein, A. Von (1912) 'Zwei Belege für die Wunscherfüllung im Traume', *Zbl. Psychoanal.*, 2, 292.

Wittels, F. (1924) *Sigmund Freud : der Mann, die Lehre, die Schule*, Vienna. (Trans.: *Sigmund Freud : his Teaching and his School*, by Eden and Cader Paul, London 1924.)

(1931) *Freud and his Time* (trans. by Louise Brink), New York.

Wundt, W. (1874) *Grundzuge der physiologischen Psychologie*, Leipzig.

Zeller, A. (1818) 'Irre', *Ersch and Gruber : Allgemeine Encyclopedie der Wissenschaften*, 24, 120.

ب

مؤلفات أخرى في موضوع الأحلام نشرت قبل عام ١٩٠٠
وهي مؤلفات أدرجها فرويد بين مراجعته دون أن يشير إليها خلال النص .

Ahmad Ibn Sirin, Achmetis f. Seirim *Oneirocriticae*, ed. N. Rigaltius, Paris, 1603.

Alberti, Michael (1744) *Diss. de insomniorum influxi in sanitatem et morbos*.
Resp. Titius Halae M.

Alix (1883) 'Les rêves', *Rev. Sci. Industr.* 3rd series, 6, 554.

Anon (1890) 'Science of Dreams', *The Lyceum*, p. 28, Dublin.

(1890) 'Rêves et l'hypnotisme', *Le Monde*, Aug. 25.

(1893) 'The Utility of Dreams', *J. Comp. Neurol.*, 3, 17, Granville.

- Bacci, Domenico (1857) *Sui sogni e sul sonnambulismo, pensiero fisiologico-metafisici*, Venice.
- Ball, B. (1885) *La morphinomanie, les rêves prolongés*, Paris.
- Benezé, Emil (1897) 'Das Traummotiv in der mittelhochdeutschen Dichtung bis 1250 und in alten deutschen Volksliedern', *Benezé, Sageng. und lit. - hist. Unters.*, 1, Dans Traummotiv, Halle.
- Benini, v. (1898) 'Nel mondo dei sogni', *il Pensiero nuovo*, Apr.
- Birkmaier, Hieron (1715) *Licht im Finsterniss der nachtlichen Gesichte und Traume*, Nuremberg.
- Bisland, E. (1896) 'Dreams and their Mysteries', *N. Am. Rev.*, 162, 716.
- Bradley, F.H. (1894) 'On the Failure of Movement in Dreams', *Mind. (new series)*, 3, 373, London.
- Brander, R. (1884) *Der Schlaf und das Traumleben*, Leipzig.
- Bremer, L. (1893) 'Traum und Krankheit', *New York med. Monstsch.*, 5, 281.
- Bussola, Serafino (1834) *De somniis*, (Thesis) Ticini Reg.
- Caetani-Lovatelli (1889) 'I sogni e l'ipnotismo nel mondo antico', *Nuova Antol.*, Dec. 1.
- Cane, Francis E. (1889) 'The Physiology of Dreams', *The Lancet*, 67 II, 1330 (Dec. 28).
- Cardano, Girolamo (1562) *Somiorum synesiorum, omnis generis insomnia explicantes libri IV*, Bale.
(2nd ed. in *Opera omnia Cardani*, 5, 593, Lyons, 1663.)
- Cariero, Alessandro (1575) *De somniis deque divinatione per somnia*, Padua.
- Carpenter (1849-52) 'Dreaming' (under 'Sleep'), *Cyclop. of Anat. and Physiol.*, 4, 687, London.
- Claviere, (1897) *La rapidité de la pensée dans le rêve*, *Rev. phil.*, 43, 507.
- Coutts, G.A. (1896) 'Night-terrors', *Amer. J. med. Sc.*
- D.L. (1895) 'A propos de l'appréciation du temps dans le rêve', *Rev. phil.*, 40, 69.
- Dagonet, H. (1889) 'Du rêve et du délire alcoolique', *Ann. méd.-psychol.*, Series 7, 10, 193.
- Dandelo, G. (1889) *La coscienza nel sogno*, Padua.
- Dechambre, A. (1880) 'Cauchemar', *Dict. encycl., sc. méd.*, 2, 48.
- Dietrich, J.D. (1726) *An ea, quae hominibus in somno et somnio accidunt iisdem possint imputari ? resp.* Gava, Wittenberg.
- Dochmassa, A.M. (1890) *Dreams and their Significance as Forebodings of Disease*, Kazan.

- Dreher, E. (1890) 'Sinneswahrnehmung und Traumbild', *Reichs-med. Anzeiger*, 15, Nos. 20, 21, 22, 23, 24; 16, Nos. 3, 8, Leipzig.
- Ducosté, M. (1899) 'Les songes d'attaques des pileptiques', *Journ. Méd. Bordeaux*, Nov. 26 and Dec. 3.
- Du Prel, C. (1869) 'Oneirokritikon : der Traum vour Standpunkte des transcend. Idealismus', *Deutsche Vierteljahrschrift*, 2, Stuttgart.
- (1890) *Psychologie der Lyrik*, Leipzig.
- (1890) 'Kunstliche Traume', *Sphinx*, July.
- Egger, V. (1888) 'Le sommeil et la certitude, le sommeil et la mémoire', *Critique philos.*, 1, 341, Paris.
- Ellis, Havelock (1895) 'On Dreaming of the Dead', *Psychol. Rev.*, 2, 458.
- (1897) 'A Note on hypnagogic Paramnesia', *Mind*, 6, 283.
- Erdmann, J.E. (1855) 'Das Traumen', *Ernste Spiele*, Chap. 12, Berlin.
- Erk, Vinz. Von (1874) *Über den Unterschied von Traum und Wachen*, Prague.
- Escande De Messieres (1895) 'Les rêves chez les hystériques', (Thesis) Bordeaux.
- Faure (1876) 'Etudes sur les rêves morbides. Rêves persistants', *Arch. génér. Méd.*, 6th ser., 27, 550.
- Fenzia (1869) 'L'azione suggestiva delle cause esterne nei sogni', *Arch. per l'Antrop.*, 26.
- Féré, C. (1897) 'Les rêves d'accès chez les épileptiques', *Méd. mod.*, Dec. 8.
- Fischer, Joh. (1899) *Ad artis veterum onirocriticae historiam symbola*, (Thesis) Jena.
- Florentin, V. (1899) 'Das Traumleben : Plauderei', *Die alte und die neue Welt*, 33, 725.
- Fornaschon, H. (1897) 'Die Geschichte eines Traumes als Beitrag der Transcendentalpsychologie', *Psychische Studien*, 24, 274.
- Frensborg. (1885) 'Schlaf und Traum', *Sammlung gemeinverst. wiss. Vortr.*, Virchow-Holtzendorf, Ser. 20, 466.
- Frerichs, J.H. (1866) *Der Mensch : Traum, Herz, Verstand*, Nordon.
- Galen. *De praecognitione, ad Epigenem*, Lyons, 1540.
- Girgensohn, L. (1845) *Der Traum : psychol. - physiol. Versuch.*
- Gleichen-Russwurm, A. Von (1899) 'Traum in der Dichtung', *Nat. Z.*, Nos. 553-559.
- Gley, E. (1898) 'Appréciation du temps pendant le sommeil', *L'intermédiaire des Biologistes*, 10, 228.
- Gorton, D.A. (1896) 'Psychology of the Unconscious', *Amer. med. Times*, 24, 33, 37.

- Gould, G.M. (1889) 'Dreams, Sleep, and Conscousness', The Open Court (Chicago), 2, 1433-6 and 1444-7.
- Grabener, G.C. (1710) *Ex antiquitate judaica de menudim bachalom sive excommunicatis per insomnia exerc, resp. Kiebius, Wittemberg.*
- Graffunder, P.C. (1894) 'Traum und Traumdeutung', Samml., gemeinv. wiss. Vortrage, 197.
- Greenwood, F. (1894) *Imaginations in Dreams and their Study*, London.
- Grot, N. (1878) *Dreams, a Subject of Scientific Analysis* (in Russian) Kiev.
- Guardia, J.M. (1892) 'La personnalité dans les rêves', Rev. phil., 34, 225.
- Gutteltdt, I. (1899) 'Ein Traum', Psychol. Studien, 26, 491.
- Hampe, T. (1896) 'Über Hans Sachsens Traumgedichte', Z. deutsch. Unterricht, 10, 616.
- Heerwagen (1889) 'Statist. Untersuch. über Traume u. Schiaf', Philes. Stud., 5, 301.
- Hiller, G. (1899) 'Traum, Ein Kapitel zu den zwölf Nächten', Leipz., Tagbl. un Anz., No. 657, Suppl. 1.
- Hitschmann, F. (1894) 'Über des Traumleben der Blinden', Z. Psychol., 7, 387.
- Jastrow, J. (1888) 'The Dreams of the Blind', New Princeton Rev., 5, 18.
- Jensen, J. (1871) 'Traumen und Denken', Samml. gemeinv. wiss. Votr. Virchow-Holtzendorff Ser. 6, 134.
- Kingsford, A. (1888) *Dreams and Dream-Stories*, (ed. H. Maitland), London. (2nd ed.)
- Kloepfel, F. (1899) 'Traumerei und Traum : Allerlei aus unserem Traumleben', Universum, 15, 2469 and 2607.
- Kramar, Oldrich (1882) *O spanku a snu*, Prager Akad. Gymn.
- Krasnicki, E. Von (1897) 'Karls IV Wahrtraum', Psych Stud., 24. 697.
- Kucera, E. (1895) 'Aus dem Traumleben', Mahr-Weisskirchen, Gymn.
- Laistner, L. (1889) *Das Ratsel der Sphinx*, (2 vols.), Berlin.
- Landau, M. (1892) 'Aus dem Traumleben', Munchner Neueste Nachrichten, Jan. 9.
- Laupts. (1895) 'Le fonctionnement cérébral pendant le rêve et pendant les ommeil hypnotique', Ann. méd. - psychol., Ser. 8, 2, 354.
- Leidesdorf, M. (1880) 'Das Traumleben', Sammlung der 'Alma Mater', Vienna.
- Lerch, M.F. (1883-84) 'Das Traumleben und sein Bedeutung', Gymn. Progr., Komotau.
- Liberali, Francesco (1834) *Dei sogni*, (Thesis) Padua.

- Liébeault, A. (1893) 'A travers les états passifs, le sommeil et les rêves,' *Rev. hypnot.*, 8, 41, 65, 106.
- Luksch, L. (1894) *Wunderbare Traumerfüllung als Inhalt des wirklichen Lebens*, Leipzig.
- Macario, M.M. A. (1846) 'Des rêves, considérés sous le rapport physiologique et pathologique', Pt. I, *Ann. méd-psychol.*, 8, 170.
(1889). 'Des rêves morbides', *Gaz. méd. de Paris*, 8, 1, 85, 97, 109, 121.
- Macfarlane, A.W. (1890) 'Dreaming', *Edinb. med. J.*, 36, 499.
- Maine de Biran, M.F.P. (1792) 'Nouvelles Considérations sur le sommeil, les songes, et le sonnambulisme', *Œuvres Philosophiques*, 209, (Ed. V. Cousin), Paris, 1841.
- Maury, L.F.A. (1857) 'De certains faits observés dans les rêves,' *Ann. méd.-psychol.*, Ser. 3, 3, 157.
- Meisel (pseud) (1783) *Natürlich-göttliche und teuflische Traume*, Seighartstein.
- Melinand, M.C. (1898) 'Dream and Reality', *Pop. Sc. Mc.*, 54, 96.
- Melzentin, G. (1899) 'Über wissenschaftliche Traumdeutung', *Gegenwart*, 50, Leipzig.
- Mentz, R. (1888) *Die Traume in den altfranzösischen Karls-und Artusepen*, Marburg.
- Monroe, W.S. (1899) 'A study of taste-dreams', *Am. J. Psychol.*, 10, 326.
- Moreau De La Sarthe, J.L. (1820) 'Rêve', *Dict. sc. méd.* 48, 245.
- Motet (1829-36) 'Cauchemar', *Dict. méd. chir. pratiques*, Paris.
- Murray, J.C. (1894) 'Do we ever dream of tasting?' *Proc. Am. psychol. Ass.*, 20.
- Nagele, A. (1889) 'Der Traum in der epischen Dichtung', *Programm der Realschule*, Marburg.
- Newbold, W.R. (1896) 'Sub-conscious Reasoning', *Proc. Soc. psychic. Res.*, 12, 11, London.
- Passavanti, J. (1891) *Libro die sogni*, Rome.
- Paulhan, F. (1894) 'A propos de l'activité de l'esprit dans le rêve', *Rev. phil.*, 38, 546.
- Pick, A. (1896) 'Über pathologische Traumerei und ihre Beziehungen zur Hysterie', *Jb. Psychiat.*, 14, 280.
- Ramm, K. (1889) *Diss. pertractans somnis*, Vienna.
- Régis, E. (1890) 'Les rêves Bordeaux', *La Gironde (Variétés)*, May 31.
- Richard, Jerome (1766) *La théorie des songes*, Paris.
- Richardson, B.W. (1892) 'The Physiology of Dreams', *Asclep.*, 9, 129.

- Richier, E. (1816) *Onéirologie ou dissertaion sur les songes, considérés dans l'état de maladie*, (Thesis) Paris.
- Richter, J.P. (Jean Paul) (1813) 'Blicke in die Traumwelt', *Museum*, 2, (also in *Werke*, ed. Hempel, 44, 128.)
 Uber Wahl- und Halbtraume', *Werke*, 44, 142.
 (1826-33) *Wahrheit aus Jean Pauls Leben*.
- Robinson, L. (1893) 'What Dreams are made of', *N. am. Rev.*, 157, 687.
- Rousset, C. (1876) *Contribution a l'étude du cauchemar*, (Thesis) Paris.
- Roux, J. (1898) 'Le reve et les délires onitiques', *Province méd. Lyons*, 12, 212.
- Ryff, W.H. (1554) *Traumbuchlein*, Strassburg.
- Santel, A. (1874) 'Poskus raz kladbe nekterih pomentijvih prokazni spanja in sanj', *Progr. Gymn.*, Gorz.
- Sarlo, F. De (1887) *I sogni. Saggio psicologico*, Naples.
- Sch. Fr. (1897) 'Etwas uber Traume', *Psych. Studien*, 24, 686.
- Schleich, K.L. (1899) 'Schlaf und Traum', *Zukunft*, 29, 14; 54.
- Schwartzkopff, p. (1887) *Das Leben im Traum : eine Studie*, Leipzig.
- Stevenson, R.L. (1892) 'A Chapter on Dreams', *Across the Plain*.
- Stryk, M. Von (1899) 'Der Traum und die Wirklichkelt', (after C. Mélinand), *Baltische Mschr.*, 189, Riga.
- Sully, J. (1881) *Illusions, a Psychological Study*, London.
 (1882) 'Etudes sur les rêves', *Rev. scientif.*, Ser. 3, 3, 385.
 (1892) *The Human Mind*, (2 vols.), London.
 (1875-89) 'Dreams', *Enc. Brit.*, 9th ed.
- Summers, T.O. (1895) 'The Physiology of Dreaming', *St. Louis Clin.*, 8, 401.
- Surbled, G. (1895) 'Origine des rêves', *Rev. quest. scient.*
 (1898) *Le rêve*, Paris.
- Synesiuss of Syrene *Liber de insomniis*.
 (German trans., *Oneiromantik* by Krauss, Vienna, 1888.)
- Tannery, M.P. (1894) 'Sur l'activité de l'esprit dans le rêve', *Rev. phil.*, 38, 630.
 (1898) 'Sur la paramnésie dans les rêves', *Rev. phil.*, 46, 420.
- Thiéry, A. (1896) 'Aristote et la psychologie physiologique du rêve', *Rev. neo-scol.*, 3, 260.
- Thomayor, S. (1897) 'Contributions to the Pathology of Dreams' (in Czech), *Policlinic of the Czech University*, Prague.
- Tissié, P. (1896) 'Les rêves; rêves pathogènes et thérapeutiques; rêves photographiés', *Journ. méd. Bordeaux*, 36, 293, 308, 320.
- Titchener, E.B. (1895) 'Taste Dreams', *Am. J. Psychol.*, 6, 505.

- Tonnini, S. (1887) 'Suggestione e sogni', Arch. psychiatr. antrop. crim., 8, 264.
- Tonsor, J.H. (1627) Disp. de vigilia, somno et somniis, prop. Lucas, Marburg.
- Tuke, D.H. (1892) 'Dreaming', Dict. of Psychol. Med. (ed. Tuke), London.
- Ullrich, M.W. (1896) Der Schlaf und das Traumleben, Geisteskraft und Geisteschwache, (3rd ed.). Berlin.
- Unger, F. (1898) 'Die Magie des Traumes als Unsterblichkeitsbeweis. Nebst e. Vorwort : Okkultismus und Sozialismus von C. de Prel, (2nd ed.), Munster.
- Vignoli, T. (1879) Mito e scienza : Saggio, Milan.
(Trans.: Myth and Science : An Essay, London, 1882, (Chap. VIII).
- Vischer, F.T. (1876) 'Studien uber den Traum', Beilage allg. Z., 105.
- Vold, J. Mourly (1897) 'Einige Experimente uber Gesichtsbilder im Traume', Report of 3rd. Psych. Congr., Munich, and Z. Psychol. Physiol. Sinnesorgane, 13, 66.
- Vykoukal, F.V. (1898) On Dreams and Dream-interpretations, (in Czech) Prague.
- Wedel, R. (1899) 'Untersuchungen auslandischer Gelehrter uber gew. Traumphanomene', Beitr. zur Grenzwissenschaft, p. 24.
- Wehr, H. (1887) 'Das Unbewusste im menschlichen Denken', Programm der Oberrealschule, Klagenfurt.
- Weill, A. (1872) Qu'est-ce que le rêve ? Paris.
- Wendt, K. (1858) Kriemhilds Traum, (Thesis) Rostock.
- Wilks, S. (1893-94) 'On the Nature of Dreams', Med. Mag., 2, 597, London.
- Williams, H.S. (1891-92) 'The Dream State and its Psychic Correlatives, Amer. J. Insanity, 48, 445.
- Woodworth, R.S. (1897) 'Note on the Rapidity of Dreams', Psychol. Rev., 4, 524.
(1886) 'Ce qu'on peut rêver en cinq secondes', Rev. sc., 3rd. ser., 11, 572.
- Zuccarelli (1894-95) 'Polluzioni notturne ed epilepsia', L'anomalo, 1, 2, 3.

فهرست الاحلام

أ

أحلام فرويد

- أخبار عن ابني من جبهة القتال ، ٥٤٨ - ٥٠
أركب جواداً (وفي خراج) ، ٢٤٨ - ٥٠
أشرح لصديق نظرية بدت لنا واضحة ، ٤٧٤ ، ٢٣٢
أشهر الخطباء (دكتور ليشر) ، ٢٤٨
أصالح صديقاً ، ١٦٩ ، ٥٧٦ - ٧
أصعد السلم غير مكتمل الثياب ، ٢٥٦ - ٨ ، ٢٦٤
« أغمض عينيك » ، ٣٢٨
الأقدار الثلاثة ، ٢٢٤ - ٨ ، ٢٥١
الأم وابنتها ، ١٨٨
الآنية الأتروية ، ١٥٠
الأستاذ أوزر ، ١٩٠ هـ
التل وعليه شيء أشبه بمرحاض ، ٤٦٦ - ٨
الحصن على شاطئ البحر ، ٤٦٢ - ٤ ، ٥٣٨
السيدة دوف والأطفال الثلاثة ، ٤٤٥ - ٦ ، ٤٧٦
الطبيب الأعور والمدرس ، ٥٦ ، ٢٨٩
العشرون فلورين قيمة الاشتراك في الرحلة ، ١٨٨
القاعة المزدهجة بالآلات ، ٣٤٥ ، ٣٤٩
الكونت تون (أو الحلم الثوري) ، ٢٢٨ - ٣٨ ،
٢٥١ ، ٤٣١ - ٤ ، ٤٦٨
المبحث النباقي ، ١٨٧ ، ١٩١ - ٨ ، ٢٠١ ، ٤٥
٢١١ ، ٢٩٥ - ٧ ، ٣١٧ ، ٣٧٢
المرثية يلقيها الطبيب الشاب ، ٢٠٠ ، ٣٥٢٠١
الوجوه ذات مناقير الطير ، ٤٨٧ ، ٥٧١
« أوتو ديداسكر » ، ٣١١ - ٥ ، ٤١٩ ، ٥٢٧ ،
٥٣٤ ، ٥٨٢
أوتو يبدو معتل الصحة ، ٢٨٤ - ٩٠ ، ٥٤٥ -
٥٥٠ ، ٦
- بادوا ، مطعم في الهواء الطلق ، ٥٤
برج الكنيسة (المنسى) ، ٥٤
تركت سيدة تنتظرني ، ١٨٧
تشريع حوضي ، ٤١٥ ، ٤٥٢ - ٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦
تمثال أرشميدس ، ١٩٠ هـ
جوتة بهاجم السيد م ، ٣٣٦ - ٧ ، ٣٤٦ ، ١٥٠
٤٣٩ - ٤١ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨
حقنة إرما ، ١٣٤ - ٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٢ ، ٢١٦ ،
١٨٧ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٢٨٦ ، ٣٠٥ -
٨ ، ٣١٨ ، ٣٢١ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣٣ ،
٣٥٠ ، ٥٠٧ ، ٥٨١
خطاب من الحزب الاشتراكي الديمقراطي ، ١٨٨
خطاب من المجلس البلدي ، ٤٣٥ - ٨ ، ٤٤٨ - ٥١
٥٠٨
روما ، أسأل السيد تسوكر الطريق إليها ، ٢١٤ ، ٢١٥
روما ، التيبر وجسر سانت آنجلو ، ٢١٤
روما ، ناصية الطريق ، ٢١٥
روما ، وقد تلمعت بالضباب ، ٢١٤
سافوذا رولا ، ١٨٩ هـ
صخرة في عرض البحر ، ١٨٨
عمى ذو الحية الصفراء ، ١٦١ - ٨ ، ١٨٧ ،
٢٠١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٣٠٦ ، ٣١٨
٣٣٢ ، ٤٧٠ ، ٤٨١ هـ ، ٥٥٩
فيللا سيرنو ، ٣٢٧
« لم يعيش » ، ٤٢٢ - ٥ ، ٤٧٠ ، ٤٧٨ - ٨٤
٥٠٨
مات البابا ، ٢٥١

هولتورن ، ٤٥٤ - ٨ ، ٥١٣ ، ٥١٤

هيرسنيج ، ٣١١

والدى على فراش الموت وقد أشبه غاريبالدى ، ٤٢٧ -

٩ ، ٤٤٦ - ٧ ، ٤٧٦

« يابنى قصير النظر ... » ، ٢٨٤ ، ٤٤٠ - ٣

« يالة من أسلوب نور كدالى » ، ٣٠٩

ب

أحلام الآخرين

[يجد القارئ بين قوسين اسم الحلم أو صفته ثم الراوى]

أبوه يعنفه (مريض شاب - فرويد) ، ٣٣٨

أجراس الكنيسة (هيلدبرانت - هيلدبرانت) ،

٦٥ - ٦ ، ٢٤٠

أجراس المزقة (هيلدبرانت - هيلدبرانت) ،

٦٦ ، ٢٤٠

أحلام المكتشفين (نوردنسكولد - مونجوبارك -

جورج باك) ، ١٥٧ ، ٢٨

أغيلويس وديوميد (ابن فرويد البالغ ٨ سنوات - فرويد)

١٥٦ ، ٤٨٩

« إدارة خدمات الحب » (سيدة متقدمة فى السن -

الدكتورة هوج - هلموث) ، ١٦٧ ، ٨

اسم منسى (رجل - فرويد) ، ٤١٠

أشخاص كبار الحجم (مريضة - فرويد) ، ٤١٠

إصابة أولية بالسفلس (طبيب - شاركة) ، ١٨٢

إقرار النخل المزيف (طبيب شاب - فرويد) ، ١٨٠

الأب فى حادثة سكة الحديد (مريض - فرويد) ، ٤٢٦

الأب يحمل رأسه على طبق (طفل عمره ٣ سنوات وخمسة

أشهر - فرويد) ، ٢٧٢

الابنة الميتة فى صندوق (مريضة - فرويد) ، ١٩٨ ،

١٩٩ ، ٢٠٩ - ٢٦٦

الإجازة مع زوج الأب (مريضة - فرويد) ، ١٧٥

١٧٦

الأخ فى الصندوق (رجل ما - فرويد) ، ٤٠٨

الأسبليسيوم والعطايا (دلبوف - دلبوف) ، ٥١ ، ٥١

- ٢ ، ٣٥٣

الأسد الأصفر (طبيب شاب - فرويد) ، ٢١١

الأسود الثلاثة (امرأة - فرويد) ، ٤٦٠

الأطافال نمت لهم أجنحة (مريضة - فرويد) ، ٢٧٠

الأوفى تنكمر (هيلدبرانت - هيلدبرانت) ، ٦٦ ، ٢٤٠

البقرات السبع (فرعون - التوراه) ، ١٢٧ ، ٣٤٣

البيانو ، صندوق يبعث على الاشتزاز (مريضة شابة

- فرويد) ، ٢٠٦ ، ٢٠٧

البيانو ، وإهمال العزف (مريض - فرويد) ، ٣٧٧

التردد فى عبور مجرى الماء (الظاهرة الوظيفية)

(سيلبر - سيلبر) ، ٥٠٠

الجرى على السلم وسبى الفتاة الصغيرة (رجل - رانك) ،

٣٧٥ - ٧

الجهاز المبرد (آلام فى الخد) (امرأة - فرويد) ،

١٥٢ ، ٢٥١

الحجج إلى القدس (موري - موري) ، ٩٤ ، ٢٢٦ ، ٥

٥٢٣

الحصان فى حقل الخرطل (كيلر - كيلر) ، ٤٠٩

« الحلم الجميل » (مريض - فرويد) ، ٢٩٨ - ٣٠٣ ،

٣١٧ ، ٣٣٦

الخادم ورقمها (مريض - جونز) ، ٣٦١ ، ٨

الرأس قطع المرأة (طفل فى السادسة - فرويد) ، ٢٧٢

الرب مرتديا قبعة (فتاة صغيرة - فرويد) ، ٤١٥

الرصيف يتحرك نحو القطار (رجل - فرويد) ، ٤١٠

الرماية الكبرى (أوبرا فيدليو) (شاب - فرويد) ،

٣٩٠

الساعة الخامسة وربع الساعة (رجل - فرويد) ، ٤١١

الساق غطتها حبوب الكافيار (فتاة - فرويد) ، ٣٣٥

الصالحون المدخن (مريضة - فرويد) ، ١٧٠ - ٦ ،

١٨١٧ ، ١٩٦

السقوط فى شارع جراين (مريضة متقدمة فى السن -

فرويد) ، ٢٢٢ - ٣

الشاب يلقى القبض عليه فى المطعم (شاب - فرويد) ،

٤٩١

الشعلة والشعدان (امرأة شابة - فرويد) ، ٢٠٨

المرحبة مثلت (كازيمير بوجور - ماكاريو) ،
٤٩٤

المعطف الشتوي (مريض شاب - فرويد) ، ٢٠٧ ،
المقصلة (مورى - مورى) ، ٦٤ ، ٩٨ ، ٥٠ ،
٤٩٢ - ٤٠٤ ، ٥٦٣

« المقولة » والفعل المشتق منها (غلام - تاوسك) ، ٣١٦ ،
الممثل الشاكي السلاح (سيدة - تاوسك) ، ٤١٣ ،
المرضة الفرنسية (صور هزلية - فرنسى) ، ٣٧٢ ،
المنزل الصغير بين قصرين عظيمين (رجل - فرويد) ،
٤٠١

المنظر المتراى الأطراف (رجل - فرويد) ، ٤١٠ ،
النار ! النار ! (مؤلف موسيقى - فولكلت) ، ٦٤ ،
النفمة المنسية (الماركى دى سان دوفى - فاشيد) ، ٥٣ ،
ألواح الشوكولاته (ابنة فرويد البالغة ٨ سنوات و ٦
أشهر - فرويد) ، ١٥٥ ،
الدواع مع تدبير لقاء جديد (الظاهرة الوظيفية)
(سيلبر - سيلبر) ، ٥٠٠ ،

الوقادون (حلم تجريى) (مورى - مورى) ، ٦٣ ،
« إلى إيطاليا » (مریضة - فرويد) ، ٢٥ ،
« انمسخ الحلم » (رجل - فرويد) ، ٣٤١ ،
« إنه من تجد أمثاله بالمشات » (مریضة - فرويد) ،
٥٤٢

أوبرا فاجنر (سيدة من المعارف - فرويد) ، ٣٥٠ ،
- ١ ، ٤٣٤

يقع اللبن على الصدر (زوجة صديق - فرويد) ،
١٥٢

تذاكر المسرح الثلاث (مریضة - فرويد) ، ٤١٦ ،
تسير مع فتاتين صغيرتين (امرأة - فرويد) ، ٤١١ ،
تشهد ولداً صغيراً فى الماء (امرأة - چوز) ، ٤٠٤ ،
تنفخ مجلبة (سيدة متقدمة فى السن - فرويد) ، ٢١٩ ،
٢٢٢ - ٣

« قوتلراين » (شاب - فرويد) ، ٣١٠ ،
٣ فلورين و ٦٥ كرويتسر (مریضة شابة - فرويد)
٤١٥

ثورة ١٨٤٨ (مورى - مورى) ، ٦٣ ،
جامعا الطمت (زوجة صديق - فرويد) ، ١٥٢ ،

الصغيرة جرت عليها المربة (مریضة بمخافة الأماكن
- فرويد) ، ٣٦٧ - ٧٢

الطبيب والحصان فى رداء النوم (امرأة - فرنسى) ،
٦ - ٣٣٥

الطرزى الأجير (روزجر - روزجر) ، ٤٧١ ، ٣ -
الطفل تشوشت بجبهته (امرأة - فرويد) ، ٥٠٧ ،
٥٢٥ - ٥٣٣ ، ٥٤٠ ، ٥٥٩

الطفل المحترق (أب مجهول - مریضة لفرويد) ،
٥٠٤ - ٥٢٥ ، ٦ - ٥٣٣ ، ٥٤١ ،
٥٥٩

الطفولة فى تريبور (مورى - مورى) ، ٥٥ ،
الطفولة فى موزير يزون (السيد ف - مورى) ، ٥٦ ،
٢١٠

الطيران فى الهواء (مریضة - فريد) ، ٣٩٧ - ٨ ،
« العمل العظيم » (مريض - فرويد) ، ٤١٣ ،
المودة إلى الوطن (كيللر - كيللر) ، ٢٦٣ - ٤ ،
الفتاة فى الرداء الأبيض (رجل - تاوسك) ، ٤١٣ ،
الفييل وزلومته (مريض جرى تحليله بالفرنسية - فرويد)
٤١٤

القبعة تقومت ريشتها (رجل - شتيكل) ، ٣٩٧ - ٨ ،
القبعة كعضو تناسل (مریضة بمخافة الأماكن -
فرويد) ، ٣٦٩

القرود وقطة الأنجورا (امرأة - فرويد) ، ٤٠٧ ،
القضايا الخاسرة (صديق - فرويد) ، ١٧٦ ،
القنز فى البحيرة (مریضة - فرويد) ، ٤٠٢ ،
القناع ينزع (حلم تجريى) (مورى - مورى) ، ٦٣ ،
الكثيريان (طفل فى الرابعة - فرويد) ، ٣٧٨ ،
الكنيسة والمنظر الطبيعى (زوجة رجل من رجال الشرطة
- داتنر) ، ٣٧١

الماء ينفسح من الجدران (مريض - فرويد) ، ٤٠٨ ،
المائدة نزدان بالأزهار (فتاة سوية - روبيتسك) ،
٣ - ٣٨٠

المحسة التجارية باعها الأخ (الحلم الماسوشى) (شاب
- فرويد) ، ١٨٢ ،
المربية والمدرس فى فراش النوم (طالب شاب - فرويد)
٢١٠

سفلس وتربوى (مارسينوفسكى - مارسينوفسكى)،

٣١٥ - ٦

« سفنجوم إلقى » (كارپينسكا - كارپينسكا)،

٣١٦

سركليجر وبروجنولوس (سكاليجر - هينجر / يمن

٥٢ - ٣

سلة الكريز (ابن أخت فرويد البالغ ٢٢ شهراً -

فرويد)، ١٥٧

ميدة بورنيك (الماركى دى سان دونى - فاشيد)،

٥٣

شخص مجهول يدخل حجرة النوم (رجل متقدم السن -

فرتنى)، ٤٨٠ - ١

شراب الكرنو شوفكا (مريض - فرويد)، ٥٤

صبيان يتشاجران (رجل - فرويد)، ٢٢٠ - ١

صبيان يتشاجران (رجل - فرويد)، ٢٢٠ - ١

٢٣٦

صفان من الصبية (حلم منبه سنى) (شرز - شرثر)،

٢٤٦

صندوق ازدهم بالكاتب (مريضة شابة - فرويد) ٢٠٩

طالب الطب والمستشفى (طالب طب - فرويد)،

١٥١ ، ٢٥٢

طبق كبير بشريحة لحم كبيرة (صبى - فليس)، ٢٨٣

عاصفة فى القناة (حلم تجريبي) (مورى - مورى)،

٦٤

عرق النساء أصاب الرحالة نازن (طبيب شاب -

فرويد)، ٢١١

علاج الساق المكسورة (رجل - فرويد)، ٤١١

عمالة جلسوا إلى مائدة (سيمون - سيمون)، ٦٧

غرفة استشارة وملهى (مريض - فرويد)، ٣٣٥

غرفة الفندق، أعطاً رقماً (شاب - فرويد)، ٣٤١

فهد أو ثعلب (امراة - فرويد)، ٢٥٧

فى حضرة بها نافذة (شاب - فرويد)، ٤٠٢

فى حفل مع مشاهير الكتاب (أم فى مقتبل العمر -

فرويد)، ١٥٢

فى دكان بالقاهرة (حلم تجريبي) (مورى - مورى)

٦٣

جث تحترق (رجل - فرويد)، ٤٢١

جراحة فى القضيب (شاب - فرويد)، ٣٩٢

جريمة قتل الرضيع « صديق لفرويد - فرويد)،

١٧٩ - ٨٠

حادثة عربية (زميل جامعى - دليوف)، ٦٠

حلم الإسكندر الأكبر (الإسكندر - أرميدروس)،

١٢٨ ، ٢٨

حلم الجدة (أم فرويد - فرويد)، ١٥٦ ، ١٥٦

٥١٣

حلم السوق (مريضة شابة - فرويد)، ٢٠٤ - ٦

٤١٩ ، ٤٢٠

حلم الميز (ابنة فرويد البالغة ١٩ شهراً - فرويد)،

١٥٦ ، ٢٨٣

حلم الكيمياء (كيمياء - فرويد)، ٣٨٨ ، ١٠

حلم أودى بفضع (رجل - فرويد)، ٤٠١

حلم بروتس (بروتس - تيت ليف / رانك)، ٤٠١

حلم بمارك (بمارك - بمارك / ساكس)، ٣٨٤ - ٧

حلم ثارتينى (مؤاننا الشيطان) (ثارتينى - ثارتينى)،

٥٩٥

حلم هيباس (هيباس - هيرودوت / رانك)، ٤٠١

حلم يوليوس قيصر (قيصر - رانك)، ٤٠١

« خطوة كاليه » (مريضة - فرويد)، ٥١١

خلع السن (رجل - رانك)، ٣٩٣ - ٦

خنفساء - مايو (ميدة متقدمة فى السن - فرويد)،

٣٠٢ - ٣١٨ ، ٥

داخشتاين (ابن فروين البالغ ٥ سنوات و ٣ أشهر -

فرويد)، ١٥٣ ، ١٥٤

داراوس ، فاراوس ، زاراوس ، هائلوك إليس -

هافلوك إليس)، ١٨٩

دهان الخردل (حلم تجريبي) (مورى - مورى)

٦٣

رحلة عبر آوى (ابنة فرويد البالغة ٣ سنوات و ٣ شهور

فرويد)، ١٥٥ ، ٥٤٢

رداء ذوبريق أسود (رجل - تادسك)، ٤١٣

زميل المدرسة تمرى (مريض - فرويد)، ٢١٨

موسيدان في مقاطعة الدوردني (موري - موري) ٥٢٠
 موعدي في مطعم فولكسجارتني (رجل - فرويد) ٣٤٢
 نابليون وتاجر التبني (رجل ما - هيلدبرانت) ٥٠٠
 نابليون وتاجر التبني (رجل ما - هيلدبرانت) ٥٠٠
 نابليون وصوت الانفجار (نابليون - جارييه) ٤٩٤ ، ٦٤ ، ٢٥٢

نبيذ أرفيتو (حلم تجريبي) (موري - موري) ٦٤
 فجيرة استحمام ومرحاض بمنزل وحجرة بالطابق الأعلى
 مريضة - فرويد ٣٣٥
 نزهة في حديقة براتر (مريض شاب - فرويد) ٣٧٢ - ٤

هو سياطين (حمام شاب - فرويد) ٢٥٢
 «ولدت في ١٨٨٢» (مريض - فرويد) ٤١٧
 «لا أعرف اعتبارا لأحد من مسائل النقود» (فتاة
 مريضة - فرويد) ١٨١

لا تدري من هو الأب (مريضة - فرويد) ٣٤١
 ٤٤٥
 «يجب أن أقول ذلك للطبيب» (مريض - فرويد) ٤٥٥

يجذب المرأة من وراء السرير (رجل - فرويد) ٤١٠
 يزور منزلا رآه مرتين من قبل (مريض - فرويد) ٤٠٢

قبلة بين «السنابل» (فتاة - رانك) ٤٠٨
 قبلة في «أوتومبيل» (رجل - فرويد) ٤١٠
 كاتب السر المتجه (الظاهرة الوظيفية) (سيلبر -
 سيلبر) ٤٩٩

كارل الصغير في نعشه (فتاة مريضة - فرويد) ٤١٦
 ١٧٦ - ٨ ، ٢١٠ ، ٢٦٦ ، ٤٦١

كنز يدفن (امرأة - رانك) ٤٠٦
 كوخ الرومر والضيعة (ابنة صديق عمرها ٨ سنوات -
 صديق) ٢١٠ ، ١٥٥
 كيلومتر - جيلولو (موري - موري) ٢٢٦ ، ٩٤ ، ٨٥٢٣

للمق القصاصات (ساكن - ساكن) ٤١٢
 «لغة الأزهار» (مريضة - فرويد) ٣٢٩ ، ٣٢٥ ، ٣٣٥
 ٣٧٣ ، ٦ - ٣٥٥

«السيدات فقط» (امرأة - شروتر) ٣٩٠
 مات الأب ولكنه لا يعلم (رجل - فرويد) ٤٣٠
 «مايستولتس» (امرأة - فرويد) ٣٠٩
 مخلوق أشبه بكلب البحر يخرج من أرض الغرفة (امرأة
 - أبرهام) ٤٥٥

معهد تقويم الأجسام (مريضة - فرويد) ٢١٩
 مفتش الشرطة رقم ٢٢٦٢ (رجل - داتنر) ٤١٨
 مقتل الإمبراطور (مواطن روماني - شولتس) ١٠٠

فهرست عام

- المتكررة ، ٢١٠ - ١١
 أمثلة منها ، ١٥٣ - ٧ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ،
 ٣ - ٣٧٢ ، ٣٧٨ - ٩ ، ٤١٥
 وأحلام الخصاص ، ٣٧٢
 وأحلام الهيلة ، ١٦٠
 والأعصية ، ٥١٦
 وتحقيق الرغبة ، ١٥٣ - ٧ ، ١٥٨ ،
 ١٦٠ ، ٥٤١ - ٤
 أحلام الامتحان ، ٢٨٨ - ٩٠ ، ٣٩٠ ، ٤٤٩ ،
 ٤٧٣
 أحلام الانقاذ ، ٤٠٦
 أحلام التداعي ، ٧٨ ، ٢٤١
 أحلام التسلق ، ٢٩٨ - ٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٣٣٦ ،
 ٣٧٣
 أحلام الخصاص عند الأطفال ، ٣٧٢
 أحلام « الرغبة المضادة » ، ١٦٩ - ٨٣
 أحلام السلام ، ٢٥٦ - ٨ ، ٢٦٤ ، ٣٦١ - ٢
 ٣٧٢ - ٤ ، ٣٧٥ - ٨ ، ٣٩٠
 أحلام الصمود ، ٢٩٨ - ٣٠٢ ، ٣١٧ ، ٣٣٦ ،
 ٣٧٥
 أحلام الطيران ، ٧٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨٦ ،
 ٨ - ٣٧٦ ، ٣٩١ ، ٣٩٧
 أحلام العقاب ، ٤٧١ - ٤ ، ٥٤٧ - ٥٠
 أحلام الليلة الواحدة (أنظر أيضاً : سلسلات
 الأحلام) ، ٥٣ ، ٣٢٦ ، ٣٤٢ - ٤ ، ٣٨٠ ،
 ٤٠٥ ، ٤٤١ - ٤ ، ٥١٤ ، ٥١٨
 أحلام المتزوجين حديثاً ، ١١٣
 أحلام الولادة ، ٣٨٠ - ٤ ، ٣٩٢ ، ٣٩٥ ،
 ٤٠٣ - ٥
 أحلام الهيلة (أنظر أيضاً : الأحلام الأنيمية)
- أبوللو ، ٢٠٨ ، ٥٧١ ، ٤٣٤ ،
 أنروس ، ٤١٩ ،
 أخيليوس ، ١٥٦
 آدم بيد ، ٣٠٣
 أدلر ، فيكتور ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ،
 أركول ، ٢٥٢
 آكيليا ، ٤٦٢ ، ٤٦٤
 آبلهور ، ٤٧٢
 آماليا ، آنا (الدوقة) ، ٤٤٠ ،
 آوسى ، ١٥٣ ، ١٥٥ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٤٦٧ ،
 آيسكولايوس ، ٥٧١
 آينياس ، ٢٩
 إيسن ، ٢٧٣ ، ٣٠٩
 آيناه إسرائيل ، ٣٨٦ ، ٤٤٢
 أبواهول ، ٢٧٧
 إتروريا :
 الأوعية الإترورية ، ١٥٠ ، ٤٦٤
 القبور الإترورية ، ٤٥٣
 إتنا ، جبل ، ٦٢
 أثينا ، ٣٠٧ ، ٣٢٤ ، ٤٠٣ ،
 إجزركس ، ٤٨
 أحلام الاستسمال (أنظر أيضاً : الأحلام) ،
 ١٥٠ - ١ ، ١٨٤ ، ٢٥٢ ، ٤٠٠ ،
 ٤٠٥ ، ٥٥٩
 أحلام الاستيقاظ (أنظر أيضاً : أحلام جرس
 المنبه) ، ٦٤ - ٦ ، ٢٥٢ ، ٣ - ٢٥٦ ،
 ٣٧٢ ، ٤٠٦ ، ٤٩٢ - ٥٥٩ ، ٥٠٣ -
 ٦٠ ، ٥٦٣ - ٥
 أحلام الأطفال :
 المتعلقة بموت شخص محبوب ، ٢٧٥

خبرات الطفولة كصدر لها ، ٢١٠ - ٢١ ،
 ٢١٧ ، ٢٢٤ ، ٢٣٨ ، ٥٣٨
 شذنها النفسية ، ٤٠٠ ، ٥٥١ ، ٥٨١
 صلتها بالأحكام العقلية على الحلم ، ٢٠٨ -
 ٤٩ ، ٣٤٠ - ١ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨ - ٥٣
 ٤٥٧ - ٨ ، ٤٨٧ - ٨
 صلتها بالمحتوى الكامن ، ١٤٦ ، ١٤٩ ،
 ٢٩١ ، ٣٠٨ ، ٣١٧ - ٢٠ ، ٣٢٢ ،
 ٣٣٨ - ٩ ، ٣٦٣ ، ٥٠١ - ٢
 صلتها بالمرآجة الثانوية ، ٤٨٥ - ٩ ، ٤٩١
 ٤٩٥
 صلتها بالمنهات الجنسية ، ٢٥٥
 صلتها بالنكوص ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ - ٨ ،
 ٥٣٩ - ٤٠
 صلتها بما قبل للشعور ، ٢٨٥ ، ٥٣٣ ،
 ٥٧٨ - ٨١
 طبيعتها الجوهرية ، ٣٢٢
 ما تنضمته من الرغبات المكبوتة ، ٢٦١ ،
 ٢٨١ ، ٤٦٩ - ٧٠ ، ٥٨٣ ، ٥٩٠
 ما تنضمته من المادة الجنسية ، ٣٩٩ - ٤٠٢
 نشوعها من الحياة النفسية السوية ، ٥٧٨ - ٨٤
 والأحلام اللاعقولة ، ٤٣٠ ، ٤٣٢ ، ٤٣٧
 ٤٤٤ ، ٤٥٠
 والتكثيف التي يتناولها ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ،
 ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٥٠١ ، ٥٨١
 والحالة الوجدانية في الحلم ، ٤٥٨ - ٦٠ ،
 ٤٦٣ - ٦ ، ٤٦٨ - ٧٠ ، ٤٧٦ ،
 ٥٨٢ - ٥ ، ٥٠٣ ، ٥٤٦
 والرقابة المفروضة عليها ، ٣٣٢ ، ٥١٠ ،
 ٥٢٣
 والكشف عنها بالتحليل ، ١٦٨ ، ١٩٥ - ٦
 ٥١١ ، ٥١٥ - ٢٠ ، ٥٢٣ - ٥
 والنقل ، ٣١٧ - ٢٠ ، ٥٠٢
 وبقايا النهار ، ١٩٥ ، ١٧٨
 وتشريحها في المحتوى الكامن ، ١٦٠ ، ١٦٥ ،
 ١٦٩ ، ٥٠٨ - ٩ - ٥٧٥

أصلها الجنسي ، ١٨٤ - ٥ ، ٣٠٣ ، ٣٤٦ ،
 ٣٦٧ ، ٥٦٩ - ٧٣
 الانطباعات الطفلية فيها ، ٢١٠ - ١١
 الحالات الوجدانية فيها ، ٢٥٤ - ٩٥ ، ٢٨٢
 ٣٩١ ، ٥٤٧
 صلتها باللحان ، ١١٩ - ٢٠
 صلتها بالمنهات الجنسية ، ٧٢ ، ٢٥٤ - ٧ ،
 ٢٨٢ ، ٤٥٥
 صلتها بتحقيق الرغبة ، ١٦٠ - ١ ، ١٨٣ -
 ٥ ، ٢٥٤ ، ٢٨٢ ، ٤٨٥ ، ٥٤١ ،
 ٥٤٧ ، ٥٦٧
 أحلام الهيلة المنظمة ، ٢٦٢ - ٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٧ ،
 ٤٠٣ ، ٤٥٥ - ٧
 أحلام اليقظة (أنظر أيضاً : التخيلات) ، ٨٥ -
 ٦ ، ١٩٢ - ٣ - ٤٨٨ ، ٩ - ٤٩٠ ،
 ٥٢٧
 أحلام جرس المنبه (أنظر أيضاً : أحلام الاستيقاظ)
 ٦٤ - ٦ ، ٢٤٠
 إد (أنظر : النظام الإدراكي)
 أدونيس ، ٤٠٤
 أرتابانوس ، ٤٩
 أرشميدس ، ١٩٠ ،
 أرمادا ، ٢٣٤
 أريستاندروس ، ١٢٩ ،
 أساطير ، ٢٧٢ ، ٢٨١ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ ،
 ٤٠٤ ، ٦٠٠ - ١
 استثمار الطاقة النفسية
 والنقل ، ١٩٨
 وسيكولوجية عمليات الحلم ، ٥٣٣ - ٦ ،
 ٥٣٩ ، ٥٤٣ ، ٧ - ٥٥٣ ، ٥٥٨ - ٩
 ٥٦١ ، ٧ - ٥٦٩ ، ٧٠ - ٥٧٨ ،
 ٨٩ ، ٥٩٢ - ٩
 استجابة جرينيارد ، ٣٨٨
 إسكندر الأكبر ، ١٢٩ ، ٥٩٦ ،
 أفراح فيجارو ، ٢٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٩٣
 أفكار الحلم (الكامنة)

الأحكام التي موضوعها الحلم

- « إن هذا إلا حلم » ، ٣٤٦ ، ٤٨٦ ، ٥٦٠ ،
 حين تقع عقب اليقظة ، ٢٠٨ - ٣٤٠ -
 ٤٤٥ ، ٦ -
 الأحلام الاستمرارية ، ٢٥٦ ، ٧٥ ، ٢٥٩ ، ٨ -
 ٣٤٤ ، ٢٩٨ ، ٢٧٩ ، ٦٤ -
 الأحلام الأنمية (أنظر أيضاً : أحلام الهيلة) ،
 ١٥٩ - ٦١ ، ١٦٨ ، ٩ - ١٧٦ ، ٨٣ -
 ٥٤٦ ، ٨ -
 الأحلام الأوديوية ، ١٦٩ ، ٤٠١ ، ٢ -
 الأحلام الجنسية ، ١٠٠ ، ١١٣ ، ١١٨ ، ٢١٨ -
 ٣٧٥ ، ٧ - ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٥٨٩ -
 الأحلام الحادثة من الليلة الواحدة كجزء من كل واحد
 ٣٤٢ - ٤ ، ٣٥٥ ، ٤٠٦ ، ٤٤٤ ، ١٨ ،
 الأحلام الذكيرة ، ٥٠ - ٧ ، ٩٢ ، ٩٨ ،
 ٥٧٥ -
 الأحلام الساذجة ، ٢٠٤ - ٩ ، ٢١٩ ، ٤٠١ ،
 ٤٢١ -
 الأحلام الطفلية ، ١٥٧ ، ١٥٧ ، ١٦٨ ،
 ٢١٠ - ١١ -
 الأحلام الطفلية عند الراشدين (أنظر : الأحلام
 الطفلية)
 الأحلام اللامعقولة ، ٤١٦ - ٢٧ ، ٤٢٦ -
 ٤٥ ، ٤٤٧ - ٥٠٧ ،
 الأحلام المؤرخة ، ٣٥٦ ، ٧ - ٣٦٩ ، ٧١ ،
 ٣٩٢ ،
 الأحلام المتعاقبة (أنظر أيضاً : أحلام الليلة الواحد
 سلسلات الأحلام) ، ٥١٨ ،
 الأحلام المتكررة ، ٨٠ ، ١٢٣ ، ٢١٠ - ١١ -
 ٤٧٣ ، ٥٦٧ ،
 الأحلام المتنبئة ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٩٩ ، ١٠٥ ،
 ١٢٧ ، ٦٠٢ -
 الأحلام المحدثة بالتجريب ، ٦٣ - ٤ ، ٦٧ -
 ٧٣ ، ٧٥ - ٦ ، ٧٨ ، ١١٠ ، ١٥٠ -
 ٢٠٣ ، ٢٤٠ ، ٣٨٩ ، ٤٩٩ ، ٥٣٥ -
 ٦

- وتصويرها بواسطة عمل الحلم ، ١٢٠٠ ، ٣٢٢ ،
 ٣٣ - ٣٣٦ ، ٩ - ٣٤٣ ، ٦ -
 ٣٥٩ ، ٣٣٧ - ٨ ، ٤١١ -
 والتعبير عنها بالأقوال في الحلم ، ٤١٩ ، ٤٢٤ ،
 لا تتصل إلا بما هو هام ، ٥٧٥ -
 أفكار اليقظة :
 استمرار أفكار الحلم فيها ، ٤٤٥ -
 استمرارها في النوم ، ٥٤١ - ٧ ، ٥٦٢ -
 ٣ ، ٥٧٥ ، ٦ - ٥٧٨ ، ٨١ - ٥٨٢ ،
 الدور الذي تلعبه في تكوين الأحلام ، ٤٩٥ -
 ٥٥٣ ، ٥٣١ ، ٥٥٣ -
 اكدال (في البطلة البرية لإيسن) ، ٣٠٩ -
 اكسندر سيجموند ، ٤٧٩ ،
 الآباء والأبناء :

- العلاقة بينهم ، ٢٧١ - ٨٠ ، ٤٥٠ - ١ ،
 ٤٥٧ -
 تصويرهم الرمزي ، ٣٦٠ - ١ ، ٤١٠ -
 الآثار الذكورية ، ٢٤٧ ، ٥٠٢ ، ٥٣٠ -
 ٥٣٠ ، ١ - ٥٣١ ، ٥٦٦ -
 الآثار اللفظية والنظام قبل الشعور ، ٥٦٢ ،
 ٥٩٩ ، ٥٩٣ -
 الاحتفال بذكرى القيصر جوزيف ، ٤٢٣ -
 الاحتمال وتصويره في الأحلام ، ٣٢٣ ، ٣٢٦ ، ٨ -
 الإحساس الجنسي كحافز على الحلم ، ٦٢٩ ، ٧٢ ،
 ٧٥ ، ١١٨ ، ٢٤٠ ، ٢٥٦ ، ٣٢٦ ،
 ٣٧٦ ، ٥٤٢ -
 الإحساس بالزمن (أنظر أيضاً : ديمومة الأحلام ،
 العلاقات الزمنية في محتوى الحلم ، والعلاقات الزمنية
 في أفكار الحلم)
 في الأحلام ، ٩٨ ، ١٢٢ -
 في الذهان ، ١٢٢ -
 الإحساس بكيف الحركة من الحلم ، ٢٥٦ - ٧٦ ،
 ٢٥٩ - ٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٩٨ ، ٣٣٤ ،
 ٤٣٣ - ٤ ، ٥٧١ ، ٥٧٦ -

الأرداف

والنقل من أسفل الجسم إلى أعلاه ، ٣٩٢
ورموز الحلم ، ٣٦١ - ٢ ، ٣٦٤ - ٥ ،
٣٧٢ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤١٣ ،
الأرض (زولا) ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ،
الأزهار كرموز حلمية ، ١٩١ - ٨ ، ٢٩٥ -
٧ ، ٣٢٩ - ٣٠ ، ٣٣٥ ، ٣٥٥ - ٦ ،
٣٨٠ - ٢

الأساس الجنسي

لأحلام الامتحان ، ٢٨٩ - ٩٠
لأحلام الهيلة ، ١٨٥ ، ٢٥٥ ، ٣٠٢ ،
٣٤٦ ، ٥٧٠ - ٣
للأحلام ، ١٦٠ ، ١٨٥ ، ٢٠٥ - ٩ ،
٢٢٢ - ٨ ، ٢٥٠ - ٧ ، ٢٦٢ ، ٣٥٤ ،
٤٠٧ - ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤٢١ ،
٤٤٠ ، ٤٤٨ ، ٥٨٩ ،
الأساطير الجرمانية ، ٥٠٩ ،
الأساطير الشمالية ، ٤٠٨ ،
الاستاذ أوزر ، ١٩٠ ،
الاستثمار المضاد ، ٥٨٨ ،
الاستثمار المضاعف ، ٥٨٠ ، ٥٨٧ ، ٥٩٨ ،
الاستثناء ، ٢٠٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣ ، ٣٧٢ ،
٣٧٣ ، ٣٧٧ ، ٣٨٦ - ٩ ، ٣٩١ - ٦ ،
٥٣٦ ، ٥٧٣ ، ٦٠٠ ،
الأحلام ذات المنبه السنى وصلتها به ، ٣٩١ - ٦
الإشارة إلى تحريره في الحلم ، ٣٧١ - ٢ ، ٣٨٦ ،
٣٧٧ ، ٥٣٦ ، ٥٧٣ ، ٦٠٠ ،
رموزه في الحلم ، ٢٠٨ ، ٣٥٦ ، ٣٦٣ ،
٣٧٣ ، ٣٨٤ - ٩ ،
الاستيقاظ لانقطاع المنبهات الحسية ، ٩٧ ، ٢٢٠ ،
- ٢٠١ ،
الأسلحة كرموز للحلم ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٥ ،
٣٩٠ ، ٤٠٠ ،

الأحلام المناقفة ، ١٦٩ ، ٤٧١ - ٥
الأحلام النمطية ، ٧٥

الأحلام غير المفهومة والتي لا معنى لها (أنظر :
لا تناسق الأحلام)
الأحلام وتفسيرها (أنظر أيضاً : التفسير ،
والعصايون وتحليلهم النفسى ، والتحليل النفسى
وفنه)

التفسير « الاستعارى » ، ٥١٧ - ٨

التفسير « الروحاني » ، ٥١٧ - ٨

التفسير « الكسرى » ، ٥١٧

التفسير « بالاضداد » ، ١٢٨ ، ٥

التفسير « بمنهج الشفرة » ، ١٢٧ - ٩ ، ١٣٣ ،
١٨٧ ، ٢٤٤ ، ٣٥٨ ، ٣٩٢ ، ٤٦٩ ،
التفسير بمنهج كتب الأحلام (أنظر : بمنهج
الشفرة)

التفسير هو « الطريق الملكي إلى الطفولة » ٥٩١
التفسير « وفنه » ، ٤٣ ، ١٢٩ - ٣٤ ،
١٧٠ ، ٢٥٩ ، ٢٥٩ - ٦٠ ، ٢٩٢ -

٣ ، ٣٦٠ ، ٤٤٨ ، ٥١١ - ٢٥

المناهج الشعبية ، ١٢٦ - ٩ ، ١٣٢ - ٣

المناهج الرمزية ، ٤٤ ، ١٢٦ - ٧ ، ١٢٨ -
٩ ، ١٣٢ - ٣ ، ٢٤٤ - ٦ ، ٣٤٣ ،

٣٥٠ ، ٥٠١

المناهج قبل العلمية ٤٣٠ - ٤

كيف أن التفسير لا يتم أبداً ، ٣٩٢ - ٣ ،
٥١٧ - ٨

الأحلام ورموزها (أنظا : الرموز)

الاحمرار خجلا ، ٣١١

الأخطاء (أنظر أيضاً : هفوات اللسان) ، ٤٢٣ ،
٤٥٤ - ٥ ، ٥١٢ - ٣ ، ٥٢٧ ، ٥٨٩

الأراجيج وما تأثيره من الأحاسيس الجنسية ، ٣٩٧

الارتباك للعرى في الأحلام ، ٧٥ ، ٢٥٦ - ٨ ،

٢٥٩ - ٦٤ ، ٢٧٩ ، ٢٩٨ ، ٣٤٥

الإرادة ، تصوير صراعها بواسطة الحركة المكثفة
في الحلم ، ٢٦٣ ، ٣٤٥

الأسنان (أنظر أيضاً المنهات السنية كحواضر العلم).

الحلم يفقدانها ، ٧٥ ، ١١٨ ، ٢٤٤ ،
٢٤٦ ، ٣٩٢ - ٥

من حيث هي رموز من رموز الحلم ، ٧٥ ،
١١٨ ، ٢٤٤ ، ٦ ، ٢٨٨ ، ٣٦٣ ،

٥٩١ - ٥

الاشتراك في الألفاظ ، ١٧٨ ، ٢٢٢ ، ٣ -
٤٩٣ ، ٤١٢ ، ٤ - ٤٣٣ ، ٤

الأشخاص الجمعية (أنظر أيضاً التعيين) ، ٣٠٥ -
٤٧٩ ، ٤ - ٤٣١ ، ٢ - ٣٣٠ ، ٨

الأشخاص السويون .

الرمزية في أحلامهم ، ٣٧٨ - ٨٤

كيف أنهم لا يتميزون من العصابين إلا كما ،
٣٧٩

الأشكال المزيجية ، ٣٠٥ - ٨ ، ٣٣٠ - ٥ ،
٤٣١ - ٤ ، ٤٧٩ ، ٥٨١

الاشتمزاز وظهوره عند الطفل ، ٥٨٨
الأصلحة النفسية .

تكرارها في الأحلام ، ٢١٨ ، ٥٢٠٦ ،

حين تكون تخيلية ، ٣٠٢ ،

الإضافات المكملة لرواية الحلم ، ٣٨٣ ، ٥١٧٩ ،
٤٥٤ - ٥ ، ٤٨٦ - ٧ - ٥١٢

الأضداد:

تصوير الحلم بواسطة (أنظر : القلب)

تفسير الحلم بواسطة ، ٥١٢٨ ، ٤٦٩

الأضداد وتصويرها في الحلم ، ٣٢٨ ، ٣٣٦ ، ٩ ،
الأطفال

ألاعيمهم القنوية ، ٣٠٦

العلاقة بينهم وبين إخوتهم وأخواتهم (أنظر أيضاً
نظريات الأطفال الجنسية ، والحياة الجنسية

الطفلية ، والرغبات الطفلية) ، ٢٦٧ - ٧٢

العلاقة بينهم وبين والديهم ، ٢٧٢ - ٨١ ، ٤٥٠

٤٥٦ - ٧

كرموز حلمية ، ٣٦٣ ، ٣٦٧ - ٩

نزعاتهم الاستمرارية ٢٦١ - ٢

الأعداد

إختيارها بالصدفة ، ٥٠٩ ، ٥٢٤

في الأحلام ، ٧٦ ، ٤١٤ - ٨ ، ٤٣٨ ،
٥٠٧

كرموز حلمية ، ٣٦٤

الأعراض العصابية

ما هي في حالة «إرما» ، ١٣٦ - ٩

من حيث أنها تحقيق رغبة ، ٥٤٣ - ٤ ،
٥٤٨ ، ٥٥١ - ٣ ، ٥٥٧ - ٨ ،

٥٦٥ - ٦ ، ٥٨٩

من حيث أنها تقبل أكثر من تفسير ، ٢٨١

من حيث أنها تنشأ تجنباً للهيلة ، ٥٦٩

من حيث أنها تنشأ عن صراع بين لاش ، وقبش
٥٧٨ ، ٥٦٩

موقف المريض منها ، ٤١١

الأعراض المستيرية ، ١٣٤ - ٨ ، ١٤٢ -

٣ ، ١٧٤ ، ٥٣٤١ ، ٦٠٠

ارتباطها بتخييلات لأبأحداث حقيقية ، ٥٢٣٧ ،
٤٨٨

تكوينها ومقارنتها بالأحلام ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ ،
٥٩٠ ، ٥٩٦

حلوتها عن الصرع بين رغبات متعارضة ، ٥٥٨
حلها ، ٥٢١

الأعصبة

أساسها الجنسي ، ٥٢٠٦ ، ٢٥٤ - ٥ ،

٢٧٣ ، ٢٧٦ - ٧ ، ٣١٣ ، ٣٥٤ -
٥٨٩ ، ٤٤٠ ، ٥

الحالة الوجدانية فيها ، إفراطها الكمي وإن بررت
كيفاً ، ٤٥٩ ، ٤٧٧

العلاقة بينها وبين الحلم ، ١٧٥ ، ٣١٦ ،
٤١٩ ، ٥١٥ - ٦ ، ٥٤٠ ، ٥٨٣ ،

٥٩٠ ، ٦٠١

العلاقة بينها وبين الكبت ، ٢٥٤ ، ٥٢٣ ،
٥٩٩

الأفكار الإرادية ، ١٣١
الأفكار الغائية ، ٥٢١ - ٥٧٦ ، ٧ - ٥٨٠ ، ٥٨٤

الأفكار القهرية

وأشكالها اللفظية ٣١٦ - ٧ - ٣٤٩
والحالة الوجدانية ٤٥٩ - ٦٠
ودخل المراجعة الثانوية في تكوينها ، ٢٦١
ومقارنتها بميثاق الساعة ، ٢٤٢
الأفكار اللاإرادية (أنظر أيضا : التداعى الحر) ،
٨٤ - ٧ - ١٠٣ - ٦ - ١٣١ ، ٥١٠
١ - ٥١٦ ، ٥٢٠ - ١ - ٥٧٧
الأفكار المتوسطة ، ١٩٧ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٣١٩ ،
٣٢٢ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ - ٧ - ٥٢٠ ، ٢٣ - ٥٠ ،
٥٢٤ ، ٥٨١ ، ٥٨٦
وأثلة عليها ٢٩٥ - ٦ - ٣٠٦ ، ٣٠٨ ،
٤٢٤ ، ٤٣٣ - ٤ - ٤٨١ ، ٤٨٤ ،
٥٠٨
الأفكار المجردة وتصويرها في الحلم ٣٤٨ - ٥٢ ،
٥١٧ - ٨
الأفكار الهجاسية ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٩٤ ، ١٢٠ ،
١٢٣ ، ٢٠٦ ، ٤٦٨ ، ٥٦١
الأفكار وكيف يتخلع عليها الحلم صورة الحركة
المسرحية ، ٨٥
الأقرباء كرموز حلمية ، ٣٦٤
الأقوال في الأحلام ، ٢٠٤ - ٥ - ٣١٦ ، ٣٢٣ ،
٤ - ٤١٩ - ٢٥ - ٣٦٤ ، ٥٠٥
الألفاظ المخترعة في الحلم ، ٣٠٩ - ٥١٣ - ٣١٥ ،
٧ - ٣٦٢ ، ٤٤١ - ٢
الألم كحافز على الحلم ، ٦١ - ٥ - ١١٧ ، ١٥٢ ،
٢٤٣ - ٤ - ٢٤٧ ، ٥٢ - ٤٩٢ - ٣
الألوان في الأحلام ، ٢٤٦ ، ٣١٤ ، ٥٣٨
الأم والرضيع ، ٢٢٤ - ٥ - ٢٢٧ ، ٨ - ٢٣٤ ،
٣٠٠ - ٢ - ٣٣٦ ، ٣٧٨ - ٩ - ٥٦٠
٥٦٥

العلاقة بينها وبين رغبات الزنا بالمحارم في
الطفولة ، ٢٧٣ - ٩
العمليات النفسية اللاشعورية فيها ، ٥٩٣ - ٤
٥٩٦ ، ٥٩٨ - ٩
الهلاوس فيها ، ٤١٩ ، ٥٢٧
منايعها النكوصي ، ٥٣٦ ، ٥٤٠
من حيث هي دفاع ، ٢٤٩
موت الأحياء وأثره فيها ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ - ٣
نظريتها ، ١٣٣ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٦٧ -
٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٥ ، ٥٨٩
الأعصاب النفسية (أنظر : الأعصاب)

الأعضاء التناسلية .

التلميح إليها في الأحلام بوسائل لفظية ، ١٧٨
٢٥٠ ، ٣١٦ - ٧
نقلها إلى أعلى الجسم في رمزية الحلم ، ٣٩٢ ،
٢٩٤ ، ٤١١
الأعضاء التناسلية عند الأناث
الأحلام المتعلقة بها ، ٢٢١ ، ٣٤١ - ٢ ،
٣٧٥
رموزها في الأحلام ، ٣٥٤ ، ٣٦١ - ٣ ،
٣٨٠ - ٢ ، ٣٩٠ ، ٤٠٢ ، ٤٥٥ ،
٤١١
الأعضاء التناسلية عند الذكر
الأحلام المتعلقة بها ، ٢٣٠ ، ٣٧٥ ، ٣٩١ ،
٢ -
رموزها في الأحلام ، ١١٨ ، ٢٤٦ ، ٣٥٤ ،
٦ ، ٣٦١ - ١٨٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ،
رموزها في الأحلام ، ١١٨ ، ٢٤٦ ، ٣٥٤ ،
٦ ، ٣٦١ - ١٨٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ،
٣٩٥ ، ٤١٣ - ٤
الأعلى والأسفل كرموز حلمية ، ٢٩٨ - ٩ ،
٣١٧ ، ٣٣٦ ، ٤١١
الأغاني في هلاوس العصابين ، ٤١٩
الإغريق (أنظر : العصور القديمة)

الامتحانات

- الأحلام العصابية المتصلة بها ، ٢٨٨ - ٩
 الأحلام المتعلقة بها ، ٢٨٨ - ٩٠ ، ٣٩٠ ، ٤٤٩ ، ٤٧٣
 الأنا ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١١٦ ، ٢٥٢ - ٣
 ٢٨٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٤١٢ ، ٤٨٢
 والأنا الأعلى ، ٤٧١
 والرغبات الممنوعة ٥٤٧ - ٨
 والليبدو ، ١٢٠
 الأنا الأعلى ، ٤٧٤ ، ٥٤٨
 الأنا الحشوي ، ٧٣
 الأنانية في الأحلام ، ٢٨٢ - ٦ ، ٣٣٣ ، ٤٤٠ ، ٤٨٢ - ٣

الانتباه

- استرخاؤه في الهلوس قبل التوعية ، ٦٩
 استمراره في أثناء النوم ، ٥٠١
 انتقاله عند تكوين الأفكار المتوسطة ، ٣٠٨
 سببه من حياة اليقظة ، ٨٤
 صلته بالأنظمة ن ، ٥١٦ ، ٥٥٢ ، ٥٦٣ -
 ٥٩٨ ، ٥٧٩ ، ٥
 صلته بفن التحليل النفسي ، ١٣٠ - ٢ ،
 ٥٢٠ ، ٥١٦
 صلته بالمنبهات الجسمية ، ٢٥٣
 صلته ببيان الأحلام ، ٨١
 في الأعصاب النفسية ، ٤٥٩
 الانتصاب ورموزه في الحلم (انظر أيضاً
 العنة والإنزال) ٣٦١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٩٨

الانحرافات ، ٥٦٨ ، ٥٩٠

- الاندفاعات القهرية (انظر أيضاً : العصاب
 القهري والأفكار القهرية) ٢١٨ ، ٤٥٦
 الإنزال (انظر أيضاً : الانتصاب ، الإنماط ،
 الأحلام ذات المحتوى الجنسي) الأحلام المنتهية
 به ، ٢٥٦ ، ٣٢٦ ، ٣٤٤ ، ٣٧٥ -

٧ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٤٠٥

رموزه في الحلم ، ٤٠٦

منه من الحلم منمأ شعورياً ، ٥٦٠

الإنسان البدائي وأحلامه ، ٤٣ - ٤

الانسياب المعجل للأفكار في الحلم ، ٤٩٢ - ٥

الانطباعات الطفلية

- عند فرويد ، ٢٥٠ ، ٤٧٠ ، ٤٨١ - ٤
 من حيث هي مصدر لأحلام السباحة ، ٣٩٩
 من حيث هي مصدر لأحلام السلم ، ٣٧٥ - ٧
 من حيث هي مصدر لأحلام النار ، ٣٩٩
 من حيث هي مصدر لأحلام الوقوع والطيران ،
 من حيث هي مصدر لأحلام الوقوع والطيران ،
 ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٩٧ ، ٣٩٩
 من حيث هي مصدر للأحلام ، ٥٤ - ٦ ،
 ٦٧ ، ١٨٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٩ - ٣٨
 ٢٤٧ ، ٤١٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٨ ، ٥٧٥
 من حيث هي مصدر للأحلام الاستعراضية ،
 ٢٦١ - ٢ ، ٢٦٤
 من حيث هي مصدر للهلوس المستمرة ،
 ٥٣٧
 وارتباطها بالمحتوى الكامن ، ٢٣٨
 والاستثناء ، ٣٩٦
 والكبت ، ٥٣٧ - ٨ ، ٥٣٩ - ٤٠ ، ٥٨٨
 وصلة الحالة الوجدانية في الحلم بها ، ٤٨١ - ٣
 الأنظمة النفسية (الأنظمة ن) ، ٥٢٨ - ٣٩ ،
 ٥٤٢ - ٨ ، ٥٥٠ - ٧٣ ، ٥٧٦ - ٦٠٢
 ٥٤٢ - ٨ ، ٥٥٠ - ٧٣ ، ٥٧٦ - ٦٠٢
 الأنظمة الذكورية (انظر أيضاً : الذاكرة
 الآثار الذكورية) ، ٥٣٠ - ٥ ، ٥٥٤ -
 ٥٦١ ، ٥٦٦ ، ٥٨٤ - ٩ ، ٥٩٨ - ٩

الأنظمة ن (انظر : الأنظمة النفسية)

الإنماط والأحلام المنتهية به (انظر أيضاً :

الإنزال ، والأحلام ذات المحتوى الجنسي) ،

٣٥٦ ، ٣٢٦ ، ٣٤٣ - ٤

- والظاهرة الوظيفية ، ٥٠٠ - ١
البكارة وتصويرها الرمزي في الحلم ، ٣٨٠ - ٣
البنقية ، ٥٦٢ ، ٥٦٣
« ألبير » ، ٥٧٣
البيضة كرمز حلمي ، ٣٥٤
التأثير البمدى ونظريته ، ٢٢٥ هـ
التاركوينيون ، ٤٠١ هـ
التاليا منتو (نهر) ، ٦٤
التبرز والإشارة إليه في الحلم (انظر أيضاً : البراز).
٢٢٠ ، ٢٣٣ ، ٣٤١ ، ٤٠٥ ، ٤٢٨ -
٤ ، ٤٤٧ ، ٤١٦ - ٧ ، ٤١٣ - ٤
التبرز والحاجة إليه من حيث هو حافظ للحلم ،
٤١٢ ، ٤٠٥
التبول (انظر أيضاً : ببلل الفراش ، المنجات
البولية كعوافر حلمية)
الإشارة اللفظية إليه من الأحلام ، ٣١٦
تصوره في الأحلام ، ٢١١ ، ٢٣٠ - ٩ ،
٢٤٦ ، ٣٥٩ هـ ، ٣٧٢ ، ٣٧٩ ،
٤٠٥ - ٦ ، ٤٦٧
التحليل النفسي
- إخضاعه للاشعور لما قبل الشعور ، ٥٦٦
الإشارة إليه في الأحلام من يما لحون ، ٣٨٩ ،
٤١١ ، ٤١٥ ، ٤٤٥ هـ
فته أو طريقته ١٢٩ - ٣٥ ، ٥١٠ - ٤ ،
(انظر أيضاً : تفسير الأحلام وطريقته)
للمصايين (انظر : المصايين)

التحويل

- على المحلل ، ٢٢٠
في الرغبات المكبوتة ، ٢٠٥ هـ ، ٢٠٢ هـ ، ٥٤٣ -
٤ ، ٥٥٢ - ٣ ، ٥٥٦ ، ٥٦١ ،
٥٦٤ ، ٥٧٥ ، ٥٨٠ - ٢ ، ٥٨٣ ،
٥٨٨ - ٩
التخييلات (انظر أيضاً : أحلام اليقظة)

- الاتقباض ، ١٢٠ ، ٣٤١ هـ
الانقلاب الشامل في القيم النفسية (انظر أيضاً :
النقل ، والشدة النفسية) ٣٣٩ ، ٣٤٧ ،
٣٤٧ ، ٥٠٢ ، ٥١٠
« الأوتوماتية التنقلية » ، ٤٥٦
الأوديسا ، ٢٦٣ ، ٢٦٦ ، ٥٤٣ هـ
الأوهام الحسية والخداع الحسي ، ١٢٢ ، ٥٧٥
نظرية الأحلام كخداع حسي ، ٦٦ - ٨ ،
٧٨ ، ٩٣ ، ١٢٢ ، ٢٤١ - ٢ ، ٢٤٦
الأهلية ، ٧٤ ، ١٠٦ ، ١٢٢ ، ٥٢٢
الإيحاء في حالة التنويم المغناطيسي ، ٣٩٠
الإيزونسو (نهر) ٥٣٨
الباب كرمز حلمي ، ٣٥٤ ، ٤٠١
البابا ، ٢٥١ ، ٣٠٤ هـ
البارانونيا ، ١٠٩ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ٢٦٢ ،
٢٦٣ ، ٣١٦ ، ٥٢٢ ، ٣٣٦
الباراناس ، ٣٢٤
البحر الأدرياتي ، ٤٦٣ - ٤
البحر الإبرلندي ، ٥١٣
البراز (انظر أيضاً : الواقع)
الصلة بين التقود وبينه ، ٤٠٦
أليوتوس الأكبر ، ٥٣٤ هـ
البلطة البرية (إيسن) ، ٣٠٩
البكاء بعد الموت ، الأساس اللاشعوري للاعتقاد به ،
٤٠٤ هـ
البغاء وتصويره الرمزي في الحلم ، ٣٦٤ ، ٣٧٨
البقايا النهارية
- ما ورد عنها في المؤلفات ، ٤٧ ، ٥٦ - ٨ ،
١١٣ ، ١١١ ، ٦٠
من حيث هي مادة للحلم ، ١٨٦ ، ١٨٧ -
٢٠٩ ، ٢٤٦ - ٧ ، ٢٥٥ ، ٥٤٤ -
٥٣ ، ٥٦٧ هـ ، ٥٧٥ - ٦
وأحلام الهيلة ، ٢٨٩
والرغبات اللاشعورية ، ٢٨٢ ، ٥٤٥ -
٥٣ ، ٥٦١

اللاشعورى منها ، ٤٨٨ - ٤٠٣ ، ٩٠ - ٥٦٢

عن الحياة داخل الرحم ، ٤٠٣ ، ٣٥٤
عند المصابين ،

فى المستيريا ، ١٧٤ ، ٢٠٦ ، ٢٣٧ ، ٢٦٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٠ ، ٥٥٨

٥٥٨ - ٥٩٥ ، ٩ - ٦٠٠

فى حالة الجوع ، ٥٥٥

فى من المراقبة ، ٥٥٨

كمادة من مواد الأحلام ، ٢١١ ، ٢٢٢ ، ٢٣١ ، ٣٤٠ ، ٤٥٧ ، ٤٨٨ - ٩٤

٥٣٨ ، ٥٩٥ ، ٦٠٢

ما اتصل منها بالحياة الجنسية ، ٢٠٦ ، ٣٠١ ، ٣٣٧ ، ٣٤١ - ٣٦٥

٥٩٨ ، ٥٥٨ ، ٧

ما اتصل منها بالزنا بالمحارم ، ٢٧٩ ، ٣٧٧ ، ٣٤٠

التداعى الحر فى تفسير الأحلام (انظر أيضاً :
الأفكار اللاإرادية) ١٢٨ ، ١٣١ - ٢

٢٥٨ - ٢٩٣ ، ٢ - ٣١٩ ، ٣٢٢

٣٦٠ ، ٣٦٦ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ - ٥

التذكر الموهوم فى لأحلام ، ٤٤٦

التشابه

إدراكه ، ٥٣١

تصويره فى الحلم ، ٣٣٠

التشويه

استخدامه للاشتراك اللفظى ، ٣٤٩

استخدامه للقلب ، ٣٣٧

تضمنه بحسب القيمة النفسية ، ٥١٠

تقنيته لرغبة الحلم ١٥٩ - ٦٨ ، ٢٠٣

٣٢٠ ، ٣٨٧ ، ٥٤٢ ، ٥٤٩

٥٥٩ ، ٥٧٥

صلته بالحالة الوجدانية ، ٤٥٩

صلته بالمراجعة الثانوية ، ٥٠٨ - ٩ ، ٥٧٦

فى أحلام الأطفال ، ١٥٣ ، ٢٨٣

فى أحلام موت الأحياء ، ٢٦٥ - ٦

فى الأحلام الاستمرارية ، ٢٦٠ - ١

فى الأحلام الساذجة ، ٢٠٤ - ٩

فى الأعصاب النفسية ، ٣٧٩ ، ٤١٩

فى الحياة لمستيقظة ، ١٦٥ - ٦

التضاد فى الأحلام واللفات القديمة ، ٣٢٩

التعمى وتلذذ الأطفال به ٢٦١ - ٢

التعيين والتعيين الذاتى (انظر أيضاً : الأشخاص
الجمعية)

فى الأحلام ، ١٧٣ - ٥ ، ٣٣٠ - ٤

٣٧١ ، ٤٣٠ - ١ ، ٤٤٨ ، ٤٥٧

فى المستيريا ، ١٧٢ - ٤ ، ١٧٥

الكثيف

بواسطة الأشخاص الجمعية ، ٣٠٥ - ٧

٣٣٠ - ٥ ، ٤٣١ - ٤ ، ٤٨٠

٣٣٠ - ٥ ، ٤٣١ - ٤ ، ٤٨٠

بواسطة الأشكال المزيجية ، ٣٠٥ - ٧

٣٣٠ - ٥ ، ٤٣١ - ٤ ، ٤٨٠ ، ٥٨١

فى الألفاظ ، ٣٠٨ - ١٣ ، ٣١٥ - ٦

٥١٣

والتخييلات اللاشعورية ، ٤٨٩ - ٩٠

والشدة النفسية ، ٣٤٠ ، ٥٠٢ ، ٥٣٤

٥٨٠ - ١

وصلته باعتبارات قابلية التصوير ، ٣٥٢

٤٠٩

وصلته بالنقل ، ٣٤٧ - ٨

وظيفة من وظائف عمل الحلم ، ٢٠١

٢٩٢ - ٣١٧ ، ٤٩٥ ، ٥٢٥

٥٨٠ - ٢ ، ٥٨٦

التكرار

تصويره فى الحلم بالتكثير ، ٣٧٨

حب الأطفال له ، ٢٨٣

الجماع الجنسي

والانتقال إليه من الاستمناء ، ٣٨٨ ، ٣٩٧
ورموز الحلم إليه ، ٣٦١ ، ٣٦٧ - ٧١ ،
٣٧٥ - ٣٨٢ ، ٣ - ٣٩٠ ،
٤٠١ ، ٤٠٦ ، ٤٧٠

وصلة الحركات الجملوائية به ، ٣٨٦
وكونه بين الراشدين حلة لليلة عند الأطفال ،

٥٧١ - ٢

الجماع المعاق ، ١٧٩ - ٨١

الجماع من الخلف ، ٤٠٠

الجناس (أنظر أيضاً : اللعب بالألفاظ) ، ٩٤ ،
٢٢٦ ، ٥٢٣

الجنسية المثلية (أنظر أيضاً : القلب) ، ١٨٢ ،
٣٠١ ، ٣٣٧ ، ٣٩١ - ٢ ، ٣٩٦ ، ٤٠٠

الجنسية المثلية بين النساء ، ٣٠١ ، ٣٩٠

الجنون المبكر ، ٣٥٨ ، ٥٢٢

الجوع

تخييلاته ، ٥٥٥

كحافظ حلمي ، ٦٩ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ،

١٨٤ ، ٢٢٤ - ٨ ، ٢٤٢ - ٣ ،

٢٨٣ ، ٤٠٠

الجهاز التنفسي ، ٨٤ ، ٢٣٩ ، ٥٠٦ ، ٥٢٨ ،

٣٥٠ - ٥٤٢ ، ٥٥٤ - ٩ ، ٥٦٢ ،

٥٨٣ - ٥٨٨ ، ٥٨٧ ، ٥ - ٥٩٠ ، ٩ -

٢ - ٦٠١ ، ٥٩٧ - ٢ -

« الجيتو الجديد » ، ٤٤١

الحاجات الإنرازية كحواضر حلمية ، ١١٨ ،

١٨٤ ، ٢٢٩ - ٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٨ ،

٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٣٧٢ ،

٤٠٥ ، ٤١٢

الحاسة الخلقية

عند الأطفال ، ٢٦٧

والأحلام ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٩ - ١٠٧ ، ١٢١ ،

٢٦١

مفزاء حين يقع عند رواية الحلم ، ٢٣٠ ، ٢٨
التناقض في محتوى الحلم الظاهر (أنظر أيضاً :
لا تناسق الأحلام) - ٨٩ ، ٩٢ ،
١٠٩ ، ٢٦٠ ، ٣٢٤ ، ٤٣٢

التناقض في محتوى الحلم الكامن ، ٣٢٨ - ٩ ،
٣٢٦ ، ٤٣٤ ، ٤٦٦ ، ٤٨٤ ، ٥٨٢ - ٣

التنبه العصبي والأحلام الراجعة إليه ، ٧٧ ،
٢٤٠ - ١

التنويم المغناطيسي ، ١٣١ ، ١٧١ ، ٣٩٠ ،
٥٥٩

التوراة ، ١٠٣ ، ١٢٧ ، ١٦٥ ، ٣٤٣ ،
٣٨٦ - ٧ ، ٤٨٢

التوراة الإسرائيلية ، ٥٧٠

التوريات (أنظر أيضاً : التكات ، والقعب
بالألفاظ)

٥٧٦

التبيج الشبكي ، ٦٨ - ٧٠ ، ٢٤٦

التعب ، ٢١٤ ، ٢١٦

التبرول ، ٢٥١

التبني والإطعام به ، ٢٢٤ ، ٢٢٨ ، ٢٤٣ ،
٣٠٠ - ٣ ، ٣٣٦ ، ٣٧٨ ، ٥٦٠ ، ٥٦٥

التبني وتصويره برموز الحلم ، ٣٠٠ ، ٣١٠ ،
٣٧٨

التعبان كرمز من رموز الحلم ، ٣٥٥ ، ٣٦٢ ،
٣٦٣

الثغرات في الحلم ، ٣٤١ - ٢ ، ٤٨٦ ، ٥١١ ،
٥٥١

الثنائية الماطفية ، ٤٣٠

الثنائية الجنسية ، ٣٦٥ ، ٥٥٨ ، ٦٠٦

الثورة الفرنسية ١٦٣٠ ، ٦٤ - ٥ - ٤٩٢ - ٣

الجلدة (مسرحية جريليبارتسر) ٢٧٨

الجدران كرموز حلمية ، ٣٦٢

الجسور اللفظية ، ٢٢٦ ، ٣٤٩ ، ٣٨١ - ٢ ،

٣٩٦ ، ٤٢٨ - ٩ - ٥٢٣

والذكريات اللاشعورية عن الجماع الجنسي.

٢٨٦

والنوبات المستيرية ، ٢٨٦ ، ٢٩٧

الحساسية الحشوية (أو الحساسية الاجمالية بالجسم)

٧٣ ، ٧٤ ، ٨١ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ٢٤١

٢٥٥ ، ٢٤١

الخطائر الايجابية ، ٤٦٨

الحقيقية كرمز حلمي ، ١١٨ ، ٢٤٤ ، ٣٦٤ ،

٣٩٠

الحلم

بالأموات (أنظر الموتى) ، ٤٢١ - ٣١ ،

٤٣٥ - ٨ ، ٤٤٨ - ٥٠ ، ٥٠٤ - ٥٠

٥٥٩ ، ١ - ٥٤٠ ، ٦ - ٥٤٥

بالحمل ، ١٥٢ ، ٤٠٤

بالصباحة ، ٣٩٧ ، ٣٩٩

بالسقوط ، ٦٢ ، ٧٥ ، ٢٢٢ ، ٢٨٦ -

٨٨ ، ٣٩٧ - ٩ ، ٥٧٦

بالسلام والأدراج ، ٢٥٦ - ٨ ، ٢٦٤ ،

٣٦١ ، ٣٦٩ - ٧١ ، ٣٧٥ - ٨ ،

٣٩٠

بالطيران ، ٧٥ ، ٢٤٥ ، ٢٥٦ ، ٢٨٦ -

٨ ، ٣٧٦ ، ٣٩١ - ٢ ، ٣٩٧ - ٨

بالنار ، ٣٩٨ - ٩ ، ٥٠٤ - ٥٠ ، ٥٢٥ -

٦ ، ٥٤٠ ، ٥٥٩

بجناح السن ، ١١٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٣٩٢ - ٦

بقوات القطار ، ٣٩٠

بموت الأحياء ، ٥٧ ، ١١٣ ، ١٧٦ - ٩ ،

٢٦٥ - ٧٦ ، ٢٨١ - ٢ ، ٤٦١ ،

٥٤٩ - ٥٠ ، ٥٧٠ - ١

بموت الحالم نفسه ، ٤٥١ - ٣ ، ٧٠ ،

٤٧٥

الحلم في داخل الحلم ، ٣٤٦ - ٧ ، ٥١٣ - ٤

الحلم كجزء من الحياة النفسية الطفولية ، ٥٥٦

الحلم وحواضه (أنظر) :

الإحساسات الجنسية - الألم - التبرز والحاجة

ومركب أو ديب ، ٢٧٨ - ٩

الحالات الخلطية ، ١٠٩ ، ٢٧٥ ، ٣٩٠ ، ٥٢٢

الحالات النفسية المنشقة ، ٥١٥

الحالة الوجدانية في أحلام الهيلة ، ٢٥٤ - ٥ ،

٢٨٢ ، ٣٩١ ، ٤٠٣ ، ٤٥٧

الحالة الوجدانية في أحلام موت الأحياء ، ٢٦٥ -

٦ ، ٤٦١ ، ٥٧٠ - ١

الحالة الوجدانية في الأحلام ، ٩٩ ، ١٠٠ ،

١٠٧ ، ٣٨٣ ، ٤٥٨ - ٨٥

انتقالها إلى اللحظة التي تمقب اليقظة ، ٤٧٦

انطلاقها كعملية نازحة ، ٤٦٥ - ٦

تغييرها ، ٥٨٨ - ٩

تولدها ، ٥٦٩

حتمها المضاعف ، ٤٧٧ - ٨

غيابها ، ٤٦٠ - ٣ ، ٤٧٥

قلبها ، ١٧٥ ، ٢٥٥ ، ٤٥٣ ، ٤٦٩ - ٨٠

قمعها ، ٤٥٩ ، ٤٦٥ - ٦ ، ٤٦٩ ، ٥٠٣

٥٥٥ - ٦ ، ٥٦٩

نشوعها من مصادر متعددة ، ٤٧٧ - ٨ ، ٥٠٣

نقلاتها ، ١٩٨ ، ٢٨٢ ، ٤٦١ - ٣ ،

٤٧٦ ، ٥٧٢ - ٣

الحالة الوجدانية في الحياة المستيقظة ، ١٩٨ ،

٤٥٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٦ - ٧ ، ٥٨٧

الحالة الوجدانية في الطبائع العصائية ، ٤٧٧

الحتم المضاعف

في الأعراض المستيرية ، ٥٥٧ - ٨

في الحالات الوجدانية ، ٤٧٧ - ٨

في محتوى الحلم ، ١٧٢ ، ٢٣٩ ، ٢٩٧

٣١٨ - ٢١ ، ٣٣٩ - ٤٠ ، ٤٨٦ ،

٥٠٠ وأثلة عليه ٣٠٥ - ٦ ، ٣٠٨ ،

٤١٨ ، ٤٥١ ، ٥٠٤ - ٥

الحجرة كرمز حلمي ، ٢٣٤ ، ٣٥٩ ، ٣٦١

الحقائب كرمز حلمي ، ٣٥٤ ، ٣٥٦

الحركات البهلوانية

وأحلام الطيران أو السقوط ، ٢٨٦ ، ٣٩٧

٣٣٨ ، ٣٤١

الخوف (أنظر أيضاً : المخاوف المرضية)

الإحساس به في الحلم ، ٤٦٢ - ٣

الحلم كتحقيق له ، ٥٤٧

حين يكون خوفاً من الموت ، ٢٧٠

حين يكون خوفاً موضوعياً ٥٨٥

الذائوب ، ٢٢١ ، ٢٣٢

الدردى (مقاطعة في فرنسا) ٥٢

الدعش في الأحلام ، ٢٢٥ ، ٤٤٤ ، ٤٥٦ - ٥٣

٤٨٥

الديدان كرموز حلمية ، ٣٦٣

الديمومة من الأحلام (أنظر أيضاً الإحساس بالزمن

في الأحلام) ٦٤ - ٥ ، ٩٨ ، ٤٩٢ - ٥

٥٦٤ - ٥٧٦

الذاكرة (أنظر أيضاً : نسيان الأحلام ، النظام
الذكروى)

ذاكرة الأحلام ، ٧٩ - ٨٣ ، ٥٠٧ ،

٥١١ - ٥١٥ ، ٥١٦

في الأحلام ، ٥٠ - ٩ ، ٦٦ - ٧ ، ٩٨ ،

١٠١ ، ١٢٢٣ ، ١٨٦ - ٧ ، ٢٣٨ ،

٥٧٥

في حياة اليقظة ، ٥٠ ، ٢٩٢ ، ١٨٦ ،

٥٢٢

كصدر من مصادر الحلم ، ٥٧ - ٩

وظائفها ، ٥٣٠ - ١ ، ٥٣٤ - ٥ ، ٥٥٤

٥٥٤ - ٥ ، ٥٦١ - ٢ ، ٥٦٦ ،

٥٨٤ ، ٥٨٨ - ٥٩٥

الذكريات الستارية ، ١٩٤٢ ، ٢٨٤ - ٥ ،

٣٩٤ ، ٥٢٩٦

النحان (انظر أيضاً : الجنون المبكر ، الهوس ،

الميلانخوليا ، البارافويا)

التكوص فيه ، ٥٥٦ - ٧٧

صلته بالأحلام ، ١١٩ - ٢٣ ، ٥٥٥٧ ،

٥٧٨

عليته ، ٧٣

الرايخشتاج ، ٤٢٨

إليه - الجوع - الحاجات الإنفrazية -

- العطش - العمليات التنفسية - العمليات

الهضمية - المنبهات البصرية - المنبهات البولية -

المنبهات الحسية - المنبهات الحرارية -

- المنبهات السمعية - المنبهات السنية -

- المنبهات الشمية - المنبهات اللمسية -

المنبهات النفسية .

الحلم ومعرفته في الحلم (إن هذا الاحلم) ، ٣٤٦ ،

٤٨٥ - ٦ ، ٤٩٥ ، ٥٦٠

الحمل

الأحلام التى تعرض في خلاله ، ١٥٢ ، ٦٦ ،

٤٠٤

التخيلات المتعلقة به ، ٥٥٨

تصويره الرمزي ، ٣٦٣ - ٤ ، ٣٨٣ ، ٣٠٤

٥٤٠٥

الحلول الوسطى وتكوينها في الأحلام ، ٥٨١ - ٢ ،

٥٨٦

الحيوانات كرموز حلمية ، ١١٨ ، ٢٤٤ ،

٢٤٩ - ٢٥٠ ، ٣٦٣ - ٤ ، ٤٠٧ ،

٤١١ - ٢ ، ٤٦٠

الفضول الجنسي للطفل ، ٣٣٦ ، ٣٥٤ ، ٣٦١ ،

٣٧٠ ، ٤٥٧ ، ٥٢٣

الحلم في أحلام التمرى ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ - ٦٤

الخريطة كرمز حلمي ، ٣٦٣

الخشب كرمز حلمي ، ٣٥٦ ، ٣٦٢

الخصاء .

والتهديد به ، ٦٠١

والنظرية الطفلية بصدده ، ٣٧١

وتصويره الرمزي في الحلم ، ٣٦٣ ، ٣٦٨ ،

٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٩٢

وصلته بمركب أوديب ، ٤٠١

وظهوره في الأساطير ، ٣٧٢ - ٣ ، ٤٠١

٦٠٠

الخصائص الصورية للحلم (من حيث تصور مادته)

الرب ، ٢٣٧ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٤١٥ ،

الرجفة التشنجية ، ٦١٨ ،

الرجل الفأر ، ٣١٧ ،

الرحم

التخييلات المتعلقة بالحياة في داخله ، ٤٠٢ ،

تصويره الرمزي في الأحلام ، ١٧٨ ، ٣٦١ ،

٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤١١ ،

الرحيل كرمز حلمي ، ٣٨٩ ،

الرعب الليلي ، ١٦٠ ، ٥٧٢ ،

الربيات الثلاث ، ٥٤٧ ، ٥٦٨ ،

الربيات الطفيلة ، ٢١١ ، ٢٣٨ ، ٢٦٢ ، ٤ ،

٥٤٢ - ٣ ، ٣٤٦ ، ٥٧٥ ، ٥٨٣ ،

٥٨٨ - ٩ ،

الربيات المتعلقة بالنزاع بالمحارم ، ٢٧٢ ، ٤ ،

٢٧٦ - ٨٠ ، ٤٥٠ ، ٥٧٢ ،

المشقة الذاتية ، ٣٨٦ ،

موت الغريم ، ٢٧٥ - ٦ ، ٢٧٨ ،

الربيات المشقة والتعبير عنها في الأحلام ، ١٨٣ ،

٢٨٥ ، ٣٤٣ ، ٣٨٧ ، ٣٩٩ - ٤٠١ ،

الربيات المكتوبة (أنظر أيضاً : الربيات اللاشعورية)

١٨٣ ، ٢٥٤ ، ٢٧٨ - ٨٠ ، ٣٩٩ ،

٥٤٠ - ٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٨٣ ، ٥٨٧ ،

٨٩ ، ٦٠٢ ،

الرغبة وطبيعتها ، ٥٥٤ - ٥ ، ٥٨٣ ،

الرقابة (أنظر أيضاً : القبول في اللاشعور ، والكبت ،

والمقاومة)

إحلالها المستديرات السطحية بدل العميقة

٥٢٣ ، ٥٥٣ ،

استرخاؤها خلال الأحلام ، ٥١٩ ، ٥٣٣ ،

٥٥٦ - ٧ ،

الطرق التصويرية في تجنبها ، ٣٣٠ - ٣ ،

٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤٨ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧ ،

عملها في الأعصاب النفسية ، ٥٢٣ ، ٥٩٩ ،

٦٠٠ ،

عملها في حالات الهذيان ، ٥٢٢ ،

كيف تسمح بالكذب دون الصدق ، ٤٣٦ - ٧ ،

كيف تفرض المقاومة ، ٥٢٣ ،

كيف تكون جزءاً من نصيب الأنا الشعوري في

فعل الحلم ، ٢٥٢ - ٣ ،

مقارنتها بالرقابة على الأدب والصحافة ، ١٦٧ -

٥٢٢ ، ٨ ،

موقفها من قبش وش ، ٥٩٧ ، ٥٩٩ ،

موقفها من لاش وقبش ، ٥٤٤ ، ٥٥٦ ، ٢٧ ،

وأحلام الاستعراض ، ٢٦٢ - ٣ ،

وأحلام الموت ، ٢٦٩ - ٧٠ ، ٢٧٢ ،

٢٧٦ ، ٢٨١ - ٢ ، ٤٣٥ - ٦ ،

وأحلام الهيلة ، ٢٨٢ ،

والتخييلات اللاشعورية الكامنة في أفكار الحلم ،

٤٨٩ ،

والحالة الوجدانية في الحلم ، ٤٥٩ - ٢٦٠ ،

٤٦٦ ، ٤٦٩ - ٢٧٠ ، ٤٧٦ - ٨ ،

٤٨٣ - ٤ ،

والعامل الجنسي ، ٢٠٩ ، ٢٢٨ ،

والمراجعة الثانوية ، ٤٨٦ - ٧ ، ٥٠٨ - ٩ ،

والنقل ، ٣٢٠ ، ٤٦٩ ، ٤٩٣ - ٤ ، ٥٤٨ ،

والنكوص ، ٥٣٣ - ٤ ، ٥٣٦ - ٧ ، ٥٦٢ ،

٥٩٠ ،

وتحقيق الرغبة ، ٥٢٥ ، ٤٥١ - ٢ ،

ورغبة النوم ، ٥٥٩ - ٢٦٠ ، ٥٦١ ،

ونسيان الأحلام ، ٥١٠ - ١١ ،

الرقاص ، ٩٢ ،

الرقيب ، ٥٠١ ،

الرمزية

حين تتعلق بالأفكار المجهدة (أنظر الرمزية

الذاتية ، سيلبير) ، ٣٥٢ - ٣ ،

٤٩٩ ،

حين تتعلق بالحياة الجنسية ، ١٧٨ ، ٢٠٦ -

٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٣٣٥ ، ٣٥٤ -

٤٠٦ ،

في الأحلام ، ١١٦ - ١٨ ، ٢١٦ - ٧ ،

٣٦٩ ، ١٣٨٠ ، ٦ - ٣٥٥ ، ٣٣٥
 السلم ، ٣٩٠ ، ٨ - ٣٧٢٧٦٤ ، ٨ - ٣٥٦ ،
 - ٣٧٥ ، ٧١ -
 السك ، ٧ - ٣٧ ، ٣٦٣ ،
 السوط ، ٧ - ٣٨٤ ،
 الصنوق ، ٧ - ٣٠٦ ، ١٧٨ ، ١١٨ ،
 ٤٠٨ ، ٣٦٥ ، ٣٦١ ، ٢٤٤ ، ٢٣٦ - ٢٠٩
 العدد والآلات ، ٤٠٣ ، ٣٦٣ ،
 المصا ، ٧ - ٣٨٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦١ ، ٢٤٦ ،
 المصان ، ٣٥٤ ، ٢٤٦ ،
 العين ، ٨٤٠١ ،
 النصف ، ٦ - ٣٥٥ ، ٣٣٥ ، ٣٠ - ٣٢٩ ،
 الفاكهة ، ٩ - ٣٧٨ ، ٣٠٠ ،
 الفراء ، ١١٨ ،
 القبة ، ٧ - ٣٦٦ ، ٣٦٢ ،
 القفل والمفتاح ، ٣٦١ ،
 الكلازينت ، ١١٨ ،
 الماء ، ٤٠٨ ، ٤٠٦ ، ٤ - ٤٠٢ ، ٢٤٦ ،
 المائة ، ٢ - ٣٨٠ ، ٣٦٢ ،
 المبال ، ٧ - ٢٣٦ ، ٢٣١ ،
 المتاع ، ٣٦٤ ،
 المركب ، ٤٦١ ، ٨٤٠٥ ، ٣٦١ ، ٨٣٥٩ ،
 - ٤ -
 المكان الضيق ، ٤٠٢ ، ٤٠٠ ، ١١٨ ،
 ٤٠٣
 الملوك الملكات ، ٤١٠ ، ١ - ٣٦٠ ،
 المنزل ، ٣٦٢ ، ٣٥٤ ، ٢٤٥ ، ١١٧ ،
 ٤٠٢ ، ٤٠١ ، ٣٧١ ، ٣٦٩ ،
 ٣ - ٤٥٢
 المنطاد ، ٣٧٤ ، ٣٦٩ ،
 النار ، ٩ - ٣٩٨ ،
 النقود ، ٤٠٥ ،
 الحليون ، ٢٠٦ ،
 العين واليسار ، ٧ - ٣٨٦ ، ٣٦٤ ،
 سراق الليل ، ٤٠٦ ، ٣٩٩ ،
 ربطة العنق ، ٣٤٢ ،

٤١٥ - ٣٥٣ ، ٨ ، ٥٨ ، ٦ - ٢٤٤
 ما يسمى برمزيت العتبة ، ٥٤٩ - ٤٩٩
 « الرمزيت الذاتية » إلى الأفكار المجردة (سبليير)
 ٩٠٤ ، ٤٩٨٣ - ٣٥٢٨٥٠

الرموز

أصلها التاريخي ، ٢٥٩
 ما ورد ذكره منها .
 ارتداء الثياب ، ٢٢٤ ، ٢٠٧ ، ١١٨ ، -
 ٣٩٤ ، ٨ - ٣٦٦ ، ٣ - ٣٦١ ، ٦
 الإخوة والأخوات ، ٣٦٤ ،
 الأسلحة ، ٣٩٠ ، ٣٦٥ ، ٣٦٣ ، ٣٦١ ،
 ٤٠٠
 الأسنان ، ٤٠٦ ، ١١٨ ، ٥٧٥ ، ٢٤٤ ، ٦ -
 ٢٨٨ ، ٢٦٣ ، ٤ - ٣٩١ ، ٥ -
 الأشباح ، ٤٠٦ ،
 الأرقام ، ٣٦٤ ،
 الأطفال ، ٤٠٧ ، ٩ - ٣٦٧ ، ٣٦٣ ،
 الأعلى والأسفل ، ٣١٣ ، ٣٠٢ - ٢٨٩ ،
 ٤١١ ، ٣٣٦
 الأفران ، ٣٦١ ،
 الأقرباء ، ٣٦٤ ،
 الباب ، ٤٠٠ ، ٣٥٤ ،
 البيض ، ٣٥٥ ،
 الثعبان ، ٣٦٣ ، ٨٣٦٢ ، ٣٥٥ ،
 الجدران ، ٣٦٢ ،
 الحجرات ، ٣٦١ ، ٨٢٥٩ ، ٢٣٤ ،
 الحديقة ، ٣٥٦ ، ٣٥٤ ،
 الحقيبة ، ٣٩٠ ، ٣٦٤ ، ٢٤٤ ، ١١٨ ،
 الحيوان ، ٣٦٤ ، ٢٤٩ ، ٢٢٥ ، ١١٨ ،
 ٤٦٠ ، ٤١١ ، ٤٠٧ ، ٣٩٩
 الخشب ، ٣٦٢ ، ٣٥٦ ،
 الخرائط ، ٣٦٣ ،
 الديدان ، ٣٦٣ ،
 الرحيل ، ٣٩١ ، ٣٢٩ ،
 الزهور ، ٢٣٦ ، ٧ - ٢٩٦ ، ٩٨ - ١٨٨ ،

« زبلن » ، ٣٥٩ ، ٣٦٤

مجرد الأظافر ، ٣٦١

مناظر الطبيعة ، ٣٦٣ ، ٣٧١ ، ٤٠٢

« ما قد يكون فيها من الاشتراك » ، ٣٦٠

الرموز الجنسية (أنظر أيضاً : الرموز) ، ١٨٧ ،

٢٠٥ - ٢٢٦ ، ٢٢٩ ، ٣٣٥ ،

٣٥٤ - ٤٠٥

الرموز المصيبة

في الأحلام ، ١١٨ ، ٣٤٦ ، ٣٥٤ - ٦ ،

٣٦١ - ٨٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٤١٣

—

في المصور القديمة ، ٣٩٨

الروابط السطحية وحلولها محل العبقة ١٩٧-٢٠٣

٥٢٣ - ٥

الرومان (أنظر أيضاً : المصور الكلاسيكية) ،

٢١٦ ، ٥٨١

الزنا بالمحارم ، ٣٦٤

الرغبة فيه ، ٢٧٢ ، ٤ - ٢٧٦ ، ٨٠ -

٤٠١ - ٤٥٠ ، ١ - ٥٧٢

للزنيقة الحمراء (أقاتول فرانس) ، ١١٤ ،

الزواج وتصويره في الحلم ، ٣٦١ ، ٣٦٤

الزهري ، ١٨٢ ، ٥٣١٢ ، ٢١٥

السادية ، ١٧٢ ، ٣٠٢ - ٣١٨ ، ٣٧٦

السباح ، ٣٩٥ - ٦ ، ٣٩٨

السخرية في أفكار الحلم والتعبير عنها باللامعقولية

في محتوى الحلم ، ٤٣٠ ، ٤٣٤ ، ٤٤٤ ،

٤٥٠

السقوط ، الحلم به ، ٦٢ ، ٧٥ ، ٢٢٢ ، ٢٨٦

٨ - ٣٩٥ ، ٨ - ٥٧٦

السمي

من الصور الخلفية ، ٨٤ - ٢٥

من المنبهات الحافظة إلى الحلم ، ٦١ - ٦ ،

٦٧ ، ٦٩ - ٧١ ، ٨٥ ، ٢٤٥ - ٦ ،

٢٥١ - ٣

من الملاوس ، ١٢٠ - ٣ - ٤١٩ ، ٤٢٠

السوط كرمز حلمي ، ٣٨٤ - ٧

السياق الزمني في الأحلام (أنظر أيضاً : العلاقات

الزمنية) ، ٨٨٧ ، ١٢٢ - ٢٣ ، ٣٢٤ -

٧ ، ٣٣٧ - ٨

السيد تسوكر ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٣١٢ - ٣

السيد مولر ، ٤٩١

السيمفونية التاسعة (بيتهوفن) ، ٣٩١ ،

الشيخ كرمز حلمي ، ٤٠٦

الشخصية ، التعبير الذي يصيها في الأحلام وفي

النحان ، ١٢١

الشخصية المنشقة ، ١٢٢

الشدة الحسية .

الصلة بينها وبين الشدة النفسية ، ٣٣٩ - ٤٠

٥٥١

في صور الحلم ، ٧٩ - ٨٠ ، ٣٣٨ - ٤٠ ،

٤٩٦ ، ٥٥١

الشدة النفسية ، ٨٩ ، ٣٣٩ - ٤٠ ، ٤٥٨ - ٩

٥٦٤ ، ٥٧٨ - ١ - ٥٨٦ ، ٧

والشدة الحسية ، ٣٣٩ - ٤٠ ، ٥٥١

والنقل ، ١٩٨ ، ٣١٨ ، ٩ - ٥٠٢ ، ٣ ،

٥١٠ ، ٥٣٥ - ٥٤٣ - ٤٤ ، ٥٥٠ -

٣ ، ٥٧٦ ، ٥٨١ (أنظر أيضاً : النقل

والانقلاب الشامل للقيم)

الشعور

والقبول فيه ، ١٦٨ ، ١٩٨ ، ٢٥٤ ،

٥٣١ - ٣ ، ٥٣٨ ، ٥٧٨ - ٩ ،

٥٩٦ - ٧

وتحقيق رغبة لاشعورية ، ٥٤٢ - ٨ - ٥٥٢ ،

٥٥٥ - ٦ - ٥٩٩ - ٦٠ ، ٥٦١

وطبيعته الجوهرية ، ١٦٨ ، ٥٨٠

وعلاقته الخاصة بما قبل الشعور ، ٥٦٢ - ٣

٥٩٧ - ٨

وعلاقته بالأنظمة - ن ، ٥٣٠ - ٣ - ٥٣٧ ، ٨ -

٥٨٩ ، ٧ - ٥٥٦ ، ٨٥٤٥ ، ٥٣٨

الطابع الملموس للربعات ، ٥٨٣ ، ٦ - ٥٥٥

الطقة النفسية ، حرة ومقيدة ، ٥٨٤ ، ٦ - ٥٩٢

٣ -

« الطبع » وقيامه على الآثار الذاكرة ، ٥٣٠ -

الطريز الصغير (جريم) ، ٤٧٥ ،

الطفل المدلل ، ٤٠١ ،

الطلسان (لوجيف قوله) ، ٢٦١ ،

الطموح وبلل الفراش ، ٢٣٦ ،

الطهوبونية ، ٤١١ - ١٢ ،

الطيطان ، ٥٤٣ - ٥٤٤

الظاهرة الوظيفية (سيليرير) ، ٣٨٥ ، ٨٣٢٥ ،

٥٠١ - ٤٩٨ ، ٨٤١٤

الظاهرة الوظيفية (سيليرير) ، ٣٨٥ ، ٨٣٢٥ ،

٥٠١ - ٤٩٨ ، ٨٤١٤

العالم الخارجى (أنظر : الواقع)

العدد والآلات كرموز حلمية ، ٢٦٣ ، ٤٠٣

العنوانية ، ١٨٢

العرف القوي من حيث هو أداة من أدوات عمل

الحلم ، ٣٤٨ - ٥٥ ، ٨٣٦١ ، ٤١١ ، ٥٢٣ ،

المصرى ، الأحلام المتصلة به ، ٦٢ ، ٧٥ ، ٥٦ ،

٢٥٦ - ٨ ، ٢٥٩ - ٢٦٤ ، ٢٣٩ ،

٢٩٩ ، ٣٤٤ ، ٤٠٨

المشق الذاقى (أنظر : الاستثناء)

المشق الشرجى ، ٤٠٥

المصاب كرمز حلمى ، ٢٤٦ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ ،

٧ - ٣٨٦

المصاب القهرى ، ١٢٠ ، ٢٦٣ ، ٣١٧ ،

٨٤٤٤ ، ٥٦١ ، ٥٧٩

الأحلام فيه ، ١٢٢ ، ٣٣٨ ، ٣٧٢ ،

الخوف من النزعات القاتلة فيه ، ٢٧٦ ، ٤٥٥ - ٦

علاجها لتحليل النفس ، ١٢٩

المصابيون .

أحلامهم ، ٥٣ ، ١٣٣ ، ١٧٠ ، ١٨٥ ،

٢٠٦ ، ٢٢٣ ، ٢٦١

اشتغالهم بأجسامهم ،

٥٤٣ - ٥٦٤ ، ٤٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٧ ،

٥٨٨ - ٩ ، ٥٩١

وكونه عضواً حياً مجعولا لادراك الكيفيات

النفسية ، ٥٩٧

وما ورد عنه في المؤلفات عن الحلم ، ٩٣

ووظيفته ، ٥٩٨ - ٩

الشعور بالارتباك فى الأحلام ، ٧٥ ، ٢٥٦ -

٢٥٩ ، ٨ - ٢٧٩ ، ٢٩٩ ، ٣٤٤ ،

الشعور بسبق الرؤية فى الحلم ، ٤٠٢ ، ٤٤٦ ،

الشك ، ٣٤٢ ، ٤٤٧ - ٨ ، ٥١٠ - ١

الشلل

الكل ، ٤٣٨ - ٩

الاستيرى ، ١٢٠ ، ٥٥٢

الشلل الحركى فى أثناء النوم ، ٣٤٥ ، ٤٦٦ ،

٥٤٥ ، ٥٥٦ - ٧

الشكل الكللى فى حالات الذهان ، ٥٣٨ - ٩

« الصحائف الطائرة » (جريدة هزلية) ، ٥٢٠٦ ،

٣١١ ، ٤٦٠ ، ٥٩٦

الصدق والرقابة ، ٤٣٦ - ٧

المصرع ، ١٢٠ ، ٢٢٢ ، ٥٣٧

الصندوق كرمز حلمى ، ١١٨ ، ١٧٨ ، ٢٠٧ ،

٢٠٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤٤ ، ٢٧٠ ، ٢٧٥ ،

٤٠٨

الصور البصرية كحواجز على الحلم ، ٦٨ - ٧١ ،

٨٥ ، ٣٣٤ ، ٣٥٢ ، ٥٥٧ - ٨ ، ٥٣٨

٥٨٢ ، ٥٤٢ ، ٩

الصور المتخيلة فى الأحلام

البصرية ، ٦٨ - ٧١

السمية ، ٨٥

الضحك ، ٥٨٩

الطابع الأثرى للأحلام ، ٩٥ ، ٥٤٠ ، ٥٧٧ ،

الطابع الأنائى للأحلام ، ٢٨٢ - ٦ - ٣٣٣ ،

٤٤٠ ، ٥٨٢ - ٣

الطابع الملموس للأحلام ، ٧٨ ، ٨٥ - ٨ ،

٢٤٢ ، ٢٤٩ ، ٤٩٧ - ٨ ، ٥٣٤

المعاملات الثانوية (أنظر أيضاً : المعاملات الأولية

الأنظمة النفسية) ١٦٩ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ،

٣٢٠ ، ٤٩٤ ، ٥٨٤ - ٥

المعاملات الحسابية في العلم ، ٣٣٧ ، ٣١٥ - ٨

٤٣٧ - ٨ ، ٥٠٧ - ٨

المعاملات النفسية كحافز على الحلم ، ٣٢٠ ، ٦٠

٧٤ ، ١١٧ ، ١٩٠ ، ٢٣٩ - ٤٠ ،

٢٤٥ ، ٤٠٦

العناصر الذكورية ، ٥٢٧

المنة (أنظر أيضاً : الانتصاب)

الحروف والتعبير عنه في أحلام الامتحان ، ٢٩٠

تصويرها في الحلم ، ٢٠٧ - ٨ ، ٣٠٤ - ٥٥

٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٤٧٠

المين كرمز حلمي ، ٤٠١

المنية الادراكية ، ٥٥٥ - ٦ ، ٥٨٦ - ٧

المنية الفكرية ، ٥٨٦ - ٧

النفس كرمز حلمي ، ٣٢٩ - ٣٠ ، ٣٣٥

٣٥٥ - ٦

الغيرة

بين الإخوة والأخوات ، ٢٦٧ - ٧١

من الوالدين ، ٢٧٨٠ - ٨١

الفاكهة كرمز حلمي ، ٣٠٠ ، ٣٧٨ - ٩

الفراء كرمز حلمي ، ١١٨

الفقدان العام للحساسية ، ٦١

الفولكلور ، ٣٥٨ ، ٣٦٣

القاعة ، ٦٣

القبعة كرمز حلمي ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ - ٧

القبول في الشعور (أنظر أيضاً : الرقابة والكتب) ،

١٦٨ ، ١٩٨ ، ٢٥٤ ، ٥٣٢ - ٣ ،

٥٣٩ ، ٥٧٨ - ٩ ، ٥٩٦ - ٧

القدس ، ٩٤

القذارة ومعادلتها بالبخيل ، ٢٢٠

القرن الوسطى وتفسير الأحلام فيها ، ٤٥

القصر الأمبراطوري (في فينا) ، ٤٢٣

القصور العقل ، ١٠٩

بلل الفراش عند النوم ، ٢٣٦

تحليلهم النفسي ، ٥٣ ، ١٣٣ ، ١٧٠ ،

١٨٥ ، ٢٠٣ ، ٢٣٦ ، ٢٦١ ، ٢٧٣

٢٨٧ ، ٢٢٢ ، ٥١٦ ، ٥٢٤ ، ٥٤٣

٥٤٣ - ٤ ، ٥٨٧ - ٩ ، ٥٩٤

مقارنتهم بالأطفال ، ٢٦٧ - ٨ ، ٢٨٢

العصبات ، ٥٣١ ، ٥٨٤

المصور القديمة (عند اليونان والرومان)

والقضب المنح ، ٣٩٨

وفهمها للأحلام ، ٦٢ - ٦ ، ٢٤٩ -

٥ - ٣ ، ٦٠ ، ٧١ ، ٠٨ ، ١٢٧ ،

١٤٨ ، ١٥٨ ، ٢٤٤ ، ٣٦٠ ، ٥٩٦ ،

ومركب أوديب ، ٢٧٧ - ٠ ، ٤٠٢

العقل كحافز للحلم ، ١٥٠ - ١٨٨ ، ٤٠٠

٥٤٢

العلاقات الزمنية وإدراكها (أنظر الإحساس

بالزمن) ، ٥٣١

العلاقات الزمنية في أفكار الحلم

تصويرها بالأعداد في محتوى الحلم ، ٥١٦ - ٩

٤٣٨

تصويرها بالمكان في محتوى الحلم ، ٤١٠

تصويرها بالنقد في محتوى الحلم ، ٤١٥

العلاقات الزمنية في محتوى الحلم ، ٨٧ ، ٩٨ ،

٢٦٤ ، ٣٢٤ - ٧ ، ٣٣٨ ، ٤١١

العلاقات العملية في الأحلام ، ٣٢٥ - ٦

العلاقات المنطقية وتصويرها في الحلم ، ٣٢٢ - ٠٣

٤٤٨ - ٩ ، ٥٠٢ - ٣ ، ٥٣٥

العمدان كرموز حلمية ، ٢٤٦ ، ٣٥٤

العمر وتصويره في الأحلام ، ٤١١ ، ٤١٦ - ٧

٤٣٧ - ٨ ، ٥٠٧ - ٨

العمل الفني (زولا) ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ ، ٣١٢

المعاملات الأولية (أنظر أيضاً : الأنظمة النفسية

المعاملات الثانوية) ، ١٦٩ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ،

٣٢٠ ، ٥٨٤ - ٩٣

المعاملات التنفسية كحافز للحلم ، ٧٢ ، ٧٥ ،

١١٧ ، ٢٤٤ ، ٢٥٥ ، ٢٨٧ ، ٣٩٦

القيمة النفسية (أنظر الشدة النفسية ، الانقلاب
الشامل في القيم النفسية)

الكابوس ، ٤٥ ، ٧٢

« الكارسو » (هضبة) ، ٥٣٨

الكتب (أنظر أيضاً : الرقابة ، القمع) ، ٢٥٣-

٥٩٩ ، ٩٢-٥٨٣ ، ٥١٥ ، ٥٣٩ ، ٥٨٣

حين يتناول الحالات الوجدانية ، ٤٥٩-٦٠

٤٦٦ ، ٤٦٩-٧٠ ، ٤٧٦ ، ٥٠٣

٥٤٦-٧ ، ٥٦٩

حين يتناول الحياة الجنسية ، ٣٩٢ ، ٣٩٤

٤١٢ ، ٥٧١-٣

حين يتناول رغبات الزنا في المحارم ، ٢٧٨-٨٠

٥٧٢

حين يتناول رغبات الموت ، ٢٦٦٩ ، ٢٨١

٢-٣٣٧ ، ٤٢٩ ، ٣٠

في الأحلام الاستعراضية ، ٢٦١-٤

والنساء ، ٥١٥

الكسرى ، التفسير الكسرى للأحلام ، ٥١٦-٧

الكلايينيت كرمز للحلم ، ١١٨

الكمية ، ٥٥١ ، ٥٨٤ ، ٥٩٨-٩

الكوكابين ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٧

٨-١٩٢ ، ٣-١٩٥ ، ١٩٧ ، ٥٢٦

٢٣٧ ، ٢٩٥-٦

« الكويلي فرانسي » ، ٢٢٩

الكوت المافيا (في أفراح فيجارو) ، ٢٢٩

الكوت إيرشتاين (أغنية) ، ٣٦١

الكوت ثقافه ، ٢٢٩

الكوت تون ، ٢٢٣-٣ ، ٥١ ، ٤٣١ ، ٤٣١

٤٣٣ ، ٤٦٨

الكيفية ، ٥٦٢ ، ٥٩٧-٩

اللامعولية في الأحلام ، ٥٩٠ ، ٩٠-٢ ، ٩٧

١٠٩ ، ١٢٦ ، ٣٤٨ ، ٤٢٥-٤٤

٥٧٧

العب بالالفاظ (أنظر أيضاً : الجناس ، المحازات ،

النكات ، الالفاظ المبتكرة ، التوريات ، الاشتراك

القضيب (أنظر أيضاً : الأعضاء التناسلية ، الرموز
القضيبيية)

الأحلام المتعلقة به ، ٢٣٠ ، ٣٧٥ ، ٣٩٠

النزوع القهري إلى عرضه ، ٢١٨

القلب أو العكس

حين يتناول السياق الزمني في الأحلام ، ٣٣٧ ،

٤٠٤

حين يتناول السياق الزمني في المستيريا ، ٨٣٣٧

٣-٥٨٢

حين يصيب الحالة الوجدانية في الحلم ، ١٦٦ ،

٣٤٥-٦ ، ٤٥٣ ، ٤٦١ ، ٤٦٩-

٧٥

حين يتناول الحالة الوجدانية في حياة اليقظة ،

٤٦٩

كطريقة من طرق التصوير في الحلم ، ١٦٥-

٦ ، ٢٩٩-٣٠١ ، ٣٢٩ ، ٣٣٦-٨

٣٤٩ ، ٣٧٠ ، ٣٨٧ ، ٤١٠ ، ٤٣٢

٤٧٩ ، ٥٤٦ ، ٤٣٣-٥

كيف يصور وقوعه في محتوى الحلم تناقضاً في

أفكار الحلم ، ٤٣٣-٥

وقوعه في أحلام النفاق ، ١٦٩ ، ٥٧٤

وقوعه في الأحلام اللامعولة ، ٤٣٢ ، ٤٣٩-

٤٠

وقوعه في الأحلام « البريئة » ، ٢٠٦ ، ٥٢٠

وقوعه في الأحلام النمطية ، ٣٦٣ ، ٤٠٣

وقوعه في البارانونيا ، ٣٦٣

وقوعه في تكوين الرموز الخفية ، ٣٦١-٢

٤١٣-٤

القلب ورموزه في الحلم ، ١١٨ ، ٢٤٤

القمع (أنظر أيضاً الكتب) ، ٢٥٣-٥ ،

٥٩٠

وقوعه على الحالات الوجدانية ، ٤٥٩ ، ٥٦٥

٦-٤٦٩ ، ٥٠٣ ، ٥٤٦-٧

النزوع مرض هستيري ، ٥٥٨ ، ٦٠٠

القيمة الشخصية للأحلام ، ٦٩-٧٢ ، ١٠٥

٦ -

الخواف المرضية (أنظر أيضاً : الهيلة ، مخاوف
الأماكن المغلقة، الخوف) ، ١٢٩ ، ٢٦١ ،
٥٩٥ ، ٣٤٩

المستيري منها ، ١٢٩ ، ٢٧٥ - ٦ ، ٥٦٩ ،
٥٩٥

ما اتصل منها بالديدان ، ٢٩٩ - ٣٠٠
ما اتصل منها بالسقوط من التوافذ ، ١٨٤
ما اتصل منها بدافع قهري إلى القتل ، ٢٧٥ - ٦
ما اتصل منها بدفن المرء - بها ، ٤٠٣
ما اتصل منها بموت الأم ، ٢٧٦
المخصصات ، ٣٣١

المراجعة الثانوية (أنظر أيضاً : التجمع والحاجة
إليه) ، ٢٥٢ - ٣ ، ٢٦٠ ، ٣٢٤ ، ٤٤٨ ،
٤٥٨ ، ٤٨٥ - ٣٠٣ ، ٥٠٣ ، ٥٠٨ - ٩ ،
٥٢٥ - ٥٦٤

أسطورة أوديب كأثر من آثارها ، ٢٧٩
أشئلة عليها ، ٣٨٨ ، ٥٧٠ - ١
قصة هانس أندرسون كأثر من آثارها ، ٢٦٠ - ١
نشاطها في حياة اليقظة ، ٤٩٣ - ٧
وأحلام الامتحان ، ٢٨٩

المراهقة ، ١٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٩٤
الاستطلاع الجنسي في خلالها ، ٣٥٤ ، ٥٢٣
(أنظر أيضاً : الاستطلاع الجنسي في
الطفولة) تخييلاتها ، ٥٥٨

والرغبات الاستثنائية ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٤
٥٧٣ - ٤

المرض العضوي وأثره في الأحلام ، ٤٤ ، ٧١ - ٢
١٠٦ ، ٢٥٥

المرض العقلي (أنظر أيضاً : الجنون المبكر ،
الهوس ، الميلانخوليا)

العلاقة بينه وبين الأحلام ، ١١٩ - ٢٣ ،
٥٧٨ ، ٥٥٧

التكوص فيه ، ٥٥٦ - ٧
عليته ، ٧٣

المركب كرمز حلمي ، ٥٥٣٩ ، ٣٦١ ، ٤٠٥
٤٦١ - ٤

اللفظي، الجسور اللفظية) ، ٢٠٥ ، ٢٢٤
٧ - ٢٣٣ ، ٢٦ ، ٥٢ ، ٣٠٧ - ٨ ،
٣٨٨ - ٩٠ ، ٤٠٩ ، ٤٢١ - ٥ ،
٤٦٢ - ٤٦٢ ، ٤ - ٥١٣

الفئة

صلة الحلم بها ، ١٢٨ ، ٣٤٧ - ٥٠ ،
٣٥٢ - ٥ ، ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٤٠٩
وما قبل الشعور ، ٥٦٢
الليبدو والهيلة ، ١٨٤ - ٥ ، ٢٥٤ - ٥ ، ٣٤٦ ،
٤١٢ ، ٥٧٣

الماء كرمز حلمي ، ٢٤٦ ، ٤٠٢ - ٤ ، ٤٠٦ ،
٤٠٨

المائة كرمز حلمي ، ٣٦٢ ، ٣٨٠ - ٢
المادة الحاضرة الناشطة ، ٢٤٦ - ٧ ، ٢٤٩ ، ٥٥ ،
٢٩٦ ، ٤٨٤ - ٥ ، ٥٤٤

المادة المجردة من الأهمية في محتوى الحلم (أنظر أيضاً :
تفاهة محتوى الحلم) ، ٥٨ ، ١٨٧ - ٢٠٩ ،
٤٠٠ ، ٤١٦ ، ٥٥٣ ، ٥٧٥
«المادة والحركة» (كلارك ماكسويل) ، ٤٥٤ ،
٥١٣

الماسوشية ، ١٨٢ ، ٣٨١ ، ٤٧٣
الماسوشية العقلية ، ١٨٢
الماسوشية النفسية ، ١٨٢

المبالات من الأحلام ، ١١٦ ، ٢٢ ، ٢٨٣
المجرد كرمز حلمي ، ٢٣١ ، ٢٣٦ - ٧
المبولة كرمز حلمي ، ٢٣١ ، ٢٣٦ - ٧
المتاع كرمز حلمي ، ٢٦٤

المتزوجون حديثاً وأحلامهم ، ١١٢
المجازات الدارجة واستخدامها الخرق في الأحلام ، ٣٤٨ ،
٥٢ - ٥٠٨ ، ١٠ - ٤٢٨ ، ٩ - ٤٤٥

المحتوى الظاهر (أنظر : الحلم ومحتواه الظاهر)
المحتوى الكامن (أنظر : أفكار الحلم الكامنة)
المخاوف العصائية (أنظر أيضاً : الهيلة العصائية ،
المخاوف المرضية) ، ٣٥٤ - ٥
المخاوف الليلية ، ١٦٠ ، ٥٧٢ - ٣

المنبهات البولية كحواضر على الحلم ، ٢٢٩ ، ٥١٨٤ ،
 ، ٢٥٦ ، ٢٥١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٠ ، ٣٨ -
 ٤١٣ ، ٦ - ٤٠٥

المنبهات الجسمية (أنظر : المنبهات الحسية)

المنبهات الحرارية كحواضر على الحلم ، ٤٤ ، ٦١ ،
 ٦٥ ، ٣ -

المنبهات الحسية (أنظر : الألم ، المنبهات البصرية
 المنبهات الحرارية ، المنبهات الخارجية ، المنبهات
 الذاتية ، المنبهات السمية ، المنبهات السنية ،
 المنبهات الشمية ، المنبهات الضوئية ، المنبهات
 اللمسية)

الاستجابة إليها في الفعان ، ١٢١ - ٣

الاستيقاظ بواسطتها ، ٨٦ - ٨ ، ١١٠ -
 ١١ ، ٤٩٣ ، ٥ - ٥٥٩ ، ٦٠ (أنظر

أيضاً : أحلام الاستيقاظ)

الاستيقاظ لانقطاعها ، ٨٨

تصويرها في محتوى الحلم ، ٥٢٦ ، ٧ -

تفسيرها ، ٦٢ - ٨ ، ٧١ - ٦ ، ٢٤٠ - ٣

٦ - ٢٥٣ ، ٦ - ٤٩٥

كحواضر على الحلم ، ٤٤ ، ٦٠ - ٧٩ ، ٩٣ ،

٩٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١١٧ - ٩ ،

٢٣٩ - ٥٨ ، ٥٤٤ ، ٥٧٥

كصدر لكل نشاط نفسي ، ٥٢٩ - ٣٠

كصدر من مصادر الحالات الوجدانية في الحلم

٥ - ٥٨٤

وشلة صور الحلم ، ٥٣٨

ومبدأ ثبات الطاقة ، ٥٥٤

المنبهات الحسية الباطنة (الضوئية) ، ٧١ - ٩ ،

٢٩٣ ، ١١٢ ، ١١٧ - ٨ ، ٢٤٠ ،

٢٤٥ ، ٢٥٥ - ٤٠٥ ، ٦ - ٤٠٥ ، ٥٥٤

٥٧٦

المنبهات الحسية الخارجية

الاستيقاظ بتأثيرها ، ٨٨ ، ١١٠ ، ١١٢ ،

٤٩٣ - ٤ ، ٥٥٩ - ٦٠

كحواضر على الحلم ، ٦٠ - ٨ ، ٧٧ ، ٩٣ ،

و المريض الواهم ، (موليير) ، ٥١٤ ،

المستولية الخلقية في الحلم ، ١٠١ - ٤

المشكلات التي تحل في الحلم ، ٩٨ - ٩ ، ٥٤٤ ،

٥٢ ، ٥٥٣ - ٤ ، ٥٦٧ ، ٨

المشهد الأول ، ٤٠٢ ، ٥٧١ - ٢

المصنفات العلمية عن الأحلام ، ٤٣ - ١٢٥ ،

١٣٣

المفاتيح والأفعال كرموز حلمية ، ٣٦١

المفتش كارل ، ١٤٠

المقال عن الطبيعة (جوته) ، ٤٣٨ - ٤٠ ، ٤٤٨

المقاومة

الصلة بينها وبين النسيان ، ٥١٠ - ٥١٨ ، ٥١٠

٩ ، ٥٢٤

الصلة بينها وبين التكوص ، ٥٣١ - ٣ ،

٥٢٩

كيف تقوم عقبة في وجه التحليل النفسي ،

١٦٦ ، ١٨١ ، ٣٧٠ ، ٤٤٥ ، ٨

٥١٠ - ٦ ، ٥١٨

ما تأملية من رقابة ، ٣٢٠ ، ٣٣٢ ، ٤٠٥ ،

٥٥٥٣ ، ٥٣٣

المقصلة ، ٦٠ ، ٩٨ ، ٤٩٢ - ٤ ، ٥٦٣

المقومات التريزية ، ٣٩٩

المكان الفيق كرمز حلمي ، ١٨٨ ، ٤٠٠ ،

٤٠٢ ، ٤٠٣

المكان والشعور به في الأحلام ، ٨٦ ، ٨٨٧ ، ٩٨

الملايس كرموز حلمية ، ١١٨ ، ٢٢٤ - ٦ ،

٣٦ - ٣ ، ٣٦٦ - ٨ ، ٣٩٤

الملاحظة الذاتية في الأحلام ، ٥٠١

الملوك والملكات كرموز حلمية ، ٣٦٠ - ١ - ٤١٠

المنظر الطبيعية كرموز حلمية ، ٣٦٣ ، ٣٧١ ،

٤٠٢

المنبهات (أنظر : المنبهات الحسية)

المنبهات البصرية كحواضر على الحلم ، ٢٦١ ، ٦٣ ،

٦٥ ، ٦٨ - ٧٠ ، ١١٧ ، ٢٤٥ - ٦ ،

٥٣٨ - ٥٠٢

٤ - ٥٠٤ - ١٥٠ - ٤٤٨ ، ٨ - ٤٣٥
٥٥٩ ، ١ - ٥٤٠ ، ٦ - ٥٢٥

الموسيقى

الجملة الموسيقية ومواصلة ترديدتها في الحلم ، ٨٥
الذكريات المستشارة بواسطتها ، ٤٩٣ - ٤
في الهلوسة العصابية النفسية ، ٤٤١٩
الموقد كرمز حلمي ، ٣٦١
الميلانخوليا أو السودامية ، ١٢٠ ، ٣٤١
« الثياب » (الفونس دوريه) ، ٣٠٤ ، ٤٤٨
٥٢٧

النار

الحلم بها ، ٣٩٩ ، ١٤ - ٥ - ٥٢٥ ، ٦
٥٥٩ ، ١ - ٥٤٠
كرمز حلمي ، ٣٩٨٥ - ٩
النأي السحري (موزار) ، ٣٠٤
النزعات الاستمرارية
في الأحلام ، ٧٥ ، ٢٥٦ - ٨ - ٢٥٩ -
٦٤ ، ٢٩٨ - ٢٩٩ ، ٢٤٤
عند الأطفال ، ٢١٨ ، ٢٦١ - ٢
عند العصبيين ، ٢٦١
النزعات التدميرية ، ١٨٤
النساء ، ٣١٣ ، ٥١٥

النسيان (أنظر أيضا : الذاكرة في الأحلام)

حين يتناول الأحلام ، ٥٩ ، ٧٩ - ٨٣ ،
١٧٩ ، ٢٩٣ ، ٤٨٦ - ٧ - ٥٠٦ -
٢٥
حين يتناول الانطباعات التافهة ، ٢٠٨ - ٢٩
من حيث أن اللاشعور لا يعمره ، ٥٦٥ - ٦
وحدة نتيجة لغرض لاشعوري ، ١٩١ - ٢
وقوعه في حياة اليقظة ، ٨٠
النشاط الانعكاس للجهاز النفسي ، ٥٢٩ - ٣٠ ،
٥٨٣ ، ٥ - ٥٥٤
النشاط الحركي والجهاز النفسي ، ٥٢٩ ، ٥٣٣
٥٣٥ - ٦ - ٥٤٥ ، ٥٥٤ - ٧ - ٥٦٦ ،

١١٢ ، ٢٣٦ - ٤٤ ، ٢٥٥ - ٦ ،
٥٧٥

المنبهات الحسية الذاتية ، ٦٨ - ٧١ ، ٩٣ ،
١١٢ ، ٢٤٠ ، ٥٣٨ ، ٥٧٦
المنبهات السنية كحواجز على الحلم (أنظر أيضا :
الأسنان كرمز حلمي ، الأسنان والحلم بفقدانها)
٧٥ ، ١١٨ ، ٢٤٤ - ٦ - ٣٨٩ ، ٣٩٦
المنبهات الشمية كحواجز حلمية ، ٦١ ، ٦٣
المنبهات العضوية كحواجز على الحلم ، ٧١ - ٩ ،
٩٣ ، ١١٢ ، ١١٧ - ٨ - ٢٣٩ ، ٢٤٠
٢٤٥ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ - ٦ - ٤٠٥ - ٤٠٤
٥٥٤ ، ٥٧٦

المنبهات السمية كحواجز على الحلم ، ٦١ - ٣ ،
٧٥ ، ٢٤٣ ، ٢٨٧ ، ٣٩٧
المنبهات النفسية كحواجز على الحلم ، ٧٦ - ٩ ،
٢٠١ - ٢ ، ٢٤٥ - ٧ - ٢٥٣
المنزل كرمز حلمي ، ١١٧ ، ٢٤٥ ، ٤ - ٣ ،
٣٦٢ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ،
٤٥٢ - ٣
النمط كرمز حلمي ، ٣٦٩ ، ٣٧٤
المنطق ، حضوره في الحلم أو انتفاؤه ، ٨٧ ،
٨٩ - ٩٢ ، ٩١ - ٢٧ - ٣٥٥
٨٩ - ٩٢ ، ٩١ - ٢٧ - ٣٥٥
المنطقة القطبية ، ١٥٧

الموت

الإشارة إلى حدوثه للعالم ، ٤٣٠ ، ٤٣٤٦ ،
٤٥١ - ٣ ، ٤٦٣ ، ٤٧٠ - ١ - ٤٧٥
التعبير عن الخوف منه في أحلام فوات القطار ،
٣٩٠
الحلم بحدوثه لمن نحب ، ٥٧ ، ١١٣ ، ١٧٦ -
٩ ، ٢٦٥ - ٧٦ ، ٢٨١ - ٢ - ٤٦١ ،
٥٤٩ - ٥٠ ، ٥٧٠ - ١
موقف الأطفال منه ، ٢٨٠ - ٢٧١
موقف الراشدين منه ، ٢٧٠ ، ٤٢١
الموقف والأحلام المتعلقة بهم ، ٣١ ، ٥

النظريات قبل العلمية في الأحلام ، ٤٣ - ٦
 النظرية « الإقترائية » في الأحلام (روبرت) ،
 ١١٠ - ٢ ، ١٩٨ ، ٩ - ٥٦٧

النظرية « الطبية » في الأحلام ، ١٠٩ - ١١ ،
 ١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ٢١ - ٢ ، ٥٧٦

النظريات الجنسية للأطفال ، ٣٦١ ، ٣٦٨ - ٩

النق

كيف يحمله الحلم ، ٣٢٨ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧
 كيف يعرب عنه الحلم ، ٢٦٣ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧

النقد

والتعبير عنه بالأحلام اللامعقولة ، ٤٣٤ ، ٤٤٢
 وتخلل المريض عنه في التحليل النفسي ، ٣١٠ -
 ٢ ، ٥١٦

النقل (أنظر أيضاً : الشدة النفسية ، الانقلاب
 الشامل في القيم النفسية)

جزء جوهري من عمل الحلم ، ٣١٩ - ٢٠ ،
 ٥٠٢ ، ٥١٠ ، ٥٣٤ ، ٥٥١ - ٤ ،
 ٥٨٠ - ٢

حين يتناول الحالات الوحدانية في الحلم ، ١٩٨ ،
 ٢٨٢ ، ٤١١ ، ٤٦١ - ٦

حين يتناول الحالات الوحدانية في حياة اليقظة ،
 ١٩٨

حين يتناول الشدة النفسية ١٩٧ - ٢٠٢ ،
 ٣١٧ - ٢٢١ ، ٣٤٧ ، ٤٥٨ - ٦٠

حين يتناول الروابط العميقة لتحلل محلها السطحية
 ١٩٧ - ٢٠٣ ، ٥٢٣

حين يجتمع مع التكتيت لتكوين الأشكال المزيجية
 ٣٠٧ ، ٣٢٢ ، ٤٧٩ - ٨٠

حين يحدث بتغيير التعبير الفنى عن أفكار
 الحلم ، ٣٤٧ - ٩

حين يقع في الأعصاب ، ٢٠٣ ، ٤٥٩ - ٦٠
 النقل من أسفل الجسم إلى أعلاه ، ٣٩٢ ، ٣٩٤

٥٨٣ - ٧ ، ٥٨٩

النشاط العقل في الحلم (أنظر : العلاقات المنطقية في

الحلم ٨٩ - ١٠٨ ، ٩٩ - ٣٢٣ ، ٤ -
 ٤٤٤ - ٥٨ ، ٥١٧ ، ٨ - ٥٤٤ ، ٥ -

٥٥٣ ، ٩٥٥

النشاط الفكرى واستمراره في النوم ، ٥٠٤ - ٦ ،

٥٦٢ - ٣ ، ٥٧٥ - ٦ ، ٥٧٨ - ٨١

٥٨٢

النشاط النقلى في الأحلام ، ٩٢ ، ٣٢٣ - ٤ ،

٤٨٥ - ٦ ، ٥٠١

النظام الادراكى ، ٥٢٩ - ٣٥ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩

٥٥٤ - ٧ ، ٥٦٢ - ٦ ، ٥٨٤ - ٥٨١

٥٨٩ ، ٥٩٧ - ٩

النظام الشمورى (أنظر أيضاً : الشعور) ، ٥٩٧

٩ -

النظام قبل الشمورى (قبش) ، ٢٨٥ ، ٣٤٦

٤٩٥ ، ٥٣٣ ، ٥٦٢ - ٥ - ٥٧٧ ،

٥٨٨ ، ٥٩٢٩ - ٨ - ٥٧٩

والمعالج النفسى من حيث يخضع له اللاشمور ،

٥٦٦ - ٩

والرقابة بينه وبين ش ، ٥٩٧ ، ٥٩٩

والرقابة بينه وبين لاش ، ٥٤٣ - ٤ ، ٥٩٩

وصلته بالرغبات المكبوتة ، ٥٤١ - ٢ ، ٥٤٣

٥٤٣ ، ٢ - ٥٤٨ ، ٥١ - ٥٥٦ ،

٥٥٦ ، ٥٦٠ - ١

وصلته بالرغبة في النوم ، ٥٥٩ - ٦١ ،

٥٦٣ ، ٥٦٧ - ٨

وصلته بالعمليات الأولية والثانوية ، ٥٨٤ ،

٥٨٠ - ٢ ، ٥٨٧ ، ٩ - ٥٩٢

النظامان النفسيان (أنظر أيضاً : جهات الاختصاص

والعمليات الأولية والثانوية) ، ١٦٨ - ٧٠ ،

١٩٩ ، ٢٥٤ ، ٢٧٦ ، ٣٢٠ ، ٤٧٧ ،

٥٨٣ - ٩٣

النظريات الشرجية (أو الاستية) في الولادة ، ٣٦١

النقد

تراخي الرقابة خلاله ، ٥١٩ ، ٤٣٣ ، ٥٥٦ ،
٧ - ٥٥٦

خصائصه ، ٤٦ ، ٥٣٥ ، ٥٤٥ ، ٥٦١ ،
٥٧٦ ، ٥٦٣

عمقه أو سطحته ، ٥٩ ، ٤٧ ، ٨ - ٥٠١ ،
مفعّل لأخذ فيه ، ٦١ ، ٦٩ ، ٨٥ ، ٨٨ ،

٨٩ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١٣١ ، ٥٤٥ ،
مقارنته بحياة اليقظة ، ٨١ ، ٨٤ - ٩٣ ،

٩٥ ، ١٠٨ - ١٩ ،
من حيث أن الأحلام تحرره ، ٢٥٢ ، ٥٥٣ ،

٥٦٥ ، ٥٦٧ - ٨ ،
النوم والمرء مشغول البال بأمر ما ، ١٠١ ، ٢٠٢ ،

المهرم الأكبر ، ٥٣٩ ،
المستيريا (أنظر أيضا : الأمراض المستيرية) ،

١٤٣ ، ١٦٩ ، ٢٦٧ ، ٥٢٢ ، ٥٨٢ ،
٣ - ٥٩٩ - ٦٠٠

عند الأطفال ، ٢٢٠ ،
عند الذكور ، ٤٣٧ ،

عند حاملت ، ٢٨٠ - ١ ،
وأساسها الجنسي ، ١٧٤ ، ٣٥٤ ،

والتأثير البعدي ، ٢٢٥ ،
والتشوهات القفطية ، ٣١٦ ،

والتخيلات المستيرية ، ١٨٤ ، ٨٢٠٦ ،
٢٣٧ ، ٢٦٣ ، ٣٣٧ ، ٤٨٨ ،

٥٥٧ - ٨ - ٥٩٥ ، ٥٩٩ - ٦٠٠ ،
والتعيين الذاتي ، ١٧٣ - ٥ ،

والتقليد ، ١٧٣ - ٥ ، ٢٢٢ ، ٢٩٩ ،
والشلل المستيري ، ١٢٠ ، ٥٥٢ ،

والقيء المستيري ، ٥٥٨ ، ٥٩٩ - ٦٠٠ ،
والمخاوف المستيرية ، ١٢٩ ، ٢٧٥ - ٦ ،

٥٦٩ ، ٥٩٥ ،
والتنقل بين أجزاء الجسم ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ،

والتنويات المستيرية ، ١٣٣ - ٢٥ ، ٢٢٢ ،
٢٨٧ ، ٣٣٧ ، ٢٩٦ ، ٤٩٠ ، ٨ ،

٥٣٦ - ٧ - ٥٦٦ ،
والملاوس المستيرية ، ٥٣٦ - ٧ ،

البخل بها ومعادلته بالقذارة ، ٢٢٠ ،
معادلتها بالبراز ، ٤٠٦ ،

التنكات

صلتها باللاشعور ، ٥٢١ ، ٥٢٣ ،
« عمل التنكة » ، ٣٦٢ ،

في الأحلام ، ٩٧ ، ١٩٧ ، ٢٢٩ ، ٣٠٣ ،
٣٤٩ ، ٣٥٤ ، ٣٥٨ ، ٤٠٩ - ١١ ،

٥١٢ ، ٢٨٢ ،
في حياة اليقظة ، ١٢٨ ، ١٩٧ ، ٨٣١٠ ،

٣٥٣ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ ، ٤٣٢ - ٣ ،
٥١٢ ، ٤٧٨ ،

من حيث هي تفرغ لطاقه فائضة ، ٥٨٩ ،

التكوص

الشكلي أو الصوري ، ٥٣٩ ،
الزمني ، ٥٣٩ ،

الطوبوغرافي ، ٥٣٩ ،

المهلوس ، ٥٣٦ ، ٥٣٩ ، ٥٥٦ - ٧ في الأحلام ،
٥٣٤ - ٨ - ٥٥٥ ، ٧ - ٥٦١ ، ٦ -

٥٧٦ ، ٥٨٣ ، ٥٩٠ ،
في الحالات المرضية ، ٥٣٦ - ٢٧ ، ٥٣٩ -

٤٠ - ٥٥٦ - ٧ ،
في الحياة المستيقظة السوية ، ٥٣٤ ، ٥٣٩ ،

في صور التعبير ، ٥٣٩ ،

النوم

الشلل الحركي في خلاله ، ٣٤٥ ، ٤٦٦ ،
٥٤٥ ، ٥٥٦ ،

الرغبة فيه ، ٧٢ ، ٥٥٩ - ٦١ - ٥٦٢ ،
٥٦٥ ، ٥٦٧ - ٨ - ٥٧٥ - ٦ ،

الصلة بينه وبين المنبهات الحسية ، ٤٤ ، ٦٠ -
٧٩ ، ٨٦ - ٨ - ٩٣ ، ١١٩ ، ٢٣٩ -

٢٣٩ - ٥٤ - ٤٠٤ ،
تأثيره الطيب ، ١١٥ ،

والهيلة المستيرية ، ١٣٤
ونظرة فرويد فيها ، ٢٣٤ ، ٢٣٧ ، ٤٥٠ -
١ ، ٤٦٧ - ٨
ونقل الحالة الوجدانية ، ٥٩٩
المستيريون

أحلامهم ، ١٧١ ، ٢٢٣
تحليلهم النفسى ، ٢٢٣ ، ٢٣٨ ، ٥١٥ -
٦ ، ٥٢١ ، ٥٧٨ ، ٩ - ٥٨٣ ، ٨٤
الهلاوس ، ٤٧ ، ٣٣ - ٤ ، ٢١٠ - ١ ،
٤١٩ ، ٥٢٧ ، ٥٥٥
البصرية (أنظر أيضاً الهلاوس قبل النوم) ،
١٢٢ ، ٥٣٦ - ٧
السمعية ، ١٢٠ - ٢٣ ، ٤١٩ هـ
طابعها التكويس ، ٥٣٦ ، ٥٤٥ ، ٥٣٩ ،
٥٥٦ - ٧
في « الرب الليل » ، ٥٧٢ - ٣
قبل النوم ، ١٦٨ - ٧١ ، ٨٤ ، ٢٤٠
الهلوس كرمز حلمى ، ٢٠٦
الهوس ، ١٢٠ ، ٣٦٢ هـ
الهيلة العصائية

الأحلام المتصلة بها ، ٣٨٠ - ٣ ، ٣٩٣ هـ
٣٩٤ ، ٤٠٢
النظريات الطفلية بشأنها ، ٣٩١ ، ٤٠٣
من حيث هى أول خبرة بالهيلة ، ٤٠٣ هـ
اللاشعور

الصلة بينه وبين رغبات الزنا بالمحارم ، ٢٧٩
تخييلات ، ٤٨٩ ، ٣٠٤ هـ ، ٩٠ - ٥٦٢
تصويره الرمزي فى الحلم ، ٤١١
رغباته (أنظر أيضاً : الرغبات المكبوتة)
٢٥٤ ، ٢٧٧ - ٩ ، ٣٩٩ ، ٥٤٢ -
٣٩٩ ، ٥٤٢ ، ٦٩ - ٥٨٠ ، ٥٨٣ هـ
٥٨٧ - ٩٠ ، ٦٠١ - ٢
رمزيته ، ٣٤٤

غرضه ، ١٩٢ ، ٢٦٣ ، ٥٢١ هـ
من حيث هو مصدر للهيلة ، ٤٦٣
من حيث هو نظام (لاش) ، ٥٣٢ - ٣
٥٣٩ هـ ، ٥٤٢ - ٦٩ ، ٥٧٨ ، ٥٨٠
٢ - ٥٨٣ ، ٤٤ ، ٥٨٧ - ٩٠ ، ٥٩٢
نوعان منه ، ٥٩٦ - ٧
اليمين واليسار كرمز ين حلميين ، ٣٦٤ ، ٣٨٦
٧ -

حين تنجم من الجماع المعلق ١٨٠
عند الامتحان ، ٢٨٨ - ٩
فى الأحلام الطفلية المرتبطة بها ، ٣٩٩
فى أصلها الجنسى ، ١٨٥ ، ٢٥٤ - ٢٥٠ ،
٣٠٤ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ - ٧٣
فى الولادة كأول خبرة بها ، ٤٠٣ هـ
فى تولدها عند تحرر اللاشعور ، ٥٦٩ - ٧٠
فى مخافة الأماكن العامة ، ٣٦٦ - ٧ ، ٥٦٩
لهيلة عند الأطفال (أنظر أيضاً : الرب الليل)
حين تنجم عن الجماع الجنسى بين الراشدين
٥٧٢
حين تنجم عن قمع الاستمناء ، ٥٧٣

الواقع

الإحساس به فى الحلم ، ٦٠ هـ ، ٢٠٩ ، ٣٧٨

- اليوت ، جورج ، ٣٠٣ ،
اليهود (أنظر أيضاً : أعداء السامية) ، ٤٥٥ ،
٢١٣ - ٤٤١ ، ٢ -
» إما كذا أو كذا « في الأحلام ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ - ٨
أمواج البحر والحب ، جريلا رتسر ، ٢٣٥
إميل ، ١٥٤ ، ١٥٥
أنانية الأطفال ، ٢٦٧ ، ٣٨٢
أندرسون ، هانس ، ٢٦٠
انطباعات النهار التافهة من حيث هي حوافز على
الحلم ، ٥٧ - ٩ ، ١١١ ، ١١٣ ، ٢٠١ ،
٢٢١ ، ٢٤٧ ، ٢٩٥ - ٦
انطباعات النهار الهامة كمصدر من مصادر الحلم ،
٤٨ ، ٥٧ - ٨ ، ١١١ ، ١١٥ - ١٩٥ ،
١٩٧ ، ٢٠١ - ٣ ، ٢٤٧ ، ٢٩٥ - ٦
انفجار القنبلة وجلم فابليون التاجم عنه ، ٦٤ ،
٢٥٢ ، ٤٩٤
أوتو ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٤٣ - ١٤٠ ، ٧ ، ١٥٠ ،
١٦٥ : ٢٨٤ - ٦ ، ٤٠٧ ، ٥٢٦ ، ٥٤٥
- ٦ ، ٥٥٠
أودين ، ٢٣٧ ،
أورافوس ، ٢٧٢ ،
أوزيريس ، ٤٠٣ ،
أوفنباخ ، ٤٨٦ ،
أورفيئو ، ٥٣ ،
أوفيليا ، ٢٨١ ،
أولاند ، ٣٠٠ ، ٣٦١ ،
أولوتس ، ٣٠٩ ،
أوليس ، ٢٦٣ ،
أونجر ، ٢١٣ ،
إيتسج ، فارس يوم الأحد ، ٢٥٠
إيرما ، ١٤٣ - ٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦١ ، ١٦٥ ،
١٨٥ ، ١٩٥ ، ٢٠١ ، ٣٠٥ - ٦ ،
٣٠٨ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣٤ ،
٣٥٠ ، ٥٠٧ ، ٥٢٦ ، ٥٨١
إيروس ، ١٨٤ ،
إيزونسو ، نهر ، ٥٣٨
- إيشل ، ٢٢٨ ،
إيطاليا ، رغبة فرويد في زيارتها ، ٢١٣ - ٦ ،
٢٥٠ ، ٢٩٦ ، ٣٢٧ ، ٤٣١ ، ٤٦٧ -
٨ ، ٥٣٨
إيطاليا ، ملك إيطاليا ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ،
إيفيجيا ، ٢٢٧ ،
إيفيجيا في توريدا (جوته) ، ٢٢٧ ،
إيمرسون ، ٢٣١ ،
بادوا ، ٥٤ ،
بارك ، مونجو ، ١٥٨ ،
باريس ، ٩٤ ، ٢١٥ ، ٤٦٧ ، ٤٨٢ - ٢ ،
٥٢٧
باريس (في « هيلينا الجميلة » لأوفنباخ) ، ٤٨٦ ،
بازدوف ، يوهان برنارد ، ٢٨٤ - ٥ ،
باك ، جورج ، ١٥٨ ،
باكوس ، ٣٠٣ ،
بالاس الأثينية ، ٢٠٨ ،
بنشاجرويل ، ٢٣٥ ،
بافيت ، يوسف ، ٣٧٩ ، ٤٨١ ، ٥٠٨ ، ٤ -
براتر ، منتزه ، ٢١٣ ، ٣٦٩ ،
برازيج ، المفتش « (شخصية روثية) » ، ١٤٠ ،
براج ، ٢١٥ ،
براندس ، جورج ، ٢٨١ ،
برسبورج ، ٤٢٨ ،
برسلاو ، ٣١٢ - ٤ ، ٤٤٢ ،
برلين ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١٥ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ،
٤٣٩ ، ٤٤٢ ، ٤٧٨ ،
برنار ، كلود ، ٥١٦ ،
برنهام ، ١٧١ ،
بروبيليا ، ٣٠٧ - ٨ ،
بروتوس ، ٤٤٠٢ ، ٤٢٤ ، ٤٨٠ ،
بروجنولوس ، ٥٣ ،
بروكه ، إرنست ، ٢٢٧ ، ٤١٤ ، ٤٢١ - ٣ ،
٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٧٥ ، ٤٧٨ - ٩ ،
٤٨١
بروير ، يوسف (أنظر أيضاً : قائمة المراجع)

تحقيق الرغبة

- أحلام الهيلة وصلتها به ، ١٦٠ - ١٦١ ، ٢٥٤ ،
 - ٥٤١ ، ٥ - ٢٨٢ ، ٤٨٤ - ٥٤١ ،
 ٥٦٨
 استخفاؤه من الأحلام الأتمية ، ١٥٩ - ٦١ ،
 ١٦٥ - ١٦٨ ، ١٨٥ - ٤٦٨ ، ٩ -
 ٥٤١ - ٧ - ٥٦٨ ، ٩ -
 اشتراكه بين الأحلام والذهان الأعصبة ، ١٢٢ -
 ٣ - ٥٥٧ ، ٩ -
 الصلة بين أحلام العقاب وبين تحقيق الرغبة ،
 ٤٧١ ، ٤٧٣ - ٤ - ٥٤٧ ، ٨ -
 الصلة بين أحلام الموت وبين تحقيق الرغبة ،
 ٦٦ ، ٢٦٩ - ٢٧٥ ، ٢٧٧ - ٨٢ -
 الصلة بين الرغبات الطفلية وبين تحقيق الرغبة ،
 ٢١١ - ٨ - ٢٣٧ ، ٩ - ٢٦٠ ،
 ٢٦٢ ، ٢٦٦ - ٧ - ٥٤٣ ، ٤ -
 ٥٥٧ ، ٥٨٨ - ٩ -
 الصلة بين المنبهات الجسمية وبين تحقيق الرغبة
 ٢٤٧ ، ٢٤٩ - ٥١ - ٢٥٣ ، ٤ -
 الصلة بين طرق التصوير وبين تحقيق الرغبة ،
 ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ - ٤٠ -
 الصلة بين قلب الحالات الوجدانية وبين تحقيق
 الرغبة ، ٤٦٩
 ظهوره سافراً في أحلام الأطفال ، ١٥٣ - ٥٧
 ١٥٨ ، ١٦٠ ، ٥٤١ - ٤ -
 في الأحلام ١٢٢٠ ، ١٤٦ ، ١٤٨ - ٥٨ ،
 ٢٤٦ ، ٧ - ٢٥٢ ، ٤ - ٤٧٤ ، ٥ -
 ٥٤٠ - ٦١ - ٥٧٥ ، ٦ - ٦٠٢ ،
 في التخيلات ، ٤٨٨ - ٩ -
 والرغبة في إثبات خطأ نظريات فرويد أو التحليل
 ١٧٥ ، ١٨١ -
 والرغبة في إثبات صحة نظريات فرويد ، ٣٩٦
 والرغبة في أن يكون المرء على خطأ ، ٣١٤ - ٥
 تداعي الأفكار ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٠٩ - ١٠ -
 ١٢٢ ، ٢٩٧ ، ٥١٠ - ١ - ٥٣١ ، ٥٧٧ -

١٢٩ ، ٤٧٩ ، ٤٨٤

بريل ، دكتور أ. أ. (انظر أيضاً : قائمة المراجع أ)

١٢٨ هـ

بريفو ، مارسيل ، ١٥٢ ، ٢٩٠

بسمارك ، ٣٨٤ - ٤

بشترف ، ٣١١

بطليموس الأول ، ١٥٨ هـ

بقايا اليوم السابق (انظر : البقايا في النهارية)

بلازل ، ٤١٣

بلتييه ، ٩٤ ، ٥٤٣ هـ

بلثي (بالقرب فيشا) ، ١٣٦ ، ١٤٨ هـ

بلل الفراش ، ٢٣٦

« بم يحلم الحيوان ؟ » ، ١٥٨

بندكت ، م : ، ٤٨٨

بوفيفتس (تاجر في سالاتو) ، ٢٢٧

بورجيا ، لوكريس ، ٢٣٧ هـ

بورجيه ، بول ، ١٥٢

بوركدورف ، ٤٣٢

بورنيك ، ٥٣

بوكلين ، ١٨٨ هـ

بول ، جان ، ٢١٦ هـ

بولتافا (موقعه) ٩١

بومارشيه ، ٢٢٩

بونجور ، كازيمير ، ٩٤ .

بيت الدمية (إيسن) ، ٣٠٩

بيتهوفن ، ٣٩٠ هـ

بيستراتوس ، ٤٠٢ هـ

بيلاد ، ٢٢٧ هـ

بيلباو ، ١٩٨

تاريتي ، ٥٩٥

تانهويزر ، ٣٠٤

تأويل المنبهات الحسية ، ٦٢ - ٨ - ٧١ - ٦

١٨٤ - ٥ - ٢٤٠ ، ٣ - ٢٥٢ ، ٦ -

٤٩٥ - ٦

تايلور ، ٤٣

- روما القديمة وروما الأحدث عهداً ، ٥٨٩
 غبابة سيجفرد ، ٥٠٩
 كراسوس وملكة البارثينيين ، ٥٥٨
 ميناء الساعة ، ٢٤٢
 واجهة الكنيسة الايطالية ، ٢٣١
 تشوسر ، ١٦٠ هـ
 تصوير الحظ
 لصيفة التمنى ، ٥٢٦ - ٧
 لصيفة الشرط ، ٣٤٤ ، ٤٢٩ ، ٥٣٧
 للاحتالات ، ٣٢٣ ، ٣٣٧ - ٨
 للأضداد ، ٣٢٨ - ٩ ، ٣٣٦
 للتشابه ، ٣٣٠
 للتكرار ، ٣٧٨ - ٩
 للتناقض ، ٣٢٨ ، ٣٣٦ - ٧ ، ٤٣٤ ،
 ٤٦٦ ، ٤٨٤ ، ٥٨٢
 للثنائية العاطفية ، ٤٣٠
 للسن والعمر ، ٤١١ - ١٢ ، ٤٣٧ - ٨ ،
 ٥٠٧ - ٨
 للعلاقات العلية ، ٣٢٥ - ٦
 للعلاقات المنطقية ، ٣٢٢ - ٣٠ ، ٤٤٨ - ٩
 ٥٠٢ - ٣ ، ٥٣٥
 للفكر المجرد ، ٣٤٩ - ٥٠ ، ٤١٧ ، ٥١٧ ،
 ٨ -
 للنقى ، ٣٢٨ - ٩ ، ٣٣٦ ، ٣٤٥
 للوحدة ، ٢٦٤
 تصوير الحلم ووسائله ، ٣٢٦ - ٤٧
 بالاعداد وعمليات الحساب ، ٤١٥ - ٩ ،
 ٤٣٧ - ٨ ، ٥٠٧ - ٨
 بالأقوال ، ٤١٩ - ٢٥
 بالرموز ، ٣٥٤ - ٤٠٦
 بالقلب أو العكس ، ٢٦٣ ، ٢٩٩ - ٣٠١
 ٣٢٨ - ٩ ، ٣٣٦ ، ٧ ، ٣٤٩ ،
 ٣٨٧ ، ٤١٠ ، ٤٧٩
 باللامعقولة ، ٤٢٥ - ٤٤
 بالنشاط العقلي ، ٣٢٣ ، ٤٤٤ ، ٢٥٨
- ٥٧٩ - ٨٠ ، ٥٨١ - ٢ ، ٥٨٤
 تراسيمن (بحيرة) ، ٢١٦
 تركيب الأحلام ، ٣٢١ - ٢ ، ٥٨٢
 ترنك (البارون) ، ١٣٤
 تريبور (مدينة) ، ٥٥
 تسنايم (مدينة) ، ٢٣٠
 تشبهات صربها فرويد
 أشباح الأوديسا في العالم السفلي ، ٢٦٦ ، ٥٤٣
 الأصابع العشرة على البيانو ، ١١١ ، ١٤٩ ،
 ٢٤٢
 الأقواس والسهام في دور الحفافة ، ٥٥٦
 « الألف » و « الباء » متقاربتان ومتباعدتان ،
 ٢٦٤ ، ٣٢٥
 الحارس ، ٥٥٦
 الرغبات الثلاث ، ٥٤٧ ، ٥٦٨ هـ
 السرة ، ١٣٩ هـ ، ٥١٨
 السلام يعظم فوق ساحة القتال ، ٤٦٥
 الطبيب الأمريكي ، ٥٥٢
 الطرق الرئيسة في البلد قد هدمها الفيضان ، ٥٢٣
 الطيطان ، ٥٤٣ - ٤
 الفنان والحجر الكريم ، ٢٦٥
 القدر المستعار ، ١٤٧ ، ١٤٩
 الكتابة الهيروغليفيكية ، ٣٣١ ، ٣٤٩
 الكلام يعبر عنه رسماً ، ٣٢٣ - ٥
 الكمأة وبياضها ، ٥١٨
 اللغز المصور ، ٢٩١ - ٢
 المخطوط مسح ثم خطت عليه كتابة جديدة ،
 ١٦٠ هـ
 المقاول وصاحب رأس المال ، ٥٥٠ - ١
 الموظف غير المحبوب ، ١٦٨ - ٩
 النحت الروماني ، ٥٨١
 النقوش « اللاتينية » ، في مجلة الصحائف الطائرة ،
 ٤٩٦
 الهرم الأكبر وتسلفه ، ٥٣٩ هـ
 تشخيص المرض بحماسة الشم ، ٣٥٨
 ثورات عصر النهضة ، ٥١٠

جنگنز (الدكتور في «التأنيب» لدوديه) ،
 ٣٠٤ هـ
 جنون العظمة ، ٢٣٥ - ٦ ، ٢٣٨ ، ٤٦٨ ،
 ٥٤٦
 عند الآباء ، ٤٤٧
 جوته ، ١١٠ ، ٢٢٧ ، ٢٨٠
 الأحلام المتصلة به ، ٣٣٦ ، ٤٤٠ - ٢١ ،
 ٤٤٧ - ٨ ، ٤٧٢ ، ٢٩٦ - ٧ ، ٣٠٠
 ٤٢٨ ، ٤٨٠
 الاستشهاد به ، ١٦٦ ، ١٧١ ، ٢٩٦ - ٧ ،
 ٣٠٠ ، ٤٢٨ ، ٤٨٠
 جائزته ، ١٦٦ هـ
 جورتسيا (مدينة) ، ٤٦٤
 جونز ، إرنست ، ١٣٩ هـ ، ٢٨٥ هـ (انظر أيضا
 قائمة المراجع أ)
 جهات الاختصاص في الجهاز النفسي (انظر أيضاً :
 الأنظمة النفسية ، العمليات الأولية والعمليات
 الثانوية)
 جهتا الاختصاص (انظر أيضاً : النظاميين
 النفسيين)
 جيسكرا ، ٢١٣
 جيوتو ، ٥٤
 حرب الثلاثين ، ٤٢٨ هـ
 حروب الوردتين ، ٣٢
 حروب قرطاجنة ، ٢١٦ - ٧
 حصار طروادة ، ٢٢٧ هـ
 حق السيادة ، ٢٢٩
 « حلم ليلة في منتصف الصيف » ، ٤٦٠
 « حلة الامبراطور الجديدة » (قصة هانس أندرسن) ،
 ٢٦٠ - ١
 حياة اليقظة .

الحالات الوجدانية في خلالها ، ١٩٩ ، ٤٥٨ ،
 ٤٦٩ ، ٤٧٦ - ٧٨٧
 الصلة بين الأحلام وبينها ، ٤٣ ، ٤٧ - ٥٠
 ٧٦ - ٧ ، ١٥٩ ، ١٩٥ - ٦ ، ٥٦١

بتغيير المعنوية أو الهوية ، ٣٣٢ - ٣
 وسائل غريبة أو غير مألوفة ، ٤٠٧ - ١٥
 تفاهة محتوى الحلم (انظر أيضاً : المادة التي لا وزن
 لها في محتوى الحلم) ، ١١١ ، ١١٣ ،
 ١٨٦ ، ١٩٥ ، ١٩٨ ، ٢٠١ - ٣ ،
 ٢٢١ ، ٥٠٧ - ٨ ، ٥٥٣ - ٨٨
 تفسير الأحلام (انظر الأحلام وتفسيرها)
 تفسير الأحلام عند الصينيين ، ٤٥ هـ
 تفسير الأحلام عند العرب ، ٤٥ هـ ، ١٢٨ هـ
 تفسير الأحلام عند الهنود ، ٥٤ هـ
 تفسير الأحلام عند اليابانيين ، ٤٥ هـ
 تورا فيليبسون (انظر أيضاً التوراة لاسرائيلية) ،
 ٥٧٠
 تيت ليف ، ٤٠١ هـ
 تيمون الأثيني ، ٣٨١
 تيير ، ٢١٧
 « ثروة الشعوب » لآدم سميث ، ٤٥٤
 ثورة عام سنة ١٨٤٨ ، ٢٣١
 جارتنر (الأستاذ جارتنر وزوجته) ، ١٩٣ ، ١٩٧ ،
 ٢٩٦
 جارجنتوا ، ٢٣٥ هـ ، ٤٦٧
 جازينييه (رسومه لكتاب رابليه) ، ٤٦٧
 جاريبالدي ، ٤٢٧ ، ٤٤٦
 جاشتين ، ٣٨٥
 جاك ، كالفو ، ٤٢٨ هـ
 جاكسون ، ٥٥٧ هـ
 جانيميد ، ٢٣٧ هـ
 جبال الألب ، ٢١٧ ، ٣٨٤ - ٥
 جراتس ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٤٠٨
 جرادو ، ٤٦٤
 « جراديفا » لفيلهم ينزن ، ١٢٧ هـ
 « جرمينال » ، لزولا ، ٢٣٣
 جريجوري ، ٦٢
 جريلباتسر ، فرانتس ، ٣٤ ، ٢٧٨
 جزيرة الشيطان ، ١٨٨
 جلانجنبرج ، ٢١٤

رغبة الموت

- الاعراب عنها في الحلم بموت الأحياء ، ٢٦٦ -
 ٤٢٩ ، ٣٣٨ ، ٨٢
 تجاه الإخوة والأخوات ، ٢٦٧ - ٧٢
 تجاه المنافس في مجال الحياة الجنسية ، ٤٠٢ هـ
 تجاه الولدين ، ٢٧٢ - ٨٢ ، ٣٣٨
 كبتها ، ١٦٩ هـ ، ١٧٨ - ٩
 رفض القبول في الشعور (أنظر أيضاً : الرقابة ،
 الكبت ، القبول في الشعور)
 رمزية القبعة ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ - ٧
 روبسبير ، ٦٥
 روبتشك ، ألفريد (أنظر أيضاً : قائمة المراجع أ)
 ١٢٨ هـ
 روزجز ، بيتر ، ٤٧١
 روما ، ٢١٣ - ٧ ، ٣٣٤ ، ٤٠١ هـ ، ٤٤١ :
 ٤٨٩ ، ٤٤٤
 ريختر ، هانس ، ٣٥٠
 زاراوس
 زبلن ، كرمز حلمي ، ٥٩ ، ٣٦٤
 زوس ، ٢٧٣ ، ٦٠٠
 زولا ، ٢٣٣ ، ٢٣٧ هـ ، ٣١٢
 زيوريخ ، ٣٥٨ هـ
 سافو (لدودييه) ، ٢٩٩ - ٣٠٢ ، ٣٣٦
 سافونورولا ، ١٨٩ هـ
 سالزبورج ، ٥٤
 سان سيستان ، ١٨٩
 سانت هيلانه ، ٤٩ - ٥٠
 ساندوز (في « العمل الفني » لزولا) ، ٣١٣
 سبالاتو ، ٢٢٧
 سينسر ، هربرت ، ٤٣
 ستانيوس ، ٤١٤ ، ٤٥١ هـ
 سينسر ، هربرت ، ٤٣
 ستانيوس ، ٤١٤ ، ٤٥١ هـ
 ستراتفوردي ، ٢٨١ هـ

٥٧٥ ، ٥٩١

المقارنة بين خصائصها وخصائص الحياة الحاملة

- ٨١ ، ٨٣ - ٩٩ ، ١٠٣ - ١١ ،
 ٥٢٨ ، ٥١٩ ، ٥٠٥
 النشاط النكوصي في أثنائها ، ٥٣٣ - ٤
 ونسيان الأحلام ، ٨٠ - ٣ ، ٥١٤ - ٥٠
 ٥١٨ - ٩
 خبرة الاشباع ، ٥٤٤ - ٥ ، ٤٨٣ - ٥
 « خطرات وذكريات » (بسمارك) ، ٣٨٤
 خيانة الطحانة (جوته) ، ٣٢٩ هـ
 داتنر ، الدكتور ، ب . ، ٣٧١ ، ٤١٨
 دافيد ، ي . ي . ، ٣١٢
 داخشتاين ، ١٥٤
 دان فيليكس
 دانتون ، ٤٩٣
 دانتى ، ٤٧٢
 « درجة فدرجة » ، ٢٩٩
 دريفوس ، ١٨٨
 « دورا » ، ٣٦١ ، ٣٩٨
 دور نبالخ ، ١٥٥ ، ٤٣١
 دوفر ، ٥١٢ هـ
 دوقه أبرانتس ، ٦٣
 دوقية برنبورج ، ٩١
 دون جيوفاني (موزار) ، ٣٩٣
 دوينو ، ٤٦٢
 ديبوي ، ٤٩٦
 دى مورا (الدوق) ، ٣٠٤ هـ
 ديوميد ، ١٥٦
 رابليه ، ٣٥ ، ٢٣٥ ، ٤٦٧ - ٨
 رافنا ، ٢١٤
 رانك . أوتو (انظر أيضاً : قائمة المراجع أ) ،
 ١٣٠ ، ٣٧٥ ، ٤٧٥
 راينج ، ج . ، ٢٥٢
 رايجنهال ، ٥٤
 ربطه العنق كرمز حلمي ، ٣٦٢
 رحلات جلفر ، ٦٧ ، ٤٦٧

فانديه (مقاطعة) ، ٦٣
 فاوست (جوته) ، ١١٠ ، ١٦٦ ، ٢٩٧ ،
 ٣٠٠
 فترة الزمن المنقضية بين الانطباع النهاري الحافز على
 الحلم والحال ١٨٧ - ٩١
 فرانسوا ، جوزيف ، امبراطور النمسا ، ٢٢٨ -
 ٢٣١ ، ٢٣٩ ، ٣٠٩
 فرانس ، أفاتول ، ١١٤ ، ١٧٤
 فرانكلين ، جون ، ١٥٨
 فرايشوتس (أوبرافانجر) ، ٤١٩
 فرج المرأة وتصويره الرمزي في الحلم ، ١١٨ ، ٣٧١
 ٤٠٠
 فردناند وايزابلا ، ملكا اسبانيا ، ٢٣٤
 فرعون وحلمه ، ١٢٧ ، ٣٤٣
 فرنسي ، دكتور ساندور ، ٣٧٢ (انظر أيضاً :
 قائمة المراجع أ)
 فرويد (انظر أيضاً قائمة المراجع أ)
 ابن أخته (هيرمان) ، ١٥٧ ، ٢٦٩
 ابن أخيه (جون) ، ٢٥٠ ، ٤٢٥ ، ٤٨٠
 ٣ -
 أخته الكبرى ، ١٩٤
 زوج أخيه ، ٢٣١
 امرأته
 الإشارة إليها في الأحلام ، ١٥٥ ،
 ١٨٨ ، ٢٢٧ ، ٢٥١ ، ٢٨٤ ، ٣١٢
 ٣١٤ ، ٤٦٣
 الإشارات إليها في حلم «المبحث البنائي» ،
 ١٩١ ، ١٩٣ ، ٥ - ١٩٧ ، ٢٩٦
 الإشارات إليها في حلم «حقنة إربا» ، ١٣٦
 ١٣٨ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ٣٠٦
 الخطوبة والزواج منها ، ٤٣٦ - ٧
 تصويرها في أحلامه ، ١٥٠ ، ٥٤٨ - ٩
 أمه ، ٥٦ ، ٢١٢ ، ٢٢٤ - ٢٦٥ ،
 ١ - ٥٧٠

٢٩٢ ، ٤٤٤ ، ٥٠١ - ٣
 طابعه اللامعقول ، ٥٧٨ - ٣
 طابعه النكوصي ، ٥٣٩ - ٤٠
 فكاهة بواسطة تفسير الحلم ، ٥١٦ - ٨
 نشاطه خلال النهار وتحت سيطرة ما قبل الشعور ،
 ٥٦٣ - ٥ و اعتبارات قابلية التصوير ، ٣٤٧ -
 ٥٧ ، ٤٤٤ ، ٥٠٢
 والأحلام اللامعقولة ، ٤٢٥ - ٤٤
 والأحلام الحديثة بالتجريب ، ٢٠٣
 والتصوير الرمزي ، ٣٥٧ - ٦٦
 والحالة الوجدانية ، ٤٥٩ ، ٤٦٣ ، ٤٦٥ -
 ٦٦٩ ، ٤٧٧ ، ٧٠ - ٤٨٤ ، ٨
 ٥٠٢ ، ٥٠٢ ، ٥ - ٨
 والرقابة ، ٣٣٠ - ٣ ، ٥٠٢
 والعمليات الحسابية في الحلم ، ٤١٥ - ٨
 والمراجعة الثانوية ، ٤٨٨ - ٩٨ ، ٥٠٣
 والمنبهات الحسية ، ٢٤٣ ، ٤ ، ٢٥٤
 والنشاط العقلي في الحلم ، ٤٤٤ - ٥٨
 وسائله في التصوير ، ٣٢١ - ٤٧ ، ٤٠٧ -
 ١٥
 وصلته بما قبل الشعور ، ٥٦٣ - ٥
 غادة الكاميليا ، ٣٢٩ ، ٧٨٣٥٥
 غرابة الأحلام ، ٤٣ ، ٥٩ ، ٨٢ ، ٨٩
 غليون الطباقي كرمز حلمي ، ١١٨
 غموض الأحلام (انظر أيضاً : لا تتناسق الأحلام
 الشدة الحسية)
 الصلة بينه وبين المراجعة الثانوية ، ٤٩٦
 علاقته بالكبت ، ٥١٢
 مغزاه ، ٤٣ ، ٣٢٨ - ٤٤ ، ٣٧٠ - ١
 ٤٤٤ - ٥ ، ٥٠٦ - ٧ ، ٥١٢
 ٤٤٤ - ٥ ، ٥٠٦ - ٧ ، ٥١٢
 فاجنر ، ٣٠٤ ، ٣٥٠ ، ٤٣٤
 فاشاو ، ٢٣١ - ٢
 فارينا ، يوهان ماري ، ٦٣
 فالدهامات (روزجر) ، ٤٧١
 فالستاف ، ٢٢٥

والكوكابين (انظر : الكوكابين
والنبوءات المتصلة بمستقبله ، ٢١٣

هوايات

الآثار ، ١٥٠ - ١ - ١٨٩ ، ٤٦٣
الكتب ، ١٩٤ ، ٢٩٧ ، ٣١٧ ، ٤٦٥
فلایشل ، فون ماركسوف ، إرنست ، ١٣٩ ،
١٤٣ ، ٢٢٦ - ٢٧ ، ٤٢٢ - ٣ - ٤٢٣
- ٤ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٤٨٤
فلسفة الطبيعة ، ٤٦ ، ٧٩
« فلورا » ، ١٩٧ ، ٢٩٦
فلورانس ، ١٨٩ ،
فلهم مايستر (جوته) ، ٢٨٠ ،
فليس ، فلهلم (انظر أيضاً : قائمة المراجع أ) ، ١٢٥ ،
١٤٤ - ٥ - ١٦٩ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٣٠٧
٣٠٧ ، ٣٣٤ ، ٣٢١ ، ٣١٠ ، ٣٠٧
٤٣٩ ، ٣٤٠
ابنته (بولين) ، ٤٨٤
أخته ، ٤٨٤
فليكس ، دان ، ٢٣٧ ،
فندلير (أولاند) ، ٣٠٠
فوات القطار في الأحلام ، ٣٩٠ - ١
فوكيه - ت ففيل ؛ ٦٥
فولدا ، لودفيج ، ٢٦١
فون هالر موند ، بلاتن ، ٤١٩
« في الحقاء » وكيف يصور في الحلم بواسطة « كثرة
من الغرباء » ، ٢٦٣ ، ٣٠١
في الليل على هس البوزنتو ، ٤١٩ ،
تير ، ٤١٩ ،
فيجارو (زواج فيجارو) ، ٢٢٩ ، ٤٣٣
فيدليو (بتهوفن) ، ٣٩١ - ٢
فيدليوتس (صحيفة هزلية هنفارية) ، ٣٧٢
فيرجيل ، ٥٩١
فيرونا ، ٥٢ ، ٢٥٠
فيشوف ، ٢٣١
فيليب (ابن البواب) ، ٥٧٠

أولاده

أحلام أولاده ، ١٥٣ - ٦
والأحلام المتصلة بهم (انظر أيضاً :
ماتيلدا) ، ١٣٩ - ٤١ ، ١٤٧ - ٨ ،
٣٠٥ ، ٣١٢ ، ٣١٤ ، ٤٤٠ - ١ ،
٤٤٤ ، ٤٤٦ - ٧ ، ٤٦٧ - ٨ ، ٥
٤٨٤ ، ٥٣٨ ، ٤٤٨ - ٥٠
ومربيهم ، ٤٤٢
بنت أخته (بولين) ، ٤٨٤
تحليله الذاتي ، ١٣٠ - ١ - ١٣٤ ، ٤٥٢ ،
٤٧٥
تحليله لأحلامه (انظر : تحليل فرويد الذاتي)
تعيينه أستاذاً مساعداً ، ١٦١ ، ١٦٤ ، ٢١٢
٢٨٦
جده ، ٥٧٠
حفيدة ، ٥٤٩ ، ٥٤٩ - ٥٠
حنينة إلى زيارة روما (انظر أيضاً : روما) ،
١٣
رحلاته إلى إيطاليا (انظر : إيطاليا)
عمه يوسف ، ١٦٢ - ٥ - ١٨٧ ، ٢١٢ ،
٣٠٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٢ ، ٤٧٢ ، ٤٨٢
٥٥٩
مدرسه بالمدرسة الثانوية ، ١٤٥ ، ٢٣١ - ٢
ممرضته ، ٢٦٥ ، ٢٦٥ ،
والده
والإشارات المتصلة به في أحلامه ، ١٦٣ ،
١٩٤ ، ١١٢ ، ٢١١ - ٢٣ - ٢٣٦ -
٧ ، ٣٠٦ ، ٤٢٥ - ٩ - ٤٣٥ - ٦ ،
٤٤٦ - ٥٠ - ٤٨١ - ٢
والجلوكوما ، ١٩٢ ، ٢٣٦ - ٧
والنزعات المعادية للسامية ، ٢١٦ - ٧
وموته ، ٢٣٧ ، ٣٢٧ ، ٤٢٧ ، ٤٣٤
٥ -
والقومية الألمانية ، ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤

- فينكلر ، هوجو ، ١٢٨ هـ
 فينكلمان ، ٢١٦
 فيينا ، ٢٢٢ - ٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٧ هـ ، ٢٩٩ ،
 ٣٩١ ، ٣١١ ، ٤١٥
 زيارات فليس لها ، ٤٢١ - ٢ ، ٤٢٤ ،
 ٤٧٨
 عداء الساميين فيها ، ١٦١ ، ٣٢
 فرويد ووجوده فيها ، ٢٥٦
 قايين ، ٤٥٦
 قوانين دراكون ، ٢٧١ هـ
 قبش (انظر النظام قبل الشعوري)
 قابلية التصوير واعتباراتها ، ٣٤٧ - ٥٧ ، ٤٩٥
 ٥٢٦ ، ٥٣٩ ، ٥٥١ ، ٥٦٢
 قصص الأطفال (الحواديت) ، ٦٣ ، ٥١٧ ،
 ٥٤٧ ، ٥٦٨ هـ
 قصص جريم ، ٤٧٥
 «قلب العالم» (رايدر هاجارد) ، ٤٥٢ - ٣
 كاتارو (مدينة) ، ٢٢٧
 كاتخن ، ٣٠٤
 كارلسباد ، ٢١٤ - ٥
 كاليبرج ، ١٣٦ هـ
 كاليه ، ٥١٢
 كامبانيا ، ٢١٦
 كانت (انظر : قائمة المراجع أ) ، ١٠١ ، ٥٩٩
 كبر الحجم في الأحلام ، ٢٦٧ ، ٤١٠
 «كتب الأحلام» ومنهج تفسير الحلم ، ١٢٧ - ٩
 ١٣٢ - ٣ ، ٢٤٤ ، ٣٥٨ ، ٣٩٢ ،
 ٤٦٩
 كتب الأحلام في الشرق ، ٢١٨٥
 كراسوس ، ٤٦٨
 كرمس ، ٢٣٠
 كرومويل ، أليفر ، ٤٤٦ - ٧
 كروفوس ، ٢٧٣ ، ٦٠٠
 كلارك ماكسويل ، ٤٥٤ ، ٥١٣
 كليمنتي ، ٣٧٧
- «كالو» في محتوى الحلم ، ٤٨٦
 كنودل ، ٢٢٥ - ٧
 كورساكوف ، أعراض ، ٣٩٠
 كورنر ، ١٣١ - ٢
 كولر ، كارل ، ١٩٢
 كوخشتاين ، طبيب العيون ، ١٩٣٥ ، ١٩٤ -
 ٢٩٥ ، ٦ - ٧
 كيلر ، جوتفرد ، ٢٦٢ ، ٤٠٨
 لا بوك ، سيرجون ، ٤٣
 لاسال ، فرديناند ، ٣١٢ - ٤
 لاسكر ، ادوارد ، ٣١٢ - ١٣
 لايس ، ملك طيبة ، ٢٧٧ - ٨
 لسنج ، ١٩٨
 لصوص الليل كرمز حلمي ، ٣٩٩ ، ٤٠٦
 لوبيز (الجنرال) ، ٩٤ ، ٥٢٣ هـ
 لوبيك ، ٢١٤
 لودفيج ، ملك بافاريا ، ٤٣٤ هـ
 لوردتسون ، ٢٣١
 لوفه (الأسد) ، ٤٦٠ - ١
 «لويز» ، ٤٥١ - ٣
 لينتشتاين ، ٩١
 ليشر ، الدكتور ، ٢٨٤
 ليناو ، ١٨٠
 «ليوبولد» ، ١٣٥ ، ١٤٠ - ١ ، ١٤٣ ، ١٤٧
 «ما تحت الشعور» و «ما فوق الشعور» ، ٥٩٧
 «ماتيلدا» ، ١٤٠ ، ١٤٦
 ماجدبورج ، ١٣٧ هـ
 ماديرا ، ٣٦٢
 مارا ، ٦٥
 ماراثون ، ٤٠١
 ماركسون (انظر : فلايشل فون ماركسوف)
 ماريا تريزا ، امبراطورة النمسا ، ٤٢٨
 ماسينا ، ٢١٧
 «ما فوق الشعور» و «ما تحت الشعور» ، ٥٩٧
 ما قبل الشعور (انظر : النظام قبل الشعوري)

- مراق إلى البارناس (كليمنتي) ، ٣٧٧
 مركب أوديب (انظر أيضاً : رغبات الزنر بالمحارم)
 ٢٧٦ - ٩ - ٤٥٠ ، ١
 مس لايونز ، ٤٦٠
 مسمو جوايوز (في « التاب » لدوديه) ، ٥٢٧
 مصادر الأحلام (انظر : انطباعات النهار التافهة
 باعتبارها مصادر للحلم ، وأحداث النهار الهامة
 باعتبارها مصادر للحلم) .
 مقيستوفوليس (في « فاوست » لجوته) ، ١١٠ ،
 ١٦٦
 مكة ٩٤
 منهج « الشفرة » في تفسير الأحلام ، ١٢٧ - ٩ ،
 ١٣٢ - ٣ ، ٢٤٤ ، ٣٥٨ ، ٣٩٣ ، ٤٦٩
 مو (مدينة) ، ٥٥
 موباسان ، ٣٠٣
 موشمان ، ١٢٤
 مودلينج ، ٣١١
 مورافيا ، ٢١٥
 مرزار ، ٢٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣ ، ٩٤٣
 موسى ، ٣٨٦ - ٨ ، ٤٠٣
 موسيدان ، ٥٢
 موشليس ، ٣٨٧
 مولير ، ٥١٣ - ٤
 ميرامار ، ٤٦٢
 ميكانيزمات الدفاع ، ٢٧٦
 ميلتون ، ١٦٠
 ميونج ، ٣٠٧
 نابليون الأول ، ٥٠ ، ٢٦٤ ، ٢١٧ ، ٢٥٢ ،
 ٤٩٤ ، ٥٤٤
 نابولي ، ٢١٦
 نانزنس (مستكشف) ، ٢١١
 نشيد الانشاد ، ٣٥٤
 نرجسية الأطفال ، ٢٧١
 نص الحلم
 نظريات الأحلام عند الشرقيين ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٢٨

- ماكبت ، ٢٨١
 ماكروبيوس ، ٤٤
 مانيفرست ، تيودور (انظر أيضاً : قائمة المراجع)
 ٤٣٧
 ماير ، كارل ، ١٥٢
 ماير ، كونراد ، ٤٦٨
 مبدأ الله ، ٥٥٦
 محتوى الحلم الظاهر
 اشتقاقه من الانطباعات الحديثة غير الهامة ،
 ١٨٦ - ٨ ، ١٨٩ - ٩١ ، ١٩٥ - ٦
 ١٩٧ - ٢٠٣ ، ٢٣٨ ، ٥٤٥ - ٥٢
 اشتقاقه من انطباعات الطفولة ، ٢٠٣ ، ٢٠٩
 - ٢١٨٢ ، ٤٣٧ - ٨
 اشتقاقه من خبرات الحالم ، ٥٠ - ٦٠
 تأثير التشويه فيه ، ١٩٠ ، ١٦٥ ، ٥٧٥
 تأثير النقل فيه ، ٣١٧ - ٢٥ ، ٣٢١
 صلته بالانكار الكامنة فيه ، ١٤٩ ، ١٦٠ ،
 ١٨٦ ، ٢٠١ ، ٢٩١ - ٧ ، ٣١٧ ،
 ٣٢٢ ، ٣٣٩ ، ٣٦٢ ، ٤٣٤ ، ٥٠١ -
 ٥٠٦٨ ، ٣
 والأشكال المزيجية ، ٣٣٠ - ١
 والتكثيف ، ٢٩٢ - ٧ ، ٣٠٥ ، ٣٢١
 والحالة الوجدانية ، ٤٦٥ - ٦
 والرغبات العشقية ، ٣٩٩
 والرمزية ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ - ٩
 والقلب ، ٣٣٦ - ٧ ، ٤٣٤
 والمراجعة الثانوية ، ٢٦١ ، ٤٩٠
 والمنبهات الحسية ، ٦١ - ٧ ، ٧٤ - ٦ ،
 ٢٤٢ - ٦ ، ٢٥٨ - ٩ ، ٤٨٩
 والنسيان ، ١٦٨ ، ٥٠٧ ، ٥١١ ، ٥١٤
 والنشاط العقلي ، ٤٤٤ ، ٤٤٩
 محكمة التفتيش ، ٦٣ ، ١٠٤
 مخافة الأماكن المغلقة ، ٢٨٨
 مخافة الأماكن العامة ، ٣٦٦ - ٧ ، ٥٦٩
 مخافة الخجل ، ٣١١

نظريات الأصل فوق الطبيعي للأحلام ٤٣٠ - ٦

١٠٨ ، ١٥٨ ، ٦٠

نظرية الحلم باعتباره نوماً جزئياً ، ١٠٩ - ١١ ،

١١٤ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ٢٠١ - ٢٠٦ ، ٥٧٦ ،

نظرية الدورات البيولوجية (فليس ، وسقوبوذا)

١٢٥ ، ١٨٨ - ٩١

ففق سمرنج ٤٠٢

نوبات الهيلة ، ٥٦٩ ، ٥٨٠

نوتردام ، كاتدرائية ، ٤٦٧

نورا (في « بيت الدمية » لأبسن) ، ٣٠٩

نوسيك ، ٢٦٣ - ٤

نوفاليس ، ١١٥

نهر الراين ، ٢٠٨

نيثشه ، ٢٣٣٩ ، ٥٤٠

وادي إيشرتال ، ١٥٤

وادي التبل ، ٢١٤

وظيفة الحلم ، النظريات الموضوعية بصدها ، ٥

١٠٨ ، ١٩٨ ، ٥٦٧ ، ٨ - ٧٧ ، ١٠٨

ولف ، هوجو ، ٣٥١

وليم الأول ، امبراطور ألمانيا ، ٣٨٤ ، ٣٨٧

« وفتغ فتيمثروا » ، ٢٣٤ ، ٤٦٧

هاجار ، رايدر ، ٥٥٢

هاجن ، ٥٠٩

هاسد روبال ، ٢١٧ ، ٥

هال ، الأمير ، ٢٢٥ ، ٥ ، ٤٨٢

هالستات ، ١٥٣

هاملت ، ٩٥ ، ١٩٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٥ ، ٤٤٤

هامنت ، ٢٨١

هاميلكار ، باركاس ، ٢١٧

« هانس الصفد » ، ١٥٧ ، ٢٦٨ ، ٥ ، ٢٦٩ ، ٥

هانس ، برجر ، ٢١٣

هانشن سلاو ، ١٩٨

هانيبال ، ٢١٦ - ٧

هاينة ، ٤٣٤ ، ٥٠٨

هجاسات الشعور بالنقص ، ٤٦٨

هجل ، ٩٠

هردر ، ٢٢٧

هرقل ، ٥١٣

هس ، ٣١٦

هنرى الثامن ، ٢٣٢ - ٤

هنرى الرابع ، الجزء الأول (شكسبير) ، ٨٢٢ ، ٨٢٢٥٠ ،

هنرى السادس ، الجزء الثالث

هوسياتين ، ٢٥٢

هوللوس (الدكتور) ، ٣٧

هومير ، ٢٦٤ ، ٤٧٢ ، ٤٤٤٣ ، ٥

هى أو عائشة (رايدر ، هاجارد) ، ٤٥٢ - ٣

هيبباس ، ٤٠١ ، ٥

هيتسج (ضاحية) ، ٣١١

« هيجان » الأطفال وأحلام الطيران والسقوط ،

٢٨٦ - ٨ ، ٣٨٦

هيربست ، ٢١٣

هيرود (الدكتور) ، ٤٤٢

هيرودوث ، ٤٠١ ، ٥

هيروفليس ، ١٥٨ ، ٥

هيرولياندر ، ٢٣٥

هيلفريدينج (الدكتور) ، ٤٧١

هيلر ، هوجو ، ٣٧

« هيلين الجميلة » (أوفنباخ)

هينريخ اليانغ (رواية، ج. كيللر) ، ٢٦٣ ، ٤٠٨

لاتيمز الأحلام (انظر : لاتناسق الأحلام)

لاتناسق الأحلام (انظر أيضاً : غموض الأحلام)

٣٤٠ ، ٧ - ٩٥ ، ٩٢ - ٨٩ ، ٨٣ ، ٨٠ ، ٥٩

رجوعه إلى أخفاق المراجعة الثانوية ، ٤٨٧

لاش (انظر : اللاشعور من حيث هو نظام)

يسوع المسيح ، ٢٣٤ ، ٥

ينزن (انظر أيضاً : جارديفا) ، ١٢٧ ، ٥ ، ٣٧٨

يوسف وحلم فرعون ، ١٢٧ ، ٣٤٣ ، ٤٨١ ، ٥

يوكاستا ، ٢٧٧ - ٩ ، ٢٧٩

يوليوس قيصر (شكسبير) ، ٤٢٤ ، ٤٨٠ - ١

يونج (انظر أيضاً : قائمة المراجع أ) ، ١٢٤ ،

٣٨٧ ، ٣٩١

يوه ، ٢٣٤ ، ٥

فهرست الكتاب

صفحة	
٧	تصدير
١٥	كلمة المترجم
٣١	تمهيد
٣٣	مقدمة الطبعة الثانية
٣٥	مقدمة الطبعة الثالثة
٣٧	مقدمة الطبعة الرابعة
٣٨	مقدمة الطبعة الخامسة
٣٩	مقدمة الطبعة السادسة
٤٠	مقدمة الطبعة الثامنة

الفصل الأول

٤٣	المصنفات العلمية في مشكلات الأحلام
٤٧	(ا) علاقة الحلم بحياة اليقظة
٥٠	(ب) مادة الحلم - الذاكرة في الحلم
٦٠	(ج) منبهات الحلم ومصادرة
٦١	١ - المنبهات الحسية الخارجية
٦٨	٢ - التهييجات الحسية الداخلية (الذاتية)
٧١	٣ - المنبهات الجسمية الداخلية العضوية
٧٦	٤ - المصادر النفسية للتنبيه
٧٩	(د) لماذا ينسى الحلم بعد اليقظة
٨٣	(هـ) الخصائص السيكلولوجية المميزة للحلم
٩٩	(و) الحاسة الخلقية في الحلم
١٠٨	(ز) نظريات الحلم ووظيفة الحلم

صفحة	
١١٩	(ح) العلاقة بين الحلم والأمراض العقلية
١٢٤	ملحق ، ١٩٠٩ :
١٢٥	ملحق ، ١٩١٤ :

الفصل الثانى

١٢٦	المنهج فى تفسير الأحلام - تحليل حلم على سبيل المثال
-----	---

الفصل الثالث

١٤٩	الحلم تحقيق رغبة
-----	----------------------------

الفصل الرابع

١٥٩	تشويه الحلم
-----	-----------------------

الفصل الخامس

١٨٦	مادة الحلم ومصادره
١٨٧	(أ) الحديث والتأفة فى الحلم
٢٠٩	(ب) مادة الطفولة من حيث هى مصدر من مصادر الحلم
٢٣٩	(ج) المصادر الجسمية للحلم
٢٥٨	(د) الأحلام النمطية
٢٥٩	(أ) أحلام الارتباك من جراء العرى
٢٦٥	(ب) أحلام موت الأحباء
٢٨٨	(ج) أحلام الامتحان

الفصل السادس

٢٩١	عمل الحلم
٢٩٢	(أ) التكثيف

٣١٧	(ب) عمل النقل
٣٢١	(ج) وسائل الحلم في التصوير
٣٤٧	(د) اعتبار قابلية التصوير
٣٥٧	(هـ) التصوير بوساطة الرموز في الأحلام - أحلام نمطية أخرى
٤٠٧	(و) أمثلة - عمليات الحساب والأقوال في الحلم
٤٢٥	(ز) الأحلام اللامعقولة - النشاط العقلي في الأحلام
٤٥٨	(ح) الحالات الوجدانية في الحلم
٤٨٥	(ط) المراجعة الثانوية

الفصل السابع

٥٠٤	سيكولوجية عمليات الحلم
٥٠٦	(أ) نسيان الأحلام
٥٢٥	(ب) النكوص
٥٤٠	(ج) تحقيق الرغبة
٥٦١	(د) اليقظة بسبب الحلم - وظيفة الحلم - حلم الهيلة
٥٧٤	(هـ) العمليات الأولية والعمليات الثانوية - الكبت
٥٩٢	(و) اللا شعور والشعور - الواقع
٦٠٣	قائمة المراجع
٦٢٩	فهرست الأحلام
٦٢٩	(أ) أحلام فرويد
٦٣٠	(ب) أحلام الآخرين
٦٣٤	فهرست عام
٦٦٩	فهرست الكتاب

Ce livre est la traduction de la Traumdeutung de Sigmund Freud par Moustafa Safouan, membre de la Société Française de Psychanalyse. Il paraît dans le cadre d'une série dirigée par Monsieur le Docteur Moustafa Ziwar et consacrée aux œuvres fondamentales de la psychanalyse.

La traduction est dédiée à Messieurs les Docteurs Moustafa Ziwar et Marc Schlumberger.

١٩٩٤ / ٥٤٦٠	رقم الإيداع
ISBN 977-02-4586-0	الترقيم الدولي

١ / ٩٤ / ٦٥

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)